سيرة

عنترة بن شداد



المجلد الثاني

التزام مكتبة الجمهورية العربية

مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
رفع أ. علاء الدين شوقي أسكنه الله الفردوس

لسان العرب

سـيرة

عنترة بن شـداد

هو عنترة بن عمرو بن شداد العبسى أحد فرسان العرب وأعربهـا وأجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة وكانت أمه أمة حبشية تسمى زبيبة وأبوه من سادات بنى عبس وكان من عادات العرب ألا تلحق ابن الأمة بنسبها . بل تجعله فى عداد العبيد ولذلك كان عنترة عند أبيه منبوذاً بين عبدانه . يرعى له إبله وخيله فرباً بنفسه عن خصال العبيد ومارس الفروسية ومهر فيها فشب فارسا شجاعا همّاما وكان يكره من أبيه إستعباده له وعدم إلحاقه به حتى أغار بعض العرب على عبس واستاقوا إبلهم ولحقتهم بنو عبس وفيهم عنترة لاستنقاذ الابل فقال له أبوه كر ياعنترة فقال : العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلاب والصر فقال كر وأنت حر فقاتل قتالا شديداً حتى هزم القوم واستنقذ الإبل فاستلحقه أبوه ومن ذلك الوقت ظهر اسمه بين فرسان العرب وساداتها وطال عمر عنترة حتى ضعف جسمه وعجز عن شن الغارات ومات قبيل البعثة

الجزء السابع

مكتبة الجمهورية العربية
لصاحبها عبد الفتاح عبد الحميد
بشارع الصنادقية بالأزهر

مطبعة عاطف وسيد طه وشركاهما
٤ حارة الوطن - كلوت بك - تليفون ٩٠٤٩٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما إلى يوم الدين (قال الراوى) فرجع برأسه إلى أرض فما لحق أن يستقر عليها إلا وشيبوب قدعضه فى كعبه فقام بسطام على حيله فرجع شيبوب أسرع من البرق إلى خانه فلما رآه بسطام ظن أنه شيطان من عمار ذلك المكان فقال أعوذ برب البيت الحرام ومازالوا على ذلك الحال إلى أن ضاء الفجر بالإبتهال فتركه شيبوب ومضى إلى أخيه عنتر وأيقظه من المنام وحكى له على ماجرى له مع بسطام ومازالوا على ذلك الإيضاح إلى أن أصبح الله بالصباح فتحدر بسطام من على الرابية وقد جرد فى يده الحسام ولكن أيقن بورود الحمام وكان مما جرى عليه فى تلك الليلة يتعجب كيف قاده العشق والغرام إلى الهلاك وسوء الإرتباك وندم على مخالفته لأبيه وكيف أنه قدسار على حالة الوحدة فلما قارب بسطام إلى عنتر أشار ينشد ويقول هذه الابات :

العشق فيه هلاك النفس بالأسل ... والضرب بالبيض والعالة الذبل
ما كان ظنى بان ألتقى أسداً ... لا كالا سود عظيم القول والعمل
حتى غدوت وعندى من مخافته ... مابت فيه على خوف من الوجل
صبرا على كل ما ألقاه من سقم ... ومن غرام ومن بعدى عن الحلل
يانفس لاتجزعى أن الحمام له ... وقت وإن طالت الأيام الأجل
فيه الحروب فطب نفسا وكن فرحاً ... وخوف النفس بالأغلال والوجل

(قال الراوى) ولما فرغ بسطام من كلامه أجابه عنتر يقول صلوا على طه الرسول :

من لاربى فى اللقا والضرب فى العلل ... يبت من هيبة الفرسان فى وجل
كم وقعة لى وبيض الهند مشهرة ... وطعنتى تنقص اللذات مع أجل
وضربتى تترك الأبطال صاغرة ... وغمد سيفى ورود الموت فى القلل
وصرختى هزمت جيشا له عدد ... والخيل جمعا مع الأنعام والابل
أين الذى يبتغى أخذ العروس وقد ... أضحى وفى القلب نار الحرب كالشعل
ما يبلغ القصد منها غير عنترة ... فدونك الحرب أن الحرب للبطل

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره أخذ فى معاناة الحرب والطراد وحملا على بعضهما البعض وجالا بخيلهما طولا وعرضا حتى زاغت منهما الأبصار وتحيرت الأفكار وزاد عليه بعنتر الدرهم قنطار فبينما هما على ذلك الحال وإذا بغبار قد ثار من ناحية بنى عبس

جوبان من تحته مائة فارس على خيول كأنها الأطيار إلا أنهم لما قربوا من الحرب حققوا النظر إلى عنتر وبسطام فنادوا كلهم يالعبس يالعدنان فهم بسطام أن ينفلت من يد عنتر ويطلع إلى رؤس الروابي والتلال وإذا بغبار آخر قد طلع وامتد في تلك الاقطار وانكشف بعد ساعة من النهار وكلهم بالسيوف الصقال مشتاقون إلى الحرب والقتال وهم ثلثمائة فارس ريبال (قال الراوى) وكانت تلك القبائل التى أقبلت كلها طالبة قتل عنتر وماله منهم صديق ولا رفيق ولكن الله يسر له أسباب السعادة والتوفيق وكان السبب فى تلك القبائل التى أقبلت من خلف عنتر وكانوا مائة فارس شداد يقدمهم الامير شرف الدين عمارة القواد وعروة بن الورد والباقى من بنى زياد هو ومالك أباعبلة لما جرى له ما جرى فى بنى شيبان وقد ساد بسطام ليأتى برأس عنتر أرسل مالك إلى عمارة يعلمه بالخبر ويقول له قد رأيت من الكرم شيئاً كثيراً وأنا خائف أن لا يصل نسبى ببنى شيبان وأن نحرم من تلك الاوطان وأشتهى من إحسانكم أن تعاونوا بسطاما على قتله لعله يشرب كاس المهالك فأعلم عمارة الربيع وقال له دبرنى يا أخى يا ربيع فقال له من الرأى أنا أترك عليه العيون والارصاد ونتبعه فى مائة فارس شداد ونأخذ خبره ونساعد بسطاما عليه ونقتله ثم أن عمارة لما فرغ هو وأخوه من ذلك المقال دعوا بعروة بن الورد وأطلعوه على ذلك الحال وصاروا راصدين عنتر احتى أنهم رأوه غاب عن الحى فعلموا أنه ما غاب إلا وقد سمع بذكر عبلة ثم أنهم استعدوا وساروا وأوسعوا فى البر وقال عمارة لعروة نحن خيلنا جياد ورماحنا مداد وسواعدنا شداد وإذا نحن رأيناه وقع فى المصيبة رجعنا عنه وتركناه ولم يزالوا على ذلك الحال حتى أدركوه كما ذكرنا فى الصباح وهو مع بسطام فى الحرب والكفاح وكان اليوم الذى التقى فيه عنتر بسطاما كان هذا اليوم الذى خرج فيه عمارة وعروة ومن معهم من الحى وأما الغبار الذى ظهر من ناحية بنى شيبان فقد ذكرنا أنه انكشف عن ثلثمائة عنان والسبب فى ذلك أن الملك قيس بن مسعود افتكر فى أمر ولده فصار يدبر فكره ويحسب ألف حساب ودخل إلى أمه وهى تبكى وتقول كيف أن بسطاما قد سار لعنتر وحده فما كان منه إلا أنه جهز هذه الثلاثمائة فارس وقدم عليهم ابن عمه وهو يقال له نجاد وكان مذكوراً وقت الحرب والجلاد وأوصاه على الإجتهاد فقال يا مولاى أنا ما أحتاج إلى وصية لانك تعلم أننى أخبر أهل زمانى بالأمور والتدبير والفروسية ثم أنه تجهز وسار على الطريق الواضحة حتى أشرف على بسطام وعنتر فلم تكن إلا ساعة حتى عرف كل أحد أصدقاءه من أعداءه وأبصر عنتر هذه الامور فعرف بواطنها وعلم أن الكل ما فيهم صديق بل أتوا يريدون سفك دماه فلما صح عنده ذلك الامر لاصق بسطاما (قال) وكان بسطام قوى قلبه وأراد أن يطلق رأس الجواد فامكنه عنتر بن شداد بأدركه وزعق فيه وطعنه بعقب الرمح فألقاه على وجهه

الأرض وقال لأخيه شيبوب شد كتافه حتى ننظر ما يجرى بيننا وبين القادمين فنظر نجاد إلى هذا الحال فقال لمن معه ياويلكم أخذ هذا الأسود ابن ملكنا بسطام وشده فى الاعتقال وإنى أقول أنه ما قدر عليه إلا من خوفه من هذه الفرقة العبسية التى لحقت بصاحبها حتى تعينه على هذه القضية كما لحقنا نحن صاحبنا فدونكم وإياهم فارفعوهم على أسنة الرماح وأنا أمزق جسد هذا الأسود وأطلق لمولانا السراح لأنى أقول أن هذا الفارس هو عنتر الذى قد صار بسطام يأتى برأسه ثم أنه حمل يطلب عنتر فى خمسين فارسا وحملت بقية الثلثمائة فارسا على عمارة ورفقته مثل الأسود القناعس وقد قلوا فى أعينهم وداروا بهم وتفرقوا كراديس ومواكب فعند ذلك لزم بنو عبس القتال خوفا من المهالك فانظر أيها السامع إلى هذه الأشياء التى تحير العقول فان عمارة قد أتى يقاتل عنتر فصار معينا له بغير علمه واختياره واحتاج أن يقاتل معه ويخلص نفسه فزعا من العطب ولو أمكنه الهروب من ذلك لهرب ولكن ما قدر على ذلك لأن الأعداء قد أحدقت بهم من سائر الجهات والمهالك فقاتل وأبذل المجهود وتزاعقت عليهم الفرسان مثل الأسود وتواثبت الشجعان مثل الفهود واقشعرت الجلود وقدحت حوافر الخيل النار فى الجلمود وخيم الغبار على رأسهم حتى بقى مثل الرواقى الممدود وفاضت الدموع على الخدود وقدت الصوارم الهامات القدوح وخفقت الرايات والبنود وتلهجت فى الأحشاء نار الحقود وعادت وجوه الأبطال سود من كثرت الغبار الممدود ومما جرى عليها من نقض المواثيق والعهود وشربت الأودية من أدمية الفرسان والكبود وخسرت بنو زياد فى ذلك اليوم المشهود ورأت مقام عنتر فى ذلك الوقت محمود وأيقن عمارة أنه هالك من بين أهله ومفقود وكاد أن يموت من الحسد وعاد متنغصا مكمود ثم أنه افتقد أصحابه فوجدهم قد فقد منهم خمسون فارسا والباقون أشرفوا على الهلاك فعندها قال عمارة النجاة ثم أنه لوى عنان جواده وولى هاربا فتبعه عروة ومن بقى من رجاله وهم لا يصدقون بالنجاة (قال الراوى) فلما نظر بنو شيبان إلى هروب بنى عبس من قدامهم تبعوهم ولجوا خلفهم فى وسيع البرارى والقيعان وأرجفوا بصياحهم تلك البهارى والبطحان فهذا ما جرى لهؤلاء من الأمور المناخس وأما ما كان من أمر أبى القواس فانه التقى تلك الخمسين فارسا وحمل عليهم وروعهم أو حمل أيضا مقدمهم نجاد وتكبكبت الفرسان من على ظهور الخيل الجياد وقد قتل منهم قتلى عظيمة وطعن فيهم طعنا يسبق لمح البصر ومال عليهم عنتر وهو كأنه البحر إذا زخر واستقبل نجادا وطعنه بالرماح الكعوب الأسمر فحكم فى صميم فؤاده فنكسه عن جواده وبعده أهلك ثلاثين فارسا أمجادا كانوا معدين للجلاد فنظر الباقى منه طعنا مثل شعل النار لا يبقى ولا يذر فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وهم يقولون لعن الله أباك ما أنفذ طعانك

(قال الراوى) هذا وبسطام قد حار ولحقه الإنبهار وكان شيبوب عنده موكلا عليه ليحفظه حين عاد أخوه من خلف بنى شيبان ثم أن عنتر أمر أخاه شيبوبا ان يشد له على ظهر جواده. بعد أن إستراح وعاد اليه نشاطه ثم ركب وتبع أثر القوم الذين وراء بنى عبس وإذاهم راجعون يخببون الخيل فى وسيع البر ومعهم اسلاب من قتلوا وخيولهم (قال الراوى) وقد كنا ذكرنا ان عروة وعمارة هربوا المقتل منهم خمسون فارسا وانهزم الباقى من عمارة وعروة وعاد بنو شيبان من ورائهم يطلبون مقدمهم نجاد لاقاهم عنتر بن شداد فحين ناداهم يا اوغاد غير امجاد وحرمة البيت الحرام وزمزم والمقام لولا ما بينى وبين بنى عبس من العناد ما حصل من هذا الأمر شىء ولا كاد ثم انه حمل عليهم ونكس فرسانهم الأجواد قال وكان بنو شيبان قد عادوا تعبانين من الجلاد وفيهم جماعة مجروحين الأجساد فى دون ساعة عملت بينهم السيوف الحداد وتقاتلوا وتناصلوا حين علموا ان عنتر اقتل مقدمهم وابصروا الرجال الذين كانت معهم ممددين على المهاد فقال بعضهم لبعض يا ويلكم ما اسر عنتر بسطاما وقتل مقدمنا نجاد إلا وهو مصيبة طارقة ومحنة ماحقة وسنان رمحه يسبق الآجال السابقة اطلبوا بنا الأهل والديار وإلا حل بنا الدمار ولا يبقى منا ديار ولا نافخ نار ولا من يؤدى الاخبار ثم إنهم اداروا رؤس خيولهم واطلقوا الها الاعنة وولوا وهم بالنجاة لا يصدقون فتبعهم عنتر وما عاد عنهم حتى ملا الأرض من قتلاهم وارواها من دماهم ورجع وهو يخب بالجواد وسنان رمحه يقطر من دماء الأبطال الشداد حتى وصل إلى اخيه شيبوب وهو كانه الأسد الوثوب فعند ذلك قال شيبوب ما الذى عولت يا ابن الأم على ان تفعله فقال اسير إلى بنى شيبان واعرفهم شؤم طلعة عمى القرنان واملأ ديارهم خوفا ورعبا واشتتهم بعدا وقربا ولا اعود حتى آخذ عبلة من بينهم غصباً لإنى اعلم ان المنهزمين إذا وصلوا إلى قيس بن مسعود يعرفونه بما راوا من سيفى ويخبرونه ان ولده بسطاما فى قبضتى فعند ذلك يجمع القبائل التى ببنى شيبان ويسير إلى ديارنا والأوطان حتى أنه يخلص ولده بسطام فحينئذ تبقى الأحياء خالية والأموال السائبة فابلغ منها ما اريد وآخذ عبلة وانهب الأموال والعبيد واقتل من تخلف من الرجال الصناديد وإن ظفرت بعمى مالك تركته مثلا فى سائر الأقطار فقال بسطام وهو فى الشد والوثاق والوحشة والفراق ما يحتاج يا أبا الفوارس إن تكلف نفسك ما لا تطيق واتركنى لك محبا وصديق على مدا الأيام وانا وذمة العرب ابلغك ما تختار ولا ادع عمك يرحل من ارضنا والديار حتى يزف عبلة عليك واكون انا وقومى ليلة الزفاف بين يديك فعند ذلك قال عنتر يا ابا اليقظان وهل انا عاجز عن قضاء حاجتى حتى استعين بغيرى على ملتقى فوحق من اغمق الدجا وجعل الشمس سراجا مبتهجا لأجعلن لى فى دياركم فعالا تتحدث بها الأمم على قارعة الطريق ما بقى الزمان

وسوف أترك ديارهم كخراب يزعق فيها البوم والغراب وأعلق رأسك فى رقبة عمى حتى أنه يتوب من فعاله ولا يرجع يتغرب عن دياره وأطلاله ثم قال شيبوب سر فى عرض البر ولا تركب على طريق حتى لا يرانا عدو ولا صديق ففعل شيبوب ما أمره أخوه ولم يزالوا سائرين وهم يقطعون القفار والسهول والأوعار فجاش الشعر فى خاطر عنتر فأنشد يقول هذه الأبيات :

لحا الله عمى كـــذا يتغرب فراراً من أجلى بعبـــلة يهرب
وأرسل بسطاما إليه بعزمه ليأخذ رأسى وهو كالليث أغلب
ولما تلاقينا أتانا بنجدة يرومون قتلى مع نجاد وأعجبوا
وزوجة عمى بعقد ومعهد وكان له دون الخلائق يرغب
فجلت عليهم جولة عنترية فجندلتهم فوق الثرى يتسكبكبوا
وألبستهم ثوباً من الدم أحمرا تنشهموا وحش الفلاة وتسلب
وبسطام قد أضحى بكفى مقافلا أسيراً ولم يبلغ لما كان يطلب
سأطلب حتى منك ياعم عنوة لتحلف لى ماعشت لاتتغرب
وأن لافلقت الرأس منك مهابة لأنك غدا رتقول وتكذب
أنا عنتر المعروف فى حومة الوغى وإنى لليث فى الحروب مجرب
ولى همة فوق السماك محلها تسير بها الركبان شرقا ومغرب

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بنى شيبان فعدل بهم شيبوب عن الطريق الواضح ودخل إلى واد عميق حتى أصبح الله بالصباح وهم مكنونون فيه فعند ذلك قال عنتر ياشيبوب أتركنى ههنا واطلب طريق القوم واطلع على أحوالهم وعد إلى بالخبر اليقين فمضى شيبوب وغاب ساعة ورجع وهو منزعج الحواس فقال له عنتر ماحالك حتى عدت على عجل وعقلك قد انذهل فقال ياأخى إنى أشرفت على حلل القوم فرأيت الدنيا منقلبة لفقد بسطام وأصوات النساء عاليات بالنوح والضجات على من فقد من الرجال والسادات والخيل تركض من كل جانب وتعود إلى المضارب فخفت على نفسى من النوائب فوقفت على بعد من الخيام وقد خشيت على نفسى أن يعرفنى عمك مالك وولده عمرو فيوقعانى فى المهالك ولما هممت أن أعود إليك سمعت راعياً يقول لعبد آخر ياابن الخالة رح الليلة بغنمك عاجلا لأن أهلنا غدا راحلون إلى دارة جلجل (قال الراوى) وهذا المنزل ذكر امرؤ القيس فى قصيدته التى فى البيت الحرام حيث قال ولاسيما يوم بدارة جلجل ثم إن عنتر قال ياشيبوب قل وأوجز مقالك ياابن الأم ولما سمعت ترحيل القوم فرحت بذلك وعلمت أنه لابد لعمك أن يسير مع القوم فتخرج أنت عليهم وقت رحيلهم على الأظعان

فتأخذ بزمام ناقة عبلة وتسلمه لى وأنت خلفى ولا تخف من القوم إن كثرت أو قلت فتبسم عنتر من مقاله وقال له وحياتك ياشيبوب لا بد أن أرد عنك الخيل وأفرقها ولو كانت مثل السيل وأتركها تنظر إليك من بعيد ومن قريب كما تنظر الغنم إلى وجه الذئب (قال الراوى) فلما سمع بسطام ذلك المقال تحير ووقع به الانذهال ونسى الفروسية وقد تعجب كيف أن فارساً وراجلا يجدان أنفسهما أنهما يهجمان على قبيلة ويبلغان أغراضهما منها وهى حجرة العرب فى زمن الجاهلية وبعد ذلك أقام عنتر وشيبوب مكانهما حتى قرب الصباح وخرجا فى آخر النهار يتعثران فى الصخور والأحجار وهما ينتظران أحداً يأخذون منه الأخبار فبينماهم كذلك وإذاهم بأغنام سائرات وهى إلى الأحياء قاصدات وخلفها عبد واحد وهو يسعى وقد شبك على أكتافه بالعصا وهو يبكى بكاء المرأة الثكلى ويقول واأسفاه عليك يابسطام كيف غدرت بك الليالى والأيام وسلمتك إلى عبد لاقدر له ولا شأن ولعب الهوى فى مهجتك فلا بارك الله الرب القديم فى عبلة ولا فى أباها ولا رعا الله ساعة فيها رأيناها ثم أنشد يقول صلوا على طه الرسول :

فجعنا فيك يا بدر الكمال ... ويا ليث الوغى يوم النزال
ويا حامى الحريم بكل أرض ... إذا ولت صناديد الرجال
لقد عدمت بنو شيبان شهما ... له ضرب يهد قوى الجبال
وذلت بعد ما كانت سباعا ... تذل لذكرها أسد الدحال
أتاه من بنى عدنان عبد ... قريب العهد من رعى الجمال
ولولا الغدر فى الأيام طبعاً ... لما نصر العبد على الموالى
لا ياعبلة لا بقيت خيراً ... ولا وقيت حادثة الليالى
ولا زالت ديار أبيك قفراً ... خراباً من أهاليها خوالى
أتانا زائراً فى يوم نحس ... وكان فعاله شر الفعال
لحاه الله من شيخ وضيع ... صقيع الذقن منتوف السبال
فقير مانبا من طيب عيش ... وخلى جمعنا فى سوء حال

(قال الراوى) ثم ساق العبد الاغنام وقد سمع عنتر منه تلك الأبيات فزاد غيظاً واهتمام على ذلك العبد ابن اللئام وقال ياشيبوب ائتنى به حتى أقابله على مقاله وأسأله عن الحى وأبطاله فانقض عليه شيبوب وأمسكه من خناقه وأتى به إلى أخيه ومكن الخنجر من نحره وقال له ويلك ياعبد السوء ما يقال لسيدك بين العربان وأنت عبد من عبيد الفرسان فقال يامولاى أنا من عبيد الملك قيس سيد بنى شيبان والحاكم على من له من العربان فعندها قال له عنتر لا بأس عليك أنتم غدار احلون من ذلك المنزل إلى غيره فقال العبد نعم يامولاى نرحل لوجوه

عديدة إحداها أننا خائفون من بنى تميم والثانى لأجل سيدى بسطام فإنه قد أسر ونريد الآن نرحل إلى منزل أوسع من هذا الموضع وأكثر مرعى ونجمع خلفانا وعمنا ونسير إلى خلاص الأمير بسطام حامينا فقال له عنتر ومن أسره من الفرسان وهو واحد العصر والزمان فقال العبد يامولاى والله ما أسره إلا عبد لاقدر له ولا شأن ولا يعد من الفرسان ولا له حسب ولا نسب لأن الأيام تأتى لكل عجب فقال عنتر صدقت يا ابن الخال ولكن لكل شيء سبب قل لى من أسره وماسببه فعند ذلك حدثه العبد بحديث عبلة وماجرى لها مع بسطام وكيف طلب أبوها منه رأس عنتر فى مهرها فمضى ليأتى بمهرها وهى رأس عنتر عبدها فأسره عنتر فى الطريق ثم إن العبد قال وأنت من تكون ياوجه العرب وأى شيء الذى أتى بك إلى هذا البر والسبب فقال له عنتر يا ابن الخالة أنا عبد من بنى حنيفة ومولاى غضب على وقد أتيت إلى بسطام أسأله أن يسأل مولاى فى وها أنت قد قطعت ظهرى لما ذكرت لى أسره وذكرت أنك تحبه فقال العبد يا ابن الخالة إن له على فضلا وامتنان ولو كنت أتيت إليه وهو سالم وحاضر فى الأوطان كان مولاى بسطام اشتراك من مولاك ولو طلب فى ثمنك عشرين ناقة فتبسم عنتر لما سمع هذا المقال وساقه قدامه حتى وصل به إلى المغارة التى فيها بسطام وقال للعبد أنظر إلى هذا الأسير وانظر إن كان يشبه مولاك حتى أننا نجود عليك به يا ابن الخالة من أجل رؤياك (قال الراوى) فلما نظر العبد إلى بسطام انعجم لسانه عن الكلام وسقط إلى الأرض وقد ضعفت ركبانه عن القيام وقد علم أن الذى يكلمه هو فارس الأنام عنتر بن شداد فعند ذلك خنق منه الفؤاد وأحس بالهلاك والنفاد فأقبل بعد ذلك على عنتر يتلقاه ثم أنه تقدم إليه وقبل يديه وأسافل قدميه وقال له العفو يافارس الأنام لأن العفو عند المقدرة من شيم الكرام ولا تفعل مع هذا الأسد الفعل واعلم أن هذا سيدى بسطام وهو لا يستحق الأسر والانتقام فأطلقه يامولاى ولا تقطع شجرة الكرام من بين الأنام ثم أن العبد بكى من قلب قريح وفؤاد جريح وجعل يقبل أقدامه ويصيح فبادره شيبوب وسد فمه وأدار كتفه خوفاً من عاقبة أمره وأتلافه ثم خرج شيبوب طالباً إلى بنى شيبان حتى أنه يستعلم الخبر وينظر رحيلهم ويعود إلى أخيه عنتر فاغاب إلا شيئاً يسير وعاد على الأثر وهو يقطع الفلاة إلى أن وصل إلى عند أخيه عنتر والدمع من أماق عينيه يتحدر فلما رآه عنتر على هذا المثال قال له مالى أراك هكذا متغير الأحوال فقال له سبقتنا الأعداء يا ابن الأم إلى بلوغ المراد وضاع تدبيرنا والإجتهاد فقال له أخوه عنتر كيف تلك الأهوال الشداد فقال شيبوب الذى أعلمك به يا ابن الأم انى لما سرت من عندك وغدوت فى البر والبطاح وصلت إلى حى بنى شيبان عند الصباح فرأيت القوم فى المسير وركوب الطريق ومابقى لهم عائق يعيق فلما حققت الخبر عولت على أن أعود إليك حتى أعلمك بالخبر

وتأخذ لنفسك الحذر وأنا أظن أني قد بلغت المآرب وإذا بالبر قد امتلا بالمواكب والكتائب وغبار قد سد المغارب والمشارق وكل الجوانب وخيل غائرة وفرسان جائلة وهم ينادون يالتميم أبشروا بالويل العظيم وفي أوائل الخيل فارس عظيم على جواد جسيم كأنه الليل البهيم وقد مال إلى بني شيبان وأهلك جميع الشجعان وقلع البيوت بما فيها من البنات والنسوان ونظرت عبلة في أوائل المسبيات وهي تنادي وتصيح يالعبس يالعدنان أين الفارس الغيور أين من يستر الحريم واويلاه واقلة ناصراه واشوقاه إليك يا أبا الفوارس يامن كنت لنا حافظاً وحارساً فلو كنت حاضراً ونظرت عيناك مالقيته من بعدك فلا أذاقني الله فقدك وسمعتها يا أخي تعدد كما جرت به عادة النسوان والبنات وحفظت ماقالته من الأبيات وهو قولها :

عين أبكي على عزيز الرجال ... سيد الداعين والأبطال
لو يكن حاضر حماني منهم ... لو يكونوا عدد الحصى والرمال
يالقومي فهل غيور كريم ... ليحامي عن البنات الغوالي
كل يوم في غربة وهجاج ... وعناء وذلة وضلال
لارعاك الإله من شيخ سوء ... فاعل الإثم مضمر للمحال
أنت تدل على الحقيقة لاعشت ... سلما من حادثات الليالي

(قال الراوي) ثم إن شيبوباً قال لما سمعت منها تلك الأبيات وقفت بالبعد منهم أنظر مايكون من الكائنات وإذا بأبيها سمع نداها فحمل يطلب خلاصها من أعداها فانقض عليه هذا الفارس المقدم ذكره فوالله لقدرايته يا ابن الأم خطفه من سرجه وحذفه إلى ورائه فتلقته العبيد وكتفوه وأرادوا قتله فأراد ولده عمرو أن يحامي عنه ويزعم أنه يخلصه منهم فطعنه الفارس بعقب الرمح في صدره فألقاه على الأرض فانقض عليه بعض العبيد واوجعه بالضرب وأخذه أسيراً وناداه ذليلا حقيراً وبعد ذلك سمعت الفارس يقول لقد بلغته المنى والمراد وحويت بغية فؤادي والحبور ونلت المنى والسرور وإني يا أخي لما رأيت هذه المصائب انسدت في وجهي جميع المذاهب وعدت إليك كما تراني وأنا خائف (قال الراوي) فلما سمع عنتر هذا المقال فاض دمعه على خده وانحدر وتنغص عيشه وتكدر وقال ياعم لاسقاك الله غيثاً ولاقطر الندا ولاتخلصت من أيدي العدا كما بليت نفسك بهذا البلاء وهتكت بنتك في الملاوأحوجتها إلى ان تنادي بذلك النداء وتخضع للحقير والذليل ثم إنه عنتر اهم أن يركب الجواد ويخرج من ذلك الواد فسمع بسطاما وهو يصيح عليه وينادي ويقول واذلاه من شماتة العدا فظن عنتر أن ندامته وبكاءه من أجل محبة عبلة وماجرى عليها من تلك العملة فعدل إلى المغارة وقال له ويلك يا بسطام وهل من أجل سبي

أصابك هذا الانتحاب فقال له لا وحق مسبب الأسباب الذى خلق آدم من تراب ما بقى لبنت عمك فى قلبى من المحبة لا قليل ولا كثير ولا تأسفت على ما أنت عليه تشير وإنما بكائى على هتك حريمى وعافنى عن مجازاة غريمى لان لى أختا اسمها بدور وأنا عليها غيور وقد خطبها منى جماعة من آل قحطان وغيرهم من الفرسان فما سمحت بها لاحد من العربان وكان من جملة خطابها هذا الذى أغار عليها وهو يقال له قنعب بن غياث فرددته عن طلبه خائباً وكرهت أن يكون لها بعلا وأن تكون له أهلا لانى سمعت أنه بخيل الطبع على كل من عنده وأنه يأكل وحده ويحرم عبده فمضى وهو غضبان وصار يهدد بنى شيبان ويقول لابد أن أجمع عليهم العربان ولا شك أن هيبتى كانت تحمى بنى شيبان وتحترمنى العربان لاجل الملك النعمان إلى أن جرى لى معك ما جرى وملكتنى أنت بشجاعتك من دون الورى وأظنه قد سمع بقصتى فاغتنم الفرصة فى غيبتى وغزا قومى وقبيلتى وسبا حريمى وتحكم فى أختى وشقيقتى التى أغار عليها من مقلتى (قال الراوى) ثم إن بسطاما لما فرغ من كلامه زاد بكاءه وقلقه وشكواه وقال يا أبا الفوارس بحق ذمة العرب مكن منى حسامك ولا أعطنى ذمامك واعلم أنى قبل اليوم كنت من أهل الاعتداء وها أنا قد اعترفت بالظلم والخطأ وإن قتلتنى فى هذه النوبة فلا أحد يلومك على فعالك لأنى بالظلم معتدى وها قد ردنى الله عما كنت عليه عازم وأصبحت من أجل ذلك نادم وأنت تعلم أن الكلمة المسموعة تعلو صاحبها درجة رفيعة وأن العرب الكرام ما يفتخرون إلا بالعطاوية تجاوزون عن الخطأ وأنت تعلم أن هذه القضية لك فيها نسبة لأجل بنت عمك ذات الحسب والنسب لان أخاها وأباها مع أندال العرب وهى تنادى مالها من مجير وتشتكى بالذل والتعثير ومالها من نصير والذين يريدون حلها منها ناس كثير وأنت فى هذه الديار فريد وحيد فاجعلنى يا أبا الفوارس لك معين ومساعد وقرين حتى أننى أبذل روحى لاطراف القنا لعل أن تبلغ المنا ولا تحسبنى ممن يضيع معه الاحسان فاتخذنى لك أخاً وصاحباً مدى الأزمان ثم أنشد يقول:

يا فارس الخيل ياشمسى ويا قمرى	ويا عمادى ويا عونى على الضرر
أسرتنى وخيول الحرب جائلة	والبيض والسمر بين الخوف والحذر
وقد أتيت إليك الآن معتذرا	كى تقبل العذر من جان ومعتذر
فإن قتلت فحق أنت فاعله	وإن عفوت فسمعى أنت مع بصرى
يا من إذا سل فى الهيجاء صارمه	كان القضاء له عوناً مع القدر
والله لو أن أهل الأرض قاطبة	يضاربوك غدوا فى نوع منذعر
أنت الذى أضحت الأبطال صاغرة	من عزم سيفك بين الخوف والحذر
فامنن على بإطلاق أسرى	فأنت كهف العلا ذخر المدخر

لازلت ترقى المعالى دائماً أبدا　　من يعاديك يغدو غير منتصر
لازمت مادامت الدنيا وزينتها　　ماضى العزيمة تعلو رتبة القمر

(قال الراوى) ولما فرغ بسطام من كلامه حتى فاضت عينا عنتر بالدموع لأنه كان حليما قريب الرجوع فرق قلبه لذل بسطام وما أبدى من الخضوع وعلم أن فؤاده من الغيرة على الحريم مرجوع فحله من الكتاف والوثاق من بعد ما أخذ عليه العهد والميثاق وسلم له جواده وآلة حربه وجلاده فأقبل شيبوب على أخيه عنتر وقال له هذا العبد ولد الزنا أما تقتله وتنزل به العبر والموت الأحمر وتسقيه كاس الانتقام لأجل ما أسمعنا من غليظ الكلام فقال له عنتر ويلك يا ابن الملعونة نطلق السادات الاماجيد ونقتل أقل العبيد ولا سيما بيننا وبينه نسبة السواد وهو ما فعل شيئاً بيننا نبنى عليه العناد وإنما أظهر التأسف والبكاء على مولاه الذى كان يكرمه فى كل وقت ويرعاه فأطلقه من شداده فقد أكرمناه لأجل سواه (قال الراوى) فلما سمع بسطام ذلك الكلام تبسم وأظهر الإبتسام وقال يا أبا الفوارس ما أنصفك فى الفعال والكلام ثم انه أطلق العبد من شداده وركب عنتر فى الحال على ظهر جواده وخرج من الوادى الذى كان مكث فيه وشيبوب يسعى بين يديه وبسطام بجانبه وهو قد فرح بعنتر صاحبه ومازالا يركضان حتى أشرفا على ديار بنى شيبان فأبصروا الديار خالية من الرجال والأطلال مقفرة العرصات والقتلى مطروحون فى سائر الجهات فبكى بسطام وتناثرت من أجفانه العبرات (قال الراوى) وكان قنعب قد هجم على القوم فى ثلاثة آلاف فارس وفعل بهم ما فعل من المناحس واسر قيسا أبا بسطام ووضع فى الباقين السيوف فقتل خمسمائة فارس من الشجعان واسر مائتين من الأقران والباقون هجوا فى البرارى والقيعان فلما اتى عنتر وبسطام ونظروا ذلك الأمر والشأن انفذ بسطام عبده يجمع الرجال من البراوى والآكام ولم تكن إلا ساعة من النهار حتى اجتمعوا من سائر الأقطار وفرحوا ببسطام لما علموا بحقيقة الأخبار وقالوا والله يا بسطام ما بلغ العدو منا الآمال إلا لما علم بغيبتك عن الأطلال (قال الراوى) فعند ذلك حدثهم بسطام بما اتفق له مع عنتر وكيف أسره وكيف من عليه بالإطلاق فعند ذلك عظم عنتر فى اعينهم وقويت به قلوبهم ثم أنهم ساروا على اثر بنى تميم وفى قلب عنتر من اسر عبلة أمر عظيم ومازالوا سائرين فى حجج وتغريب حتى أشرفوا على الأعداء عند المغيب ورأوا قنعب بن غياث قد نزل إلى المبيت وقومه يضربون المضارب والخيام والسبايا على ظهور الجمال قيام ولهم ضجيج وبكاء قد اقلق جنبات البيداء فقال بسطام لعنتر وقد أهاله ما نظر أى شىء تقول يا أبا الفوارس فى أننا نقعد إلى غداة غد فقال عنتر لا وحق من أمر البحر فزجر وأشار إلى الصبح فأسفر لا نزلت عن ظهر الجواد حتى أننى أخلص الحريم والأولاد (قال له

الراوى ثم حمل عنتر وحمل أيضا بسطام وجعل عنتر ينادى ويقول أبشروا يا بنى الأندال بالفناء والزوال لهذا وقنعب بن غياث قد أبصر جانب جيشه قد تفرق وعددهم قد تمزق فصاح فيمن معه وزعق وحمل وركب مع أهله هذا وقد عمل القتال ودام النزال ووصل عنتر إلى الحريم والعيال ووصل بعده بسطام وقد فعل الكرام وكذلك الفرسان الذين معه من بنى شيبان لأنه ما وصل بهم عنتر إلى الأموال والنسوان حتى قتل منهم خمسين إنسان وبعد ذلك حازوا أموالهم واجتمعوا بنسائهم وعيالهم فعند ذلك قال عنتر لبسطام أمض إلى أبيك وحله وعجل له الفكاك وأطلق جميع من كان معه من قومك ورعاك وخل عمى وولده على حالهم فى الاعتقال حتى ينفصل بيننا الحال لأننى أعرف عمى وخبثه ومحاله وهو أن أطلقته هرب ونرجع معه فى التعب ثم أن عنترا انفذ أخاه شيبوبا إلى عبلة حتى يطيب قلبها وينفس كربها ثم أقام وهو يحفظ المضايق من طارق وسارق قال وكان عمه قد سمع حسه فقال لولده عمرو هذه والله صيحات الأسود الزنيم والليلة يفنى بنى تميم وترجع معه إلى المنهاج القديم وما أدرى كيف كان بجيشه مع هذا الاتفاق حتى أتانا عند ضيق الخناق فيا ليتنى سقتنى الأعداء من الموت أمر الكوس ولا كنت رأيت هذا الأسود المنحوس (قال الراوى) هذا وبسطام قد وصل إلى أبيه وخلصه وحدثه بما جرى له مع عنتر من حين غاب إلى حين حضر فتعجب الملك قيس من ذلك غاية العجب وأخذه الفرح والطرب قال والله يا ولدى أن هذا الإنسان لم يوجد مثله فى هذا الزمان ولا بقينا نقدر نكافئه على فعاله ولا نجازيه على جميل أحواله ومن الصواب أننا غدا نعينه على ملاقاة العدا ثم أنه أمر بحل الرجال الذين كانوا معه فى الاعتقال كما أمره عنتر وأما شيبوب فإنه وصل إلى عبلة وطيب قلبها وحدثها بما فعل أخوه عنتر مع بنى شيبان لأجلها ثم أنه أنزلها عند الملك قيس مع حريمه ونسائه فأكرموها غاية الإكرام وقالوا لها يا عبلة وهل يكون لك مثل هذا الأسد الماهر الذى لم يوجد مثله فى هذا الزمان وتهربى منه من مكان إلى مكان فقالت لهن والله يا ستات ما أنا هاربة منه ولا مرادى أن أغيب عنه ساعة واحدة لأننى ما أرى العز والأمان إلا ما دامت معه فى قرار ومكان ولكن أبى هو الذى يبغضه ويبعدنى عنه ويطرده وكل ذلك من شدة حسده له وقد رماه فى ألف مصيبة وهو يرجع منها بالنصر والهيبة (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح أخذت بنو تميم تطلب الحرب والكفاح وظهر الملك قيس والرجال الذين كانوا معه فى الأسر والاعتقال وكان قد أعلمهم بالحديث الذى جرى بين بسطام وعنتر وحدثهم بجميع ما سمعه من الخبر فأتوا إليه بقلوب منشرحة وما فيهم إلا من سعى إليه وقبل يده هذا وعنتر قد ترجل الفرسان وأعتنق الشجعان وخدم الملك قيس بن مسعود سيد بنى شيبان وقال له يا مولاى ما كنت محتاجا إلى هذا التعب فأنا كنت أبلغك الأرب فقال الملك

قيس ياولدي وحق ذمة العرب ما في بني شيبان اليوم من أحد لا من أبيض ولا من أسود إلا
وهو عتيق سيفك وأمين خوفك فشكره عنتر على مقاله وأثنى عليه وعلى رجاله قال وبعد
ذلك أقبل عنتر على بسطام وقال له يا أمير ابدأ بالعدا قبل أن يبدأوبك واحمل عليهم وطيب
قلبك ثم أنه عاد إلى ظهر جواده الأبجر وهو مثل الأسد القسور فهذا ما كان من هؤلاء
(وأما ما كان) من قنعب فإنه من حين ما جرى على قومه هذا المجرى ورأى عدد رجاله تمزق
وجمع جيشه قد انمحق أخذه الوسواس وقلق وصاح على عبد من عبيده وأمره أن يقدم
له جواده وأراد أن يركب لأنه قد زاد به على بني شيبان الغضب وإذا بخاله وكان يقال له
الأخطل فقال له تمهل ياولدي ولا تعجل وتجنب الخطأ والزلل فهذا بسطام بن الملك قيس
قد وصل وعلى قومك قد حمل وقد أتى معه رجال قناعس قتالهم قتال بخلاف الأول وقد
قتلوا منا قريبا من مائتي بطل وقد داسوا الرجال وعبروا عند الحريم والأموال فاصبروا
حتى يصبح الصباح وينجلي الظلام ونبصر من قد صحبه من الفرسان العظام وندبر أمرنا على
قدر ما نقدر ولا نخالط القوم في الليل فنخسر ويحل بنا العنا ونقتل بعضنا بالسيوف والقنا
وتبلغ الأعداء منا غاية المنى (قال الراوي) فعند ذلك قال قنعب ياخالاه وهل أنا أفزع من
بسطام أو من غيره أو أخاف من خوض الظلام حتى تخوفني وتردني عن ضرب الحسام أما
رأيت فعلي قبل هذه الأيام وهجومي على السباع في الآكام فقال خاله أي والله ياولدي صحيح ثم
إني قد رأيت فعالك وشاهدت أعمالك ولكني خائف عليك من شرب كاس الحمام من فارس القوم
قد رأيته في هذه الساعة مع بسطام وهو أسود كالظلام على جواد من الخيل يحكي ظلام الليل الباقين
وهو يحمل على الفرسان حملات الأسد وينثر الجماجم نثر البرد ويضرب ضربات ما تلتقي الهجوم في
ويطعن طعنات ما لها نقي وأنا ياولدي قبل مجيئي معك في هذه السرية أوصتني أمك عليك سطام عبده
بوصية وقالت له بالله عليك لا تفرط في هذا الولد واحفظه في هذه المرة من شرب معوا من ساير
كاس الحمام والنكد ولا تتركه يقاتل عبدا أسود لأني رأيت له منام وأنا فزعانة عليه منه بسطام ما بلغ
شرب كاس الحمام في هذه الأيام فقلت لها وما الذي رأيته لولدك من الرؤيا خدمهم لبسطام
وهو فارس الزمان وما صار قط في مكان إلا وعاد وهو فرحان فقالت لي أنا رأيته عظم عنتر في أعينهم
كأنه اصطاد صيدا وهو به فرحان مسرور وهو يقول هذا هدية لمحبوبته علة أمر عظيم وما بدور
ورأيت بعد ذلك كأن عقابا أسود انقض عليه وأخذ صيده من بين يديه فأراد ولدي يمنعه المغيب وراوا قنعب بن
فأخذ رأسه من بين كتفيه وقد صار مثل الأكرة في مخلبيه ورأيته طار بها إلى مكان بعيد وأنا هو والسابل على ظهور الجبال
من خلفه أكثر النواح والتعديد فعند ذلك صرت إلى كاهن العرب وقصصت عليه هذه لعسر وقد أهاله ما نظر أي
الرؤيا فقال لي لا تدعي ولدك يقاتل أخس العبيد ولا يقف معهم في الفيافي والبيد ولا خسن لا فرحو من أمر السحر فرجع
يحارب السودان فيكون معهم خسران وهي أوصتني بذلك الشان وإن هذا المنام بعينه قد أخلص الحريم والأولاد (قال

تفسر فانه قد أخذ صيدك من يدك لأنهم قد تحكموا فى السبى والأموال وأنا والله يا ولدى خائف عليك من هذا الحال (قال الراوى) فلما سمع قنعب ذلك من خاله تبسم من مقاله وقال له. يا خالاه أصبر وأنا أريك ما أفعل ببسطام وهذا الأسود العنيد حتى تعلم أن فروسيتى مما عليها من مزيد ثم أن قنعا أمر الخيل أن تمسك الطرقات من كل جانب لئلا يأخذوا السبى ويبدوا فى السبايب (قال الأصمعى) ولم يزالوا على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعندها جعل بنو تميم كما ذكرنا وبنو رياح يطلبون الحرب والكفاح وصفت صفوفها وعبت ألوفها وتحدر عنتر وعلى ظهر جواد الأبجر فرأى بنى تميم تريد الحملة فسبقهم عليها وحمل على ميمنتها واستقبلهم بالنظر وضرب فيهم ضربا يوافق القضاء والقدر لا يبقى ولا يذر فقال الملك قبس لولده بسطام يا ولدى البدرة ان البدر فاحمل وساعد أخاك عنتر فأطاعه وحمل فى الحال على الأثر (قال الراوى) لهذا الخبر وكان قنعب بن غياث نائما فى ذلك الوقت يلبس درعه وهو مدل بشجاعة بأسه وقوة مراسه وقد عول بزعمه وعدم عقله أنه يبارز عنتر أو بسطاما سواء ويرى خاله همته وفعاله لأجل المنام الذى رآه أمه وقد أسرع فى لبس عدة جلاده وتمم آلة حرابه وركب فى عاجل الحال على ظهر جواده وقد هدروز بحر وحرك جواده إلى مقدمة العسكر حتى يكشف شر بسطام وعنتر فبينما هو كذلك وإذا عنتر عن يمينه قد ظهر وهو مثل الأسد إذا هدروز بحر وكان فى حملته قد قتل خمسة وعشرين فارسا فى لمح البصر وكانت تلك الفرسان من بنى تميم ورجع بعد ذلك إلى بنى شيبان من خوفه على الحريم قدمه فى عدته قنعب وقد اشتد به والغضب ثم قال ويلك يا عبد السوء أما سمعت بفعالى ولا بلغك صفة حربى ونزالى حتى أنك تأتى من أقصى الوادى تريد بزعمك خلاص غنيمتى من يدى قال عنتر أما الغنيمة من أول الليل فقد خلصتها وبشدة عزمى قد حزتها وبانت من البارحة تحت أمانى وقد أخذتها وكنت لها حاميا ومداميا ثم أن عنتر بعد هذا الكلام جاش الشعر فى خاطره فأنشد وقال :

جذع الألوف وقطع الرءوس سيمتنا ... والطعن بالسمر فى اللبات والحدق
يعطو بهمته لا بالسيوف إذا ... كان الكمى عداه الروع والحرق
إذا تراءت بروق البيض لامعة ... والقوم من دونها يرمون بالدرق
وارتجت الأرض تدوى من صوارمها ... كأنها الرعد لما شيب بالبرق
والخيل جائلة لما تصادمنا ... مثل الصواعق إذ تهوى من الأفق
كم جاهل ذاهل يهوى لمصرعه ... سمح بمهجته إذ خط فى الطرق

(قال الراوى) فلما سمع قنعب من عنتر ذلك الشعر والنظام زاد به الوجد والغرام إلى معاناة الحرب والصدام وكان ذلك سببا لشربه كاس الحمام فعنده أجابه على شعره يقول.

سل صاحبي السيف عني في تقلبه ... هل هالني بطل أو خفت من بطل
أو راعني شرس في يوم معركة ... يطير منها فؤاد الفارس الوجل
فاليوم ألقيك في البيداء مجندلا ... والدمع منك على الخدين منهمل
والطير تمسي عليك الآن عاكفة ... والوحش ناهلة كالشارب الثمل
والنادبات تنادي لا يجيب لها ... وليس للصائحات اليوم من مثل
وما قتالك فخر أسر به ... وإنما خلق الإنسان من عجل

(قال الراوي) فلما فرغ قنعب من شعره والنظام أطبق كل واحد منهم على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه واصطدموا والتحموا وهمهموا وغابوا عن الأرض والسما وصار النهار في أعينهم مظلما وقد زادت الطائفتان عليهم مللا وحنقا واضطربت الأرواح قلقا وتبدل النعيم بالشقا وكرها طول الحياة والبقاء وتقدم خال قنعب في جماعة من بني تميم وقال له يا بني عمي خذوا الأهبة للحرب في النهار العظيم فقبلوا منه المقال وتأهبوا للحرب والقتال واشتد الهول وكثر الزلزال وتصايحت نسوان بني شيبان من خوف السبي والهوان وجرت دموع عبلة من الأجفان وجعلت تنادي بالويل والأحزان خوفا على ابن عمها عنتر من الهلاك وفزعا من السبي والانتهاك صارت تنادي واغربتاه واقلة ناصراه بعدك يا فارس عدنان واذلاه إن اتتك النوائب فسمع أبوها وأخوها نداها وهم في الاعتقال فقالوا وحق ذمة العرب ما جمعنا بينكما ما دامت الأيام والليالي (قال الراوي) هذا الكلام وقد دام بين قنعب وبين عنتر القتال وأبصرت الفرسان منهما الأهوال هذا وكان بسطام قد حمل على الميسرة كما حمل عنتر على الميمنة وطالبا الحرب والكفاح فانطبق على بسطام مقدم بني رياح لأنهما طال بينهما المطال حتى طعنه بسطام وتركه ممددا على الرمال وعاد إلى ناحية عنتر في الحال وهو خائف عليه أن يصاب وقد غاب عن الصواب وصارت الفرسان تعترضه وهو يردها على الأعقاب إلى أن وصل إلى عند عنتر وعرف حقيقة الخبر فوقف وشخصت الأبصار وقائل يقول يا لعبس الأخبار وإذا به عنتر قد ظهر من تحت الغبار وفي يده رأس قنعب وهي كأنها رأس شيطان من الشياطين الكبار والدماء تقطر من وزيديه ينظر إلى الغبار ساعة من النهار وإذا بصيحة قد زلزلت الأقطار وامتدت إليها الأعناق وجميع الخلق تنظر إليه وهو يترنم ويقول صلوا على طه الرسول :

لا إذا لم أروي صارمي من دم العدا ... ويصبح من أجزائه الدم يقطر
فلا كحلت أجفان عيني من الكرى ... ولا جاءني من طيف عبلة مخبر
أنا الموت إلا أنني غير صابر ... على أنفس الأبطال والموت يصبر
إذا ما منادي الحرب نادى أجبته ... وخيل المنايا بالجماجم تعثر

سل المشرفى الصارم الغضب فى يدى   يخبرك عنى أننى أنا عنتر
إذا مارآنى الموت ذل لهيبتى   وأصبح باع الغضب عنى يخبر
أنا قابض الأرواح بالسيف والقنا   أنا البطل المقدام ليث غضنفر
إذا مالقيت الليث عممت رأسه   بسيف على شرب الدما يتجوهر
أنا الأسد الحامى حمى من يلوذ بى   وفعلى له فضل يجل ويذكر
سوادى بياض حين تبدوا فعائلى   وجدى علا والجد بالمجد يفخر
فبالرافع السبع الطباق بأمره   ومن يعلم الأخبار حل المصور
يمينا بأنى لا أمل من اللقا   إلى أن أحادى للعدو وأظهر
ندائى ندا الهيجا والحرب دائما   وخوضى المنايا والغبار المبكدر
قهرت تميما ثم جندلت ليثهم   وعدت وسيفى من القوم يقطر
بنى عبس سودوا بالمعالى وفاخروا   بعبد له فوق السماكين منبر

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظر خال قنعب إليه صريعا ونظر ماقد جرى عليه ونابه قال وحق الإله القديم هذا المنام الذى رأته أمه وحسبت حسابه ثم اته فى عاجل الحال خرق ثوبه وأعلن بكاه وأكثر إنتحابه وصاح وحمل وتبعته قومه الشجعان وحملت أيضا معه بنو شيبان وحمل فى أوائلهم بسطام وطلع على رؤس الطائفتين الغبار والقتام وتسكنت الرايات والأعلام وصيرت الكرام وقرت اللئام وعمل الرمح والحسام وقل الكلام وتعبرت الأقدام وعظم الحر وزاد الشر وضاق الصدر وقل الصبر وعضت الخيل على لجمها وتقطع من شدة الجولان عزمها وعطشت أكبادها وعرقت أجسادها هذا وقد إسود الجو وعدم الضوء وتمكنت الصوارم من الهيام والجماجم وطارت العمائم وتقطعت من الخيل القوائم ودام الضرب بالصوارم (قال الراوى) هذا وعنتر قد عمى الطعن والأطفال كما تحمى الأسود الأشبال حتى كانت منه المناكب والأوصال لما سمع رنين النضال وقد افتخر وصال وصار يضرب فى هامات الرجال وتصادمت جميع الأبطال وكثر الركض والزلزال هذا وقد طعن جواد بسطام فوقع وقاتل وهو راجل حتى كل وتضعضع وقتل أكبر فرسان بنى شيبان وصاحت الحريم والنسوان وتطابقت على عنتر الفرسان وصاح فيها الأخطل بن جنعان وهو يقول ياويلكم يابنى تميم اشفوا فؤادى من هذا الأسود الزنيم وفوزا بالمال والحريم (قال الراوى) هذا كله يجرى وعنتر صابر لوقع المصايب وشيبوب يدور حول جواده وهو لرمحه ناصب ويضرب بنباله الصدور والتراقى والنحور والملك قيس بن مسعود ينادى واولداه واوحداه هل أرى فى بنى شيبان من يعين ولدى بسطام على ما دهاه واقلة ناصراه هذا والخلائق مجموعة على عنتر من كل جانب وهو

صابر لوقوع المضارب وقد ضاق به الخناق وجمعت عليه المواكب من سائر الآفاق ونهبوه بأسنة الرماح الدقاق وزادفي وجهه الأبراق من السيوف الرقاق فذكر تغنيه من جهة عبلة في ذلك الموقف المر المذاق وشبه السيوف بثغرها في الأيماض والأبراق فأنشد يقول :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل　　منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت لثما للسيوف لأنها　　لمعت كبارق ثغرك المتبسم

قال الراوى فبينما هو على ذلك الحال وإذا بأربعين فارسا قدمت من بين تلك الرمال لكنهم أبطال ما منهم إلا كل فارس ريبال وهم معتدون للحرب والقتال وحملت على بنى تميم فرددتها على الأعقاب وافترستها افتراس أسود الغاب وداروا بعنتر من كل ناحية ومكان وقالوا له حماك الله يافارس الزمان ابشر بالنصر على الأعداء وكن آمنا من جميع الردا فنحن بنو عمك خاصة وعشيرتك وأعداؤك قدساقونا لنصرتك (قال الراوى) فعند ذلك تأملهم عنتر وإذاهم من بنى عبس الأطايب والمقدم عليهم عياض بن ناشب (قال ابو عبيدة) وكان هؤلاء من بنو عمه وعشيرته وما جاؤا لمعونته بل جاؤا لقتله وأخذ مهجته واقتراب منيته كان السبب في الاتفاق الحلو المذاق الذى يكتب ويسطر فى الأوراق أن عمارة بن زياد لما عاد مكسورا وحصل له ذلك الأبعاد وعاد إلى بنى عبس وقد فنيت رجاله وكذلك عروة ابن الورد كان قد جرى له وفنيت من الآخر أبطاله وهربوا وكل منهم لا يصدق بالنجاة بل بحلول الموت وفناه فدخل عمارة على أخيه الربيع بن زياد الكثير المكر والكياد وأخبره بما تم عليهم من الأمر الشنيع وكيف أنهم لحقوا بعنتر وبسطام فى ذلك البر الوسيع وأرادوا بذلك هلاكه وكيف كان فكاكه فقال الربيع هذا الأمر ما كان لنا فى حساب ولا خطر لنا على الألباب وإنى ما دبرت إلا أحسن التدبير ولكن ما أقدر أن أرد المقادير ومالى حيلة فى قطع أجل من يريد الله بقاه والذى أسعده مولاه أقدر أنا على أشقاه ولكن دعه يا عمارة عن بالك وانتظر له الفرصيات وتبصر ما تأتى به الأمور المقضيات.

قال الراوى فلما سمع عمارة ذلك الكلام من أخيه خرج من عنده وقد أدبه غرامه ووجده ثم أنه من كثرة ما صابه عاد بعياض بن ناشب وكان من بنى عبس الأطايب وله فى هذا الديوان حديث وشاب وهو الذى لاقى عنتر نوبة أن خرج من أبيه غضبان واشترى بالغنيمة الحصان فحدثه عمارة بما بقى من بنى شيبان وما تم عليه من أجل عنتر من الخذلان وطلب منه المعونة عليه وأن يسير خلفه بمن معه من الفرسان وقال له يا ابن العم عسى أن يكون أجله قد اقترب وقد حضر على يديك وينصل لك من الهدية ما تقربه مقل عينيك ثم أنه أعلمه أنه فى بنى شيبان وأنه لما عاد هاربا تركه فى ذلك المكان وكان عياض من جملة المبغضين لعنتر من أجل ما ذكرنا لكم من الخبر فأجابه إلى ما أراد من المقال.

ـظ معامنه فى المال و بلوغ الآمال وسار فى أربعين فارس من بنى عبس الأشاوس وهم كلهم شجعان وأقتفى أثر عنتر حتى وصل إلى ديار بنى شيبان ومن هناك أخذ أخبار بنى تميم فعرج بما جرى على عنتر من ذلك الأمر العظيم فقال لأصحابه لعلنا نلحقه وهو مشتغل بالحرب ونشفى مافى قلوبنا من الكرب (قال الراوى) ثم أنه أجهد نفسه هو ومن معه فى المسير على الأثر حتى أشرف فى الوقت الذى ذكرناه على عنتر وأبصره وهو فى صدور الخيل وهو يقاتل عن النسوان والحريم وقد فعل فعل الرجل الكريم وقد دار به ذلك الموكب العظيم وهو ينادى باسم بنى عبس ويسقى الأبطال كاس التعس والنكس (قال الراوى) فلما رأى ذلك الأمر وذلك العناد انقلب بعد البغضة إلى المحبة والوداد وقال والله يا بنى عمى أن الكلب خير منا أن لم نعن هذا الفارس فى مثل هذه الأوقات لأنه غريب وحيد فى هذه الفلوات وقد طاب على قلبه القتال وعدم الملذات وهو لا يولى ويترك البنات المخدرات حتى يحصل أربه ويتمم أعماله فوالله العظيم لا عيش هذا الرجل المظلوم حتى يبلغ آماله (قال الراوى) ثم أنه حمل وقد أطاعته الرجال وأجابت مقاله وكشفوا عن عنتر الغمة فاتسع عليه المجال وتمكن فى ذلك الوقت من الاعداء بقتاله ولم يزل يطعن فى الصدور ويضرب الاعناق والنحور حتى ولت بنو تميم الادبار حين كثر فيهم القتال وركنوا إلى الهرب والفرار وتبعتها بنو رياح وأوسعت البطاح وهى لا تصدق بنجاة الأروح وعاد عنتر وبسطام وهما يتعجبان مما صار من ذلك الأمر والشأن وعوض بن ناشب يحدثهم بما بذل عمارة الامر من المال وكيف أنه لما وصل إلى ههنا ورآهم على ماهم عليه قلبته المشيئة من حال إلى حال (قال الأصمعى) المصنف لهذا المقال ثم أن عياض بن ناشب حلف لعنتر أنه ماعاد يسير من مكان إلا وهو فى صحبته وفى كل حال يكون من بعض رجاله ورفقته فشكره على ذلك عنتر ووعده هو ورجاله بالمال الأوفر ولم يزالوا سائرين وهم فى سيرهم مجدين حتى وصلوا إلى الطعن والحريمات فتلقتهم النساء والبنات والسادات وجعلوا يشكرون عنتر ويثنون عليه بما فعل من تلك المهات وبعد ذلك رحلوا وساروا طالبين بنى شيبان بعدما جمعوا الأسلاب واجتهدوا فى المسير إلى لقاء الأحباب ووصلوا إلى أرضهم وذلك المقام وضربوا المضارب والخيام وسرحت الخيل والجمال والدواب والأغنام وضرب الملك قيس وولده بسطام لعنتر بيتا عاليا إلى جانب أبياته وأنزل فيه عبلة وأمر والدته بإكرامها ثم أن الملك قيس أخذ فى اصطناع الطعام وتصفية آنية المدام وصنع وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وأفاض عليهم الشراب والمدام وأخذوا فى الحديث والكلام ليلا ونهارا ثلاثة أيام (قال الراوى) وفى اليوم الرابع قال عنتر لعمه مالك بعدما كان حله وخلصه من المهالك أعلم أن أيام الوليمة قد انقضت وفرغت وقد أثقلنا على الق ذوى الافضال فأعزم بنا على الرحيل إلى ديارنا

والأطلال حتى يجتمع شملنا بالأحباب والقرائب والجيران والعيال فقال له عمه بخبثه ومكره ودهاه أعلم يا ابن أخى أنه ما بقى لى وجه فى الرجوع إلى بنى عبس إلا أن جاء فى أحد من أولاد الملك زهير ويترضانى لكى أعود أنا وإياه وإلا فانى متى ما دخلت معك إلى الديار ما يبقى لى عند بنى عبس مقدار ولا يكون لى منزلة عند بنى زياد وكان يشتفى فى الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد وجميع المبغضين والحساد والرأى عندى أنك يا ولدى تمضى إلى الديار أنت وهذا الأمير عياض بن ناشب وتحكى لأخى شداد ما جرى لنا فى هذه البلاد من الأخبار وتأمره أن يدخل على الملك زهير الهمام حتى يرسل بعض أولاده إلى الملك قيس وولده بسطام وأجىء فى صحبة أولاد الملك زهير وأكون معهم فى غاية الاكرام وأن كنت يا ولدى ما تصغى لقولى لخد بنت عمك عبلة فى صحبتك ودعنى أنا وولدى عمرا ومن يلوذ بى عند الامير بسطام ويكون نظره علينا إلى حين عودتك واشهدوا على يا من حضر اننى أزوجه ابنتى عن يقين هذه يدى لك قدام هؤلاء السادات الحاضرين (قال الراوى) فلما سمع عنتر من عمه ذلك الكلام أجابه إلى ما طلب من المرام وأشهد عليه الملك قيس وولده بسطام وقال عنتر لبسطام أريدك يا أخى أن تكون وكيلا عليه وعلى ابنته عبلة لعله أن يصدق فيما قال وتزول هذه الدبلة وتحسن منه الأحوال فقبل منه ذلك وطابت منه النفس وودعه عنتر وسار طالباً ديار بنى عبس وجعل يجد المسير ليلا ونهار ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع ظهر عن يمينهم غبار وبان من تحته ألف فارس كرار وهم ينادون الضباب الاخيرة (قالت رواة هذه السيرة العجيبة) وكان هؤلاء القوم من بنى ضباب والمقدم عليهم ومالك رقابهم الملك عمرو ابن شهاب وكان قد صار فى هذه الالف فارس قاصداً بنى عدنان وبنى عامر من دون العربان، فوقع بهم عنتر على سبيل الاتفاق وهذا مما يكتب ويسطر فى الأوراق فلما وقعت العين على العين، ونظروا لبعضهم كل من الفريقين ونظر الملك عمرو إلى عنتر وهو سائر فى البر الأقفر فنادى يا بنى الاعمام سألتكم بحق ذمة العرب الكرام إلا شفيتم قلبى من هذه الشرذمة اليسيرة وأنزلتم بهم الذل والحيرة فانهم من بنى عدنان فدونكم وإياهم لتقع لكم الهيبة فى كل مكان لأننى من حيث وصلت إلى هذا المكان وهذه الديار لا بد لى أن أقلع منهم الآثار وأفعل شيئاً اذكر فى سائر الأقطار فعند ذلك تقدم منهم مائة فارس وطلبوا بجملتهم عنتر أبا الفوارس. قال الراوى فلما نظر عنتر إلى هذه المصائب التفت إلى عياض بن ناشب وقال يا بن العم سألتك بحق الكعبة الغراء وأبى قبيس وحراء أن لا يقاتل معى هؤلاء المائة فارس منكم أحد وانظروا إلى ما أنزل بهم من النكد بل أحموا أنتم ظهرى وتفرجوا على كرى وفرى ثم أنه استقبل المائة فارس بوجه مثل وجه الأسد العابس وقلب قوى وجنان جرى واستقبل أوائلها برمحه السمهرى وهو مع ذلك ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

ولا أرى فى الحرب عمن يريده ... ولى قوة فى الحالتين صبور

همام ومقدام وليث كريهة ... وقسورة حامى الزمام جسور
إذا ماغدا نحو الحروب مصمما ... عنوف على أعدائه وكشور
يقد لهامات الفوارس فى الوغا ... ويترك من عاده وهو عفير
نعم وإذا ماينزل الضيف عنده ... تراه عليه يحتمى ويغير
أنا من بنى عبس كرام أعزة ... بسطوتهم أودى العدا وأجور

(قال الراوى) وكان قد تقدم منهم فارس لسرعة جواده وقدمد بين اذنيه سنانه وأرخى عنانه فما خلاه عنتر يصل إليه حتى إستجاده بطعنة فى صدره فأرداه واخرج السنان يلمع من ثغر قفاه وهجم على الثانى وطعنه فى نحره فأخرج السنان يلمع من ظهره واعترض الثالث وضربه بالسيف على هامه فأوقع رأسه أمامه والرابع كان لأصحابه توابع الخامس بقى على الأرض خانس والسادس والسابع والثامن بقوا على الأرض رمايم ثم أنه صرخ فى المائة فارس ودار فى أطرافها وجمعها على بعضها وقد ثار عليهم الغبار حتى غشى منهم الأبصار ساعة من النهار وإذا بعنتر قد قتل من المائة ثلاثين وهرب من بين يديه السبعين فأردفهم الملك عمرو بمثابة أخرى مع تلك المائة الأولى فحملوا على عنتر جميع وطلع عليهم الغبار واعتكر هذا وعياض بن ناشب وأصحابه فى مواضعهم وهم يتعجبون منه ومن فعاله هذا وعنتر قد استقبل الفرسان وطعن فيهم بالسنان إلى أن طلع الغبار إلى العنان ولم يعرف منهم صاحب الزيادة والنقصان ولم يزالوا على ذلك الحال والغبار إلى ان انتصف النهار وانكشف بعند ذلك الغبار وبان الفريقين للنظار وإذا بعنتر يجول على الفرسان وقد قتل منهم تمام السبعين فارسا أعيان وهربت الباقون وتفرقوا فى البرارى والقيعان فعند ذلك زاد بالملك عمرو الغيظ والغرام وخرج بنفسه من تحت الأعلام وأشار على قومه بالجملة فانطبقت على عنتر من كل جانب ومكان فاستقبلها بقوة وجنان وضرب فيهم بالسنان (قال الراوى) فلما رات بنو عمه ما نابه حمل عياض بن ناشب وأصحابه فعند ذلك زاد الأمر وكثر الشر وتصادمت الأبطال بالأبطال والتقت الأفيال بالأفيال وبطل القيل والقال وتعبت من شدة الكد الخيل وزاد الحرب والويل وقدحت الحوافر النار وزاد النقع المواروتزوبع عليهم الغبار ووقع السيف خطأ وصواب وعدمت الأهل والأصحاب فكم من فارس حار ودم قد فار وجواد قد غار وقرم قد تزلزل وفارس تململ هذا وقد هطلت الدماء وحجب الغبار بين الأرض والسما (قال الراوى لهذا الكلام فبينما عنتر فى وسط المعمعة والضباب وإذا هو قد إلتقى بعمرو سيد بنى الضباب وهو يتمم مع الأبطال ويردها إلى حرمة الميدان والمجال فلما عاينه عنتر علم أنه مقدم القوم فقال لا عتب فى هذا الزمان ولا لوم ثم انه طلبه من دون الفرسان وحمل عليه من دون الأبطال والشجعان وأخذمعه فى الحروب والطعان إلى أن جرى بينهم ماشيب رؤوس الولدان

وانعقد عليهم الغبار وحجبهم عن أعين النظار ورأى عنتر خصمه فارساً ثقيل العيار فأخذ معه في الجد والكد والاستظهار حتى حارت منهم الأفكار واستنجاده بضربة من سيفه البتار وإذا برأسه عن بدنه قد ثار فوقع على الأرض يخور في دمه ويضطرب في عندمه ومن بعده وقع القضاء والقدر في بني الضباب لما فقدوا الأهل والأصحاب وطلبوا رؤس الروابي والهضاب وهم يبكون على ملكهم بضجة وانتحاب قال الراوي هذا وعنتر وأصحابه من خلفهم يضربون أقفيتهم بالحسام إلى أن أظلم الظلام وولى النهار بالضياء والإبتسام ورجع عنتر وأصحابه ونزلوا إلى ذلك المكان لأجل الراحة والمنام ولم يزالوا على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فأمر عنتر أخاه شيبوباً بجمع الخيل والسلاح والأسلاب التي تركها هؤلاء الأوقاح وقال لعياض بن ناشب هذه لكم دون كل أحد ولا يشاركم فيها مشارك لا أبيض ولا أسود وهي أكثر مما وعدكم به عمارة بن زياد وقد وقع الصلح بيننا وبينكم والوداد فضحك عياض بن ناشب من ذلك القول الابهر وقد فرح بذلك واستبشر وقال والله يا أبا الفوارس لا عدت أفارقك لا في سفر ولا في حضر إن أنت قبلتني لك صاحباً للمعاونة والسمر قال الراوي وبعد ذلك رحلوا وساروا طالبين الديار وعنتر بين أيديهم يترنم بالأشعار صلوا على كامل الأنوار صلى الله عليه وسلم:

ما إن تأخر في الهوى لي مقصد	فيه السلامة بعد طول محال
إلا وكنت أمامه في معقب	فيه الرجال تقاتلوا برجال
وإذا المبارز ثار يوم كريهة	جندلته بمهند فصال
ناديت عمراً في الوغا عمر واصطبر	فأنا الذي أرميك وسط مجال
فضربته في الحرب ضربة قاتل	فغدا قتيلا ذا دم هطال
وأنا الذي لحم الفوارس مأكلي	أبداً ونجمي في السما متلالي

قال الراوي ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا للديار فأنفذ عنتر أخاه شيبوب يبشر بقدومه فعند ذلك سار شيبوب إلى أن وصل إلى الحلة وأعلم أباه شداد وعمه زخمة الجواد بقدوم أخيه عنتر وشاع في الحلة الخبر ففرح أهله وأقاربه وراغم من كان يحسده ويبغضه وكان ذلك اليوم عند الملك زهير من أبرك الأيام لأنهم كانوا من بعده حرموا شراب المدام ومعاشرة الكرام وما كان ظنهم فيه إلا انه قد هلك واندثر من أجل أنه انقطع منه ومن عمه الخبر قال الراوي ولما أن سمعوا بقدومه ركبت الخيل للقاه وركب الملك زهير أيضاً من فرحته برؤياه وقد خرج في موكب عظيم وخلق جسيم والتقاه قريباً من الديار وهو على غاية من الفرح والإستبشار قال الراوي ولما تقارب بعضهم من بعض ترجل عنتر في عاجل الحال على وجه الأرض ومشى إلى عند الملك زهير وخدم ودعا للملك زهير ولأولاده بدوام العز والنعم

وأشار إليه بهذه الأبيات ينشد ويقول صلوا على طه الرسول صلى الله عليه وسلم :

أراك من النوائب فى أمان — وجارك والمجاوز فى مكان
وأنت أحق من مدت إليه — يد السؤال فى نيل الأمانى
علوت على الأعادى كل يوم — وأعطيت المنى بعد التدانى
بجودك عاد غصن البان رطبا — وقد كملت لنا كل المعانى
وأضحى الشعر غالى السعر جداً — وكان يباع فى سوق الهوان
كريم الكف محمود السجايا — شجاع القلب مطلوق اللسان
إذا اسود الفضا أبصرت منه — مضىء الغرام منصان الجنان
شديد البأس ذو رأى سديد — وقوى العزم فى الحرب العوان
مليك قد حوى فضلا ومجداً — جميل الوجه مخضوب السنان

قال الراوى فلما فرغ عنتر من شعره ونظمه طرب الملك زهير غاية الطرب وجميع من معه من العرب وفرح الملك زهير من ذلك الكلام وشكره وزاد له فى الإكرام وأمره بركوبه جواده وأخذه إلى جانبه وجعل يسأله عن حاله وعن خبره من حين سفرته إلى حين عودته فحدثه بما جرى من عمه مالك فى بنى شيبان من العجائب وما تم لهم مع بسطام من الغرائب وما فعل من بنى تميم وما سقاهم من النوائب حتى أنهم وصلوا إلى الخيام والمضارب وكان كل من لا يقدر من بنى عبس على حديثه ولا يصل إليه يأتى لعياض بن ناشب وإلى جماعته ويسألهم عما جرى عليه فيحكون له ما جرى من أول الكلام إلى آخره إلى أن وصلوا إلى قول عمه مالك ما أرجع حتى يأتى خلفى أحد من أولاد الملك يترضانى ويرفع زهير قدرى ومكانى فلما علم الملك زهير بذلك الحال قال يا بنى عمى أعلموا أن الرجل قد ندم على فعاله وذاق الغربة لأنها أذلته ولو أمكنه العود لكان عاد ولكنه خاف من شماتة الأعداء والحساد. وأنه والله قد نظر موضع النظر والرأى عندى أننا نبلغه ما أراد ولكن حتى نقضى مع ابن عمنا عنتر الوطن ولو أنه أشهر من الزمان وأكثر (قال الأصمعى) المصنف لهذا الكلام بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد بدر التمام ثم أنهم ساروا حتى نزلوا فى الأبيات وعملوا الولائم والدعوات وصاح الحى من جميع الجهات وحصلت لهم الأفراح والمسرات وكان كل من فى الحلة فرح إلا أبيات بنى زياد ومن يوافقهم من الأعداء والحساد وقد وقع عليهم من قدوم عنتر البلاء والمصائب حتى كان كل واحد منهم فقد الأهل والاحباب وقد عتب عمارة على عياض بن ناشب وقال له ويلك يا عياض أنا أرسلتك تقضى حاجتى وتقتل عنترا وعدوى. وتكشف ظلامتى فاراك قد انقلبت نيتك وصرت من حزبه أنت ورفقتك فقال له عياض والله يا عمارة وحق الملك الفتاح أن عنترا يستأهل أن يفدى بالأموال والأرواح لأجل

بما فيه من المروءة والكرم والسماح ثم أنه لوى وجهه عنه وتركه فى كفاح (قال الراوى) وبقى الأمر كذلك يومان وهم فى سرور وأمان واتفق الأمر على أن بعض أولاد الملك زهير يسير مع عنتر بن شداد ويترضى مالك بن قراد وفى اليوم الثالث أبطلوا شراب المدام وأخذوا فى الاستعداد والإهتمام وقد زاد بعنتر الوجد والغرام وقد عولوا على المسير إلى الملك قيس بن مسعود وولده بسطام فبينما هم على ذلك الحال وقد عزموا على المسير والترحال وإذا هم بعبد أسود يهيم بين تلك البرارى والتلال وهو مقبل من ناحية أرض بنى شيبان وقد نفر الوحش من الوديان فلما وصل إلى الحلة وقضى المراد تقدم وسأل عن أبيات عنتر وبنى قراد ليستدل بذلك عليه وصار يقول يا وجوه العرب أرشدونى إليه فلما أن صار واقفاً قدامه وبين يديه قال له يا مولاى بسطام يسلم عليك وأيضاً مولاى الملك قيس والده يقرئك السلام ويخصك التحية والإكرام ويقول لك لا تؤاخذه بعتب ولا ملام فإن عمك وولده عمرو قد فعلوا فعل اللئام لأنهم بعد مسيرك من عندنا ما أقاموا فى الحلة أكثر من ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع طلبناه فما وجدناه ولا علمنا أين توجه لما فقدناه ولا كيف سلك فى البر الأقفر ولا كيف تحايل حتى أخذ عياله وخيله وجماله ولا أقدر أن أصف لك ما جرى علينا من ذلك وما حل علينا ومن أجل إبنة عمك مالك لا جزاه الله خيراً وأورثه المهالك وأن سيدى بسطام يقول يا أبا الفوارس لا تحرك ساكنا حتى نسير إليك ونعلمك أنه نزل فى أى مكان قال الراوى فلما سمع عنتر ما قاله ذلك العبد من الكلام صار الضياء فى عينيه كالظلام وحس أن مفاصله قد تقلصت وأن روحه من جثته طلعت وأن رسل المنايا إليه قد أرسلت وخاف من شماتة الأعداء والحساد فأخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد ومشى إلى الملك زهير ليعلمه بما كان من الخبر وذلك الأمر المنكر فوجده قد خرج لوداع أولاده فى تلك البر الأقفر وهم فى ظاهر الحى لانتظار عنتر فبينما هم كذلك وهم فى انتظاره وإذا به قد وصل إليهم وأعلم الملك زهير بالأمر الذى قد جرى فاغتمت الأصدقاء وفرحت الأعداء قال الراوى فعند ذلك قال عروة بن الورد وقد أظهر النصيحة لعنتر ويلك يا أبا الفوارس أقل من هذا الأمر فكم جهدت فى طلب من لا يطلبك وتريد من لا يريدك وترغب فيمن لا فيك يرغب فاسمع منى وأرح نفسك من هذه الشدائد ولا تقبح على مواليك ولا تقطع ودادهم الذى فيه ربيت بينهم وبين حريمهم وأولادهم فما جزاؤهم منك أن تشتتهم عن الأوطان وتقطع ما بينك وبينهم بهذا الشأن فقال عنتر والله يا عروة إنك تتكلم بلسان ناصح من قلب غائب فكيف ترى سوف أزيل هذه الحوادث بالسيف القاضب حتى أبلغ المنى وأعيش منعما على رغم أنوف العدا وأملك إبنة عمى حتماً ولو كان الموت لى خصما فالويل كل الويل لمن يريد لى ظلماً ويعاندنى فيمن أهوى

ثم أنه أنشد يقول صلوا على النبي الرسول :

أثنى على كما علمت فإننى ... سمح مخالطتى إذا لم أظلم
وإذا ظلمت فإن ظلمى باسل ... مر مذاقته كطعم العلقم
وإذا شربت فإنى مستهلك ... مالى وعرضى وافر لم يثلم
إنى صحوت فما أقصر عن ندى ... وكما علمت شمائلى وتكرمى

قال الأصمعى وأبو عبيدة فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات تعجب الملك زهير من حسن ألفاظه وعذوبة كلامه واهتز على سرجه طرباً ومال عجباً وقال يا أبا الفوارس طب نفسا وقر عينا فما بقى لعمك خصم إلا أنا وسوف ترى ما أفعل فى حقه وأجازيه على فعله بما يستحقه حتى أنك تبلغ المنى وتنال ما تتمنى ثم أنهم ساروا إلى الخيام وعمارة يشكر عروة على ما قاله من الكلام الذى صدر منه فى ذلك المقام فقال عروة والله يا عمارة إنه كان فى هذه النوبة رابح فلعن الله الكذب لأنه أشد القبائح والله لقد ذكره فى شعره وفصاحته مالا يقدر عليه أحد غيره قال الراوى وبعد ذلك نزلوا فى المضارب والخيام للتلذذ وشرب المدام وكان كلام عروة بن الورد شق على عنتر فى هذه النوبة فعزم على إهلاكه وقال لأخيه شيبوب أما تنظر إلى فعل عروة معى مرة بعد مرة وكرة بعد كرة ويلك يا اخى اجعل بالك معه فإذا طلع من الحى إعلمنى به حتى أطلع خلفه وأشفى فؤادى منه فقال شيبوب السمع والطاعة قال الراوى وكان مما وقع من الإتفاق الذى قسمى أنه كان لعروة أخت اسمها سلمى وكانت متزوجة فى بنى غطفان وكان عروة يحبها ولهان وكان أكثر الأوقات يزورها وإذا سمح خاطره بشيء من الشعر يعرض بها فيه ويذكرها ومن جملة ما قال فيها هذان البيتان

كفى ملامك يا سلمى ولا تلمى ... أخاك فى البذل والإحسان والكرم
لا تعذلينى إذا ماسرت مكتسباً ... فإن عزمى به جارى لمحترم

واتفق أنه زار أخته سلمى فى بعض الأيام فعلم شيبوب أنه هنالك فأخبر أخاه عنترا بذلك فطلع عنتر خلفه يريد له الهلاك وسوء الارتباك وأكمن له فى شعب جبل هناك حتى يعود من زيارة أخته وينزل به منية عدمه وإذا قدر بعد ذلك على شيء فى حق بنى زيادة فعله. وقام مكمنا فى ذلك الشعب والمغاور وقعد لعروة فى الانتظار وهو من أجله على مقلى النار (قال الراوى) وكان عروة لما سار إلى بنى غطفان وزار أخته رآها غضبانة على بعلها وهى عنده فى الذل والهوان لأنه كان جرى بينها وبينه خصومة وكلام (قال الراوى) فلما رأته خلت به بكت فى وجهه وشكت حالها إليه وقالت له يا أخى بحرمة الأحشاء التى بيننا أن توصلنى الى ديار قومى وأجعلنى من بعض رجالك الذين تأوى إليهم والصعاليك الذين تنفق مالك عليهم ودعنى أعيش عندك عزيزة ولا أكون فى غير وطنى ذليلة ثم إنها أسرفت فى البكاء

والنحيب فتحركت عنده النخوة العربية والحمية الجاهلية فعند ذلك ركب فى عاجل الحال جواده وأركبها فى هودجها وأخذ فى يده زمام جملها وسار يطلب دياره وخلته وأمصاره (قال الراوى) ومازال سائرا حتى وصل إلى الجبل الذى كمن فيه عنتر وقد أتاه الأمر بما يشتهيه وهم أن يحوزه ويدخل فى نواحيه وفى الغيب عجب وأمر والدهر نوب ومن القضاء والقدر السابق اه بينما عروة كذلك وإذا بعشرة فرسان قد اعترضته على خيول سوابق وبأيديهم سيوف خوارق وبين أيديهم فارس طويل فى تفاطيع الفيل وجواده قد اقلق الأرض بالصهيل قال الراوى فلما رأى ذلك الفرسان الناقة والهودج صاح ما أبركها من صباح حصل فى السرور والانشراح ونادى لعروة وقال له ويلك من تكون أنت من العربان وإلى من تنسب من الشجعان أخبرنا قبل أن تشرب كاس الهوان ويحل بك الويل والخزلان فقال لهم عروة الويل لكم يا كلاب العرب كيف تعرضتم لفارس كريم النسب عظيم القدر رفيع الحسب ياويلكم أنا عروة بن الورد العبسى أنا الذى أفدى صعاليك العرب بمالى ونفسى أنا صاحب الغارات المذكورة والمقامات المشهورة فاغدوا عن طريقكم وإلا عدمتم توفيقكم قال الراوى فلما سمع الفارس المقدم ذكره من عروة ذلك الكلام أبدى الفرح والابتسام وقال له مرحبا بك ياأبا الأبيض هل انت تعرفنى فان لى عندك غرض فقال له عروة ليس لى بك معرفة ياوجه فاخبرنى بماذا عولت حتى دخلك من كلامى الفرح والطرب فقال له ذلك الفارس أنا قيس بن جعدان فارس الوقت والزمان وأنت يا عروة قتلت أخى وكنت أنا غائبا فى بعض غزوات العربان ولما فرغوا مادار بينهم من الكلام أخذوا فى معاناة الحرب والصدام وحملا على بعضهما البعض وجالا طولا وعرضا حتى ارتجت من تحت خيلهما الارض وجال عروة معه وصار وركب الاثنان طريق الاهوال قال الراوى كل هذا يجرى وعنتر يسمع ويرى ويتعجب من هذا الأمر العجيب الذى جرى فما كانت إلا ساعة من الزمان حتى اتعب قيس عروة بن الورد فى ساحة الميدان وضايقه وسد عليه طريقه وهجم عليه وطعنه بعقب الرمح فى صدره فألقاه على ظهره فتقدم اليه بعض العبيد الفرسان وأوثقه بالكتاف وشد منه السواعد والأطراف وتقدم ذلك الفارس إلى الناقة وأخذ زمامها وأبركها ورفع سجاف الهودج فرأى سلمى أخت عروة فقال يالها من طريق ما أبركها وسفرة ما كان أجودها ثم قال لأصحابه اضربوا لى هنا خيمة حتى أنزل فيها وأتملى بجمال تلك المليحة وأسبيها وأعود بعد ذلك آخذ ثارى من أخيها قال الراوى كل هذا يجرى وصاحب الامر يدبر الامر والأحكام بما يريده وهو الملك العلام حتى يتصافى عروة مع عنتر ويصير له حبيبا وصاحبا على مدى الأيام فعندها صاحت أخت عروة واسبياه وامصيبتاه واقلة ناصراه وافضيحتاه وقلة رجالاه وضعف حالاه

يالعبس يالعدنان أمامن مجير أمامن نصير يخلصنا من هذا البلاء والهوان ويستر وجهي ويربح الشكر والثناء على مدى الأزمان (قال الراوى) لهذا الديوان فلما سمع عنتر من سلمى ذلك الكلام والنداء وكان لها ولأخيها من جملة الأعداء أزال الله من قلبه الحقد والردا وحركته النخوة العربية والحمية الجاهلية على ستر الحريم فطلع من جانب الوادى ولا بقى فى قلبه شاغل ولا أسى وتقدم إلى الخيل وانصب عليهم الضباب الصيل ونادى فى عاجل الحال لبيك يا إبنة العم أبشرى بالخلاص من الاعداو زوال الهم والغم والردا فقد استجاب الله منك الندا وقد بعثنى إلى حماك حتى أخلصك من أعداك ثم إنه تقدم إلى الخيل وحمل كأنه الغيث إذا هطل وسار يرتجز ويقول شعرا

أيا ولد الزنا تسبى لسلمى وعنترة لها مثل الرقيب
وفى يمناه بتار ثقيل ورأس سنانه فارى القلوب
وتأسر عروة من آل عبس وما تخشى لاسباب الخطوب
ولولا أخته سلمى تنادى وأدمعها تفيض من النحيب
لما ذهبت حقود كنت فيها ولا هزيت معتدل الكعوب
فطلى وانظرى قيسا إذا ما ثوى الأرض من كف نجيب
ويرجع عروة من بعد لومى إذا ناديته أولى مجيب
وإن آخذته ببنى زياد فما كانت عبيلة من نصيبى

قال الراوى فلما سمع مقدم القوم ذلك الشعر من عنتر صرخ فى وجهه وحمل عليه وأراد أن يجول معه فلم يمهله دون أن ضربه بالسيف الظامى على وريديه أطاح رأسه من بين كتفيه وأطبق على بقية الخيل مثل المجنون فقتل منهم ستة وانهزمت الباقون وتشتتوا فى أقطار الفلوات وما فيهم من يصدق بالنجاة وبعد ذلك عاد عنتر إلى عروة وحله من عقاله وقدحن عليه ورثى لحاله فعند ذلك نزلت سلمى من هودجها وتقدمت إليه وهى فرحانة بخلاص أخيها وخلاصها وصارت تقبل يديه ورجليه وصاحت لله درك من فارس ناصر فلا أخلا الله منك كرام العشائر وأشارت إليه بهذه الابيات :

جزاك الله عنا كل خير ولا تأتيك نائبة الزمان
كما خلصتنا من قوم سوء وبدلت المخافة بالأمان
رأوك فودعوا الأرواح لما هزرت مضارب السيف اليمانى
وعدت وفوق رمحك من دماهم تتابع سيل قطرات السنان
وقد جندلت سيدهم بسيف صقيل المتن ضرب الهندوان
فأنت الليث حامى آل عبس وسيدهم إلى قاص ودان

فلا زالت عداك بكل أرض حسرة على طول الزمان
ولا زالت سيوفك مشهرات على أعداك فى الحرب العوان
وأنت تزيد مجدا مع علو إلى برج السهام والفرقدان

(قال الراوى) فلما سمع عنتر من أخت عروة ذلك الشعر والنظام صار غيظه رضا وعاد إلى عروة وهو عنه معرضا وقال له يا عروة ما برح جرح قلبى من كلامك ولا خرجت من الحى حتى أسقيك كاس حمامك إنما الزمان أتى بشيء ما كان فى الحساب ورأيتك فى هذه الحالة فنسيت ما كنت أضمرت لك من العذاب وذلك لما رأيت بكا أختك سلمى والانتخاب وصعب على هتك الحريم فسترتها بعد الحجاب وفعلت هذه الفعال وخلصتها من أيدى الأعداء الأندال وأما أنت فأريد أن تخبرنى بالصحيح قبل أن أتركك فى البر طريح وأبصر من يقدر أن يخلصك من يدى ويكون لك مفتدى فقال عروة يا أبا الفوارس ويازين المجالس يخلصنى منك طيبة أصلك وحسن لينك وجميع فعلك وإنى أريد فى هذه النوبة أن تصطفينى لك صديقى وأكون لك عونا بالنفس والمال عند كل شدة وضيق وأنك أن رجعت نظرت منى قبيح فما أكون ولد حلال ولا نسبى صحيح وتكون أمى فعلت فى حملى القبيح هذا وأخته سلمى قد تقدمت ثانياً إليه وصارت تسأله فيه وتقبل يديه ورجليه وتقول يا حامية عبس بحق رب يبلغك آمالك ويعطيك سؤالك ألا ما اصطفيته ومن حسامك خلصته ثم أنها لم تزل به وهى تسأله وتذلل إليه حتى حل قيده من رجليه كما كان أطلق يديه قال عروة جزاك الله كل خير وقام إليه واعتنقه وقبل صدره وعنقه وحلف له أنه ما عاد يخونه فى أمر من الأمور ولا يكون إلا صديقا له مدى الأيام والشهور (قال الراوى) ثم أنهم بعد ذلك جمعوا أسلاب القتلى وحازوا الخيل التى كانت مبددة فى جنبات الفلا وصاروا راجعين إلى الديار يطلبون أرض بنى عبس الاخيار فبينما هم كذلك سائرون إذ قد اعترضهم أعرابى وهو يهيم بين تلك الرمل والروابى والوحش يهرب من بين يديه وهو قاصد إلى أرض الشربة والعلم السعدى فلما رآه عنتر قال وحق ذمة العرب ما أتى هذا الأعرابى إلا لأمر وسبب وأقول أنه من بنى شيبان وقد أتى من عند أخى بسطام يعلمنا بما كان من الأمر والشأن وأنه قد جاء إلينا يخبرنا با بن عمى قد ظهر خبره ويلك يا شيبوب وأسرع واقتفى أثره وائتنا به حتى أننا نسمع خبره فعند ذلك انطلق شيبوب خلف ذلك الأعرابى على قدميه فى ذلك البر الأقفر وهو مثل الريح الهبوب وألقى قدميه للريح فى ذلك البر الفسيح وهو كأنه النجم إذا أزرق حتى لحق ذلك الأعرابى وقال له ما بالك حائد عن الطريق وايش أنت طالب ومن أين أنت وارد اخبرنى بكلام الصدق فقال الأعرابى أعلم يا وجه العرب أننى من بنى شيبان سائر إلى عنتر بن شداد لأعلمه بأن خبر عمه قد ظهر فى بنى كندة لأن العبيد

الذين مضوا وصاروا فى أثره عادوا وقد أعلموا بذلك وقد ارسلنى إليه سيدى بسطام حتى يبيض وجهه معه فبينما هو مع شيبوب فى الكلام إذا بعنتر أقبل عليهم فأعاد عليه القصة التى أتى فيها من أولها إلى آخرها وقال له فى آخر الكلام وأن سيدى بسطاما قد أمرنى أن أسير اليك وهو يقول لك إن أردت أن يأتى اليك بطائفة من بنى شيبان إلى ههنا وأن أردت أن يلحقك إلى بنى كنده لأنه مستحى منك كيف أوصيته فى عمك ومن عنده هرب (قال الأصمعى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام قال له اعلم يا وجه العرب أن قوله أنه مستحى منى فانا اعذره لأنى أعرف غدر عمى ومكره وخبثه وما يدبره وأما قوله أنه يسير إلى خدمتى فانى لا أحب أن يكلف نفسه بشىء من ذلك وهو لا يستحق فسلم لى عليه وقل له انى قادر على أخذ حقى بيدى ومعونة القدر وسوف يبلغه ما أفعل فى بنى كنده وما انزل بهم من البلاء والشدة (قال الراوى) ثم انه ودع الاعرابى وسيره إلى أهله وقد اشتد به الغيظ والغضب فقال له عروة بن الورد يا أبا الفوارس أما ترضانى أن اكون من بعض خدمك وآخذ رجالى وأسير فى ركابك فقال له عنتر سر يا أبا الابيض وائتنى برجالك ولا تعلم أحد بأحوالك ولكن كيف آمن لك عند القتال وأنا ما جربتك فى حال من الاحوال فقال عروة لا تقل هذا المقال فوحق من رفع هذه القبة الخضراء وانبت النبات والمرعى وأخرج من الأرض نسمة تسمى لو قدرت اليوم أن أجعل قلبى لك ترسا تلتقى به أسنة الاعداء لفعلت ذلك ولم أجد لك مكافأة أبدا قال الراوى ثم أن عروة ودعه وساق جمل أخته وسار إلى الديار ولم يخطر كلامه لعنتر على بال بل أنه سار يطلب بنى كنده وقد هانت عليه تلك الشدة فأنشد يقول :

بأى لسان لى العواذل لامو   قد علمو إنى سهرت وناموا
وما ظهرت لى فى المحبة ساعة   لو أنهم ذاقوا الغرام لهاموا
وإنى على حبى لعبلة دائم   وهل يرتجى لى فى هواك سلام
وأراقب منك الوصل ياعبلة ليلة   وقد مر عام للصدود وعام
وإنى على العشاق ضربة لازب   وما هى إلا المكرمات ترام
متى ما صحا السكران من نشأة الكرا   له حجة من عرفها وسهام
ويخجل منها القوم إن هى أقبلت   وناحت لها عند المرور حمام

(قال الإصمعى) ولما فرغ عنتر من شعره والنظام سار هو وأخوه شيبوب يقطعون الروابى والآكام فقال له شيبوب إلى أين أنت قاصد يا ابن الكرام قال له أقصد ديار بنى كنده اللئام حتى أريك ما أفعل بهم من الانتقام فساروا وتوكلوا على الملك العلام (قال الراوى) وكان عنتر قد وجد راحة عظيمة لأجل الملك زهير وأولاده حتى لا يعلموا بحاله

فتحملوا بعض أثقاله وكان قد تذكر العودة إلى الديار لأجل ابنة عمه عبلة لأنه كلما نظر إلى أطلالها تزايد بلباله وعظم اشتغاله واشتدت أحواله ولعبت به أمواج الأحزان إذا سمع صياح العربان فصار يتملى بنشيد الأوزان وجعل يترنم ويقول هذه الأبيات .

خلت الديار من البدور الطلع يامقلتى جودى لذا بالادمع
وأبكى على من كان فيها نازلا وأرثى لأحزان فما قلبى معى
قلبى ترى والله فى آثارهم تبعا لهاتيك البدور اللمع
بقيت مسلوب الفؤاد من الضنا حيران لاقلبى ولاسمعى معى
قصدى لعبلة لاأريد لغيرها فلعها يوما ترق لمدمعى

قال الراوى هذا وشيبوب قد طلب أرض بنى كنده وأخوه عنتر سائر على أثره وقد أراد الانفراد والوحدة وقد زادت إلى عبلة أشواقه وزفير أحزانه وسالت دموعه بغير واختياره على أجفانه وهو يقول اقسمت بالملك الجواد أن مسيرى على حالة الانفراد أحب إلى من الفرسان والأجناد ثم أنه جاش الشعر فى خاطره فباح بما استكن فى ضمائره وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

ياطائرة بالرقتين شجانى رحلت به أيدى النوى فكانى
وقفت به والشوق يكتب أسطرا بمداد دمع فى رسوم مبان
أسائله عن عبلة فأجابنى فاهاج ماعندى من الهيمان
ينوح على إلف له وإذا بكى بكاه ينوح لا بنطق لسان
نادانى من فرط الهوى فاجبته بزفير قلب دائم الخفقان
ألا ياغراب البين لوكنت صاحبى قطعنا بلاد الله بالطيران
عسى أن نرى من نحو عبلة مخبرا بأية أرض أو بأى مكان
لقد هتفت فى جنح ليل حمامة لتشكو بشجواها صروف زمان
فقلت لها لو كنت مثلى حزينة بكيت بدمع زائد الهمعان
ولو كنت فى دوح تميل غصونه لما خطبت رجلاك أحمر قانى
أيا عبلة لو أن الخيال يزورنى ولو كل شهر مرة لكفانى
وفان غبت عن عينى أيا بنت مالك فشخصك باقى فى رسيس جنانى
غدا تصبح الأعداد بين بيوتهم تعض من الشجعان كل بنان
فلا يحسبوا أن الجيوش تردنى إذا جلت فى الهيجا لكم بحصانى
دع الموت يأتينى على أى صورة إذا ليس يدرى صورتى وطعان

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات ساروا يجدون السير فى البر والآكام

وشيبوب يغد ومثل ذكر النعام إلى أن وصلوا إلى مياه بنى عطبول وعولوا هناك على النزول وإذا بغبرة من خلفهم قد ظهرت وعجاجة قد ارتفعت ومن تحتها فرسان على خيول تمشى على عجل والغبار على رأسهم قد تقسطل ومن تحتهم فرسان على خيول ضمر فوقف عنتر ينظر إليهم وتأهب الحملة على لقائهم وإذا تلك الغبرة قد أنجلت عن مائة فارس شيوس عوابس فى الحديد غواطس وبين أيديهم فارس شديد كأنه برج مشيد فتبينهم عنتر فرآهم من بنى عبس وعدنان والمقدم عليهم عروة بن الورد سيد الاقران وسبب قدومه إلى عنتر فى ذلك المكان أنه يريد معونته جزاء بما فعل معه ومع أخته لانه لما رفارقة أوصل أخته إلى الدار والأطلال وبعد ذلك جمع من له من الرجال والأبطال الذين كان يعتمد عليهم فى الشدائد والأهوال وقال لهم يا بنى عمى اعلموا أنه كان أبغض الخلق على عنتر بن شداد والآن هو عندى أعز من روحى التى بين جنبى مما جرى من شفقته على وما كنت فيه أنا وأختى من المهالك بعد ما قبحت عليه ألف مرة وعملت معه مالا يعمله ابن أمة ولا حرة فتعجب أصحابه من مقاله وقالوا له أخبرنا ما الذى فى حقك فعله حتى نجازيه بما يستحقه ونكون نحن وأنت من بعض أصحابه وأعوانه وأين ما سار سرنا معه ونكون فى ركابه ومن خدمه وتحت كنفه وحماه لأنه والله ما رفع ذكر هذه القبيلة إلا هو فقال لهم عروة والله يا بنى عمى أنه رجل مسعود وعدوه مقهور وكيف ما سار عاد بالفرح والسرور وما فارقته إلا وهو سائر إلى بنى كندة وقد عول أن يفنيهم وحده ويخلص بنت عمه عبلة مما هى فيه من تلك الشدة وقد حدثته نفسه أن يخرب ديارهم ويقلع آثارهم لاجل ما فعلوا مع عمه مالك ومن يكون فيه هذه الفروسية والشجاعة متى لا ترام لا يجوز أن يتخلى عنه بنو الاعمام (قال الراوى) ولم يزل عروة يصف لرجاله كرم عنتر وشدة شجاعته حتى أجابوه كلهم إلى ما يريد من نصرته واتفقوا أن يكونوا لعنتر من جملة العبيد ومن يومهم تأهبوا للسير وخرجوا من الحى على ذلك التدبير فعلم عمارة بذلك الحال وأن عروة سائر من الحى بمن معه من الرجال فخرج إليه واعترضه وأبدى له التذلل والسؤال وقال له إلى أين يا أبا الأبيض عولت على المسير فانا كنت فى الإنتظار حتى ندبر على قتل هذا العبد الأسود ونخفى منه الآثار لانه فقد منذ ثلاثة أيام وأنا أقسم بأجل الأقسام أن عاونتنى أنت ورجالك أعطيتك المال والأنعام فقال له يا عمارة أن كان عنتر غاب فهو قد سار إلى بنت عمه عبلة إن كان سمع لها خبر وها أنا سائر إلى بلاد اليمن فان لقيته بذلت معه المجهود وأقلع منه الأثر فقال عمارة واحسرتاه على صحة هذا الحديث والكلام فوحق ذمة العرب إن شرتنى بهلاكه قاسمتك فى نعمتى وأعطيتك أكثر أموالى وأفضلك على أهلى وأخوتى وأهب نصف مالى للكعبة الغراء وحق أبى قبيس وحراء فقال عروة أبشر بما تريد ثم أن

عروة فارق عمارة وسار يجد المسير فى ذلك البر والهجير وهو ينشد ويقول صلوا على الرسول

أسير إلى نحو الهمام المجد　　أساعده بالقول والفعل باليد
وأنجده حتى يخلص عبلة　　وأضرب أعداه بحد مهند
لجدوا بنى عبس لنقفوا أثره　　فهو لنا يوم الكريهة منجد
وخلصنى من بعد أسرى وذلتى　　وأطلقنى من بعد ما كنت مصفد
وصان حريمى فعل ليث صيدع　　وأفنى العدا من بعد ما كنت فى اليد
فو الله ماصاحبت فى الناس غيره　　وأهوى هواه أو أموت فاغتدى

قال الراوى ولم يزل عروة ورجاله سائرين إلى أن التقوا بالامير عنتر وأخيه شيبوب وهو قدامه كالريح الهبوب فلما أن وقعت العين على العين والعين تعرف من يليها إن كان من حزبها أو من أعاديها ودنا بعضهم من بعض قال له عنتر يا أبا الابيض أنا ما فعلت معك شيئاً أستأهل عليه ذلك حتى أتعبت نفسك أنت ورجالك فقال له عروه يا أبا الفوارس ويازين المجالس والله ما بقينا نفارقك ولا نسير إلا فى ركابك ثم أنه أقبل عليه وله شكر فحمدهم عنتر على ذلك الجميل الأوفر ووعده هو ورجاله بكل خير وساروا وقد اتسعت عليهم الطريق وبقيت الجبال كنيران الحريق فقال عنتر لشيبوب سروا كشف لنا الاخبار وأنظر تلك الارض والقفار وعدلنا على الآثار فقال شيبوب السمع والطاعة ثم أن شيبوبا أطلق قدميه للريح وطلب البر الفسيح وسار يقطع القفار فغاب عنهم قليلا وعاد إليهم وقال أعلم يا أبا الفوارس ويا بطل الزمان إننا فى أرض بنى غيلان قال الراوى فلما سمع عنتر من شيبوب ذلك الكلام التفت إلى عروة وقال يا أبا الأبيض انزل أنت ورجالك فى هذا المكان حتى أسير أنا وأخى فى هذه الآكام والتلال ونكشف ما بين أيدينا ونعود بالماء عاجل الحال فقال عروة أنا أولى بهذه الخدمة فقال عنتر لا وحق الحميد المجيد لا تكون الموالى تخدم العبيد ولا تردونى عن فعالى لأننى أنا عبد وأنتم الموالى فشكره عروة واعتذر إليه من هذا الكلام ونزلوا كما أمرهم عنتر فى هذا المكان وأخذ عنتر أخاه شيبوبا وتبطن فى تلك القفار وساروا يجدون المسير إلى نصف النهار فاوقعوا بأحد فى تلك الديار فقال عنتر يا شيبوب أنا كنت أعهد فى هذه الأرض غديراً فسر بنا إليه حتى نقبل إليه فأجابه شيبوب إلى ذلك وساروا يجدون السير فى الدكادك وما ساروا غير يسير حتى أشرفوا على واد أخضر نضير أشجاره مورقة باسقة وأنهاره دافقة وأطياره ناطقة تسبح من له العزة والبقاء والغزلان على حافته متسابقة وفيه كل شىء أثنان مثل القطا والسمان والفاخت والكروان والهزاز على رؤوس الاغصان والزهر فى أرضه مثل الورد والرمان والياسمين والأقحوان والقرنفل والزعفران وشقائق النعمان الأغصان تدولت عروقها مما

عليها من الأثمار كأنها قناديل للنظار مثل تفاح تلهب وخوخ وتفاح معجب وعنب مكعب وتين مكتب ونارنج مجنب واترج مشعب والماء يتكوثر والطواويس تجلى وتتبختر وذلك الوادى كأنه جنة من الجنان خلقه الواحد الديان المهيمن الرحمن كما قال فيه فصيح اللسان

وادٍ ترنم طيره بغديره يشتاقه الولهان فى الأسحار
فكأنه الفردوس فى نفحاته ظل وفاكهة وماء جارى

(قال الراوى) فلما أن رأى عنتر ذلك الماء الجرار أراد أن يستظل تحت تلك الأشجار وإذا به يسمع صوت أنين من كبد حزين وقائلا يقول لعنك الله يا ملك ولا أقالك من طوق المهالك فما أكثر دهائك ومكرك ومحالك فلما سمع عنتر ذلك الكلام وقف يسمع وكاد قلبه أن يتقطع وإذا هو بصوت أقوى من الأول وأوسع وهو يتأوه ويتكمد ويتوجع وينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

يا أم روى كبدى بالماء من كرب الظما وابكى على أننى
صب حزين هيما وكان دمعى منجدى واليوم قد صار دما
ويل خصمى سهمه ولا أرى لى راحم حمامة الوادى اختنق
وساعدى المتيما وارعى ليالى سلفت ونحن فى وادى الحمى
نقيم كل ليلة على الفراق مأتما بحرمة العهد الذى
حفظت فيه الذمما إن سألتك عبلة قولى لها قد عدما
واليوم يقضى نحبه شوقا إلى ذاك الحمى يا عبلة ما خلى الهوى
فى رسم جسمى من دما والعزم منى قد وها والصبر منى انصرما
لما رأيت عبلة مسبية سبى الإما لكن بهذا قد قضى
بحكمة رب السما صبرا على ما حل بى حتى أرى لى راحما

قال الراوى فلما سمع عنتر ذلك الكلام والشعر والنظام ارتعدت منه الأقدام وكاد أن يغشى عليه وقام وعرق الغضب نفر من عينيه ثم إنه التفت إلى أخيه شيبوب وقال له ويلك يا ابن الأم أما ترى نحن فيه هذا منام وأضغاث أحلام أوفى العرب من اسمها عبلة أخرى فما أظن هذا الأمر قط جرى فربما يكون القضاء والقدر ساقنى إلى عمى مالك حتى أخلصه من المهالك فوحق ما أنعم الله به على من النعم والأيادى لقد أقلق قلبى صوت هذا المنادى ولا بد لى أن أكشف خبر هذا (قال الراوى) ثم أنه أتى إلى الغدير بجواده وسار فى المهاد فرأى فيه جارية شديدة السواد كأنها الليل إذا اعتكر وقدامها غلام أسمر يشابهها فى اللون والنظر وهو تارة يحرك يديه وتارة يغمض عينيه فتقدم إليها عنتر وهو على جواده الأبجر حتى وقف على رأسها وبقى قدامها وقال لها يا مولدة العرب الكرام من أى الناس أنتم حياكم

الملك العلام وما حال هذا الغلام فقير الحال بالى الأوصال لا يسمع مقالا ولا يلتفت يمينا ولا شمالا فقالت له والله يا وجه العرب ما كانت هذه الحالة حالته ولا هذه الصفة صفته وما كان إلا فارسا من الفرسان المذكورة وبطلا عند الأبطال المشهورة وإنما غدرت به الأيام وترادفت عليه الأعوام وعاده الزمان وابتلى بالذل والهوان وله يافتى قصة عجيبة مطربة غريبة لأن هذا يقال له عنتر بن شداد وأنا أمه وإسمى زبيبة وأمورنا يافتى عجيبة وأنا أبين لك بعضها وأشرح لك أبرامها ونقضها وذلك أن أباه سبانى من بعض الأحياء ووافعنى فى الصحراء فعلقت منه بهذا الولد باذن الفرد الصمد ولما انتهى الحمل وضعته فى أبياته وربيته حتى كبر وانصلحت جميع حالته ثم أخرجته إلى المرعى وصرت أنا وأباه للجمال نرعى فصار يركب الخيل ويخوض بها النار والليل حتى رزق القوى والحيل وأتته السعادة باذن صاحب المشيئة والارادة فكبرت نفسه عن الرعية وصار يغزو قبائل العرب القصية والدنية ومازال كذلك حتى نزل عليه القضاء والقدر فعشق بنت عمه عبلة ابنة مالك وصار يقاسى من أجلها المهالك فلما أن أصابه ذلك ألحق روحه بالحسب والنسب لعل أن ينال منها الأرب وأراد أن يتقرب إلى قلب أبيها بكل سبب وأعطاه كثيراً من الأموال وخلصه من المصايب والأهوال حتى زوجه بها زورا ومحال فصار يغير على قبائل العرب ويرجع بالأموال والذهب حتى انصلح من دخوله عليها الحال فغدر به عمه وصار يهرب من مكان إلى مكان إلى أن وقع بصاحب الوقت والأوان والحرب والطعان ومهلك جميع الفرسان اليقظان بن جياش صاحب الوقائع والهواش فاخذها منه بعدما قاتله وهو ساكن فى هذا الوادى وقد أشمت بنا الأعادى فجعل ولديهم فى القفار وعرف أن عمه قتله هذا الجبار ولما سباها حله الهوان والهيمان حتى قصد إلى هذا المكان وأنا لا أقدر أن أرده إلى المنازل والأوطان وجعلت أنهاه ولا يسمع وأرده وهو لا يرجع وقد انبطح على هذا الغدير وقد أهلك روحه من قلة الأكل والشرب والحسرة والزفير وله ثلاث ليال فى هذا المقام وهو لم يستطعم بطعام ولم يلتذ بمنام ولم يقدر على القعود ولا على القيام ولا على الدخول إلى هذا البطل الهمام وما بقى يقدر أن يرجع إلى المنازل والخيام ولا بقى فيه رمق يسمع الكلام قال الراوى فلما سمع عنتر من الأمة ذلك الكلام تعجب غاية العجب من هذا الحديث الذى يكتب بماء الذهب وقال والله يا مولدة العرب الكرام أن كل الأعمام لا يحبون ابن أخيهم بين الانام فقالت نعم يا وجه العرب أما سمعت قول الشاعر حيث يقول صلو على طه الرسول ﷺ:

العم غم فلا تأمن إليه إذا ... جار الزمان وكن منه بمنعزل
شيخ لئيم خبيث لاخلق له ... والزور شيمته والنطق بالزلل

شيخ يقول ولم ينصف بمنطقه زورا وبيننا بلا قول وعمل

قال الراوى فلما سمع عنتر ذلك الكلام قال لشيبوب والله لقد صدقت فى مقالها وقد تعجب من أم هذا الغلام وأمرها وغبت والله عن الدنيا ونسيت عشق ابنة عمى عبلة ويلك ياشيبوب انظر ماكانها إلا أمنا زبيبة وأنا والله قد دهشت من هذه المصيبة ولكن اسألها ياأخى هل لها ولد اسمه شيبوب أو جرير فسألها شيبوب عن ذلك الكلام فقالت لا وحق الملك العلام * قال وكانت قصة هذا الغلام مثل قصة عنتر البطل الهمام ولكن عنتر كان أكثر سعداً وأقدام وسبقت له المشيئة من الملك العلام ولبس السعد عند ولادته وإنما السعيد من سعد فى بطن أمه اللهم اجعلنى وإخوانى الحاضرين من المسعودين وشفع فينا جميعا سيد المرسلين قال الراوى ثم أن عنتر لما سمع من الأم ذلك الكلام آلم قلبه شكواها وعزم على قضاء دعواها وقال لها يامولدة العرب وفى هذه الساعة أين الفارس الذى سبى ابنة عم هذا الغلام وفعل فى حقكم هذه الفعال فقالت له يامولاى أنه فى هذا الوادى مقيم ونحن ههنا من خوفنا قاعدون لأنه إن ظهر من هذا الوادى وعلم بنا قتلنا وشرب دماءنا وأكل لحمنا وأحل بنا العنا فعندها ألوى الأمير عنتر عنان جواده الأبجر وطالب فم ذلك الوادى وهو على ملاقاة ذلك الفارس يتجسر * قال وكان الفارس جباراً من جبابرة العرب وفتاكها وكان طبعه سفك الدماء وهتك الحرائر المخدرات وخطف النسوان والبنات وماله همة إلا مال ينهبه أو شيء يكعبه أو فرج حرام يركبه أو زق خمر يشربه أو فارس يقتله ويأخذ سلبه وهو الذى كان السبب فى خلو هذه الأرض وشتت منها أهلها طولا وعرض حتى هجوا إلى رؤس الجبال خوفا على حريمهم والعيال لأنه كان يرسل العجائز إلى سائر الحلل القريبة ويعطيهم المال الجزيل حتى يأتوه بأخبار البنات الموصوفات وإذا أتاه خبر ابنة صبيحة أو امرأة مليحة فيشن عليها الغارة حتى يأخذها مسبية من وسط الأبيات وينزل بها وبأهلها البليات ويأتى بها إلى هذا الوادى ويتمتع بها إلى أن يسمع بغيرها فيذبحها وينزل بها الدمار ويشوى لحمها على نار وبعد ذلك يأكله وكان هذا الفعل دائماً يفعله وكان الذى جرأه على أكل لحم الآدميين وتلك الفعال أكله للحم الأشبال * قال ولما علم أن العرب كلها طالبته اتخذ هذا الوادى حمى وجعل سكنه فيها دائماً لأنه كثير الغابات وفيه كثير من السباع واللبوات والأفاعى والحيات فدام على أكل السباع واللبوات حتى قطعهم وقتل أكثرهم ونهب أيسرهم وكان قد اختار له عشرة من أولاد الأشبال ورباها كما يربى الراعى البقر والجمال وصار يطعمها من يديه ويربيها حتى استوت استواء كثير وبقى كل واحد منها قدر الثور الكبير لأنها ربيت شبعانة ريعانة من لحم الضأن والغزلان

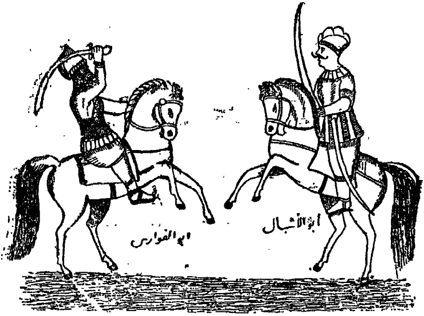
وأيضاً كان يطعمها من لحم البنات والنسوان وكان الأسد منهم إذا لطم البعير قتله وإذا أراد أكله أكله وكان ذلك الجبار إذا قعد دارت به الأشبال وتبقى حوله من كل جانب وإذا نام تحرسه من الذرائب وإذا غاب في بعض المواضع تحرسه حتى لا يطمع فيه طامع إلى أن سمته العرب أبا الأشبال وخافت من بأسه جميع الأبطال قال ولما أن وقعت هذه الجارية في يده ودخل بها إلى هذه الوادي شمت بها جميع الأعادي وقد أحل بها الأسا وصار يطلب منها ما تطلب الرجال من النساء وهي تمتنع وتشمخ عليه ولا تسلم نفسها إليه وهو يماطلها ويطول روحه عليها مثل ما تفعل الأحباب بالأحباب لأنه يعلم أن خلاصها من بين يديه بعيد وصعب شديد إلى أن أتى عنتر ذلك الوادي وهو طالب أن يدركه فلم يجد له مسلكا من الأشجار لمسلكه فشم الجواد رائحة الأسود فتأخر ونشر بناصيته فعلم منه ذلك عنتر فأثنى رجله وترجل وسل سيفه الظامي الابتر وإلى ذلك الوادي دخل وقال لأخيه شيبوب خذ أنت الجواد واطلع به إلى الجارية والغلام حتى أفصل أنا هذا الأمر وأبلغ المرام فقال له شيبوب والله يا أخي أنا في هذه النوبة ما أفارقك وإن سرت سرت أنا خلفك وأرافقك ثم أن شيبوب ربط الجواد في بعض الأشجار الطوال وعاد يطلب أثر أخيه حتى يعلم حقيقة الحال (قال الراوي) فلما دخل عنتر إلى ذلك المكان رأى قدامه مكانا واسع فيه ماء مناع وخيام منصوبة وبيوت مضروبة وفرس ملجم ورمح عالي مقوم وسيف معلق وأبو الأشبال جالس قدام ذلك البيت وبين يديه حمار وحش وهو يحمي النار ويلقح لحمه ويشوي عليها وإلى جانبه زق خمر كأنه الناقة العشار والجارية قدامه تبكي بدموع غزار وكلما لاح عليها تهم أن تلقي روحها في النار وهي تقول له إلى كم هذا الجور يا ابن الانذال والله لو أنك تقتلني وتشوي لحمي وتأكله أنت وهذه الاشبال لما خنت ابن عمي عنتر بن شداد ولو شربت كاس الردى والعناء وأفعل بي ما تختار والقني في النار ولا ألبس ثواب العار والله إنك إلى وصال أمك أقرب لان ذلك أقبح ما يكون عند بنات العرب (قال الراوي) فلما سمع أبو الاشبال منها ذلك الكلام قام إليها وعول على أن يهلكها فصاحت وقالت واحرباه واقلة ناصراه أين عيناك يا عنتر لترى ما جرى على من الهتيكة والافتضاح في تلك الربا والبطاح فتخيل لعنتر أنها بنت عمه عبلة وقد وقعت في هذه البلية عبلة فغاب عنتر عن الجواد وما بقي يعرف ما بين يديه وقد قام عرق الغضب بين عينيه وقامت شعرات شاربيه فصرخ صرخة دوت لها الجبال وتفرقت منها الاشبال وهي تدمدم مثل رعايا الجبال فاستقبلها عنتر بسيفه الظامي المصقول وضرب فيها عرضا وطول وتبعه شيبوب بضرب النبال وصار يقصد بها الاشبال يمينا وشمال وقد أفاق

الوادى بالزعاق حتى سد الآفاق فلما سمع أبو الأشبال هذه الضجة اشتغل عن الجارية وزاد به الخبال فصاحت الجارية فيه إلى كم هذا البغى والعناد والجور والفساد فقد أتاك من يردك هذا العناد فقال لها يا الخناء الساعة ترينه بين أنياب السباع وهو ملقح فى هذه البقاع (قال الراوى) وكانت هذه السباع معتادة إذا ظفرت بشىء تأتى به إليه فلما سمع هذه الضجة خرج ينظر الأشبال فرأى أنه قد بقى منها ثلاثة والسبعة قد قتلها عنتر وقد استقبل الثامن بالظامى الأبتر بضربة بين عينيه فطلع السيف يلمع من بين فخذيه فلما نظر أبو الأشبال إلى هذه الضربة أيقن بحلول النكبة وزعق على الأسدين اللذين بقيا بين يدى عنتر أدخلهما إلى الغابة خوفاً عليهما لئلا يفعل بهما مثل ما فعل برفقاتهما ثم أنه بعد ذلك تقدم إلى عنتر وقال له يا عبد السوء ما بقى لك من يدى مفر لأنى ما أظنك إلا جاهلا بخبرى وما أطلعت على شىء من أمرى ثم أنه حمل عليه وأنشد يقول صلو على طه الرسول :

أنا أبو الأشبال ليث الوادى　　والبطل المعروف بالفساد
لحم البنات ماكلى وزادى　　والدم يروى بعضه فؤادى
كم قد تركت حرة تنادى　　وما ترى من العذاب فادى
فخرى إنى قاتل الأولاد　　وأهتك النساء بكل وادى
وآكل الحرام بالأنكاد　　وأقتل السفار مع وراد
مالى جميل طول عمرى بادى　　إلا فناء الشعراء والقصاد
وإن فعلى اعظم الفساد　　وليس لى فضل سوى العناد
وقد قتلت اليوم فى أولادى　　وساقك المولى بغير زاد

قال الراوى فلما سمع منه عنتر ذلك الشعر والنظام الذى يورث الحرب والخصام أجابه على عروض شعره يقول صلو على طه الرسول :

إن كنت تبغى الشر مع فساد　　فالخير طبعى والصلاح زادى
وصارمى نار بلا زناد　　يقدح فى الأرواح والأجساد
وقد قتلت فى سباع الوادى　　فما لك الساعة من نفاد
لأننى ليث وسبع الوادى　　قتال أهل البغى والفساد
حامى الحريمات مع الأولاد　　وقاتل الحساد والأضداد
وأكرم الضيوف مع وارد　　وأكرم الشعراء مع قصاد
وليس عندى لميل الفساد　　ولم أمل يوما عن الطراد
حتى تذوق فى الطعن الجلاد　　لكى أخلى مثل هذا الوادى



قال الراوى ثم أنهما حملا على بعضهما البعض ودكدكا جنبات الأرض وزاد بينهما الزعاق حتى ارتجت الآفاق وكانا فى القتال سوا وقد ضاق بهم الاستوا وكل منهما أظهر عجائب وأبدى طعنه ومضاربه وما منهم من استظهر على صاحبه بل أنهما افترقا ليأخذا لهما راحة من الكرب والشقا لأن كل واحد لقى من صاحبه حرباً شديداً أما عليه من مزيد فعندها أبو الاشبال قال صلوا على باهى الجمال :

قف واستمع يا ابن اللئام مقالى ... فالقول منى تابع لفعالى
فلسوف تصبح ثاويا فوق الثرى ... وتخر منى لا يحد نصالى
أفما علمت بأننى البطل الذى ... ضربت بى الأمثال فى الاحلال
كم ذا قتلت غلام وكم أسرت مدرعا ... ولكم هتكت لستر ذات حجال
قتل النساء مع البنات شجاعة ... قتل النساء فخر لذى الأهوال
كم ذا قتلت غدر فى الفلا ... وسبيت ربة خدر ذات جمال
أهوى الفساد وفعله بين الورى ... أهوى الزنا وكل ذا هوالى
فاقرب لتعلم أيننا فى حربه ... قرن كمى صائب الأقوال
فلسوف تبقى ثاويا تحت الثرى ... من سطوة المتفرس الريبال
إنى ليث الحروب ومن سمى ... بين الورى يدعى أبا الاشبال

قال الراوى فلما سمع عنتر الشعر والنظام عرف معناه وأذرفت عيناه وبقى عبرة لمن براه وقال واعجباه من هؤلاء القوم العتاه البغاه الذين يتباهون بالزنا والفساد

ويفتخرون به بين العباد ثم أنه أجابه يقول صلوا على طه الرسول :

ها قد برزت إليك غير مقصر — بين الورى لما طلبت قتالى
فانظر ترى بالصدق ما قد قلته — لى يا كذوب القول والأفعال
وترى سبيل الموت بين مهندى — متقربا بالأسمر العسال
أنا عنتر العبسى سيد قومه — مفنى الألوف ومهلك الأبطال
شهدت لى الأبطال إنى واحد — بين الورى بفضائلى وخصالى
ها قد أتيت كما طلبت لجد فى — نيل العلا واصبر على الأهوال
المجد مجدى راقيا فوق العلا — متشخشعا متلعلعا متلالى

(قال الراوى) لهذا الكلام ثم انهما حملا على بعضهما البعض وصرخا صرختين ارتجت من عظمهما الأرض هذا وقد اطبقا كانهما جبلان وافترقا كانهما بحران وأخذا مع بعضهما فى الصدام والالتزام والمهاجمة والمخاصمة والملاكمة والإقدام فلما طال بينهما المطال ولحق أبا الأشبال الضجر والملال وحل به ما رأى من عنتر الأنذهال قال له ويلك يا ابن اللئام والله أنى قد لاقيت الأبطال ومارست الأفيال فما لاقيت أعظم منك صبرا على الأهوال فهل لك فى الصراع على هذه الأرض والبقاع فقال عنتر أي وأبيك أنى فى الحرب منصف وفى العطاء والبذل مخاف ثم أنه لقح السيف من يده وخلع الرمح عن جسده وكذلك فعل خصمه وعادوا إلى الصراع والملاكمة بالزند والباع وصاح كل واحد منهما على صاحبه وكان ذلك أعلى مما كان فيه من المحاربة فاغتاظ عنتر من طول مقامه معه فى الصراع فدخل فيه ومكن منه الباع والذراع ورفعه على باعه وساعده حتى بان سواد إبطه وجلد به الأرض فرض عظامه أقوى رض وأدخل طوله فى العرض ثم أخذ حسامه وضربه به على رأسه فنزل إلى حد أضراسه فنادت الجارية لاشلت يداك ولا كان من يشناك ولا سبيت حريمك ونصرك الله على غريمك (قال الراوى) وكان شيبوب قد رمى بالنبال السبعين الذين بقيا من أبى الأشبال وطرحهما على الأرض فى عاجل الحال ودخل على الجارية لحلها من الاعتقال وبشرها بابن عمها عنتر وأخبرها أنهم وجدوه فى الآفاق فاكثرت له من الشكر والثناء والأدعية الرقاق وقامت وصارت تقبل قدميه وأنشدت تقول :

لله درك من فتى طعان — يوم اللقا ومكافح الأقران
يا قاهر الفرسان ياليث الشرى — بك قد غدا خوفى الضنى بامان
يا فالق الهامات يا تاج العلا — يا ملجأ القصاد من عدنان
أصبحت تجعل غمد سيفك دائما — بحلو الملوك الشم من قحطان
يا من يجود على الزمان إذا غدا — فى جوره يتضاعف الإحسان

ماأن ذكرتك فى الوغا إلا غدت — تثنى عليك جوارحى ولسانى
فاسلم ودم فى طيب عيش دائماً — مالاح برق بالحجاز يمانى

قال الراوى ففرح عنتر بفعل المعروف وإغاثة الملهوف وأمر أخاه شيبوبا أن يجمع مافى الوادى من الحطام من مواش وقماش وأغنام وأخرجه فى ذلك البر والآكام فوجد الأمة تعلل ولدها بالملام وتخبره بما جرى وهو كأنه فى منام فلما أن رأت عبلة قدظهرت ومن خلفها عنتر وقد ركب على ظهر جواده الابجر كاد قلبها أن يطير من الفرح ثم أنها فى عاجل الحال قامت إليه وقبلته بين عينيه وقبلت يديه ورجليه وجعلت تمرغ وجهها على قدميه فترجل عنتر عندذلك وجلس عند رأس الغلام وقال لابنة عمه كلميه ورشى على وجهه من ماء الغدير وأقيميه وقد ذهب عنه جميع اللهيب الذى هو فيه لأنى أعرف مرض العشاق أنه لا يبرأ إلا برائحة الحبيب فانه هو الدواء والطبيب . قال فدنت الجارية من ابن عمها وضمته إلى صدرها وكلمته بنفسها فقعد على حيله من غير أن يقعده ولما أن قعد الغلام أمر عنتر أخاه شيبوبا أن يقدم له شيئا من الطعام لأنه كان لا يفارقه فى سفر ولا فى حضر ولا فى مقام وصار عنتر يأكل ويطعمه وابنة عمه تحادثه وتلقمه فعندذلك زال عنه ماكان يجده من وجعه وصار يقبل صدر عنتر ويديه وأشار يمدحه يقول صلوا على سيدنا محمد النبى الرسول :

ألا عل قلبى أن يذوب غراما — مع مقلة ألقت إليك سقاما
إن كنت سيفا كنت سيفا مرهفا — أو كنت قوسا كنت أنت سهاما
أحييتنى يافارس الخيل الذى — أبدت له أيدى الزمان مراما
فلأشكرنك جهد ما أنا قادر — يامانحى من جوده أنعاما

(قال الراوى) فلما سمع عنتر ماأبداه الغلام من الشعر والنظام علم عنتر فى نفسه أنه أجل العشاق وما يقدر أحد مثله أن يصبر على ذلك الصبر المر المذاق فقال ما أظن أحداً يكون أصبر منى وربما تبقى الناس تتحدث بهذا عنى وأما الغلام فانه لما شم الهوى عاد إليه الحيل والقوى فقال لعنتر يامولاى أشتهى أن تأخذنى لك غلام وأكون بين خدمك على مر الشهور والأعوام فقال له عنتر روح ياأخى إلى حلتك وأدخل على زوجك بين أهلك وعشيرتك واستقر فى ديارك والأوطان فى طول عمرك والأزمان ولكن ياأخى بحق البيت الحرام وزمزم والمقام لاعدت تتسمى بهذا الاسم على طول الأيام لأنى أخاف عليك أن يقتلك العربان ويسقوك كاس الهوان ثم أنه سماه عطاف وأمر أخاه شيبوبا أن يقطع له قطعة من النوق والجمال من الغنيمة التى كانت لأبى الاشبال وودعه وصار يقطع البرارى والقفار وعنتر فى حيرة من تلك الأمور والأسباب وهذا الحديث الذى يحير عقول أولى الألباب

(ثم) أنهما أخذا فى السير طالبين عروة بن الورد وإذا هما بغبار قد ثار وظهر من بين الروابى والقفار إلى أن تقرب منهما وظهر وبان من تحته ثلاثون فارساً أجلاد ومعهم غنيمة قد اغتنموها من تلك البلاد فقال شيبوب لأخيه عنتر هذه غنيمة قد ساقها إلينا رب العباد حتى نعود بها إلى أصحابنا ونحن بالغون المراد فقال له عنتر لا يا أخى لا تنسب بهذا السبب ربما يكون معها قوم من صعاليك العرب وقد تعبوا عليها غاية التعب وقد قتل منهم جماعة حتى ملكوها وما عاد يقع لهم غنيمة مثلها يغتنموها ثم أنه عدل عن الطريق من غير أن يريد لهم تعويق فلما نظرت الفرسان إلى عنتر وهو قد مال عن الطريق ظنوا أنه خائف منهم فعند ذلك قصدوا إليه ومال فارس منهم عليه وقال له ويلك أنزل عن جوادك وسلم نفسك من قبل أن تسكن رمسك قال عنتر لعن الله حالك ومن المصايب لا نجاك أمضوا إلى حال سبيلكم وإلا عدمتم توفيقكم فإنى ما تركت هذه الغنيمة إلا شفقة منى عليكم فلما سمعوا قوله صاحوا عليه وتبادروا إليه قال الراوى فلما رأى عنتر منهم ذلك وهم يصيحون عليه ويتبادرون إليه ويطلبان منه الحرب والقتال قال لهم وذمة العرب الكرام ورب الباقى على الدوام لابد أن أبدل ضحككم بكاء وأنينا واشتكاء ثم حمل عليهم وطعن الأول الذى كان يكلمه فقتله والثانى جندله والثالث رمله والرابع على الثرى عفره ولم يزل يقتل فيهم إلى أن أهلك منهم سبعة فعند ذلك تصايحوا عليه وتبادروا كلهم إليه وهم ينادون الثار الثار قبل أن يحل بكم البوار ه هذا وعنتر ينكس فارس بعد فارس ويجندل كل بطل مداعس وهو يعجل حتفهم حتى أفنى أكثر من نصفهم فلما رأوا ذلك الهول العظيم فلو أشل الله أناملك ياعبد يازنيم ما أشد قتالك وما أقوى نزالك فلما سمع عنتر منهم ذلك الكلام أبدى الضحك والابتسام وصاح ياأوغاد غير أنجاد ألم تعلموا إنى عنتر بن شداد (قال الراوى) فلما سمع القوم بذكر عنتر تطايروا فى البر الأقفر وولوا الأدبار وركنوا إلى الهرب والفرار فأمر عنتر أخاه شيبوباً أن يجمع النوق والجمال التى كان راكباً عليها هؤلاء الرجال وأضافوها إلى ما معهم من غنيمة أبى الاشبال وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

يا عبلة قد طال شوقى واحترقت فما ... أرجو سواك لنا خلا من الناس
وصرت أرجو إليك نظرة وبها ... يخلو فؤادى من هم ووسواس
وقد لقيت أبا الأشبال فى وهج ... من السباع وسبع أحمر قاسى
فجلت فيهم وقد جندلتهم عجلا ... بهمتى وبإقـــدامى وإشراسى
وقام عمداً أبو الأشبال مبتدرا ... نحوى لجندله رمحى ومقياسى
وقد لقيت كثلى عنتراً وكذا ... خلصت عبلته من شدة البأس
وعارضتنى خيول تبتغى سلبى ... من كل ليث صبور باسل قاسى

فقلت لا تقربونى إننى بطل حذرتكم من هزبر ليث أخياس
فخالفونى فصاروا وسط بلقعه صرعى تنديهم فى اللقاع أ راسى
وإنى أرتجى من خالق فرجاً يرتاح قلبى به يا نور مقياسى

(قال الراوى) ثم أن عنتر سار هو وشيبوب بعد ما جمعوا أسلاب القتلى وما تخلف من الحطام إلى أن وصلوا إلى عروة ورجاله الكرام ولما أشرفوا عليهم تواثبوا إليهم والتقوهم من كل جانب ومكان واعتنق عروة عنتر أوهناه بالسلامة وسأله عن قصته وما جرى له من ذلك الحال فحدثه بجميع ما جرى له فى الوادى مع أبى الأشبال وقصة الجارية وابن عمها عنتر وأمه زبيبة فوقع لعروة الانذهال وكثر تعجبه هو ومن معه من الرجال وقال يا أبا الفوارس هذا الحديث ما جرى مثله بين العبيد فى الموالى ولا فى القرون الخوالى ممن تقدم وتأخر وهذه سعادة ما نالها أحد ولم يزل سعدك يتبعك إلى الأبد فشكره عنتر وأثنى عليه على ما أبداه من المقال وأعطى لرجاله وفى قسم من المال ونزل هو وأخوه ليأخذوا لهم راحة مما قاسوا من التعب والشدة وأرسلوا المال مع عشر فوارس مشتدة ومن الغد ساروا يطلبون حى بنى كندة وعنتر بين أيديهم راكب على جواده الأبجر وعروة إلى جانبه كأنه أسد النسور وكان وعنتر كلما طال عليه المطال الصفر يتذكر عبلة ويتحسر فقال له عروة أيها الليث الهمام والبطل الضرغام لو أنك قللت من ذكر عبلة والكلام لخفف من قلبك الوجد والغرام فقال له عنتر كن عاقلا يا أبا الأبيض وذر الملام فهل رأيت أحداً يفارق روحه التى بين جنبيه أو ينظر بغير عينيه ثم زاد به الوجد والغرام وأقلقه الهوى والهيام فأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

يقولون لى أسل عبلة يا فتى فقلت وما السلو فذاك عجيب
أيأمره إنساناً يفارق روحه ويصلح جسمه ليس فيه قلوب
كيف أطيق الصبر عنها وحبها بقلبى وفى أحشاى زاد لهيبه
وماذر قرن الشمس إلا ذكرتها وأذكرها للشوق حين تغيب
ولولا من فيها نصوح ومشفق لقلت أكففا عنى فلست أصوب
وأعظم من هذا أموت صبابة ودائى منكم قد جفاه طبيب
أيا عبله رقى فى الهوى لمتيم نحيل عليل بالوصال يطيب

(قال الراوى) فلما أن سمع عروة هذه الابيات عرف أنه ما فوقه هواه هوى وإنما ذلك من تباريح الجوى فسكت عنه ولم يعذله وساروا يجدون المسير والرواح فى تلك البرارى والبطاح مدة ثلاثة أيام فزاد بعنتر الوجد والغرام فبكى وأن واشتكى وأنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول :

قلبي سقيم تائه بهيامي من جور دهر جار فى الأحكام
فلقد أمر على الهوى فلطالما أرضيه حتى هد منه عظامى
ولكم شكوت حوادث الدهر الذى جلت مصائبه عن الأحكام
مع معشر القوم الذين تساوموا قبح الفعال على مدا الأيام
كم قد رميت من الزمان بنكبة وذهبت منه بمحنة وغرام
ولكم جرى لى فى حروب وقائع تدهى وتذهل عقل كل همام
فى كل يوم لى حروب لم تزل تجرى وعظم وقائع وصدام
وتقارب وتحارب وتباعد مكتوبة للعرب والأعجام
ياعبلة كم لاقيت فيك هزاهزا مثبوتة عند الفتى الضرغام
ولكم قتلت بأسمرى ومهندى من فارس ومدرع مقدام
ولكم سريت بعصبة عبسية شوس ضراغمة أجل كرام
من كل ليث فى الكريهة باسل متغطرف متغشرم ضرغام
فسلوا أبا الأشبال حين تركته فى البر رزق قشاعم وهوام
وتركته فى البر غير موسد بسنان رمحى ثم حد حسامى
هذا هو الفضل الذى ماناله أحد من الأعراب والأعجام

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره والنظام تعجب منه هؤلاء الرجال الكرام وساروا يطلبون البر والآكام فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الأمور والأحكام وأما ما كان من مالك أبى عبلة وما فعل من فعل اللئام فانه لما هرب من ديار بنى شيبان من عند الأمير بسطام سار يطلب مجيرا ونصيرا من العربان فسار وقد أوسع فى البر وتلك القفار وهو يجوب البرارى والجبال وما زال سائرا وهو يجور الحلل والقبائل والعشائر فكان كل قبيلة نزل فيها طلب من أميرها الدماء من عنتر بن شداد فلم يجره أحد من العباد خوفا من عنتر بن شداد لأن خبره قد شاع فى جميع العباد وتسامعت به جميع أهل البلاد وما أجاره منهم أحد فزاد به الشر والنكد وزادت به الشدة ولم يزل سائرا حتى وصل إلى حى بنى كندة وكانوا فى حجرة العرب من بعدمنها ومن قرب ولما وصل إلى الحى نزل على أبيات الملك عمرو المقصور وقد ظن أنه بنزوله عليه يكون منصورا ثم أنه شد أذياله باطنابه وفعل ولده عمرو ومثل فعاله ثم أنهم طلبوا منهم الذمام من تقلبات الدهر وحوادث الأيام فما كان الملك حاضرا فى ذلك الوقت بل أنه كان فى الصيد والقنص فأقام مالك وولده عمرو إلى أن عاد الملك عمرو إلى بلده وكان قدومه عند المساء وكان الليل قد اكتسى غلسا فتفقد حال مالكا وولده عمرو فسأل عنهما فأخبره بذلك الأمر وقد حدثوه بأحوالهما وما جرى لهما

وما زالوا يحدثونه بشيء كان وشيء لا يكون إلى أن أعطاهم الذمام من جميع من فى الآكام وجميع من طلعت الشمس من الجن والإنس ثم خالط أموالهم بأموالهم وجماله بجمالهم وأضافهم ثلاثة أيام ولما كان فى اليوم الرابع أحضرهم بين يديه وتحدثوا هم وأياه وقال لمالك من أى البلاد ومن أى العرب أنتم وما الذى جرى لكم مع قومكم من السبب فأخبره مالك أنه من بنى عبس وعدنان وأخبره بما جرى له مع ابن أخيه عنتر من الأمر والشأن ماتم له معه من أول الكلام إلى آخره فقال له ياشيخ ألم استجرت ببنى عمك لأنهم أمنع العرب جوارا وأعزهم أنصارا فقال له مالك ياسيدي أنا ابن أخى جبار وبطل مغوار وما يقدر عليه أحد ممن سكن القفار فما وسعنى إلا أنى أخذت ابلتى وأتيت بها إلى هذه الديار واستجرت بكم لأنكم نعم الجوار فلما أن سمع الملك عمرو ذلك الكلام علم أنه شديد الغيرة والإهتمام فأمر أن يضرب له بيتا فى جانب أبياته وحكمه فى مراعيه وإمائه وأقام آمنا على نفسه من التعب وظن أنه بنزوله عليه قد بلغ الأرب إلى أن كان يوم من بعض الأيام خرج مالك وولده عمرو من مضربهم قاصدين إلى الملك عمرو فرأوا الحى قد انقلب بناسه وهو يموج بسكانه ويرتج بقطانه وقد ركبت فرسانه وصاحت شجعانه وهرعت نسوانه وخرجت إلى الحى إماؤه وظهرت مولداته فسأل مالك عن ذلك الأمر فقيل له إن ابن أخت الملك عمرو قد أتى لزيارته والتحدث معه ومسامرته وهو فارس الآفاق ويسمى بالأمير مسحل بن طراق الطويل الركاب العالى الجناب الكامل بالفخار الملقب فى الحرب بالعقاب والناس قد خرجت إلى لقاه مبادرين إلى لقياه فصار مالك وولده وقد عجب من إحتفال الناس على شأن فرد إنسان وسطواته بين هؤلاء الشجعان فعند ذلك وقع له هيبة عظيمة فى قلوبهم من قبل أن يروه وما زالا يركضا حتى لقيا الملك عمرو وسلما عليه وسارا مع الناس بين يديه وهما يرقبان الطريق حتى يتحققا ذلك الأمر غاية التحقيق وإذا بمسحل قد أقبل وبان غباره وتقسطل وبعد ساعة انجلى وانقشع وبان للأبصار وطلع وإذا قد بان من تحته فارس طويل القامة عريض الهامة وبين يديه سبعمائة فارس كالأسود العوابس ومائتان عبد ماشية فى ركابه يردون عنه من يغشاه وهم بالثياب الملونة والعمائم الخزرجية المكونة والحراب الحبشية والسيوف الهندية وهو له هيبة عظيمة تحير وهو يظن فى نفسه أنه أقوى من كسرى وقيصر أو الجندولى بن أبى كركر فتحير مالك أبو عبلة لما عاينه بالنظر لأنه رأى غلاما كأنه البدر إذا بدر وهو كأنه الرمح الطويل وله أعضاء كأنها أعضاء الفيل عريض الأكتاف غليظ الاطراف عليه حلة يمنية مرصعة بالذهب عسجدية وعلى رأسه عمامة وبجانبه أطرافها مذهبة بهية وفاضلها على كتفه مرخية وهو يخط الأرض بإبهاميه من طول قامته وقد تعب الجواد من ثقل جثته وركائب جواده من ذهب يكاد البرق من ضيائها يشتعل باللهب وهو فى تلك

الزينة البهية يعجب كل من رآه من البرية وهو يختال فى مشيته كأنه العروس وتشتاق رؤيته النفوس إلى أن أدناه من الأقوام فازدحمت عليه الناس لأجل السلام فصاروا جميعهم يقبلون يديه وازدحموا كلهم حواليه ولما أن رأى مالك وولده عمرو هذه الأحوال تقدموا فى جملة الأبطال وقد اتبعوا سنة القوم حتى لا يقع عليهم عتب ولا لوم ودنوا من مسحل وسلموا عليه وصار الإثنان يقبلون يديه فأخذهم مسحل إلى جانبه كأنهم من أهله وأقاربه وقال للملك يا شيخ شرفت بك الديار وطاب لك المزار ونارت بك الأقطار فقال له مالك والله يا سيدى ما عرفت لى قدر أو لا قيمة إلا عندكم ولا عادت لى روحى إلا لما نزلت فى حيكم وبقيت فى جواركم فلا زالت أرضكم حمى ولا برح عدوكم نادما قال الراوى وما زالوا كذلك حتى فرغت الناس من السلام وعادوا وهم راجعون إلى المنازل والخيام وعملوا الولائم والدعوات فرحا بقدوم مسحل بن طراق وقد اختلط الخواص بالعوام ودارت عليهم أقداح المدام ودار بينهم الحديث والكلام فقال الملك عمرو لمسحل يا ولدى أى شىء الذى أقدمك علينا فى هذه الأيام وما هى أيام مجيئك للسلام قال وكان بالعادة أنه لا يأتى إلا من العام للعام وقدومه هذا ليس له أربعة أشهر تمام فقال مسحل الذى أعلمك به يا خالاه أن سبب قدومى فى هذه الأيام رغبتى فى خطبة ابنة هذا الشيخ العبسى لأنها قد أشعلت قلبى ونفسى وأبذل له ما يريد من المال والنوق والجمال لأنها وصفت بين يدى فى ديارى والأطلال وأخبرنى بما هى فيه من الحسن والجمال وقد التهب بوصفها فؤادى وطال من أجلها سهادى وأن قدومى فى هذه النوبة من أجلها وأريد منك المعاونة على أهلها فقال له خاله وقد تعجب وأخذه من ذلك الطرب والله يا ولدى لقد وفقت بخطبتها غاية التوفيق وما أشار عليك بها إلا كل صديق والبارحة كنت أنا وزوجتى فى حديثها وقالت لى كنت أريد من رب السماء أن يكون لى ولد ذكر حتى أنه يحظى بذلك الوجه الأقمر فقال له مسحل يا خالاه كنت أشتهى أن أنظرها قبل أن أخطبها حتى لا يقع لى ندم عند الإجتماع بها فقال له يا ولدى أنت لا تقدر أن تنظرها وهى محجوبة فى خدرها بين أبيها وأخيها وأمها فلا يراها إلا امرأة مثلها فقال له مسحل يا خالاه أنا أفعل ذلك إن ساعدتنى زوجتك بحسن التدبير فقال له خاله أخبرنى كيف تريد أن تفعل ما لا يكون فيه شىء من الخطأ والزلل وقد زين لك الهوى بئس العمل وتبقى تلومنا الناس على ما نفعل فقال له مسحل هذا أمر علينا فيه ملام لأنى أعلم أن غدا تأتى النسوان الحى تهنى زوجتك بقدومى إلى حضرتك ويطالبنها بالهدية فأكون أنا قاعد إلى جانبها منرقعا ببرقع فى ثياب النسوان فلا بد لعبلة وأمها من مجيئها مع جملة النساء والبنات فهناك أنظرها بينهن وقد تم الشمل وبلغت المنى فقال له خاله ومن أين لنا امرأة فى طولك وهيئتك حتى تخفى عليهن حالتك فقال له مسحل أعلم أن ابنتك ناجية تقاربنى فى الخلقة

والتقدير وما بيني وبينها في التفاوت إلا شيء يسير فالبس جميع ثيابها وأجلس إلى جانب أمها فقال له افعل ما بدا لك بلغك الله آمالك لأنك نور العين والروح التي بين الجنبين (قال الراوي) فعند ذلك قام مسحل ودخل على امرأة خاله وقد أعاد عليها جميع ماجرى وما دبر من إحتياله إلى ماقال من سؤاله ثم ألبسته ثياب ابنتها ناجية وأقعدته إلى جانبها بين الأخدان وبعد ذلك قامت عليها لأجل السلام النسوان من كل جانب ومكان وجاءت أيضاً عبلة وأمها وجلست مع النسوان والبنات المخدرات فأخذتها زوجة الملك من يدها وأجلستها إلى جانبها وقد تعجبت من ذلك الحسن والجمال والقد والإعتدال وضحكت قدامهم وكشفت البرقع عن وجهها وقبلت فمها وأجلستها بين مسحل وبينها وقد دبلت منها تلك الخدود وتغزلت تلك العيون السود وصارت تلاعبها والمكان أضاء من نور وجهها وتفاح خدها وتقول هنيئاً لمن تمتع بذلك الجمال وحاز ذلك الحسن والكمال هذا ومسحل قد رأى القمر قد بزغ من تحت الغمام وهو خلقة الملك العلام ورأى حبها كأنه قمر في ليلة أربعة عشر وقد أشهر قدها ونور وجهها وقد بهتت النسوان إليها وصرن يتعجبن من بهجتها وأما مسحل فإنه بهت ناظره وتاه خاطره وتبلبلت سرائره وهم أن يصيح من شدة ماجرى عليه من الهوى والغرام فخرس لسانه عن الكلام لأنه رأى قمراً إلا كالأقمار وشمساً تشبه شمس النهار بل أنها أبهى وأكثر أنوار فزاد في قلبه لهيب النار وذل بعد العز والوقار والهيبة والإفتخار وماصدق متى ينصرفن النسوان ويخلو منهن ذلك المكان حتى قام وعقله قد غاب وخلع ماكان عليه من الثياب وقد لبس أحسن ملبوسه وقد تحركت فيه حركات هكوسه وخرج إلى خاله وقد تغيرت سائر أحواله فوجد عنده جماعة من الناس يسلمون عليه وهم يتحادثون بين يديه وهم من أصحابه الأمراء ومن جملتهم مالك أبو عبلة وبجانبه ولده عمرو وفي قلبهم نيران الجمر فلما أقبل الأمير مسحل قام له كل من في المجلس إلا مالكا وولده فإن الملك عمر امنعهم عن القيام وقال الملك أنت صاحب الأجلال والإكرام ويحق لك أن تكرم يا ابن الكرام لأنك أنت عندنا نور العين والروح التي بين الجنبين فعظمت نفس مالك عنده لما سمع هذا الكلام وعلا شأنه بين الجلوس والقيام وبعد ما جلس الناس واستقر بهم المقام أقبل مسحل على مالك وعظمه وأعلى قدره وبجله وقال له ياعم إنك أولى بالكرامة والنعم لأنك أنت المولى ونحن الخدم فعندها التفت مالك إلى ولده عمرو وقد حالت به الفكر وزاد الأمر والعسر وقال انظر يا ولدي ما أحسن تودد هذا الغلام وما أحلى ملتقاه في هذا المقام وما أعلى شأنه بين الجلوس والقيام ومثل هذا يصح أن يكون زوجاً لأختك وأن خطبها يكون من سعدك وبختك فإنه والله فارس تقر بفروسيته جميع الأبطال وهو صاحب بلاد وأقطاع وأموال وله اليد العالية والمنزلة السامية عند سادات العرب

أصحاب الحسب والنسب وكنت أشتهى أن يخطب بنتى ويكون بعلا لكريمتى (قال الراوى) وأما الأمير مسحل فإنه إشتغل قلبه وتغيرت أحواله فاخفى ذلك الأمر على خاله وقد علم بتغير أحواله فعند ذلك قال لخاله ياخالاه أنى أريد منك إنك تخطب لى إبنة هذا الأمير وأن تزوجنى بها وإلا مت كمداً وحل بى التدمير فعند ذلك التفت الملك عمرو إلى مالك ابى عبلة وقال له ياوجه العرب الأجواد أن ابن أختى قد وقع فى قلبه لك محبة ووداد من عهد ما وصل إلى هذه البلاد وعلم أنك من آل عبس الأجواد وللبارحة كان معى فى هذا الحديث والكلام وقال لى والله ياخالى إنى أشتهى من هذا الأمير وولده أن يسيرا معى إلى بلادى والأطلال وأحكمها فى جميع المال ويدبران مملكتى وإشاركهما فى نعمتى لأنه يا أمير مالك هو اليوم فارس الآفاق وتحمل إليه الغفارة من أرض اليمن وأرض العراق وهذه البلاد التى هو فيها ملكها بسيفه لأنها أرض واسعة وغدرانها نابعة وغربانها كثيرة تحت أمره ونهيه ويحملون له حق الرغبة لأجل أن يعطيهم الأمان ولا بد أن أريك طرفا من شجاعته وجزءاً من براعته فإنه إذا لطم بكفه رقبة بعير أشاد صرعه وإذا ضم فخذه على جواد شديد قطعه وإنى لما وصفت له وصفتك وجميع ما تم لك من قصتك قال لى ياخالاه هذا يدل على همته وكثرة مروءته ونخوته وأنا أريد أن تخطب لى ابنته حتى أتزوجها ويصير بينى وبينه صلة ونسب ولا يكون لأحد عليه مشاحنة وأسلم إليه جميع ما تحتوبه يدى وأنه ياوجه العرب كذا لا بنتك ومنازل فى الصباحة والملاحة لكريمتك وأريد منك يا كريم الحسب والنسب أن تقبل منى هذا السؤال وتجيبه إلى ما طلب من المقال حتى ترى ما يفعل فى حقك من الإكرام وما يدفع إليك من الأموال وما تصير فيه أنت من المنزلة وبلوغ الآمال فقال جميع من حضر من السادات الذين من بنى كنده والله يا مالك لقد نظر موضع النظر لانه لا تصلح هذه الشمس إلا لهذا القمر (قال الراوى) فلما سمع مالك أبو عبلة هذا الكلام ظن أنه قد بلغ من عنتر المرام وقال فى نفسه هذا الذى كنت أطلبه وأتمناه لأنى إسترحت من عبد شداد وعناه ثم أنه قال أيها الملك الكريم والفيل العظيم وحق اللات والعزى أن هذا الحديث قد خطر فى بالى من حيث ما رأيته ولكنى احتقرت روحى لأننا نحن ها هنا مقلون من المال بعيدون عن الديار وها قد بلغنى والله ما كنت أرتجيه من أمنيتى وما فضحنى فى ابنتى فافعل أيها الملك ما تريد فابنتى للأمير مسحل أمة وأنا وأخوها من جملة العبيد وهذه يدى لك بالوفاء وصدق القول والصفا وخلوص النية من الحقد والجفاء ثم إنه حط يده فى يد الأمير مسحل بن طراق ووقع بينهما الإتفاق وفرحت بذلك العشائر ووقعت فى بنى كنده البشائر وجددوا الولائم والدعوات واغتنموا الطرب واللهو واللذات وكان أكثر الأفراح فى بيت الملك عمرو لأجل كثرة الخيرات وشدة ضجيج المولدات بما

قبل مسحل بن طراق من نحر النياق المسمنات وما خلع من الخلع الملونات على الفرسان والسادات ولم يخص وما وهب من الخيرات والخيول العربيات والبجاويات (قال) ولما أن كان عند المساء عملت بينهم الكاسات بعقولهم الطاسات فطلب أبو عبلة وولده الإنصراف من بين الرفاق فخلع عليهم الأمير مسحل بن طراق وأعطاهم أفضل العطيات وقادلهم الجنائب المزينات ومشت بين أيديهم العبيد والإماء والبنات قال الراوى وما وصل إلى أبياته إلا وهو فى رتبة الملوك الكبار وأصحاب الأقاليم والأمصار وكانت عبلة قد سمعت عنهم تلك الأخبار فنزلت دموعها على وجنتها غزار وامتنعت عن الطعام والشراب ولازمت البكاء والانتحاب فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير مسحل فإنه اختلى بخاله فى آخر المجلس وجعل يستشيره فيما يفعل من الأمر والشأن وما يدبر من العرس والمهرجان فاتفق الأمر بينهم أنه يسير إلى أرضه وينفذ لهم المهر وهو ألف ناقة من النوق الملاح محملة من ظرائف اليمن وأربعة ألف رأس من الغنم الغالية الثمن وخمسين رأسا من الخيول المسومة السوابق بدروعها والرماح الخوارق ومائة من السيف البوارق وألف ثوب من الديباج ومائتى أوقية من الذهب الوهاج ومائة أمة وأربع عقود من الجواهر وخمسين نوعا من المسك الاذفر ومائة طبلة من الكافور والعنبر وصار مسحل يوسع فى المهر على قدر حاله وذلك لكثرة ماله وشدة عشقه وبلباله واتفق بينهم الأمر على هذا وأمثاله وبات تلك الليلة وقد أشعل فى قلبه لهيبه وناره وما بقى يقر قراره فلما كان عند الصباح رحل بمن معه من العساكر طالبا دياره إلى أن وصل اليها وزادت أفراحه وجهز المهر وأرسله مع خمسين فارسا من قومه وأجل لهم أياما معلومة فساروا بالمهر طالبين ديار بنى كنده وقد زالت عنهم الشدة حتى وصلوا إلى الملك عمرو المقسور وقد بلغوا بوصولهم سالمين الفرح والسرور فلما أبصرت بنو كنده إلى الأموال انبهرت منهم الاحداق وقالوا عمرنا ما رأينا مثل هذا المهر لاحد أنساق ولا أحد مثله فى سائر الآفاق وقالت البنات والنسوان وحق ذمة العرب الكرام ما أبصرنا قط جارية مثل ما أبصرنا هذه العبسية لكنها تستهل أوفى من ذلك وإنها والله ما هى غالية بزواج الملك لما فيها من الحسن والجمال والبهاء والكمال قال الراوى ولما قبض أبوها المهر أخذ فى تجهيز الأمر حتى بقى من الأجل الذى أجله لهم مسحل ثلاثة أيام ويعودوا إلى بلادهم والآكام (قال الراوى) لهذا الكلام صلوا على البدر التمام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العلام وفى تلك الأيام وصل عنتر بن شداد وأشرف على بنى كندة وتلك البلاد وكان وصوله فى الليل ففرق رجال عروة أحافيفه الرمال وبطون الاودية الخوال وقد أكمن فى تلك الاماكن والتلال يريد عمه وعبلة ويريد أن يبلغ منها المأمول فقال لعروة ابن الورد ها نحن قد وصلنا إلى هذه الاطلال

والديار وقد اشتهينا أن نعلم الأخبار وتعلم ما تم لعبلة من الأسرار فإنها لا تخلو من زوج جديد ولو طلبها من أبيها أقل العبيد فقال عروة والله يا أبا الفوارس إنى قد جربت وأختبرت ناصيتها على الفرسان القناعس والشجعان الأشاوس فوجدتها وحق ذمة العرب وشهر رجب لا يخطبها إلا من منيته قد حانت وآجاله قد تقاربت وقد رأيت ذلك بعينى جملة مرار سوى ما بلغنى من الأخبار فتبسم عنتر من ذلك وقال له أنا فى خاطرى يا أبا الأبيض أن أدخل إلى تلك الديار والأطلال والآثار وأنظر إلى أبيات بنى كندة وأحضر إلى عندهم فى هذا الحين ولا أعود إلا بالخبر اليقين فقال له عروة أفعل ما بدا لك نجح الله أفعالك فقال له شيبوب يا ابن الأم أنا أحق بالدخول إلى هذه الديار وأجيء لك بجميع الأخبار فقال له عنتر أخاف عليك من عمى أن يعرفك فإنه إن عرفك أتلفك فقال شيبوب أنا ما أدعه يعرفنى ولو خالطته فى كلامه ثم أن شيبوبا وثب فى عاجل الحال إلى رحله وأخرج منه ثيابا نسوانية تصلح إلى هذه القضية فلبسها وتبرقع ببرقع وسخ عتيق يصلح لهذه الأشياء وعلق فى عنقه عقدا من الجزع الملون وجلاجل نحاس وخرز وسلاسل وأجراس وأخذ على كتفه قربة من الماء وقد صار فى زى الأماء فبقى عنتر باهتا إليه وقد لحقه من ذلك التحير وقال له ما هذه الفعال والله ما كانك إلا أم أبى شداد فقال له شيبوب وهذه ثيابها إلا أنها محبوبتى وأنا محبوبها وبينى وبينها محبة ووداد ومن محبتى فيها أخرجتها معى لأشم رائحتها فيها ثم أنه سار من عند أخيه عنتر وتبطن فى ذلك البر الأقفر ولم يزل يقطع الربى والبطاح حتى وصل إلى الحى عند الصباح ثم دخل بين المضارب وتحدث مع القوم وما اختشى عتبا ولا لوم قال وكان الملك عمرو راكبا مع فرسانه والأقران وأبعد عن الحى فى تلك البراوى والقيعان وبقيت الأطلال خالية من الفرسان فعند ذلك تقدم إلى الابيات التى هى عاليات وهى أبيات الملك عمرو وجسر نفسه على ذلك الأمر وصار يتقطع بردفه ويهز عطفيه ويغمز من يراه بطرفه ويلوح على صدره بكفه حتى وصل إلى مضرب العروس ورأى الناس فى التهاب المسرات والبنات يرقصن مع المولدات وهن يضربن المزاهر والدفوف ويصفقن بالأيادى والكفوف (قال الراوى) فلما نظر شيبوب إليهن تقدم حتى بقى بينهن فصارت إماء الحى يقلن هذه من المدعيات والمدعيات يقلن هذه من إماء الحى فضاع بين الفريقين فسأل شيبوب من بعض الجوارى أى وقت يكون الزفاف فأخبرته جارية بجميع الحالات وما فيها من المسرات فلما سمع شيبوب تلك المقالات بقى حائرا بين المضارب والخيام وهو فى قلق عظيم وبقى حائرا فى نفسه ومراده أن يعرف مكان عبلة هى فى أى المضارب وبقى فى قلق عظيم لأجل ذلك فبينما هو متفكر فى معرفة ذلك المكان إذ لاحت منه التفاتة فنظر إلى خيمة من الابريسم وفيها عمودان من الذهب

الأحمر وهما يرصعان بقطع من الياقوت والزمرد الأخضر والقطع الجوهر والشموع توقد فيها وقد صار المكان من النور مثل النار ذات الشرر فعرف أنه مضرب العروس العبسية التي لأجلها كانت هذه القضية ولكن بقي حائراً في شأن من يوصل خبره إليها وما التي له سبيلا على الهجوم عليها فعندذلك صاح وأظهر الطرب والانبهار ودار دورة اللولب الدوار ورقص حتى أنه حير جميع النظار وأذهل من أعطافه البنات الأبكار فبينما هو على ذلك الرقص وإذا ببعض المولدات قد قعدت من شدة التعب ومما حصل لها من النصب وكان في يدها مزهر مايح فبادر إليها شيبوب كأنه القضاء المصبوب وصاح فيها وأخذ المزهر من يدها وقال وحياة سيدي مسحل لقد قطعت علينا الطرب وقطعت لذتنا بين نساء العرب ثم أنه تقدم بين المولدات وضرب على ذلك المزهر حتى حير جميع النساء والبنات فاستقبل ذلك المضرب الذي علم أن فيه عبلة لأنه وجد النساء جميعهن يدخلن فيه فضرب بذلك المزهر ولعلع بصوته الابهر وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

يا ظبية قنـاص صيدك قد أتى	فلتبشر بالنصر من سيف الفتى
ولتفرحي بالقرب يا كل المنا	ولا تقولي ما أتى بل قد أتى
فلتفهمي ما قلته من قصتي	إلى متى هـذا الونا إلى متى
قد حلت الأفراح في حيكمو	في دائم الأوقات صيفاً وشتا

(قال الراوي) وأعجب ماجرى في هذه السيرة العجيبة والامور المطربة الغريبة أن عبلة كانت تسمع الغناء من داخل المضرب فلما أن سمعت ذلك الصوت عرفته وفهمت المطلوب فبقيت حائرة كيف أنها تجاوب شيبوب وهي بين تلك النساء والمولدات فحنت كما تحن النياق وكثر منها الوجد والاشتياق فانشدت تقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

أيهـــا الصائل ما بين الخيم	قد أتى يرقص ما بين الخدم
بشر القناص والسبع الذي	رابض ما بين كثبان الاكم
هاغزال الحي ما بين الظبا	ترتجي الأفراح من فرط السقم
هذه أوقات أفراحي بكم	كي يزول الهم عني والنقم
وسروري قربكم يا سادتي	وبعادي قد أتاني منه غم
هذه الخيــل لسادتي أتت	فاسمحوا بالقرب إني في عدم

(قال الراوي) فلما أن سمع شيبوب من عبلة ذلك الشعر والنظام عرفها معرفة تمام فعند ذلك أظهر التعب وجلس كأنه يأخذ له الراحة إلى جانب المضرب وتفرقت من حوله الجواري والبنات الابكار وإذا بعبلة قد طلعت من باب الخيام فنظرت إلى شيبوب وهو جالس في زي الامة فقالت وحق خالق البرية ورافع السموات العلية أن هذه الامة ماظننها

كندية وإن فاتنى حذرى ماهى إلا عبسية شدادية قال الراوى فلما سمع شيبوب هذا المقال خفق فؤاده من شدة الفرح والبلبال ثم أنه التفت إلى التى تخاطبه بهذا الكلام وهى التى تذكره مولاه شداد فإذا هى عبلة إبنة مالك بن قراد وهى وحدها فى الخباء فأقبل عليها لما أنه هدأ من الرقص والإنزعاج وهنأها بذلك الزواج وكان ذلك مع الحذر أن يكون أحد قربهما منهم يطلع على هذا الخبر وقال لها وسق من علا فاقته وخلق لأشباح والصور فقد شهبت ونظرت مواضع انتظر فلمن شهبت بين العباد قالت بيانه مولدة عمى شداد فقال لها ما أنا بانة مولدة عمك شداد أنا شيبوب أخو عنتر الفارس الجواد ثم أنه كشف عن وجهه اللثام فعرفته معرفة التمام فقامت إليه وكاد قلبها أن ينفطر وفاض دمعها وانحدر وقالت ويلك يا شيبوب وأين أخوك عنتر فقال لها قريب فى هذا البيداء ومعه عروة بن الورد وأنه قد صار صديقه وصار من اليوم رفيقه ومعه أصحابه المائة فارس من فرسان بنى عبس الأشاوس ولكنه فى هم عظيم لأجل معرفة أخبارك وقد أنفذنى إلى هنا اقتفى آثار آثارك فعندها حدثته عبلة بحديث مسحل بن طراق وكيف تزوج بها وحصل بينهما الإتفاق ثم قالت وأنا وحق من أنار الشمس بالإشراق الخلاق أن زفونى على مسحل لأقتلن روحى وأسكنن ضريحى وأموت فى تلك الآفاق ويكون هذا بينى وبينكم سبب الفراق ولو كان أبى وأخى يقطعونى قطعاً ما أكون لهم مطيعة ولا لمسحل ضجيعة ولكن ياشيبوب عد إليه وسلم عليه وأخبره بما سمعت من هذا الأمر والشأن وتمكنه من الهجوم على ذلك المكان لأنهم فرسان كثيرة لا تحصى بعدد الرمل والحصى ولكن يرتقبون وقت الزفاف لما ينقضى الأمر ولا يبقى خلاف فإذا رآنى مع الظعن فذلك الوقت يروح ويهجم عليهم ويقتل كل من معه وتقود أنت بزمام ناقتى ومحملى ومن يتبع أثرى فإنه يلقاه ويسقيه كاس فناه وأوصيه أن لقى أبى أن يقتله ولا يرثى له لأنى قد أبغضته من أفعاله الرديه ومقالته الكاذبة التى هى له محوية وبلغتها وقالت ياشيبوب بحق خالق النطفة وأنشأها احفظ منى هذه الأبيات ولا تنساها ثم أنها لأخيك عنتر أنشدها إياه ثم أنها أنشدت تقول صلوا على طه الرسول

صبرى وصبرك قد فنى وتجلدى	وظننت تأتينى المنية فى غـــدى
بما أقاسى من عظيم تلهى	حتى وعيشك ضل عنى عودى
يا لائمى فى حفظ عهد مودتى	أين الكريم أخو الوفا والسؤدد
ما طاب عيشى بعد بعدك ساعة	يا طاعن الفرسان منه باليـــد
ماقر جفنى هجعة فلربما	لا ينقضى جرى وفرط تجلدى
يلغ حديثى للهزبر مقاله	فلعل تبرأ منــــه نار توقده
لا تبق إن ظفرت يداك بمالك	يا قاهر الفرسان ياذا السودد

(قال الراوى) فلما سمع شيبوب ذلك الشعر والنظام وفهم معنى هذا الكلام خرج من الأطلال يجوب البرارى والجبال قال وكان عنتر حين فارقه أخوه شيبوب وهو فى نار لا تطاق ولهيب لا يخفى ومازال فى انتظاره إلى أن انتصف عليه النهار وإذا بشيبوب قد قدم عليه وصار بين يديه فوجده فى ضر أيوب وحزن يعقوب فلما أن نظره عنتر قام إليه وسأله عن حاله وهمه ومصابه وأشار إليه يقول صلوا على طه الرسول

أبرد غليل قلبى بالأشعار ... فلقد جرى كما الأمطار
روح بها روحى وخبر عنهموا ... قلبا غدا فى ضيقه الأحصار
كرر حديثك عنهموا يا قادما ... من دار أكرم بها من دار
بلغ بلغت الخير إن لاقيتهم ... وعرفت منهم يا أخى آثارى
أم قلت منهم لحظة أو نظرة ... يشفى بها قلبى وتبرد نارى
قسما بما جملت فؤادى والها ... ونأت عن الأسماع والأبصار
لا حلت عن ذاك الوداد عهده ... لو أن فى سقمى يكون بوارى
ما هب ريح من حماك عشية ... إلا وأهدت طيب الأخبار
منى على بهجة فلعنى ... أحظى بنيل الطيف فى الأسحار

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من أشعاره وسمع شيبوب حسن أوزانه أجابه على عروض شعره يقول صلوا على الرسول

مهلا أخى وقيت للأضرار ... وبقيت فى حرز من الأشرار
لازلت محفوظة الجناب مؤيداً ... مادارت الأملاك بالأقمار
قسما لقد عانيت كل الشدائد ... حتى أتيت بصابر الأخبار
ولقيت قرب الزفاف لعبلة ... فاصبر تنل بالصبر نجار
ولقد رأيت عبلة فى حسرة ... تبكى بدمع فائض مدرار
إن كنت ذا عزم فجد لخصما ... سيفا يقد الدرع مع أطمار
واعدد له رمحاً كعوبا أملدا ... يوم الكريهة قاصم الأعمار

(قال الراوى) ثم أن شيبوب لما فرغ من شعره قص على أخيه القصة التى سمعها عن عبلة وما قالت وما أنشدت من الأشعار وأعلمه بما فى قلبها من لهيب النار وقد انتجز أمر الزفاف ومضوا بها إلى بعلها وما بقى بينهم خلاف قال الراوى فلما أن سمع عنتر من أخيه شيبوب ذلك الكلام صار يسمع وقلبه يتقطع وعينه تدمع على ما فى حقه جميعه صنع ثم أنه استوفى الكلام ثانى مرة من أخيه شيبوب وقال له فى آخر الكلام وحق الكعبة الحرام وزمزم والمقام لا بد أن أفجع مالكا فى ولده عمرو لأن الاثنين منكران الجميل غير شاكرين

للنعمى وما فيهم إلا من يطلب قتلى ثم أن عنتراً أنشد يقول صلوا على طه الرسول

أرسلت جاريتى وقلت لها إذهبى ... وتحسسى أخبار عبلة واعلمى

قالت رأيت من الأعادى فترة ... والشاة مكنة لمن هو مرتمى

ياشاة ما قنصت لمن حلت له ... حرمت عليه وليتها لم تحرم

وبيبت عمى غير شاكر نعمتى ... والكفر مخبثه لنفسى المرغم

قال الراوى ثم أنهم لما دار بينهم الكلام وتناشدوا ماقد أنشدوا من الشعر والنظام أخذوا يتشاورون فيما يفعلون من المرام فقال عنتر لشيبوب أيما أحب وأجود الهجوم على بنى كندة وتخليص بنت عمى عبلة أو المقام فى تلك الربا والآكام فقال له شيبوب ياابن الأم إن المقام هنا أصوب وانتظارها فى هذا المحل أوجب لأن القوم فى جمع عظيم وخطب جسيم من فرسان العرب وها أنا قد أعلمتك بالسبب لأنى قد حذرتهم برأيى وفرزتهم بمعرفتى فوجدتهم يزيدون عن سبعة آلاف فارس وهم أبطال تناعس ما فيهم إلا كل مدرع ولابس غير الرجال والعبيد وكلهم شجعان صناديد فاذا دخلنا وعقدنا الصياح يحملوا علينا بسائر السلاح ويضربوا فينا بشفار الصفاح لأننا هنا كما تعلم مائة فارس ونحن فى قلة وفى أرض غربة ولاسيما إن أدركنا مسحل بن طراق الذى هو فارس الآفاق فقال عروة وحق علام الغيوب لقد صدقت فى الكلام ياشيبوب لأنى أنا الآخر سمعت عن هذا الرجل مسحل أموراً كثيرة وسمعت أنه فارس خطير وأنه غار على بنى عامر وجرح ملاعب الاسنة ورد الاعنة غشيم بن مالك وقتل أبطاله ونهب أمواله والصواب ياأبا الفوارس أننا نقيم حتى تخرج عبلة للزفاف وينجز الأمر بلاخلاف فهناك نحمل عليها ونأخذها ونعود وكل من لحقنا بذلنا فيه المجهود (قال) فأقام عنتر فى ذلك المكان وفى قلبه على بنت عمه النيران وماز الوا على مثل ذلك المقال والكلام حتى مضى عليهم ثلاثة أيام وما ظهر لهم خبر ولا أتى منهم بشر فقال عنتر لشيبوب ويلك ياابن السوداء لقد حملتنى من الأمر مالا أطيق وأشمت فى العدو والصديق لأنى خائف أن يكون القوم خرجوا من المكان وساروا بها على غير طريق واتسعوا فى البر والآفاق وتكون عبلة عند مسحل ابن طراق ويحظى منها بالضم والعناق وينال منها ما طلب ويبلغ ما يريد من الارب ونحن هنا فى الانتظار وما نعلم بما جرى من الاخبار وأنا وحق الملك الغفار خالق الليل والنهار والواحد القهار لارمين روحى فى هذه الديار ولو كان أهلها فى عدد رمل القفار وأفعل بهم فعلا يذكر مدى الاعمار حتى أبقى طريحاً فى وسط البيداء وتدوس على خيول الاعداء فقال شيبوب ربما يكون شغل شاغل عاقهم وعن الزفاف أشغلهم قال وكان لعاقتهم سبب وأمر مطرب عجب وذلك أن عبلة من حين زوجها أبوها لمسحل ما رقمت عينه عليها ولا رآها ضحكت بل أنها كانت مشتغلة بالنحيب

والبكاء والأنين والاشتكاء وهو يسمع منها ذلك ولا ينكر عليها لأنه يعلم بما وصل من الاضرار إليها حتى أتى شيبوب وأعلمها بزوال الكروب وشرح بذلك صدرها وزال عنها حزنها فصارت تأكل وتشرب وتلتذ وتطرب وتلبس من الحلل التى جاء بها بعلها فأبصر أبوها ذلك فأنكر أمرها وفعلها وبقى يحسب ألف حساب ولكنه لم يقع من أمرها على سبب من الأسباب قال فلما أشكل الأمر عليه شكا حاله إلى ولده عمرو وقال له أنا أنكرت على أختك فى هذه الأيام لما أن رأيت انبساطها بعد ذلك الغرام وأقول أنها قد سمعت عن ابن عمها خبر وإلا فما كانت تفعل هذا الفعل المنكر وأنا وحق اللات والعزى خائف أن يعارضها وقت الزفافة والراح فى الطريق وكنا والله نعد السعادة والتوفيق ويأخذها ويحل بنا التعويق ويبلغ منا مناه وينال من أخذها ما يتمناه وكل من مانع عنها أورثه قتله وفناه وأنا قد وهبت له دمى لما كان بينى وبينه ما كان وأشهد على وعليه كبار بنى شيبان وأنا والله خائف أن يقع بنا ويحل بنا البلا فقال له ولده عمرو لاتحدث نفسك بهذا الأمر من أين يقدر عنتر أن يأتى إلى هذه البلاد وإن أتى فما يكون معه عساكر ولا أجناد وإن عاونه أولاد الملك زهير وسار وا معه فى عسكر جرار أفنتهم عربان هذه الديار لأنها ما فيها لبنى عبس صديق ولا خل ولا رفيق وبعد هذا إن كان قلبك فزعان وخائف أن يتفق هذا الإتفاق فأنفذ خلف الأمير مسحل بن طراق وأعلمه بما خطر لك من الإنعواق حتى أنه يأتى إلى هنا جهارا ويسير بزوجته كما يحب ويختار وإن جرى عليها أمر من الأمور العظام فما يكون فى ذلك علينا ملام وأنت أخبر بهذه الأمور والسلام (قال الراوى) فلما أن سمع أبو عبلة من ولده ذلك الكلام أنفذ رسولا إلى مسحل يعرفه بذلك الأمر فلا يكون عليك ملام ويقول له اعلم أيها السيد الجليل أنى نكبت مع ابن أخى مرارا كثيرة غير قليل وأنا إلى الآن قلبى فزعان لأنى أعلم أنه هجوم على الأمور الخطيرة وله قلب على لقاء الأمور المنكرة وأن أمر زوجتك قد راج وما بقى فى إرسالها احتجاج ولكن أنا ما أقدر أن أبيتها مع أحد خوفاً أن يحدث علينا حادث من الأمور الحوادث والصواب أنك تأتى وتأخذها فى جماعة من رجالك وأبطالك وتمضى بها إلى أرضك وأطلالك قال فلما أن وصل الخبر مع الرسول إلى مسحل تبسم عجباً واهتز طرباً وقال إن هذا الرجل العبسى طائر القلب زائد الفكر بما هو فيه من خوفه من ابن أخيه عنتر ولكن ما فى الأمر إلا المسير كما أراد اليه وأتبع رأيه وأعطف عليه ولا أخالف مقاله وأنجز أحواله وإن كانت اللات والعزى ساقت هذا العبد إلى هذه البلاد كنت أفرج عليه مالك بن قراد وأريه فيه ما يسره وأمنع عنه ما يضره وأريه فيه ما أصنع إن كان قد غر ذلك العبد الطمع (قال الراوى) ولما فرغ مسحل من ذلك الكلام أمر قومه بالاهتمام وأن يكون ذلك بعد ثلاثة أيام ثم أنه جهز نفسه وركب رابع يوم فى سبعمائة فارس من فرسانه العوابس لابسين الحديد

والزرد النضيد راكبين على الخيول المجحفة وبأيديهم السيوف المرهفة على ظهورهم الدرق المكلفة وعلى أكتافهم الرماح المثقفة وقد تزينوا للزفاف بأطيب الملبوس حتى يفاخروا قدام العروس قال وماز المسحل سائراً برجاله وأبطاله حتى قدم على خاله فلما علم خاله بقدومه ركب إلى لقاه فى جماعة كثيرة من قومه وفى الجملة مالك وولده عمرو وجميع فرسانه الأخيار وقد التقوه على بعد من الديار فعند ذلك تقدموا إليه وسلموا عليه ثم لما فرغوا من السلام أخذوا يتحادثون فى الكلام وأخبر مسحل خاله بالكتاب الذى وصل إليه من عنده مالك أبى عبلة (قال الراوى) فلما سمع عمرو المقصود ذلك ضحك وقد تعجب وأخذه من فزع مالك الطرب فالتفت إليه وقال له ياوجه العرب سمعت أنك أرسلت إلى أختى كتاباً من خوفك من ذلك العبد المرتاب فقال مالك نعم أيها السيد الأمجد لأنى أعرف من ابن أخى مالا يعرفه أحد وخفت أن يأتى ويفعل شيئاً يلحقنا منه النكد وما فعلت هذه الأسباب إلا ورأيتها عين الصواب فاحتججت أنى أعلمك أيها الملك المهاب وأنا الآن ما أنا طيب القلب بهذا الحساب فقال الملك عمرو ياوجه العرب طيب خاطرك من هذه السبب فإن إبنتك الآن ما يقدر عليها كسرى ولا قيصر ولا الجندلى ابن كركر وملوك بنى الأصفر فافرح ياأمير بهذا الفارس الذى أذل رقاب الشجعان وأكل عقارات الملوك والفرسان ثم أنهم عادوا راجعين إلى الخيام ونزلوا واستقر بهم المقام وأكلوا الطعام وشربوا المدام وأتت إليهم العبيد بالنوق والجمال وشدوا عليها الهوادج من الأحمال وعليها الثياب الديباج الملونات ورفعوا عبلة على هودج من المحامل وهو جمل عظيم كامل وزينوها بأصناف الحرير الفاخر وألبساها الخلع المذهبات والعقود اللآلى المثمنات ودارت بها العبيد والإماء والبنات كما جرت بذلك العادات قال الراوى وكانت عبلة ما تحتاج إلى زينة من دون البنات لأن جمالها عجيب وكمالها غريب الغصن من قوامها تعلم الميل والإعجاب والسحر من جفونها يلعب بعقول أولى الألباب (قال) فلما أن تمت الأمور وبقيت عبلة على ذلك الحال ظهر الفرح والابتهال وطلعت أمها قدامها فى هودج ثانى وبنو كندة يتعجبون من ذلك الحسن وتلك المعانى وطلع معهم جماعة من بنات بنى كندة فى الهوادج المزينات والحلل الفاخرات المزركشات وساروا فى الربا والسباسب وبين أيديهم الخيل والجنائب والعبيد قدامهم يلعبون بالسيوف وجميع البنات إليهم تشوف والبرق قد ارتج من أسنة الرماح ولمعان الصفاح تقدم بين أيديهم مساحل بن طراق الفرسان من حواليه قد أكثروا الصياح والزعاق وفى أيديهم الصوارم القاطعة وعلى رؤوسهم الخوذ اللامعة (قال الراوى) كل هذه الأمور تجرى ومالك أبو عبلة وأخوها عمرو وأفراح الخلق بين العباد ويقولون فى أنفسهم أنهم تخلصوا من عنتر بن شداد وانزاحت عنهم جميع الأنكاد وعبلة فى هودجها

وقد أظهرت الفرح والاستبشار وصارت تكشف سجاف الهودج وتلفت فى البر والقفار وتنظر يميناً ويساراً قال وكان هودجها إلى جانب هودج أمها فبان لها منها المحال فقالت لها لما أبصرت منها الفرح بعد الهم والترح ويلك يا عبلة أنا لا كنت أقول أنه فى ذلك اليوم تنشف لك دمعة ولا ترد لك لوعة وأراك اليوم فرحة له مستبشرة بخلاف العادة فأى شيء هو السبب فى ذلك فلعل أن يكون من أجل هذه السعادة فقالت لها يا أماه أنا أقول لك أن الموجب لهذا الشأن هو أنى أيست من الرجوع إلى الأوطان وقد رأيت هذا الفارس البهلول الذى قد زوجتمونى به ورغبتم فى ماله وقد سلب عقلى بحسنه وجماله وقده واعتداله وظرفه وقوته وعذوبة منطقه وكلامه وحق اللات والعزى يا أماه أنه اليوم أحب إلى من كل أحد سواه ولا سيما وقد أقالنى من ذلك العبد الأسود لأنه فارس العرب وصاحب الحسب والنسب وأنه عالى المقدار وأحسن من البدر إذا استنار وحياة رأس أبى وأخى لو قدرت الساعة عنتر لأكلت من لحمه وشربت من دمه لأنى ضجرت مما أقاسى من أجله ومن كثرة هذيانه وشقشقة لسانه وأغضب أبى وأخى من شأنه وأعاير بسواده وقلة أعوانه ففرحت أمها بذلك المقال وانطلى عليها بذلك المحال فأعلمت أخاها وأباها بذلك السؤال فزادوا بذلك فرحاً وسروراً وابتهالاً هذا وقد قالت لها أمها يا عبلة من يكون اليوم مثلك وقد صرت صاحبة هذه الأرض والحاكمة فى طولها والعرض ثم انهم ساروا بعد ما دار بينهم الكلام وما زالوا سائرين إلى أن قاربوا المكان الذى كمن فيه عنتر فسمع عنتر صياحهم ففرح واستبشر وركب جواده واعتدل فى الحال هو وأصحابه قال وكان عنتر مراده أن يحرب عروة هو ورجاله فقال يا أبا الأبيض ها هى عبلة ابنة عمى قد أقبلت وإلى هنا قد وصلت وأنا أعلم أنها ما تأتى إلا والخيل خلفها تحميها ومسحل بن طراق وراها يطلب رضاها وأنت أحب إليك أن تلقى الخيل أنت ورجالك حتى آخذ عبلة وأسلمها لأخى شيبوب وآتى إليك وأعمل مثل أعمالك أو تقود أنت بزمام ناقتها وتحفظها حتى أرد أنا الخيل عنك وعنها فقال له عروة لا والله يا أبا الفوارس دعنى أنا احفظ عبلة وأنت ترد الخيل عنا ونحن نتولى أمرها فلما سمع عنتر ذلك الكلام تبسم لما أن رد عليه عروة بهذا الخطاب فى ذلك المقام وقال له أى وأبيك أيها الفارس الهمام أنا الكاسها شارب ولها مخاطب ومحارب فتسلم أنت وأصحابك بزمام ناقة عبلة إذا قربت من هؤلاء القوم اللئام حتى أريك ما أفعل فى ذلك اليوم مما تقر به عيناك فى هذا البر والآكام وأردعنكم الخيل من أول حملة وأفرق جميعهم جملة وسيروا بها إلى هذا الوادى حتى أشفى من هؤلاء الأوغاد فؤادى ولا يكون فيكم من يحمل لا قليل ولا كثير إلا أن رأيتم فرسان بنى كندة قد حملوا على جميعاً وطلبوا إلى التدمير هذا ما كان بين هؤلاء وأما ما كان من عبلة فإنها صارت تكشف سجاف الهودج وتلتفت يميناً

وشمالا وتتفرج على الأبطال فقالت لها أمها ياعبلة أن تلفتك فى هذا البر الأقفر ماهو إلا أن عندك خبر من ابن عمك عنتر فقالت لها من أين يعلم بى عنتر صاحب الوجه الأغبر وأنا مخبية لا يرانى بشر ولم يدخل على أنثى ولا ذكر وإنما يا أماه تلفتى هكذا فى البر الأقفر لأطلب الفرجة فى هذه الأرض والحجر لأنها أرض عزيزة وهى كثيرة الرياض والأشجار كثيرة النبات والأثمار فقالت لها أمها تكذبين يا لخناء فى هذا الأمر المنكر وحق اللات والعزى ماهذا التلفت وهذا الفرح إلا الخير أتاك من عند ابن عمك عنتر ومازالوا على مثل ذلك الكلام إلى أن سمعوا من بين أيديهم صياحا قد أقلق الربا والبطاح فسكتوا وإذا هم يسمعون قائلا يقول يا أوغاد غير أجاد جاءكم عنتر بن شداد وإذا به قد خرج من بطن الوادى خروج الجان وقد طلب عبلة وقاربها وسار قدامها وضرب العبد الذى هو قائد زمامها فأطاح رأسه على الثرى وضرب آخر فأنزل به العبر ودمه جرى والثالث أورثه الخبل والرابع كاد لهم تابع وطعن الخامس فقلبه والسادس والسابع والثامن صير الجميع سواكن وصاح يا أوغاد غير أجاد أنا عنتر بن شداد حبيب عبلة ابنة مالك بن قراد فلما علموا أنه عنتر هجوا منه بين يديه فى البر الأقفر من هول ما رأوا وما سمعوا عنه من الخبر فلما سمعه عمه مالك حلت به العبر وقد دارت به دواعى حسرته وانقطع كلام زوجته وقد وقفت العبيد عن قتاله لما رأوا من حربه ونزاله فعند ذلك ترنم فى سرجه ترنم السادات وعجب بفعاله التى جرت له بهذا عادا إلى وارتجز وأنشد يقول صلوا على سيدنا محمد النبي الرسول :

اليوم يوم به الهيجاء تضطرم	بمرهفات بها الأعمار تنصرم
يوم تحاربه الأبطال من فزع	من هول ماشاهدوا كم سال فيه دم
إذا الكماة تسانت من منيتها	كأس المحاق وقد كانت به الهمم
من غير ضحك ولا لهو ولا لعب	أبدى مضاربه والنقع مرتكم
هناك حقا ترانى فى معامعها	أبرى الرؤس ببيض حدها وضم
وأترك القرم ملقى فى صحاصحها	بأبيض الحدقة زادت به النقم
من ضرب هام ومن قطع ترى زردا	يظل من قسطل الهيجاء يرتسم

قال الأصمعى وأبو عبيدة المصنفان لهذا الكلام ولما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام زعق فى عمه مالك أبى عبلة وحمل عليه حملة وأى حملة وكان فى قلبه منه ألف دبلة وقال له لعنك الله بين الرجال ولا أقالك من المنايا والأهوال أبشر بالهلاك وسوء الارتباك فقد أتاك الليث المشابك وعقوم المهالك فلما سمع ذلك عمه مالك انقطع قلبه وزاد رعبه وأخذه الزمع وكف طرفه ودمع فهمز جواده وولى يطلب مسحل بن طراق حتى أنه يعلمه بما وقع من شؤم هذا الاتفاق فعند ذلك تسلم عنترا زمام ناقة عبلة وانفرج عن قلبه ما كان قد اعتراه من هذه

الدبلة وقال لها السلام عليك يامنية القلب ومزيلة الكرب وحبيبة الصب فقالت له عبلة وأنت حييت بالسلام ياذا البطل الهمام ياصاحب القلب القوى والفؤاد الجرىء والعنان الذى لايلتوى وصاحب الحسام الجوهرى والرمح المكعوب السمهرى فقال لها عنتر لاتسألى يا ابنة العم عما جرى لى بعدك من الهم والغم ياصاحبة الوجه المليح والقد الرجيح ثم أنه لما فرج عن قلبه تلك الكربة أشار ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

ياعبلة يا ابنة مالك بن قراد	غدروا وحبك فى صميم فؤادى
ولسوف القاهم بطعن خارق	بالرمح حتى تشتفى أكبادى
ولأضربن بالسيف وسط رقابهم	ولأطعنن بالرمح صدر أعادى
ولأصرمن أعمارهم وديارهم	ولأرتعن الوحش فى الأجساد
أنا عنتر ذو نجدة وحمية	من نسل ليث الحرب ذى الأمجاد
أنعم به فى الحرب فارس قومه	يدعى لذى الهيجاء يا شداد

(قال الراوى) فلما سمعت عبلة من عنتر هذا الكلام ورأت منه الاهتمام قالت له بلسان عذب مليح يداوى القلب الجريح ياابن العم أنعم الله صباحك وأزال همك وأتراحك ثم أنها أجابته تقول صلوا على طه الرسول :

فاليك عنترة الفوارس كل ما	أنا فيه من أمرى بغير مرادى
والله أنى لم أجل عن ودكم	لو كان متى يشتفى حسادى
فأعدد إليهم لأعدمنك دائماً	ضرباً وطعناً مهلك الاضداد
يا نسل عمى عنتراً ياليثنا	أسق عداك السم أنقع صادى
يا ابن عمى دام ركنى عالياً	ما دمت تحمينى من الأوغاد
أشبعهموا حرباً وضرباً دائماً	طعناً يشتق علائق الأكباد
حتى تعودوأنت قد فقدت الورى	فخراً وإقبالا وكيد أعادى
يعطيك ربى كل يوم قوة	حتى تعود بنيل كل مراد

قال الراوى فلما سمعت أمها منها ذلك الكلام قالت لها ياخناء أما قلت أنه ليس عندك خبر منه فأنى قالت عرفت هذا منك لما رأيتك تتلفتين فى البر الأقفر وحصل لك الفرح وزال عنك الضرر قال الراوى فهذا ما كان من عبلة وأمها وأما ما كان من العبيد فانهم لما عادوا إلى مسحل بن طراق وأعلموه بشؤم هذا الاتفاق وأحمرت منه الأماق واشتدت من غيظه الأشداق فحرك جواده هو وقومه إلى نحو عنتر على الخيول السباق وهو ينادى إلى أين تنجو منى يا عبد السوء وأنا فارس العرب والعجم واليمن والعراق وخلفى فرسان تطعن الرمح الدقاق ومازال يكب بالجواد حتى لحق بعنتر بن شداد وكان التحاقه به عند بابه

المضيق وقد أطلقت فى قلبه نيران الحريق وكان عنتر قد سلم عبلة إلى أخيه شيبوب فغدا بها كأنه الريح الهبوب وكان عنتر قال له أدخل بها إلى الوادى حتى أشفى من هؤلاء الأوغاد فؤادى ثم أنه عاد راجعا واستقبل وجوه الخيل ونزل عليها نزول السيل وقصد ركابها بالحرب والويل ونظر إلى مقدمها مسحل وهو فى المقدمة وهو فارس طويل فى تقاطيع الفيل وهو يهز رمحه على كفه وينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

أيسبي زوجتى راعى النياق ويرشقنى بسهم من فراق
ويلك ظبية أسرت فؤادى بسحر الجفن مع تلك الإماق
حرمت وصالها إن لم أقاتل على خيل مضمرة عتاق
وأسقى عبدها كاس المنايا بعسال من السمر الدقاق
وأترك فى ديارهمو عويلا تردده النساء بالاتفاق
أنا البطل قد شاع ذكرى بأرض الروم من أرض العراق

قال الراوى لهذا الكلام صلوا على بدر التمام فلما سمع عنتر منه ذلك الشعر والنظام حمل عليه حملة الغضب وعبس فى وجهه وقطب وأجابه على عروض شعره يقول صلوا على طه الرسول .

أمسحل دون وصلك والتلاقى طعانا بالمثقفة الدقاق
وضربة فيصل من يد ليث كريم الجد فاق على الرفاق
ودون عبيلة ضرب المواضى وطعن منه تنفجر الاماقى
أنا الأسد الذى خبرت عنه وذكرى شاع فى كل الآفاق
إذا طعن الفوارس هام خصم فطعنى فى النحور وفى الاماق
إذا افتخر الجبان بفضل مال فمخرى بالمضمرة العتاق
ألا أن المنية رحى رأس وما من طعنتى بالرمح واقى
ألا أن الفخار على وقف فلا بعدى لمن يرقى التراقى
ألا أنى سبقت لكل فخر وقد أعيا أكابرهم لحاقى
ألا فاخبره لكندة ما تراه طريحاً من فناه مع محاق
وأوصيهم بما تختار منهم فما لك رجعة من ذا التلاقى

قال الراوى فلما سمع مسحل شعر عنتر استعظم بكلامه عليه واستهوله لديه فأجابه يقول .

من يفتديك الآن بالاطلاق من سطوتى يا أرذل العشاق
ياقاتلا بالسيف منه لنفسه ما كان اغناها عن الاشواق
ياساعيا يبغى خراب دياره مهلا رويدا لاننا لحاقى
قد أوثقتك يد المنا وثقة لاتستطيع بها إلى الاطلاق

سل مجمع البحرين عما أودعت فيهم يداى فما لهم من واق
وأسأل قلوب الثاكلات رجالهم ماقد لقوا من شدة الاحراق
ماهز كفى صارما فى معرك إلا وذلت لى ذوى الاعناق

(قال الراوى) فلما فرغ مسحل من كلامه فما أمهله عنتر أن يتم جملة نظامه دون أن حمل عليه حملة بطل همام وأخذ معه فى الطعان والصدام والانطباق والالتزام فالتقاه مسحل بن طراق وقد أكثر من الصياح والزعاق وأخذ معه فى الانطباق والافتراق وتضاربا على القاع بالسيوف الرقاق إلى أن طار عليهم طيور الأجل وحمى الحر واشتعل واشتد الكرب والوجل وثار الغبار وتقسطل وأبصر مسحل بن طراق من عنتر ما أطرش منه السمع وأعمى منه البصر واندهل عقله وتحير ولكنه أظهر الصبر والجلد قدام عنتر بعدما كان منه تقهقر وتأخر وأخفى عند ذلك الكمد وزاد عليهما الغبار وانعقد ورأى عنتر أن الخيل أدركته من جنبات البر والفدفد فهاجم خصمه مهاجمة الأسد وطعنه طعنة الحنق والحرد فأخرقت الطعنة ماعليه من الزرد ومزقت أحشاه والكبد وخرج مافى أحشائه وتبدد وانقلب إلى الأرض فصار مثل الجذع الممدد وصار يختبط فى دمه ويضرب فى عندمه ويلعب بيديه ورجليه وداست سوابق الخيل عليه وبعد ذلك انطبق عنتر على الخيل وتلقاها بمضارب الحرب والويل وكانوا قدهابوه وصاروا يرقبوه بالأحداق لما رأوا منه تلك الطعنة التى طعنها لمسحل بن طراق الذى كان فارس الآفاق ووقع فى قلوبهم منه الفزع وزاد بهم الهلع والجزع وقابلوه على قدر جهدهم حتى أيسوا من الوصول إليه وأبصروا المنايا تحمل من خلفه ومن بين يديه فاوسعوا من قدامه وصاروا يتهاربون من حواليه بعد ماقتل منهم جماعة من أصحابهم وتفرق الباقون على أعقابهم وكان أبو عبلة وأخوها لما وقعوا فى تلك الأمور التى عاينوها قد أخذوا فى هزيمتهم مما قاسوه من الشدة ولم يزل مالك وولده عمرو آخذين فى الهزيمة مما نظرا من الشدة حتى أشرفا على حى بنى كنده ونادوا بالويل والثبور وعظائم الأمور ثم صاحا فى صوت واحد ياللعرب دهمتكم الفرسان والأجل قد اقترب فعند ذلك تقدمت إليهم الشجعان وجميع الليوث والافران وركب الملك عمرو المقصور وهو مما سمع مدهوش ومقهور وسأل عن ذلك الخبر فاخبروه بما فعل عنتر وقالوا له أدرك ابن اختك بن عندك من الفرسان قبل أن تغتاله صروف الزمان ويهلك ويدمر هذا القرنان وكان الذى اخبره بذلك مالك القرنان ابن ألف قرنان فقال الملك عمرو ويلك ياشيخ لاتقل هذا المقال فإنى لا أخشى على الأمير مسحل من هذا المهان لأن هذا الغراب لايقع ماذخل أرضنا وبقى منها يرجع إلا

يبصر ولا يسمع وأنا أعلم وأتحقق أنه ما بقي له في الحياة مطمع واليوم الوحوش في لحمه ترتع. وإنما أنت تقول هذا المقال لأجل ما حل بك من الأوجال ثم أنه بعد ذلك الكلام سار بجد بجواده وقد تبعته فرسانه وسائر أجناده وساروا حتى يكشفوا الخبر واندفقت المواكب خلفه مثل البحر إذا زخر فبينما هو قاصد إلى مسحل يقتفي منه الآثار وإذا بالخيل التي كانت معه قد التقت به وهي مبددة في القفار وهم ينادون وأسفاه عليك يا أمير مسحل يا بن طراق وقد أكثروا عليه الصياح والزعاق فعند ذلك وقف الملك عمرو وسأل المنهزمين عن ذلك الأمر فتقدم إليه بعض الفرسان وأعلمه بما جرى على مسحل من القتل والهوان فكاد أن يغشى عليه ولا بقي يعرف ما بين يديه وبقي على حاله وقد ضاقت عليه المسالك وهو يقول ما كان أشأم وجهك علينا يا عبلة يا ابنة مالك ثم أنه صاح على الفرسان وأعلم الشجعان بما جرى وكان فأطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة وقد علت منهم الضجة والرنة وطلبوا رؤس الروابي والتلال وقد أكثروا من البكاء والأعوال وساروا وهم مثل السحاب السيال قال الراوي وكان عنتر لما فعل تلك الفعال التي صارت إليه وقف بعد هروب الأبطال من بين يديه على مصرع مسحل بن طراق بعد ما جمع الأسلاب والخيول العتاق وسيرها قدامها وصار لهم محامي وكان عنتر عند وقوفه على مصرع مسحل بن طراق رأى فيه الروح وهي تتردد للسياق وهو يعدو على الحصى والجندل فلم يأخذه على خروج روحه مهل بل ضربه بسيفه الظامي فجعله قطعتين وصار على الأرض فلقتين وكان مسحل هذا أول قتيل قتله عنتر فلتين ثم أنه صار ينظر إليه وبقي يتعجب مما جرى عليه فقدح خاطره بشيء من الشعر يقتضي هذه القضية وهي أيضاً من قصيدته الميمية وقد أشار يقول صلوا على طه الرسول

وخليل غانية تركت مجندلا	تمكو فريسته كشبه الأرقم
سبقت يداى له بعاجل طعنه	ورشاش نافذه كلون العندم
فشككت بالرمح الأصم ثيابه	ليس الكريم على القنا بمحرم
فتركته جزر السباع تنوشه	يقضمن قلة رأسه مع معصم
كم سائقات قد قتلت رجالها	بالرمح منتهبا كشبه الضيغم
ولقيت شخصاً بالقداح قد انتشى	هناك رايات مهين المكرم
لما رآنى قد نزلت بداره	أبدى نواجذه بغير تبسم
فطعنته بالرمح ثم علوته	بمهند صافى الحديد مسمم
عهدى به ذاك النهار كأنه	رأس البنات تزينت بمعظم

قال الراوي فلما فرغ عنتر من شعره والنظام نظر بعينه إلى ذلك البر والآكام وإذا به قد ملىء برجال مثل قصب الآجام وغبار قد ثار كأنه قطع الغمام والجيوش من تحته قد.

تلاحقت والأبطال إليه تسابقت والصوارم فى أيديهم قد برقت وأسنة الرماح السمهرية على أكتافهم قد أشرفت والفرسان من أربع الأرض تبددت والكل ينادون وحق ذمة العرب الكرام لا تركناك يا عبد السوء ترجع من هذا المقام (قال الراوى) فلما أبصر عنتر إلى بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح والجميع ينادون باسمه ويصيحون عليه وكل منهم يتسابق إليه نهض عند ذلك من الغيظ والحرد حتى كان أن يطير ما عليه من اللباس والزرد وبقى لا يدرى لمن يخاطب ولا لمن يحارب ولا لمن يدافع ويجاوب فلما زاد به الأمر والغرام تذكر الشعر والنظام وهو أيضا من القصيدة الميمية يقتضى ما أحاط به من تلك العسا كر الكندية فترنم وجعل يقول صلوا على الرسول :

لما رأيت الخيل أقبل جمعهم	يتبادرون مهمهم ومدمدم
يدعون عنتر والرماح كأنها	أشطان بين فى لبان الأدهم
يدعون عنتر والسيوف كأنها	برق تلألأ فى سحاب مظلم
يدعون عنتر والنبال كأنها	طير الجراد على كثيب أعظم
يدعون عنتر والدروع كأنها	حدق الضفادع فى غدير ملجم
أفنيتها جما بهمة أبجرى	وبصيرة حتى تسربل بالدم
فأزور من وقع القنا فزجرته	فشكا إلى بعيره وتحمحم
لو كان يدرى ما المخاطبة اشتكى	أو كان ينطق مال نحو تكلم
والخيل عابسة الوجوه كأنها	تسقى فوارسها نقيع العلقم
إن يلتقونى بالأسنة لم أحل	عنها ولكن لا أضيق بمقدم
فى حومة الموت قد تشتكى	غمراته الأبطال است بمحجم

(قال الراوى) لهذا الكلام ثم إن عنتر لما فرغ من ذلك الشعر والنظام وقد رأى ما أقبل عليه من العسا كر فى ذلك البر والآكام تلقى تلك الجيوش القابلة بقلب لو قابل الصخر الأصم لأبدى الثبات وصار يبرى بسيفه الرماح الردينيات ويسوق الرجال بضربات مستوفيات وهو يسابق المنايا بسوابق الطعنات النافذات وكلما تكاثرت عليه الفرسان وضاق بين يديه الميدان يصرخ فى وجوه القوم فيردها وترجع تتقهقر إلى ورائها فيبيدها وهو يطعن فى صدور الخيل طعنات متضاعفة لا يقدر على مثلها أرباب الصناعة حتى قل من ساعده الحال وصار النهار فى وجه مثل الليل وهو مع ذلك قد بلى بالحرب والويل ولما تكاثرت عليه الخيل صار إن ضرب رأسا شقه وإن طعن ضلعا دقه فعند ذلك زعق عمرو المقصور فى رجاله وصار يقوى سائر

شجعانه وأبطاله فصارت ترمي نفسها على عنتر وهو نازل فيهم كأنه حصاد الشجر وهو مع ذلك صابر صبر الكرام وقد جعل يلقح الرؤوس كقطر الغمام وقد اختار لنفسه الهلاك والعطب ولم يطلب الهزيمة والهرب وقد سد بوجهه كل مذهب (قال الراوي) فبينما هو في ضيق الخناق وقد أظلمت في عينه الآفاق وإذا بعروة بن الورد قد أتى بمن معه من الرفاق وهم يكثرون من الصياح والزعاق والكل وقد شنقوا رؤسهم وأكبوها في قرابيس سروجهم وقد طاب الموت على نفوسهم وقد صاح الجميع بأعلى أصواتهم يا لعبس يا لعدنان وحملوا لمعونة عنتر مثل العقبان وقد طعنوا في صدور الفرسان ❊ (قال) وكان السبب في قدومهم إلى ذلك المكان أن شيبوبا لما وصل إليهم ومعه عبلة حين خلصها عنتر من العبيد أخذ عشرة من رجال عروة برسمها وحفظها ثم قال شيبوب لعروة هيا الحق إلى أخي عنتر فإنه قد تكاثرت عليه العسكر وقد كنا ذكرنا أن عنتر قد قال لعروة ورجاله لا يحمل منكم أحد معي حتى ترون الأعداء قد أحاطت بي وتروا منهم الضرر لي فهناك أحملوا عليهم حملة الحنق ولا يكن فيكم من يتأخر ولا يفترق (قال) ولما جرى لعنتر ما جرى من الأمر والشأن أحاطت به جميع الفرسان وقد حل به ذلك الأمر المنكر صار في انتظار القوم كما دبر فإذا بعروة قد أقبل وغباره قد تقسطل فرأوا فرسان بني كندة قد دارت بعنتر وطمعت فيه لوحدته في ذلك البر الأقفر هذا وقد قال عروة لرجاله أحملوا الآن يا بني عمي حملة ناجحة بقلب واهتمام ولا يكن فيكم من يحدث نفسه بالإنهزام ولو شرب كأس الحمام لأن هذه أول نوبة قاتلنا فيها مع عنتر البطل الهمام وما صاحبناه إلا لأجل أن ننال النصر والظفر ما دمنا في قيد الحياة وكان قصد عروة بذلك الإيراد أن يريهم وقعات عنتر بن شداد ويعلمهم الثبات في الحرب والجلاد وكان الأمر كما ذكر لأنهم لما رأوا حملاته على الأبطال وثباته في المجال صارت قلوبهم مثل الجبال وصار كل واحد منهم يلتقي ألفا من الرجال وكان في ذلك الوقت لحملتهم طنة ورنة وشدة وقد استظهروا على بني كندة فلحقهم الوهم العظيم لأنهم ظنوا أنهم جيش جسيم فلما أن رأوا إلى ذلك الحال تأخروا عن عنتر وقد اتسع له المجال وتمكن في تلك الساعة من الحرب والطعان ومال عليهم بالسيف اليمان وتارة بالرمح المزان وطلع الغبار إلى العنان واعتكر ولعبت الخيل بجماجم الرجال كالاكره هذا وقد تقلقلت الأحشا وعادت الخيل الدهم برشا وسكر الشجاع من عظم الحرب وانتشا وولى الجبان حائرا مندهشا وسمع عنتر تلك الساعة صياح عمه مالك في بني كندة وهو يقول لهم من غير مهلة أقتلوا هذا العبد ولد الزنا وافرغوا منه الأجل كما قتل

سيدكم مسحل لأنه فى الحرب قد اشتغل ولا تهابوا هؤلاء الفرسان الذين قد أتوا إلى نصرته فكلهم مائة فارس فاقتلوهم لأن آجالهم قد ساقتهم إلى هذه الديار لأجل فنائهم وفراغ الأعمار (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه قصده حتى وصل إليه وقتل من كان من الرجال حواليه وهم أن يضربه بالسيف ليعجل منيته فخشى عند ذلك عاقبته فتقرب إليه ومسكه من خناقه حتى كاد أن يطير أحداقه ورماه إلى الأرض فكاد أن يجعل له التلاف فانقض عليه شيبوب وشده بالكتاف وقوى منه السواعد والأطراف فحمل ولده عمرو على عنتر فضرب شيبوب جواده بنبلة فرماه وأدركه قبل أن يقوم وأجاد منه الكتاف وقد قوى منه الأطراف وأقرن كتافه بكتاف أبيه وأشمت بهم الأعادى وطلب الاثنين بطن الوادى هذا وقد شاع الخبر فى بنى كندة بما حصل له من تلك الشدة فتتابعت فرسانها فى النجدة وقد أكثروا على بنى عبس العدد وزاد المدد وصبرت رجال عروة وأظهرت الجلد وحماها عنتر كما يحمى الأشبال الأسد وما أمسى المساء حتى أعدم من جمعهم أبطال وجرح منهم أقيال فالتجؤا إلى جبل هناك على رأس الشعاب وقد ملوا من الطعان والضراب وازدادت بهم الموا كب يسدوا عليهم الطرقات والمذاهب ونزل الملك عمرو على فم المضيق وفى قلبه من عنتر نيران الحريق وحوله من الفرسان سبعة آلاف ومافيهم إلا من حل به التلاف وكل منهم يصف عنترا وقتاله ويذكر مالاقى من أعماله والملك عمرو يقول والله إن الجن تفزع من قتاله ولا يقدرون أن يدنوا منه خوفاً من أعماله ونحن كنا نلوم عمه إذا سمعنا أقواله وما علمنا أن أهله أخبر بأحواله وأنه والله إن خرج من أرضنا سالما عايرتنا به العرب من جميع الجهات ونصير معيرة على ألسنة النساء والرجال والبنات فقالت سادات بنى كندة وحق البيت الحرام لابد من تقطيع جسده بحد الحسام ولو هلك منا ألف فارس همام ثم أنهم باتوا وفى قلوبهم من الحقد شىء عظيم وكذلك ملكهم على فقد مسحل حزن الحزن المقيم وأما رجال عروة فإنهم لما جرى لهم ماجرى ورأوا غالبهم مجروحين على الثرى لاموا بعضهم بعضا وقالوا ما أحد عمل بنفسه مثل ما عملنا نحن بأنفسنا فمن قلة عقولنا أتينا فى مائة فارس همام نلتق بنى كندة وهم فى سبعة آلاف من فرسان اليمن وما حسبنا حساب ما يأتى من المصائب والمحن وأما عنتر فإنه رجل عاشق وفى بحر الهوى غارق ولو كان فى رؤسنا عقل ما كنا تبعناه ولكن مقدمنا عروة هو الذى أطمعنا فى المحال ووعدنا بنهب الأموال حتى ألقانا فى الهلاك والوبال (قال) وكان القوم يتحدثون سرا بينهم وعنتر ملق باله معهم وما خفى عليهم حالهم فقال لعروة ياأبا الأبيض أن رجالك قد واقعهم الندم وآيسوا من السلامة

هو أيقنوا بالعدم والرأى عندى أن تأخذهم وتنجو بهم فى هدوء الليل وأنا أرد عنكم من يتبعكم من الخيل حتى تبعدوا فى تلك السباسب وأنا أعود إلى تلك المواكب والكتائب التى أحدقت بنا من كل جانب حتى أكسرها وأنهب أموالها أو تخطفنى على رؤس رماحها ونصالها فقال عروة لا والله يا أبا الفوارس ما فينا من يفارقك إلا إذا لعبت الخيل برؤسنا وصرنا مثلا وعبر ومن ندم من رجالى هو وشأنه أخبر وإذا وقع الحرب إن شاء يتقدم وإن شاء يتأخر ثم أنهم أكلوا من الزاد ماسد رمق الفؤاد وأمر عنتر لعروة أن يتعاهد عمه بشىء من الطعام هو وولده ويطيب قلوبهم بالكلام وقد قام هو إلى عبلة يبل شوقه منها بالنظر ويسألها عن حاله وما جرى لها فى الغربة والسفر فقالت له والله يا أبا الفوارس ما أظن أنه لاقت جويرية مثل ما لقيت ولا قاست مثل ما قسيت ثم أنها حدثته بما كانت تقاسى من كثرة الأشجان فقال لها وقد تألم قلبه لأجلها وقال لها وحياة عينيك يا إبنة العم لو علمت أن قلبك يسلم من الهم والغم ما كنت تركت أباك يشم نسيم الهواء وإنما أنا أنظر فى عواقب الأمور ولو أنى قتلت أباك أو عمرو أخاك كنت لبست عليهم ثياب الأحزان السود وتواظبين على البكاء والتعداد وشمتت بك الأعداء والحساد يقولون عبلة على شان شهوة نفسها لأجل عبد أسود كان يهواها قتلت أباها وأخاها فقالت يا ابن العم قد بلغت هذه الرتبة العالية ولم يرفع عنك اسم العبودية فقال والله أنى لا أنكر ذلك فى حبك لأنى عبده وأسير عيناك ثم أنه ضمها إلى صدره وقبلها بين عينيها وفى ثغرها فقبلته الأخرى فى فمه ونحره وضمته إلى صدرها وقد زال عنه ضرها وصارت تحلف له أنها تحبه أكثر مما يحبها وأنها تريد قربه أكثر مما يريد قربها ومازالت تلاطفه بالكلام حتى زال عنه التعب والسقام وقد حدثته نفسه أنه يلقى كل من الدنيا ثم أنه قام وركب ظهر جواده بعدما اعتد بعدة جلاده وخرج من المضيق وشيبوب فى ركابه لأنه له أخ وشقيق وركب عروة ورجاله وطلعوا وراءه إلى خارج الطريق ولم يزالوا كذلك إلى أن أشرفوا على بنى كندة وقلب عنتر على رجال عروة وما قاسوا من الشدة وهو يقول يا أبا الأبيض قلبى يحدثنى بقتل هؤلاء القوم وإنجاز أمرهم قبل أن يصبح الصباح لأنهم إذا سمعوا فى الليل الصياح ضرب بعضهم بعضا بالصفاح وهج أكثرهم فى البر والبطاح فقال عروة يا أبا الفوارس ما هذا صواب لأننا قاتلناهم فى النهار وأخذنا معهم فى الضرب والطعان وعلموا أن عددنا هذا المقدار وإذا خالطناهم فى ظلام الليل ثبتوا لنا ويكون هذا الأمر علينا وبل وربما سارت فرقة منهم وراءنا ووضعت السيف فى المجروحين الذين خلفنا وربما أخذت عبلة ولا ندرى إلى أى المواضع أخذت ونرجع نتعب فى خلاصها وتكون هذه الفعلة من أيدينا فعلناها مثل ما سلفت قال ثم أنهم ناموا على ذلك الحال إلى مضى من الليل

الأكثر وبقى القليل لوقت السحر وإذا ببنى كنده قد خمدت نارها وركبت جموعها وعادت طالبة ديارها وكأنهم مالهم أثر وقد تزلزلت الأرض من شدة الركض فعلم عنتر بهذا الحال فظن أنهم قاموا يطلبون الحرب والقتال فقام وقامت معه رجال عروة الأخيار وتأهبوا جميعاً للحرب والقتال فعند ذلك رأوا الخيل طالبة بلادها فقال عنتر لأخيه شيبوب مالى أرى هؤلاء القوم عادوا على أعقابهم فلا شك أن خبراً مشؤوماً قد أتاهم من ناحية بلادهم ويلك قل لمن معنا من الرجال يدركوهم لأجل نهب الاموال فقال شيبوب لا تهجم على من لا تعرف له سبب والصواب أنك تصبر حتى أسير وأكشف لك الخبر وأقتفى منهم الأثر لأنى خائف أن تكون حيلة عملوها علينا حتى نتقدم إليهم فيرجعوا علينا ويتملكوا من حربنا وطعاننا ثم إنه أطلق رجليه للريح وطلب البر الفسيح وجعل يقتفى آثار القوم لينظر ما كان من أمرهم وصار أخوه منتظراً له حتى طلعت الشمس وأقبل النهار وهو على مقالى النار لأجل معرفة الأخبار وإذا به قد طلع من بين الروابى والآكام كأنه ذكر النعام حتى أقبل عليه وقال له والله لقد كان الرأى معك فى اتباع آثارهم ولكن خفت عليك أن تكون حيلة أو خال من الاحوال وقد تعلق قلبى بالمحال قال وكان السبب فى رحيلهم ذلك أنه قد أتاهم خبر أن بسطاما قد طرق ديارهم وقلع آثارهم ونهب أموالهم وسبى حريمهم فلما سمع الملك عمرو بهذا الخبر رجع على عقبه هو ومن معه من الرجال على الأثر هذا وشيبوب قد تبع آثارهم إلى أن لحقهم وسأل عن أحوالهم حتى عرف أخبارهم ورجع على الآثار وأعلم أخاه عنترا بتلك الاخبار قال فبينما هو يكلم أخاه بهذا الكلام وأراد عنترا أن يتبعه إلى الديار وإذا هو بغبار قد علا وثار وبعد ساعة انكشف للأبصار وظهر من تحته فرسان كأنهم العقبان على خيول كأنهم الغزلان والكل ينادون يالعبس يالعدنان (قال) وكان هذا الجيش القادم به من بنى عبس وعدنان والمقدم عليهم أربعة من أولاد الملك زهير الاعيان وهم شاس ومالك والحارث وورقة وصحبهم شداد وأخوه زخمة الجواد وهم فى الف فارس من كل ليث مداعس كأنه الاسد العابس وهم مثل عياض بن ناشب وغالب بن واثب وسهل بن ناهب وعامر بن الجلاح الاكمل ابن الصباح ومهلهل بن الوشاح وهلال بن قلاح ومن يجرى مجراهم من الفرسان الأوقاح الذين كان الملك زهير يسطو بهم فى الحرب والكفاح وكان يتقوى بهم على قبائل العربان لان مافى هؤلاء من يتلقى الالف فارس فى الميدان (قال) وكان السبب فى مجيئهم إلى هذا المكان سلمى أخت عروة الورد الفارس المهان وذلك لما رحل برجاله خالف عنتر واقتفى منه الأثر وخلاها فى أبيات بنى قراد وأوصاها إنها تكتم ذلك الإيراد عن النساء والرجال والاولاد كأمره عنتر بن شداد فعملت تلك الفعال إلى أن رأت إحراق النساء والرجال لفقد عنتر فخافت على أخيها من شرب كاس الوبال فأعلمت الأمير شداد بهذا الخبر وأن أخاها صار من

ورجال ولده عنتر وقد سار معه برجال إلى بنى كندة. لأجل خلاص عبلة وأبيها عمرو وأخيها، وقد أعلمته أن أخاها صار خير صديق عند كل شدة وضيق وأعلمته كيف خلصها من الهوان، وكيف أنها رجعت بعد ذلك إلى الأوطان وكيف التقاهم النجاب فى البر والآكام وأخبر عنتر أنه من عند الأمير بسطام وأن عمه قد ظهر خبره فى بنى كندة فتوجه إلى تلك الديار وتبعه أخو عروة فى البر والقفار فلما سمع شداد من سلمى هذا الكلام قام من وقته وساعته ودخل على الملك زهير الهمام وأخبره بذلك الخبر فتنهد وتحسر وما هان عليه فقد الأمير عنتر فالتفت إلى أولاده الأربعة المقدم ذكرهم وقال لهم أنا خائف على حامية القبيلة من بنى كندة ومن الملك عمرو المقصور لأن لها ابن أخت يقال له مسحل بن طراق شرس الأخلاق وفارس مر المذاق والمشاع عنه أنه فارس الآفاق فاسرعوا إلى مساعدته ونجدته وإذا اجتمعتم به سلموا عليه وأخبروه أنى مريض وإلا كنت سرت إليه فعند ذلك فرحت أولاده بمسيرهم خلف عنتر ثم أنهم اختاروا من بنى عبس الفرسان الذين ذكرناهم وركبوا من وقتهم وساعتهم وجدوا المسير فى تلك القفار وشاس فى أوائل أخوته وهو سائر يذشد الأشعار يقول:

سيروا سريعا وارفلوا القتال	إن الكريم له لذوا عجال
حثوا الضوافن يا بنى عبس فقد	حزتم كمالا فوق كل كمال
هزوا الصوارم والذوابل شرعوا	من كل رمح أسمر كهلال
أو كل ذى متن صقيل مرهف	قد زانه للضرب ضرم صقال
يا آل عبس بادروا أعداكموا	حتى تروا من ذابل ونصال
وترون عنتر سالما فى صحة	قد حاز عبلة واحتوى للمال
من مبلغ أسد الحروب فانه	من خير خل صادق الأقوال
فيه المحبة والوداد وخير من	أعطى نخارا فى مدا الأحوال

قال الراوى فلما فرغ شاس من أشعاره ساروا يقطعون الأرض فى طولها والعرض. حتى أشرفوا على بنى كندة والتقوا بعنتر كما ذكرنا وقد خلص مما كان فيه من تلك الشدة فسعى إلى أولاد الملك زهير ورفع صوته بالدعاء لهم كما وصفنا فقال له شاس يا أبا الفوارس نحن عاتبون عليك فى أفعالك لأنك تسافر فى قضاء أشغالك ولا تطلعنا على أحوالك فلو قضى عليك فى بعض السكرات انفجعت فيك النساء والبنات وحرمت علينا المسرات فقال له عنتر يا مولاى إنى ما أفعل هذه الفعال إلا لأجل إنى لا أشمت بكم الأعداء الأندال ويقولون على كلام الأرذال أن سادات بنى عبس تسير مع عبدها حتى تعينه على سلطان الهوى والعشق والجوى فقال له أبوه ويلك ياولدى وأنت من شأن هواك ترمى نفسك فى البلاء حتى بقيت العرب كلها أعداك فقال عنتر نعم يامولاى لأن الإنسان إذا بلى بظالم لا يحفظ

العهود والمواثيق فيبذل نفسه دون بلوغ المقصود ويقتل روحه ويموت وهو مكمد فقال شداد وحق ذمة العرب يا مولاي لو تركت أنت عمك حتى تذوق طعم الغربة ويعرف مرارة فقد الأحبة لكان يرجع إليك ذليلا مهان وكنت تبلغ منه ما تريد من غير ضرب ولا طعان فقال عنتر يا مولاي كيف اخليه يخرج من يدي ويقتلني بحسرتي وكمدي ثم أنه حدثهم بما فعل في بني كندة من النفاق وكيف أنه زوج ابنته لمسحل بن طراق وما عمل في عرب تلك الآفاق وما لاقى من تحت رأس فاعل هذه الفعلة من الشقاق وكيف فعل فعلا يسطر في الأوراق فتعجب القوم كلهم من فعاله وما عمل من أعماله (قال) ثم أنهم بعد ذلك سألوه عن عمه مالك وما كان من أعمال وأحواله وأيضا عن جموع بني كندة الأنذال فقال لهم أما عمي وولده فانهم عندي في الاعتقال وبنو كندة فانهم رحلوا من قدامي إلى ديارهم يطلبون خلاص حريمهم والعيال من قبضة بسطام وبني شيبان لأنه لما سمع بمجيئهم إلينا هجم عليهم وأسر من أسر وقتل من قتل وأنا كنت سائر إليه فكان قدومكم إلى في هذه الساعة هو الذي أعاقني عن نجدته قال فلما سمعوا مقاله زاد تعجبهم من معظم سعادته ثم أنهم ساروا إلى محل الوقعة فرأوا مالكا أبا عبلة وولده عمرو هم قد أشرفوا على التلاف مما هم فيه من شدة الكتاف فقال لهم شاس وقد أشفى غليله من مالك وقال له يا لشيم عشيرته ما أخبث ساعة نزلت فيها إلى دار الدنيا ويلك أما تستحي على نفسك وقد صرت مثلا في سائر الأحيا وأحدوثة لكل من سمع ودعا ولكن هذا المقام الذي أنت فيه أنت أحق به وأولى لكن الجاهل الذي هو مثلك هكذا لا يفرق بين النعيم والعذاب ولا يعرف الخطأ من الصواب فقال له غير المقت جواب فوحق ذمة العرب لقد فرحت لكم بهذا الشد والكتاف حتى تعرفوا قدر الأمير بلا خلاف فقال له مالك أبو عبلة وقد اشتد عليه هذا الخطاب وقد علم أن أولاد الملك زهير ومن معهم من الأصحاب ما أتوا إلا عصبية لعنتر فقال لهم يا وجوه العرب ومن هم متوجون بأنواع الفضل والأدب أنا ما أسلم ابنتي لهذا العدو ولي لسان ينطق وجارحة تحق إلا أن تقتلوني وتسقوني شراب المنية وتأخذوها من يدي غصبا مسبية حتى يكون عذري عند الناس واضح وعرضي سالما من الفضائح فقال له شداد وذمة العرب ما أدعك تأخذ مال ولدي وتنكر كل خيره وتزوج ابنتك بغيره ولأن حكمنا نحن أشد وأقوى من حكمك وإنما هذه الجارية نردها إلى أهلها وأرضها ولا تزال في قبيلتها مع جوارها حتى تطلب الزواج لنفسها فتزوجها لمن تريد ونفعل نحن عرسها كما تحب وتختار فقال لهم عنتر اشهدوا علي يا سادات الحاضرين أن عمي إذا رجع دياره ونزل فيها وقر قراره وستر ابنته من الفضائح وأراحها من التشتت بين كل غاد ورائح فاني ما طلبتها أبدا ولا أقيم في الحي على طول المدا بل أجعل مقامي عند أختي في بني غطفان وأهجر لأجله الأهل والأوطان

وأنظر الفرج من الرحيم الرحمن ولكن ما أدعه يزوجها لغيري وأنا في دار الدنيا فان فعل فأنا أقابله على فعاله وأعجل من الدنيا ارتحاله فقال له شاس لما سمع ذلك الكلام هو ومالك بن الملك زهير يا مالك لا تكن قليل الخير أتريد أكثر من هذا القول من ابن أخيك فهذا هو قد استخارك على نفسه وبروحه يفديك فقال مالك يا مولاى الشرط والحكم الذى له تريد لا يكون إلا قدام أبيك السعيد فقال عنتر وحق من أمر البرق فانبسط وأمر الغيث فنزل وهبط أنى موافقك على هذا الشرط الذى تقول عليه واتفق الأمر على ذلك وشهد به أولاد الملك زهير وهم شاس والحارث وورقة ومالك ونزل شداد وحل كتاف أخيه وولده واتفقوا على هذا الشأن . هذا وقد زادت بعنتر الأشجان فانشد يقول صلوا على طه الرسول

صبرا وإن كان صبرى فى الهوى عدما ... وأذرف الدمع حتى قيل صار دما
يا راحلون وفى قلبي لهم سكن ... لكن عندى إليهم عزة وظما
كم ذا أذوق ضنى من سوء فعلكموا ... جود والصبح روض الحسن مبتسما
يا مانحى كل يوم نكبة عجزت ... من حمل أثقالها فرساننا العظما
وأصبح العم يجفونى ويبغضنى ... وفى بحار الفنا يبغى لى العدما
أما خشيت بأن أعلوك فى غضب ... بأبيض مرهف يغتال محترما
إن جئت خيرا فانى لا أفوز به ... وما بنيت من المعروف قد هدما
لا حلت عنكم ملالا فى محبتكم ... لأنكم فى الهوى أبقيتم السقما
إنى صبور على ذل تعاهدنى ... إذ لا أذل وعزى فى السماء سما

(قال) ولما أنشد عنتر لهذا الشعر والنظام عزم على المسير إلى مساعدة الأمير بسطام وقال لأولاد الملك زهير وأنتم ياسادتى أن أردتم أن تريحوا أنفسكم من القتال فأقيموا إلى أن نعود وأنا عبدكم على طول المدا فى كل حال فقال له شاس لا وحق الملك المتعال الذى خلق الجبال ويعلم وزنها كم مثقال ما نسير إلا معك ولا جئنا إلا لمعونتك وأينما سرت نتبعك ثم أنهم ساروا بالألف فارس الذين وصلت معهم وعنتر سائر بين أولاد الملك زهير وهم مالك وشاس وقد صار عندهم أعز من جميع الناس فجال الشعر فى خاطره فأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

هموا تنالوا العلا ياجيرة الهمم ... ولا تميلوا إلى عجز ولا منام
وخالطوا العز فى الدنيا ولا تردوا ... مواردا لذل من خوف من العدم
ليس التقى لهوان المرء يورثه ... زهدا يقى لذة المأكول بالسقم
يا طالب المجد قم واسهر لتدركه ... فطالب المجد لم يرقد ولم ينم
وانهض وشمر ولا تركن إلى كسل ... وجود العزم مثل الصارم الخذم

ياشاس ياسيد الشجعان كلهم أنت الرجاء لنا من سائر الأمم
ياسيدا لم يزل يعلو بهمته حتى بدا لعيون الناس كالعلم
أبخل بعرضك من شيء يدنسه فالبخل بالعرض معدود من الكرم
والبس من الصبر درعا لا تزال به من النوائب فى حصن وفى حرم
وسرح الخيل فى الهيجاء منتقما يوم الهياج وأفنى كل منتقم
وأعقد سماء عجاج من حوافرها وامطر الأرض من تلك السما بدم
وأبذل الناس بالباس الشديد إلى أن يصبحوا فى امتثال الأمر كالعدم
واسمع الصم وقع المرهفات كما تبدى مرارتها فى الرج كالعدم
ياشاس كن كابيك الآن فى همم حث المطايا وبادر فى دجا الظلم
القائد الخيل لا تثنى عزيمته عن الرجال ولا يدعى سوى اللجم
سرى بها منه وضاح الجبين إذا دعا هواها بنور القلب والقمم
إذا التجأت إليه عند نائبة كأنه منك أدنى من يد لفم
كم موقف لك فى يوم الحروب جرت نار أضاءت بقدح البيض فى اللمم
صيرتهم خير ما صاروا به مثلا كما يحدث عن عاد وعن إرم
ولو مددت إلى زهر النجوم يدا تساقط روس أعدانا عن القمم
وسالمت المنايا مع تسلطها فاستك لعظم الناس لم تحم
ورافقتك سيوف الهند ناصحة إذا ألمت سيوف الهند باللمم
وأنت فقت لكل الخلق قاطبة وحزت فخرا على الأعراب والعجم

(قال الراوى) فلما سمع شاس من عنتر ذلك الشعر والنظام قال والله يا أبا الفوارس ما تركت لشاعر كلاما ولا أبقيت له نظاما فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من بسطام فانه لما رجع إليه الاعرابى وأخبر بما قال عنتر من الكلام وأخبره كيف أنه عزم على أن يسير إلى بنى كندة لينزل بهم البلاء والشدة ولا يأخذ معه أحدا من العرب فقال بسطام والله لا قعدت عن ذلك السبب ثم أنه انتخب من بنى شيبان ألف فارس وكانوا من الفرسان العوابس والجميع أنجاد شداد معدودون ليوم الطراد وسار يقطع الجبال والوهاد إلى أن وصل إلى أرض بنى كندة وكان وصوله إليها وقت زفاف عبلة وكان قد بقى لهم يوم واحد ويسير بها إلى بعلها فأرسل بسطام عبدا من عبيده يكشف له الخبر فسار العبد وعاد إليه وأخبره أن عبلة سارت إلى ناحية بعلها فكاد قلبه أن ينفطر وذلك لأجل انقطاع خبر عنتر فعند ذلك قال لرجاله تأهبوا للحرب والقتال حتى أريكم الليلة ما أفعل ببنى كنده وبجعلها أشأم الأعراس وماز السائر إلى أن أشرف على المضارب وقاربها فسمع فى البيوت البكاء

والعويل فقال لمن معه من بنى شيبان لقدرابنى هؤلاء العربان وأنا أقول أن صدق حذرى فان عنترا خرج عليهم فى الطريق وأعدمهم التوفيق وأخذ العروس وربما أنه يكون قتل مسحلاو أن فرسان بنى كندة قد ساروا خلفه وتركوا الأموال والعيال وماخطر لنا لهم على بال ثم أنه هجم على الحى كما ذكرنا وقتل من كان تخلف من الرجال وساق جميع الأموال وعاد وهو يقول الساعة تتفرق الرجال عن عنتر إذا سمعوا بهذا الخبر وذلك يكون أن كان حسابى قد صدق وأمر عنتر قد اتفق * قال وكان الحساب الذى حسبه بسطام هو الصحيح وقد وصل إلى بنى كندة مافعله بسطام فى حيهم وقت السحر فرجعوا عائدين على الأثر وقد تفرقوا عن عنتر وجعلوا يقتفونه من بسطام الأثر فلحقوا به وداروا حواليه من كل جانب فعندها إلتقاهم بسطام ومن معه من فرسان بنى شيبان وفعل بسطام فعل أولاد الحلال وردعن قومه المواكب والرجال وكانت بنو كندة وقد فاقت بكثرتها على بنى شيبان وعادر بحهم إلى خسران قال وفى ذلك الوقت أشرف عنتر بمن معه من الفرسان وقد رأى ما حل ببنى شيبان فقال والله من هذا كنت خائفا على أبى اليقظان ثم أنه حمل فى بنى عبس الشجعان الذين ما فيهم مقصر ولا جبان وكان قد وقع لعنتر فى قلوب بنى كندة هيبة عظيمة وشأن وعند حملته قشعرت منهم الأبدان ونظرت عدد فرسانه قد زاد عما كان وهو بين أيديهم كأنه الأسد الغضبان وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

لله درك يا أبا اليقظان ... مع ضيغم شرس على الأقران
صبرا أتاك مغمد الأسياف فى ... قمم الملوك وقاتل الشجعان
يا آل كندة قد أتاكم فارس ... قهر الكماة بصارم وسنان
حاسل سيفا مرهفاً فى معرك ... إلا سطا كالأسد فى القيعان
إن الملوك تخاف شدة سطوتى ... أو ماترى كل الورى تخشانى
أنا فالق الهامات فى طلب العلا ... أنا هازم الأبطال والأقران
الفخرى فخرى والزمان أمدنى ... والوقت وقتى والعلاء المكانى

(قال الراوى) ولما نظرت بنو كندة إلى صورة عنتر وهى كالنار التى لا تبقى ولا تذر فعند ذلك اجتمع العقلاء منهم وأتوا إلى الملك عمرو المقصور وقالوا له الذى نعرفه من هذا الشيطان أنه مادخل وراءنا إلى هذا المكان إلا وقد أتت معه جميع بنى عبس وعدنان فقال لهم الملك عمرو الرأى عندى أنكم تقاتلون وأنتم متأخرون ولا تجعلوها كسرة حقيقية فيبيد كم ويهتك الطريقة ويقلع منكم الأثر فى دون ساعة شاع فى بنى كندة هذا الخبر وصارت تقاتل وتتأخر فعلم عنتر منهم ذلك الحال فأوصل الطعن إلى صدور الرجال وصارت الهزيمة

حقاً وتبددت بنو كندة غرباً وشرقاً قال والتقى عنتر ببسطام وقال له والله لقد تفضلت علينا فى الأوائل والأواخر وما بقينا نقدر على مكافأتك أبداً لأنك أنت جدت بروحك وجعلتها لأرواحنا فدا فقال بسطام والله يا أبا الفوارس ما خدمتك إلى نادر آخر على ممر الشهور والايام فعند ذلك شكره عنتر وأثنى عليه وحدثه أن عمه عليه غضبان ثم أنه قال وقد عولت على أن جعل مقامى فى بنى غطفان فقال بسطام لا وحق مكون الاكوان لا خليتك من يدى ولا تركت مقامك إلا عندى لأجل ما لك على من الإحسان لأنى أولى بخدمتك دون الانام فلعن الله عمك ما أعمى بصيرته من دون العربان فقال مالك بن زهير نحن ما نخلى ابن عمنا يخرج من أيدينا لأن فراقه يشق علينا حتى يرضى عمه مالك وتنحل عقدته ويدخل على عبلة زوجته فقال شداد أعلم يا مولاى مالك أن إقامة ولدى عند الامير بسطام أصوب والصلح على مدا الايام لان أرضه من أرضنا قريبة وما هى عنا بعيدة حتى يريد الملك العلام الذى خلق الضياء والظلام وأنا آخذ عبلة بنت أخى عندى حتى ينصلح حال ولدى ويزول همه وغمه فرضى الجميع بذلك المقال وقد انفصل الامر على ذلك الحال وما زالوا على ذلك الايضاح إلى أن أصبح الله الصباح وعزم الامير بسطام على الرواح وأراد أن يقسم الغنيمة على بنى عبس الشجعان ويساوى بين جميع الرجال فحلفوا أنهم لا يأخذون منها ولا عقال بل قالوا هذه الغنيمة لابن عمنا عنتر يأكلها مدة إقامته عندك يا أمير بسطام ثم انهم تودعوا من بعضهم بعض وعولوا على أن يفترقوا من تلك الارض فعند ذلك بكى الامير شداد على فراق ولده عنتر وفاض دمعه وانحدر وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

أحسنت ظنك بأيام إذا حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها ... وعند صفو الليالى يحدث الكدر
وكم على الأرض من خضر ويابسة ... وليس يرحم إلا ماله ثمر
وفى السماء نجوم الاعداد لها ... وليس يكسف إلا الشمس والقمر

قال الراوى ثم أنه صار كل منهم إلى طريق وجعلوا يجدون المسير فى الوديان وقد سار عنتر مع الامير بسطام وجعل بسطام يحدث عنتر ويشاغله عن ذكر عبلة ويذكر له أخبار المتقدمين وأحوال العشاق وما لقوا من الهجر والفراق فقال عنتر والله يا أخى يا بسطام ما أظن أن أحداً لاقى مثل ما لاقيت ولا قاسى مثل ما قاسيت ولم يزالوا سائرين إلى أن تنصف النهار فعندها وقف عنتر عن المسير ونكس رأسه إلى الارض وبهت ساعة من النهار وتنهد وتحسر وجرت دموعه تنحدر وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

ألا أن وجدى ظاعن ومقيم ... وهوى عبيلة فى الفؤاد جسيم
وورود خديها وبهجة قدها ... بدر منير مشرق وبهيم

وقوامها ألف وعطفة صدغها   نون ومبسمها المشهد ميم
والمسك نكهتها ومبسم ثغرها   الند الكافور والمشموم
عجبا لقلب كيف يتبعه الهوى   فكأنه حذر الحمام خصيم
صبرا إذا عطفت رياح صدودها   فعسى يهب من الحبيب نسيم
أستغفر الله العظيم من الخطأ   رب كريم راحم ورحيم
ثم الصلاة على النبي خير الورى   من جاء منه الخير والتكريم

قال الراوى فعندذلك قال له بسطام ما بالك يا أبا الفوارس ويا زين المجالس فكانك لما جال فى قلبك حب عبلة تغيرت أحوالك فقال عنتر والله يا أخى أما ماذكرت من عبلة فصحيح وأن هواها فى قلبى مقيم وإنما أنا حسبت حسابا وأنا خائف منه فقال بسطام ما الذى خطر ببالك حتى تغيرت أحوالك فقال عنتر اعلم أننى خائف من بنى كنده أن يعلموا بحالنا وأن كل فرقة منا صارت فى طريق فيسير لهم الملك عمرو المقصور هو ومن معه من قومه وربما أهلك أحدا من بنى عبس المشاهير وإنى أخاف على أولاد الملك زهير أن يهلك أحد منهم وتقع بنا الخسارة ويشمت بنا الربيع وأخوه عمارة فقال بسطام والله لقد نظرت موضع النظر ولكن كيف يكون الحال فى هذه الأمور والأحوال فقال عنتر الصواب إنك تأمر فرسانك أن يسيروا بهذه الأموال إلى دياركم والأطلال ونتبعهم أنا وأنت وعشرة من الرجال ولا نزال نقتفى من بنى عمنا الآثار حتى نبعد عن هذه الديار ونعود فى عرض البرارى والقفار إلى أرضكم كما نحب ونختار فعندذلك أمر بسطام قومه بالمسير إلى الديار مع الغنيمة والأموال بعدما انتخب منهم عشرة أبطال وعاد عنتر وبسطام وشيبوب بين أيديهم يغدو كأنه ذكر النعام حتى أبعدهم فى القفار فما أصبحوا إلا وقد قطعوا الوادى الذين كانوا مقيمين فيه أولا وتأملوا الطرقات فما بان لهم غير حوافر الخيل راجعة فقال بسطام أعلم يا أبا الفوارس أنه ما عند بنى كندة شغل شاغل من أتباع أعدائهم فقال عنتر ليس فى الاحتراس من باس ولا يذمه أحد من الناس ولعلنا نقيم اليوم هاهنا ونرحل وقت السحر فهذا ما كان من هؤلاء الفتيان (وأما ماكان) من بنى عبس وعدنان فانهم لما بعدوا عن عنتر ضاقت صدور أولاد الملك زهير لفراقه وكان شاس عول على أن يقتل مالكا أبا عبلة من شدة ماجرى على قلبه من الهم والذلة فرجع عن ذلك وعاوده عقله ثم أنه سبق الجيش فى البر الأقفر وقد تبعه نصف العسكر ووافقه على ذلك شداد أبو عنتر وبقى مالك بن زهير فى خمسمائة فارس لاغير فجعل يترفق بعبلة ويداديها لأنه كان أطول روحا من أخيه شاس وأكثر مداراة للناس فأشرف على أرض يقال لها أرض بنى الريان مليحة الجنبات كثيرة الغدران روائحها عابقة وغدرانها رافقة وغزلانها رامقة آمنة من الطوارق السارخة فى المغارب والمشارق فحل

المالك الخالق وكان قد قل من القوم الزاد لبعد المالك فشكوا من الجوع إلى الأمير مالك فقال لهم دونكم وصيد الغزلان من هذه الدحال التي هي قريبة من تلك الغدران ولا ترجعوا إلا بما يكفيكم أنتم ومن معكم من الاخوان فأجابوه إلى ذلك الأمر والشأن وركبوا خيولهم وتفرقوا في جميع الوديان وكذلك الأمير مالك وافق على هذا الأمر والشأن وركب فرساً من خيل أبيه العوال وطلب مهب الشمال وصار يطعن الوحش ويمدها على الرمال فبينما هو على تلك الأحوال إذ قد ظهر من بين يديه ذكر النعام وقد غدا من فزعه يهيم بين الروابي والآكام هذا والأمير مالك قد أخذ عليه الخنق وتبعه وهو مثل السهم إذا مرق وقد طاب له أن تهلك فرسه ولا تفوته فريسته ومازال يهيم في تلك الآكام حتى فاته ذكر النعام فوقع بما لك على صيده نار الأصرام فبينما هو كذلك إذ لاح له بدوي قائم وناقته باركة وخلفه جارية تخجل البدر إذا قابل طلعتها من لين قامتها وفي يدها مقود فرس ذلك البدوي وهي قائمة وراءه والدمع يسيل على أجفانها وتتلهف من عظم حرقتها وزفرتها (قال) فلما نظرته إلى مالك بن الملك زهير وهو يتلفت يميناً وشمالا أشارت إليه بيدها شبه المستجيرة وصارت تطلب منه نصرة لما هي فيه من الحيرة فعلم مالك مرادها ولكنه ما أجابها بل قال ربما أنها زوجته أو أخته أو قريبته وقد ضربها وسخط عليها فأطلقت الجارية مقود الفرس من يدها وتوحت به في وجه الفرس فشرد في البر فصرخت الجارية بالبدوي يا وجه العرب الحق الفرس فإنه شرد فعندها ترك البدوي الناقة وتبع الفرس بعد ما لطم الجارية على وجهها فكاد أن يطير مقل عينيها (قال) ولما بعد البدوي في البر وثبت الجارية إلى مالك وقبلت يده وقالت له انجزني يا صاحب الوجه الضاحك والطلعة البهية وخلصني من هذه القضية فقال لها مالك أنت ما تكونين منه يا حرة العرب هل أنت زوجته أو أخته أو هو من بعض أقاربك وأهلك وأحبابك فقالت لا والله يا مولاي ما هو من أهل ولا من أقاربي بل هو غريب أجنبي وقد قتل بعلي وابن عمي ومن كان أعز الناس عندي والسبب في ذلك أننا كنا راجعين من ولمة وطالبين قومنا وأوطاننا فالتقانا هذا الشيطان فاهاننا هذا الهوان وإن كنت ما تعرفني فأنا أعرفك بنفسي أنا الملقبة بالرعد القاصف في البرية وقد أخذني من ابن عمي مسبية بعد أن قتله وأنزل به الرزية وأنا مستجيرة بك يا مولاي أن تخلصني من هذه البلية ثم إنها زاد بها الأمر فبكت وأنت واشتكت وأشارت تقول صلوا على طه الرسول ﷺ

صن حرة غدرت بها الأيام	يا فارسا خضعت له الأقوام
ياذا المكارم والأيادي والعلا	فعليك مني دون الآنام سلام
ياذا البها والجود يا رحب اللقا	يا ملجأ المهموم يا ضرغام
أحسن إلى وكن مجيري يا فتى	يا منجزي يا منقذي يا همام

إنى رجوت الخير فيك فراسة   إن الجميل إذاً إليك يقام
يامن يراعى للحريم بحمية   أنت الذى لايعتريك سقام

(قال الراوى) فعند ذلك أخذت مالكا الحمية والنخوة الجاهلية لأجل ماعاين من جمالها وماسمع من شعرها لأنه على كل حال ملك ابن مالك همام من بنى عبس الكرام الذين تسميها العربان فرسان المنايا وأحمام بين الأنام لأجل ثباتها على ضرب الحسام فقال لها مالك أبشرى ياحرة العرب بالسلامة من بعد الندامة وسوف أخلصك من هذا الاعرابى وأتركه مجندلا فى الروابى (قال الراوى) فبينماهو ومعها فى الكلام وإذا بالبدوى وقد عاد وهو راكب على الجواد فرأى مالكا وهو قائم والجارية تشكو إليه فقامت فى رأسه مقل عينيه فعند ذلك أخذ الرمح وعاد إلى مالك وهو يقول ويلك يانذل العرب من أين لك حتى تخاطب جوارى الفرسان وأى شىء الذى أتى بك إلى هذا المكان يانذل ياخوان هيا اخلع ماعليك من السلب قبل أن أسقيك شراب العطب وسلم إلى نفسك قبل أن أسكنك رمسك وإن كنت ما تعرفنى فأنا أعرفك بنفسى ثم أنه أنشد وجعل يقول :

ياجاهلا بمكانة الشجعان   مهلا ستبقى رمة القيعان
ياابن الزنا أما سمعت بحملتى   وبصولتى وبشدتى ومكانى
من أى قوم أنت لاأسقوا الندى   فاشرب كؤس الموت فى الميدان
اليوم آخر حد عمرك أن فى   كفى كعوباً مثقفاً بسنان
أو ماعلمت بأننى أسد الفلا   أو ماترى كل الورى تخشانى
أو ماعلمت بأن دهرى صارم   فى راحتى للعائظين لشان
أو ماعلمت بأن مجدى باذخ   حتى علا شرفاً على كيوان
والأسد تخشانى وتعرف همتى   وأنا الصبور إذا الزمان دهانى

(قال الراوى) فلما فرغ فياض من شعره ونظامه وسمع مالك كلامه وأبصر حملته وإقدامه علم أنه فارس شجاع وقرن مناع فأجابه يقول :

اسمع كلامى ياأخا العربان   يامن سعى فى حتفه وهوان
ثكلتك أمك سوف تلق ضيغما   متعوداً صبراً على الفرسان
كم من شجاع قد تركته مجندلا   قد كان مثلك قائل الهذيان
ياابن اللئام أما خشيت عقوبة   الاصنام أو رب السما الديان
أو ماتخاف الموت ياكلب الورى   يا أندل الفرسان والشجعان
حتى غدرت معارضاً لحرائر   الاعراب والانجاد والفرسان
ما كنت من رجل ردىء أصله   ولقيت بغيك وسط ذى القيعان

اليوم أسقيك المنون حقيقة　　أبشر فإن الموت حولك دانى
لم تركب الخطب الذى حاولته　　كلا ولا تسعوا إليه يدان
فأنا الذى سجدت له جن الفلا　　خوفاً ومجدى فى العلا أعلانى
من ذا الذى ينجيك منى فى الورى　　وأنا كريم الأصل من عدنان

(قال الراوى) ثم أنه حمل عليه وصاح فيه واستجاده بطعنة فراغ عنها ذلك البدوى فراحت خائبة من بعدما كانت صائبة وكان هذا البدوى أشد من مالك فى المعاركة والشباك فصاح فى وجهه وهجم عليه ولاصقه وضايقه وسد عليه طرائقه وأرمى الرمح من كفه وقبض خناقه وهزة وهو فى هرجه ومرجه فاقتلعه من بحر سرجه ثم أنه أخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا وقد أعجبه جمال صورته وحسن لباسه وعدته فعلم أنه ابن ملك جليل القدر عالى الذكر فقال له ياغلام من أنت ومن أى العرب تكون أصدق قبل أن أسقيك كأس المنون فقال له مالك أعلم ياوجه العرب أنى ما أنا من أراذل الرجال وما أنا قليل المال أنا مالك بن الملك زهير صاحب الكرم والخير فقال البدوى بخ بخ أنت والله طابتى وبك تقضى حاجتى وأبلغ بك أمنيتى ثم أنه شد كتافه وعارضه فوق جوادو قال له ياوجه العرب ما بقيته تبرح من يدى حتى تسلم لى أسود كم عنتر حتى أننى آخذ ناصيته وأنحره نحر القبر وإلا فعلت بك أشأم الفعل وأقتلك فى هذه الرمالى فقال له ما السبب الموجب لذلك وأى شىء لك على عنتر من الذين حتى تطلب فناه فهل أنت من أعداه فقال البدوى أعلم ياوجه العرب أنى خطبت جارية من ديارنا والأطلال وبذلت لأبيها ما تملك من المال وكل ماطلب من النوق والجمال فقال أبوها يافتى أنى ما أزوج إبنتى لالمن يأتينى برأس عنتر ويأخذ ثارى ويكشف عنى عارى لأنه هو الذى قتل ولدى وفتت عليه كبدى وأوهى منى جلدى فقلت له ياعماه عند من يكون ثارك فقال لى أما قلت لك عند أسود من بنى عبس اسمه عنتر لأنه غار على أطلالنا وقتل ولدى ونهب ما تملكه يدى وتركنى إلى الآن بأسوأ حال وحلفت أنى ما أزوج ابنتى إلا لمن يأتينى برأس عنتر ويأخذ لأخيها منه بالثار ويكشف عنا العار فلما سمعت منه ذلك الكلام والمقال ضمنت له قتل اسود كم ابن الانذال وأعود برأسه إليه وأبلغ منه الآمال وما خرجت من المنازل والأطلال حتى أنه أعطانى يده على هذا الحال وسرت أطلب ديار كم والاطلال فوقعت بهذه الجارية وهى سائرة مع إبن عمها فقتلته سرعة وملكتها وبعد ذلك وقعت أنت فى يدى وبك أبلغ غاية قصدى فلما سمع مالك منه هذا الكلام تعلق بأصناف المحال وبأذيال الطمع وطلب الخلاص منه بالخداع فقال للبدوى ياوجه العرب اشكر اللات والعزى التى قربت عليك الطريق والسفر وأرحتك من ركوب البر الأقفر لأن عنترا ههنا فى أرض الرباب وما معه أكثر من خمس فوارس من الأهل

والأصحاب وأنا من جملتهم وقد فارقتهم من أجل الضيد لأنه قد لاح لى ظليم عظيم فطردته إلى هذا المكان ومات وقعت بى أنت ألا وأنا تعبان وجوادى قصر عن الجولان ونصرت على وبلغت المراد وقد بلغت الفرصة وها نت عليك القصة فسر إلى غريمك إن كنت كما زعمت عن نفسك أنك فارس نجيب لتظفر بحاجتك عن قريب فعندها صاح البدوى وقال له ياللعرب وأخذه الفرح والطرب وقال لمالك وحق ذمة العرب إن كنت صادقا فى هذا الكلام فسوف أطلقك وأحسن جزاءك لأنى متى وقعت عينى على عبدكم عنتر فأنى آخذه أسيرا ولو كان فى ألف فارس تركتهم بين جديل وعفير وهذا الأمر ينبغى أن يكون من أعمال غد لأن هذا اليوم قد فات وانقضى والصواب أنى آخذ الراحة فى بقية هذا اليوم وأصبح أسودكم فى صباح غد مع باقى القوم لأنه مادام فقدك ما يبرح من هذه الأرض وربما سار فى طلبك ويأتى هذا الديار بسببك وإذا سلك هذا الطريق أعدمته السعادة والتوفيق ثم أن البدوى نزل عن الجواد وأمر الجارية أن تسيره وقدم بين أيديهم شيئاً من الزاد وصار يأكل ويطعم مالكا ويسأله عن سبب مجيئه إلى هذه الديار ومالك يحدثه بزخارف الكلام والمحال ويخبر بخبر مالك أبى عبلة كيف هرب بابنته إلى بنى كندة وأن عنترا أتى وراءه فى خمس فوارس من بنى قراد وقد سرق عبلة وعاد وكنت أنا معه على سبيل المعونة والإسعاد فقل ما معنا من الزاد فنزلنا نتصيد فى هذه المهاد لعلنا نقع بشىء نسد به رمق الفؤاد * ومازال مالك يحدثه بالأفل ويخفى عنه الأكثر حتى دخل الليل واعتكر ومالت إلى الغرب كواكب وازدحمت فى الجو مواكبه واضطجع البدوى ونام وتعبت الجارية من المشى والقيام وكانت قد زادت بأسر مالك همومها لأنها كانت السبب فيه فأنساها حزن نفسها (قال) ولما علمت أن البدوى قد نام أتت إلى مالك وحلت كتفه وقبلت رأسه وقالت له يافتى أطلب أنت لنفسك النجاة ودعنى أنا وهذا الشيطان المريد يفعل بى مايشاء ويريد فقال لها مالك لا وحق ذمة العرب لافعلت ذلك السبب وتركت هذا الجبار يتحكم فيك لأنه إذا فقدنى يعلم أنه من فعالك ثم أنه وثب وأخذ سيفه وأراد أن يهجم على البدوى وهو نائم وإذا بجواده صهل فانتبه البدوى وأبصر خيال مالك فقام كأنه من بعض العمار وسل حسامه وطلبه وكان مالك قد ملك الحسام فتقاتلا تحت غسق الظلام وضاح كل منهما على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه ودام بينهما الضرب بالصفاح حتى طلع الصباح وتعب مالك وأثخن بالجراح ورأى نفسه أنه هالك فسلم نفسه للبدوى فلما ملكه أعاده إلى الشد والكتاف وربطه على حجرته بالخلاف وصار يقول له ياابن الانذال كل ما حدثتنى به زور ومحال ولا بد أن أضرب رقبتك مادام أنك خداع محتال ثم أنه عاد إلى الجارية وعلم أنها خامرت عليه فجلدها بالسوط وشدها على الناقة وركب جواده وصار وظن

كأنه حاز المجد والفخار فأنشد وقال:

سلوا عن فعالى والدماء تسيل ... بأعلى القنا والصافنات تجول
وتشهد لى البيض الرقاق لدى الوغا ... بأنى على الهامات سوف أصول
إذا قيل هذا اليوم يوم كريهة ... أخوض لظى نيرانه فيزول
ويركض مهرى فوق أجساد فتية ... له من دماهم غرة وحجول
فلا تطلبوا غيرى إذا النار أضرمت ... فمثلى إذا اشتد الهياج قليل

(قال) ثم أنه طالع من المستوى والشمس قد أشرقت على الاطلال والربا وتعالى نورها وأضاء فرأى عند ذلك رجل يسعى فى الفضاء قد أطلق قدميه خلف غزالة يريد أن يصيدها وهى قدامه تجرى كأنها الريح تطلب اتساع البر الفسيح وهو وراءها كأنه الشهاب إذا انقض من السماء فى دجا الظلام حتى لحقها بسرعة جريه وأمسكها من قرنها والبدوى ناظر اليه واليها وقد تعجب من جريه وشدة عصبه فبينما هو ينظر إليه وإذا قد طلع وراءه عشر فوارس غائصون فى الحديد والزرد النضيد وتحتهم خيول تقطع بهم البر والبيد وبين أيديهم فارس كأنه برج مشيد وبجانبه فارس آخر يقاربه فى الهيبة والشجاعة والجميع إلى الرجال طالبون وإلى نحوه قاصدون (قال) فلما نظر الاعرابى إلى حسن لباسهم وهيبتهم وقف ينظر إليهم وهم قد مالوا إلى الهودج فرأوا مالكا وهو مشدود على جواده فأعنوا الخيل ووقفوا وتقدم الفارس المقدم ذكره وأراد أن يسأل الأعرابى عن حاله فصاح فيه البدوى صيحة منكرة وقد احتقره وقال له ويلك من أنت من فرسان العرب تنتسب إن كان ينجيك النسب قبل أن يحل بك الويل والعطب فعند ذلك زاد بالفارس الغضب ووالى عليه الصخب وصرخ فيه صرخة كاد عقله أن يذهب وقال له ويلك ما أعمى قلبك عن أصحاب الرتب ويلك أنا الفارس المنتخب والهمام المهذب ودافع النوب أنا فارس الجلاد وحية بطن الواد الضارب بالسيوف الحداد مفرج الكروب الشداد الكريم الآباء والأجداد عنتر بن شداد وأنت من تكون من العرب الأوغاد ومن هو هذا الأسير الذى معك مشدود على ظهر الجواد ومن هذه النائحة الأخرى التى تنادى وهى تطلب الخلاص من الكريم الفتاح وقد أقلقت البر بالصياح فقال فياض وقد اهتز على جواده طربا وصاح به أهلا وسهلا بحامية عبس ومرحبا بأسود الشمائل وأبيض الخصائل وفارس القبائل إليك وحياتك أتيت قاصداً إلى نحوك وأرجع ثم أنه أخبره بقصته وأن مهر زوجته أتلف مهجته وجز ناصيته فقال له عنتر هذه قصتك قد عرفتها وما يكون هذا الفارس الذى معك مشدود فى الوثاق فقال له هذا مولاك وابن مولاك الذى قد ألحقك بالنسب وأدخلك معه فى الحسب مالك بن زهير فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء فى عينيه كالظلام فبينما هو كذلك وإذا قد لحق به

بسطام وسأله على تطويل الكلام فأخبره بما سمع من البدوى من المقال وبجميع ما جرى من القيل والقال فقال بسطام لله درك يا أبا الفوارس ما أخبرك بعواقب الأيام والدهور والله لقد حسبت هذا الحساب وطلع كل ما ذكرته من الأمور عين الصواب (قال) وكان عنتر لما رجع من خوفه على بنى عبس أن يلحقهم لاحق أبصر القوم مشتغلين بمصابهم عن غيرهم فأقام باقى نهاره ويومه وليلته مختفيا إلى الصباح وقال لأخيه شيبوب جد بنا فى عرض البر والبطاح حتى لا تبرح نقابل قومنا حتى يخرجوا من أرض بنى الريان وبعد ذلك نعرج على مفرق السودان ونطلب بعد ذلك أرض بنى شيبان ففعل شيبوب ما أمر أخوه وتبعه بسطام ورفقاؤه وعلم أن ذلك من كثرة عشقه لعبلة والحب الذى حواه ففعل هذه الفعال حتى لا يزال قريبا منهم ويتنسم الأخبار لأن العشاق من العرب المتقدمين جرت لهم بذلك عادات وذكروها فى ذكرهم والمقالات لأنهم كانوا إذا هب النسيم من ناحية الحبيب يداوى مرض قلوبهم بمنزلة الطبيب (قال) ولما زاد على عنتر الشوق ونيران الفراق وقاده الهوى بزمام الأنعواق أنشد يقول صلوا على طه الرسول :

إذا ريح الصبا هبت قليلا ... شفت بهبوبها قلبا عليلا
وجاءتنى تخبر أن قومى ... ومن أهواه قد حدوا الرحيلا
وماحنوا على من خلفوه ... بأرض الغير مطروحا ذليلا
يسير وراءهم ويهيم شوقا ... إليهم كلما شدوا الحمولا
ألا ياعبلة إن خان عهدى ... أبوك وكان لا يرعى الجميلا
حملت الضيم والهجران وحدى ... على ضعفى وحالفت العذولا
ألفت السقم حتى صار جسمى ... إذا فقد الضنا أمسى عليلا
وعادانى غراب البين حتى ... كأنى قد قتلت له قتيلا
وفى الوادى على الأغصان طير ... ينوح ونوحه يشفى العليلا
بكى فأعانه هتان عينى ... وناح فؤاد أعوالى عويلا
وبات يئن مهموم الفؤاد ... لفقد خليله الليل الطويلا
فقلت له جرحت صميم قلبى ... وأبدى نوحك الداء الدخيلا
وما أبقيت فى جفنى دموعا ... بها أبكى المنازل والطلولا
ولا أبقى لى الهجران سيرا ... ولا جسما أعيش به نحيلا
فلو إنى كشفت الدرع عنى ... لبان وراءه رسما عليلا
وفى الرسم العليل حسام نفس ... يعادل حده السيف الصقيلا
ألفت نوائب الأيام حتى ... رأيت كثيرها عندى قليلا

(قال الراوى) فطرب بسطام وأطرق برأسه عند سماع هذا الكلام وقال له يا أبا الفوارس حق الباقى على الدوام إنك فصيح اللسان فى النثر والنظام فارس الحرب والصدام ثم انهم ساروا يقطعون الأودية والقفار حتى انهم جازوا أرض بنى الريان وتلك الآكام والتقوا بالفارس فياض المقدم ذكره وجرى من القصة ما جرى وسمع جميع حديثه وله دوى وعلم أنه جاء بطلبه ورأى مالك بن زهير مشدودا على حجرته وهو يتشرق بعبرته اسودت الدنيا فى عينيه وتجهز للحملة عليه فقال له بسطام دعنى يا أبا الفوارس لهذا القرنان فقال له عنتر إعلم يا أخى أنه ما يشفى فؤادى غير ذلك الحسام ولا فيكم من يحمل عليه ولا يشغل خاطره لديه لئلا يقال أنهم ما وصلوا إليه إلا بالمكاره ثم أنه عاد إلى قتال فياض وأخذ معه فى الانبساط والانقباض والمجال والإعتراض ولمعت سيوفهم فى الغبار مثل البرق فى الإيماض وكل لهم عند ضرب أليف إستيقاظ وما أحد منهم أبدى الفاظ هذا وشيبوب أتعب الغزالة واصطادلها وقد رأى أخاه فى القتال فعاد إلى نحو الناقة والهودج وإليهم عرج وتأمل المأسور عند ما قرب منه فإذا هو مالك بن زهير وهو يتأوه من ألم الجراح والحيرة والإفتضاح فصرخ شيبوب واحربا يا مولاى من فعل بك هذه الفعال من أوباش الرجال الأندال ثم أنه دنا منه وحل عقد شداده وأعاده إلى جواده وجعل يقبل يديه ويسأله عما جرى عليه ومالك يحدثه بما وقع له مع فياض من الانبساط والانقباض فقال له شيبوب أطلب أنت مقام القتال حتى أشتفى بمصرع هذا اللئيم ابن الأندال وما زال شيبوب يحرضه حتى أشرف على المعمعة والميدان وبصر فياضا وعنتر وهما يتقاتلان وقد جرى بينهما حرب تعجز عنه الفرسان المتقدمون إلا أن عنتر حمل على فياض وأخذ معه فى الجد والاعتراض ثم أنه قام فى ركابه وضربه بسيفه البتار وإذا برأسه طار وخرج عنتر من تحت الغبار وهو يهمهم مثل الأسد وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

فتيا لخصمى وهو يبحث باليد وقد مال كالبرج الرفيع المشيد
يهنيك بالكاس الذى قد شربته ومت عفير الخد غير مهمد
بسيف إذا جردته طال حده وأدمر وأفنى حده كل سيد
أنا عنتر كشاف كل كريهة مبيد الأعادى بالحسام المهند
وبى تفخر الأبطال فى كل معركة وتخضع لى الشجعان فى كل مشهد
فإن نظروا فعلى يخرون معشراً تراهم لنا عن راكعين وسجد
سموت كل الأنام بصارمى ورمحى وسيفى فى الوغا وتجلدى

قال الراوى وبعد ذلك دنا من مالك واعتنقه وبجله وقبله وهو يقول والله يا مولاى يعز على ما جرى عليك وما وصل من الشر إليك فلا كان يوم إليك فيه الزمان بالغدر

والنقصان وأنا راكب على ظهر الحصان فشكره مالك على هذا الأمر والشأن وقال له والله أنك لنعم الرفيق وأجل صديق وشفيق فلعن الله من أبعد طلعتك وجلى فى أبعادك وأحرمنا النظر إلى رؤيتك ثم أن مالكا حدثه بما جرى بينه وبين شابس لاجله وقال له أن شاسا جرد على عمه وقد سار فى أول الجيش ومعه أبوك شداد وعمك زخمة الجواد وأخبره أيضاً أنه قل عليهم الزاد وقد طلبوا أرض الرباب وحدثه عما جرى له مع الجارية وفياض من الامور والأسباب هذا وبسطام وجماعته تقدموا إلى مالك وسلموا عليه وهنوه بالسلامة من الذى جرى عليه هذا وقد قال عنتر لمالك الرأى عندى يا مولاى أنك تعود لبنى عبس من وقتك وساعتك ولا تذكر لهم ما جرى عليك وكأنى لا رأيتنى ولا رأيتك بل تقول لهم أنى كنت فى الصيد والقنص واشتغلت باللهو والفرص فأمسى على المساء وأقبل الظلام ووقعت بأبيات من العرب الكرام فأضافونى وأكرمونى غاية الإكرام حتى لا تنحط منزلتك عند قومك وعشيرتك ولا يلومك أحد على تلك الفعال لئلا يقول عمى مالك أنى ما قدرت أن أصبر على فراق إبنته عبلة وإنى ما زلت أسير فى عرض البر من شدة الاشتياق ومن نيران الفراق وكثرة الاحتراق لاننى أنا وحق منى وزمزم والمقام والبيت الحرام ما فعلت هذه الفعال إلا خوفاً عليكم من مثل هذا الحال ثم أطلق الجارية التى استجارت بمالك ففتح مالك بياض عرضه وأعطاها جواد فياض وسلبه وأعطاها أيضاً الناقة وقال لها سيرى بلا عاقة فإنك فى ذمامى من كل إنس وجان ومن جميع العربان فوحق من بخلوقاته فى حرزه وأمانه لو عارضك الملك كسرى لهدمت على رأسه إيوانه وأهلكت أجناده وفرسانه فعند ذلك قبلت الجارية رجليه فى الركاب وأشارت تمدحه بهذه الابيات:

وقيت بكل لجائع الأعوام ... وبقيت محروساً مدى الأيام
وغدوت ذا رأى مصاب سيدى ... وعادت مبتهجاً على الأقوام
ياعمدتى من كل خطب فادح ... أصبحت من همى أريد الحامى
لازلت فى درج المعالى راقياً ... ومسلماً من صرف كل حمام
وبقيت فرداً لا ترى لك ثانياً ... بين الأنام ومدة الأحكام

(قال) هذا وبسطام قد صار متفكراً فى كلام عنتر وعلم أنه قادر على ما قاله من الخبر. وأما الامير مالك فإنه عاد على الاثر يطلب أرض بنى الريان وعنتر خلفه خوفاً عليه أن يصابه من بعض العربان ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على تلك المعالم والرسوم وهم الأمير عنتر أن يعود فرأى الطير تحوم والوحوش تعود فى أقطار الفلا وهى ترعى فى جثث القتلى

(تم الجزء السابع ويليه الجزء الثامن)

الجزء الثامن
(من سيرة عنتر بن شداد

فقال عنتر ما لك والله يا مولاى أن هذا لبئس الفعال وهو أمر يدل على الهلاك والوبال وما أخاف إلا على سادات عبس أن يكونوا أصيبوا بعدك بأعظم المصائب والمحاق ويكون اتفق لهم مثل هذا الاتفاق ويلك والله لقد صدقت يا أبا الفوارس فيما قلت من هذا المقال لأنى أعرف أن لجاج عمك لا يؤدى إلى خير ولا بد أن يحل بهم الهم والضير لأنه رجل نحس ولولا ذلك ماكان أرتضى ببعدك وركن إلى الغير ولا يصغى إلى قول الناصح ولا زال فعله خاسر غير رابح وأنا كنت أشتهى من رب السماء وخالق النور والظلماء أن يكون مالك قد لقى بغيه وصبره ولا يعلم كيده وشجر على غيره ثم تقدم إلى وسط المرج فوجدوا القتلى مطروحين فى سائر الجنبات والدم قد صبغ النهر والنبات والرماح محطمة والأجساد مكومة فصاح عنتر واحزناه قد صح الخبر ووقع على أصحابنا حكم القضاء والقدر وما أظن أنى أعود أجتمع بعبلة ولا أقع لها على خبر ولا جليلة أثر ثم أنهم باتوا فى ذلك المكان وصاروا يقلبون القتلى ويقولون هذا فلان وهذا فلان إلى أن سمعوا صوت رجل قد أشرف على التلاف والفوت وإذا به أبو عبلة مالك وهو يئن من شدة الجراح مالك وهو على الأرض مطروح وقد صار جسدا بلا روح واختلط دمه بالتراب وحام عليه الطير والغراب والوحوش والذئاب فعند ذلك نادى شيبوب وقال ويلك يا أخى أن تمضى وخلى عمك مالك مخضبا بدماه وقد لاقى بغيه مكره ودهاه (قال) فلما سمع عنتر ذلك المقال تقدم هو ومن معه من الرجال وقد أبصر أبا عبلة على ذلك الحال فشدوا جراحه ورشوا على وجهه الماء ففتح عيناه من شدة ما جرى عليه ودهاه من ذلك الذى حل به من الضير فأبصر عنتر ومالك بن زهير فدبت فيه الروح وصارت فى جسمه وعاد إليه عقله وفهمه فقال له عنتر يا عماه من هذا كنت أخشى عليك وكنت أتقرب لك فى كل شىء والجأ إليك وأنت تركب معى طريق اللجاج فأوقعك فى هذا العذاب والهجاج فقال له عمه بصوت خفى بالله عليك يا ابن أخى قد مضى مامضى وما بقيت وذمة العرب أفارقك أبدا ولا أشمت بك أحدا من الاعداء وقد صفا لك قلبى وتخلص لك ودى وعرفت أنى كنت لك ظالما وعليك معتدى وعلمت أنى أخطأت معك فى طول الزمان فارحمنى وأحملنى إلى بنى عبس وعدنان حتى أكون لك عبدا فى كل وقت وأوان وما بقيت أسمع فيك كلام إنسان فقال عنتر حبا وكرامة

البشر ياعماه بالخير والسلامة ولكن أريد منك أن تخبرنى بحقيقة الحال وأن تصدقنى فى المقال من فعل بكم هذه الفعال وأين ولدك عمرو وابنتك عبلة وبقية الرجال فقال له يا ابن أخى الكل فى قبضة أنس بن مدركة الخثعمى وكنا نحن فى أشد مايكون من التعب الشديد من كثرة المسير وقد أشرفنا على الهلاك والتدمير لأن مالك بن زهير قد أخذ معه أكثر الفرسان وأرباب الخيول وقد تفرقوا فى البر عرضا وطولا وطلبوا الصيد والقنص فى البرارى والرحاب وإذا قد خرج علينا أنس ابن مدركة بين التلال والهضاب ففرق حولنا الخيل من كل جانب ودارت بنا المواكب والكتائب وفتكوا فينا بالسيوف القواضب فقتل من رجالنا عشرين فى الصحراء وساق الباقين معه اسرى وما زالت القتلى تتلقح اثنين اثنين وقد حل بنا الويل والبين وقد عملت الرماح فى الأجساد حتى وقعت على الأرض والمهاد ولولا نظرى إليكم فى هذه الأوقات ما كنت إلا من جملة الأموات وكنت لحقت بمن مضى وفات (قال) وكان هذا الفارس الذى أنزل ببنى عبس الوسواس رجلا لا يقاس برجال وبطلا لا كالأبطال وهو يوفر من الغارات ولا يمل من الغزوات ولا يفعل إلا فعل العصاة البغاة وكان إذا عول على المسير من مكان إلى مكان تتبعه الفرسان وتسير معه الشجعان لأجل مايعرفون منه الشجاعة والبراعة وثبات الجنان لأنه ماسار قط إلى مكان إلا وعاد مؤيدا منصورا والأموال تساق إلى ما بين يديه فرحا مسرورا وكان فى هذه النوبة قد خرج من الأطلال ومعه ألف فارس من صناديد الرجال كلهم غارقون فى الحديد والزرد النضيد كأنهم سباع الآجم ومافيهم من يبالى بالموت إذا هجم وقد أبعدبهم فى سيرته وأهلك العربان فى غارته ونادى أهلها بهمته وقوته وقد وصل إلى أرض يقال لها البلقا ومياه النقاد وعاد بين يديه الأموال والعبيد والجمال وهو شيء لا يعد ولا يحصى ولم يزل يجد المسير ويسرع فى الجد والتشمير حتى وصل إلى أرض بنى الريان وأبصر بنى عبس وعدنان وهى متفرقة فى المروج والغدران وبعضهم يصيد الوحوش من الوديان وكان أنس هو المقدم على قومه وقد انفرد فى البر والقيعان لأنه كان قد طرح نوائب الزمان واحتقر بسائر الفرسان وصار يحب الإنفراد عن الأهل والإخوان آناء الليل وأطراف النهار ويرمى نفسه فى الأخطار الكبار (قال) ولما رأى أنس بنى عبس عرفهم بعددهم ولباسهم والرايات لأن العربان كان يعرف بعضهم بعضا بالخيول والقامات فلما تبين له معرفتهم وحقق نسبتهم صبر حتى تلاحقت به الشجعان ودارت ببنى عبس من كل جانب ومكان هذا وقد قال لهم أنس اعلموا يا بنى عمى أن هذه النوبة يبقى ذكرها طول الزمن وتذكرها الرجال بالعز والافتخار وكل من اكتسب شيئا فهو له حلال إن كان من الأسرى ومن النوق والجمال لأنكم إن ظفرتم بهذه الطائفة العبسية التى إسمها بين العرب كبير وكل من مالك منها أسير

أخذ منه مالا كثير فدونكم أنتم وإياهم واغتنموا منهم الفرصة وأسقوهم أشأم غصة فهاهم بين أيديكم في الصيد والقنص فاسقوهم الغصص ثم إنه فرق الألف فارس الذين معه ثلاث فرق وقد صاح فيهم وزعق فحملت خلفه تلك المواكب ودارت ببني عبس من كل جانب وركبته فرسان بني عبس عند ما دهمتهم الخيل وقد أيقنت بالضر والويل وحملت بحملتها وقد أظهرت بهمتها ومروءتها وفروسيتها واختلطت فرسان بني عبس بفرسان بني خثعم وأدركها أنس ابن مدركة بسو نه وثبت رجاله بشجاعته فأخذ من بني عبس ثلثمائة أسير من بعد أن أهلك منهم خلق كثير وكان من جملة الأسرى عروة بن الورد لأنه قد وقع به في المعمعة فقاتل منهم ساعة واحدة فوجده في طبقة عالية من القوة والشجاعة فسلم إليه نفسه في تلك الساعة من شدة الخوف والفزع وقد خاف من القتل والهلع لأن الفرسان المنتخبة من أهل النقل لا تقوم موضع الغلبة لشرف من مقاماتها والمرتبة (قال الراوى) ولم يزل الحرب يعمل إلى أن مالت الشمس من قبة الفلك وقد ظفر من ظفر وهلك من هلك. ولما انقضى القتال أخذ كما ذكرنا ثلثمائة أسير وقتل الباقين ودمرهم غاية التدمير وأما الذين كانوا في الصيد والقنص فأكثرهم هربوا وطلبوا الخلاص من الموت المعجل لأن أحدهم كان يرى الغبار وينظر أصحابه وقد وقعوا في بحر ماله قرار فيدبر ويطلب الأهل والديار ولما نظر أنس بن مدركة ما قد حصل بين يديه وما وصل الأموال إليه زاد سروره وحمد عواقب أموره فاقاله في الأرض إلى أن انقطع اثر القوم ولا بقى عتب ولا لوم وارتحل يطلب الأهل والديار وهو يقطع البرارى والقفار وقد شد فرسان بني عبس على خيولهم عرضاً والعبيد ساقهم قدامه مع جملة الجمال وهم يحدون المسير في البرارى والقفار وأما عبلة فإنها لما نظرت إلى الحال صارت تكثر من الويل والبلبال وقد زادها الحزن وصار كل تندب الأهل والوطن وهم سائرون تحت ظلام الدجا وقد علمت أنها ما بقى لها من ذلك ملجأ أو ملتجأ فصارت تشق قلبها بالنوح والتعداد حتى أقلقت تلك الربا والمهاد وكانت قد شاهدت ما جرى على قومها من الأهوال فسارت بناقتها في أول الجمال لأنها قد القت السبي والأسر في البرارى والقفار وقد صار لها بذلك عادة. وقد بقى لها على ذلك جلاده وكانت قد رأت أباها لما أثخن بالجراح وكيف شكته عوامل الرماح فسارت قدام العبيد وهي في بكاء وعديد وصارت تندب الأطلال والربوع. وتبكى بقلب موجوع وهي تنشد وتقول صلوا على طه الرسول :

يارب زمزم منى	قد مل قلبى الحزنا
وبعد من أهواهم	أنحل منى البدنا
وما بقى لى جسد	يحمل أثواب الضنا
فقد فقدت والدا	كان شفوقاً محسناً
مازال فى لجاجة	

حتى سقى كاس الفنا حكمت فيه العدا حد السيوف والقنا
وها أنا من بعده فى الأسر أشكوا المحنا والدهر قد عاندنى
وصار ذالى ديدنا ما كان فى دهر من يذمه إلا أنا
حامى عبس هل ترى علمت ما حل بنا من حين ما فرقتنا
زال الأمانى والمنا وأصبحت فرساننا نهبا باطراف القنا
ونحن فى أسر العدا دوما نقاسى الحزنا فقربنا لك راحة
وبعدنا عنك عنا يا حامى عبس إذا تسأل عنا الدمنا
وتقتفى آثارنا عاجل كما عودتنا وإن سمعت فى الدجا
نوح الحمام المقتفى فاعلم يقينا أنه يبكى علينا أو لنا

قال الراوى وما زالت عبلة فى بكاء وصياح إلى أن بدت غرة الصباح ونزل أنس ابن مدركة يطلب الراحة والمقام وقد أمر من معه بترويج الطعام فنحرت العبيد النوق والأغنام ونصبوا الخيام وروقوا بعد ذلك المدام لأنه ماكان يفارقه مدى الأيام إن كان فى رحيل أو فى مقام فأكل وشرب مع سادات بنى خثعم وهو فرحان بما قد حوى من الأموال والأنعام وقد أمرهم أن يطعموا جميع الأسارى من الرجال والنساء فأكل الجميع وجملة إلا الأميرة عبلة فإنها لم تأكل طعاما ولا ترد على أحد كلاما وما زال أنس على ذلك المرام حتى مضى من النهار أكثره وبقى أيسره قال وكان بنو عمه الجميع قد فكروا له ما سمعوا من فصاحة عنتر وما قال فى حق عبلة وما نظم وما نثر ولما ذكروا له تلك الأخبار وأطنبوا له فى حسنها وجمالها وقدوصفوا له قدها واعتدالها قال لهم يا بنى عمى أنا أوصيكم ألف مرة بأنكم لا تصفوا الى أمة ولا حرة ولا تحدثون إلا بحديث الطعان والضرب بشفا الصفاح فإنه أحب إلى من وصف الخدود الملاح ثم أنه شرب مع أصحابه إلى آخر النهار وهجع ساعة الليل ودخل يطلب الديار وما زالوا يجدون المسير ويقطعون الفيافى والقفار على ظهر الخيل والجمال حتى طلعت شمس على الروابى والتلال فعند ذلك أمرهم بالنزول على مياه بنى هلال قال وكانت عبلة ما هدأت فى هذا الليل الطويل ولا فترت من البكاء والعويل والندب والويل والتنكيل لأنها كانت أيست من أبيها وابن عمها وأخيها قال الراوى ولما سمع أنس بن مدركة بكاها وأعوالها سأل من بعض بنى عمه عن أمرها وأحوالها وقال لهم يا بنى عمى ما بال هذه الجارية التى كانت البارحة تنادى فى الليل وجنح الظلام الهادى وتندب كأنها حمامة الوادى فقالوا له هذه الجارية العبسية التى وصفنا لك جمالها وحسنها ودلالها لاننا ما رأينا أفرح قلب منها ولا أكثر من حسرتها ولها يومان وليلتان ما أكلت من الزاد ولا هدأت من النوح والبكاء والعداد ولا شك أنه قد قتل لها من يعز عليها من أهلها وأقاربها وبعض والديها فقال لهم يا بنى عمى أحضروها إلى حتى

أنى أكشف عن حالها وأطيب قلبها واسكن أغوالها فعندما مضوا إليها وأحضروها بين يديه وأوصلوها إليه وكشفوا البرقع عن وجهها فنظر إلى ضلعتها ورأى دموعها تسيل من طرف كحيل وقد لعقول الرجال تميل تخفق فؤاده من شدة البلبال وخيل له أنها رشقت فؤاده من جفونها بلبال قال الراوى وكان أنس متكئاً فجلس على حيله وتغيرت أحواله وزاد عشقه وبلباله وقال لها ويلك ياجارية أقلى من ذلك البكاء والأعوال وأخبرينى من قتل لك من الرجال فقالت له بعدما سترت وجهها بكمها ونظرت إلى الأرض بطرفها أعلم يامولاى أن أبى قد قتل فى هذه الواقعة فكانت بسببه هذه الفجعة وتجرعت من الغصص ألف جرعة وذبت من التشتت والتعثير وما قاسيت من الهم والزفير ثم أنها القت نفسها إلى الارض وقد اختطبت فى بعضها وعلا نداها وزفيرها وعويلها فقلق أنس من شكواها وقد تعلق قلبه بهواها وقد اسقمه تباريح الهوى وما بقى يجد لدائه دوى وقد هد منه الحيل والقوى ثم أنه فى عاجل الحال قال لمن حوله من الرجال ويلكم والله انى قد تاه منى الخاطر هيا احضروا لى أولاد عمها العبسيين فى هذا الوقت والحين حتى اخطبها منهم وأتزوج بها الان مثلها وشكلها لا يؤخذ سفاحا وأجعل مهرها إطلاق بنى عمها من الوثاق وإذا لم يفعلوا ذلك قتلتهم وأوردتهم المهالك وأهرقت دمائهم على الصعيد والدكادك لان هذه الجارية حبها قد اشغفنى وتملك من قلبى وكنت قبل ذلك إذا رأيت عاشقاً أعذله وألومه وأستقل عقله واستجهله حتى ذقت العشق فى هذه الساعة إن لى فى هذه الجارية الطاعة وعلمت أنى كنت فى نوع من الجهل والتكبر الزائد وقلة العقل فاسترو ياويلكم من الرجال وجهها واحضروا بين يدى بنى عمها فى عاجل الحال فأحضروهم إلى بين يدى فاعيد عليهم الكلام الذى تقدم فقالوا له إن هذه الجارية مات أبوها وأمرها الآن مسلم إلى أخيها ونحن له بمنزلة التبع ولا نخالفه فى جميع ما يصنع وها هو هنا مكتوف بين الرجال فى الشد والاعتقال فقال عروة وكان بجانب عمرو إنى ياعمرو أشير عليك برأى وهو فيه الصواب وجيد لنا وجميع العرب والأحباب والأصحاب وتبلغ بها غاية الأرب فقال عمرو وماهو الرأى يا ابن الأبيض فقال عروة إن أردت أن تضرب رقبة أنس بن مدرك ى تورثه الدمار والهلكة فزوجه باختك عبلة فلعل الله أن يرسل عنتر يصرم عمره ويخمد حسه ويكفينا شره لأنى ياعمرو قد اختبرت عرأسها وعرفت بأس ناصيتها وما يأتى من قياسها فرأيت كل من تعرض لها غير عنتر اصبح مطمور فى الحفر وأنت زوجه بها فلعل الله أن يأتيه بعنتر يصرم عمره ويكفينا شره فقال عمرو ويلك ياعروة عنتر اليوم فى بنى شيبان وقد سبق منا التقصير فى حقه وكان لأننا ماز لنا نبغى عليه ونوصل الاذية إليه حتى عاد بغينا علينا وانقلعنا إلى آخر الزمان وأحاط بنا البلاء والهوان وأنا وحق ذمة العرب من هذا الأمر حيران أن

أنعمت بزواجها إلى هذا القرنان أخاف أن عنتر أن يأتى إلينا ويلحق بأبى ولو كنت فى حجر كسرى صاحب الايوان وإن لم أنعم له بذلك اسقانى كاس المهالك فقال له عروة اقبل منى أنت ما أشير به عليك وزوجه بها ودع عنك الهوان ولكن اشرط عليه أنه لا يدخل عليها فى ذلك المكان حتى يصل إلى أرضه والاوطان واعلمه أنها متزوجة بابن عمها واطلعه على هذه الاسباب كلها وأنا أعلم أن وجه عبلة عليه عبوس وشر وبؤس ولا يمسى عليه المساء إلا وهو مطموس ولا تحتم معه ومع قومه إلا بقطع الرؤس ﴿ هذا وأنس قد أبطأ عليه من عمرو الجواب واشتعلت فى قلبه نار الالتهاب وكل الحاضرين يشيرون على عمرو وهو باهت. فقال له أنس يا وجه بنى عبس مالى أراك ساكتاً أما ترضانى أن أكون لاختك بعلا وهى لى أهلا فقال له عمرو يا مولاى وحق ذمة العرب أنت الرضا وفوق الرضا ولكن أيها السيد هذه الجارية كان أبوها قد زوجها لابن عمها فيما مضى وقبض منه مهرها مالا جزيلا وكان قد أتى به إليه من عند كسرى أنوشروان وإنما غره بذلك الفعل الذميم وزين له الشيطان. جحود الإحسان الجميل الجسيم وصار يهرب بها من كل مكان إلى أن أقرب أجله وحان. وأنا يا مولاى من ذلك الامر حيران وفزعان أن أزوجتك بها ورجعت إلى الأوطان فيأتى ابن عمها ويقتلنى ويجرعنى كاس الهوان ولو حمانى كل من فى بنى عبس وعدنان لأنه آية الزمان وطارقة الحدثان فقال أنس وقد صعب عليه هذا الكلام وقد اغتاظ من وصفه لعنتر بين يديه وقال له وتلك من يقال لهذا الفارس الذى وصفته فى حضرتى بهذه الصفات وحدثت عنه بذلك الخبر وهذه المقالات لانك قليل الخبر بالفرسان والسادات فقال له عمرو أيها السيد الوثب الفارس الذى قتل خالد بن محارب ونزل على قومه البلاء والمصائب. وخضع لسيفه كل ماش وراكب فقال أنس لمن تعنى بهذا المقال أوجز يا وجه العرب فى السؤال وبين لى اسمه من الرجال فقال عمرو وهو الاسد الضيغم وصاحب المهر الادهم والسيف المخدم الذى أذل بشجاعته فرسان العرب والعجم فقال أنس لقد حيرتنى فى وصف هذا الفارس والقرم المداعس وما بينت لى اسمه ولا كشفت لى رسمه فقال يا مولاى هو البطل الجواد وفارس الحرب والجلاد المسمى بعنتر بن شداد فعندها رفع أنس رأسه للقوم الحضار وقال هل فيكم أحد سمع بهذا الرجل الجبار الذى قد روعنى بذكره هذا الغلام. ورقد فى قلبى نار الأضرام قال الراوى لهذه الامور والاحكام فلما سمع الحاضرون هذا الكلام قال له شيخ منهم وكان قدم عليه سنون وأعوام أنا سمعت به وبحديثه من مدة أيام وما حدثنى بفعاله إلا رجل صادق فى الكلام وأخبرنى أنه فارس جيد الشيم قهر بحسامه العرب والعجم والفرس والديلم وخضعت له ملوك العرب وأصحاب المنازل والرتب وما زوجه عمه بابنته إلا خوفا منه ورهب وأنه رماه فى الف داهية ومصيبة وعاد منها ببلوغ

الآمال والأرب ولما اعتراه الحياة صار يهرب بها من كل مكان إلى مكان وقد زوجها عشرين مرة للفرسان ولا ظهر لها أمر ولا بيان وأقربها هذه المرة حيث زوجها لمسحل بن طراق فأتى إليه بمائة فارس ممن له من الرفاق وقتله وتركه على الأرض كأنه الفتيق وقد تخلى عنه الأصحاب والرفيق وكان من طلب أن يتزوجها كانت سببا لمنيته بلا تعويق ولو كان معه عدة آلاف محقهم بسيفه تمحيق والذى يهرب منه يكون مجروحا جرحا وثيق والذى يلحقه يمزق كبده تمزيق وأنا يا أمير وحق ذمة العرب خائف عليك من تقربك لهذه الجارية وشؤم طلعتها فبالله عليك لا تتعرض لها لأنى تأملت كعبها فرأيت فيها تدور رفعلنت بسبب تعرضك لها أنه ما يبقى منا كبير ولا صغير قال فلما سمع أنس هذا الكلام وما أعاده ذلك الشيخ من الملام زاد به العشق والغرام وتعلق قلبه بذكر عنتر وهام وقال يا بنى عمى وحق زمزم والمقام والبيت الحرام أنى من حين نشأت ما ذقت طعم العشق والغرام ولا دخل فى قلبى محبة ولا هيام على طول المدا والأزمان إلا لهذه الجارية لأجل ما عنيت من حسنها وجمالها إلا أنى قد أنسانى هذا الشيخ عشقها وغرامها بما وصف لى من فروسية ابن عمها لأنى كما تعرفون أحب ملاقاة الفرسان ومجاولة الأقران والصواب عندى أن تبقى هؤلاء الأسرى على هذه الحالة فى الأسر تحت يدى وهذه الجارية الأخرى إلى أن يأتى ابن عمها ويسعى فى خلاصها هو ومن معه من رفاقه وأنا أريكم كيف أفعل عند ملتقاه ثم أمر باكرام عبلة والقيام بواجب حقها وقد أشغل قلبه محبتها وعشقها وقال لنفسه إذا كانت هذه الحالة حالتها وهى بذلك الشقاء والحزن وقد ألبسها الله ثياب الجمال والحسن فكيف بها إذا أشبعت من الزاد صباحا ومساء وأبصرت حكمها نافذا فى الرجال والنساء ثم إنهم رحلوا وساروا من هذا المكان وهم يقطعون المهامه والوديان إلى نصف النهار وإذا قد طلع من خلفهم غبار وقد علا وثار وبعد ذلك تقطع وما وانكشف عن فرسان مسرعة وغبار مرتفعة فقال أنس لقومه يا بنى عمى ائتونى بخبر هذه الغبرة الطالعة والفرسان المتتابعة وابصروا إن كان تحتها مال ننهبه أو شىء نكسبه ونأخذ سلبه ، فعندها خرج بنى خثعم مائة فارس وهم على خيولهم كأنهم الأبابليس (قال الراوى) وكانت هذه الغبرة التى ظهرت من البر والآكام غبرة أبى الفوارس عنتر والأمير بسطام ومن خلفهم العشرة فوارس الذين هم من بنى شيبان وكان السبب فى قدومهم إلى هذا المكان أن عنتر لما أشرف على المعمعة ورأى عمه مالك وهو من الجراح هالك سأله عن حاله وشد جراحه وجعل عنده الامير مالك بن الملك زهير وأخوه شيبوب يحفظهم من كل هم وضير ثم قال لبسطام هيا سر بنا ننجد قومنا وإلا تفتنا الفرص والمنى وإن كنت تعزم على المسير إلى أبيك فسر من هنا لأننا والله قد اتعبناك معنا فقال بسطام يا أبا الفوارس أى شىء هذا الكلام فوحق الله الملك المتعال الباقى على

الدوام الذى ركب الأرواح فى الأجسام وحلل الحلال وحرم الحرام أن خدمتك على واجبة وقد أوجبتها على نفسى مثل الحج إلى بيت الله الحرام فأنا والله لا أفارقك حتى تنقضى قصتك وتزول عنك غصتك وتدخل على زوجتك وبعد ذلك أرجع أنا وأهلى إلى الحلل فقال له عنتر لا عدمتك من بطل همام وليث عند الشدائد مقدام وأنا يا أخى أقول أن قصتى قد هانت وانتهى منها العسير وما بقى إلا اليسير ثم أنهم ركبوا وساروا على الخيل وأشرفوا على القوم كما ذكرنا وهم معودون على الرحيل فهناك تأهبوا للحرب والجلاد فرأى بسطام أن الخيل قد تفرقت وعليها الفرسان قد ظهرت فقال لعنتر بحق ذمة العرب أتركنى للقاء هذه المائة فارس القادمة علينا فابتسم عنتر من كلامه وقال له إفعل ما تريد أيها البطل الهمام والاسد الضرغام لانك قد أقسمت على بأجل الاقسام فعندها أطلق بسطام عنان فرسه ذات القسور وأشغل المائة فارس وكان المقدم عليهم ابن عم أنس بن مدركة وهو أمير يقال له مبادر بن غيلم وهو لتجمله قد استقبل واستغنم (قال) فعندها استقبله بسطام فى الأول وسمعه وهو يقول ياويلكم أخبرونا من أى العرب أنتم ومن أين أقبلتم من هذه السباسب من قبل ما أختلس نفوسكم وأطير بهذا الحسام رؤسكم وكان مبادر قد رأى بسطاما أقدا نفرد وهو طالبه فظن أنه قد أتى يسأله عن خبره فوقف يسمع ما يرد عليه من الجواب واستمر على حاله فانقض عليه بسطام مثل العقاب وطعنه فى صدره فاخرج السنان يلمع من ظهره. فلما أبصروا بنو عمه إلى هذه الطعنة بادروا إليه كأنهم الأسود هم ينادون واحرباه عليك يا أمير مبادر واذل بنى خثعم بعدك والعشائر ثم انطبقوا على بسطام وقد كثر منهم الكلام وصاح بعضهم فى بعض ويلكم دونكم وهذا الشيطان خذوه أسيراً واحملوه بين يدى أميركم وابن عمكم حتى يأخذ منه بالثأر وخلوا باقى رفقاه حتى نسوقهم وراه ثم انقسموا قسمين لما سمعوا هذا الخطاب وعلموا أنه رأى صواب وطلب عنتر منهم سبعين وبقى قدام بسطام ثلاثون وهذا وعنتر قد استقبل السبعين بعد ما قال لبنى شيبان اثبتوا أنتم مكانكم حتى أشفى فؤادى من هؤلاء القادمين ثم أنه التقاهم بصدر جواده الابجر كما تلتقى الارض العطشانة أوائل المطر وصار أن ضرب أهلك وأن طعن دمر وأن قاربته الابطال نثرها مثل أوراق الشجر وإذا زعق فى الخيل رجفت قوائمها وإذا ازدحمت عليه الرجال طير جماجمهم (قال) وكان أنس قد علم بقتل عمه مبادر فتقدم إلى الغبائر ينظر إلى بنى خثعم وهو لسيفه شاهر وجعل ينظر لاصحابه ويأمل أنهم يأتون بهم حتى يشفى منهم فؤاده ويأخذ لابن عمه منهم بالثأر وإذا بالسبعين الذين كانوا قدام عنتر قد خرج منهم خمسة يضربون أكفال الخيل وينادون بالعناء والويل فقال لهم أنس بن مدركة ويلكم ما حالكم لعن الله من ألجاكم وأذلكم فقالوا له والله ما أصاب أحداً مثل ما أصابنا هلكت والله

أصحابنا ولو أننا وقفنا الضربت رقابنا فقال لهم وقد اندهش واعتراه الخوف والرعش وهذا كله جرى عليكم من عشر فوارس فقالوا له لا تنكر علينا ما أصابنا وما جرى لنا فإن الذى فعل بنا هذه الفعال فارس واحد وهو إذا ضرب قتل وأن الرجال حصانه تقول الغيث قد هطل وما يوجد مثله فى هذا الزمان وما كان إلا مارد من مردة الجان لأنه يخطف الفارس منا من بحر سرجه ويضرب به الآخر فيقتل الإثنين فبينما هو معهم فى الكلام وإذا بثلاثة من الذين كانوا امن قدام بسطام منهم ثلاثة مجروحان والآخر سالم وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الأمور فقال لهم أنس بن مدرك وقد انقطع قلبه وزاد رعبه يا ويلكم أى شىء هذه المصائب قد تمت على المشايخ منكم والشباب فقالوا له يا مولانا لا تزد علينا فى الخطاب ولا تكثر علينا الكلام والعتاب فقد رأينا فارسا مثل العقاب ما رأينا مثله فى سائر الأعراب ولو كان معنا رأى وتدبير كنا تركناه ورجعنا مع الخيل التى صارت لأصحابه ورفقاه فقال واحد من الذين كانوا قدام عنتر والله لو كنتم رحلتم لرفيقه لكنتم رأيتم خيرا كثيرا والله وحق ذمة العرب يا مدامير ماكان يرجع منكم لا قليل ولا كثير وكان يصيبكم مثل ما أصابنا من البلاء والتعثير فعند ذلك ضحك أنس بن مدرك من كيد الغيظ وقال هذا شىء لا يصدقه عقل فى أحد ومالى إلا أقول هذا الشيخ الذى قد حل به الخوف وزاد أنذهاله الذى قد وصف لى أفعال عنتر وأحواله وذكر لى أنه لقى بنى كنده فى مائة فارس وقتل مسحل بن طراق وهجج عربه فى سائر الآفاق فمن هذه الساعة لاسار أحد منكم يذكر له حسبا ولا نسبا فقال له أصحابه أيها السيد لا تجرد علينا ولا تغضب فإن هذا الفارس الذى وقفنا قدامه فى البلاء وأحل بنا العطب ماهو بمثل من لاقينا من فرسان العرب وما هو إلا جبل من الجبال أو عامود من الأعمدة الثقال وقد سمعناه وهو ينادى ويقول يا ويلكم يا أوغاد غير أنجاد أنا عنتر بن شداد ورأيناه يا أمير يخطف الفارس من على الجواد ويرفعه من سرجه ويضرب به الأرض فيختلط طوله فى العرض (قال) فلما سمع أنس بن مدرك من قومه هذا الكلام قال لهم أنكم كثيرا ما تصفون هذا الفارس الذى كنا فى حديثه بالأمس وقد وصف لنا هذا الشيخ صفته وقد آليت على نفسى إذا لم أقتله ما دخلت على زوجته وما هو إلا قد أتى فى طلبها ولو كنت علمت بذلك ما كنت أنفذتكم إليه وكان الأمر قد أنفصل ولكن ما علمت حقيقة الحال وأنفذتكم بغير علم فاحل بكم الوبال ونزل عليكم الخبال بجيوش الظلام وفى غداة غد لا يكون إلا ما يريد الملك العلام ثم أن أنسا عاد إلى المكان الذى كان فيه ونزل وقلبه يغلى على عنتر كغليان المرجل وكان قد عزم أن يبذل سيفه فى الأسرى ويشفى قلبه منهم بما قد حل عليه وجرى فقال له العقلاء من قومه الصواب أن تصبر إلى غداة حتى ننظر أمرنا مع هذا الفارس كيف يكون فاستصوب رأيهم وقد زادت به

الغيبون قال كانت والأسارى قد علموا بقدوم عنتر فقال عروة بن الورد لعمرو أخي عبلة كيفه رأيت مشورتي عليك يا عمرو فانظر ما جرى على قوم هذا القرنان من المجرى وغدا في باكر النهار يصبحه عنتر أشأم صباح يعفر خده ويلعن أباه وجده وهذا ماجرى له وأنت ما عقدت عقدة النكاح فلو كان جرى ذلك ماكان يصبح عليه الصبح قال فهذا ما كان منهم وما جرى لهم من الخبر وأما ماكان وأحوال أبي الفوارس عنتر وبسطام وأصحابه الكرام فإنه لما عادمن الحرب والصدام نظر بسطام القتلى بين يدي عنتر على الأرض مفروشة ودماؤهم على الثرى مطروحة فتعجب من ذلك وضحك وقال واعجباه يا أبا الفوارس كلما أردنا أن نجعل عنك الأريقال وتخفف عليك الأهوال كنت أنت إلى المكرمات أسبق فلا زلت أبد الدهر مسعود موفق فشكره عنتر وأثنى عليه وبشره بالنصر والظفر وبما تقر به مقل عينيه فقال له بسطام أي شيء قولك يا أخي في الهجوم عليهم تحت الظلام وتمكن منهم الحسام فقال عنتر ليس هذا صوابا لأنهم قد أبصرونا في النهار وعلموا أننا في قلة وهذا الأمر الذي تقول عليه ما يتفق إلا لمن يشارف العدا ليلا ويهجم عليهم بالجلة ويصيحون عليهم ولا يختلطون بهم بل يلزمون جوانبهم ويتركونهم يقتل بعضهم بعضا قال ثم أنهم ما زالوا على الإيضاح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وأنا وأنتم نصلي ذلك على صفوة الكريم الفتاح وانكشف ذيل الدجا وتنفس الصباح متبلجا فصاح أنس بن



مدركة البرج في بني خثعم وغاص في الحديد وتسربل بالزرد النضيد وركب جواده وبقي عليه كأنه البرج المشيد وتحدر إلى الميدان يطلب ثارا بن عمه مبادر من عنتر وبني شيبان فعند ذلك قال الأمير بسطام بالله عليك يا أبا الفوارس دعني أبرز للقاء هذا ابن اللئام المعجب بنفسه المتكبر على أبناء جنسه فقال عنتر لا يا أخي بل أنا له حتى يشتفي منه قلبي لأني أرى الشجاعة لائحة من بين عينيه والفروسية تشهد على عطفيه والصواب أنني أنجز أمره وأصرم عمره وإذا رأته بني خثعم وهو من سيفي قتيل تنقطع قلوبهم ويحل بهم كربهم ثم أنه قصد إليه

الميدان وقصد نحو أنس وعيناه تشعل فى رأسه مثل القبس هذا وأنس يلتفت إلى أعطافه ويميز أطرافه ويجر رمحه خلف ظهره وهو سائر ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

رماحى ضرب جمجمة وصدرى ... وكاسى صارمى لا كاس خمر
وشربى من دم الأبطال صرفا ... على النغمات من بيض وسمر
وقد أصبحت نشوانا بصرف ... أحس على حشاى لهيب جمر
أنا أنس ابن مدركة المسمى ... مبيد الدارعين بغير نكر
ولى قلب قوى فى طلابى ... لقا الابطال أعلم ثم أدرى
وليس فى المعامع من حديد ... وسيفى خده للعظم يفرى
وهذا اليوم أترك عبد عبس ... جديلا فى الثراء لنهش نسر
وأحظى بالفخار على البرايا ... بقتله ويعلو الآن ذكرى

قال الراوى فلما سمع عنتر كلامه وشعره ونظامه تعجب من عظم حيله وكثير عجبه وقلة عقله فصاح وفيه ويلك يا ابن أنف قرنان أما سمعت ما قد جرى على غيرك من الفرسان عند ذكر عبلة سيدة النسوان وأتيت تطلبها حتى تحرق بنارها فقال له أنس يا عبد السوء وابن اللئام أنا قد سمعت بحديثك قبل هذه الأيام وعلمت أنك عبد راعى الجمال والأغنام وقتلت لك جماعة من أوباش الرجال ولا وقع لك فارس يقهرك يا ابن الاندال ولكن اليوم ساقك القضاء والحين حتى أعجل فناك وأغمد سيفى فى أعلاك ثم أنه حمل عليه وأشار برمحه إليه هذا وعنتر قد زاد عجبه من مقاله وأوسع معه فى مجاله وأجابه على شعره يقول

إذا لعب الغرام بكل حر ... حمد تجلدى وشكرت صبرى
وفضلت البعاد على التدانى ... وأخفيت الهوى وكتمت سرى
ولا بقى لعذارى مقالا ... ولا أشفى العدو بهتك سرى
عركت نوائب الأيام حتى ... عرفت خيارها من قبل شر
وذل الدهر لما رآنى ... الاقى كل نائبة بصدرى
وما عاب الزمان سواد لونى ... ولاحط الزمان رفيع قدرى
ولولا لون جلدى ما تدانى ... بياض الصبح عند سماع ذكرى
إذا ذكر الفخار بأرض قوم ... فضرب السيف فى الهيجاء فخرى
إلى قوم آخرون سعوا وعادوا ... حيارى ما اقتفوا أثرا لأثرى
علوت إلى العلا وسموت حتى ... رأيت الشمس وهى تحتى تجرى

قال الراوى فلما فرغ عنتر من ذلك الشعر والنظام حمل الاثنان على بعضهما حتى ارتجت من ركض خيولهم الأرض وأخذا فى الضرب والطعان والمقاومة فى الميدان واختلف بينهما

الضرب بالسيف اليمان وصار الغبار فوقهما مثل الدخان وكانا تارة يفترقان وتارة يقتربان حتى تعلقت بهما الآمال وامتدت إليهما أعناق الرجال وحامت عليهما طيور الآجال واختلفت فيهما الأقوال وتغير لسان الصديق بلسان المحال ومالت فرسان بنى خثعم من فزعها على صاحبها لأنه كان حاميها ودافع مصائبها وتأهب بسطام وبنو شيبان إلى لقاء الأبطال وهو يقول لهم يا بنى عمى أنصحوا اليوم فى القتال لأنه أن تم اليوم على عنتر أمر من الأمور فما فينا من يرجع إلى أهله بل يكون هنا مقبور قال الراوى وأما عبلة فصارت تنادى من وسط الأسارى بأعلى صوتها المهود يا ابن العم لا أعدمنى الله شخصك ولا جرت دمعة لفقدك فاجتهد فى إهلاك خصمك وأظهر فيه قوتك وعزمك وخلص جارية قد ساءت أحوالها وقتلت رجالها وعادها زمانها وجفتها أوطانها قال الراوى فلما سمع عنتر حسها على بعد صاح خصمه وعاركه وصادمه وأتعبه وأكربه وتعلق بأذيال درعه وجذبه وخلع رجله من ركاب ونخس جواده الذى تحته فكاد أن يخسف جنبه فخرج الجواد من تحته مثل البرق إذا برق وبقى أنس فى يد عنتر وبانت معلقة مثل الثوب الخلق فلما رأت بنو خثعم ما حل بصاحبهم حملوا على عنتر وهانت عليهم نفوسهم وطلبوا الخلاص فارسهم من يد عنتر فعندها حمل بسطام فى العشر فوارس الذين معه من بنى شيبان وزعق فيهم زعقة الأسد الغضبان وطعن فى صدور الفرسان وبدد الأقران والشجعان وجعل ينادى يا أبا الفوارس أحفظ أنت أسيرك أو أقتله أو أنزل به العدم وأنا أكفيك مؤنة بنى خثعم وأسقى أبطالهم كؤس النقم قال الراوى وكان عنتر قد تمكن من خصمه وأراد أن يكتفه فعالج معه أنس بطاقة جهده وأراد الخلاص من يده فضربه عنتر بالحسام على كتفه فجرحه جرحا بالغا وأشغله بروحه ولما صار بمجروح تركه على الثرى مطروح وحمل على الخيل التى مع بسطام قد طلع الغبار والقتام وصارت الجماجم تحت الأقدام وبطل العتب والملام وقل الخطاب والكلام وبليت بنو خثعم بالبلاء الذى لا يرام لأنها لاقت فوارس فى الحرب ما لها أحجام وأرادت الفرار من طعن أحر من النار قال الراوى وكان فرسان ذلك الزمان من تلقى الألف والألفين من أقوى الشجعان ويكون عليهم رابحا غير خسران فكان الأمير بسطام من الابطال المعروفة فى ذلك الزمان إلا أن عنترا كان فاق على أهل زمانه وكان فريد عصره وأوانه رزق وقت ولادته طالعا سعيد وعطايا من الملك المجيد وقد ذكرت رواة الأخبار أنه كان خلقه الله الملك الجبار وجعله نقمة على جبابرة العرب حتى مهد الارض قدام النبى المنتخب سيد العجم والعرب ﷺ لانه كان فى زمان الفترة وأوان المشيئة فدمر الاقيال وأهلك الابطال من فرسان الجاهلية حتى طاعت فى أثره الشمس المضيئة شمس سيدنا محمد خير البرية وتمهدت الاقطار والقصية والدنية وخمدت لهيبته النار الحمية لما بدت أنواره البهية (قال) وبمعجزاته تنكست الأصنام ببيان دعوته الحقيقية بسيف الإمام الكرار

الأسد الفرار أبى السادة الأبرار الضارب بذى الفقار القاطع رؤس الكفار وسبيع بن الحارث الملقب بذى الخمار وعمر بن ود العامرى رأس الجبابرة الكبار وما يخفى عليكم السادات الحضار الأخيار وما قيل فى الباقين وكانوا بين يديه مثل الذئاب قدام الأسد الهدار (وعدنا إلى ترتيب الكلام) ولما نظرت بنو خثعم إلى ضرب فارق أمر من الصواعق وطعن يسبق مصائب الأيام الطوارق انحلت منهم العزائم ونزلت عليهم البوائق وهانت عليهم الأموال التى صحبتهم والغنائم فتفرقوا فى خنبات الأرض مثل البهائم وتبع بعضهم البعض وتفرقوا فى جنبات تلك الأرض وما زال عنتر وراءهم فى التتبع حتى أنهم ابعدوا فى تلك الأرض والبقع وقد قتل منهم ثلثمائة وقتل من بنى شيبان ثلاث رجال وعادوا فى خلفهم طالبين الأموال وعبلة وأمها قد أطلقتا عروة وجميع الرجال وخلصوهم من الاسر والاعتقال وساروا كلهم إلى لقاء عنتر ولهم جلبة وصياح من شدة ما حصل لهم من السرور والأفراح هذا وعنتر ماله همة إلا عبلة والسؤال عنها ولم يزل حتى تقرب منها فلما تقرب منها ضمها إلى صدره وقبلها بين عينيها فقبلته الأخرى فى فمه ونحره وبلا من بعضهم الأشواق وتشاكيا ألم الفراق وقال لها يا ابنة العم أتظنين أنى لا أرعى أخبارك وأينما سرت أقتفى آثارك واخصك من العدا وكان أبوك من أهل الظلم والاعتداء فلما سمعت عبلة بذكر أبيها بكت عليه وقالت له يا ابن العم أن أبى قد قتل وقد لقى بغيه بين يديه واشتفى منه جميع حاسديه وتركنى من بعده حزينة ولفقده يتيمة فوالله لاخلعت عنى ثياب السواد ولالباس الحداد ولافرحت ولا فى أعياد فلما سمع عنتر من عبلة ذلك الكلام قال هذا الحساب الذى كنت أحسبه وأحتسبه وأخشى عواقبه هذا وقد قال لها يا منية القلب وحبيبة الصبر أقلى من بكائك واسكتى عن شكواك فما أبوك إلا طيب وهو فى عافية وخير وهو فى ألف سلام من الهم والضير وقد تركته عند مولاى مالك بن زهير ثم أنه حدثها بجميع حديثه وكيف لقيه وهو مطروح مخضب بالدماء مجروح وما فعل فى حقه حتى زالت عنه الكروب وأعلمها أنه قد ترك عنده أخاه شيبوب فزال همها وغمها واستبشرت بذلك هى وأمها ثم أن عنتر أنفذ من وقته وساعته من يأتى بأنس بن مدركة إلى حضرته فسار عمرو أخو عبلة وعروة بن الورد وجماعة من بنى عمه إلى مكان الوقعة الاولى وطلبوه فما وجدوا ولا رأوا له خبر ولا أثرا بل أنهم رأوا آثار دمه على وجه الارض مع الثرى (قال الراوى) وكان عنتر لما رماه على الرمال واشتغل بالحرب والقتال اغتنم هو الفرصة وركب جوادا من الخيل الشاردة وطلب وسيع البيداء وهو لا يصدق بالنجاة وأما عمرو وعروة فانهم فتشوا عليه فما وجدوه فرجعوا إلى عنتر وأخبروه أنهم ما رأوا له أثره فقال عنتر أنا الذى فرطت فى أمره وليتنى عوض ما جرحته كنت قتلته وكنت أمنت من غائلته فقال عروة لا تندم يا ابن العم على ما فات واحسب أنك أخذت هذه الاموال فداءه لأنه

أفقر حال العرب وقاسى عليها كل ملمة وتعب وها قد ساقها الله إليك بلا نصب وهذا كله لابنة عمك الدرة اللائحة لأنك ما تدخل عليها وتخلي لبدوي في البر ساحة ولا لائحة فتبسم عنتر من كلامه وقال لهم سوقوا هذه الأموال والغنائم والأسلاب وعودوا بنا إلى أرض الرباب إلى عند عمي مالك وابن الملك زهير لأن قلبي في قهر وأنا خائف عليهما خوفا كثيرا من أجل سبب من الأسباب فعندها ساقت بنو عبس الأموال وعنتر بين يديها كأنه الأسد الريبال وبسطام بجانبه على جواده ذات النسور وعنتر قدامهم ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

صحا من بعد سكرته فؤادي ... وعاد لمقلتي طيب الرقاد
وأصبح من يعاندني ذليلا ... أسيرا لهم لا يفديه فادي
ويرى في نومه فتكات سيفي ... فيشكو ما يحن إلى الوساد
ألا يا عبلة لو عاينت فعلي ... لبان لك الضلال من الرشاد
قال أبصرت فعلي فاشكريني ... ولا يلحقك عار من سوادي
والا فاذكري طعني وضربي ... إذا ماج قومك في بعادي
طرقت ديار كندة وهي تدري ... دوي الرعد من ركض الجيادي
ففرقت الفوارس في رباها ... بطعن مثل أفواه المزاد
وخثعم قد أتيناها بكورا ... صباحا مثل ما نادى المنادي
وخلصت السبايا من شجاع ... شديد ثابت يوم الجلاد
غدوا لما رأوا من حد سيفي ... دبيب الموت في الأرواح نادي
أنا ابن زبيبة وعلو مجدي ... يفوق على الحواضر والبوادي
ولي مجد علا فوق الثريا ... وسعدي فاق السبع الشداد

(قال الراوي) فلما سمع بسطام هذا الكلام والشعر والنظام من عنتر البطل الهمام قال له يا حامية عبس لقد كملت المعاني والفصاحة والشجاعة والبراعة والفروسية والرجاحة ثم أنهم جدوا في المسير حتى أمسى المساء وأخذ الراحة للصباح فرحلوا بعدما ولى الظلام وجدوا في المسير حتى أشرفوا على أرض الرباب وتلك الروابي والهضاب وأبصر شيبوب غبارهم فانحدر إليهم مثل العقاب إلى أن التقى بهم ففرح بسلامتهم وهنأهم بالسلامة من الهلاك والندامة وقد رأى معهم الأموال والخيرات والنوال فسألهم عن أحوالهم وما تم لهم وما جرى عليهم فأعلموه بقصتهم وما تم لهم في غيبتهم هذا وقد سأله عنتر عن عمه مالك لأنه قد تركه هالك فقال يا ابن الام ما هو إلا قد انصلح وطاب وصار يقوم ويقعد ويأكل الطعام ويشرب الشراب وكذلك صديقك مالك فان جرحه ما عاقه عن الركوب في البيدا ففرح عنتر بسلامتهم من الأذى والردا ثم أنهم ساروا إلى وسط المرج وقد التقى بعضهم بعضا

ودارت فرسان بنى عبس بمالك بن زهير وهنوه بسلامته مما كان فيه من الهم والضير وأما مالك أبو عبلة فإنه التفت إلى ولده عمرو وقال له والله ياولدى ما بقى لسان يصف لعنتر ماله على من الجميل والإحسان والفضل والامتنان وإن أضمرت له شرا بعد هذا اليوم ما أكون إلا خوانا ذليلا مهان ثم أنه تقدم إلى عنتر وقبل يديه وشكره وأثنى عليه وجعل يمدحه بهذه الأبيات

أنظر إلى مدمعى قد غدا هامى ... وجود حلمك عالى المرتقى سامى
وأنت عنترة الفرسان من وهج ... يوم الحروب فكم أهلكت أخصامى
لله درك ادثار الفتام ضحى ... وأصبح السيف محمرا من الهام
أبا الفوارس يا ابن الأخ قد ظفرت ... منك العفاف يفاق الوجه بسام
أوجدتنى بعد ما قد كنت فى عدم ... بدلت نقمتى الحرا بانعامى
أحييتنى بعد موت كنت ذائقه ... من الجراح ومن ضر وآلام
لاشكرنك فى سرى وفى علنى ... بين الأنام وفى أهلى وأقوامى
لازلت فى كرم بالخير فى نعم ... والخصم فى ندم من ضربة الظامى

(قال الراوى) فلما فرغ مالك من ذلك المقال أثنى عليه جميع الرجال وقد قال له الأمير بسطام أعلم يا أمير من أن عادى ذلك الأسد العادى ماله عقل ولا رشاد فقال عنتر يا بسطام وحق من خلق النهار وخصه بالضياء والنور ويعلم ما توسوس به الصدور لو ملكت جميع ما فى أقطار الدنيا من الأموال ما كنت إلا عبداً لهذا الامير المفضال إن طردنى أكرمته وأن أبعدنى أقربته وبالغت فى خدمته وأن هذا المدح الذى مدحنى به هو أولى به منى وما زال على مثل ذلك المقال حتى شكره جميع الرجال وقد تعجبوا جميعهم من مروءته وأثنوا عن مقالته وقد باتوا فى ذلك المكان وأصبحوا راحين يطلبون الديار والاوطان هذا وعنتر قد اقتطع من الغنيمة قطعة جيدة ووهبها للأمير بسطام وقال له أعلم يا أخى أنك غمرتنا بجودك والاحسان فخذ هذه قسمك وأطلب ديارك ورسمك فقال بسطام كيف أسير إلى ديارى وأنت ما انقضى شغلك ولا دخلت على بنت عمك فقال عنتر يا أخى وحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب وحق الملك الديان لا دخلت بها حتى تحضر أنت وسائر بنى شيبان أن مكننى من ذلك الزمان ودام عمى على ذلك الحال ما أقرأ فاتحة فى ذلك القيل والقال حتى أنه يعود إلى الصحة والسلامة وتذهب عنه هذه الكروب والندامة وإذا انتجز الامر وذهبت العوائق أنفذت خلفك حتى تحضر أنت وجميع الاصدقاء من الخلائق ثم أنهم ودع بعضهم بعضا وسار كل منهم فى ناحية من الأرض وجد عنتر فى المسير فى تلك الوديان حتى وصل إلى أرض ديار بنى عبس وعدنان فعند ذلك قال له مالك بن زهير يا أبا الفوارس الرأى أننا ننفذ أخاك شيبوبا يعلم قومنا بقدومنا حتى يخرج أبى وسائر بنى عبس إلى لقائنا لانى أعلم أن أخى شاس

تقد وصل وعلم أبي بما جرى لنا مع الأعداء الأرجاس وأخبره أن عمك زم معك اللجاج وشتم مه ومكايدته وأعلمه أنك مضيت مع بسطام إلى حلته وأنا أعلم أن عمارة وأخوته يفرحون بهذا الكلام ويطمعون في أخذ عبلة والسلام وإذا وصل شيبوب وأخبره بقدومنا تتبدل أفراحهم بالأتراح ويحصل لهم الضيق بعد الانشراح فعلم عنتر أن قوله صواب وأنه أتى برأى لا يعاب فاعلم أخاه شيبوبا بذلك فطار كأنه عقاب (قال الراوى) وكان الحساب الذي حسبه مالك صحيح ومافيه زور ولا تلويح لأن أخاه شاسا لما فارقه وهو في نصف الجيش وقد جد بطلب الحالة غيظا من مالك أبي عبلة فسار حتى وصل إلى الديار ودخل على أبيه المفضل وأعلمه بما جرى من هذه الشدة وما فعل عنتر في بني كندة وكيف قتل مسحل بن طراق وشتت شمل قومه في الآفاق وكيف أخذ عمه مالكا وولده عمرو في الوثاق وكيف قال مالك أنه ما يسلم ابنته إليه إلا أن يقتل وتؤخذ مسبية بعد حياة عينيه وكيف شرط عنتر على نفسه أنه لا يطلبها منه ولا يزوجها بغيره ولا يقيم في بني عبس إلا بأمره وقص شاس على أبيه ما جرى لأبيه مالك في أرض الرباب من الأمور والاسباب (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير من ولده ذلك الكلام زادهمه وكثر غمه وقال وحق باسط المهاد ورافع السبع الشداد لا زال مالك بن قراد ملازم اللجاج والعناد حتى يفرق شمل العشيرة ويشمت بنا الأعداء والحساد ولا بد أن تصل أذيته إلى سائر العباد ثم أقام الملك زهير ينتظر ولده مالكا ثلاثة أيام فما بان له خبر ولا جلية أثر فساد ظنه فيه وحرم على نفسه لذيذ المنام وقال لشاس ولده ربما يكون قد جرى لأخيك أمر من الأمور وأنت كاتم عنى خبره فقال شاس ابشر يا أبتاه بالخير والسلامة فوالله ما فارقته إلا وهو على غاية من الكرامة وأنا أقول أن تأخره ما هو إلا لسبب وربما يكون مالك أبو عبلة أخذ ابنته وهرب فقال الملك زهير والله أنك تداسأت التدبير وفرطت في أمر أخيك كثير فبينما هم في مثل هذا القيل وإذا بالمنهزمين قد وصلوا إليه وتمثلوا بين يديه وأعلموه بما جرى عليهم من أنس بن مدركة في أرض الرباب وأعلموه أيضاً بما حصل لهم من الأمور والاسباب وأخبروه أن ولده مالكا فارقهم في طلب الصيد والقنص ولم يدروا ما تم عليهم من الغصص فزاد بالملك زهير الوسواس وحرد ولده شاس وقال له نادى في الفرسان وانذر جميع الشجعان حتى نسير إلى أرض الرباب وتنظر آخر هذا المصاب لئلا يتم عليه سبب من الاسباب (قال الراوى) وكان عمارة بن زياد حاضرا عند ذلك ففرح بهذا الخبر لانه سمع بغضب عنتر فقال لأخيه الربيع إنى قد تمكنت من عبلة الآن ونلت ما كنت أريد من سابق الزمان لأن هذا الأسود ما بقى يعود من بنى شيبان فقال الربيع يا عمارة ما أنت إلا رجل كثير الاطماع ولا تزال في هذا اللجاج حتى ترمينا في كثرة المصائب والنزاع. وهذا وبنو عبس قد أمرهم شاس أن يتأهبوا المسير كما أمره عند ذلك كبيرهم والصغير والعبد منهم والامير فعند ذلك تتابعت

منهم الفرسان وغاصت فى الحديد والزرد جميع الشجعان وزكبت وعلى المسير عولت فبينما هم كذلك وإذ قد أقبل شيبوب وهو مثل الريح الهبوب فنظر الحى وهو فى انزعاج وهوج وارتجاج فقال ما الخبر وأى شىء جرى وتدبر ثم سار إلى نحو راية الملك زهير وقد نظرته الرجال وطلبته وقالوا له ويلك يا ابن السوداء أى شىء معك من الخبر فقال وصل الخبر مالك وأخى عنتر فلما سمعوا ذلك فرحوا واستبشروا وساروا حتى أشرفوا على بعضهم فى أواخر النهار فالتقى الجميع عند الصباح وقد زالت عن قلوبهم الاتراح واعتنق الملك زهير ولده وقد هدأت نيران كبده لأنه كان يحبه أكثر من أخوته وعاد إلى عنتر فرآه قد ترجل لخدمته وقد تقدم إليه وباس رجله فى الركاب فشكره الملك زهير وقال له يا أبا الفوارس قد هجرت الخلان والاصحاب وقطعت الزمان فى الشقاء والحرمان وهانت عليك الأمور ببعدك عن الأوطان فحدثه مالك بما جرى له من العبر وكيف أن عنتر فنى بنى خثعم بسيفه الظامى الأبتر وأخذ غنائمهم والبدر وكيف قد خلص الأسارى من الضرر والقصة التى جرت لهم فى وادى الرباب وما جرى من الأمور والأسباب وبعدها نزل الجميع فى هذا المكان وفرحت الإخوان بالإخوان

(قال الراوى) ولما أقبل النهار رحلوا طالبين الديار وحصل لهم الفرح والاستبشار إلا أنه ما نزل عنتر حتى فرق من الغنيمة الأكثر وأغنى عروة ورجاله وقسم الباقى على أبيه وأعمامه وسارت عبلة إلى بيتها فرحت بها أهلها وأحبتها وكان لها جارية اسمها رابعة كانها الشمس الطالعة وتلك الجارية سمراء حبشية وكانت تحبها عبلة محبة زائدة من دون إمائها لانها كانت أخذتها عبلة من قسمها لما فرق الغنائم ابن عمها كانت اجتمعت بها عند انس بن مدركة مبسية فوجدتها فصيحة اللسان كاملة المعانى والعرفان فتملت بها عبلة مما قاست فى بلاد الغربة وصارت عندها أعز من أهلها والأحبة وقد حبها الامير عنتر لأجل محبة عبلة قال الراوى ولما اجتمع الجميع بأرض الشربة واجتمع الأحباب بمن لهم من الأحبة وقد فرحت الإخوان بلقاء الأصحاب وطاب لهم الطعام والشراب وصار عنتر كل يوم يتردد بالدخول والخروج والنظر إلى وجه عبلة والنزهة على الغدران والمروج (قال الراوى) وأما عمارة بن زياد فانه وقع على فراش الأساو زاد عليه الهم والعنا ولما طال عليه الحال جاءته أمه وقالت له يا ولدى أخبرنى عن حالك وأى شىء الذى غير كل أحوالك عسى أجد لى سبيلا على دفع أعلالك فقال لها يا أماه مرضى وسقمى وذلى ومابى من العبر سلامة هذا العبد ولد الزنا عنتر لانه قد عاد وهو سالم ومعه هذه الأموال والغنائم وعمه قد ذل له ذل العبيد وأخيه بعد العناد الشديد وقد عول عند خروج سقمه الذى هو فيه أنه يزف عبلة عليه

وأنا أموت بحسرتها وإن هذا الأمر عظيم يترك المعافى سقيم كيف أكون أنا عمارة ابن زيادة وأخوتى ستة أجلاد ولا نقدر كلنا على عنتر بن شداد (قال) فلما سمعت أمه سياق مقاله بكت على أحواله وقالت له كأن لى وصول بعبلة كنت أوصلها إليك ولو كانت روحى التى بين جنبى لخلعتها عليك وأن عنتر ولدى لما بقى يعادى لكثرة أحبابه وقد عظم شأنه وغالبه فرسان العشيرة صارت أعوانه فقال عمارة يا أماه إئتينى بأخى ربيع لعل يكون لى على يديه فرج سريع فعند ذلك سارت وما غابت إلا شيئا يسيرا وجاءت ومعها الربيع وهو معها يسير فشكا إليه عمارة ما يجده وشرح له كل قصته وما جرى من بليته فعندها بكى الربيع ونتف لحيته وقال له ويلك أى شىء أفعل فى عنتر ياويلك أترك عنك هذا اللجاج فلا بقيت أقدر لك على انفراج ولا أزيل عنك هذه الكربة ولا أقدر أعاند رب السماء الذى بلغه هذه المنزلة والرتبة لأن كل القبائل اليوم معه وتسمع قوله وتتبعه وأنا فى قلبى منه أشد مما فى قلبك له ولكن أنا أحمل منك وأجلد وأصبر على هذه الأمور المقضيات وها أنا صابر له حتى أنظر الفرصيات وتقدر على هلاكه بأى الحالات فقال عمارة كيف أصبر ياأخى على هذه الأمور وأعانيها وعنتر كل يوم يصابح عبلة ويماسيها ويلتذ منها بالكلام والاجتماع ليلا ونهارا ولو كنت قتلت هذه اللخناء فى بعض المهمات التى وقعت فيها كنت استرحت من هذه الأمور ولا أعانيها وسرت أنا وعنتر بالسواء والآن ياأخى بقلبى من أجلها علة ما لها دواء.

فقال له الربيع أن كان قصدك قتل عبلة أنا أعمل لك على هلاكها وفنائها وأنا أعلم أنها إذا هلكت هلك عنتر وراءها ثم أنه قام من وقته وساعته ودخل مضربه وبات يتفكر فى خداعه ومصائبه حتى انجلى الليل وغابت جميع كواكبه قال الراوى ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح جمع عبيده وإماءه واجتمع بهم سرا بينهم وقال لهم هل فيكم من له خلطة بعبيد بنى قراد وإمائهم حتى كنت أبلغه منهم المراد فقال له بعض العبيد أنا يامولاى تحبنى فائقة أمة عبلة محبة صادقة وتموت فى هواى وتطلب رضاى وأنا ما التفت إليها لأجل ما بينك وبين قراد من البغضاء والعناد وخوفا على نفسى من عنتر بن شداد فقال له الربيع لا تخف من أحد من العبيد مادام مولاك يحفظك من الأعداء والحساد ومن اليوم أظهر لهذه الجارية المودة والصحبة وأن طاعتك هاتها إلى أبياتنا وادخل بها فى حينها حتى أقول لك ما تفعل ويظهر لك بعض العمل فأجابه العبد بالسمع والطاعة وسار من هذه الساعة بعد ما أعلمه أنها تحبه محبة عظيمة وقال له أنها قالت لى ألف مرة خذنى واهرب بى إلى بعض أحياء العرب حتى آتيك بشىء من الفضة والذهب وآخذ جميع مال مولاتى عبلة وأعيش به وإياك عيشة الهنا فارضيت أنا بذلك خوفا منك ومن عنتر أن يسقينى كاس المهالك قال فلما سمع الربيع ذلك الخبر فرح منها واستبشر وعلم أن الأمر قد تيسر فقال له

سروهاتها إلى أبياتنا وأنا أبلغك المنا وإن أردت اشتريتها لك بالكلية واعتقك من رق العبودية فعند ذلك سار العبد إلى أبيات بنى قراد واجتمع بالجارية وأشار عليها بالمسير إلى أبيات بنى زياد فأجابته إلى ذلك لكى تبلغ منه المراد ومازالا سائرين الجميع إلى أن أقبلا إلى بين يدى الربيع فلما رآها الربيع فى أبياته انطفت نيران زفراته قال وكان الربيع نصب لها خيمة لطيفة من الابريسم وحط عندهم الطعام وأكثر لهم من الشراب والمدام وأمر العبد أن يخلو بها فكان الأمر كما ذكرنا واجتمع العبد بفائقة وكان لهم ساعة من الكدر رائقة فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا والتصق زيد بعمر وتم الحال وقضى الأمر وكان عندهم هذا اليوم من غاية الأفراح ومازالوا كذلك من المساء إلى الصباح فأحضرهما الربيع بين يديه وقد قرت بذلك التعريض مقل عينيه وأشار بالخطاب إلى الجارية وقال لقد قصرنا اليوم فى إكرامك يا فائقة ولكن الأيام بيننا متتابعة ولا بد أن أشتريك من مولاك وأقر بذلك عيناك وازوجك بهذا العبد وأنه عندى أعز من ولدى لماله على من الخدمة قالت الجارية يا مولاى أنا أمتك وأمة عبدك وأنا مطيعة له ولك وجميع أمرك ولو قال أقتلى نفسك لفعلت ذلك بغير انكار واطيعه فى كل ما يحب ويختار ففرح الربيع بقولها وقد أعجبه مقالها وعلم فى نفسه أن حيلته تمت ومابقى كلام وقد بلغ من عنتر وعبلة المرام قال الراوى وكان للربيع المحتال الخوان صديق من بنى شيبان يقال له مفرج بن هلال ولما أن دبر الربيع ما دبر من النقض والابرام أرسل إلى صديقه هذا مفرج يقول له أرسل لى من عندك عشرة فوارس يكونون شداد أعيان حتى أرسل معهم وديعة تعز علينا وأنها لا تقاوم يا مولاى وكان رسوله عبدا من عبيده الانجاد فسار وسلك البر والمهاد إلى أن وصل إلى مفرج بن هلال وأعلمه بذلك المقال فأجابه إلى الشأن وأرسل معه عشرة فرسان مع ابن عم له يقال له سنان وقال لهم سيروا أنتم الجميع مع هذا العبد إلى صاحبى الربيع ومهما أمركم به فافعلوه ولا تخالفوه فأجابوه بالسمع والطاعة وساروا مع ذلك العبد فى تلك الساعة ومازالوا يجدون المسير فى ذلك البر والهجير إلى أن وصلوا إلى منازل بنى عبس وكان ذلك عند غروب الشمس فأنزلهم العبد فى مكان خال من الرجال وصار إلى مولاه يعلمه بذلك الحال فأدخلهم الربيع إلى أبياته ليلا وأكرمهم غاية الاكرام وقدم لهم الطعام والشراب والمدام وأكرمهم هكذا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع قال السنان للربيع أين الحاجة التى دعوتنا إليها فقال سوف أطلعكم عليها ثم خرج من عندهم وأحضر عبده الاصلى وأمره بحضور الجارية فائقة فسار العبد وأحضرها وقد كانت له موافقة ولما كانت بين يدى الربيع صنع معها من الاكرام فى ذلك اليوم أحسن صنيع وقال لها بعد ذلك إنى أريد منك يا فائقة أن تقضى لى حاجتى ولا أريد منك سواها وأنا أضمن لك عتق رقبتك وأبلغ نفسك مناها ثم

تقدم إليها وقبل رأسها وبكى بين يديها وأقسم عليها بحياة معشوقها أن تقضى له حاجته التى لها دعاها وقال لها لا تخافينى فيها فقالت له يا مولاى قل لى عليها وأعلمنى بحاجتك التى تريدها حتى أبلغك إياها ولو كان فيها اتلاف مهجتى وهلاكى ومنيتى فقال لها أعلمى أن أخى عمارة قد أشرف على الهلاك وسوء الارتباك وما بقى له من الموت فكاك وكل يوم أدخل عليه وأقول له ماذا تريد فيقول لى ما أريد إلا نظرة من وجه عبلة ابنة مالك حتى أتمتع بها قبل خروج روحى من بدنى ووقوعى فى المهالك فقالت له الجارية يا مولاى هذا هين على أمتك غير عسير ولا بد أن أخلى أخاك يتمتع بها قليلا وكثير فقال لها وما عولت أن تفعلى من التدبير فقالت له أعلم أن مولاى عنتر يقيم كل ليلة فى أبيات مالك بن زهير ولا يأتى من عنده إلا فى ثلث الليل الاخير وأنا أقول لمولاتى عبلة أرى ابن عمك عنتر يقول الليلة اطلعى للغدير حتى يتكلم معك بما تجدد من الكلام اليسير فاذا طلعنا من الابيات وسرنا إلى الغدير فيكون أخوك عمارة تزيا بزى العبيد ويأتى الينا وقد بلغ ما يريد (قال الراوى) فلما سمع الربيع كلامها تبسم وقال أن الامر قد احتكم ثم أظهر الفرح والطرب وأخرج من عنده دماج ذهب وقال لها خذى هذا حلاوتك فامتنعت الجارية من ذلك وقالت له يا مولاى ما هنا أمر يوجب لهذا الشأن وأن كان هذا من بعض انعامك والاحسان فاتركه لى عندك على سبيل الوديعة لانى أخاف أن يسألنى مولاى عنه وما أدرى ما اقول له ثم أنها انصرفت من عنده وعاد الربيع إلى فرسان بنى شيبان وأعلمهم أن الجارية قد انتجز شغلها وقال لعبده خذهم وكن بهم فى جانب من الغدير وإذا رأيت عبلة قد وصلت فأريهم إياها فقال سنان وما ذنب هذه الجارية يا ربيع فقال إنها زانية وفى فعلها خائنة أريد أن تأخذوها معكم إلى الديار حتى أجىء اليكم ونخفى منها الآثار لانى أردت قتلها فى بلاد بعيدة لنكتم حالها عن أهلها وما يحتاج أن أصفه لكم ما فيها من الحسن والجمال والقد والاعتدال والملابس الغوال فعندها صار سنان وأصحابه للغدير وما كنوا فيه إلا شيئا يسيرا وإذا بعبلة قد أقبلت هى ومن معها وكان السبب لمجيئها الامة فائقة لانها لما عادت من عند الربيع دخلت على مولاتها وقالت لها أعلمى أن مولاى عنتر قال لى اطلعى ببنت عمى الليلة إلى الغدير حتى أتكلم معها قدر شىء يسير فلما سمعت عبلة هذا الكلام صدقت وسارت معها رابعة المقدم ذكرها وقد كانت لا تفارقها فى سيرها ومقامها فلما وصلت إلى الغدير وأرادت الراحة من ألم المسير وإذا بالعشرة فوارس قد طلعوا عليها وصاح فيها سنان فأرعبها وجذبها من يدها ورفعها وأردفها وراه فى شىء يسير ونزل بعض الفرسان وكتف رابعة وفائقة وطرحهم على جانب الغدير وسار سنان ومن معه بعبلة حتى وصلوا إلى ديارهم فهذا ما كان من عبلة وما جرى من ذلك الامر الكبير (وأما ما كان) من عنتر الاسد الشرير فانه ما زال عند مالك بن زهير كما جرت له بذلك العادة

إلى ثلث الليل الأخير وسار وأخوه شيبوب فى ركابه إلى أن وصل إلى أبياته وأراد أن يفرج ما به من الزفير بالنظر إلى عبلة ووجهها المنير فما لقى فى أبياتها خبر ولا وقع لها على أثر وفى عاجل الحال شاع الخبر بفقد عبلة من الحلة وسمع بذلك الصغير والكبير وأن عنترا كان فى ذلك الليلة مخمور فانتبه وقد غاب عنه الفرح والسرور وهو يقول ويلكم ما الذى جرى وأين غدت من أبياتها ومضاربها وفارقت أهلها وحيها فقال أبوها ما أدرى ما الذى جرى عليها وما فعل الزمان بها وما كان إلا طارت من خدرها وانهتك بين الرجال سترها وما أدرى ما أصابها وما أخذها من حجابها ثم انهم تحركوا على ظهور الخيل وطلبوا الغدير وعادت الخيل من كل جانب تسير ولما وصلوا إلى جهة الغدير والبنات رأوا رابعة وفائقة مكتفات فعلا صياحهم ونزلوا الخلوهم من كتافهم وسألوهم عن أحوالهم وما الأمر الذى أوجب إتلافهم ومن أخرجهم إلى هذا الغدير وقالوا أين مولاتكم وأى شىء هذا الفعل النكير فقالت لهم رابعة أن مولاتى عبلة قد أخذها ركاب الخيل وساروا بها من أول الليل وطلبوا بها البر والهجير وإنما نحن فقد كتفونا كما ترون ورمونا على جانب الغدير فقالوا لهم ومن هو الذى أزعجكم وأتى بكم إلى ههنا حتى قل عنكم الهنا وقاسيتم ذلك العنا فقالت رابعة يا مولاى ما أزعجنا وأتى بنا إلى هذا المكان وأخرجنا من أبياتنا بغير مرادنا حتى ذقنا ذلك الهوان إلا هذه الجارية فائقة بنت الشيطان لانها قالت لمولاتى عبلة اطلعى الليلة على الغدير بوعد من ابن عمك عنتر حتى يتحدث معك على ما فى قلبه من القهر فلما سمع شداد هذه المقال صاح فى فائقة وقال لها ويلك يا بنت الانذال ومن قال لك على هذا المقال فقالت له يا مولاى بخذلنى من مولاى عنتر الذمام وأنا أعلمه بما صدر من الاحكام فأخذها شداد إلى قدام عنتر وأعطاها الذمام فقالت له اعلم يا مولاى أن جميع ما جرى لمولاتى عبلة ولنا من الآلام كان سببه الربيع بن اللئام ثم انها أعلمته بما دبر الربيع من الكلام وكيف أمر عبده أن يأتى بها أبياته والخيام وكيف أعطاها الدماج الذهب وأبت أن تأخذه وكيف أمرها أن تطلع مولاتها عبلة إلى الغدير حتى يراها عمارة الطنجير ليطفىء بنظرها فى قلبه من الزفير ثم أنها أخبرته بما تقدم من الاحكام والاعادة ما فيها افادة والسلام فقال عنتر يا خناء وأنت على شان هواك وغرضك تطلعى بمولاتك وتوقيعها فى الهلاك وسوء الارتباك ولكن لا وحق ذمة العرب الكرام لولا ما صدر لك منى من الذمام لحقت رأسك بهذا الحسام ولكن قتلك ما يشفى لى غليل وأنا أعلم أن هذا آخر العهد بينى وبين ابنة عمى عبلة ولولا هيبة الملك زهير لنزل الاجواد لبذلت سيفى هذا فى بنى زياد وأجعلهم أحدوثة بين العباد فبينما هم فى هذا الكلام وإذا برسول الملك زهير قد وصل اليهم وأعلن بالسلام عليهم وكان الخبر قد وصل إليه بما جرى لعبلة من السبى والانتهاك وسوء الارتباك ولما

وصل العبد إليهم وقال لهم يا موالى أجيبوا ملك العرب زهير بن جذيمة صاحب الأفعال الحميدة العميمة فتواثبت فرسان بنى قراد وسارت إلى عند الملك زهير وجلسوا على قدر مراتبهم بعد ما أعلنوا بالسلام عليه وقبلوا الأرض بين يديه فقال لهم يا بنى العم ما الخبر وأى شىء تم لابنتكم من الهم والضرر فقال مالك أبو عبلة يا ملك أى شىء الذى تقوله من الهم والإنكاد فما لنا خصم فى ابنتنا إلا الربيع بن زياد فهو الذى فعل معنا هذا الفعل والكيد قال الراوى وكان فى تلك الساعة الربيع حاضراً بمجلس الملك زهير فلما سمع فى حقه هذا المقال ظهر الخديعة والمحال وقال يا بنى الأعمام من قال لكم على هذا الكلام وفعل فى ابنتكم تلك الفعال والهم والنكال فقال مالك قالت لنا جاريتنا التى أعطيتها الدمليج الذهب من يدك وبلغت من ابنتنا مرادك وغاية مقصدك فقال الربيع يا بنى الأعمام لا تسمعوا فى كلام أمة ذميمة لأنها تعلم ما فى قلوبكم من الأحقاد القديمة فوحق اللات والعزى ما عندى علم بهذه الأحوال ولا ينبغى أن أسبى ابنة عمى التى هى من لحمى ودمى وعارها يلزمنى ولكن أنتم معذورون وإن شاء الرب القديم ما أعاتبكم بهذه الأقوال حتى تظهر ابنتكم ويبين الحق من المحال فقال الملك زهير يا بنى عمى الصواب أن يرحل الربيع إلى بنى فزاره ويترك هذه الديار حتى يجتمع عنتر بابنة عمه ويبلغ ما يختار هذا وعنتر قد سكر من غير مدام وقد أرسل جماعة من العبيد تكشف له الأخبار وبقى منكس الرأس بادى الحواس ودموعه تجرى على خديه كأنها الأنهار وهو فى أسوأ حال ولم يرد على أحد مقالا ولا كلام وترك الأكل والشرب ثلاثة أيام ولا عاد يخرج من الخيام وصارت أولاد الملك زهير حيارى من شأنه وكذا سائر إخوانه وأعوانه وما طاب لهم عيش هنى لأجل همه وغمه وهم يشاغلوه بالكلام ويقولون له والله يا أبا الفوارس أنه ما جرى على عبلة وأخيها أمها مثل ما جرى على قلبك قال صدقتم يا موالى لأنهم ما يريدون حياتها من أجلى (قال الراوى) ولما زاد به الأمر دعا بأخيه شيبوب فحضر بين يديه وهو من أجله مكروب ولما نظر إلى عنتر ورأى إليه ودمعه مسكوب كاد قلبه من أجله يذوب فقال له عنتر أدركنى يا أخى قبل أن أذوق الحمام وانهض واقطع البر والآكام لعلك لا ترجع إلا بخبرها عسى أنك تطفىء ما بقلبى من لهيب فراقها ثم أنشد وقال:

شيبوب ويحك ما ترق لحالى فقدى لعبلة زاد فى بلبالى
أصبحت مسلوب الفؤاد مولها أبكى بدمع زائد هطال
فلأهجرن النوم بعد فراقها ولأكثرن الوجد مع بلبال
حتى يرق لى الحمام إذا بدا حزنى ويسعدنى على أعوالى
ولأجلها ماعدت أركب أبجرا أبداً لا جل مسرة الأقوال

أترى يعود الشمل يجمع بيننا ... حتى نسر بغاية الآمال
ياعبلة هل بعد الفراق تجمع ... أم فى الكرى أحظى بطيف خيال
ياعبلة هل من مسعف أو مخبر ... عنك ويسمع قصتى وسؤال
أما يبشرنى بحسن سلامة ... أو أن يعذبنى بعظم نكال
هذى فعال بنى زياد انهم ... أهل النفاق بقية الانذال
فلسوف أبلغ منهمو كل المنى ... بالسيف بل أقوى قوى الأوصال
شيبوب أخى انهض سريع ولا تقف ... واكشف خبر عبلة مع الأحوال
مالى سواك تسير يكشف كربتى ... فى مهمة الاوعار والأجبال
واقصد إلى حلل القبائل واقتفى ... أخبار عبلة كاشف الأحوال
واقصد إلى أرض العراق عساك أن ... تلقى بها حالا لوجدى غير محال
لاطاب لى عيش هنىء بعدها ... حتى تبشرنى بحسن مقال

(قال الراوى) فلما سمع شيبوب كلام أخيه عنتر ونثره ونظمه سار من وقته وساعته يكشف أخبار عبلة بنت الكرام وسنذكر ما به يتم له الكلام (وأما ما كان) من الربيع من زياد فانه امتثل قول الملك زهير ورحل من أرض بنى عبس عند طلوع الشمس ورحل معه أربعمائة بيت ممن يغرض له ويوافقه على عداوة عنتر بن شداد وخاف الربيع من بنى قراد لانه رأى قلوبهم عليه ملآنة أحقاد وما زال سائرا يقطع البر والمهاد حتى وصل إلى بنى فزارة الطائفة الغدارة فالتقى به حذيفة بن بدر وأخوته جملة ويزيد وحنظلة وقد كانوا يألفونه لما يعلمون منه أنه معادى عنتر بن شداد (قال الراوى) وكانت بنو فزارة تكره عنتر لعلو مجده وما ظهر من نشيد المناقب وكيف جعل فرسان بنى عبس فى أعلا المراتب وكانت عرب هذا الزمان يحسد بعضهم بعضا على علوة المنزلة (قال) ولما وصل الربيع إلى حيهم استقبلوه وأكرموه إكراما زائد الوصف وبقى عندهم أحسن من القبض والصرف وبعدها سألوه عن بنى عبس وعدنان ولأى شىء رحلوا من الأوطان فاخبرهم بما جرى لعبلة من الضيعان وكيف اتهمها بنو اقراد وكاد السيف أن يقطع بينهم والعناد وكيف أمره الملك زهير برحله إلى هاهنا وترك العناد فترحبوا به وأكرموه غاية الاكرام وأقام الربيع عندهم مدة عشرة من الايام وقال فى نفسه ربما أن سعد هذا العبد ولد الزنا يغلب سعدى ويسير أخوه شيبوب فى طلب عبلة بنت مالك ويلتقيها فى بنى شيبان ويعود إلى أخيه يخبره بها ويسير فى طلبها ويخلصها مما هى فيه من الهوان وتقول له بما صدر منى من الأمر والشان وأبقى عنده فى غاية النقصان والرأى أنى أسير إليها وآمر مفرجا بقتلها وأقسم بينى وبين أموالها وما كان عليها من الجواهر والمرجان (قال الراوى) ولما خطر ببالهم الخاطر أخذ

الأمن من حذيفة وأخوته ثم أعلمهم أنه سائر إلى الملك النعمان يهنيه بالملك الذى صار فيه ويأخذ منه الإحسان لأننا أخبرنا كأنه تولى الملك بعد أبيه (قال الراوى) ولما استأذنهم فى السفر أجابوه إلى ما طلب فصار ولم يأخذ معه غير عبده سالم ولم يزل سائرا يقطع الفيافى والوديان حتى وصل إلى حلة بنى شيبان ودخل على مفرج بن هلال فاستقبله أحسن استقبال وأكرمه غاية الاكرام ولما قر به القرار وأنست به الديار سأل مفرج عن عبلة وما كان منها فقال هى عنده مقيمة فأمر بحضورها فحضرت ولكن بغير ملابسها وكان الربيع متنكرا حتى لا تعرفه عبلة فقال الربيع لمفرج وأين المال والحلى والحلل النوال فقال مفرج وحق الملك المتعال ما رأيت بما ذكرت لى عليها شيئا من النوال وأن هذه ما يقدر عليه ملك من ملوك الزمان ولا يقدر على ما تقول من هذا المقال فخل يا ربيع هذا الحال فهذه امرأة ضعيفة من أين لها هذه الأموال والجواهر واللآل فقال الربيع أيها الأمير يكون على علمك أن هذه الجارية ما هذه من بنات العرب الجهال هذه عبلة ابنة مالك بن قراد وابن عمها عنتر بن شداد الذى عند ذكره تشيب الأطفال فى المهاد وسائر الملوك تتقى شره وتعطى له الغفارة والأموال وأن هذه الأموال التى قلت لك عليها والحلى والجواهر الحسان قد أخذها عنتر من عند كسرى أنوشروان الملك قيصر ملك عبدة الصلبان ومن عند الملك المنذر لما مضى فى طلب مهرها فيما تقدم من سابق الزمان ثم أنه قص عليه الخبر وأطلعه على باطن الأمر (قال) فلما سمع مفرج هذا الكلام انذعر وكثر خوفه وتفكر وقال يا ربيع أنت صديقى من سنين وأعوام وبينى وبينك صداقة لا تنقضها الليالى والأيام فكيف طاب على قلبك أن تخصنى بذلك العنقود الحامض والبلاء اللازب من دون الأنام فوحق ما يظهر من الحرارة والانوار لو علمت أن هذه الجارية على هذا الحال ما كنت أنفذت اليك أحدا من الرجال ولا كنت أدخلتها إلى أبياتى ولو أن فى يدها موتى وحياتى وإنما لما قدم بها بن عمى سناد إلى هنا فسألته عنها قال لى أن هذه الجارية زعم أهلها أنها أفسدت مع بعض العبيد ويريد مولاها أن يقتلها بهذا السبب فى مكان بعيد بعد أن يعذبها العذاب الشديد حتى لا يأتى من أجلها تنكيد فاحفظها له حتى يأتى اليها يفعل ما يريد فظننت أن هذا الحديث حق وصدق فتركتها عندى بين النسوان وهى فى ثياب الذل والهوان وانى إلى الآن ما رأيتها ولا وقعت عينى عليها ولا شاهدتها فبالله عليك يا ربيع خذها واكفنى شرها وخلصنى من أمرها ولا تجلب لى هما وغما بأمرها وسببها فما أنا من رجال عنتر ابن عمها ولا أنا أقوى من كسرى ولا من قيصر لأنى ما أنا قليل العقل حتى اعادى عنتر لأنى قد سمعت جميع أفعاله وسائر أقواله وكيف أذل من أجلها بنى زبيد وشتتهم فى القفر والبيد وقتل خالد بن محارب وأقام فى حيهم البكاء والنوائب وشتت بنى كنده فى سائر الآفاق بعد ما قتل مسحل بن طراق وأذل بنى

خشعم فى سائر الآفاق فتبسم الربيع من مقاله وقال له أيها السيد العظيم اتخاف من ذلك العبد الزنيم وهو فى الأصل لئيم ولا أب له كريم وأنت ملك من ملوك الأقاليم وخافك مثل الملك النعمان وهو ملك سائر العربان وأن جرى عليك أمر من الامور فهو يعينك على هذا الشيطان ولكن أحضر لى ابن عمك سنان حتى أسأله عن الأموال والجواهر الغوال فارسل مفرج خلفه فى الحال فلما حضر وسلم وأعلن بالسلام على من حضر فترحب به الربيع وأجلسه إلى جانبه ولما استقر به القرار سأله الربيع عن الأموال التى كانت على عبلة والملابس الغوال فأجاب ولم يقدر على انكار وقال الجميع عندى وقام فأحضر الاموال الجميع قدام مفرج والربيع وماعدم منها إلا عقد جوهر مثل لص الاظفار يساوى ألف دينار فعلم الربيع أنه برطل به الرجال الذين كانوا معه وأوصاهم بكتمان الحال (قال) هذا ومفرج لما نظر إلى هذه الأموال أخذته الحيرة والانذهال وقال والله لقد صدقت يا ربيع لأن هذا المال شيء كثير لا يقدر عليه إلا ملك كبير ولكن أعلمنى كيف يكون التدبير فى هذا الأمر النكير فقال له الربيع وهذا نقسمه قسمين تأخذ أنت نصفه وأنا نصفه ونقتل هذه الجارية ونواريها فى التراب وقد تمت هذه الأمور والأسباب فقال مفرج لقد قلت الصواب ونطقت بالأمر الذى لا يعاب ثم أن مفرجا شال رأسه من وقته وساعته إلى عبد من عبيده وكان رباه من الصغر وأطلعه على خزائن أمواله والدرر وكان يدخره للشدائد ويطلعه على سائر الأوامر وكان يقال له بشارة بن منع وكان له فى سائر الأمور مطيع وقال له أعلم يا بشارة أنى أريد منك الليلة إذا جرى الظلام أن تأخذ هذه الجارية العبسية وتخرج بها من الخيام وتقتلها وتخفيها تحت الرمال وأحذر من أن يشعر بها أحد من الانام فأجابه العبد بالسمع والطاعة وسار إلى ما أمره به مولاه من تلك الساعة وأما مفرج والربيع فأخذا فى شرب الراح والطرب والانشراح هذا والربيع يقول أنا ما بقيت أعود إلى الأوطان حتى انى أسير إلى الملك النعمان وأسلم عليه ويبقى لى ذلك حجة احتج بها إذا عدت إلى الأوطان ولا يقال عنى أنى غبت هذه الغيبة لمثل هذا الأمر والشأن فقال مفرج إن كان قصدك ذلك فسر فى صحبتى لأنى سائر إليه واتركه يبذل لك الإحسان ومازالوا على ذلك الكلام حتى انسدل الظلام فأتى إليهم بشارة بن منيع واستأذن فى قتل عبلة مولاه والربيع فقالا له سر إلى ما أمرك به هذا والربيع صاح عليه وأتاه بسكين ماضية وقال له اذبحها بها واجعلها معك تذكرنى بها طول الدهر والسنين فأخذ بشارة السكين وخرج من عندهم وركب جواده وسار حتى وصل إلى مضرب الجوارى فأخذ عبلة وأردفها خلفه وسار بها وهى لا تدرى ما يفعل بها ولا ما يجرى عليها وهى تبكى وتسيل العبرات وتلتفت إلى اليمين والشمال لا ترتجى مجيرا وناصرا أو معينا ويخلصها من تلك الأهوال (قال الراوى) ولما أبعد

بها بشارة عن المضارب والخيام وسار فى وسط السباسب والآكام قالت له ويلك يا عبد الأجواد والسادة الأكابر إلى أين أنت غادى وسائر فى جنح هذا الظلام العاكر فقال لها اعلمى يا ابنة الاجواد انى ماضى بك إلى الهلاك والنفاد لان مولاى قد أمرنى بقتلك وإخفائك من الزمان وردمك فى الرماد وأنا ما أقدر أن أخالفه فيما أمرنى به من الفعال لانه مالك رقى وسيدى على كل حال وهو سيد بنى شيبان وأميرها ومشيرها وحاكم على صغيرها وكبيرها وغنيها وفقيرها (قال الراوى) فلما سمعت عبلة من بشارة هذا المقال اشتد بها الخوف والبكاء والاعوال وسارت تدق بيدها على صدرها وهى تنادى فى الليل الهادى وتقول يالعبس يالعدنان وتنادى باسم عنتر فى تلك الوديان فلما رأى العبد فعلها ذلك الصياح والزعيق عدل بها عن ذلك الطريق وتجنب المهاد وأنزلها من على ظهر الجواد ورماها على وجهها وبرك على ظهرها وسل سكين الربيع وعول على أن يذبحها سريع (قال الراوى) ومن ألطاف الله وفعله الرقيق أن يخرج الفرج من قلب الضيق فبينما بشاره معول على ما قد عزم عليه من ذبح عبلة وإذا هى صاحت يا للمانعين انجدونى من شر هذه الفعلة وإذا بشخص قد أقبل مثل ذكر النعام وفى يده قوس وسهام وضرب بشارة بنبلة فكمت فى كتفه فجرحته جرحا بالغا فأهريق دمه وأشغله بنفسه وأشرف على فقد حسه وأما ذلك الشخص بأنه عدل إلى عبلة وهنأها بالسلامة والخلاص من العدم والندامة وقال لها لا تفزعى فقد زالت الكروب وقد نلت القصد والمطلوب فأنا عبدك وخادمك شيبوب (قال الراوى) لهذا الخبر بعد الصلاة والسلام على سيد البشر فخر ربيعة ومضر الذى انشق له القمر فلما عرفته زال عنها الفزع والكدر وقالت له ويلك ياشيبوب وأين أخوك عنتر فقال لها ياستاه تركته فى بنى عبس يقاسى من فقدك الآلام وقد أرسلنى فى طلبك من كثرة ما وجد من الغرام فسرت أجوب خلفك السباسب والآكام ولى خمسون يوما وأنا ادور عليك فى الحلل وأسأل عنك من أراه فى السهل والجبل حتى وقعت بك فى هذا المكان على سبيل الاتفاق وقد سيرنى إليك الملك الخلاق الكريم الرزاق ومقدر الآجال والارزاق وكنت قد أيست منك وعولت على الرجوع فسمعت أن الربيع بن زياد فى هذه الربوع والأطلال وأنه قد أتى إلى مفرج بن هلال وكنت أعلم أنه صديق له من قديم الزمان فقلت لابد أن اكشف خبره وأعلم ما سببه وأى شيء الذى أتى به إلى هذه الأرض واقتفى أثره فاختفيت وأتيت إلى هنا ليلاحق لا يرانى لا هو ولا غيره فوقعت بك هنا وخلصتك من هذا البلاء والعنا فقالت له عبلة وكيف يكون العمل فقال أقوم وأتمم موت هذا العبد الغدار وأسير بك إلى أرضنا والديار فى طرقات لا تهتدى إليها الجن من تحت القرار فقالت عبلة والله أن هذا الأمل بعيد

لان البر بين أيدينا صعب شديد وأقول أننى ما بقيت أرى الديار والاطلال إلا أن كانت معنا عنترة الرجال واشوقاه إليه وإلى محبوبتى رابعة واقلة ناصراه من هذه المصائب الشائعة فقال شيبوب أما رابعة فقد أشرفت على الهلاك مما كانت تبكى فى النهار وفى ظلام الحلاك فقالت له عبلة لعن الله ربيع بن زياد ولا يهنأ طول عمره بزاد ولا ملئت أجفانه برقاد كما أكثر سهادى وشتتنى عن بلادى فقال شيبوب ابشرى بقرب الإجتماع والعودة إلى الاحباب والاتباع ثم أنه بعد ذلك سار إلى بشاره ليتمم موتته فرآه قد أفاق على نفسه وهو قاعد يسمع ماجرى بين شيبوب وعبلة من الكلام إلا أن الجرح منعه عن القيام فلما أبصر بشارة إلى شيبوب وقد اقبل إليه خاف أن يقضى عليه فقال له يافتى بحق الرب القديم وما أنزل فى صحف سيدنا إبراهيم اسألك أن تخبرنى وتمسك يدك عنى حتى أقول لك ماخطر ببالى وأشير عليك برأى لك فيه الصلاح وهو أنك لاتركب بهذه الجارية مرتب الخطر ولا يخلو حالك من حالتين إما أن يلقاك من يعيقك فى الطريق ويكون عليك غير شفيق والثانى أن هذه الجارية لا تقدر أن تمضى معك ولا لها قدرة على سلوك البر والطريق بل تبلى نفسك بما لا تطيق ولا تكون اكنت عدوا ولا افرحت صديق فقال له شيبوب وما الذى خطر ببالك أعلمنى فإن كان فيه الصلاح فعلته وإن كان غير ذلك أهملته حتى ادبر نفسى بما يكون فيه صلاح واسير من هنا قبل أن يصبح الصباح فقال له أعلم يا ابن الخالة اننى كنت أهوى أمة سمراء اسمها رابعة وهى كأنها الشمس الطالعة وكنت ربيت معها فى هذا الحى ونحن روحان حلانا ببدن واحد ولما تحكم فى قلبى هواها ولم أطق أن اسلاها اغتالنى فيها الزمان ورمانى بالويل والحرمان وعدمت من عندنا فى هذا العام وتركتنى بعدها كثير الهيام لا التذ بطعام ولا أملأ جفونى بمنام بل أتنسم أخبارها من سائر الاقطار وأسأل عنها الخطار والسفار فاسمعت لها بخبر ولا وقعت لها على أثر إلا فى هذه الساعة منك ومن مولاتك عبلة وهى تسأل عنها وكنت قد أشرفت على الموت من ألم الجراح حتى سمعت بذكرها فنسيت ما أنا فيه وبدا عندى الصلاح وعادت إلى الروح فى جسدى عند ذكرها بالسماع وقلت عسى الأيام تجمعنى بها بعد بعدها وأريد منك ياوجه العرب أن تخبرنى بحقيقة الحال وتصدقنى فى المقال إن كانت هذه الجارية نشأت عندكم وربيت فى أرضكم أو من العدو قد وصلت إليكم حتى أنى لا أموت بحسرتها وأخرج من دار الدنيا بسببها وما رأيتها فقال له شيبوب هذه ما ربيت فى حينا ولا بين إمائنا وإنما اتخذها أخى من جملة السبى والأموال التى أخذها من أنس بن مدرك بعد ما كاده فى الجبال وافنى رجاله والأبطال ثم إنه حدثه بالحديث من أوله إلى آخره وأطلعه على باطنه وظاهره وكيف خلص عبلة من بنى كنده وما وقع لهم من سيف أخيه من البلاء والشدة وكيف احبتها عبلة لما رأت فيها من

اللعب والمزاح والحسن والجمال والسماح ثم أنه أعطى له فيها أمارات كثيرة وقال له يا ابن الخالة أماهى فكحلاء العيون بحاجب مقرون كأنه خط نون على خدها شامة وفى وجهها علامة بخد أسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل ومن جملة أوصافها أن لها أربع ذوائب على أكتافها فقال له بشارة بسك بسك هذه صفة محبوبتى التى طيرت النوم من مقلتى واشعلت النار فى مهجتى وأنا أحمد الرب القديم رب زمزم والحطيم الذى أرقعها عندكم وأنا قد صرت من هذا اليوم عبدكم وخادمكم وقد صح عندى أنها محبوبتى بعينها والدليل على ذلك أنه كان هنا عبد يحبها مثل محبتى فأخذها من حيها وهرب وسلك البر والسبسب فسمعت أن أنس ابن مدركة التقى بها فأخذها منه وقتله وقد صح عندى هذا الخبر وبان الأمر واشتهر وعلى وجه الحقيقة وبافتى قد طاب قلبى لما سمعت منك هذا الكلام وقد أشتهيت قبل موتى أن ارجع والتقى بها وأكون عندكم فى المقام وأنا قادر أن أسير معكم فى هذه الساعة لكن نخاف أن تلحقنا الخيل فى الطريق وتعدمنا السعادة والتوفيق وتردنا إلى صاحبكم الربيع فنهلك نحن الجميع والرأى عندى أن تعود أنت إلى صاحبك عنتر وتخبره بهذا الخبر وتعودوا إلى هنا ويكون معكم خيل تعيننا على شغلنا وتحفظنا من أعدائنا إذا فمروا وراءنا وأنا أعود من وقتى هذا وأحفظ عبلة واتركها عند والدتى وأوصيها بحفظها وكتمان أمرها وأدخل على مولاى مفرج والربيع وأقول لهم قد قضيت الشغل الذى أمرتمونى به وأخفيت هذه الجارية بين أحاقيف الرمال هذا دمها على ثوبى شاهد لصدق مقالى وقد تركت لحمها لوحش البر والوهام وأقعد لكم فى الانتظار حتى تأتى أنت وأخوك إلى هذه الديار وتخلصوها من الشدائد والاهوال (قال الراوى) فلما سمع شيبوب من بشارة هذا الكلام قال له يا ابن الخالة كيف أصدقك فى هذا المرام وأنا تركت دمك يسيح على أثوابك فقال بشارة لاتفعل يا ابن الخالة ولا تقل هذا المقال فوحق من رفع السماء انى حدثتك إلا حديثا صادقا إن قلبى عندكم وجسمى متكون من أجل رابعة محبوبتى وأنت فيما قلت معى معذور وليتنا ما كنا تعارفنا بأمر من الأمور (قال الراوى) فلما سمع كلامه زال عنه الخبال وبان له الصدق من المحال وعلم أنه لا يقدر أن يسلك بعبلة فى هذا البر الأقفر إذا لم يكن معه أخوه عنتر فعندها تقدم شيبوب وشد جراح العبد وودعه بعد ما أوصاه على عبلة وعاد الأثر وسلك البر الاقفر وبشارة يقول يا ابن الخالة لا تطل الغيبة فربما يفسد رأينا ونهلك ثم أخذ عبلة وسار إلى منزله والديار قد نزلت محبتها فى قلبه لأجل محبوبته رابعة وقد أبغض المقام من أجلها بين أهله وأخفى سره وكتم وجده وأوصى على عبلة أمه وعاد إلى مفرج والربيع وكانا فى أعظم مسرة وقد لعبت بهما نشوة الخمر وكانا فى الانتظار (قال الراوى) ولما دخل عليهم بشارة قالوا له ما فعلت بعبلة من الأكدار

فقال ياموالى فعلت ما أمرتمونى به فى الحال وما عدت إليكم حتى تركت عليها كثبانا من الرمال وهذا دمها شاهد لى بصدق المقال (قال) فلما سمع ذلك المقال فرح وقام وخلع جميع أثوابه وأعطه سكينة الجنب والمنديل وقال والله إنك تستاهل الاموال والبدرة فلله درك ودر من رباك فلقد قرت بفعلك العيون فقال مفرج هذا عندى أعز من ولدى ولولا ذلك لما فضلته على أهلى وجندى وملكته خزائن أموالى وآمنته على حريمى وعيالى فقال الربيع هذا أمر قد انقضى ومضى ومابقيت أقيم عندك إلى هذا اليوم فى هذه الأوطان ومن الغد أسير إلى الملك النعمان حتى لا يبقى على عتب ولا ملام فقال له مفرج وأنا أسير معك إليه لأجل السلام عليه (قال الراوى) فلما كان من الغد ركب الربيع ومفرج وساروا إلى الملك النعمان بعد ما أوصى مفرج عبده بشارة على حريمه وعياله وخزائن أمواله فهذا ما كان منهم وماجرى لهم من الإيراد (وأما ما كان) من شيبوب البطل الجواد فانه جد فى المسير الليل والنهار إلى أن وصل وشارف الديار (قال الراوى) وكان أخوه عنتر دائم الأحزان والبكاء والهم والاشتكاء إلى أن عادت العبيد الذين كان أنفذهم الملك زهير خلف عبلة وقد عادوا خائبين مما كانوا له طالبين وقد زادت بعنتر الفكر وقد آلمه الهوى وأضر به السهر وقلة النوم والهجوع وشدة الكروب وبقى متعلق القلب بوصول أخيه شيبوب وكانت الناس قد ضجرت من بكائه والتردد إليه وتكدرت أوقات الملك زهير عليه وكذلك أولاده وقد كان عنتر ضرب له مضربا على العلم السعدى وانفرد بعيد عن الناس لا يعيد ولا يبدى وصار لا يقبل عذل عذال وخاف من شماتة الأنذال وفى تلك الأيام قدم عليه أخوه شيبوب فوجده فى ضر يعقوب وحزن أيوب فقال له ويلك يا ابن الأم قتلتنى بطول هذه الغيبة هل وقعت لعبلة على خبر واقتفيت منها الأثر أم رجعت بالخيبة بعد طول هذه الغيبة وبعدها صار يحث أخاه شيبوبا بالكلام ويستخبر منه بالشعر والنظام وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

ويلك ياشيبوب خبرنى عجل ... فلعل الهم عن قلبى يزل
ويلك أخبرنى سريعاً عاجلا ... ليزول الغم عنى والوجل
أن أنل من عبلة يوماً أمل ... قبل موتى أن أتانى لم أنل
ويلك يا ابن الأم كم من غربة ... كم غرام كم صدود كم وجل
يا ابنة العم إلى كم ذا الجفا ... خيم الوجد بقلبى ونزل
زعموا أنى عنها لم أسل ... لا ومن خاطبه فوق الجبل
أنكرت عيناى بعدكم الكرا ... قد عصيت اللوم فيكم والعذل
فلأبكينك بدم ودم ... ولأرثينك بسهم وجبل

فيك قد أصبحت مضنى ناحلا ... فيك قد صرت حديثا مثل
لاجوزن النيـــافى أفتق ... أثر الأحباب أو يأتى الأجل
راكبا العيس أفقر خلفها ... فى جميع الأرض لانال الأمل
واثيران عجاجا نافعا ... بظباة الهند مع سمر الاسل
ثم أخلى الأرض من سكانها ... وكذا جن البرارى والجبل
لاعلت بعدك رجلى أبجرى ... لا ولا أملت فى الدنيا أمل
لاولا جردت سيفى لاولا ... قبضت يمناى أطراف الاسل
قد هجرت الكاس والطاس معا ... ولذيذ العيش عنى قد رحل
قد تركت اللهو واللذات أو ... يأتى شيبوب بالبشرى عجل
ياابن أمى بين الشرح وقل ... ففؤادى فيه نار تشتعل
فقد فنى جسمى وقلت حيلتى ... بعد ماكنت شديد المحتمل
عبلة لو عاينت ماقد حل بى ... من هموم وغموم ووجل
وغرام دائم لا ينقضى ... وبكاء ونحيب وعول
قلت القلب ترى يجمعنا ... بعد ذاك البعد ربع وطلل
قل صبرى من هموم أقبلت ... بفراق وبعاد وملل
على آل زياد وهمـــوا ... حيرونى وأنا فيهم مثل
آمنوا صرف الليالى والعدا ... عتبوا الأيام والدنيا دول
أو لايدرون أنى بطل ... صلت فى الهيجا على كل بطل
وأنا ياعبلة فعلى أبيض ... وحمل قد رقى فوق زحل
أن توانيت عن النار وعن ... أخذه ممن يعدى فى العمل
فالعنوا عنتر فهو الذى ... ضيع الثار بابداء المهل
ياترى فى أى أرض نزلت ... عبلة أم أى ربع أم طلل
وتلك ياشيبوب صبرى قدفنى ... ورقادى ملنى كيف العمل
ليس لى غيرك خل مسعف ... يكشف الأخبار من غير مهل
فاشرح الأمر الذى لاقيته ... وابداه لاتخفى شيئاً قد حصل

(قال الراوى) فلمافرغ عنتر من شعره ونظامه وما أبداه من نظمه وفكره أجابه شيبوب يقول هذه الأبيات:

أبا الفوارس زال الهم والفكر ... وأقبل السعد ياابن الام والظفر
أبشر بعبلة حقا فهى سالمة ... لم تلق بؤسا وماقد مسها ضرر

يا اسمع حديثي وما لاقيت في سفري   واعجب فمن ذكره قد تعجب البشر
فقد طفت كل ديار العرب أجمعها   والوعر والسهل كي يبدو لي الخبر
فكم قطعت فلاة وهي مقفرة   وكم سعيت وشأني كله خطر
ألقى الصحاصح مثل الذئب منذعرا   أغدو بلا تعب ما مسني ضرر
وخضت في فلوات الأرض مختلسا   والصخر يقدح والرمضاء تستعر
حتى بلغت إلى أحياء قد ظهرت   إلى زبيد ولم يسمع لها خبر
وقد مررت إلى أرض العراق وقد   شاهدت في برها ما سهله وعر
سعيت كالمجرود في داج أسير وقد   أخفيت مشيي فلا يدري به البصر
والليل أسحم لا شيء يلوح سوى   علو الجبال ومن عيني بدا الضرر
جعلت أمشي قليلا بان لي شبح   يدل أنهما شخصان قد ظهروا
وواحد منهما كالطود منفرد   يروم قتل الذي في الأرض ينحدر
زعقت فيه وقد بادرته عجلا   بضربة قلت لا تبقي ولا تذر
لما رآني الذي قد رام يقتله   نادى إلي أجني أنت أم بشر
بالله من أنت ياهذا فقلت له   إني أراك اعتراك الخوف والحذر
وقد آل عبس طاب عنصرهم   قوم على عرب الآفاق قد فخر
قالت عبيلة ياشيبوب ياأملي   قلت بشرى زال عنك الهم والكدر
فأخبريني بهذا العبد قال أنا   بشارة وحديثي سوف يشتهر
لي بنت عم وهي تدعى برابعة   محبوبتي سبت أضنى بها التكدر
فقلت رابعة عندي لها خبر   في بيت عنترة مامسها ضرر
قد اصطفاها أخي من سبي مدركه   ماسامها الضيم بل ماكدها أثر
لما درى أن تبشري برابعة   تساقط الدمع من عينيه ينحدر
فقام عمدا إلى نحوي وصالحني   وقال لي أيما تبغي وتنتظر
دع بنت عمك عندي سوف أحفظها   من أجل رابعة ما مسها ضرر
أحطها في سواد العين ياأملي   والقلب يلحظها والسمع والبصر
فانهض وسر عاجلا من قبل يدركنا   مفرج أنه في الصبح ينحدر
وقد أتيتك بالأخبار عن ثقة   مما رأيت وصح القول والخبر

(قال الراوي) ثم أنه أخبره بما تم له مع عبلة والعبد وبشارة فلما سمع عنتر هذا الكلام فرح بانكشاف خبر عبلة ثم أنه استعاد الحديث ثانيا من أخيه لحلاوته وفي الوقت والساعة أنفذ خلف رابعة وأخبرها بهذا الحديث فطاب قلبها وفرحت وقالت له يا مولاي ماذا منت

مولاتى عبلة عند محبوبى بشارة فقد آمنت عليها من كل أحد لأنى أنا أعلم أنى عنده مثل روحه التى بين جنبيه فقاتل الله الربيع بن زياد ولاهناه بطيب الرقاد (قال الراوى) وما زالوا فى حديث وكلام حتى أتى ذيل الصباح وانكشف الظلام بإذن العزيز الفتاح فأنفذ عنتر لعروة بن الورد فلما حضر أخبره بخبر عبلة وأنها ظهرت فى بنى شيبان فقال له عروة ياأبا الفوارس وما فى نيتك أن تفعل بعد سماع هذه الأخبار فقال له أريد أن تؤثر فى بنى زياد أثرا وأفنى بنى شيبان ولا أخلى لهم ذكرا يذكر بين العربان فقال عروة ياأبا الفوارس أفعل ما بدالك وما يعود نفعه عليك والصواب أنك الآن تكتم خبر عبلة وتلقى أخاك شيبوبا خوفاً أن يمضى أحد إلى بنى شيبان ويعلم مفرجاً والربيع بالأمر الذى قد كان ويأخذ عبلة من العبيد الذى هى عنده ويلعنوا أباه وجده فلما سمع عنتر من عروة كلامه علم أنه صواب ثم أنه أقبل عليه وقال له اعلم يا ابن العم أنى أرى من الرأى أن أركب أنا وأنت فى عشر فوارس ونحضر عند الملك زهير ونسلم عليه ونؤانسه بدل اليوم عشرة وأجعل ذلك على سبيل المهلة وبعدها أسير فى طلب عبلة وإذا سألونى عن حالى أقول لهم قد طالت على الأيام والليالى وقد علمت أن ابنة عمى عدمت لأجل ما عليها من الأموال واللآلى وأنا أعلم أن الحزن الطويل لا يرد من صار تحت الثرى جديل وأخى شيبوب قد أبطأ على خبره وأنى أريد أن أقتفى أثره بنفسى وأطوف البلدان والحلل والغدران والسهل والجبل واكتسب شيئاً من الأموال وأعود لأن الطارق علينا كثير وسمعنا فى الناس كبير (قال الراوى) فلما سمع عروة من عنتر ذلك الخطاب قال هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم أن عروة أنفذ فى عاجل الحال إلى من له من الرجال وأعلمهم أنه عازم مع عنتر على السمر بغد شيء يسير وبعد ذلك ركب عنتر وعروة ورجاله وأتى إلى الملك زهير ليعرض عليه أقواله وحادثه وأعاد عليه التدبير من ذلك القول والمحال ففرح الملك زهير بهذا المقال وقال لأولاده اركبوا مع ابن عمكم إلى الصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص فركبوا وساروا بصحبته ولما كان آخر النهار عادوا ومعهم من الصيد شيء كثير وبات عنتر تلك الليلة وقد أظهر لأعمامه السلو عن عبلة وأقام مدة ثلاثة أيام فلما علم أن قلوب أهل الحى اطمأنت عليه ودع الملك زهير وأصحابه وأظهر أنه يريد الغزو فى بلاد اليمن ثم أنه ركب هو ورجاله وعروة فلما اتسع عليهم البر والآفاق ودنا رؤوس الخيل إلى بلاد العراق وهذا وشيبوب مختفى عند أمه زبيبة إلى أن أقبل الليل فخرج عليهم مثل انحدار السيل وساروا بعد ما ركبوا وتبطنوا فى تلك البرارى والقفار هذا ما كان من أمر هؤلاء الأجواد وما حصل لهم من الإيراد وأما ما كان من أمر مفرج بن هلال والربيع بن زياد فإنهم لما أمروا العبد بشارة بقتل عبلة وأخفائها تحت الرمل وتقاسموا ما كان عليها من الأموال كان تدبير الملك المتعال أحسن وأجمل من تدبير

الربيع ابن الأنتدال ورحلوا بعدها طالبين الملك النعمان وما ترك مفرج فى الحلة غير فرسان قلائل مع ابن عمه مالك بن حسان وأوصى بشارة بنسائه وعياله وسلم إليه مفاتيح خزائن أمواله وجدوا فى المسير حتى أشرفوا على أرض الحيرة والنجف وهموا أن يدخلوا إليها وإذا بالنعمان خارج فى موكب عظيم مع الغلمان الذين كلهم مردن (قال الراوى) وكان الملك النعمان قد استسن لهسنة فى ذلك الزمان ما فعلها قبله أحد من ملوك العربان وذلك أنه جعل له فى كل سنة يومين يوم نعيم ومسرة ويوم بؤس ومضرة وقد شاع ذلك فى سائر الأقاليم والبلدان فأما يوم البؤس فكان يلبس كل شىء عليه أحمر وسيفه فى يمينه مشهر وتحته جواد أدهم مهلوب الذنب وحوله ألف عبد أشد من جبابرة العرب والجميع بدروع الزرد ومعهم السيوف والرماح والعمد وكل من وقعوا به فى ذلك اليوم قتلوه وعلى الثرى جندلوه ويريقوا دمه على الصعيد قريبا كان أو بعيدا ولا يدخلون البلد إلا إذا أمسى المساء والجميع مخضبون بالدماء وأما يوم النعيم فإنه كان يظهر هو راكب على جواد أشقر وملبوسه كله أخضر وعلى رأسه تاج بفصوص الجوهر وبين يديه ألف غلام كلهم مردان وعلى رأسهم شباك اللؤلؤ والمرجان وفى أيديهم أطباق من الفضة ملآنة من الدنانير الكسروية ومعهم الخلع الروميةو كل من وقعوا به فى الطريق عدوا كان أو صديق يرمون من تلك الخلع عليه ويصبون عليه من تلك الدنانير غنيا كان أو فقير صعلوكا أو أمير وإذا عبر نصف النهار وعاد الملك إلى مجلس العقار ويقضى نهاره بالفرح والاستبشار (قال الأصمعى) وإنى قد سألت عن السبب الموجب لذلك الأمر فقيل لى يا أصمعى كان الأصل فى ذلك أن النعمان كان له مغنية ونديمان قد اتخذهم لنفسه دون كل إنسان وقد كشفهم على أسراره دون أهله وأنصاره وما كان له صبر عنهم ولا قدر ساعة فاتفق فى بعض الأيام وهو فى مجلس شرابه أنه ما زال يشرب مع أصحابه إلى أن جاء وقت المساء وانصرفت الخلائق من مجلسه ولم يبق عنده غير المغنية والنديمين وما زال يشرب حتى أخذت الخمر مأخذها وعملت معه فى الرأس وأقبل عليه الليل وأتى له النعاس فعند ذلك نام وجلت عظمة من لا يغفل ولا ينام وكان نومه مقدار ساعة زمانية فتخيل له من السكر أن النديمين يلعبان مع المغنية فقام من المنام وقد جذب فى يده الحسام وقتل النديمين والمغنية الجميع وعاد إلى مرقده سريع وما زال على ذلك الايضاح إلى أن طلع الصباح وانتبه من المنام وقد أفاق من نشوة المدام فوجد الأرض مخضبة بالدماء والنديمين والمغنية بين يديه مقتولين وقد نفذ فيهم أمر رب العالمين فانزعج من ذلك الحال وقال لأرباب دولته من فعل بهؤلاء الفعال فقالوا له أنت يا ملك الزمان وأخبروه بما جرى منه من الأمر والشأن وكيف قتلهم وهو سكران فحصل له من ذلك غم عظيم وأصابه خطر جسيم بعد ذلك أمر بدفنهم بعد تجهيزهم ثم أنه مما أصابه من الهم والضرر جعل ما عليه من الملبوس

أحمر وأخذ في يمينه سيفا مشهور وركب جوادا أدهم مهلوب الذنب وحوله ألف من العبيد السودان وكلهم بتلك الألوان والجميع بصدور الزرد والسيوف والرماح والعمد وخرجوا إلى البر والفدفد وأمرهم أن كل من وقعوا به يقتلوه وعلى الثرى يجندلوه وجعل هذا اليوم يوم البؤس والندم والعكوس وقد أمر المنادى أن ينادى فى البلدان أن يأخذ الناس الحذر من ذلك اليوم الكدر (قال الراوى) وقد صارت هذه عادة مستمرة على الدوام وقد علم بها الخاص والعام وأما يوم النعيم فكان له سبب عظيم وهو أن الملك النعمان ركب فى يوم من ذات الأيام وقد أوسع فى البر والآكام يريد الصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص فى تلك البرارى والوديان ومعه جماعة من الفرسان فحصلت من الملك النعمان التفاتة فرأى فحلا من الغزلان فأخذ خلفه فى ذلك المكان ولم يتبعه من جماعته إنسان فلما رأى الفحل أن النعمان سارع له فى الطلب أخذ هو الهرب والملك النعمان وراءه فى البر والسبسب وقد أراد أن يهلك حجرته حذرا من فروسيته ومازال كذلك إلى أن أقبل عليه الظلام فتاه منه الذكر النعام فاراد الملك النعمان الرجوع فضل عن الطريق وقد عدم السعادة والتوفيق ومازال يسير فى البر يمينا وشمال فما ازداد إلا خيبة وضلال فبينما هو سائر بلا رفيق وقد حصل له فى صدره الضيق وإذا هو قد رأى بين يديه بيتا من شعر منصوب وهو على راية عالية مضروب فتقرب إليه حتى صار ذلك البيت بين يديه وإذا هو برجل بدوى جالس على بابه وقدامه قدر فيه من لحم الفصلان وهو قاعد يصلح له الطعام فابتدأه الملك النعمان بالسلام فرد عليه البدوى بالتحية والاكرام وقام وتلقاه وضحك فى وجهه عند ملتقاه وقد أنزله عن جواده وزاد فى إكرامه ووداده وقدم له ما راج من الطعام وأكرمه غاية الاكرام إلى تمام ثلاثة أيام وبعد ذلك سأل البدوى من الملك النعمان وقال له ما سبب انفرادك تلك الوديان فأخبره الملك النعمان بما جرى له من الأمر والشأن وأعلمه أنه ملك جميع العربان ففرح البدوى وقال له أبشر يا ملك الزمان بعودتك إلى الأوطان ثم أنهم ركبوا وساروا يجدون المسير فى الوديان وهم على تلك الوتيرة حتى أنهم أشرفوا على مدينة الحيرة فوجد أهل دولته قد لبسوا ثياب الأحزان وهم يظنون أنه هلك فى الوديان وقد قطعوا منه الأياس فلما رأوه فرح برؤيته العام والخاص وكان هذا اليوم عندهم فرح وأمان برجوعه سالما إلى الأوطان وهذا والملك النعمان قد أنعم على ذلك البدوى وأعطاه كثير حتى أنه صار غنيا بعدما كان فقير وجعل الملك النعمان هذا اليوم يوم النعيم والمسرة وصارت عندهم عادة ومسرة (قال الراوى) ومما وقع من الاتفاق الذى يكتب ويسطر فى الأوراق أنه اتفق دخول مفرج والربيع فى ذلك اليوم البديع فتجارت إليهم الغلمان وخلعوا عليهم من تلك الخلع الحسان ونثروا عليهم من الدنانير التى فى الأكياس حتى نزلوا عن خيولهم وترجلوا

على الأرض والقيعان وقبلوا الأرض قدام الملك النعمان وتقدم إليه الربيع وأنشد وقال:

أدام الله أيام التهانى بطول بقاك ياملك الزمان
ولا زالت سيوفك مشهرات على أعداك فى الحرب العوان
وقطر يديك يحيى كل أرض ويروى الناس من قاص ودان
ولولا نور وجهك مااهتدينا إلى آثار هاتيك المغانى

(قال الراوى) فلما فرغ الربيع بن زياد من شعره أعجب الملك النعمان وطرب لنظمه ونثره وسأل مفرج عنه وقال له من أى العرب هذا الإنسان فقال له هو من بنى عبس وعدنان يقال له الربيع بن زياد وهو صاحب رأيهم السداد فقال الملك النعمان إن هذا أمر عجيب كيف زارنا الآن من بنى عبس إنسان وقد كان أبى تعصب لعبدهم عنتر وطرح عنهم الخراج وما قصر فما عادوا ذكرونا ولا تعنوا إلينا ولا سألونا ومن تسكبر ملكهم زهير ما التفت إلينا (قال الراوى) وكان فى قلب النعمان من هذا أمر نسكير لأنه كان بلغه طرف من حديث المتجردة بنت زهير وذكروا له ماهى عليه من الحسن والجمال والقد والاعتدال فاشتغل بها خاطره وهامت بها سرائره ولكن من عزة نفسه صار يقول قوم ماذكرونى وهم من بعض رعيتى فكيف أبدأهم بالاحسان من أجل شهوة من شهوات الإنسان والله لافعلت ذلك أبدا ولو شربت كاس الردى ومازال على هذا المرام إلى أن قدم الربيع عليه فى تلك الأيام وجرى ماجرى من ذلك الامر والشأن وسمع من مفرج أنه شيخ من مشايخ بنى عبس وعدنان وأنه من الامراء المشاهير فقال فى نفسه هذا يكون الواسطة بينى وبين الملك زهير ثم أنهم دخلوا القصر لاجل الضيافة وأمر غلمانه أن يزيدوا لهم فى الاكرام وجعل يباسطهم فى الكلام حتى راج الطعام وأتت به الخدام فأكلوا حتى اكتفوا من هذا الانعام وبعد ذلك قدموا لهم آنية المدام ومازال فى اكرامهم مدة ثلاثة أيام فلما كان فى رابع الايام دخل بهم إلى قصر المملكة وكان بصحبته وزراؤه ورؤساء مملكته وخواص دولته وجميع الامراء الاجواد وبالجملة مفرج بن هلال والربيع بن زياد فنظروا إلى منازل ضاحكة بأصحابها قد أمطرت عليها من وابل الاقبال سحائبها وفتحت كواكب السعادة أبوابها فتعجب الربيع من هذا الملك العظيم ونظر إلى ترصيع وترخيم وأسرة متقابلة بعضها البعض وهى من الفضة والذهب ومياهها تتدفق هذا وطيورها تزعق والساطات قد وضعت فى أوانى من الذهب بأصناف من معادن رصعت وقد امتدت آنية المدام من الخمر العتيق من كاسات وطاسات وأباريق وقد رصعت بالذهب الاحمر وأنوارها من اللمعان تبهر ونظر الربيع قدام هذا القصر إلى بستان فيه من كل فاكهة زوجان كأنه صيغ من الجواهر الحسان بباب مقنطر كأنه إيوان ومن داخل هذا البستان يرى فيه الفواكه مختلف الالوان فالزمان حامض

ومحلو . والمشمش لوزى وحموى ومن خراسان وتفاح سكرى وفاطمى وتدامان والتين قد فرق بين أبيضه وأسوده بسياج من البان والنارنج كمشاعل النيران والاترج بأعلى مكان والليمونة كبنادق فضة طليت بالذهب المنصان هذا والأطيار تغرد على سائر الأغصان فالزار يصيح بطيب الألحان والقمرى ينادى بصوته يارحيم يارحمن والبلبل قد بلبل الأشجان والشحرور بفصاحته كأنه راهب فصيح اللسان والمطوق يفرد فتجاوبه أم حسان والزهر فى الروض قد تخالفت منه الألوان فالأحمر من الورد كأنه مداهن ياقوت أو مرجان والياسمين كأنه لجين قد صنع منه صلبان والزنبق يتمايل فى الخضرة كأنه سكران والنرجس كقباب بيض يحملها من الزمرد قضبان والبنفسج كأكر علقت فيه النيران ومقابل الآس الخزام المبثور وشقائق النعمان والنمام قد نم برائحته واستغفر بما جناه الريحان وبكى الغمام عنبر تغر الاقحوان والنسرين قد فتح على أشجاره وناظر الخدود وعيون السوسان والنهر قد صار فى خرير والطيران فى صفير والريح فى هدير لاعتدال الزمان كما قال فيه بعض واصفيه هذه الأبيات الحسان :

الدوح زاه والرياض زواهر والطير غنى والنسيم عاطر
وقد أتى وقت الربيع زائر فانهض إليه فهو زاه زاهر
أما ترى الطل عليه هاطلا كأنه اللؤلؤ والجواهر
والغيم باك والغدير ضاحك والطير شاد راقص ودائر
والغصن فيه راكع وساجد وباسط أوراقه وناشر
وغرد الشحرور فى غصونه كخاطب مرقاته المنابر
وأبدت الأرض لنا زخارفا من كل صنف فيه لون باهر
يبسر عين الناظر ابتهاجه لله فى صنعته سرائر
نوراق فى الأزهار لون بنفسج ونرجس فالكل صاف ناضر
وقد صفا لون الشقيق ساطعا باهى من الجمرة زاه زاهر
وأبيض لون اللجين ناصعا وعرفه مع النسيم سائر
والنخل فى أكامها وزهوها كأنها عرائس بواهر
ونور النارنج فى غصونه كأنه فى غصنه مجامر
والتين أضحى ذابلا وناعسا عليه عصفور القلوب طائر
فاغنم فالاجتماع فيه نزهة فالعمر ولى والممات حاضر

(قال الراوى) فلما رأى الربيع إلى ذلك المكان تعجب ولحقه الطرب والهيمان هذا وقد جلس النعمان على سرير ملكه وأجلس الربيع ومن جاء إلى جانبه وشرعوا فى أكل الطعام

وشرب المدام وبعدها شرع النعمان يحدث الربيع بما يجده من أمر المتجردة من المحبة والهيمان فقال الربيع وقد انفتح له باب لهلاك عنتر إسمع يا ملك الزمان فوالله ما هي إلا من الحور الحسان وإن الذى وصفها لك ما أنصفها وهي أحسن بنات العربان إلا أن أباها عرقة لا يلين ويقول فى نفسه أنه ماله فى هذا الزمان قرين وأنه من تجبره من مدة أعوام أراد أن يبنى فى أرضه بيتاً مثل البيت الحرام واليوم قد زاد عما كان لأنه ألحق هذا العبد المسمى عنتر بالنسب وقد أدب به سائر العرب وأنا لما رأيت الذل بعد العز رحلت من جواره ونزلت على بنى فزارة ولو كنت أرسلت له رسولا أو خاطبا فما كان عاد اليك إلا خائباً (قال الراوى) فلما سمع الملك النعمان هذا الكلام صعب عليه وصار الضياء فى وجهه كالظلام وقال له ما هذا الكلام الهذيان فوحق بيت النيران لو كنت بعثت من عندى حاجبا وعاد إلى كما ذكرت خائبا ما كنت تركت من بنى عبس لا ماشيا ولا راكبا وأنت الآن أذكرتنى بشىء كنت منشغلا عنه ومن حين صار الأمر كذلك لا بدلى منه فعند ذلك قال الربيع وقد امتلأ قلبه بالفرح واتسع صدره وانشرح أعلم أيها الملك أن قلبى قد انطوى لك على صحة الوداد وقد صرت من حزبك والأجناد ثم إنه شرع يحدث النعمان بجميع ما فعله والسكر قد غيب عقله وأخبره بما دبر فى حق عبلة وكيف أنفذها إلى مفرج وكيف أمر بهلاكها وأخبره أنهم قتلوها وتقاسموا أموالها وقال فى آخر كلامه أيها الملك إنى ما فعلت هذه الفعال رغبة منى فى مال بل لأجل هلاك عنتر بن الأنذال لأنه إذا فقدها مات حسرة واغتيال وأما المال الذى حصل لى فإنه ما يصلح لمثلى وإذا قبلته منى كان أصلح لأمرك وأرجح ثم أنه صاح فى غلامه سالم وأمره باحضار تلك الجواهر التى أخذها من عبلة فخرج الغلام فى الحال وغاب قليلا وعاد ومعه المال فقال الربيع بمكره ودهاه ودخوله على ما دبره وأبداه إنى أريد أيها الملك من إحسانك أن تمن على بقبوله (قال) فلما نظر الملك النعمان إلى تاج الملك كسرى والعصابة والبدنة والاكليل انذهل وتعجب من ذلك المال الجزيل وزاد تعجبه من تدبير الربيع وأحضر أيضا مفرج ما كان قد أخذه فصار بين يديه الجميع فعند ذلك قال النعمان للربيع إن هذا الفعل عند مثلى لا يضيع وإنى أريد منك ألا تكون سببا لاتصالى إلى المتجردة وإن كنت تعجز عن ذلك فأنا آخذها غصبا وأترك أباها ينسحب بين يدى سحبا فقال الربيع يا مولاى الأمر يأتى بدون هذا والصواب أن تمهل على حتى أعود إلى الديار وأتحدث مع الملك زهير وأصف له ما رأيت من مالك وما أنت فيه من الخير فإن هو أجاب بالسمع والطاعة كان المسعود فى هذه البضاعة وإن هو قال لا كان الهوان به أولى وما زالوا على ذلك الإيضاح إلى أن طلع الفجر ولاح فخلع النعمان على مفرج بن هلال وسيره إلى كسرى لقضاء بعض الاشغال وأقام الربيع بعد ثلاثة أيام

وفى اليوم الرابع أمر له الملك النعمان بخمسمائة ناقة من النوق العصافير الحسان وأعطاه بصحبتها عشرة بغال تحمل صناديق الاموال وفيها ثياب خز كوفية واهدى اليه خمسين نجيبا من الخيول العربية وأكثر له من العبيد والاماء وسير الملوك العظماء ثم انه توجه للسير والجد والتشمير وهو لاتسعه البرارى الخوال من كثرة مامعه من تلك الاموال (قال الراوى) ومازال كذلك حتى نزل على ركب من بنى مالك وبقى بينه وبين أرض فزارة يوم كامل فأنزل تلك الاحمال عن البغال والجمال ثم أنه أرسل عبده سالما يعلم أخوته بما جاء من الاموال حتى يخرجوا إلى لقائه فى جماعة من الرجال فهذا ما كان من الربيع وماجرى له (وأما ما كان) من عنتر وأحواله فانه لم يزل سائر بما معه من الفرسان الفوارس حتى أشرفوا على ركاب بنى مالك فرأوا الربيع ومن معه نازلين هنالك فأرسل عنتر فارسا من رجال عروة بن الورد وقال له يا ابن العم سر أنت وأكشف لنا خبر هذا الركب الذى قدامنا فى البر الاقفر وعد الينا على عجل فسار الفارس يركض بجواره إلى أن قارب الربيع وعبيده فلما رأوه قاموا اليه وعن حاله سألوه فأخبرهم بزخاريف محاله وقال لهم إنى قد ضل لى خمس نياق وبعير فطلعت وراءها أسير حتى أردها إلى مرعاها فسرت حتى التقيت بكم فى هذا البر والهجير وأنتم من تسكونون من العرب حيا كم الله يا أجواد فقالوا له نحن من عبيد الربيع بن زياد وهذه الاموال أمواله والرجال رجاله فسر إليه يا هذا وهو يعوض لك ماذهب منك من خيره ونواله فقال لابد من عبورى عليه ودخولى بين يديه ثم أنه سارقهم فى الحديث حتى اشتغلوا عنه وعاد على أثره يخبر بمارآه عنتر بن شداد ولما وصل إليه أعلمه بالذى هو نازل فى تلك الأرض والمهاد وهو الربيع بن زياد (قال) فلما سمع عنتر هذا الكلام حصل له الفرح واتسع صدره وانشرح والتفت إلى عروة وقال له يا أبا الابيض الرأى أننا نكبسهم ونهجم عليهم فى غفلتهم فى ذلك الليل ونذيقهم العذاب الشديد والويل فقال عروة أفعل ما بدالك فكلنا تابعون أفعالك فقام عنتر ولم يأخذه من ذلك توانى بعد أن أوصى أصحابه أن أحدا لايصيح لاعبسى ولاعدنانى ولايكنى نفسه إلا تميمى وقحطانى ثم إنهم بعد ذلك المقال صاحوا حتى زلزلوا الأرض بالزلزال فقام القاعد واستيقظ الراقد هذا وقد بذلوا فى العبيد السيوف وأسقوهم كؤس الحتوف وجعلوهم كالقطن المندوف هذا يصيحون بالتميم يالقحطان حتى ارتج منهم هذا المكان فتنبه الربيع ونادى وهو كثير الافتكار وهم أن يهرب بحسامه الحاد النضال ويحرك فى جميع الرجال فدارت به عشرة منهم فى عاجل الحال وصاحوا عليه صيحات عاليات وضربوه ضربات خفيفات غير قاتلات وذلك كان بمشورة أبى الفوارس عنتر قبل هذه الغارات ومازالوا معه إلى أن

صرع فارتخت قوته وعلى الأرض وقع فأجادوا كتافه وشدوا يديه مع رجليه وعصبوا بعمامته عيناه وفى دون ساعة أفنوا فى العبيد وتركوهم ممددين على وجه الصعيد وبعدها تشاوروا فيما يعملون وأى شىء يدبرون فقال عنتر إن الخبر إذا وصل إلى الحيرة وشاعت عنا هذه الأخبار فإنى أخاف أن أكون مظلوما فامسى ظالما فقال شيبوب أنا أدبر بمعرفتى ما أحب وأختار فأما هذه النوق والجمال نرسلها إلى أرضنا مع عشرة من الرجال ونوصيهم انهم لا يدخلون الحلة بالنهار بل أنهم يأخذون بها فى عرض البر والوديان ويفرقونها على الرعيان كل مائة جملة ولا يخبر أحد بهذه العملة وأما هذه الصناديق التى فيها هذه الأموال فادفنوها فى أحاقيف الجبال فإذا سرنا إلى عبلة وخلصناها ونالت من خلاصها مناها عدنا إلى هذه الأموال وأخذناها وفى مضاربنا أدخلناها (قال) ثم أنهم لما دار بينهم هذا المقال أنفذوا النوق والجمال مع عشرة من الرجال وأما صناديق القماش والأموال فدفنوها فى أحاقيف الرمال. هذا وقد قال عنتر قبح الله النعمان أى شىء رأى فى الربيع من حلاوة اللسان حتى يعطيه هذه الأموال والخيل والجمال فقال له عروة لا تذم الرجال ياأبا الفوارس على فعل الإحسان واعلم أنه رزق ساقه إليك الرب القديم الرحمن ثم أنهم حملوا أثقالهم على بعض الجمال وساروا طالبين أرض العراق وقد زاد بعنتر إلى عبلة الاشتياق فجعل يتسلى بهذا الأبيات صلوا على صاحب المعجزات :

ياشوق صبرى ضعيف إذ وهى جلدى	فلا تزدنى على مابى من الكمد
وياسقامى تباعد لا تسلم فما	أبقيت غير رسوم الصبر والجلد
كم ليلة بت أشكو طولها ولها	والبين يضرم نار الشوق فى كبدى
وكلما طار طيرا فى الدجا حزنا	أمسكت عن أسفى على طى الحشا بيدى
ياطائر البان عنى كيف شئت فقد	أمنت من نائبات الدهر والنكد
وقد وجدت حبيبا كنت تألفه	وقد فقدت حبيبا غاب عن بلدى
فاذكر ليالى مضت بالوصل مشرقة	وأنت تهتف فوق الغصن بالنشد
ياصاحبى لا تخف فى يوم معركة	إذا رأيت بريق البيض والزرد
ألق الأسنة والأبطال جائلة	ومت كريماً ولاتخضع إلى أحد
وخليني اشتفى ممن يعاندنى مادمت	أملك بعض الروح فى جسدى
إذ لم أخلى طيور الجو حائمة	فلا شفيت ولا أروى الثرى كبدى

(قال) وبعد ذلك ساروا يقطعون الأرض والمنازل ويتجنبون الأحياء والمناهل إلى أن بقى بينهم وبين بنى شيبان ليلة واحدة فعندها أنزلهم شيبوب فى برية مقفرة لكى يختفوا عن السالك والعابر ولا يكون أحد لأمرهم خابر ثم أن شيبوبا خلع ثيابه التى يلبسها

فى إقامته ولبس ثياب حياته وهو ثوب خام قصير الأكمام وتزيا بزى أهل الشام وسار حتى أشرف على الديار ووصل فى مكان الرهبان وكان قد أظلم الظلام وجعل يدير عينيه بين الخيام وأراد أن يسأل عن بشارة بن منيع لأنه ما كان يعرف صفته ولا أبياته لما ذكرنا من أنه ما اجتمع به سابقاً إلا ليلا فبينما هو فى حيرة وضيق إذا هو بفارس قد اعترضه فى الطريق وهو يلتفت فى أقطار البر يمينا وشمالا شبه الواله الحيران وهو يبكى بكاء الأحزان وينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

ريح الحجاز تنفسى عن حاجرى ... واقرى سلامى للمحب الهاجر
فلعل رابعة يرد سلامها ... وتجود عطفا بالخيال السائر
يا عبلة إن كان ابن عمك قد غدا ... ورماك خوفا من رجال عشائر
وسلاك عنترة ومل فإننى ... أخفيك من خوف العدا فى ناظرى
أو كان شيبوب أصيب بنكبة ... وحواه بطن مقابر وحفائر
فالأمر للرب العظيم فإنه ... فى خلقه يقضى قضاء القادر

(قال الراوى) فلما سمع شيبوب ذلك الإنشاد والمقال أخذه الابتهال وعلم أنه بشارة ابن منيع ففرح بتسهيل الأمر سريع وأجابه على شعره يقول صلوا على طه الرسول

والله ما طرق الزمان لعنتر ... أيضا ولا شيبوب ذاك الماهر
ولقد أتاك بهمة عبسية ... والخيل تتبعه بكل مبادر
من كل أغلب فى الكريهة ماجد ... صعب العزيمة كالهزبر الجاسر
يغشى وجوه الخلل فى يوم الوغا ... ويجز فى هام العدا بالباتر
بطل إذا عاينته فى سرجه ... فتراه كالأسد الجسور الكاسر
من نسل سادات غدت أفعالهم ... بين الورى مثل الربيع الزاهر

(قال الراوى) فلما فرغ شيبوب من هذا النظام تقدم إلى بشارة وبدأه بالسلام وقال له والله ما طرقت شيبوب نوائب الزمان بل إنه أتاك بعنتره والفرسان ومعهما ثمانمائة فارس أعيان تلقى جن سليمان ثم إنه تقدم إليه وعرفه بنفسه (قال الراوى) فلما نظره بشاره فرح برؤياه وأعلمه بغية مولاه وقال لشيبوب إنى قد عولت على أن آخذ أموال سيدى وما تملكه يداه وأسير مع الجماعة إلى محبوبتى رابعة ولكن قبل كل حساب تمكث ههنا من غير قيل ولا قال حتى تأخذ عبلة زين الدلال وتوصلها إلى أخيك فى عاجل الحال فلما تصل بها تسلم لنا عليه وتقبل يديه ثم خذهم وسر بهم إلى جبال الردم وأنزلهم فى تلك الآكام وأنا آتى إليكم سريعا لأنى قد خطر لى خاطر وبه تكمل البشائر وذلك أنى أسير وأجمع ما لمولاى من الأموال وأحمله على ظهور الجمال وآتيكم فى عاجل الحال فى نفر قليل من الرجال فعندما تعاينونى وقد أشرفت عليكم

بشنوا على الغارة واقطعوا جميع ما معى من العبيد وأريقوا دماءهم على الصعيد ولا تدعوا منهم قريبا ولا بعيدا وسيروا بنا فى أمان من غير الزمان فأجابه شيبوب إلى ما قال بالسمع والطاعة ورجع ببشارة من تلك الساعة إلى أن وصل إلى الديار فوجد عبلة فى الانتظار (قال) وكانت عبلة قد ملت من طول مدتها وبشارة يعدها بتفريج كربتها وكان كل ليلة يأتيها عند الظلام ويسليها بالحديث والكلام إلى أن كانت تلك الليلة التى اشتغل فيها بشارة مع شيبوب فتغير عليها الميعاد فصارت عبلة قاعدة فى نواح وتعداد فبينما هى على ذلك الايراد إذ قد دخل عليها بشارة فى تلك الساعة فوجدها تذرف بالدموع وتذكر الأطلال والربوع وهى تنشد وتقول صلوا على طه الرسول :

فنى الدمع والأشواق تقوى ولا تفنى	وانحنى شوقى إلى الأهل والمغنى
أنوح ومالى من يفرج كربتى	ولا من يقاسمنى الهموم ولا الحزنا
فيا من رحلتم بالفؤاد ترفقوا	ولا تشمتوا الأعداء بإبعادكم عنا
وإن جزتمو فى سيركم رسل عالج	فردوا فؤادى وارحموا جسدى المضنى
وقولوا لقد حاز الحجاز عبيلة	تقاسى نزاع الموت شوقا إلى المغنى
علمتم جلائى وانقطاعى وغربتى	وما فيكمو من سار نحوى ولا حنا
بنى العم ما عودتمونى ملالة	ولا كان ظنى فيكموا تخلفوا الظنا
عهودى نقضتم وأمزحتم مودتى	وخلفتمونى فى بلاد العدا رهنا
أموت اشتياقا كل يوم وليلة	ويقتلنى نوح الحمام إذا غنى
وأهلكنى نوحى وهمى وغربتى	دواما وأبكى عند ذكركم حزنا
فياليت شعرى هل يجيئى بشارة	يبشرنى كى ما يزول العنا عنا
وأنظر وجه الفارس البطل الذى	يزول به حزنى ويمتحنى الأمنا

(قال الراوى) فلما سمع بشارة من عبلة هذه الأبيات دخل عليها وهو يقول لها نعم يامولاتى هاهو بشارة قد أتاك ومعه بشارة يستاهل عليها كل ما ملكت يداك لأنها من أحكم البشارات وأوفق السعادات ثم إنه أعلمها بوصول شيبوب وعنتر وقص عليها القصة والخبر فقالت له أحسن الله بشارتك ثم جمع شملك على محبوبتك بهذا وقد قال لها بشارة قومى فى هذه الساعة حتى أجمع بينك وبين ابن عمك وأدبر شيئا أخلص به نفسى ثم إن بشارة قام إلى صندوق حوائجه وأتحفها بثياب ملابسه وألبسها زى الرجال وعممها ولثمها وأركبها على جواد حتى بقيت مثل الفارس الهمام وخرج بها من الخيام وأوصلها إلى شيبوب فى تلك الآكام وقال سر بها على فور وأوصلها إلى أخيك الفارس المذكور وما بقى إلا وصولنا إليكم وقدومنا عليكم فقام شيبوب إلى عبلة وهنأها بالسلامة وبعدها سار بهما

طالبا أخاه عنتر وهو يجد فى ذلك البر الأقفر ومازال إلى أن وصل اليه وكان عنتر قد أخذه القلق عليه وأراد أن يسير خلفه خوفا عليه وإذا به أقبل وعبلة خلفه كأنها غزال عطشان فلما أبصرها قام كالواله السكران واعتنقها وقبلها فى فمها وبالسلامة هنأها وأشار يقول على طه الرسول :

لو لم يكن قلبي بحبك مبتلى ما بات طرفى فى الظلام مبتلا
وقد اطلعت على الغرام تولها وعصيت من وجد عليك العذلا
أنظر ترى ربع الأحبة ماخلا ياهاجرى والعيش بعدك ماحلا
أنت الذى أورثت أسباب الهوى وتركتنى بعد المحبة المهملا
وجعلت مابين النواصل قطرة وجعلت دمع العين غيثا مرسلا
ماضر لو حييتنى بتحية أو جئتنى بالوصل منك تعللا
ياسائلى عن حالتى فى حبها ونحول جسمى والضنى يكفى البلا

(قال الراوى) ثم أنهما التقيا بعد هذا الشعر والنظام قعدا يتحدثان ويتعايدان ماحل بهما من الغرام فهذا ما كان منها وماجرى من أمرها (وأما ما كان) من بشارة ابن منيع فانه أقام ليلته وهو يدير فى قصته إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فقام وسار إلى مالك بن حسان وهو الذى تركه مفرج بن هلال يحفظ الحلة والمال والحريم والعيال ولما دخل عليه قبل يديه وقال له يامولاى قد وصل إلى من عند مولاى كتاب يذكر فيه أنه قد جرى له عند الملك كسرى أمور وأسباب لأنه سيره إلى أرض خراسان هو ومن معه من بنى شيبان وولى عليهم مرزبان ومن له بالديالم والاعجام وسار الجميع ليفتحوا بلد أعصت عليه من إقليم أصفهان وقد أخبر مولاى انهم لما وصلوا اجتمع عليهم خلق كثير منها ومن غيرها وأنهم لما أشرفوا على العطب عول مولاى مفرج على الهرب وأنه أمرنى فى هذا الكتاب أننى أحمل جميع مافى خزائنه من ذخائر وأموال على مائتى جمل من الجمال وأحصن الجميع فى جبال الردم وتلك الوديان حتى ينصلح حاله مع الملك كسرى انوشروان ثم أنه عرض عليه كتابا وفيه شرح جميع الأسباب ولما أن قرأه عرف مضمونه ومعناه قال وكانه بشارة صنع من ذكاوة عقله هذه الامور والاحكام غسق الظلام لانه كتب هذا الكتاب ودبر هذه الامور والاسباب وقال مالك يابشارة أن مولاك ماذكر فى الكتاب أحدا من النساء والعيال والبنات والاطفال فقال يامولاى لأنه يعلم أن الملك كسرى إذا غار على الحريم والعيال والبنات والاطفال يخلصوا إذا توسط لهم الملك النعمان ذو القدر والشان وأما الاموال والصناديق والجواهر الغوال فانه إذا أخذها مارجع منها عقال قال صدقت فى هذا المقال احترس على أموال مولاك قبل أن تذهلنا طناجر الاعجام فعندها خرج

بشارة من عنده وجميع عبيد مولاه واختار منهم خمسين عبداً وأنفذهم إلى المراعى فأتوا بمائتى جمل من الجمال الأقوياء ودخل إلى المخازن بالعبيد وأخرج منها ما يريد وأخذ ما كان فيها من الصناديق والأموال والثياب الغوال وما ترك فيها إلا مالا ينفع مثل عامود خيمة مكسور أو بيت مقطع مدسور (قال) وعند المساء تجهزت الأشغال وشالوا الأحمال على ظهور الجمال وركب وأخذ أمه معه وسار من أول الليل وأمر العبيد بسوق الجمال والخيل وما زالوا سائرين وفى السير مجدين إلى أن ضحى النهار وعولوا على النزول وإذا بخيل بنى عبس قد خرجت إليهم عند طلوع الشمس وهى تنادى الغنيمة الغنيمة (قال الراوى) فلما سمع بشارة هذا الكلام ورأى فرسان بنى عبس وعنتر فرح بذلك واستبشر وأخذ بجواده إليهم وسلم على عنتر وقد عرفه بطول قامته وذلك خوفاً على نفسه أن يجرح غلط ويفرط فيه القرط هذا ولما بقى قدام عنتر وسلم عليه وقبل يديه وقال له يا مولاى أنزل السيف فى هؤلاء العبيد أولاد الأنذال وتسلم منى تلك الأموال واجمع بينى وبين محبوبتى رابعة التى تقارب الشمس بأنوارها الطالعة ثم أشار يمدحه بهذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

سماك المجد واستعلت بك الرتب ... وقصرت عن علاك العجم والعرب
حزن الشجاعة لما نلت غايتها ... فما يفوتك من القابها لقب
مال الرجال لجمع المال واجتهدوا ... ولم يكن لك فى غير العلا رغب
فلا تجف رهبا فى المأثورات فقد ... أعطيت من كل خير فوق ما يجب
سماحة لا ينال الريح غايتها ... جواد ويعطى عطايا دونها السحب
فاسلم ودم لبنى عبس وحام لها ... تسموا بذكرك فى أنحائها الخطب
عززت دار بنى عبس وجانبها ... فلم تلم بها الأحداث والنوب
يا من إذا علاه نور هيبته ... أيقنت أن سناه ليس ينحجب
فامنن على وأهب لى الست رابعة ... وعدها سيدى من بعض ما تهب
أنى لها عاشق والله يا أملى ... وأن عشق لها مع دلها عجب

(قال الراوى) ثم أن بشارة بعد هذا الكلام تقدم إليه وسلم عليه وهناه بلقاء المحبوب وكذلك ببقاء أخيه شيبوب (قال) فلما سمع عنتر ذلك الكلام تبسم وقال له ابشر أيها البطل المتكرم بطيب الجود والاحسان وعظم المروءة والامكان ثم أنه أمر الفرسان فى عاجل الحال أن تضع السيف فى العبيد وأن يمدوهم على الصعيد فداروا بهم من كل جانب ومكان ونهبوهم بالسيف والسنان وأخذ الجمال والأحمال بما عليها من صناديق الأموال وعادوا طالبين ديار بنى عبس وعدنان وما زالوا سائرين يقطعون الهضاب والتلال هذا وبشارة فرحان باجتماعه بمحبوبته رابعة وقد زالت عنه همومه وحسرته الشائعة

وعنتر يعده بخيام ومضارب وقباب ومناصب وخيل وجنائب وهو فرحان باجتماعه بعبلة زينة الأعيان وهو سائر ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

بين العقيق وذات الجزع والعلم   من ليس شوقى لها حبا بمنكتم
وفى أوانس ذاك الحى ذات سنا   سقيمة الطرف افضيت بى إلى العدم
فتانة اللحظ ما أحلى لواحظها   فى موقف البيت شجواها أراق دمى
مالت إلى بورد الخد وابتسمت   عن واضح فى بريق الثغر مبتسم
فى ليلة لم يدع ليل العفاف بها   قلبا ولم أعتذر منها إلى كرم
جعلت فى حبها عذر الغرام بها   إلى الوشاة وقد ماتوا بغيظهم

(قال الراوى) هذا ولم يزالوا سائرين إلى أن قاربوا المنازل والاطلال ففرح شيبوب بالبغال والجمال وتوجهوا إلى التلال والرمال التى دفنوا فيها صناديق الأموال فاخرجوها وأعادوها إلى ظهر الجمال وقد ذكرنا أن هذه الأموال هى التى كانوا أخذوها من ربيع كما تقدم وكيف عادو جواده فى حالة العدم ثم أنهم خلطوا المال بالمال وساروا حتى أشرفوا على الأطلال وعلمت بقدوم عنتر جميع الأبطال فانقلب الحى إلى قدومه وهم يتعجبون مما أتى معه من الغنائم والمال وكان قد خرج أكثر الناس إلى لقائه وفى أوائلهم أولاد الملك زهير فنظروا إلى تلك الأحمال والأموال فتعجبوا منها وقالوا والله لقد أفقر عنتر الملوك من أهل اليمن وأهل تلك الأرض وأحل بهم البلاء والمحن. هذا وعنتر لما نظر إلى فرسان بنى عبس قد أقبلوا ترجل إليهم لأجل السلام عليهم وقال لعبلة بنت مالك اطلبى أنت عرض البر واقصدى أبياتك والمضارب لتحظى باجتماع الأهل والأقارب وسيرى إلى بيت أبيك وأهلك وذويك فسارت عبلة إلى أهلها وأما عنتر فانه ترجل لأولاد الملك زهير كما تقدم وسعى حتى وصل إليهم وسلم عليهم وعلى فرسانهم وأجنادهم فسلموا عليه وهنوه بالسلامة وسألوه عن سفرته وما جرى له فى غيبته فقال لهم حديثى عجيب وأمرى غريب وما هذا وقت شرحه وما يصلح إلا بين يدى أبيكم الملك زهير (قال) وكان مالك أبو عبلة قد عوفى من جراحه وبدا صلاحه وطلع ذلك اليوم فى جملة الفرسان إلى لقاء عنتر وقد نظر إلى تلك الأموال والغنائم التى مع عنتر وهو بها قادم فزاغ منه البصر وتأسف وتحسر والتفت إلى ولده عمرو وقال له يا ولدى لو كانت أختك باقية وكانت هذه الأموال إلى مضاربنا واصلة وبعدها تقدم إلى عنتر وسلم عليه وقال له يا أبا الفوارس هل وقعت لابنة عمك على خبر أتى اقتفيت لها على أثر بعد طول هذه الغيبة فقال عنتر يا مولاى زوجتى عند أمها بين أهلها وقومها فتبسم مالك وظن أن كلامه مزاح. هذا وما زالوا سائرين حتى عبروا على أذيال الخيل فتلقتهم الاماء بالدفوف والمزاهر وخرجت إليهم المولدات والحرائر وجميع

النساء والبنات يطلبون من عنتر الهبات كما جرت لهم العادات إذا قدم عليهم من الغزوات وما كان فى الكل أشد فرحا من بشارة بن منيع لأنه رأى محبوبته رابعة وهى فى جملة المولدات والحرائر طالعة فترجل إليها وضمها إلى صدره وجعل يبكى ويشكو إليها ما قاساه من فراقها والبعاد ومازال كذلك حتى استقر بأهل الحى القرار وخلع عنتر على العبيد والأحرار وفى عاجل الحال أمر بنصب الخيام والسرادقات فرفعت القباب وامتدت الأطناب وقال عنتر لبشارة هذه الخيام خيامك وأنا فيها نزيلك وجارك وخادمك وكل ما وصل معك من أموال مولاك فهو لك وأموالى وما تملك يدى فهو بين يديك قال فلما سمع بشارة هذه الأقوال من عنتر شكره وأثنى عليه ونزل هو ومحبوبته رابعة فى خيام وأما مالك أبو عبلة فانه سار إلى منازله والأبيات فرأى ابنته عبلة هناك وفى خدمتها الاماء والمولدات وحولها النساء وأعمامها السادات وهى تحدثهن بقصتها فحار عقله لما أبصرها وغاب عن الدنيا لما نظرها وقال لها ويلك يا ابنتى وهل أنت فى عداد الأحياء فوالله لقد ذكر لى ابن عمك هذا الكلام فظننت أنه مزاح ثم أنه دنا منها وقبلها بين عينيها وجلس يسمع حديثها والذى جرى عليها قال وأما عنتر فانه لما استقر به النزول وحط عن الجمال الحمول أنفذ الملك زهير خلفه رسول وهو يقول أجب الملك زهير صاحب السيف المشهور لأنه قد أصبح اليوم مخمور وما عقل على نفسه إلا تلك الساعة وقد حدثه أولاده بقصتك وما جرى لك فى سفرتك وما حصل لك من أوله إلى آخره وقد اشتاق إلى طلعتك فأجابه بالسمع والطاعة وسار من تلك الطاعة ومازال سائرا حتى دخل على الملك زهير فقام زهير له وتلقاه وأجلسه وحياه وقال له أهلا وسهلا ومرحبا بحامية عبس وقادح زنادها فوالله لقد بعدت وكنت أنت الراجح فى إنقاذها فقال عنتر لا والله يا مولاى ما أبعدت عنها بل لأجلها كانت سفرتى حتى خلصتها من بلاها ثم أنه أشار يقول صلوا على طه الرسول :

يا أيها الملك المحمود شيمته	يا ابن الافاضل فى الاخلاق والشيم
انظر بعينك واسمع قول متعذر	واجعل سماعك فى لفظى وفى كلمى
لا يرهب العزم إن ضاقت مذاهبه	ولا يعدل إذا استولى على النعم
إن أخر الدهر حظى عن يدى أملى	أو اخر السعد مجدى عن علا هممى
فما مددت إلى نحو اللئام يدا	ولا سمت بى إلى أبياتهم قدمى
خوفا على السيد الممنوع جانبه	من أن يضام واشفاقا على الحرم
لى همة بك ألقى الحادثات بها	وما عرفتك إلا حافظ الذمم
نخل يحق والعز فى على رجل	بذلت لشيم بجنيك غير محتشم
فأنت أفضل كل الناس أجمعهم	وأنت أقدر من عرب ومن عجم

(قال الراوى) ثم أن عنترا أعلم الملك زهير بما دبر الربيع بن زياد على عبلة بنت مالك ابن قراد كيف أرسل إلى مفرج بن هلال وطلب منه عشرة رجال وكيف عمل الحيلة على عبلة حتى أخرجها إلى الغدير وكيف سباها وكان ذلك بحكم الملك القدير وكيف أنه تقاسم مع مفرج أموالها وكيف أراد قتلها واتلاف حالها وبعدها قص عليه قصة العبد وبشارة والأموال التى وصلت معه من أرض بنى شيبان وأن خلاص عبلة على يديه من القتل كان فتعجب الملك زهير هو وأولاده من ذلك الكلام وما منهم من أحد إلا وخنق فؤاده من هذه الأحكام وقالوا والله لو كتب هذا الحديث على الصخور لذابت ولو سمعت به الاطفال التى فى المهد لشابت والساعة يا أبا الفوارس عبلة فى أبياتها عند أهلها وأحبابها فقال ياملك الزمان ولكن راح المال الذى كان عليها والجواهر واللآلىء وأنا عازم على خلاصه من الربيع بن زياد ومفرج بن هلال ولو مالت علينا الجبال فى صورة الرجال فلا بد من تخليص حتى من بنى شيبان الانداد فقال الملك زهير والله ما تزال أنت والربيع بن زياد فى اللجاج والنكال حتى تفتح علينا بابا لا ينسد وترمى العشيرة بسهم لا يرتد وكان من الرأى والصواب إنك لما علمت بخبر عبلة أنها فى بنى شيبان كنت أعلمتنى بهذه الأمور والاسباب حتى كنت أنفذت لهم بجاب وأخلص لك مالها منهم بكل الاسباب ولا كنت سرت أنت وأخذت مال مفرج بن هلال وهو سفر الملك العادل كسرى أنوشروان والملك نعمان وتركت لنا مع العالم فتنة لا تنقضى طول الزمان فقال له عنتر يا مولاى لو أعلمتك أن عبلة فى قيد الحياة وشاع خبرها على الافواه كان الربيع بن زياد المقطوع النخاع يسبقنا إلى قتلها قبل خلاصها بمكره وخداعه طمعاً فى أخذ مالها وما كان عليها من المتاع وكان يكتم عن حالها ولم أعلم بما جرى لها والآن قد ثبتت عليه حجة بظهورها ولا بقى يقدر على إنكارها بعد اشتهار أمرها وأما ما قلت عن بنى شيبان فأنى سوف أريك ما أفعل بهم من الذل والهوان ولا أزال كذلك حتى أخلص أموالها بالحرب والطعان فقال الملك زهير قاتل الله الربيع ما أخبثه وما أذله من دون الرجال لانه أخذ بنت عمه التى يلزمه عارها وغربها عن ديارها وسلبها إلى قوم غير أبناء جنسها لاجرم إن الله كريم قابله على فعاله فى نفسه وماله فقال عنتر أو كيف ذلك يا مولاى فحدثه الملك زهير بحديث الربيع لما كبس على ركاب بن مالك وأوقعه فى الاهوال والمهالك وكيف جرح وأخذت أمواله وساءت بين الرجال أحواله وصار مرمياً فى الفلاة هالك لولا أخوته ساروا إليه وحملوه وإلا كانت الوحوش أكلوه وهو إلى الآن مريض من ألم الجراح ويتجرع بالماء القراح فعندها دق عنتر يداً على يد وأظهر التعجب والاسف وقال يا ملك هذا عاقبة العنا والتلاف (قال) وكان الربيع بن زياد لما جرحه عنتر وأخذ أمواله وقتل عبيده وأقياله وتركه مكتفاً فى الفلاة بعدما عصبت عيناه كما ذكرنا أرسل عبده سالم إلى

إخوته يعلمهم بقدومه من سفرته حتى أنهم يخرجون إلى لقاه ويستبشرون بالأموال التى جاءت وإياه وأقام هو باقى النهار ولاحسب حساب طوارق الأسحار إلا أن عبده ما وصل إلى بنى فزاره وتلك البطاح حتى أصبح الصباح ودخل على أخوه الربيع وأعلمهم بقدوم أخيهم الجميع ففرحت الرجال منهم والصبيان وخرجوا للقاء الغياب وركبوا فى جماعة من الرجال وساروا والعبد قدامهم على ذلك الحال حتى مضى النهار إلى أن مضوا إلى الوادى المذكور وتلك القفار فما رأوا للربيع آثار فقالوا للعبد أين فارقت مولاك فقال فى هذه القفار والدكادك على غدران ركب بن مالك وقد قال عند الفجر يقدم علينا وهذا وقت ملتقاه بنا إلا أن يكون تعبان وأقام فى ذلك المكان لأجل الأنس والأمان فقال عمارة هذا هو الصحيح وحق مالك المهالك إن هذه الأرض صعبة المهالك ثم إنهم هموا فى سيرهم المتدارك حتى أشرفوا على ركاب بنى مالك وإذا هم يرون القتلى مطروحين هنالك والوحوش إليهم متبادرة والطيور عليهم حائمة وطائرة والدماء من أجسادهم فائرة فقال عمارة واخيبتاه هذه والله بئس الفعال مات أخونا وانقبر وقد حلت به العبر ثم أنهم تقدموا وهم تابعون وطء الجمال وأثر حوافر خيل العوال حتى التقوا بالربيع وهو على ذلك الحال فلما نظروه عرفوه وقالوا والله هذا أخونا فيا ترى من به أفجعنا ثم إنهم نزلوا إليه وحلوا الكتاف من يديه وفكوا العصابة التى كانت على عينيه وشدوا جراحه وكلموه فأفاق من غشيته لما رأى حوله إخوته وأيقن بالسلامة عندها فسألوه عن حالته فحكى لهم جميع ما جرى له فى سفرته من عهد ما كان عند الملك النعمان إلى أن أقبل إلى هذا المكان وأخبرهم بالخبر الذى جرى عليه وبأنه أخذت أمواله وما كان بين يديه وقال عمارة وأسفاه يا أخى ليتنى كنت حاضر أعندك ولكنى ما سمعت من أحد ولا أدريه فقال والله إن كانوا تابعين أثرى من أرض العراق أو أنهم التقوا بى فى هذا المكان على وجه الاتفاق فقال له عمارة يا أخى ما علينا من ذلك فما كان من أمر عبلة بنت مالك فقال الربيع قتلت وسقيت كأس المهالك فقال عمارة واحسرتاه عليك يا إبنة مالك فما كنت إلا أتمنى ساعة من ساعات وصالك فقال الربيع اتركنا من هذيانك وشقشقة لسانك ثم إنهم صاروا إلى أن وصلوا إلى الخيام وطرح الربيع على الوسائد ونام من كثرة الجراح والآلام وفى ثانى الايام أقبل عليه يزيد بن عمر فى أكابر بنى فزاره وإخوته وأولاده وسلموا عليه واستخبروه عن حالته فأعاد عليهم ما تقدم من قصته فقال حذيفة بن بدر يا ربيع وحق الكعبة الحرام وزمزم والمقام لو كنت أعرف هذا العدو الذى فعل بك تلك الفعال لأقلعن آثارهم وأخربن ديارهم ولو يكونوا بعدد المطر أو ورق الشجر ولكن يا ابن العم سلامة الإنسان من العدم أوفى ألف غنيمة وأعظم قال وأما الملك زهير فإنه لما بلغه الخبر عن الربيع أنه مجروحا من سفرته أتى له فى سائر

أخوته ورؤساء عشيرته وسلم عليه وسأله عما جرى فأخبره بقصته وأعلمه أيضاً بخبر المتجردة وكيف أن النعمان طلب أن تكون له أهلا ويكون لها بعلا ثم قالوا ونحن يا ملك الزمان ما نجد لها كفأً غير الملك النعمان وبمصاهرته تهابنا سائر العربان..

(قال الراوى) فلما سمع زهير من الربيع هذا الكلام عبس وغضب وقال أنا ما عندى بنت تصلح للزواج وإن كانت عندى فلا أغربها عن وطنها وأهلها وتعيش وحيدة فريدة مالها من يودها وأنا راكب على ظهر الحصان وخلفى أربعة آلاف عنان وايتى بعد ذلك تضام وتهان ثم أنه قام وركب الجواد وهو متألم القلب والفؤاد من هذا الكلام الذى سمعه من الربيع بن زياد (قال الراوى) وفى هذه الأيام وصل عنتر بن شداد بهذه الأموال التى وصفناها وشاع خبرها فى الأحياء وسمع بها كل من فى الحلة حتى وصل خبرها إلى بنى فزار وسمع به الربيع وأخوته فعند ذلك تعجبوا من إظهار عبلة بعد العدم وقال عمارة لأخيه الربيع أنت أعلمتنا يا أخى أنك قتلت عبلة وها هى قد ظهرت وسرت قلوب أهلها الجميع فقال الربيع والله ما أدرى ما هذا والسبب فى الغيب عجب وأنا قد تحيرت وقد أخذنى العجب وسعد هذا الشيطان قد غلب وأنا أقسم بحق البيت والأركان أنى ما سرت من بنى شيبان إلى خدمة الملك النعمان إلا وعبلة تحت الرمال والكثبان وبعينى رأيت الدم على أثواب العبيد الذى قتلها إلا أن يكون قد كذب وخان لما أمرناه بقتلها والهوان ثم أنه سأل بعض العبيد الذين جاؤا يخبرون عن خلاص عبلة كيف كان ومن أى أرض ظهر وبان ومن كان السبب فى خلاصها من ذلك الهوان فقالت العبيد والله يا مولانا ما استوعبنا الحديث عن صحته ولكن رأينا عنترا لما عاد من أرض العراق ومعه أموال وغنائم قد سدت الآفاق ومن كثرتها يسوقونها وهى لا تنساق وهى خيل وبغال وجمال ونياق ورأينا بجانبه عبد أسود طويل القامة مليح الزى والمنظر وهو مدور الوجه مليح لطيف اللباس كامل الآداب مسفر الثنام مليح القوام وأننا سألنا عن اسمه لما أعجبنا حسنه البديع فقيل لنا اسمه بشارة بن منيع وقد ذكر لنا الذى سألناه عن اسمه فقال لنا هذا العبد هو السبب فى خلاص عبلة من المهالك والوبال وقد أخذ أموال مولاه مفرج بن هلال وأتى يريد المقام فى هذه الأطلال وذلك لأجل مولدة إسمها رابعة قد ظهرت عند عنتر بن شداد وهى تخجل الشمس الطالعة ومن أجلها فعل هذه الفعلة نجى من الهلاك بنت مالك عبلة (قال) فلما سمع الربيع هذه القصة زادت فى قلبه النيران والغصة فجمع سائر أخوته وقال لهم أعلموا أنه قد جرى من الأسباب ما لم يكن فى حساب ولا بقى غير معاداة ذلك العبد الشرير وإذا لم نحسن فى هلاكه التدبير هلكنا ولا يبقى منا لا صغير ولا كبير وقلبى يحدثنى أنه هو الذى التقى لى فى ركائب بنى مالك وأخذ أموالى وأورثنى المهالك وعاد هذا العبد ولد الزنا بعد الخسارة بنايج

وتبطت المقادير والأسباب وجه النكاح ولا بد أن تخرج الملك زهير إلى معادتنا وربما أنه كان على عبلة من الملابس والجواهر يتهمنا وينتهى الأمر إلى القتال وإن جحدنا هذه الأعمال وأنكرنا هذه الفعال وحلفنا أنه ما عندنا من عبلة علم ولا خبر شهد علينا هذا العبد ولد الزنا الآخر الذى هو شارة الذى قد خان مولاه وتبع غرضه وهواه وكان من الصواب قتل فائقة ورابعة على الغدير قبل ما ندبر على عبلة ذلك التدبير ولكن ما علمنا أن الأمر مدبر لأجل سعادة هذا العبد اللئيم الاغبر. قال هذا والربيع لما زاد عليه الحال فاض عن عينيه دمع سيال وقال والله إن ضيع الملك زهير حقى ولا راعى جانبى وهتك حرمتى لأقلعن أثره من أرض الشربة والعلم السعدى واجعل لى وله حديثا يذكر من بعدى وأول ما وقع بينه وبين الملك النعمان الذى هو ملك العربان وأحوجه بأن يركب عليه بملوك العرب ويقوده هو وأولاده فى حبال الذل والهوان لأنه لما أتى وفتقدنى بما حصل لى من الهوان والعطب أشرت عليه بزواج ابنته إلى ملك العرب وقلت له إنك بمصاهرته يرتفع قدرك عند أهل الرتب وتبقى من أفخر الملوك أهل الحسب والنسب لأن الملك النعمان قد بلغه ما فى ابنتك من الحسن والجمال فأراد أن يكون بينه وبينك حبل الاتصال وأنا الذى وصفت له جلالة قدرها وما يكون من أمرها وهو عازم على إرسال النجاب وبه تبلغ كل ما ترومه من الأسباب فلما سمع منى هذا الخطاب غضب ولا رد على جواب بل قال لى حتى أشاور أخوتى الانجاب وأنا قد صح عندى أن عنتر هو الذى جرحنى وقتل عبيدى وأخذ أموالى وفضحنى وإذا رأيت الأمر قد أشكل على وأرسل إلى زهير يطالبنى بهذا العمل ويتهمنى بما كان على عبلة من الجواهر والحلل ويحميها فى رأس عنتر ويتقوى على عداوتى ومن دون سائر البشر لاجهدن نفسى فى قلع آثاره وخراب دياره ولا أترك منهم رفيعا ولا وضيع وأصنع بهم أقبح صنيع ثم قام ينتظر ما يكون وأخوته إليه يتوجعون وإلى قلبه يطيبون. فهذا ما كان من الربيع وأخيه عمارة وما جرى لهم من تلك العبارة التى تودى إلى الذل والخسارة لهم ولمن يلوذ بهم من بنى فزارة (وأما كان) من عنتر والملك زهير فإنه لما فرغ من كلامه لعنتر عن الربيع وما فعل من الفعل الشنيع كتم عنتر ما عنده وقد أظهر التأسف والعجب وقال أيها الملك الذى عمنا جوده وجزيل أفضاله لا جرم أن الله جازاه على قبيح فعاله وأنى أريد منك أن ترسل إليه فى عاجل الحال وتطالبه بما كان على عبلة من المال فإذا قر واعترف بخطاه وقال خذ منى ما تهواه واعتذر إلينا قبلنا عذره وسامحناه وإن جحد ذلك وأنكر أقمنا عليه البينة وعلى قبيح فعله جازيناه فقال الملك زهير أما هذا الأمر فلا بد منه على كل حال ولا بد أن ترسل إليه وتسمع منه كلامه وبيان الصدق من المحال وبعدها قام عنتر وإلى أبياته

وفرح الملك زهير بخلاص عبلة وكذلك سائر أولاده وحماته إلا ولده قيس فإنه اغتم باطنا بما سمع على صهره الربيع وصار يفكر فى ذلك الأمر المريع وقد باتت القبيلة تصيح فى مثل هذا الكلام وأما بشارة بن منيع فكانت عنده هذه الأيام أعياد باجتماعه بمحبوبته غاية المراد وقد اشتغل بها عن الجميع وشكر الزمان الذى جمعه بها بعد الإياس سريع (قال الراوى) وكان عنتر بن شداد قد شرع فى وليمة تامة عظيمة لها بين الرجال قدر وقيمة وأكرم فيها سائر الناس وجميع الأصحاب وصارت الأفراح فى فريق بنى قراد ومرت عليهم أيام كأنها أعياد وهم فى لعب وأكل وشرب ولهو وطرب وفرح وبسط وأكل طعام وشرب مدام وقد زفوا رابعة على بشارة بعد ما ألبسوها من الحلى والحلل. هذا وجميع الناس إليها تتشوف وسارت الإماء تضرب قدامها بالدفوف والمولدات بالمزاهر حولها صفوف والعبيد يلعبون ويتقلبون تحت السيوف وما أقبل الليل إلا والجارية عند بشارة فى الدلال وتملى بحسنها والجمال وتمتع منها بالوصال وكان الأمير عنتر قد فرض له خيام ومضارب وسرادقات وأعلام وإماء وخدام وجمال وأنعام وجنائب وسعى ومتاع وأموال ومواهب وكان شيئا كثيرا يكل عن وصفه اللسان وصار بشارة عند عنتر فى أعلى مكان وقد خفت عنه الكروب باتصاله بعد الإياس بالمحبوب. قال ولما أصبح الله بالصباح أضاء الكريم بنوره ولاح قال عنتر لعمه مالك قم الآن يا عماه أنت وولدك عمرو ثم أدخلا على الملك زهير وحدثاه على ما أنتم عليه من الأمر ولا تزالا به حتى ينفذ إلى الربيع وابن زياد ويخاطبه وبما كان على عبلة من الأموال يطالبه لأنى أنا قصدى أن أثير حربا عوان أشفى ما بقلبى من الأضغان فقال مالك السمع والطاعة سيكون ذلك فى هذه الساعة ثم أنه قام وأخذ معه ولده عمرا وأخوته شداد وزخمة الجواد وبعض أولاد عمه من بنى قراد وساروا إلى الملك زهير بقوة قلب واجتهاد (قال الراوى) ولما وصلوا إليه وسلموا وبعد السلام تكلموا وقالوا يا ملك الزمان أيسبى الربيع ابنتنا ويهتك سترها فى بنى شيبان ويأخذ ما كان عليها من الجواهر الحسان الغالية الأثمان فانفذ إليه حتى ينفذ لنا حقنا وإلا تركنا ننفصل من عنترة الفرسان (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير هذا الكلام خاف من وقوع الفتنة وارتكاب الآثام فدعا بولده قيس وقال يا ولدى أعلم أن الربيع صهرك قد صير فى قلوب هذه الرجال ذحله وقد سبى ابنتهم عبلة وقد اتهمه سادات بنى قراد هذه التهمة وبعض البينة أثبت عليه وأريدك أن تمضى هذه الساعة وتأمره أن يدفع لهذا الرجل جميع أموالهم قبل أن أتركهم يقابلوه على فعاله فعندها ركب قيس خمس فوارس من بنى عبس الأشاوس وسار وجد المسير وفى قلبه من هذا الأمر حرارة حتى أشرف على حى بنى فزارة فأرسل عبدا من عبيده يعلم الربيع بقدومه فصار العبد حتى صار بين يديه

وأعلمه بقدوم مولاه عليه فقام الربيع فى عاجل الحال وركب فى سائر أخوته ومن يلوذ به من عشيرته وركب حذيفة بن بدر لركوبه وقرنوا خيلهم وركضوا بها مسرعين فى جنبات الأرض وجدوا حتى التقوا بقيس بن الملك زهير وسلموا عليه ورحبوا به غاية الترحيب وقال له حذيفة فماذا أتيت يا ابن العم أزال الله عنك الهم والغم أتيت قاصد الصيد والقنص أم أتيتنا زائراً حتى نغتنم معك أوقات الفرص فقال قيس لا والله يا ابن العم وحق الرب الكريم المتعال ما أتيت فى وجه من هذه الاوجه ولا أتيت إلا لألوم هذا الرجل الذى ترك أهله وعشيرته وشفى برحيله عن حيه جميع أعدائه وحسدته وترك الضير فى أوطانه وعشيرته ثم أنهم ساروا إلى أن وصلوا إلى الأبيات وهم يتحدثون مع بعضهم جميع السادات . قال ولما استقر بقيس المقام أخذ يقص على الربيع ما جرى من هذه الأحوال وأخبره أنه ما أتى إلا ليطالبه بما كان على عبلة من الأموال فاظهر الربيع العجب من هذا المقال وعاد إلى مكره وخبثه والمحال والتفت إلى حذيفة بن بدر مسرعا فى المقال وقال له يا أمير هل رأيت فى المصايب مثل مصيبتى أو أحداً جرى عليه من أعدائه مثل ما جرى لى من أهلى وعشيرتى فانه ذهب منى أموال ما يقدر على مثلها إلا الملك النعمان ولا توجد إلا فى خزائن كسرى أنوشروان وصرت مرميا مطروحا عادم الروح فى الوديان وأقول متى يدركنى أخوتى وبنو عمى الاعيان وإلا كان الوحش أكلنى وشرب دمى وفى آخر الأمر أطالب بالظلم والعدوان وأصير من أهل النميمة والنقصان ويصدقون فى كلام عبد لا قدر له ولا شأن وأنا وحق من خلق من النطفة كل إنسان وأغدق على عباده الرزق بالجود والاحسان ما رأيت لعبلة وجها ولا صورة ولا أخذت من عليها جواهر وسائر الناس تعلم أنى مظلوم وكنت أعذل أخى عمارة وألومه وأكثر له من النهى والتذكار من أجل تعرضه لعبلة ليلا ونهارا ويعلم الله أنى ما فرحت بغيبتها عن الأوطان بل أصابنى من أجلها هم عظيم وأحزان أكثر مما أصاب بنى عمها وأصابها هى وأهلها وربما يكون قد اتفق لها من بنى شيبان جائز طريق وسباها من أطراف الحلة ومن بعدها وطول عمرها أنفد خلفها من أعاديها بالجملة لانى سمعت أنها عادت إلى بنى عبس وعدنان واجتمع شملها بأهلها والجيران لكن يا ولدى خل أحدا من أهلها يسألها إن كانت ليلة ماسبيت رأتنى ولما كانت فى بنى شيبان نظرتنى فيكون قد حق القول على أن أطالب بأموالها وإن كانت هى ما أخبرتكم بما كان من أمرها والحال ولا صدقت فى المقال فاطلبوا حيالها فى بنى شيبان ومن سيدهم مفرج بن هلال الذين كانت عندهم فى الاسر والاعتقال واعلم يا ولدى إذا كان الأمر كما ذكر فإن القوم لا يتركون أموالهم لعنتر ولا يعتقدون عن عبدهم بشارة ولا عن أمتهم رابعة ولا بد لهم أن يشنوا عليكم الغارة ولا بد أن تأتى إليكم

فرسانهم مسرعة متتابعة وغبائرها طالعة وربما أعانهم الملك النعمان بأبطال لخم وجذام وما عنده من الفرسان ولا بد أن يندم أبوك غاية الندم إذا رأى بعينيه الهلاك والعدم (قال الراوى) فلما سمع قيس بن الملك زهير هذا المقال أشكل عليه معرفة الحق من المحال وقال أنا والله قد بان لى باطل هذا القول من صدقه وأنا أعلم أن عنترا معتدى عليه وطالب ما لا يستحقه وقد فتح علينا بابا لا نقدر على غلقه فقال حذيفة بتجبره وافترائه ياقيس فإذا كنتم بهذا تعلمون فلم لا تقتلون هذا العبد الملعون أو تنفوه هو ومن يلوذ به من بنى قراد الجميع ويدعون قبائل العرب يفعلون به أقبح صنيع فقال قيس والله ياابن العم إننا لا يمنعنا عن هذه الفعال إلا مخافتنا على العشيرة أن يتفرق شملها ويحل بها العدم ويطالبنا كل من له علينا دم لأنه كما تعلم المرء بين أهله يعز ويكرم وأنا خائف من هذا الأمر أنه على هذا الحال ينتهى ويبلغ العدو منا ما يريد ويشتهى قال فلما فرغ قيس من هذا المقال ركب وسار طالبا الأطلال إلى أن وصل إلى أرضه وأوطانه وكان قد وصل ذلك النهار عند طلوع الشمس فوجد أباه وأعمامه وسائر إخوته وبنى عبس الكل مجتمعين عند غدير ات ذات الأرصاد والكاسات عليهم تدور وهم فى غاية الفرح والسرور والفتيات تضرب لهم على العيدان وسائر المولدات يضربن بالكفوف والمزامر والدفوف والعبيد الكل يتقلبون تحت السيوف فلما رآهم قيس مال إليهم وأعلن بالسلام عليهم قال وكان السبب فى ذلك الفرح والمهرجان أنه بعد زواج قيس بن الملك زهير إلى بنى فزاره أقبل على الملك زهير ضيوف من أكابر بنى غطفان على سبيل الزيارة ومعهم هدية سنية ومن ضمنها خيول عربية فأكرمهم الملك زهير غاية الإكرام ونحر لهم النوق والأغنام فبينما هم على ما هم فيه من العز المنيع والجناب الرفيع إذا أقبل الملك قيس من عند صهره الربيع وكانت الخمرة قد لعبت بعقول الجميع ولما أقبل إليهم قيس قاموا إليه وبجلوه وسلموا عليه ثم إنه جلس بين يدى أبيه وابتدأ وقص عليه القصة وما قال له الربيع بن زياد من المقال وكيف حكم على نفسه قدام بنى فزاره الأقيال وكان عنتر ذلك الوقت جالسا بجانب الملك زهير وبجانبه فرسان بنى قراد المشاهير فلما سمعوا ذلك الكلام صار الضياء فى أعينهم ظلام فعندها زاد الغيظ بالأمير شاس وقال إن هذا الكلام ما يميز عقل ناس لأن شيبوبا رأى الربيع فى بنى شيبان عند مفرج بن هلال الكشحان وهذا بشارة ثابت عليه المقال كيف أنه أمره بقتل عبلة ودفنها فى الرمال وكيف تقاسم هو ومفرج ما كان عليها من الأموال وبعدها يجحد هذا الكلام ويأتى بزخاريف المحال وتكلم مالك بن زهير بمثل ذلك وصار عمو عنتر يقدحون أفكارهم بمثل هذا الخبر وجعل الشر يعمل فى أجنادهم والصنو فقال الملك زهير أقصروا عن هذا الكلام ولا تجعلوه بينكم يطول واسألوا عبلة حتى أننا نفهم ما تقول فقال مالك أنا أمضى وأسأل ابنتى عن

عن هذا الحال وآتيكم بصدق المقال ثم أنه قام وسار إلى أبياته ودخل على عبلة ابنته وسألها عن هذه الأحوال فقالت له يا أبت لعن الله الكذاب أنني ما رأيت الربيع ليلة سباني الفرسان ولا رأيته في أرض بني شيبان لاهو ولا من يلوذ به من الأقران (قال الراوي) فلما سمع أبوها منها ذلك الكلام والمقال عاد إلى الملك زهير وأعلمه بالحال وبما قالت عبلة من المقال والكلام فقال الملك زهير الآن ما بقي على الربيع ملام لأنه ما وقع منه هذا الحكم وقد صدقت عليه عبلة في الكلام فعندها قام العبد بشارة وقد كان واقفا بحضرة الملك زهير يسمع الخطاب فنام إلى أبياته وأحضر الجبة والعمامة والسكين بين يدى الملك زهير وقال يامولاى أجمع بيني وبين هذا الرجل الكذاب حتى أخجله قدام هذه السادات الأنجاب وأقيم الحجة عليه لأنه أعطاني هذه الأشياء ليلة ما أمرني بذبح عبلة وهو عند مولاى مفرج بن هلالة وتقاسما ما كان عليها من الأموال (قال الراوي) فلما سمع قيس تلك المسبة في صهره الربيع من ذلك العبد بشارة بن منيع زاد غضبه وحصل له اغتمام فوثب عند ذلك قائما على الاقدام وركب جواده وأخذ معه بعض الخدام وقال وحق الكعبة الحرام لا أكلت طعاما ولا شربت مدام حتى أفصل هذه الأحكام ثم أنه سار إلى أن وصل إلى حي بني فزارة وهو يقول ما بقيت أرجع حتى أبين هذه العبارة وكان قدر كب لما تعالى النهار فاوصل إليهم حتى أقبل الليل باعتكار قال فلما رأى الربيع عودته على الآثار اندهش عند ذلك وحار وقام وتلقاه وسأله عن حالته وما سبب سرعة عودته فأخبره قيس بما كان من قصته وما جرى من العبد بشارة بن منيع وكيف أحضر الجبة والعمامة والسكين والمنديل سريع قدام أبيه وأكابر بني عبس الجميع فعندها أظهر الربيع الفرح وصفق على يديه وقال والله إن هذا الأمر الذي جرى لي ما جرى مثله من سائر الأمم لأنه وحق ذمة العرب والرب القديم الذي إذا طلب غلب إن هذه الأموال بعض أموالي التي أخذها مني على ركاب مالك والآن قد صح عندي أن عنترا هو الذي أخذ مالي وكتفني وساء حالي وقتل عبيدي وأقيالي ولقد أخبرني بعض الرجال بما أتى مع عنتر من صناديق الأموال والنياق والجمال والخيل والبغال وكنت أردت أن أسير إلى أبيك الملك زهير وأطالبه بأموالي ولكن الذي منعني من ذلك عقلي وحالي وخفت من وقوع الفتن والأهوال والآن قد هتك الله ستر هذا العبد ولد الزنا وتربية الأمة الخنا لأنه هو الذي علم بشارة أن يقول هذا المقال ويفعل هذه الفعال والآن ما بقيت أقصر عن طلب حقي وإظهار هذه الأحوال لا على ما أخذه عنتر من الأموال وإن كان أبوك ما ينصفني ولا يحفظ حق القرابة ويعنفني عدت إلى الملك النعمان وأشكو إليه ما حل بي من الذل والهوان هذا فعله إن كان أبوك يترك الإنصاف ولا يراعيني ولا يخشى من الإسراف وإن كان يستعز بسيف عنتر ويترك سادات قومه هدر

وركبت معه مركب الخطر وأجعلها عداوة أصلية على طول الزمان مادارت الشمس والقمر قال الراوى فلما سمع قيس هذا الكلام خف عن قلبه ما كان يجده من الآلام وقال وحق البيت الحرام وما عليه من الآلهة والأصنام ماصار يجتمع شمل بنى عبس مادام هذا العبد الأسود ابن اللئام قال الراوى وماقال الربيع هذا المقال إلا لأجل الخداع وخبثا منه استدقاع ثم إنهم لم يزل الوانى حديث عنتر إلى أن مضى الليل بظلامه وأقبل النهار بضياه وركب قيس جواده وسار طالبا أرض بنى عبس وتلك الديار والربيع سائر فى ركابه وهو يوصيه ويقول له ياولدى إذا رأيت الأمر اشتد وتعسر فارسل خلفى حتى أحضر وأتحاكم أنا وإياه قدام أبيك الملك زهير وأضرب العبد بشارة الضرب الوجيع حتى يقر ويحكى لنا بالصحيح على ما اتفق عليه الجميع وأنظر كيف وصلت الجبة والعمامة والسكين وتعرف السادات من بنى عبس عن يقين أننى مظلوم معهم ومسكين فسار قيس وهو متفكر فى هذا الامر الذى لا يؤل إلى خير ولا اصلاح وكان قد صار عند الغلس فوصل إلى بنى عبس عند الصباح وقال ولما أشرف على غدير ذات الإرصاد رأى أباه قد باكر إلى شرب الراح هو ومن معه فى ذلك المكان الفياح فمال قيس إليهم وسلم عليهم وتقدم إلى أبيه وجلس بين يديه وقص جميع ما سمعه من الربيع عليه فانذهل الملك زهير من ذلك الخطاب وقال وحق مسبب الأسباب الذى خلق آدم من تراب إن هذه القصة تحار منها عقول ذوى الألباب وأنا قد غاب عنى الصواب بين هؤلاء القوم الذين لا يعلم الصادق منهم ولا الكذاب ولكن من الرأى ياولدى أن تكتم هذا الأمر لأن عندنا هؤلاء القوم الضيوف حتى أنهم ينصرفوا غير تشنيع وأجمع بين بشارة والربيع وأنظر بينهم بما أراه وأستوثق بينهم بالإيمان الجميع واستوهب للمظلوم حقه من الظالم ثم أنهم أتموا أفراحهم فى ذلك المكان وخدموا القوم إلى أن أمسى المساء وأقبلت جيوش الظلام وتفرقت هؤلاء الأقوام إلى كل مكان ولما كان عند الصباح خلع الملك زهير على ضيوفه وقاد بين أيديهم الجنائب وأعطاهم شيأ كثيراً من المواهب وانصرفوا وهم له شاكرون ولإنعامه ذاكرون قال ولما خلا بالله أنفذ خلف عنتر وأعمامه وكانت قلوبهم على مقالى النار لأجل سماع ما يأتى عنهم من الأخبار وأمرهم أن يحضروا العبد بشاره بن منيع فلما أتاهم الرسول حضروا إلى بين يديه إلا العبد بشاره فإنه لم يحضر فتقديم عنتر وخدم وسلم فى ذلك المحضر فقال لهم الملك زهير أين العبد بشاره أحضروه حتى يسير معنا إلى بنى فزاره وأتولى أنا والشيخ بدر انفصال هذه النوبة ولا يتفرق شمل القبيلة ويشمت بنا الأعداء والحساد فقال عنتر يا ملك أى شىء عندك من أخبار الربيع وما أجابه مولاى قيس فقال الملك زهير ذكر لى أنك أنت الذى أخذت ماله وكان من جملته هذه الجبة والعمامة والسكين والمنديل وأنك علمت بشارة أن يقول هذا المقال ويناظره

ويشهد عليه بالمحال وقد عوله على أن يسير إلى النعمان ويشكوك إليه أنت ومن كان معك من الفرسان ويقول أيضا لبنى شيبان ويعلمهم أن أموالهم وعبدهم عندك فى هذا المكان وأن هذه القصة إذا لم تتلافاها والا تفتح عليها منها باب لا ينسد وطلبتنا الاعداء من كل مكان قال الراوى فلما سمع عنتر من الملك زهير ذلك ازداد حمقه على الربيع وأرسل خلف بشارة ابن منيع فما وجده وأرسل إليه ثانيا وسأل رابعة عنه فقالت والله ما عندى منه خبر من مدة يومين وأنا أقول أنه عندك وظننت أنه غلب السكر بحملة من عندكم فقال عنتر وحق من خلق الأنام أنه بالأمس كان جالسا معى على سفرة المدام ورأيته عند المساء زاد عليه السكر فوثب قائما على الاقدام فظننت أنه سائر إلى المنام وهذا آخر عهدى منه والسلام قال فلما أن طلبوا بشارة فما وجدوه قال الملك زهير بان والله الصدق من المحال وقد تبين له أن هذا العبد كذاب وقد خاب من المناظرة والعذاب وهذا دليل أن لكم فى هذا الامر نشب وقد ظلمتم الربيع وهو أمين من أمراء العرب ثم أن الملك زهير عاد إلى سرادقه وقد كاد الغيظ ان يخنقه وعاد بنو قراد إلى منازلهم وقد وقع بهم الخجل وزاد بعنتر الغيظ والوجل وتوقدت فى قلبه النار وقال وحق من أوسع القفار وأجرى الانهار وأظهر من الأرض فاكهة وأزهار لاخلصت حتى إلا بالسيف البتار وإن أحيانى الملك الديان رحلت من تلك الديار والأوطان واستعد لفرج بن هلال ولبنى شيبان وللملك النعمان وجميع العربان وأحتمى لهم كسرى أنوشروان أو قيصر ملك عبدة الصلبان وكل من وقع فى يدى من بنى زياد ألحقه بمضى من قوم ثمود وعاد وكذلك قال أبوه شداد وعمه زخمة الجواد ومالك ابن قراد وقالوا والله ما ترحل إلا ونرحل كلنا معك وأينما سرت تبعناك ولا تقيم لك فى مكان تذل فيه وتهان ولكن ياولدى لاتحرك ساكنا حتى ينكشف خبر بشارة بن منيع وننظر آخر قضتنا مع الربيع فقال عنتر أنا أقول إن فاتنى حذرى فغيبة بشارة فى أرض بنى فزارة وأن الربيع عمل عليه وسرقه فى الليل حتى لا يجادله ويشهد عليه وربما يكون عجل تلافه وأنا لا بد لى أن أسعى فى كشف خبره وظهار أمره وبعد ذلك أجازيهم على فعالهم هذا وقد انقلب الحى بهذا الخبر وما وقعوا لهذا العبد على أثر وقد ركب عروة بن الورد فى جماعة من الرجال الابطال وقصدوا المكان الذى فيه هم والملك زهير ومن كان معهم من الاقيال وهم يفتشون على بشارة واستمروا على هذا الامر حتى قاربوا بنى فزارة فعادوا وما وقعوا له على خبر ولا جلية أثر قال وأما أمه فانها ما حل بها انهتكت عليه وكادت أن تهلك لغيبه عنها وكذلك أصحاب محبوبته رابعة فكانوا يجتمعون ويبكون ويتعلون من التعديد شيئا تذكرونها فتنغص من ذلك الأمر الأمير عنتر وزاد به الفكر والحنق وجلس مقدار ثلاثة أيام لا يأكل طعام ولا يشرب مدام وقد حلت به المشقة

والعناو الملاو الضنى وكان فى كل ليلة يقول لعروة بن الورد يا أبا الأبيض أريد أن أسير إلى أرض بنى فزاره وأكبس على منازل بن زياد وأخيه عمارة وأخلص هذا الرجل الغريب من الوثاق الذى أحسن إلينا واختار جوارنا وترك أرض العراق فقال له عروة يا أبا الفوارس ربما يكون الربيع قد قتله وأخفى أثره فيضيع تعبنا ولا يظهر لنا خبره ونفعل هذا الأمر ولا نحظى بطائل ويصير الحق علينا بهذه الفعائل ويبقى يصدق فينا الملك زهير قول كل قائل (قال الراوى) ولما كان فى الليلة الرابعة هجم على عنتر عبد أسود أغبر وكان المكان خاليا بالأمر المقدر وما فيه أحد من البشر ثم أنه قبل يد الأمير عنتر وقال له يا أبا الفوارس الحق جارك ونزيلك بشارة وخلصه من قبضة الربيع فى أرض بنى فزاره وأقم به البينة على الربيع قبل أن يذهب حقك ويضيع وبلغنى أنا الآخر مرادى وأجمع بينى وبين من يهواه فؤادى فلما سمع عنتر من العبد هذا الكلام فرح واستبشر وقال ويلك يا عبد الخير كيف وصل جارنا إلى أرض بنى فزارة ومن هو الذى أوقع بشارة فى قبضة الربيع وأخيه عمارة فقال له العبد يا مولاى الحديث عجيب والتدبير الذى دبره غريب (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الربيع بن زياد وأخاه عمارة القوادلما جرى لهم مع قيس بن زهير ما جرى فى أرض بنى فزاره وسمع منه حديث جبته وعمامته وما فعل مع العبد بشارة وكيف قال أنه يوافقه على تلك الأسباب ودفع قيس بذلك الجواب واحتج بما ذكرناه من ذلك الخطاب وبعد مضى قيس من عنده من بنى فزارة قال لأخوته كيف رأيتم كلامى لقيس بعد هذه البينة التى بها من عند العبد بشارة فقالوا وحق اللات والعزى ما يقدر أحد غيرك على هذه الفعال ولا يقول شيئاً مما قلته أنت من ذلك المقال لأنك غطيت بياض الحق سواد المحال وقد اتضحت لك الحجة فى طلب ما أخذلك من الأموال وما بقى من الأمر إلا أننا نسير إلى عند الملك النعمان ونسأله أن يأخذ من ثارك ويرسل خلفه ويطالبه بمالك الذى عدم لك وذكرت أنه ما أنقذه إلا ذلك العبد الكشحان وتوقع بينه وبين عنتر فتنة عظيمة تبقى تتحدث بها العربان فى كل ناحية ومكان وتحوجه إلى أن يأخذ مالك منه يذله ويرميه بالخذلان وينفيه من هذه الأرض والأوطان إلى آخر قبائل العربان فعند ذلك قال الربيع أن هذا الأمر ما يتم لنا بامكان إلا أن كان يعدم هذا العبد بشارة الذى أخذ وطلبنا فى بنى شيبان وأتى إلينا يواقعنا ويعادينا فى هذا المكان لأننا إذا هلكناه وصار من الهالكين صار الناس كلهم لنا مساعدين ويقولون بأجمعهم لولا أنه كان كذاب ما كان يباعد عن هذا الأمر ولى هاربا وغاب ويخرج الملك زهير عن عصبته لعنتر ويبقى يترك الأقل ويتبع الأكثر (قال) ثم أنه فى تلك الساعة السريعة دعا بعبد من عبيده يقال له مسروق بن ربيعة وكان ماهر فى دخوله الحلل وسل الخيل والهجوم على المضارب بالنهار والليل فقال له الربيع بعد ما حضر قدامه وصار يسمع ما يقول له من

كلامه ويلك يا مسروق أنت دائما تدعى الشطارة والآن ما قضيت لنا حاجة تحسن بها العبارة وأنا أريد فى هذه النوبة أن أجرب فعالك وأبصر أعمالك فإن قضيت لى هذه الحاجة وعدتك وأنت سالم فابشر بما ينالك منى من الغنائم وذلك إنى أعتقك من رق العبودية وأزوجك بجارية عربية وأتركك صاحب خيام ومضارب وخيل وجنائب وتكون عندى بمنزلة الأهل والقرائب (قال) فعند ذلك قال العبد وما هى الحاجة يا مولاى أطلب منى الآن ما يعجز عنه كل شيطان حتى ترى ما لا يرى من إنسان فلما سمع الربيع من العبد ذلك القول انشرح صدره واستراح أمره وقال له أريد أن تأخذ معك من شئت من العبيد وتقصد أرض بنى عبس وتكمن فيما حولهم من تلك الأرض والبيد ولا تزال أنت ومن معك الجميع مختفين حتى تقعوا ببشارة بن منيع فتقتله أو تأسره أو تحل به البوار وتأتى به إما فى الليل وإما فى النهار وقد بلغت بذلك كل ما تحب وتختار (يا سادات) فقال العبد مسروق يا مولاى وحق نعمتك العميمة إن هذا أهون الأشياء على عبدك وليس لهذا الأمر قيمة لأنى رأيت إلى هذا العبد ونظرت إلى مضاربه والأطلال وأبصرت إلى ما معه من الأموال التى لا يستحق منها عقال وإنى يا مولاى فى هذه الأيام كنت معولا على قتله لأجل الحسد الذى وقع فى قلبى من أجله وطلبت أنا ذلك فتوافق المراد وإنما الحسد بعد ذلك زاد (قال الراوى) ثم أنه فى عاجل الحال دعا بأربع عبيد أقوياء أبطال يعرفهم بالمكر والخديعة من أيام وليال وكانوا قد مشوا معه مرارا فى اللصوصية وأكل غير الحلال فحدثهم بالأمر الذى ندبه مولاه إليه وعرفهم واستعان بهم عليه فانتدبوا بالمعونة واستعدوا بالخناجر وتأهبوا فى ذلك الأمر تأهب المخطار وفى دون ساعة ساروا إلى ديار بنى عبس طالبين وإلى ما أعتدوا إليه متأهبين (قال الراوى) وكان العبد مسروق قد سمع بحديث الوليمة وما اجتمع فيها من الأبطال الذين لهم قدر وقيمة التى صنعها لهم زهير على غدير ذات الأرصاد صادر فى ذلك اليوم يطلب فرصة يسر بها قلوب بنى زياد ويشوش بها قلوب بنى قراد وعنتر بن شداد (قال الراوى) ثم أنه لما قارب الديار أخفى العبيد الذى معه فى وادى النورق وقعدوا له فى الإنتظار مستخفيين بين ما فى الوادى من كبار الأحجار وبقى العبد على حالته حتى وصل إلى الوليمة وكان فى آخر النهار وقد آلت الشمس إلى الإصفرار فرأى القوم على غير الإستواء من السكر وشرب العقار ولهم ضجة وجلبة قد أزعجت الأقطار وما فيهم من يعلم أهو فى الليل أو فى النهار فقال مسروق فى نفسه هذا وقت انتهاز الفرص وبلوغ المنا واغتنام المدح والثناء ثم أنه وقف مع جملة العبيد الذين لبنى عبس وعدنان فرأى العبد بشارة إلى جانب عنتر فى جملة الفرسان وهو يود لو جعله داخل مقلته يغمض عليه الأجفان وسمعه وهو يقول له وحق من يعلم ما فى القلوب وهو الله الذى لا إله إلا هو علام الغيوب أنك اليوم عندى عديل أخى شيبوب وإنه

لأ أقدر على مكافأتك لا بمال ولا بنوال وكذلك عمه مالك وولده عمرو يقولون له هذا المقال وما فيهم إلا من شكره وخدمه وكلما شرب ما بين يديه يناولونه ويكرمونه حتى امتلأ وطفح من شدة السكر والفرح وما بقى يعقل على روحه ولا على من يمدح قال الراوى فلما رآه العبد مسروق عرفه وأقام يرصده إلى أن أقرب الصباح فوثب بشارة على قدميه وهو يميل من الراح ومشى وأوسع فى البطاح إلى أن بعد فى البر فجلس لقضاء الحاجة فغلب عليه السكر فمنعه عن القيام وكان الليل ناشراً أجنحة الظلام فانقض عليه العبد مسروق كانقباض الباز على أضعف الحمام وفى عاجل الحال لفه فى كساه ودخل تحته وحمله على قفاه وسار به إلى وادى النوق وصاح فى رفقاه فعرفوه وسألوه عن حاله فأخبرهم بما جرى له وبما دبر من أعماله وقال لهم عاونونى على هذا العبد ولد الزنا وإلا فاقتلوه ودعونا من حمله والعنا ونقطع رأسه ونكون قد بلغنا غاية المنا وقد نال موالينا بنو زياد كل منهم ما تمنى فقالوا والله ما نحمله إلا بالحياة ولو هلك أكثرنا (قال) ولما دار بينهم ما اتفقوا عليه من المرام خافوا أن يذهب الليل وينكشف النهار بعد انجلاء الظلام فعند ذلك تعاونوا على حمل بشارة وصاروا يحملونه تارة ويستريحون تارة حتى أنهم وصلوا به إلى حى فزارة وكان قد انفجر الصباح ودخلوا على الربيع وهم فى انشراح فلما رآه الربيع حصل له الفرح واتسع صدره وانشرح وقال والله ما قصرت يا مسروق حيث أتيت به فى الحياة حتى أننى أشفى بعذابه قبل أن يصل إلى مولاه وأنفذه إليه بعد ذلك وأستريح من عتبه وعناه (قال) ثم أن الربيع المرتاب أمر هؤلاء العبيد الأنجاب أن يصنعوا له تحت الأرض سرداب فنى عاجل الحال حفروا قطعة من الأرض وساروا عليه طولا وعرض وأمر العبيد بكتافه وأن يقيدوا رجليه ففعلوا به كذلك وغلوا إلى عنقه يديه وأنزلوه فى ذلك السرداب بعد ما ستفوه عليه بالأخشاب وكوموا فوقها بالتراب وجعلوا لها موضعا على قدر الباب جعلوا من فوقها اجلال الخيل ورجال الجمال والأقتاب وأوصى به مولدة من بعض مولدات يقال لها تمامة وقال لها تهدى هذا العبد ولد الزنا كل يوم بشربة من الماء وقليل من الزاد حتى يتفرغ بالنا ونوصله إلى مولاه فقالت الجارية السمع والطاعة يا مولاى (قال) ثم أنها تولت أمره من تلك الساعة وهى لجميع أمر مولاها مطاوعة ثم أنها صارت فى كل يوم تتفقده كما أمرها مولاها وتفعل معه الأمور التى بها ولاها وصارت تحرسه فى النهار وفى الظلام إلى أن كان يوم بعض الأيام فنزلت إليه عند الصباح وكانت الشمس قد انتشرت على الروابى والبطاح وكان قد خرج الربيع هو وأخوته إلى المراح (قال) ولما غاب فيمن معه من الأصحاب نزلت تمامة من ذلك الوقت إلى السرداب فنظرت إلى العبد بشارة وهو مكتوف اليدين وكان لابسا خلعة من ثياب عنتر وكان أكحل أسمر فتمكن حبه من قلبها وقد سلب بحسنه لبها فقالت له يا غلام ما الذى

أوقعك فى هذا المقام فقال لها بشارة وقد خلامنه السكر والمدام فى أى موضع أنا يا بنت السكرام قالت له كأنك كنت غائبا عن الوجود لما وقعت فى الأغلال والقيود فقال أى والله كنت سكرانا لا أعرف طريقا ولا مكان فأين أنا يا مولدة العرب ومن هو الذى أوقعنى فى المظلة والعطب فقالت له ويلك أنت فى أبيات بنى زياد الذين طبعهم الغدر والكياد فنادى بشارة واو بلاه والله لقد وقعت فى البلاء والعناد واحر ماه يا مولدة العرب من عظم هذه النكبة وأدبار هذه النازلة الصعبة لقد هلكت وأحاطت بى الرزية وحق الكعبة (قال) ثم أنه بعد ذلك أفاق من نفسه وعرف ماجرى عليه فتناثرت الدموع من أماق عينيه وعرف أنه قد تغير بأمسه وأيقن بحلول رمسه وأبصرت الجارية ما قد نزل عليه فصارت تسليه عن همومه وتخضع له وتتذلل بين يديه وأنه من عظم ما أصابه غشى عليه ثم أنه أفاق من غشيته والنار تلتهب فى مهجته فزاد فى البكاء وأظهر الأنين والاشتكاء وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

هى الآن روحى قد أصيب حمها ... فأمست عيونى تستهل دموعها
إذا قلت حسبى من تحمل بلوة ... تفرد عنى بالأمور عليمها
رعى الله عهد من خليل ألفته ... تولت بنا الدنيا وزال نعيمها
رزينا وفى الأحيا هنالك حبائب ... إليهن فى الأعراض بدر يسومها
وليس مقامى بعدما صرت ههنا ... مقاما وزوجى قد تنادى حميمها
سأسلو لدى الدنيا ولو راق حسنها ... وطابت معانيها وراق نسيمها
وأبكى على روحى بكاء حمامة ... وأن عز ماء العين كنت غريمها

(قال الراوى) فلما سمعت الجارية ذلك الشعر والنظام ضاق صدرها وعز صبرها وزاد بها الهيام وقالت له من أين أنت يا غلام وأى شىء بينك وبين هؤلاء اللئام فقال لها يا مولدة العرب وتربية خيار الفرسان أنا بشارة بن منيع عبد مفرج بن هلال سيد بنى شيبان وأنا الذى خلصت عبلة من يد الربيع بن زياد ورددتها على ابن عمها عنتر بن شداد بعد ما أمرت بقتلها وأن أنزل بها الفناء والقيها فى الوحش والعناء (قال الراوى) ثم أنه حدثها بفعاله وما قد تم له من أعماله فقالت له تمامة والله أنك كثير المروءة زائد الكرام صاحب عزيمة ونخوة بادى الشيم غيور على العيال والحرم وأنا أقول أن الصنيعة ما تضيع أمثالك ما دام هذا المقام مقالك فأى شىء قولك فيمن يخلصك مما أنت فيه من هذه المهالك ويصنعك مثل ما اصطنعت أنت مع عبلة ابنة مالك فقال بشارة والله يا جارية الخير كنت أصير لك ما عشت بطول الدهر غلام وأقبل أياديك والأقدام ما دام الضياء والظلام فقالت له يا غلام أريد أن تحلف لى بالملك العلام بحق البيت الحرام والمشاعر العظام أنك

تسكون لى محبوبا بطول الدوام مادامت الليالى والأيام وتبقى تزيل عنى جميع همى وتكون تقاسمنى فى فرحى وغمى ثم أنها أنت وبكت وأرخت الدموع وشكت وتنفست من فؤاد موجوع وأنشدت وجعلت تقول صلوا على طه الرسول :

أقول للقلب والأشواق تنهبه ... هذا التى كنت أحسبه
ما أنت أول مغلوب على جلد ... ما يعرف الحب إلا من يجربه
ما أنت بين أمور وهى مشكلة ... تضع الحزم فيها ثم تغلبه
قلبى هوى لغلام شبهه قمر ... يسير فى فلك والشمس تحجبه
يامرحبا بحقوق العائدين به ... فاطيب الماء فى الأفواه أعذبه
ارفق بقلب كئيب فيك مكتئب ... وارحم تتابع أشواق تقلبه

(قال الراوى) فلما سمع بشارة منها ذلك الشعر والنظام قال لها أفعلى ما تريدين من المرام فانى مطيع لك فى كل ما تأمرين به يا ابنة الكرام فعند ذلك حلفته الجارية وقد صارت الأمور بينهم جارية ثم أنها نهضت من وقتها وساعتها ومدت يدها إليه وحلت يديه ورجليه ونفست كربه من تلك القيود والأغلال وتم بينها وبينه ماكان من الأحوال وطلعت بعد ذلك من عنده وقد سلبت بحسنها عقله ورشده قال الراوى ثم أنهم داموا على ذلك المرام ثلاثة أيام وهم مواظبون على أكل الطعام وشرب المدام هذا والربيع كل يوم يأتى ويوصى الجارية ببشارة بن منيع وهى تقول له يامولاى طب نفسا وقر عينا ولا يلحقك هم ولا شين فإنى لم أغفل عنه لحظة واحدة ولا تسأل عما أعمل فى حقه من الأمور الزائدة قال الراوى فلما كان فى اليوم الرابع طلب بشارة لنفسه الخلاص مما هو فيه من ضيق الانفاس وذلك العذاب الشديد ويعود إلى بنى عبس وتقر عيناه من ذلك التنكيد فقالت له أمهل على حتى أدبر كما أشتهى وأريد ثم أنها دعت بأخ لها يقال له جمعة وكان هذا العبد يعشق جارية فى بنى عبس وكانت مليحة الطلعة وهى يقال لها وردة بنت لمعة ولكن ماكان يقدر أن يراها بالنظر خوفا من حامية عبس الامير عنتر وكان يأتى كل ليل إلى أخته ويبكى على حاله ويظهر تأسفه وكثرة بلباله وهى تقول له ياأخى كيف لى براحة أوصلها إليك فوالله إنى باكية من ذلك عليك فلما كان فى ذلك اليوم دعت به كما وصفنا وقالت له يا ابن أمى وأبى أخبرك بما قد حل بى أى شىء قولك فيمن يجمع شملك بمحبوبتك وردة حتى تحظى بها على طول الزمان والمدا فقال لها العبد وكيف لى بذلك يا أختاه أبديه إلى بحق مالك الملك حتى أقضيه ولو وقعت فى جميع المهالك فقالت أبشر فقد نلت المنا وأتتك المسرة والهنا أن إنت فعلت ما أقول لك من الأمور أتتك السعادة وتنال بذلك الحظ الموفور فقال لها العبد قولى لى وحدثينى به فانى إلى قولك مطيع لأن من عمل خيرا وزرعه مع أهله

لا يضيع فقالت له أريدك تمضى إلى حلة بنى عبس وتقصد أبيات بنى قراد وتجعل عزمك إلى مضرب عنتر بن شداد الذى هو حاميتهم وفارس بنى قراد ولا تدخل إليه إلا فى الليل ويكون المضرب خاليا من العبيد وفرسان الخيل فاذا فعلت ذلك تكون قد سلمت من الهلاك والويل وقل له بعد أن تسلم عليه وتقبل يديه قد أتيتك ببشارة يسر بها قلبك ويخفف بسماعك همك وكربك ولكن ما أقولها لك حتى تضمن لى عتق رقبتى وتجمع شملى بمحبوبتى إذا ضمن لك ذلك وأمنت على نفسك من المهالك فقل له الحق جارك ونزيلك بشارة ابن منيع فانه قد وقع فى قبضة مولاى الربيع وقد تركه فى سرداب بين الخيام والأطناب ووضع على بابه رجالات الجمال والاقتاب وقد وكل به أختى تماما التى هو مؤتمنها على جميع ماله ولولاها كان بشارة هلك وتلفت أحواله وهى تقول لك الحقه وخلصه مما حل به قبل أن يهلكه الربيع وبكاس المنية يسقيه لأنه إن علم بحاله الربيع أهلكها وإياه نحن الجميع ثم تقول له وأريد منك يا أبا الفوارس أن تعطينى محبوبتى وتعتق من رق العبودية رقبتى قال الراوى فلما سمع أخوها منها ذلك الكلام خفق فؤاده من شدة الجوى والغرام وقال لها يا أختاه وهل بشارة فى هذه الساعة تحت قبضتك وأنت حاكمة عليه وهو فى حرزتك فقالت له نعم وقد وقعت رحمته فى قلبى وقد أزال همى وكربى وذلك لأجل اصطناعه الجميل وما فعل معها من الجميل ومن أجلها أرمى نفسه فى الويل والتنكيل بعدما أمره الربيع ومفرج بقتلها وكيف عفا عنها ومن القتل فكها وأعلمته بما جرى من الأمر والشأن وكيف أخذه العبيد وهو سكران وكيف حملوه على أكتافهم حتى أوقعوه فى ذلك المكان وأعلمته بالقصة من أولها إلى آخرها وأعلمته بباطنها وظاهرها وأمرته بعد ذلك بالمسير

فسار كأنه الطير وخرج من مضارب بنى فزارة وقد وعدته أخته أن يحسن فى مضيه العبارة ثم أنه طلب حلل بنى عبس وهو ينتخب الطريق وجعل يسير فى عرض البر بلا رفيق إلى أن وصل إلى أبيات بنى قراد وقصد أبيات الأمير عنتر بن شداد وكانت قد جنحت الشمس للغروب

فانقض من بين المضارب كأنه الريح الهبوب أو الماء إذا تدفق من ضيق الأنبوب وفى عاجل الحال قصد مضرب عنتر وهو يتفقد بين الأطناب لا يعرو ولا يتقنطر فوجده فى المضرب وحده وما عنده أحد من العبيد ولا من جنده وهو يتفكر فى أمر بشارة وكيف فقد من بنى عبس وتمت عليك تلك العبارة فعند ذلك هجم العبد عليه وحياه وسلم وقبل الأرض بين يديه وتكلم وقال له يا حامية عبس الحق نزيلك بشارة وخلصه من قبضة الربيع وعمارة وأعلمه بما ذكرنا من تلك العبارة ثم قال له وأنا أطلب حق بشارتى وأن تجمع بينى وبين محبوبتى وأطلقنى من العبودية واجعلنى من بعض غلمانك المسمية وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

أتيتك أمشى والغرام عظيم لتجبر قلبى فهو منه سقيم
رجوتك عونا والجوى مذباعة وأنت لكل النائبات رحيم

قال الراوى فلما سمع عنتر من العبد هذه الأبيات طرب غاية الطرب وقال له أبشر يا ابن الخالة ببلوغ الأرب وبما وقع من العبارة أن هذه الجارية كانت لرجل ملء العقل والشطارة وهو من رجال عروة بن الورد يقال له زرارة وكان هذا الرجل من دون أصحابه فقير اعديم ولكنه كان رجلا كريما ما قصده أحد إلا وأعاده بالخير العظيم ففى عاجل الحال أرسل عنتر إليه فحضر إلى بين يديه وطلب منه الامة فى تلك الساعة فأجاب الرجل بالسمع والطاعة فلم يكن إلا شىء يسير وأحضرها إليه ومعها هدية زائدة وهى قطعة من النوق والجمال وقد ساقها له وقدمها بين يديه وسأله القبول فأبى عنتر ذلك وكان من عادته أنه لايخيب من الرجال ما مولهم ولكنه رد على ذلك الرجل الجمال والنوق لكونه فقيرا صعلوكا وأخذ تلك الأمة فى الحال وأخلف عليه جملة من المال ووهبها إلى العبد جمعة وبلغه منها الآمال ثم أنه أمر العبيد أن يضربوا له مضربا بين خيامه ومضاربه وصار عنده مثل أهله وقرابته ونقل له كل مايحتاجه من أكله ومشاربه ثم أن عنتر بعد ذلك استعلم منه عن خبر بشارة وأخذ صفة السرداب وعرفه أين هو من أبيات الربيع المرتاب فقال له العبد يا مولاى أنا أخبرك بحلية الحال وذلك أنه حفر له سردابا على قدره وأنزله فيه بحالة الاذلال وطرح على الاقتاب ورحالات الجمال ولولا خوف أختى تمامة من الربيع أن يقول لها أنت خامرت على وأطلقت من قبضتى بشارة بن منيع لكانت أطلقته لحال سبيله وبردت ما به من نار عليله (قال الراوى) فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام قال له يا عبد الخير وصل جميلك وجب لك علينا الإكرام ونحن نريد أن نقيم الحجة عليه ونخرج ذلك العبد من بين يديه لأن الملك زهير أشهد لهم بهذا الحال وقال لنا انتم أخفيتم بشارة وقلتم هذا المقال ولولا أنه فى قوله كذا ثبت ما كان فزع من موافقة الربيع ولا غاب ثم أن عنتر أرسل فى تلك الساعة خلف أبيه وأعمامه وخواص بنى قراد وأعلمهم أن بشارة قد ظهر عند الربيع بن زياد ثم أنه حدثهم بما جرى وكان وقال وحق الملك الديان الرحمن الرحيم الذى يشغله شأن عن شأن أن لم ينصفنى الملك زهير من الربيع بن زياد لاعرفته أين أقدر على الشر والعناد وأخذ حقى بالسيوف الحداد والرماح المداد فقال أعمامه وهم بين يديه مجتمعون والله يا أبا الفوارس لنرحل نحن معك وأينما سرت نتبعك ولم يزالوا على ذلك الروح إلى أن أصبح الله بالصباح فركبوا وساروا إلى مضارب الملك زهير فلما أن وقفوا بين يديه سلموا جميعهم عليه وترجلت بنو قراد فى أوائلهم عنتر بن شداد ولما سلموا وهم بذلك الزى والملبوس أمرهم الملك زهير بالجلوس وصار يضحك بعد أن كان عبوس فعندها قال له مالك أبو عبلة أيها

الملك الكريم والسيد العظيم أنى طلبت منك فى ذلك اليوم المعونة على خلاص مال ابنتى فتغافلت عنى وعن قضاء حاجتى وفى خبر العبد بشارة كذبتنا وصدقت الربيع علينا والآن بشارة قد ظهر له وقد جرى عليه من الذل والأسى ما لم يجر على بشر ونريد منك أن تعارفنا على من أنزله به العذاب بضرر وتسعى له معنا فى الخلاص ونأخذ له من ظالمه القصاص ونطلقه من القيود والاغلال فهل أن يحل به الذل والنكال فقال الملك زهير وأين كان العبد بشارة ومن الذى قد أوقعه فى تلك الخسارة ومن كان سببا لهذه الاشارة حتى ننتقم منه ونفصل هذه العبارة لأنى أراها نوبة مشكلة عظيمة الأمر والشأن ولا بد أن تقع الفتنة بسببها بين العربان فعند ذلك قام عنتر من بين الجميع وقال للملك زهير يا مولاى بشارة قد ظهر من عنده يريد أن يوافقه على فعله وهو الربيع الذى احتال عليه وضع به هذا الأمر الوضيع وأن لم نبادر إليه وندركه وإلا عجل عليه وأهلكه فقال الملك زهير لعنتر عساك أن تسير إلى بنى فزارة وتلقى بيننا وبينهم الشر والخسارة لأجل هذا العبد بشارة فقال له وحياتك يا مولاى لا حركت ساكنا بين العبيد والموال حتى يأتى منهم من يريد قتالى ولكن يا ملك الزمان إذا كنت تريد الانصاف وتتبع سنة من مضى من السادات الأشراف فانفذ معنا من تثق به وتعتمد فى كلام الصدق عليه حتى يشهد لنا أو علينا فى خلاص بالذى يقع بينهم وبيننا ويشاهد ما يجرى بعينه ويبصر ما يعمل صهركم الربيع فى خلاص بشارة بن منيع فعند ذلك قام شاس ومالك أولاد الملك زهير وكانوا كما قدمنا يحبون عنترا ويريدون له الخير وقالوا لأبيهم يا أبتاه نحن نسير مع هؤلاء القوم إلى بنى فزارة ونبصر ما يكون من خلاص هذا العبد بشاره ولا نعود من عندهم حتى إننا نفصل هذا العبارة ولعل أن يزول عن بينهم هذا الشر ويكون ذلك بحضور الشيخ بدر بن عمرو فقال لهم الملك زهير افعلوا ما بدا لكم بارك الله فيكم وعليكم وأحسن لكم الوداد واشهدوا على المعتدى حتى أقابله على ما بدا منه من الشر والعناد فعند ذلك قام أولاد الملك زهير قيام الآساد وركب الإثنين فى خمسة فوارس أجلاد وركب عروة بن الورد وأخذ معه عشرة رجال كانوا من خيار الأبطال وعزموا على المسير لقضاء تلك الاشغال والمصار وانى أطراف البيوت والأطلال قال عنتر لعروة بن الورد يا ابن العم هيا وأنفذ إلينا بقية رجالك المسمية وقل لهم يركبوا المهارة ويلحقونا على أرض بنى فزاره ويكمنوا الثانى وادى المعمورة فربما نحتاج إليهم فى مسألة ضرورية لاننى أعرف حذيفه بن بدر وحماقته وما فيه من البغى والغدر الذى هو طبعه مدا الدهر ولاسيما وعنده ربيع بن زياد وتعلم ما هو فيه من الشر والعناد ففعل عروة ما أمره به عنتر وقد استصوب رأيه شاس ومالك منه نفر وخاف أن يحدث من ذلك ضرر (قال الراوى) ثم أنهم توجهوا سائرين إلى بنى فزارة مسرعين

والخلاص بشارة قاصدين ولما أشرفوا على الخيام والأطلال ركبت إلى لقائهم جماعة من بني فزارة الأقيال وفي أوائلهم الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد وبين أيديهم حذيفة بن بدر الموصوف بالمكر والغدر فلما وقعت العين على العين سلموا على بعضهم كلا الطائفتين وقال الربيع للأمير عنتر أهلا وسهلا بك وبمن معك حضر لعلك أتيت إلى حينا مستحيا نادم أو أنت مقيم على لجاجك الدائم فقال عنتر يا ابن الأوغاد إنما يستحي من يفعل مع بني عمه غير الواجب وينسى حوادث الدهر وما يتولد من المصائب ويستحسن سبي بنات العرب ويرميهم بالنوائب هذا الذي يدعى بين الفرسان باللئيم الخائب فقال له الربيع صدقته وحق ذمة العرب الأشراف ولو كان عندك يا عنتر شيء من الانصاف كنت رددت على مالي الذي أخذته مني وظهر وقد طلع له من عندك صحة الخبر وإلا فاحضر لنا العبد بشارة حتى يبين لنا هذا الأمر المنكر الذي قاله عني إني برطلته بالجبة والعمامة والسكين حتى أتاني أهدده قدام هؤلاء السادات الحاضرين حتى أنه يحدثهم بالصحيح من غير كذب ولا تلويح (قال الراوي) وما كان الربيع يقول هذا الكلام إلا وقاية واستدفاع لأنه ما كان عنده خبر ان عنتر هو الذي جرحه وأخذ ماله لما كان نازلا في تلك البقاع (قال الراوي) ولما طلب من عنتر إحضار بشارة وقد جعل هذا الكلام نصب عينيه بين هؤلاء الامارة قال عنتر لأولاد الملك زهير ولحذيفة بن بدر يا موالاي اشهدوا علي وعليه وأبصروا من أين يظهر هذا الرجل الذي طلبه مني وأخفاه وهربه واتهمني في دعواه ثم أنه خب بالجوادين مضارب بني زياد وما في الجميع إلا من بقي واقفا باهتا ومرتاب لحتي وقف عنتر وأخوه شيبوب على جانب باب السرداب وفي عاجل الحال قال عنتر لأخيه شيبوب يا ويلك ارفع هذه الرحلات والاقتاب وانزل إلى هذا السرداب واصعد بهذا الرجل الغريب وأزل عنه ما هو فيه من ذلك العذاب الذي اتهموه به بالزور وقد أشاعوا عنه أنه كذاب حتى إنه يحدث أولاد الملك زهير بما جرى عليه من الهم والمصاب ففعل شيبوب ما أمره به أخوه وتقدم إلى ذلك المكان ووقف عليه وزعق على بشارة ونشله بجهر واطلعه وأزال عنه ذلك الضرر هذا والربيع قد انذهل وخاف من مرارة الموافقة والخجل فالتفت عند ذلك إلى حذيفة بن بدر وقال له يا أمير اعلم أن هؤلاء ما أتوا إلا لأجل أن يوافقونا بل ما أتوا إلا ليقاتلونا ويتعدوا علينا ويظلمونا ونحن يا ملك نازلون في جوارهم ومقيمون في حيكم وديارهم وعارنا من عاركم وهذا يا ملك وقت نصرة الجار وطلب منازل العلو والافتخار (قال الراوي) وكان الربيع من منذ ما نزل على بني فزارة وهو جاعل بين عينيه هذه الاشارة وحسب هذا الحساب وعلم أن هذا الامر لا ينتهي إلا بالخراب والضراب فصار كلما حضر مع حذيفة على الطعام والشراب يحيط على بني عبس بالتوبيخ ويحرضهم أن ينزل بهم المصاب ويذم الملك زهير كيف الحق عبد عنتر بالنسب

حتى صار يعد من سادات العرب (قال الراوى) وكان حذيفة إذا سمع من الربيع هذا المقال يغتاظ من ذكر عنتر ويلحقه الضجر ويقول من عجبه وتجبره وقلة عقله إذا أردت يا ربيع هلاك عنتر وهلاك من يتعصب له من بنى عبس الآخر فالق أنت الفتنة بين الجميع حتى يثور الحرب بيننا وبينهم وأنا أملك بنى عبس وبنى قراد الجميع الرفيع منهم والوضيع لان بنى عبس ليس فيهم صديق ولا رفيق ولا خل ولا شفيق (قال الراوى) وكان الربيع يفرح بمقاله ويشكره على فعاله ويصفه بالفروسية ويفضله على بنى عبس بالكلية وهكذا قالت أهل العقول ومن لهم فى ترتيب الكلام معقول :

ترى البازان شار الغراب شورة　　أصابته من شور الغراب الفضائح

(قال الراوى) ولما جرى هذا الكلام وجرى لعنتر والربيع ما جرى صار الربيع يحرض حذيفة وينخيه بالمقال ويقول له يافارس الزمان ونتيجة العصر والاوان أين قولك وعدك الذى وعدت به عبدك وما زال الربيع بمثل هذا الكلام حتى غضب حذيفة وصار الضياء فى وجهه كالظلام ولما أن تمكن منه الغضب عبس على عنتر وقطب وكان حذيفة مافى ذلك الزمان أجهل منه فى جاهلية العرب فأراد أن يورد بنى عبس وعنتر موارد العطب فزعق فى رجاله وأبطاله وتأهب للحرب والضرب . هذا بعد ما لبس عدة حربه واحتفل وبالحديد تسربل وركب على متن فرسه وكانت من أصول الخيل والجياد وقد حسده عليها جميع العرب والوهاد وكان اسمها طيفورة وهى مثل الغزالة المذعورة ونادى حذيفة فى عبيده ورجاله وصاح فى أبطاله وأقياله فى دون ساعة لمعت أسنة الرماح وبرقت العدد فى سائر البطاح وركض حذيفة يطلب القتال وصاح وزعق الربيع فى رجاله الاوقاح وقال لهم دونكم وهذا العبد الاسود الذى قد تعدى طوره وتمرد فعند ذلك دارت بعنتر الرجال من الاحرار والعبيد والفرسان الصناديد واحتاطوا به من كل مكان وانصبت عليه الفرسان ورماه العبيد بالحجاره وشنوا عليه الغاره وأشرف عليهم الغبار حتى طبق الاقطار (قال الراوى) وكان شيبوب فى تلك الساعة أخرج بشاره من السرداب وأطلقه من الوثاق والعذاب فقال أخوه عنتر عندما عاين ذلك وأبصر يا ويلك امض به يا شيبوب إلى الوادى المعمورية إلى أن أفصل أنا فى هذه القضية وانفذ إلى رجال عروه المسمية حتى أنهم يعينونى وينجدونى على هذه الطائفة الفزارية (قال الراوى) وكان عنتر قد حسب هذا الحساب وعلم ما يأتى من هذه الامور والاسباب ولو لم يكن دبر هذا التدبير لحل به الويل والتدمير وأنه لما عاين هذا الامر المنكر وبان له الغدر وقد اشتهر فما عاد ولا تاخر ولا أحدا من أعمامه تقهقر بل صاح وتصدر ووقف فى وجوه الأعداء وزمجر (قال الراوى) ولما

عاينت أعمامه هذا الويل الذى اعتراه حملوا قدامه وو راه وتصايحوا على العبيد الأنذال ومالوا عليهم يمينا وشمالا وما وصل عنتر إلى أطراف البيوت والأطلال حتى قتل من بنى فزارة عشرة رجال وبعدها قال لاولاد الملك زهير انجوا أنتم بأموالى بأنفسكم حتى أننى أرد الخيل عنى وعنكم فقال شاس لا وحق ذمة العرب لا حدثتنا أنفسنا بالهزيمة والهرب ولا تركناك وحدك فى مقام العطب بل تأخذ ناحية حلتنا بالمسير وكل من لحقنا من بنى فزارة وزياد أنزلنا به التدمير وتركناه على الأرض قتيلا حقير إلا أنهم ما بعدوا إلا شيأ يسير حتى لحقتهم الفرسان ودنت منهم الشجعان وأكثروا عليهم الصياح وقد جاءتهم الخيل من وسيع البطاح وفى أوائلهم الربيع بن زياد وأخوته كانهم الآساد وبجانبه حذيفة بن بدر فى طائفة من بنى فزارة وجميع أخوته وبنى عمه الامارة وأقاموا على عنتر الغارة وجعلوها عداوة أصلية وعزموا على قتله وأصحابه الكلية وصار الربيع يقول لحذيفة أعلم يا أبا حجار أنى دبرت هذا التدبير على عبد مفرج الغدار والذى ظهرت ثيابى عنده رأيت به إلى هذه الديار ولما احتلت عليه وصار فى قبضتى وهددته بالقتل فأقر من هيبتى وقال أنه هو الذى كبسك وأنت فى بنى مالك وتلك الرمال وأخذ جمالك وما كان معه من تلك الأموال وقد علمنى أن أقول هذا المقال فعند ذلك قال حذيفة وحق ذمة العرب الأخيار اليوم آخذ لك من هؤلاء القوم بالنار وكشف عنك العار ولا أترك من بنى قراد ديار أولا نافخ نار (قال الراوى) ولما أن جرت هذه الأحوال ركب الشيخ بدر بن عمر سيد بنى فزارة والحاكم على فرسانها والرجال وأتى فى مشايخ الحلة وكبار تلك الأبطال لأجل هذه الفتنة التى ثارت ولأجل القتال وصار يصيح على ولده حذيفة وهو لا يرتدو لا يسمع من أبيه المقال لا هو ولا من معه من الشباب الجهال بل زين لهم الحسد وجه المحال وكان أكثرهم يبغض عنتر لأجل ما ظهر منه من الفروسية فى القتال وكانوا قد نفروا فى الفين وستمائة فارس وطلبوا عنتر ومن معه مثل الأبطال فتلقتهم بنو عبس مثل الأسود العوابس هذا وحذيفة بن بدر فى أوائل الأبطال وهو يهز رمحه العسال وينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

أيذل عبد بنى قراد جارى ... وأنا على ظهر الجواد الجارى
كلا وحق الواقفين على منى ... والطائفين بكعبة الجبار
يا آل بدر بادروا أعداكموا ... بالمرهفات وبالقنا الخطار
حتى نبيد بنى قراد ويشتفى ... قلب الربيع بعنتر الغدار
تبا لقوم ألحقوا ساداتهم ... بعبيدهم وتسربلوا بالعار
طلبوا حمايته لذل منهمو ... والذل يزرى بالهزبر الضارى
وبنو فزارة للجهال عليهمو ... حلل تبطنها العلا بفخار

قوم إذا ركبوا الجياد تصرمت ... فى كل أرض قسطل من نار
وإذا هموا لاقوا العدا فتراهموا ... بعزيمة كالمرهف البتار

(قال الراوى) فلما سمع الربيع بن زياد من حذيفة ذلك الشعر والنظام من مدحه لنفسه ومذمته لبنى عبس الكرام ازداد طغياناً ومكراً وخبثاً وصار يركض بجواده وإلى جانبه حذيفة بن بدر وهو يحرض على المكر والغدر وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول:

لله درك يا أبا حجار ... ياضيغما يوم الكريهة ضارى
بادرتنى لما رأيت مذلتى ... ونصرتنى نأى أنصارى
يا واحد فى عصره بفعاله ... ياذا العلا يا فارس الأقطار
يامن إذا سل الحسام بكفه ... سل النفوس بحده البتار
يامن يصيد الأسد فى غاباتها ... صيد العقاب لاضعف الأطيار
لو أن أهل الأرض حولك جحفلا ... للقيتهم بعزيمة وفخار
من أين هذا العبد حتى أنه ... يغشى ديارك أو يلم بدارى
فاطعن برمحك يا أمير فؤاده ... حتى يقر من الزمان قرارى

(قال الراوى) وبعد هذا الكلام أطلقت بنو فزارة رؤس الخيل السبق وتلاحقت بهم الجيوش وما منهم إلا من صاح وزعق ولا أحد منهم عن فريقه افترق . وصاروا يقولون لبنى عبس ياويلكم أطلبوا لانفسكم النجاة وإلا حل بكم الفناء ودعونا نحن نقتل هذا العبد ولد الزنا وأى شيء يكون قدر هذا العبد الآخر بشارة بن منيع حتى تفعلوا من اجله هذا الفعل فى حق الأمير الربيع (قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا المقال ورأى الخيل قد طلبته من اليمين والشمال زادت نيرانه اشتعال وقال لاولاد الملك زهير ياموالى أنتم مامعكم سلاح فلا تتعرضوا القتال ولا لكفاح بل قفوا وتفرجوا على مايجرى بينى وبين هؤلاء القوم الكلاب وانظروا مايقع فى رؤسهم من الضرب بالسيف القرضاب . (قال) ثم أن أبا الفوارس عنتر عاد إليهم عودة الاسد القسور وهو يثب على الخيل بقلب أقوى من الحجر وهو يطعن برمحه الاسمر ويضرب بسيفه الظامى الابتر وهو ينشد هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

انتمو فى الحرب بهم وقع ... وأنا الليث إذا الحرب وقع
انتمو مثل سراديب لامع ... وأنا ويل سحاب قد همع
انتمو نبت هشيم فى الفلا ... وأنا الريح ذا البر اتسع
جرتمو لما عدا لنا فيكمو ... وكثير العدل مافيكم نفع
لا تظنوا جمعكم ينفعكم ... إنما الجمع إذا قل نفع

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه حمل فى وجوه الخيل السبق وصاح على الفرسان وزعق وترك أدميتهم مثل العلق وطلع عليهم الغبار وتسردق وقد ضرب فيهم ضربا يقصر الأعمار من شدة الخنق وكان قد اشتد به الحرد وأخذه من فعل الربيع الكمد فصار أن طعن الفارس شك أضلاعه مع الزرد وأن ضرب عنقا طيره عن الجسد هذا وحذيفة يطلبه تحت الغبار الذى انعقد وهو راكب على ظهر حجرته طيفورة حتى قرب منه فعرفه بعظم تلك الصورة ورأى ما أهاله من طعناته المذكورة وضرباته المشهورة وصرخاته حتى تترك النفوس مذعوره (قال) فلما عاينه حذيفة انقض عليه انقضاض النسور وأراد أن يجعلها معه وقعة مذكورة فدرج نحوه وجال ولعب برمحه العسال وكان حذيفة يدل برمحه على الأبطال الجياد وكان إذا أراد أن يطعن به أحدا من الفرسان يحملوه له إلى الميدان ثلاثة من الغلمان (قال الراوى) فلما بقى حذيفة فى وسط بنى قراد طعن الأمير زخمة الجواد بعقب ذلك الرمح فرماه عن ظهر الجواد وتركه ممددا فى الفلاة على الأرض والمهاد وقد أشرف على الفناء والنفاد فلما رأى عنتر منه ذلك الحال وعلم أنه قد سأل عن رجاله واستطال زعق فيه وفاجأه وانقض عليه انقضاض العقاب وساواه وأخذ الأثنان فى الكفاح ونادى المنادى بينهم لا براح وكانوا كأنهم بحران انطلق كل واحد منهما على الآخر وصاح . هذا والربيع قد زعق فى بنى قراد وصاح ونادى أنجدوا ملككم وإلا حلت به من هذا العبد الأسواء والأمور القباح وحمل فى سائر أخوته وقد اشتدت حميته وهو يقول دونكم وهذا العبد الذى قد قربت منيته وان لم تقتلوه وإلا صال علينا وعليكم بصولته فعندها صال حذيفة على عنتر بسرعة حجرته وطعنه طعنة واصلة بحيلته وقوته ففى أسرع ما يكون أبطل عنتر طعنته وسل سيفه الظامى وهم أن يضرب رقبته فاستتر حذيفة من ضربته فضرب عنتر رأس حجرته فوقع حذيفة من عليها على رأسه وقتبه وكاد أن يهلك ويعدم مهجته وقد فتوهن من ثقل الحديد الذى كان أحرز به جثته ثم أنه ثار من الواقعة حتى أشرف على البوار إصاح به عنتر صيحة الأسد الجدار وقال له قم يا أبا حجار وأطلب أهلك وناسك ولا تعد لى مثلها يا أندل العربان وإلا أطرت بهذا الحسام رأسك قال فدارت بحذيفة القربان جماعة من بنى فزارة الشجعان وقد حملوه وعادوا به إلى ناحية الديار والأوطان وقد وقعت هيبة عنتر فى قلوب الفرسان ولولا الربيع القرنان وأخوه عمارة الكشحان كانت بنو فزارة قد انهزموا وعلى الهرب من قدام عنتر عولوا وإنما هو أحماهم بالكلام وخوفهم من العار والمذمة عند كل العربان فرجعوا فى عاجل الحال وقاتلوا أشد قتال وأعانتهم العبيد بالحجارة والعمد الثقال (يا سادة) واتصل الطعن واختلف وطلع الغبار وانعكف

وكثرت الأحزان والأسف وطعن الربيع فارساً من بنى عبس فطبق قلبه وضرب آخر فكركبه وطعن آخر فكاد أن يعجل عطبه هذا ومالك أبو شداد ومالك بن زهير وأخوه شاس كانوا كما ذكرنا مختفين من الدثار واللباس فما قدروا أن يباشروا حرباً ولا كفاح لأجل خلو أجسادهم من السلاح لأنهم ما أتوا لأجل قتال ولا حرب ولا نزال وإنما أتوا لأجل الشهادة على ما يجرى من الأحوال فلما رأوا الفتنة قد تكاثرت والرجال إلى عنتر ومن معه قد تبادرت خافوا ذلك الوقت على عنتر وعلموا أنه مظلوم من دون البشر فحركوا خيولهم إلى ناحية حللهم وديارهم وجدوا في البر الاقفر ليعلموا أباهم بالخبر فلما جاز وإلى وادى العمورية أنفذوا رجال عروة المسمية إليه ليعاونوا عنتر على تلك القضيه (قال) وكان شيبوب قد وصل إلى هناك سريع ومعه بشارة بن منيع فتركهم وعاد إلى ذلك العبد سريع ثم إنه انطلق قدام الابطال والفرسان وهو يهمز همزات الغزلان (يا سادة) فلما أشرفوا على مكان المعمعة وجدوا لضربات السيوف قعقعة ونظروا إلى الحرب وقد قامت على ساق وشراب المنية قد صفا وراق وقد علا من بنى فزاره الصياح والزعاق حتى أقلق الآفاق والغبار قد بنى على رؤوس القوم رواق. هذا وعنتر قد ضاق عليه المجال وصار يطعن الصدور ويقطع الاوصال فلما نظرت رجال عروة الذين أقبلوا إلى ذلك الحال حملوا المعونة عنتر من اليمين والشمال وكان الربيع وأخوته قد ضايقوا عنتر اغاية الضيق إلى أن أبصروا رجال عروة وقد أقبلوا مثل نيران الحريق فزادوا في وقيد الحرب وقد أكثروا من الطعن والضرب فلم يروا لهم في ذلك مأرب مما حل بهم من البأس والحرب فعندها اختار الربيع ورفقاه الهرب والنجاه من العطب لما رأوا الموت منهم على يد عنتر قد اقترب وقد علموا أن عنتر بعد هذه الكائنة ما عاد يغلب ولا يقهر فعندها طلب عنتر الربيع في عاجل الحال وصال عليه واستطال لما اتسع عليه المجال وأنشد وقال صلوا على من سلمت عليه الغزال:

أطمعت يا ابن زياد في وحدتى	وأتيت تشفى قلبك المكمودا
وأنا ورمحى والحسام وأبجرى	جيش يعد إذ أتيت وحيدا
من يلقنى يوم النزال يلاقنى	من خوفه بحراً يسد البيدا
فوحق مكة والحطيم وزمزم	وإله موسى الخالق المعبودا
لابد أن تبقى جديلا هالكا	من سيق الظامى وأنت فقيدا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر امن ذلك الانشاد انطبق على الربيع بن زياد وزعق فيه بين الصفين وأدار سنان الرمح إلى ورائه وطعنه بعقبه فدق له ضلعين فصاح وانخرع ومن على ظهر جواده وقع وكاد من شدة الوقعة أن يشرب الموت جرع (قال الراوى) ففى عاجل الحال وجل عروة بن الورد عن جواده وأوثق كتافه وقوى شداده فعند ذلك صاح عمارة

فى ذلك البر والحجر ورمى روحه فى عاجل الحال على عنترا وهو يقول ويلك يا عبد السوء هكذا تفعل بمواليك فلعن الله بطنا رماك وبيتا آواك وهم أن يطعن عنتر وإذا به من على جواده وقع وتقنطر من غير أن يعلم به بشر والسبب فى ذلك أن شيبوبا لما رأى ذلك الأمر الذى تقرر ضرب جواده بنبلة فى صدره فقلبه وعن مركوبه كركبه فما لحق أن لا يثور إلا وهو على صدره وقد تملك من شداده ونحره وشد كتافه وقومنه الأطراف وبعد ذلك وقع فى بنى فزارة الهلاك والتلاف ولما علموا أنه ما بقى لهم اصطبار صاح بعضهم على بعض ياويلكم الفرار الفرار قبل أن يحل بكم البوار من هذا العبد الجبار . هذا وقد سالت دماهم شبه الأنهار وما بقى يقر لهم بين يديه قرار ووقع الفنا فى بنى فزارة وأظهر فيهم عنتر قوته واقتدار ، هذا وقد رأى عنتر إلى حمل بن بدر فادركه وزعق فيه فكاد أن يهلكه وهم أن يطعنه فولى هاربا وإلى النجاه طالبا وقد فر مثل البرق إذا برق مما حل به من الخوف والقلق وبعد ذلك هربت بعده الفرسان وذلت جميع الشجعان وعمل الطعن فى ظهورهم وقد حاروا فى أمورهم (قال الراوى) وكان الشيخ بدر بن عمرو سيد بنى فزارة لما سمع بالمعمعة وما وقع من تحت رأس الربيع فى حق العبيد بشارة ركب وطلبهم فالتقى بولده حذيفة وهو عائدين من ألم الواقعة وقد حلت به المصيبة والفجيعة فقال له ويلك ياعبد الشوم أما قلت لك الا تتعرض لهذا البطل الغشوم ولا تعاد بنى قراد ولا تسمع من كلام الربيع بن زياد لأنه يكره عنتر بن شداد وهو من جملة الحساد وأنا أعلم وأتيقن أن الربيع ظالم ومعتد فى المقال قائل الزور والمحال فى سائر الفعال ولقد والله ألبستنا العار إلى أبد الابد ما قام قائم وقعد بقتالك لهذا العبد الأسود والبطل الازبد ولقد والله والله رعانى وأنه حفظ عنك الضربة بسيفه الهندوانى ثم أنه لم يزل سائر إلى أن وصل إلى عند عنتر فرآه قد أحل ببنى فزارة وبنى زياد الضرر فتقدم عند ذلك إليه وسلم بعد ذلك عليه ومنعه عن ضرب الحسام وقال أطلب منك العفو يا فارس البيت الحرام وأنا سمعت عنك أنك تحب العدل والانصاف وتكره الجور والاسراف وأراك اليوم فعلت بالخلاف ووضعت السيف فى رجالنا وأهلكت قرائبنا وبنى عمنا وما رعيت جانبا ولكن عذرك واضح وأنت اعلو قدرك مسامح والظلم يوقع صاحبه فى المنية ويجلب له الويل والرزية والآن قد بلغت مناك وظفرك الله بحسادك وأعداك فارجع الآن إلى قومك وأقربائك وانفصلوا من بعضكم كيف شئتم ودبروا لانفسكم ما حويتم ثم أنه زعق على بنى فزارة وردهم عن المحال فسمعوا مقاله ورجعوا إلى الأطلال وهم لا يصدقون بالسلامة من قدام ذلك البطل الريبال وأما عنتر فإنه استحى ورجع عن القتال لما أن رآه ذل على كبر سنه فابطل الحرب وعاد راجعا على عقبه ثم أنه أمر شيبوبا أن يشد الربيع بن زياد وأخاه عمارة القواد على خيولهما بالعرض

وبوسع بها فى جنبات تلك الأرض وعادوا طالبين الديار وهم فى غاية الفرح والإستبشار وبنو زياد على غاية الأضرار (قال الراوى) فلما أن عبروا على المراعى وشيبوب بين يديهم كأنه من بعض الأفاعى قال عنتر لعروة بن الورد يا أبا الأبيض قل لرجالك الاجواد يسوقوا أموال بنى زياد ورعاتهم بين أيدينا تعرفهم فى مراعينا ويحكم كل أحد فيهم بما اشتهى إلى أن يرد الربيع على ابنة عمى مالها الذى أخذه من عليها فقال عروة يا أبا الفوارس هذا أمر ما يتم لنا ما دمنا تحت طاعة الملك زهير ولا ينتج لنا منه خير وأنه ما يرضى لنا بذلك ولا بد أن يعتب عليك لأجل فعالك ببنى فزارة وما وقعوا فيه من المهالك ويقول لك القيت فتنة بين القبيلتين وحذيفة ما يقعد عنك لأنك كسرت له ضلعين وأنت تعلم أنه كثير اللجاج معجب بنفسه ومدل بكبره على أبناء جنسه وكذلك قيس بن زهير تصبح عدواته لك هذه النوبة لا تتوارى إذا رأى حية الربيع وأخوته أسارى وهذا أمر ما يتم لك أن لم تهجر بنى عبس بلا تطويل وتفعل بنا على الرحيل وننزل على بعض المناهل والجبال وتأخذ حقك ممن عاداك من العبيد والموالى ولا يكون عليك لا قاضى ولا حاكم إلا رمحك الأملود وسيفك الصارم فقال عنتر يا أبا الأبيض وكانى بعد هذه الأفعال ما بقيت أقيم عند هؤلاء فى الأندال فوحق الرب القديم إله موسى الكليم والخليل إبراهيم لأرحلن عن هذه الأوطان ولاقلعن آثار بنى فزاره وبنى شيبان ولآخذن حقى من هذا الربيع القرنان ولو أنه فى حجر الملك النعمان أو كسرى أنو شروان (قال الراوى) وما زالوا على مثل تلك القضية حتى أنهم وصلوا إلى وادى اليعمورية وبشارة مقيم هناك منتظر ما يكون من تمام هذه الأمور المقضية فلما رآهم مقبلين فرح فرحا زائداً ارآهم سالمين ثم أنه تقدم إلى عند عنتر وهنأه بالسلامة من حوادث الزمان ونظر درعه ملطخا بدم الفرسان وهو مثل الأسد الغضبان ورأى الربيع وأخوته مشدودين على خيولهم بالعرض وهم يسوقونهم من أرض بنى فزارة حتى وصلوا بهم إلى تلك الأرض فعندها تقدم إلى الربيع ووبخه على ما فعل وقال له هذا عاقبة الظلم والبغى وما قدمته يداك من العمل ثم أنه أقبل عنتر وقال له يا مولاى أن أولاد الملك زهير مالكا وأخاه شاسا قد ساروا إلى أبيهم يخبروه بما صار إليك من الشر والوسواس ويعلموه بما تاسيتموه فى أرض بنى فزارة وجرى لك مع الربيع وأخيه عمارة وما شهدوا من أفعاله بسبب هذا العباره وكيف ظفرت بالجميع وهم معك فى قيود الذل أسارى وأنا أعلم أنه يسير فى جمع كثير من الفرسان ويسير سير المنزعج العجلان وربما يلتقيك فى الطريق ويأمرك باطلاق بنى زيادة مع الأمر والضيق لأجل قلب قيس ولده لأن الربيع كما تعلم صهره وعضده ويخاف أيضاً أن يحل به من ذلك عطب وتكون قد خاطرت بنفسك وما بلغت الغرض ولا شفيت مما كنت تؤمله الغرض وأنا يا مولاى اشتهيت

أن أسير بهم مع أبيك وأعمامك فى عرض البر حتى نصل بهم إلى الأبيات التى أمامك وندور بهم من بين أبياتنا والمضارب حتى تتفرج عليهم النسوان والبنات الكواعب وتراهم وتشمت بهم مولاتى عبلة وأمها ونساء عمومتها ومن تريده ويريدها من نساء الحلة وبعد ذلك إذا أصلح بينك وبينهم الملك زهير ووجوه القبيلة فنكون قد بلغت ما كنت تؤمله من عذابهم ونلت الوسيلة إلى عقابهم فعند ذلك قال عنتر افعل ما بدا لك نجح الله أعمالك وأقل ما تريد من الأمر والشأن فأنا بقيت اصطلح معهم مدا الأزمان فعند ذلك تسلم بشارة الربيع وأخاه عمارة وهم مشدودون على خيولهم بالعرض وقد سار بهم فى فسيح تلك الأرض وهم قد اكثروا من الصياح والعياط وهو كلما صاحوا يقنعهم بالسياط ثم أنه نفذ صحبتهم أعمامه وأباه شداد ليكون أشفى بعذابهم يعنى بنى زياد وهم معهم فى الكتاف والشداد وقد ساروا بهم إلى نحو أبيات بنى قراد وبقى عنتر على حاله وهو مع عروة بن الورد ورجاله وهو سائر سير الأمان لا منزعج ولا خائف ولا فزعان إلى أن قربوا من الديار والأوطان وإذا قد ثار من بين أيديهم غبار وبعد ساعة تقطع ومار وظهر من تحته فرسان بنى عبس الأخيار وهم تابعين الملك زهير على الآثار وهم متفرقون فى سائر الأقطار والجميع أطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة وهم طالبون أرض بنى فزارة لينظروا ما حل بهم من الذل والخسارة وبين أيديهم الملك زهير ومن خلفه جميع أولاده وأخوته المشاهير وجميع أخياره الأمراء والرايات على رؤسهم مشتبكة والفرسان بعضهم ببعض محتبكة ولهم بالصياح ضجة ودبكة والحديد على أجسادهم يلمع وأسنة رماحهم كأنها الكواكب الطلع (قال) وكان السبب فى قدومهم شاس وأخاه مالك أولاد الملك زهير لأنهم لما رأوا بنى فزارة وقد فعلوا بعنتر تلك العبارة علموا أن أمرهم ما يؤل إلى خير فأطلقوا رؤس خيلهم كما أمرهم عنتر وعادوا إلى بنى عبس يرددون الخبر فلما وصلوا إلى الأبيات طرحوا الصائح بما صار لبنى فزارة ولعنتر من الكائنات ودخلا إلى أبيهما وأعلماه بالخبر وقالا له الحق عنتر وإلا شرب كاس الوبال فإننا قد تركناه فى عشرة رجال وجميع فرسان بنى فزاره قد دارت تطلب الحرب والقتال قال الراوى فلما سمع الملك زهير هذا الكلام ايقن لعنتر بشرب كاس الحمام وعسر ذلك الامر عليه حتى ما بقى يعرف ما بين يديه وقال والله لقد علمت أن نوبة عنتر ما تنفصل على جميل إلا أن يصير أحدهما قتيل ثم سألهم كيف كانت القصة وذلك الامر المريع فاخبروه بظهور بشارة بن منيع من وسط أبيات الربيع وكيف أخرجه من السرداب من تحت الرحالات والاقتاب وكيف قد خلصه من أليم العذاب فعندها زاد بالملك زهير الغضب واعتراه الويل والصخب ثم أنه ركب بعض الجنائب وخرج من بين البيوت والمضارب.

وانقلب الحى بالضجيج من كل جانب وتجارت خلفه الفرسان وتتابع من ورائه الشجعان وضجت أبيات بنى قراد ولطمت النساء لفقد عنتر بن شداد ونادت أمه زبيبة واولداه وقلة ناصراه ودقت على صدرها بيدها من خوفها على ولدها وساوت فى أمرها وكذلك عبلة خرجت وهى منشورة الشعر والذوائب وأجرت من عيونها الدموع السواكب وعظم بكاؤها وانتحابها وسمع مالك بن زهير صياحها بين أترابها وأيضا نسوان بنى قراد جعلن يبكين على عنتر بن شداد فمال إليهن وصاح عليهن وقال لهن أقللن من هذا البكاء والثبور فما عنتر إلا منصور وعدوه مقهور ثم عاد على أثر الفرسان لينظر ما يكون من ذلك الأمر والشأن ما تخلف فى الحى إلا قيس بن زهير لأنه قال أنا ما أسير وأنظر ما يحل بصهرى من الذل والضير ولاسيما إن كان عنتر قد نصر عليه وخلص بشارة من يديه وأنا أعلم أنه ما يقعد عن أذية يوصلها إليه قال الراوى ومازالت الخيل تتجارى فى البر والوديان حتى تلاحقت بعنتر فى ذلك المكان وكان فى أوائلهم شاس وأخوه الحارث وهما يتسابقان الاثنان فلما رأوا عنتر عائداً وهو مستبشر فرحان هنوه بالسلامة وسألوه عما كان له من ذلك الشأن فحدثهم بأمور اخوته وفعاله بحذيفة كيف طير رأس حجرته وكيف قتل منهم جماعة الفرسان وفرق الشجعان وعفا عن نهب الأموال وسبى النسوان قال الراوى وبعد ذلك أقبل الملك زهير فترجل عنتر له وقبل يده وقدميه فهنأه بالسلامة من بنى زياد بالنصر والظفر ونيل المراد وقال له والله يا ابن شداد لقد سررت بعودتك وخلاصك من يد الأعداء والأضداد لأن السلامة هى غاية المراد ولاسيما إذا قهرت الأعداء والأضداد ولكنك قد تلطخت بدم ما بقى يمحى أبداً وتطالب به صباحا ومساء ما دامت الرجال مع النساء وتفنى هذه القبائل ولا يبقى لا فارس ولا راجل قال الراوى لهذا الإيراد صلوا على سيدنا محمد خير العباد فقال عنتر يا ملك كيف كنت أعمل هل كنت بعظامى وتنقطع من الدنيا أيامى والله يا مولاى ما عملت إلا قدر ما رأيت ولا ظلمت يا ملك أسلم لهم روحى يقتلونى وبكأس الحمام يسقونى وكان الربيع وأخوته يتبخرون ولا تعديت ثم أنه جعل يقص عليه قصته وهو سائر إلى جانبه بين أهله وأخوته وهم راجعون حتى أشرفوا على الأحياء فقال له الملك زهير وأين الربيع وأخوته فأخبرنى عنه وعن قصته فقد ذكرت عن أنهم معك مأسورون وهم على ظهور خيولهم مشدودون فقال عنتر يا ملك أنا أخبرك بما كان من القصة وذلك أن عمى مالكا أخذهم وأبى شداد ومضى بهم من وادى اليعمورية بعد ما اطمأنت خواطرهم من جهتى وفرحوا بسلامتى وسار بهم إلى الأبيات فى عرض البر وقال عمى أريد أن يكون هؤلاء عندى وفى رحلتى رهان فى الأمر على المال الذى كان على إبنتى فقال الملك زهير وقد زاد به الغضب واعتراه الصخب والله

ما قصرت فيما دبرت من الأعمال ولكن الواجب عليك أن تفعل هذه الفعال إلا إذا رأيتنى قدمت واندثرت ورميت بالنكال ولاكنت فعلت بهم هذه الفعال بعد قتالك معهم والنزال ولاكنت تفعل هذا الأمر وأنا راكب على حصانى وتركت العرب يستعفون شأنى قال الراوى فبينما هم فى ذلك الكلام وقد صاروا فى أطراف الخيام وإذا بالصياح قد علا فى أبيات بنى قراد وصراخ النسوان قد انعقد وزاد فنظروا إلى ذلك الجانب وإذا بالخيل والرجال خارجة من بين المضارب وقد تفرقت فى القيعان والسباسب وفى أثرها فارس أبجد وهو خالى من الحديد والزرد وعلى جسده ثوب حرير مغمد وهو يصيح على الفرسان صياح الأسد الغضبان والرجال متفرقة بين يديه ومافيهم من يقدر أن يتقدم إليه قال الراوى وكانت الرجال الهاربة أعمام عنتر وأباه شداد ومعه جماعة من بنى قراد والفارس الذى وراءهم قيس بن عبد الملك وهو يضرب فى أعقابهم وقد حل بهم البلاء والضير قال الراوى وكان السبب فى هذه الأحكام أن بشارة بن منيع لما فارق عنتر اوقد سار بعمارة وأخيه الربيع وعدل بهم مع أبى عنتر وأعمامهم وهو يسوقهم وهم مربوطون على خيولهم قدامه ووصل بهم الحلة وهم فى الوثاق الشديد فاشهرهم بين أبيات بنى قراد وصار يدور بهم بين المضارب والخيام ويسمعهم غليظ الكلام ويضربهم بسوط كان فى يده على الاكتاف والضلوع والخواصر وينادى عليهم ويقول هذا جزاء من يسبى البنات الحرائر ويهتكهم فى القبائل والعشائر ويفعل الفعلات الكبائر ولم يزل يفعل بهم كذلك وهو دائر بهم فى سائر الاقطار حتى صار قدامهم ومن خلفهم جمع من القبائل من البنات والنسوان والاماء والعبيد وكذلك الغلمان وكان ذلك اليوم أصعب الأيام على بنى زياد وبالاتفاق أنت طريقهم على أبيات مالك بن قراد فنظر عمارة الربيع إلى عبلة وهى واقفة فى باب خباها والانوار طالعة من جبينها لضياها وهى كأنها الشمس الضاحية فى السماء الصاحيه وكانت قد غيرت أثوابها وابتهجت لفرحتها وأعجابها وهى تزهو بين أترابها وأصحابها فلما نظرت إليهم صارت تقول وهم يسمعون خطابها هذا والله قليل فى حقكم يابنى زياد لانك يا ربيع ما أبقيت مجهودا فى عدواة بنى قراد مع علمك بان خلفهم عنتر بن شداد ويلك ياقرنان أخذت مالى وعملت على قتلى ونكائى وعدت أنكرت الجميع لاشك أن الله قد جازاك بما فعلته سريع ورماك فى هذا الامر الشنيع قال الراوى فلما رآها عمارة وهى تلتفت التفات الغزال وتميل بين أترابها بالغنج والدلال وسمع منها ذلك المقال كان على قلبه أحلى من الماء الزلال فتحسر وتنهد على ماحل به من النكال وقال بالله عليك يا ابنة مالك منى على بساعه من ساعات وصالك ودعينى أكون تحت الارض ميتا وهالك ولاتبتى ولد الزنا بجمالك فقال له أخوه الربيع أسكت سكت حسك وسكنت عن قريب رمسك فما أوقعنا

فى هذه البلية إلا عشقك هذه الصبية ولم تزل بلجاجك حتى نهلك وتشرب كأس المنيات وتقطع آثارنا عن أوطاننا والأبيات قال الراوى وكان قيس قد تخلف فى الحى كما ذكرنا ولم يركب مع أبيه كما شرحنا فبلغه الخبر من وقته وساعته بما جرى عن الربيع وأخوته وكيف أشهرهم بنو قراد والعبد بشارة بين الخيام وهم فى العذاب والآلام فعظمت مصيبته واشتدت نخوته فركب من وقته على ظهر الجواد وقصد أبيات بنى قراد وعنتر بن شداد وفى يده السيف مشهور مجرد وهو يهمهم همهمة الأسد إلى أن أشرف عليهم ورأى الربيع وهو فى ذلك الحال الشنيع ورأى إلى ما يفعل به بشارة بن منيع فأخذه الغيظ والحرد وزاد به النكد فلما أبصر الربيع بكى وأن واشتكى وصاح وقال واحرباه يا بنى الأعمام من جور أولاد الزنا والعبيد اللئام واويلاه على ضياع العز والأكرام صرنا نذل ونضرب ونهان وقد حل بنا الذل والهوان أيا ملك أين حرمة القرابة والنجباء أين نخوة الرجال والأقرباء قال الراوى ولم يزل الربيع بلجاجه حتى زاد بقيس البلاء واسودت فى عينه أقطار الفلا فاطبق فى عاجل الحال على العبد بشارة بن منيع وضربه بالسيف ففرقه فى كتفه ولولا طول الأجل كان أورده حتفه فتركه على الأرض ملقى وقد ظن أنه يكون للطير والوحوش رزقا وصاح فى أعمام عنتر فتنافروا من بين يديه حرمة لعلو نسبه وكرامه لأبيه لا خوفا منه ولا كرامه إليه فلما رأى أنهم بعدوا عنه نزل عن ظهر حجرته وتقدم إلى عند الربيع وحله وهو وأخوته وقال لهم أطلبوا أنتم خيامنا والاطلال حتى اشفى فؤادى من هؤلاء الانذال وأعود إليكم فى عاجل الحال ثم ركض الجواد فى أثر بنى زياد وجعل يطردهم فى ذلك الفلا وقد تفرقوا من بين يديه فى ذلك الملا وإذا بالملك زهير قد أقبل بجيشه فعدلوا إليه حتى أنهم صاروا بين يديه فصاح الملك زهير فى ولده قيس وقال له ما هذه الفعال والجهل بعد ما كنت فيه من الحياء والعقل فلما سمع قيس كلام أبيه وقف ورجع عن الأمر الذى كان فيه وقال يا أبتاه وأى عقل يبقى للإنسان إذا نظر سادات قومه بين يديه تذل وتهان وتحكم فيهم العبيد والسودان ثم أنه تقدم حتى وقف بين يديه وقص عليه قصة الربيع وما فعل فيه وفى أخيه بشارة بن منيع قال بعد ذلك وحق من خلق العباد ورفع السبع الشداد لا عدت أقيم فى هذه البلاد حتى تتركنى أشفى قلبى من بنى قراد وأقتل ولد الزنا عنتر بن شداد (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير من ولده هذا الكلام دهش وحار وقد لحقه الانبهار وعرف أن السيف يقع فى العشيرة كلها وتتفرق جميع شملها إذا لم يفرق بين بنى زياد وبين بنى قراد وإلا فنيت زرار يهم والا ولاد فعند ذلك النفت إلى عنتر وكلمه بين ذلك المحضر وقال له يا أبا الفوارس ارحل بقومك من هذه الديار ولا تتركنا أحدوثة بين الناس بطول الليل والنهار لأن هؤلاء القوم عنك ما يقعدون وأنت تصبر على الضيم ولو سقيت

كاس المنون وهذا اللجاج ما يؤدى إلى خير ولا يهون فابعدوا عنا وافعلوا كيف ما تشتهون.
(قال الراوى) فلما سمع عنتر من الملك زهير ذلك الكلام قال له السمع والطاعة ها أنا أرحل يا ملك بقومى من هذه الساعة وإن قدرت خلصت أنا جميع مالى أو أموت دون بلوغ آمالى. ثم إنه تنهد من فؤاد موجوع وقلب مصدوع وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

أخذتكمو حصناً حصيناً لتمنعوا سهام العـــدا عنى فكنتم نصالها
وقد كنتم أرجوكم لنا خير موقف على عين خذلان اليمين شمالها
فإن ومتمو أن تحفظوا مودتى وإلا فكونوا لا عليها ولا لهـا
قفوا موقف العذال عنى بمعزل وخلى العدا ترمى على نبالهـــا
فـــكم من عداة قد حفظت زمامها وكم من رجال قد أردت اعتزالها
ولا أختشى ذلا وبعداً ووحدة إذا الحرب شبت خيلها ورجالها
هى النفس إما أن تعيش عزيزة وعما قليل يعتريهـا زوالهـــا

(قال الراوى) فعند ذلك تقدم إليه قيس وقال له ويلك يا ولد الزنا وتربية الأمة الخنا فأنت لما وجدت عبلة فى بنى شيبان أتيت تطالب بما كان عليه من عبس وعدنان كنت أنت طالبت مالك من القوم الذين وجدتها عندهم وكان حقك فى الوقوف عند ذلك فقال له عنتر يا مولاى هذه أخلاقك فلا تحمى مزاجك ولا تطير على بصاقك فأنا كما قال أبوك إذا بعدت عنك وسكنت البرارى الخوالى وصرت متصرفاً فى جميع أحوالى فسوف يصل إليكم خبرى وفعالى وتسمعون كيف أخلص أموالى وأما قولك أنى ولد زنا وتربية خنا فهذا الكلام ما يقدر أن يقوله أحد غيرك من الأنام وإلا كنت أطير منه الهام بهذا الحسام وأذنيت منه الحمام ثم إنه أنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول :

سأرحل عن بلادك ألف عام مسيرة كل عام ألف ميـل
ولو أن العطايا منك مصر وداخل كل مصر ألف نيـل
تركت لك العطايا منك حتى قنعنا من ديارك بالرحيـل
سأنشد وصفاتك ببيت شعر نظير الدر فى عدم المثيـــل
إذا حل الصقيل بأرض قوم فما للساكنين ســـوى الرحيل

قال الراوى فلما فرغ عنتر من كلامه قال لأبيه وأعمامه أنصبوا خيامكم وشدوا رحالكم وارحلوا من أرض الملك زهير حتى يستريح قلبه منا ويبلغ جميع ما يتمنى ففعلوا ما أمرهم من المرام وانفصلوا من الجيش يطلبون الخيام. وعنتر ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

الردى ورمحى ناصرى وحسامى واظلم والهنـــدى عقد زمامى

ولى باس منسوب الذارعين أعضب ... يحاول عن أمثاله ويحامى
وإنى عزيز الجار فى كل موطن ... وأكرم نفسى أن يهان مقامى
هجرت البيوت المشرفات وشاقنى ... بريق المواضى تحت ظل قتام
وقد خيرونى كاس خمر فلم أرد ... سوى لوعة فى الحب أصل غرامى
سأرحل عنكم لا أريد سواكم ... وأقصدكم فى جنح كل ظلام
واطلب أعـــدائى بكل صميدع ... وكل هزبر فى اللقا وهمـــام
منعت القوى إن لم أقد نار قابس ... تشب على الأعدا بكل ضرام
وتطرق أيد فى الرؤس كلها ... ببارق هبـــات الضيا بظلام
أنا من يرون الموت حتما على الورى ... وكم من رؤس فارقت بصدامى
إذا شرعوها فى الطعان حسبتها ... كواكب تهديها بدور تمام
يهزوا رماحاً فى يديهم كأنهم ... سقوها من الهيجاء صرف مدام
وبرق سيوف كالسحاب عجلة ... وقطر رعود فى ســـواد ظلام
فإن ينكروا حلمى فبأسى بصاحبى ... وضرب سيوف الهند دون خيامى
فسيفى ورمحى ما يبين كلاهما ... إذا اشتملوا فى موقفى ومقامى
وإن ينكروا بأسى فإنى فتى العلا ... وأضرب أعدائى بحد حسامى
ومن كان نذلا أو جباناً تركته ... وللبلا الطاغى سللت حســامى
فياقوم عنـــوا بالصهيل فإنه ... سماعى وإهراق الدماء مدامى
وحطوا إلى الرمضاء رحلى فإنها ... مقيلى وخفقان البنود خيامى
ولا تذكروا لى طيب عيش فإنما ... بلوغ الأمانى تحت ظل قتامى
وفى العز تلقى عيش كل مؤمل ... على الحد لافى مشربى وطعـــامى
فما لى بأن أرضى بذل وصارمى ... يجارى على الاعناق غير كهامى
لى سابق كالبرق عند انتضائه ... فأقرب شىء منه قصد مرامى
هو الابجر المعروف فى كل موقف ... له غرة بيضـــا وحسن قوام
يجيب إشارات الضمير ببأسه ... ويغنيك عن صوت له ولجام
قحمت به بحر المنايا فخضته ... وعدت به والنقع تحت قتامى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات وقد قاربوا الابيات وإذا بالصياح فيها قد دار تفع والنهب فى أطراف البيوت قد وقع فحركوا الخيل ليكشفوا ما الخبر وقد التهب الغيظ فى قلب عنتر وصار يقول اظهروا والله العداوة لنا ولقومنا وقبيلتنا إلا فينا الذلنا ثم أنه قصد إلى ناحية الخيام وفعل أصحابه وأبطاله كذلك وكل منهم فى يده حسام وفعل

فرسان بنى قراد مثل تلك الفعلة وعولوا على أنهم يلقون السيوف فى الطلبة لأجل قيس وتخليصه لصهرة الربيع من الشداد وركضه فى طلب أعمام عنتر وأبيه شداد (قال الراوى) وكان السبب فى هذا الصياح بنى زياد أهل كل بدعة وفساد لأنهم كانوا لما أطلقهم قيس من الإعتقال والشداد فطلبوا أبيات بنى قراد وعنتر بن شداد فدخل عمارة إلى أبيات مالك ابن قراد وقد ظن أنه ينال من عبلة غفلة أو قبلة أو مراد فتبعه أخوه الربيع يريد عدة أوصافها يركبها ويطلب معونة قيس على هذه الفعلة التى قد طلبها فنظر إلى الصناديق التى أخذها منه عنتر ليلة كبسه فى ركاب بنى مالك وجميع التحف التى أتحف بها الملك النعمان فوجدها منشورة هنالك فعرف الجميع فنادى أيذهب حق ويضيع ثم قال والله هذا هو المال الذى أخذه منى عنتر وجرحنى وقد سلمت من هذا العبد السوء وإلا كان قتلنى قال الراوى وكان قيس لما سار يخلص بنى زياد تبعته جماعة من العبيد الاجلاد وكلهم بالسيوف الحداد والرماح المداد فقال لهم الربيع الكياد ياويلكم هذا مالى الذى أخذ منى فى زكايا بنى مالك وتلك الوهاد الذى أتيت به من عند النعمان فها أنا قد وجدته عند عنتر فى هذا المكان وقد أخذه منى وأنا عائد من بنى شيبان فاحملوه إلى بيت مولاكم الملك ولكم فيه القسم الأوفر وانهضوا يابنى الزوانى من قبل أن يأتيكم عنتر قال الراوى فلما دخلت العبيد تصايحت النسوان بالويل والثبور وعظائم الأمور فدخل عنتر يطلب الصياح وينظر ماذا تجدد من تلك الأمور القباح فعند ذلك رأى الملك زهير الأمور قد عظمت ونار الفتنة قد إشتعلت وكان أول ما سبل الليل رواقه وقد أسود الظلام باغساقه صاح فى أولاده وقال ما يطفىء هذه النار إلا أنتم فازيلوا ما بها من الايقاد وانهضوا وفرقوا بين عنتر وبين بنى زياد ودعوا القوم يرحلوا عنا بسلام وإلا بات السيف يعمل بينهم فى هذا الظلام فعند ذلك قال قيس أنا أرد بنى زياد فقال شاس ومالك ونحن نرد عنتر وبنى قراد ٭ هذا وقيس صار يركض بالجواد حتى وصل إلى أبيات بنى قراد وكذلك فعل شاش ومالك وذلك خوفاً على عنتر من شرب كاس المهالك وردوا عنتر بعدما كان عول على قتل الربيع وبنى زياد وأخوته الجميع فقال شاس والله ياأبا الفوارس إن فراقك عندى مثل فراق الأرواح من الأجساد ولكن ياابن العم وحق خالق العباد ما يقدر أحد أن يرد القضاء والقدر إلى يوم الميعاد وأن الأمر قد بلغ إلى المنتهى وما كنا نعلم أنه إلى هذا الحال يصير المنتهى فلا تضيق صدق صدرك لاتهتم على ما يصير من أمرك فإن ابنة عمك ترحل معك وأصحابك أينما سرت تتبعك وأنا أعلم وكل من فى الحلة من الرجال أن أبى يندم على هذه الفعال وإن هذا المال الذى راح منك فهو يعود إليك بعدما تدخل النساء والرجال عليك وتقبل يديك وأسافل قدميك فعندها لان جانب عنتر وعاد وهو مثل الأسد القسور وهو يقول أنا الذى

أخذت مال الربيع وجرحته وها هو عاد إليه بعدما كنت أخذته ومالى قد صار عنده . وهو أخبر كيف أخاصه منه ولو احتمى له النعمان ثم أمر العبيد أن يشدوا الهوادج على الجمال. ففعلوا ذلك وحملوا الأهل والعيال * هذا وقد نادى عروة بن الورد فى رجاله فشدوا رحاله فما مضى عليهم قدر ساعة من الليل حتى صارت النساء على ظهور الجمال والرجال على ظهور الخيل قال الراوى وكان قيس بن زهير قد رد الربيع وجميع أخوته بعدما أخذوا المال من بيت عنتر وعمومته * قال وسار بنو قراد وقد قدموا بين أيديهم الحريم والأولاد. فصارت أهلة الهوادج تلمع مثل الكواكب الطلع وعنتر سائر وعينه تتوقد كأنها البرق إذا لمع وقال يا بنى الأعمام أطلبوا بنا أرض العراق وتلك البقاع حتى أقول لكم عند الصباح ما أصنع فعندها تقدم شيبوب أمام الخيل وهو يتدفق على الأرض مثل السيل. وساروا إلى أن كان نصف الليل فانعزل عنتر وعروة بن الورد فى خمسين فارساً وهم الجميع بين يديه خوفاً من أمر يتم عليهم وعليه ثم قال عنتر لأبيه شداد ولعمه مالك تقدموا أنتم بين أيدينا بالحريم والأموال إلى ركايا بنى مالك حتى أنى أسير من ها هنا إلى أرض بنى فزارة وأسوق من هناك أموال الربيع وأخيه عمارة ومثل ما عملوا معنا نعمل معهم ونحل بهم الخسارة وألحقكم إلى هناك وكل من ردنى عن ذلك أحللت به المهالك فقال شيبوب. وحق رب الأرباب ومالك الرقاب أن هذا هو الصواب وبهذا أردت أن أشير عليك وحق مسير السحاب خشيت أن لا تطاوعنى على ذلك الحال لأجل ما فى قلبك من الأشغال. فقال عنتر والله يا ابن الأم ما يشفى غليل قلبى إلا الضرب بالحسام والطعن بالرمح المعتدل القوام وأن قلبى لمتعلق ببلاد الحجاز والعراق لا فيمن للحرب هناك على قدم وساق ولآخذن مالى ومالهم بالمهند الرقاق ثم أوصاهم بحفظ الحريم والأعراض خوفاً عليهم من أحد يأتى من العباد وما زال مقيماً بعدهم إلى أن أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وسار قاصداً أرض بنى فزارة بعدما أراح واستراح وما زال يرخى العنان للجواد حتى أشرف على المراعى وعرف عليها أموال بنى زياد هو وعروة ومن معهم من الرجال وساقوا ما كان هناك من المال والجمال وقد أوقعوا فى أقفية العبيد ضرباً صار مثل فتوق الأعدال فساقوهم بين أيديهم وهم لا يصدقون بالنجاة مما حل بهم من الوبال * هذا وقد قال عنتر لعروة بن الورد أنقذ هذه الأموال وهذه الخيل والجمال مع ثلاثين فارس نسوقها على عجل وأقف أنا وأنت فى عشرين فارساً نحميها ممن يلحقنا من غير مهل ففعل عروة ما أمره به عنتر وتقدمت الأموال والغنائم بعد هذا الخبر وسار هؤلاء الرجال على الأثر * هذا وقد وصل الصائح إلى بنى زياد بأخذ الأموال فركبت منهم الأبطال وركبت معهم جماعة من بنى فزارة الأقيال ومعهم حمال بن بدر مقدم تلك الأبطال وأما أخوه حذيفة فإنه ما قدر .

أن يركب من الواقعة الأولى كما ذكرنا لأن عنترة أضرب رأس حجرته طيفورة بالعجلة فتأخر عن الركوب لأنه ماله قدرة عليه وأرسل أخاه فى هذه النوبة ليساعد الربيع فى رد أمواله إليه وتجارت خلفهم الفرسان فى ستمائة فارس ما منهم إلا كل ليث ممارس وهم فى الحديد غواطس ويقدمهم أخوه ربيع إلا أنه بعة والخيل خلفهم متتابعة كأنها العيون النابعة حتى لحقت بعنتر وعروة ومن بقى معهم من الأبطال وهم متأخرون لحماية ما أخذوا من الأموال قال هذا وقلب عنتر يغلى على الحرب والقتال فلما رآهم عنتر رجع إليهم ونزل هو ورجاله عليهم كنزول السيل السيال وما مضى من النهار إلا ساعة يسيرة حتى قتل منهم جماعة كثيرة وقد قاتل عروة فى ذلك اليوم قتال الرجال الأجواد وهلك من بنى فزارة عدة من الرجال المعروفين بالجلاد هذا وقد صار عنتر الأسد الغشمشم يضرب المفارق والقمم ويقول ياويلكم يا أنذال الامم نحن قد أخذنا أموالا عوض مالنا فلأى شىء جئتم وراءنا أبشروا يا أخس العرب بتعجيل آجالكم وخيبة آمالكم (قال الراوى) وكان بدر رجلا عاقلا عارفا بمصائب الدهر وما يأتى من النوازل فقال لرجاله وأبطاله لما عاين وأبصر عنتر وفعاله اعلموا يا بنى الأعمام أن عنتر هذا بطل همام وما يتعرض له إلا كل من أراد أن يشرب كاس الحمام وبينه وبين بنى زياد عداوة لا تنفصل وأى من دخل بينهم عطب أو قتل وأنا والله لو كنت علمت أن عنتر أهذا بطل همام وما يتعرض له إلا كل من اراد قتل والله لو كنت علمت أن عنتراً هو الذى أخذ الأموال ما كنت تعرضت له بحال من الأحوال لأنه ما يفزع من الموت ولا يخشى من الفوت ولو مالت عليه الجبال فى وصول الرجال أفناهم ولم يخطروا له على بال والصواب عندى أننا نعود ولا نتعرض له بقتال وإلا هلك أكثرنا وحل بنا الويل فقال أكثرهم هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب فعند ذلك لوى جام عنان جواده وأعاد قومه وأجناده وتركوا قدام عنتر بنى زياد وولوا اخوفا من القتل والعناد هذا وعنتر قد تمكن كما أراد وساق كما اشتهى فرسان بنى زياد وعاد وقتل أكثر من ثلاثين فارساً وقد لحقهم على تلك المهادة لما رأوا ما حل بهم من ذلك الحال رجعوا عن الحرب والقتال وولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وألووا أعنتهم إلى ناحية الديار وعاد عنتر وعروة حتى لحقوا الأموال وضموا المال على المال وفرحت بسلامتهم الأبطال والعيال ثم لم يزالوا سائرين كذلك إلى أن وصلوا إلى ركاب بنى مالك لأن الظعن كان سبقهم ونزل هنالك هذا وعنتر قد أعجب بنفسه واستحسن ما فعله بين أبناء جنسه فعندها جاش الشعر فى خاطره فباح بما استكن فى ضمائره فأنشد يقول صلوا على طه الرسول :.

﴿ تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع ﴾

الجزء التاسع

من سيرة عنتر بن شداد

لا تقتض الدين إلا بالقنا الذبل ... ولا تحكم سوى الهند فى القلل
ولا تعاشر القوم ذل جارهمو ... وخلهم فى جوار الذل وارتحل
ولا تفر إذا ما خضت معركة ... فما يزيد فرار قط فى الأجل
ياعبلة أنت سواد العين فاحتكمى ... فى القلب مع مهجتى يا غاية الأمل
وإن ترحل عبس عنك لا تقمى ... بدار ذل ولا تصغى إلى الذل
لأن أرضهموا من بعد رحلتنا ... تبقى بلا ناصر يدعى ولا رجل
سلى فزارة عن فعلى وقد نفرت ... فى جحفل حفل كالعارض الهطل
تهز سمر القنا حقدا على إذا ... رأت بريق حسامى زائد الشعل
يخبرك بدر بن عمرو أننى رجل ... ألقى الفوارس لا أخشى من الأجل
قتلت فرسانهم حتى غدوا هربا ... والطعن فى أثرهم بالسيف والأسل
وعاد بى أبجرى يمشى فتزلقه ... جماجم أصبحت كالحنظل الخطل
وقد اسرت سراة الكل منقدرا ... وعدت من طربى كالشارب الثمل
يادهر إن رمت قلبى بالفراق فما ... أبكى لفرقة أحباب ولا طلل
بل من فراق التى فى طرفها حور ... أهاج بى فرط وجد منه مع علل
امسى على وجل خوف البعاد كما ... تمسى الأعادى من خوفى على وجل

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من إنشاده وكلامه ولحق بعد ذلك بقومه وأعمامه تلقته فرسان بنى قراد وفرحوا بما فعل ببنى زياد وبما قد أتى من تلك الاموال التى ملأت تلك الوهاد وهنوه بالسلامة بما كان فيه من ذلك الحرب والجلاد ثم إنهم نزلوا فى ذلك المقام وتلك الأطلال ويشاوروا فى أى مكان ينزلون فيه من تلك الجبال حتى يتحصنوا فيه بما معهم ومن المال والعيال والاماء والعبيد والنوق والجمال فقال عنتر لعروه ولأعمامه ولمن معه من الرفاق لابد لنا من المسير إلى أرض العراق والنزول على بعض الغدران القريبة من تلك الآفاق ولما نستقر ونستريح انتصب لقلع آثار بنى شيبان ولا أدع منهم شيوخا ولا شبان فقال شداد ياولدى أو ما تفزع من الملك النعمان فقال عنتر لا وحق مكون الأكوان وملون الألوان وخالق الانس والجان لا أخاف منه ولا من كسرى أنوشروان صاحب التاج والإيوان ولا من قيصر ملك عبدة الصلبان فقال شيبوب يا ابن الأم إن

أردت أن تفعل هذه الفعال وتشاقق الملوك الثقال فسر بنا من هاهنا حتى أنزل بك فى جبال الردم ووادى الرمال لأنه إذا كان فى بابها عشرة رجال حموا أنفسهم ممن يأتى إليهم يطلب حربا أو قتال وبعدما نتحصن فيه نعادمن تشاء من العساكر والأبطال إذا كنت تأمن على الحريم والعيال وعلى من معك من الأموال فقال شداد ياولدى وحق رب الأرباب إن هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب لأنى سمعت صفة هذا المكان أنه يحمى الخلائق ويكون ساكنه فى أمان من كل طوارق الحدثان ثم أنهم اتفقوا على نزولهم فى ذلك المكان وعند ذلك استراحوا حتى مضى من الليل النصف الاول وبعد ذلك أقاموا وكل منهم على الرحيل قد عول ورحلوا وساروا طالبين الوادى الذى قد ذكرناوا الجبال التى وصفنا (قال) وهذه الجبال كانت مما يلى العراق فى أطراف بلاد الحجاز وتلك الآفاق وهى عالية سامية يظن الناظر أنها بالسحاب متلاقية ورؤسها قد ارتقت بالعلو إلى آخر الدنيا حتى كادت الشمس أن تحرقها بالنور والضياء وفى جنباتها كهوف ومغاير وأشجار وغابات كثيرة الألوان وشىء كثير من شجر أم غيلان وهى أرض ملآنة بالحيات والأفاعى وساكنوها الوحوش والسباع ولذلك المكان غير طريق واحد وإن رأته السفار وجاز به يروه متباعد وله غطفيات ولفتات تأخذ الإنسان من رؤيتهم الحيرة والانبهات وهو مثل الحصن الحصين المصان إذا حل فيه الخائف أمن على نفسه وعلى ماله وعياله من نوائب الزمان ويستريح قلبه من شياطين العربان وإذا وقع فى فمه عشرة من الفرسان أحرموا أهل الارض أن يصل إليه ولو كانوا عسكر شجعان ولا عليه من جنباته طريق ولا يملك أحد أن يصل إليه بتسليق إلا من ذلك الشعب المضيق وبينه وبين أرض بنى شيبان سبعة أيام على التحقيق (قال الراوى) فلما سمع عنتر وصف ذلك المكان من ذلك الحصار سار مع رجاله يجدون المسير إلى تلك القفار وقد هجروا المنازل والأهل والديار وثبتوا لمعاداة القوم الاشرار وتقدم عنتر أمام القوم وقد زاد على قومه العتب واللوم فجاش الشعر فى خاطره فباح بما أستكن فى ضمائره وتذكر كلام الملك زهير وذلك الشأن وقول له أرحل من الديار والاوطان فأنشد هذه الأبيات الحسان :

إصانة نفسى بذوها الرأى والود   فأكثر هذا الناس ليس لهم عهد
أريد من الأيام ما لم يضرها   فهل يرفعن عنى نوائبها الجهد
وما هذه الدنيا لنا بمطيعة   وليس الخلق من موتها بد
تكون الموالى والعبيد لعاجز   ويخدم فيها نفسه البطل الفرد
وكل من قريب لى بعيد مودة   وكل صديق بين أضلعه حقد
فلله قلب لا يقل غليله   وذو الصدق لا ينجيه عن خله وعد

يكلفنى أن أطلب العز باطنا ... وإنى للعلا إذا لم يساعدنى الجد
ويسعدنى فى الحرب رمحى وصارمى ... وسابقة زحف وذو منعة لهد
فيالك من قلب معنى من الضنى ... ويالك من دمع على الخد يمتد
وأن تظهر الأيام كل عظيمة ... فما بين أضلاعى وقلبى لهود
وليس الفتى من علق عن حمل سيفه ... أسارى وخلاه عن الطلب المجد
إذا كان لا يمضى حسامى بنفسه ... فليس إليه الطرف أن بان يمتد
وحولى من دون الأنام عصابة ... توددها يخفى وأضغانها تبدد
وليس لعبس غير صحبة فتية ... ظواعن لا يعانيها الحسن والسد
إذا طلبوا يوما العز شمروا ... وإن ندبوا يوما إلى غارة جدوا
وكم لى فى الآكام والبر سفرة ... يصاحبنى فيها المهند والغمد
إذا طلب الأعداء أثرى بنكبة ... نجوت وقد غطى على أثرى الجهد
ولو شاء رمحى سد كل كتيبة ... ويطلعنى للغارة الضمر الجرد
ألا ليت شعرى هل أنال من المنى ... وتلقانى الاعدا بعقرمة تبدو
جواد إذا سد المحافر وجهه ... يروح إلى طعن القبائل أو أبيد
خفيت على أثر الفريدة فى العلا ... إذا هاجت الرمضاء واحتطر الطرد
تصحبنى من آل عبس عصابة ... لهم شرف بين القبائل ممتد
لهم قوة الآساد فى كل موطن ... كان دم الأعداء فى فمهم شهد

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام تعجب الفرسان من قدح فكرته وشرف همته وقال عروة بن الورد لا ورد الله من قلاك ولا كان من يشناك فما تركت لشاعر مقال ولا خليت لفارس فعال ولا يصعب هذا الأمر عليك فها نحن بين يديك ولا نبخل بأنفسنا عليك وأنهم لم يزالوا سائرين يقطعون ذلك البر وقفره حتى أنهم وصلوا إلى المنزل المقدم ذكره وأنزلوا الحريم من على ظهور الجمال وتركوها فى ذلك البر والتلال ودخل عنتر إلى الشعب هو وأعمامه وعروة ورجاله الأبطال فرأوا الوحوش تسعى فى جانبه وأسده تتلاعب مع ثعالبه فقال عنتر لما رأى تلك الآثار أن هذا المكان لا يسكن إلا إذا كنا نطلق فى جانبه النار فقال أعمامه هذا والله هو الصواب والرأى الذى لا يعاب ثم إنهم أمروا العبيد بإطلاق النار فى تلك الاحطاب فهيج الوحوش جميعه لما حس بذلك الالتهاب ودامت النار تعمل فى الوادى خمسة أيام وتضرب حتى بقى الوادى كانه أودية جهنم وقد احترق جميع ما كان فيه من الوحوش الذى كان فيه مكان شيئا كثيراً لا يحصيه إلا الله خالق كل شىء ومنشيه وفى اليوم السادس خمدت تلك النيران بعد الاشتعال ودخل بنو قراد إلى الوادى

وقد انصرفت تلك الأحوال واستراحت قلوبهم عن مقاساة الأعداء والأضداد وأمر عنتر من معه من تلك العبيد الأجواد أن يضربوا السرادقات والخيام ويمدوا الأطناب والأوتاد وأن يدخلوا بالحريم والعيال والأولاد. هذا وقد امتثلت العبيد ما أمرهم به من ذلك المقال ومهدوا الأرض من اليمين والشمال وما جاء آخر النهار حتى امتدت الأطناب ورفعوا القباب وقد أدخلوا الحريم والعيال وضجت لأصواتهم تلك الجبال واستأنست تلك الديار بالسكان والنزال (قال الراوى) وبعد أيام قال عنتر لأبيه شداد يا أبي إني أريد أن أسير إلى بني شيبان الأوغاد وأجازيهم على ما فعلوا مع إبنة عمى هم والربيع بن زياد وأسبي حريمهم والأولاد فقال أبوه يا ولدي نحن في قلة من الرجال وقد صرنا إلى أرض غريبة الديار والاطلال فإن تباعدنا عن الحريم فما نأمن عليهم من طوارق الأيام والليال فقال عنتر هذا شىء ما أخاف منه والكثرة ما تردني عنه لأن أعدانا الذين بين أيدينا أنا طالبهم وأمامهم فليطالبونا فقال له أبوه وأنت يا ولدى فى كم من الفرسان تريد أن تسير فقال له فى مائة من الفرسان المشاهير فقال له يا ولدى ما هذا صواب لأن بنى شيبان خلق كثير وعندهم من خلفهم جمع غزير والصواب أنك تسير من هنا فى مائة وخمسين فارسا من أعز من هنا من الرجال ونترك الباقى هنا لحفظ الأموال والعيال وإذا فعلت ذلك تكون على خطر من هذه الأعمال (يا سادة يا كرام) ففعل عنتر مثل ما أمره به أبوه وقد سار بين الرجال وهو يذكر ما قاساه من أهل قبيلته وناسه وأقرباه وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

مدت إلى النائبات باعها وحاربتنى فرأت ماراعها
ياحادثات الدهر فرى واهجعى فهمتى قد كشفت قناعها
ولا تعادى رجلا قد جربت فعاله الأبطال فى قراعها
ماداس فى دار العدا جواده إلا وأروى بالدماء بقاعها
ويل لشيبان إذا صبحتها ومدت الحرب إليهم باعها
وارتفع النقع والعوان فى الفلا وأظهرت بيض الظبا شعاعها
وخاض رمحى فى حشاها معلنا وشك فى حديده أضلاعها
وأصبحت نساؤها نوادبا على رجال تشتكى نزاعها
ياعبلة عندى من هواك لوعة أحس فى طى الحشا أوجاعها
ياعبلة كم تزعق غربان النيا ومل قلبى فى الدجا سماعها
فارقت أطلالا وفيها عصبة قد قطعت من محبتى أطماعها
وعن قليل ينظروا إذا دهت خيل المنايا قلعت أقراعها

قال الراوى فلما فرغ الامير عنتر من تلك الابيات مال الامير عروة منا طربا واهتز من

سماعها عجباً وقد شكره جميعهم على فصاحته وشجاعته وساروا طالبين ديار بني شيبان وقد
قل الموت في أعينهم وهان هذا وعنتر سائر وفي قلبه نار الحريق وقد تحمل من الغيظ
ما لا يطيق وهو لا يفكر في الفرسان ولا في ازدحام الشجعان فهذا ما كان لهم من الأحوال
وأما ما كان من مفرج بن هلال الذي هم سائرون إلى دياره والأطلال فإنه لما عاد من عند الملك
كسرى أنوشروان وهو فرحان جذلان ومعه أموال ورجال وخلع حسان وشيء كثير
لا أ كل النيران وعند عودته دخل على الملك النعمان وقام في ضيافته ثلاثة أيام وأعلمه بما
جرى له في بلاد خراسان وكيف كان قتالهم مع من هناك من الفرسان وبعد ذلك سار من
عنده وهو طالب دياره والأوطان وكان قد اشترى معه ثلاثمائة حمل مدام من الخمر والعقار
وهو خمر العراق الذي صفا وراق وصار أصفى من دموع العشاق وأنه لما وصل إلى أرضه
والأوطان وعلم به ابن عمه مالك ابن حسان فرح بقدومه الفرح التام وخرج إلى ملتقاه هو
ومن عنده من الفرسان وهم المائة فارس الذين كان تركهم مفرج لما سار إلى كسرى أنوشروان
وساروا إلى أن التقوا به من أبعد مكان وهنوه بالسلامة هو ومن معه من الفرسان وبعد
ذلك الأمر والشأن التفت مفرج إلى ابن عمه مالك ابن حسان وقال له أين عبدي بشارة ورفقته
وما له لم يطلع إلى لقائي مثل عادته فقال مالك يا ابن العم أعلم أن بشارة رجع إلى خساسة أصله
وعمل عملاً ما سبقه إليه أحد من قبله فقال مفرج ما الذي فعل يا ابن العم من الفعال أخبرني
بصدق الأقوال فقال له مالك أعلم أنه ما أقام بعد مسيرك إلا عشرين يوماً وأظهر لي
أنه وصل إليه من عندك كتاب وأنك قد أرسلت له نجاب وأنك تقول له خذ ما تحت يدك من
الأموال والذخائر العوال وأمض بها إلى جبال الردم ووادي الرمال وتحصن بها هناك
أنت ومن معك من العبيد الأقيال فإني قد تحملت من خدمة كسرى ما لا أطيق ولا بد أنه
أهرب من بين يديه إن وجدت إلى الهرب طريق ثم أخذ جميع ما في خزائنك من الأموال
والذخائر الغوال ومضى بها إلى جبال الردم ووادي الرمال بعدما حملها على ظهور الجمال ثم
سار وما سمعنا بعد ذلك له من أخبار ولا وقعنا له على آثار إلى أن كان في هذه الأيام قدم علينا
من عند الربيع بن زياد قاصد من القصد وأخبرنا أنه مقيم في بني عبس عند عنتر بن شداد وقد رده
ابنة عمه عبلة وسلم جميع الأموال إليه وصار يتردد إليه مساء وصباحاً في الغدو والآصال
وقد اجتمع برابعة محبوبته وقد استراح واطمأنت مهجته وأنني يا ابن العم كنت
وعولا في هذه الأيام على المسير إلى الملك النعمان وأخبره بما جرى وكان فوصلت أنت
إلينا في هذه الأيام فافعل ما تريد يا ابن الكرام قال الراوي فلما سمع مفرج من مالك
ذلك الأمر صارت عيناه مثل لظى الجمر وقد سكر من غير شرب خمر ودق بيد على يد
من شدة الغيظ والحرد وقال له ويلك يا مالك نحن قد قتلنا عبلة من زمان فكيف

ظهرت فى بنى عبس وعدنان فقال مالك مارأى كيف كان هذا الأمر والشأن وأنا متفكر من وقت ما وصل إلى هذا الكلام فقال ابن عبد العزيز سنان وكان فارس بنى شيبان وحاميها من طوارق الحدثان أنا أقول بعين الفراسة يا أمير مفرج أن عبدك ما قتل عبلة إلا من ته بقتلها وذلك الشأن وأنه كذب عليك بالمحال والبهتان ودبر برأيه حتى خلا المكان وأخذ أموالك وسار بها إلى عبد بنى عبس وعدنان لأنه ابن زنا مثله وأراد أن يعيش تحت حمايته وظله لأنه قد وجد محبوبته عنده فقال له مفرج وقد قاسى الأمور على معاياناتها وقال كان يفعل ذلك إذا مت أنا ودرجت فى الأكفان وإلا فما دمت أنا راكبا على ظهر الحصان وما لكامسيفى والسنان وحولى خمسة آلاف من بنى شيبان وخلق مثل الملك النعمان وكسرى أنوشروان فما ينهب لى مال ولا يعتدى على جبار ولا ينتهك لى عيال فقال له سنان ومالك ابن حسان الرأى عندنا أنك تنفذ إلى خلفائك الذين تعتمد عليهم فى شدتك ورخائك وسر بنا إلى بنى عبس حتى نقلع آثارهم ونخرب ديارهم ونخلى منهم أطلالهم ونقتل عبيدهم ونسترد مالك من عندهم فقال له مفرج ماهذا الصواب إلا بعد أن أسير إلى الملك النعمان وأعلمه بما جرى وكان وأستأذنه فى المسير إلى بنى عبس وعدنان لأنه يريد أن يصاهر الملك زهيراً فى هذه الأيام ويتزوج ابنته المتجردة لأجل ما فيها من الحسن والجمال الفتان وهو راغب فيها وطالب قربها ووصالها وإن نحن سرنا بغير إذنه إليهم ووقع بيننا القتال يعتب علينا ويغضب من أجل هذه الفعال والرأى عندى أننا نسير إليه ونعلمه بحال النافر بما أنه يرسل إلى زهير ويخلص لنا أموالنا ويأمرنا بالمسير إلى غريمنا ونرحل عن قعدتنا من عنده ونقتل زهيرا وعبده وجميع فرسانه وجنده ونهلك الرفيع منهم والوضيع ولا ندع أموالنا عندهؤلاء الأقوام تضيع ولا بدلى من قتل عبدى بشارة بن منيع فقال له سنان أفعل ما بدلك وسر بنا ما شئت حتى تبلغ آمالك وبعد ذلك انصرف كل منهم إلى منازله وأطلاله وجدد العهدين بين أهله وعياله (قال الراوى) ومن شدة ما جرى على مفرج ما أقام فى الحلة أكثر من يوو ين وفى اليوم الثالث سار إلى الملك النعمان وفى قلبه من عبده بشارة من لهيب النيران وقد سارت من خلفه جميع بنى شيبان وما زالوا يقطعون الأرض والكثبان إلى أن وصلوا إلى الحيرة واستأذنوه بالدخول على الملك النعمان فأذن لهم بذلك الأمر والشأن فدخل مفرج وقلبه فزعان وهو فى حالة الذل والهوان إلى أن بقى بين يديه فنظر الملك النعمان ودموعه تجرى من آماق عينيه غدران فقبل الأرض قدامه وهو مثل المجنون الذى ضاعت أفهامه فقال له الملك النعمان ما بالك ما الذى اعتراك ونالك فتقدم إلى بين يديه وأعلمه بما جرى من عبده بشارة بن منيع وما وقع منه فى حقه من الأمر الشنيع وكيف أخذ أمواله وما تملكه كلتا يديه وسار به إلى عنتر بن شداد بعد أن رد عبلة (قال) فلما سمع الملك النعمان من مفرج هذا الكلام صار الضياء فى وجهه

كالظلام وقال المفرج اما أخبرتنى أنت والربيع بأنكم قتلتموها وأوردتموها المهالك وقد أقررتم على أنفسكم فى حضرتى وأعلمتونى بذلك الايراد أنت والربيع بن زياد فقال مفرج يا مولاى هكذا كان ولكن ما فينا من رأى عبلة عند قتلها ودفنها فى الرمل والكثبان وإنما أمرت أنا عبدى بشارة أن يخرج بها إلى البر والتلال ويقتلها ويسقيها كاس الوبال فأخذها من عندنا وخرج بها وقد فعل ما أرادوا اشتهى وقد أتى إلينا وهو مغرق بالدماء وكان ذلك منه محال وقد لطخ به أثوابه لأجل صدق المقال وما علمت بذلك كيف كان الحال وهذا ما جرى والسلام وقد اخبرتك أيها الملك الهمام (قال) فلما سمع الملك النعمان من مفرج هذا الكلام قال له لا تضيق صدرك من هذه الأحوال ولا يصعب عليك ذلك الحال وأعلم أن مالك كله يعود إليك والرجل الذى أخذه ينساق بين يديك لانى فى هذه الأيام أردت أن انفذ إلى الملك زهير ملكهم واخطب منه ابنته المتجردة وكنت منتظراً ما يأتى به الربيع من الأمور والفائدة وإلا فقد تأكدت القصة بهذا الأمر الذى قد اعتراك ولا بقيت أتهاون عن انفاذى إليهم فى طلب الجميع الرفيع منهم والوضيع ثم أنه كتب من وقته وساعته كتاباً إلى الملك زهير وهو يحذره وينذره ويقول له فى أوله اعلم يا زهير أن التقدم على العشائر لا يكون لا يحسن التدبير وأنا قد بلغنى عن عبدكم عنتر أنه قد خرج من رق العبودية واستكبر وانت قد سرت تجيز له الذمام ولا تناديه إلا مثل بنى الأعمام والصواب أنك تتبع سنة ملوك العرب وتخشى العواقب والنوادب وتحسن معنا الأدب وتأمر عبدك أن يرد أموال المفرج إليه حتى تقر به مقل عينيه وكذلك عبده بشارة ويحسن معنا جميله ورده وإلا جازيناه على قبيح فعله وسلكنا به مسالك عمله وبعد ذلك اطلب أنت منى مهر ابنتك مهما شئت من الأموال والخيل والنوق والجمال والجواهر الغوال واحذر أن ترد هذا الرسول القادم عليك بالجواب إلا بخطاب تبين فيه الرأى الصواب وإلا أصبحت على روحك نادماً وديارك خراب يزعق فيها البوم والغراب ثم أن الملك النعمان ختم الكتاب وسلمه إلى نجاب وقال له خذ الكتاب وسر به إلى ديار بنى عبس الانجاب ولا تعطه إلا فى يد الملك زهير وأتنى برد الجواب وبعد ذلك سر إلى الربيع بن زياد واستخبر منه عما جرى من الإيراد فأجاب النجاب بالسمع والطاعة وسار به يجد المسير من تلك الساعة وما زال السائرين يقطع القفار آناء الليل وأطراف النهار وأما الملك النعمان فإنه قد أقام ينتظر جواب الرسول وما يأتى به من الكلام وأعاق مفرجاً عنده فى تلك الأيام حتى يبصر ما يتم له من الأمر والشأن وأما النجاب فإنه ما زال السائر إلى أن وصل إلى ديار بنى عبس وعدنان وكان وصوله إليهم بعد رحيل عنتر من عندهم بيومين فدخل النجاب على الملك زهير وقبل يديه وسلم كتاب النعمان إليه فأخذه الملك زهير وقرأه وعرف رموزه ومعناه والتفت إلى نجاب فى عاجل الحال وقال له اسمع يا وجه العرب ما أقول من المقال أما ذكره

مولاك من عنتر فما هو عندي حتى أني آمر عليه وانهى ونحن سمعنا أنه سلك الآفاق ومراده أن يقيم في أرض العراق وأنه ما سار من عندنا حتى أنه التي الفتن بيننا وبين جيراننا وانها والله فتنة عظيمة ومحنة جسيمة وقد ضجت منها أهل الآفاق وحصل والله من أجلها تعب وشقاق والذي أعلمه أنه لو قام عندنا يوماً آخر أو يومين لكان أفنى القبيلتين بشجاعته وأهلك الفريقين ببراعته وأنا أعلم أنه بعد قليل من الزمان يكون مجاور الملك النعمان في دياره ومنازل بني شيبان فدعيه يأخذ خبره ويفعل به ما يريد من الأمر والشأن وأما أنا فلا تعرض له في أمر من الأمور ولو أحل الملك به العدم والثبور وأما قوله أزوجه ابنتي فأنا ما عندي بنت تصلح للزواج ولو كان عندي أيضاً كنت كما ذكر صاحبك ما غربتها عن أرضها ووطنها ولا أسلمها لمن يحتكم فيها ليلا ونهاراً من الأزواج وأنا اركب على ظهر الحصان وحولي أربعة آلاف من بني عبس وعدنان وأنت بعد ذلك يا أخا العرب فما تحتاج إلى كتاب وما عندي غير هذا الجواب جواب ثم أن الملك زهير أمر للنجاب بخلعة مطرزة الأكمام وأن يحمل إلى دار الضيافة ثلاثة أيام ويرجع إلى مولاه بسلام فأتى النجاب هذا الغلام وخرج من عنده حردان وسار طالبا أرض الحيرة إلى الملك النعمان ومن غيظه من الملك زهير ما سار إلى الربيع ابن زياد في أرض بني فزاره كما أمره مولاه ولا مر عليه قال الراوي وكان الربيع في تلك الأيام في أرض بني فزاره لأنه لما خاصه قيس من العبد بشارة وجرى ما جرى من هاتيك العبارة فدخل الربيع وأخوه عمارة إلى أبيات بني قراد لأجل عبلة ست العذراء ورأى صناديق الأموال التي أخذها عنتر منه في ركاب بني مالك وأمر العبيد بحملها إلى أبيات قيس كما تقدم هنالك وأتى إليه عنتر على جسن الصياح وجرى ما جرى من تلك الأمور القباح (قال الراوي) لهذه المقال وكان شيبوب قد أخذ ما في الصناديق من الأموال والأقمشة الغوال وملاها حجارة ورمال ومن زبل الغنم وبعر الجمال قبل أن يظهر هذا الأمر والحال قال الراوي ولما قبلت أولاد الملك زهير وهم شاس ومالك ووصلوا وفرقوا ما بين بني قراد وبني زياد أمر الربيع بحمل الصناديق في عاجل الحال فتقدمت العبيد وحملتها إلى خيام الملك قيس وجرى له ما جرى وأصبح عنتر راحلا بأصحابه من عندهم وكان الربيع مجروحاً من وخذ الأسنة والحسام فقعد يداوي روحه مدة أيام قال الراوي ولما أن خمت جراحه وبدأ صلاحه أمر بفتح الصناديق ففتحت في عاجل الحال فوجدها على هذا المثال فلطم على وجهه ورأسه حتى كادت تقع أضراسه وأخذه الاندهال وندم على هذه الفعال فبينما هو جالس في ثاني الأيام وإذ بعبيد من عبيده قد أقبل عليه وأعلمه بأمواله التي كانت في بني فزاره وأنها قد ساقها عنتر عن بكرة أبيها بعد أن شن على أخوته الغارة وجرح منهم اثنين وقتل من بني عمه ثلاثين (قال الراوي) فلما أن سمع الربيع هذا الكلام وثب قائماً على الأقدام وأخذ أخاه عمارة وسار طالبا ديار

بنى فزاره وسيقع له معنا كلام إذا وصلنا إليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه وأما كان من عجاب الملك النعمان فانه لما بلغه عنه أنه فى بنى فزاره ماعول عليه ولا سار إليه بل طلب أرض الحيرة وهو فى هموم وحيرة ودخل على الملك النعمان وأخبره بما جرى وكان فلما سمع منه هذا الكلام صار الضياء فى وجهه كالظلام وزادت به الغصص والآلام وقال وحق ذمة العرب الكرام وحرمة البيت الحرام لا بد أن اقتل رجاله وأذل أبطاله وأنهب أمواله وأسبى عياله وأما عبد شداد فلا بد أن يظهر خبره فى الأماكن من البلاد واندب له من عندنا فرسانا وأجناد وادعهم يقطعوا منه الآثار ويخربوا منازله والديار ثم أنه بعد ذلك دعا بأخيه الأسود فحضر بين يديه وكان اسمه يزيد ويلقب بالأسود لأنه كان سفاكا الدم عظيم الخلقة واسع الجثة فلما حضر بين يدى أخيه أعاد عليه ماكان من أمر الملك زهير وكيف رد رسوله النجاب بغير فائدة ولا جواب فلما أن سمع الملك الأسود هذا الحديث تبسم تبسم الغيظ والحرد وقال له أنت الذى تهين نفسك وتطمع العرب فى قدرك وإلا لو أنك بذلت السيوف فى أعداك الخافت من هيبتك أصدقاك لأن الملك يحتاج إلى هيبة وناموس وأن لم يفعل ذلك الفعل دائما فهو موكوس ومعكوس والصواب أنك تنفذ إلى زهير من يخرب دياره ويعجل بواره ويهلك أولاده وأعوانه أو يأتى بالكل إلى ما بين يديك تتحكم فيهم بما تريد قال الراوى فلما سمع الملك النعمان من أخيه الأسود هذا الكلام اشتد به الغيظ والحرد والآلام ثم أنه قال لأخيه الأسود كن أنت وكيلا عنى فى هذا الأمر الشديد وافعل ما تشتهى وتريد فقال الأسود أن هذا الأمر كذلك فأنا أسير واقطع الأرض والدكادك قال هذا والملك النعمان قد جهز الأسود بعد ثلاثة أيام وقد سيره فى عشرين ألف عنان فرسانا وشجعان من بنى لخم وجذام وشيبان الشجعان وكانوا رجالا أعيان وسار بهم الملك الأسود فى البر والوديان كأنه النمرود بن كنعان وهو طالب أرض بنى عبس وعدنان وبعد مسيره تخلف الملك النعمان فى مدينة الحيرة وتفرغ قلبه وأرسل العبيد إلى سائر الحلل لأجل أن يكشفوا أخبار عنتر ومن أين يظهر وفى أى أرض ينزل أو من أى طريق يعبر ويعود إليه بجلية الخبر فسارت العبيد تقطع البر الاقفر والمهمة الأغبر وأما النعمان فإنه صار كل يوم يركب ومن حوله جماعة من فرسان العرب وبجانبه مفرج بن هلال وهم يسيرون على ظهور خيولهم العواله إلى أن يشرفوا على المواشى والمال وهم يساوا بعضهم بالقيل والقال وما زالوا على مثل ذلك الحال مدة وقد أوسعوا فى البرارى والآكام إلى أن تنصف النهار وعولوا على العودة إلى الديار وإذا هم بغبار من بين أيديهم قد ثار وتكدرت منه البرارى والقفار وبعد ساعة انكشف وبان من تحته فرسان كأنهم العقبان على خيول كأنها الغزلان لكنها هاربة وإلى النجاة طالبة فوقف الملك النعمان وأرسل من يكشف له خبر هذه

الفرسان ويطلعه على هذا الأمر والشأن (قال) فلما أن وصلت الخيل إلى الملك النعمان ورأته عيان تبدل خوفهم بأمان وأمنت طوارق الحدثان فعند ذلك تبين لهم مفرج بن هلال وإذا هم من فرسانه الأقيال فقال لهم ياويلكم ما الذى دهاكم بشره فقالوا له والله ياابن العم ما دهينا إلا من عنتر بن شداد وقد أتى إلينا بعد مسيرك من عندنا من تلك البلاد وقد كبسنا بخيله تحت الظلام وكانت أهل الحى سكارى نيام فقاتل فينا بالحسام وقد فضحنا بين الأنام وترك نساءنا أرامل وأولادنا أيتام وأخذ ما أخذ وسار وطلب البرارى والقفار قال فلما أن سمع مفرج من قومه هذا الكلام لطم على وجهه ورأسه حتى تتعتعت جميع أضراسه وقال لهم ياويلكم وفى كم كان هذا الشيطان حتى فعل بكم هذا الأمر والشأن فقالوا ما رأيناه إلا فى نفر قليل ولكن فيهم كل فارس جليل وقد أبلونا بالذل والويل قال وما زالت الفرسان أتى إليه من البر والفدفد حتى انقطع منهم المدد مع آخر النهار وقد صح أن عنتر أسبى كل من فى الحلة من النساء والعيال وسار على طريق جبال الزدم وتلك الرمال فقال لهم الملك النعمان وحق بيوت النيران لأطلبنه ولو صعد إلى السماء والفرقدان ثم أنه طيب قلب مفرج بن هلال وفى قلبه نار الاشتعال من سماع هذا المقال وعادوا إلى الحيرة فى انذهال وقد باتوا فى هم وأتراح إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره الكريم ولاح فجمع الفوج المنهزمين والذين كانوا معه مقيمين فوجدهم خمسة آلاف إنسان فأخذ الأذن من الملك النعمان بالمسير إلى دياره والأوطان ليبصر ما جرى عليه من الذل والهوان فأذن له فى ذلك الأمر والشأن فسار يجد المسير فى البرارى والقفار وقلبه طائر على قومه من سماع هذه الاخبار ولم يزل سائرا حتى أشرف على الديار فرآها قفراء خراب والنساء يندبن على من قتل لهم من الرجال والاحباب فلما أن رأى مفرج إلى تلك الأحوال تزايد به البلبال وقد جرت على خديه دموعه وزادت لوعته وهلوعه وحسرته وولوعه وقد تأسف على هذه الفعال وأما رجاله فما منهم إلا من سار إلى أبياته وافتقد حريمه وعياله ثم عبيده وأمواله فرأى دياره قد نهبت وعياله قد سبيت فزاد به الحزن والجوى وسار على غير استوى وأما مفرج فإنه كان يجرى الشكلى وقد قيل فى بعض الأمثال أنه ما جرب النار إلا من بها اصطلى وصار نادما على ما ناله من خراب دياره ونهب أمواله وسبى حريمه وعياله ومن قدوده عن مجازاة غريمه زادت به المصاب لما أن سمع ندب النوادب قال الراوى ومن شدة ما جرى عليه من الهموم والآلام ما أقام فى الحلة غير ثلاثة أيام وركب بعدها وسار وأخذ معه جميع فرسانه الاخيار وسلك بهم البرارى والتلال بهذا العسكر الجرار وهو طالب جبال الردم وتلك الرمال هو ومن معه من الرجال فهذا ما كان من هؤلاء من الأحوال وأما ما كان من عنتر البطل الريبال فإنه لما سار إلى ديار مفرج كما تقدم فى المقال ومن خلفه مائة وخمسون

فارسا ريبال وما زال يقطع الأرض والرمال والتلال والكثبان حتى أشرف على حلة بنى شيبان وكان وصوله إليها عند الصباح فاكمن هناك فى بعض الأماكن الفساح ونزل إلى أنه استراح وانفذ أخاه شيبوبا يكشف له الخبر عن أهل الحلة وينظر إن كان مفرج هناك ام لا

(قال) فعند ذلك سار شيبوب وهو كالريح الهبوب أو الماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب وما غاب أكثر من ساعة وعاد وهو مسرع على الاثر وقال لأخيه عنتر يا ابن الأم أن سعدك قد غلب على رأى أعداك وما فى الحلة من يردك عن مسعاك لأنه ليس هناك أكثر من ألف فارس والكل راقدون فى حجور النساء النواعس فقال له عنتر وكيف ذلك أبدى لى ما ذكرته بحق ملك الممالك فقال شيبوب لأن مفرج بن هلال سيد بنى شيبان لما عاد من عند كسرى أنوشروان وهو فرحان وعليه خلع من العظام الجسام ومعه ثلاثمائة حمل شراب من الخمر الرائق الوهاج يشبه فى أنصبابه قطع الزجاج وسبائك الذهب عند الارهاج وكان قد عول أنه يشرب بها هو وبنو عمه وفرسان عشيرته وأبطال قومه وقرابائه فرأى ما أخذه بشارة من المال والجمال والنياق والحسان وحدثه بذلك ابن عمه مالك بن حسان لأن الربيع أرسل إليه وأخبره بأن عبلة قد عادت إليك وأن عبده بشارة وماله قد صار بين يديك فجرى عليه مالم يجر على بشر وعاد راجعا إلى النعمان على الأثر ليشاوره فى أمر المسير إلى بنى عبس وعدنان ويرميهم منه بطوارق الحدثان ونوائب الدهر والزمان ويأخذ منك ثاره ويخرب ديارك كما خربت دياره من شدة ماجرى عليه من تأسفه عليك ولأجل ماله وعبده اللذان وصلا إليك وقال لبنى عمه أشربوا أنتم هذا الشراب ثم أقلوا انتم من اللوم والعتاب ولا يسألنى أحد عن جواب فإنى ما بقيت أشرب خمرا ولا اقطع من الأحكام امرا حتى اقتل عبدى بشارة واطفىء بقتل عنتر الآخر ما بقلبى من الحرارة وأن القوم يا ابن الأم من حيث سار مفرج من عندهم ما فيهم من أفاق من السكر وصحا وما فيهم إلا من لم يزل مغتبقا ومصطبحا وهم غافلون عن نزول النوائب راقدون فى حجور النساء والبنات الكواعب وإنى قد رأيت من الرأى الصواب والأمر الذى ما فيه شىء يعاب أنكم ترحلون من هذا المكان وتخوضوا بنى شيبان وتدخلوا تحت استار الظلام وإذا انتم قاربتم الخيام تتفرقوا ثلاث فرق كل فرقة خمسون فارس وتكونوا أيقاظا ولا تكونوا نواعس وتدوسوا القوم تحت سنابك الخيل وتحلوا بهم الذل والويل وقد نلتم ما تريدون وبلغتم ما تؤملون وتشتهون فقال له عنتر يا ابن السوداء وحق ذمة العرب الكرام لقد اشرت وما قصرت فيما به دبرت من هذا المرام فقال شيبوبا والله يا ابن الام إنى ما تكلمت إلا على قدر ما نظرت من الاحكام فعند ذلك ركب عنتر وركبت من خلفه الرجال وقد عرفوا حقيقة الامر والحال وصاروا فى عرض البر وبين أيديهم شيبوب كأنه الاسد الزئبال لا تعياله ركب ولا يلم به تعب ولا

نصب ولم نزالوا يقطعون القفار حتى أقبل الظلام بسواد الاعتكار فلاحت لهم نيران بنى شيبان وقد نظروها من أبعد مكان وكان الليل قد غسق على الخافقين وانطبق فعند ذلك افترقوا ثلاث فرق وزعقوا من كل جانب ودخلوا بين الخيام والمضارب وبدلوا فى الرجال حدود القواضب وفى دون ساعة تكدرت الدنيا ونزلت على القوم المصائب وقد انعقد عليهم الغبار من كل جانب وعلا الصياح من المشارق والمغارب وثارت الرجال من المراقد وخفقت قلوب الأبكار النواهد وقامت البكارى وهم حيارى مما حل بهم من الشدائد وظنت الفرسان أنها تصبح أسارى وتحل بهم الأوابد وزاد سواد الليل اعتكاراً وذجا وتقطعت منهم حبل الأسباب والرجاء ولم يجد الإنسان له مهرباً ولا ملتجا وطلبت الفرسان من هول المعمعة فرجا وناحت الحمائم على الأجساد المطروحة بالشجا وأقام ملك الموت للأرواح حرجا وما زال السيف يعمل حتى ولى الليل متدرجا وأقبل الصباح بنوره مضيئاً متبلجا وأصبحت فرسان بنى عبس وجوههم مضيئة والنصر لهم متوجا وقد كسوا من الدماء ثوباً أحمر امدبجا وكانت ليلة عظيمة من بين الليالى نال فيها عنتر كل الفخار وأصبح متحكما فى أرض بنى شيبان وقد ملك الأموال والعيال والنسوان ووصل إلى بيوت الأمراء الكبار مثل مفرج بن هلال الفارس الكرار وابن عبد العزى سنان ومالك بن حسان وسبى نساء بنى شيبان وساق عنتر البنات والصبيان وأخذ الجمال والأموال وقد سبى لمفرج ثلاث نساء وأربع بنات من خيار العيال ومن نساء اخوته وبنى عمه أربعين امرأة من النساء الموصوفات بالجمال واكتسبت بنو قراد ورجال عروة من النوق والخيل والجمال ما سد أقطار البر والرمال وعادوا بعد ذلك بما معهم راجعين ليطلبوا اجبال الردم ووادى الرمال وتركوا ديار الأعداء فضائح وفى جنباتها شىء كثير من النوادب والنوائح وما زالوا سائرين وفى سيرهم مجدين حتى بقى بينهم وبين الجبلين ومن فيهما من القوم مسافة قريبة يوم وكانوا قد أصبحوا فى أرض موحشة الجوانب والدكادك قليلة الخاطر فيها والسالك فمد عنتر عينيه فرأى بين يديه غبرة عظيمة عالية وعجاجة مرتفعة نامية وهى على بعد منه فاستيقظت بعد ما كان ناعس وقال لعروة أترى ما أرى قال لا وحياتك يا أبا الفوارس فقال له مد نظرك إلى بين يديك وحقق فى عرض البر بعينيك قال فمد عروة نظره وقد حقق فى البر وإذا بالغبار والقتام قدار تفع وكلما قرب زاد له سداد عالى وطاع فقال عروة يا أبا الفوارس رأيت غباره قائما لديك وأقول أنها غنيمة ساقها الله تعالى إليك فقال عنتر على كل حال أرفقوا بالليل حتى أن الخيل تستريح وتعينكم على ما تريدون من المنى والنيل فعند ذلك ترجلت الفرسان عن صهواتها وقد افتقدت حزمها وأرخت أعنتها ولجمها وعادت بعد ذلك إلى صهواتها بعدما أخذت أهبتها وسلت صفاحها وقومت بين آذان خيولها أسنة

يوما حيا . هذا وقد وكل عنتر بالمال الذى معه أربعين فارس وتقدم الباقون مثل الليوث العوابس وهم مائة وعشرة فوارس ما فيهم إلا كل مدرع ولابس ومازالوا يتحدثون فى أمر ذلك الغبار حتى قرب وصار فى وسط القفار فسمعوا من تحته صيحات عاليات وضجات مرتفعات وأمور تدل على صياح نسوان وعيوان جاريات والكل ينادون يا آل عبس يا آل عدنان أما من رجل كريم يغار على البنات والصبيان أما من فارس جسيم يخلص النساء من ذلك الهوان قال الراوى فلما سمع عنتر تلك الأصوات والإشارات أخذته الحيرة والانبهات واسود النور فى عينيه من سائر الجهات وقال لعروة دهينا والله يا فارس البدو والحضر ووقع بالحريم ما كنا نخشى ونحذر فيا ليت شعرى من الذى من العرب أصابنا بهذه المصائب وتجرأ علينا ونحن أسود الغاب والغوالب ومن الذى فعل بحريمنا هذه الفعال ونحن غياب فى قضاء الأشغال قال الراوى وكان السبب فى ذلك الشر والعناد هو الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد وذلك أنهم لما أتوا الى بنى فزارة وفاتهم الربح ووقع بهم الخسارة حين أخرج عنتر من عندهم العبد بشارة وجرى ما جرى من تلك العبارة وبلغ الربيع وعمارة بنى الأنذال أن أبا الفوارس عنتر أغار على مالهم من الأموال وتبعته بنو فزارة بالرجال والأبطال فما قدروا أن يلحقوا منه ولا عقال وعادوا عنه بخيبة الآمال فعند ذلك دخل على حذيفة وصار بين يديه وهو مما جرى له يدق على صدره وقال له يا أبا حجار يا فارس الأقدار وقد غفلت فى هذه النوبة عنا وتخليت عن حاميتنا ونحن فى جوارك مقيمون وفى ديارك آمنون فقال له لم أكن عن الوقعة مقصور لما ضرب عنتر رأس حجرتى طيفور ولما كنت ساكت عن هذه الأمور ولو أن الدماء من الأفواه تفور وتخر من رقاب الرجال كالنهور وعلى أننى وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ما علمت أن عنتر هو الذى أغار علينا وبالأذى قد وصل إلينا وإلا ما كنت قعدت عن حربه وقراعه ولو بلغت روحى الترقى كنت لقيته وقصرت باعه وإنما قلت لنفسى بعد العرب الطاعة قد عبروا بأطراف بلادنا وطلالنا وحدثتهم أنفسهم بأخذ بعض أموالنا فركب أخيه وحمل بعض اخوانه وجماعة من الأبطال وقلت أنه يقضى الأشغال ويبلغنا الآمال ويرد الخيل والجمال وجميع النياق العوال فعادوا عما أملوه بالذل والخيبة وأضاعوا ما كان لهم من الحرمة والهيبة وأنا وحق اللات والعزى سكران من هذا الأمر أكثر من سكر شارب الخمر وإن لم ألحق عنتر وأذله وإلا حل المرض الشديد ومت كمدا كميد فقال الربيع والله يا ابن العم ما بقى يمكننا المقام بعدما فعل معنا هذا العبد ولد الزنا هذه الفعال وأحل بنا الآلام والنكال ثم أنهم تأهبوا من يومهم وليلتهم فى ألف

وسبعمائة فارس مافيهم الا كل بطل مداعس وليث ممارس والكل فى الحديد غواطس وساروا على أثر عنتر قاصدين الجبال بعد مانهاهم الشيخ بدر بن عمرو عن هذه الأعمال فما ارتدعوا وماقبلوا له مقالا فقال لهم حذيفة لاتسمعوا من أبى كلام لانه كبر وخرف وقل منه المقام وكيف نكون نحن ملوكا وأولاد ملوك ونرضى بالذل من عبد راعى جمال وهو فقير صعلوك (قال الراوى) ولما ساروا فى تلك البر وأوسعوا فى ذلك القفر قال حمل لأخيه حذيفة والربيع بن زياد أننا قد نشأنا فى هذا الأمر لمعاداة عنتر بن شداد بغير رضا أبينا بدر بن عمرو وطلبنا بهذه الفعال الكيادوقد عصينا مشايخ العشيرة وأصحاب الكلام ونخاف أن يتم علينا أمر مشكل فتشمت بنا بنو الأعمام ولا يبقى لاحدمنا فى الحى مقام والرأى عندى ما اقول لكم من الكلام وهو أننا نستظهر عليه ببعض فرسان الغريب وهو الأمير ظالم بن الحارث الفارس المنتخب وما بالاستظهار من باس ولا يذمه أحد من الناس * قال وكان حمل قال لأخيه هذا المقال لأجل ماوقع لعنتر فى قلبه من الهيبة وقت القتال لما وقع فى تلك النوبة من العناد والعطب وأيضا قد وافقه الربيع ابن زياد على ماطلب وظنوا أن هذا الفارس الذى ذكره حمل ينصرهم على عنتر وتبلغهم منه الأرب لأن هذا الفارس الذى هو ظالم بن الحارث كان فارس بنى مرة وذبيان وكان شديد القوة أعجوبة من عجائب الزمان وكان من قوته وشجاعته يفتخر على سائر العرب من بعد منها ومن قرب * قال وكان الذى يعينه على ذلك الهجوم وتلك الأخطار الهائلات سيف كان ورثه من جدوده يسمى ذا الحيات وكان فى ذلك الزمان معدوم الصفا لانه كان إذا أشهره فى يمينه فى البر الأقفر فلا يستطيع أحد أن ينظر إليه بالنظر (قال الراوى) وكان هذا السيف من قديم الزمان عمل للملك يقال له الاقرن بن هامان وكان ملك جبارا وبطلا مغوارا لا يصطلى له بنار ولا يعدى له على جار وكان من تجبره خصه الله فى رأسه بحيتين وكانا يأكلانه الليل والنهار حتى قاسى منهما الذل والهوان وقد أعيا دواؤهما الأطباء والحكماء وأهل العرفان فلما رأى أن نفسه العبر وقد زاد عليه الضرر نادى فى جميع مملكته أن كل من أزال عنه هذا المرض زوجه بابنته وأشركه فى نعمته وجعله وزير دولته (قال الراوى) فلما كان بعد مدة من الأيام أقبل إليه حكيم من حكماء ذلك الزمان وعمل له هذه القطعة السلاح وكانت من صاعقة ورسم عليها بماء الحكمة حيتين وجعلها معلقة على رأسه فى الإيوان فسكن ما به من الضربان ومكث هذا الملك مدة من الزمان وشرب شراب الحمام ثم تداولته الملوك والحكام وملكه التبع حسان الذى بنى القصر بالشام وهو أول من علق القصائد على البيت الحرام وكان يفتخر بهذا السيف على سائر ملوك الزمان لأنه كان أعجوبة فى ذلك الأوان وكان إذا ضرب به الحديد انصدع وإذا أوما به على الصخر

انقطع قال الراوى وكان ظالم له جد يقال الضحاك وكان من أهل الحساره والعراك وكان من بعض جلساء هذا الملك الفتاك وكان دائما يرسله فى سائر المهمات العظيمات ويستعين به على الملوك والسادات فلما عرف أنه شجاع وقرن مناع أتحفه بهذا السيف الذى نحن فى ذكره قال الروى لهذا المقال ومازال السيف فى خزائن الملوك الثقال إلى أن أملكه ظالم ابن الحارث الريبال واحتوى عليه من دون الرجال وكان عنده أعظم من روحه ومن شدة محبته فيه لاينام إلا وهو تحت رأسه وقد افتخر به على جميع أهله وناسه لأنه كان لا يفارقه ليلا ونهارا وكان دائما يذكره فى الاشعار ومن جملة ما قال فيه من الأوزان هذان البيتان الحسان :

ألاقى كل نائبة بنفسى ولا أخشى الحمام إذا أتانى
وكيف أخاف من جور الليالى وذو الحيات يقطع بالسنان

قال الراوى فلما ذكر حمل بن بدر هذا الرجل وجعله نصب عينيه وأشار عليهم بالقصد عاونه الربيع بن زياد على ماقاله فيه أبتدع فاحتاج حذيفة أن يكون لهم تبع وتأهبوا إلى المسير من تلك الليلة وأوسعوا فى الصحراء وساروا حتى وصلوا إلى حى بنى مره النجباء ونزلوا عليهم عند أقبال الظلام فاستقبلهم ظالم وأكرمهم غاية الاكرام وأكثر لهم من الطعام والمدام ، هذا ولما أن طاب لهم المقام تقدم إلى ظالم الربيع بن زياد وحدثه بحديث عنتر بن شداد وما فعل معهم من الهم والعناد ثم انه قص عليه جميع قصته والأمر الذى كان السبب فى تشتيته من حلته وأعلمه بجميع ماجرى منه عليه وسألوه المعونة بكل ماتصل يده إليه فعند ذلك تبسم عجبا واهتز من شدة مانزل عليه من الغيظ طربا وقال وحق البيت الحرام وزمزم والمقام وماتحلف به العرب الإيمان العظام لقد استحقت بنو عبس المذمة بين العرب لأنها جعلت لهذا العبد الراعى بين الفرسان قدر وشأن لأن كل ماجرى عليكم من المذمة الزميمة فهو من مقدمتكم زهير بن جذيمة لأنه هو الذى ألحقه بالنسب وجعل له بين سادات العرب علقة ونسب وأنا وحق البيت الحرام وزمزم ومنى ما أنا حامل هم مسيرى معكم ولا ينالنى من ذلك مشقة ولا عناولو أن خصمكم الملك النعمان أو كسرى أنوشروان صاحب التاج والإيوان أو قصير ملك عبدة الصلبان وما أنا متأسف الاعلى سيفى ذى الحيات كيف يتلطخ بدم العبيد وقد تعود منى بشرب دماء السادات والأبطال الصناديد أصحاب الغارات قال ثم أنه ضافهم عنده ثلاثة أيام وهو يقدم لهم الطعام والمدام وفى رابع الأيام تجهز وسار معهم فى خمسمائة فارس صناديد من فرسان بنى مرة الأقوياء الأماجيد وهم راكبون على ظهور الخيل الجياد وكان قد هذبهم فى الوقايع فى الحرب والجلاد وقد تعودوا بخوض المعامع وشرب دما الآساد

وحضر بهم كثيراً من الغارات الكبار وكم كسر بهم من جحفل جرار وقاتل بهم كل فارس كرار وكل ضيغم مغوار (ياسادة ياكرام) صلوا على البدر التمام وبعد ذلك جدوا في المسير وسرعة السكد والتشمير على آثار عنتر بن شداد ومن معه من فرسان بني قراد الأجواد وقد صاروا يأخذون أخباره ويقتفون في المسير آثاره وكل من لقوه سألوه عن عنتر بن شداد وما صار له من الحال حتى سمعوا أنه نزل في جبال الردم ووادي الرمال واحتمى بها هو ومن معه من الأبطال وقد حصن من داخلها الحريم والعيال فقال ظالم لعن الله طلعته والسبال هو ومن معه من الرجال أيظن أن تلك الجبال تحميه مني أو أن ذلك الوادي يمنعه عني فوحق ذمة العرب السادات لأسقينه كاس العطب والآفات ولأروين من دمه سيفي ذا الحيات (قال) ثم أنهم قصدوا ذلك المكان وهم على علم ويقين وبرهان وبين أيديهم دليل عارف أمين يقال له سعد بن شروين وكان هذا الرجل قدر بي بأرض الحجاز وأما أبوه فكان من فرسان العجم الأهواز وهذا وعمارة لا تسعه الدنيا من شدة فرحه وقد زاد به شغبه ومرحه وأيقن أنه قد تكامل سعده لأنه زعم أن عنتر ايقتل في هذه النوبة ويمعل بعد ذلك غاية جهده وأنه إن عدم تكون له عبلة من بعده قال الراوي فلما قربوا من الوادي والجبلين وبقي بينهم وبينهما دون اليومين التقاهم عبد من عبيد الربيع بن زياد وهو هائم في البراري والوهاد وكان هذا العبد هارب وهو للنجاة طالب ولما عرفوه هنوه بالسلامة وسألوه كيف خلاصه مما كان فيه من تلك الملامة واستخبروه عن أمر عنتر وما قد فعل وما قد دبر فقال لهم العبد يا مولاي إلى أن عنتر قد سار إلى بني شيبان في مائة وخمسين فارساً أقران وما في الجبال غير مائتين فارس من الشجعان لحفظ الحريم والنسوان ولولا غيبة عنتر وشيبوب لما كنت تمكنت من الهروب قال الراوي فلما سمعوا منه ذلك الكلام فرحوا وزالت عنهم الأوهام وقالوا لحذيفة هاقد أتاك الأمر كما تريد وقد هان علينا وعليك كل صعب شديد فقال ظالم يا وجوه العرب الأقيال وأي شيء يكون قد بلغنا الآمال إذا لم يقع عنتر ويقتل مع الأبطال فوحق البيت الحرام وزمزم ومنى لقد ضاع تعبنا وساء منقلبنا بنجاة هذا العبد الزنيم من العذاب الأليم فقال له حذيفة أيها السيد الكريم وكاننا نقنع بما نجده من سبي الحريم ونرجع إلى الأوطان ونترك عنتر من آفات الزمان سليم ولا نهلكه ونهلك من معه من كل شيطان رجيم فقال الربيع بن زياد أنا عندي الرأي الذي تستحسنه الرجال الاجواد وهو أننا نأخذ ما وجدنا في الجبال من الجمال والنساء والأولاد ونأخذ ما قدرنا عليه من الأموال ولا ندع لهم مما ملكته أيديهم ولا عقال وبعد ذلك نتبع عنتر ونقصده أينما كان وإذا قلعنا منه الأثر وأحللنا به الهوان وتركناه مرمياً في

القيعان سرنا على ظهور خيلنا إلى الملك النعمان وأحوجنا أن ينفذ أخاه الأسود إلى زهير ومن معه من بنى عبس وعدنان ويسوقهم إلى بين يدى الملك النعمان ويزوجه زهير بابنته غصباً راضيا وغضبان ونزوج عبلة لأخى عمارة وترجع إلى الديار والأوطان ويكون قد أصلح الأمر والشأن وهانت عليه الدهور والأزمان فقال عمارة الصميدع الرفيع لقد صدقت فى هذا الكلام يا ربيع لأنى أعلم وأتحقق أن عبلة ما خلقت إلا لى ولا يصلح أن يكون جمالها لغيرى وأنها من رزقى وأنا من رزقها ولا يصلح جمال إلا لجمالها قال ثم أنهم جدوا فى المسير ذلك اليوم وظالم بن الحارث فى أوائل القوم وهو يتمايل بين الفرسان عجبا ويهتز بين الأبطال طربا وهو ينشد ويقول بعد الصلاة على طه الرسول :

أثغرك يا هند أبدى ابتساما ... أم البرق سل علينا حساما
وهذا قوامك أم غصن بان ... تثنى لنا حين حاكى القواما
ألا تنظرى يا ابنة العامرى ... صباحا جلا من سناها الظلاما
إذا زرت بالخيل ربع الزنيم ... عُبدا اعبس ونسلا حراما
وإن كنت جاهلة فاسألى ... بنى عبس لما سللت الحساما
ونكست فى الشعب فرسانهم ... بسيف برى لحمهم والعظاما
وأشفيت قلب حذيفة وحمل ... وقلب الربيع وكانوا الكراما

قال الراوى لهذا الكلام ثم أنه لما فرغ من ذلك الشعر والنظام جدوا فى المسير واستعملوا السرعة والتشمير حتى أنهم أشرفوا على جبال الردم ووادى الرمال وذلك القدفد وبان غبار خيلهم لبنى عبس مثل الظلام الأسود وأبصرت العبيد الذين خلاهم عنتر عند الحريم والعيال إلى ذلك الغبار المقبل فتصايحت وضجت من على رؤوس الجبال ونزلت وأخبرت الفرسان المختلفة فى عاجل الحال قال فعند ذلك ركب شداد أبو عنتر وأخوته السادات الشجعان والمائة وخمسون من الفرسان الذين قدمنا ذكرهم فى هذا الديوان وانقلب الوادى بضجيج الأماء والنسوان وعلا صياح العبيد والشباب الجهال وخرجت الرجال المعدودون للحرب والقتال وقد غاصوا فى الحديد والزرد النضيد هذا وقد بانت خيل بنى فزارة للأبصار وقد ظهرت لأعين النظار وقد تقسمت مواكب وسرب وصاحت صياحا عاليا حتى أزعجت البر والسبسب وانطبقت على بنى عبس انطباق ظلام الغيب وفى أوائلهم ظالم بن الحارث وهو يهدر هدير الأسود الضاريات وقد اشتهر سيفه ذو الحيات المنعوت بالصفات وفى دون ساعة تقارب القوم من القوم

وظهرت منهم الأحقاد وتنادوا باسم الآباء والأجداد واختلطوا فى القفار والمهاد وأخذوا فى الحرب والجلاد وعملت السيوف الحداد وشمتت الحساد وكثر العدد على بنى قراد وجرح زخمة الجواد عم عنتر وأبوه شداد بعد ما قاتلوا على باب المضيق قتال الرجال الاجواد الذين يخافون المذمة من سائر العباد قال فلما عظم الأمر على الرجال وزادسكنوا رؤس الشعاب وأجادوا الطعان والضراب وعسر قتالهم على الأعداء ومن معهم من الخلفاء والأصحاب لانهم فرسان بنى عبس الأنجاب فلما أبصر ظالم بن الحارث جودة حفظهم للمكان ترجل عن جواده وترجلت خلفه الفرسان ودخلوا جميعهم فى مضيق الجبال ولم يزالوا كذلك وهم على ذلك الحال والقتال بينهم يعمل والدماء تبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى قتل ظالم بن الحارث نسل الأبالس من فرسان بنى عبس سبعة فوارس ودخل الباقى إلى داخل الوادى تقوية قهراً وصار الأمر كلما طال ازداد شراً ورأى حذيفة والربيع فعل ظالم وأجناده واشتهار أمره وترجله عن جواده وقد ترجل معه جماعة من رجاله فترجل حذيفة والربيع وفعلوا مثل فعاله هذا والحارث وقد دخل قدامهم وحده والدم يقطر من سيفه حتى لطخ زنده فدخل فى أثره الفرسان وقد ملكوا الشعب والمكان قال فلما أبصرت النساء هذه المصائب كشف الرؤس والذوائب وما فيهن إلا وقد أيقنت بالسبى وحلول النوائب وما تنصف النهار حتى دخل جيش بنى مرة وباقى جيش بنى فزارة وقد أنقادت الفرسان بنى قراد أسارى وهم فى حبال الذل حيارى وقد ملك الأعداء الحريم والأموال وساقوا النوق والجمال وقد أخرجوا الكل فى الصحراء والرمال ووقع بشارة بن منيع فى يد القرنان الربيع وضربه الضرب الوجيع وقال والله لاهونت عليك بالقتل يا ابن الانذال ولا بد أن أحملك إلى مولاك مفرج بن هلال حتى يعذبك بأشد العذاب والنكال فقال له بشارة لعن الله بطنا حملك يا ابن الأوغاد إن قصرت فيما تقول يا ابن زياد فلو كان حاضراً هنا عنتر بن شداد لطل عليك يا قرنان أن تبلغ منا مرادك وما كان منكما أحد يقدر أن يدنو إلى ذلك الموضع ولو أن معكم قوم ثمود وعاد ولكن القضاء والقدر ما للعبد منهما مهرب ولا مفر (قال الراوى) لهذا الكلام صلوا يا حاضر على البدر التمام وكان الربيع وحذيفة وعمارة قد صاروا الثلاثة يأمرون بعقوبة مالك أبى عبلة ويظهر له الشماتة ويقول له ويلك تركت أهلك وعشيرتك وذويك وأكابر قبيلتك والمكان الذى أنت فيه وتبعت رأى هذا العبد الأسود الذى قد طغى على الرجال وتنمرد وهذا العبد جرى عليك بسكراته ولا بد له أن يغرقكم فى بحور نكباته فقال شداد يا عمارة لا تسب ولدى إذا هو غاب جرت على أهله فى غيبته هذه الأسباب وهذا شىء لا يدوم على هذا الأمر وإذا حضر لا ينتصف من زيد إلا عمرو وعنتر لا بد له أن يحضر هاهنا فى عاجل الحال ويعرف كل واحد

منكم قدره بين الرجال لأنى أعلم منه وحق من أرسى شوامخ الجبال ويعلم كم وزنها ومثقالها وقدر الأرزاق والآجال لو أن أعداءه عدد الرمال ما أرجع عنهم فى الحرب والقتال فقال عمارة ياشداد لا كلام لنا حتى يخلص مما هو فيه من الوبال وينجو من هذا القتال والنزال ويرجع مع أرض بنى شيبان سالم وترى ما يحل به من هذا الجبار ظالم (قال الراوى) وبعد ما فرغوا مما دار بينهم من ذلك المقال أحاطوا على جميع ما تركه عنتر من الأموال والنوق والجمال وجميع ما كان يملكه عنتر الذى يعجز عن وصفه كل حى واشتغل عمارة بعبلة عن كل شىء ثم إنهم ساروا مجدين بأجمعهم وهم يقطعون البرارى والقفار والأودية والسهول والاوعار ويزعمون أنهم يقتفون من عنتر الطريق وهم على ما هم عليه من الجد مثل شعل الحريق وقد قدموا بين أيديهم الحريم والعيال والنوق والجمال والأموال وتأخر ظالم بن الحارث فى فرسان بنى مرة ومن معه من أبطاله وهو يهتز فى سرجه معجباً بفعاله مفتخراً بأعماله ثم أنه لما زاد به الإعجاب باح بالشعر خاطره بين تلك السادات الانجاب فعند ذلك ترنم وأنشد وجعل يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

أيا هند قرى بأنى كريم	وشهم جسيم أحب الكراما
فمن يك فى الحرب مثلى إذا ما	تعرضت للحرب زادت ضراما
وكل العداة يهابون فعلى	وعندى الحلال يساوى الحراما
وفى طول عمرى أثير العجاج	وأعمل فى الحرب سيفى الحساما
وما لى عديل إذا الحرب ثارت	أقد الرقاب وأفرى العظاما
فإن كنت يا هند لى تجهلين	سلى عبس لما سللت الحساما
ونكست فى الشعب فرسانهم	بسيف برى لحمهم والعظاما
وسقت حريما لهم بعد عز	وصار العيال حيارى يتاما
وقد قيل أن لهم ليث حرب	يعد بألف إذا الحرب قاما
ومن أين تحمى العبيد اللئام	حريم الكرام وترعى الذماما
وعندى له إن تأتى سالما	حساما يقد رقابا وهاما
يفرق عنى خطوب الزمان	ويسعفنى إذ ألاقى القتاما
وأى نخار يكون لى إذا ما	قتلت بسيفى عبيدا لئاما

قال الراوى ثم أنه لما فرغ من ذلك الشعر والنظام سار معه يقطعون البر والآكام فلما كان من الغد بعد مسيرهم فى تلك القفار كان ملتقاهم بعنتر بن شداد الفارس الكرار ومن معه من الرجال الاخيار وكان ذلك فى اليوم الرابع ضحوة النهار وهم سائرون على هذا الترتيب مثل شعل النار قال وكان عمارة بن زياد قد سار فى المقدمة مع السبى والحريم والاولاد وحوله

جماعة بنى شيبان و بنى فزارة الأوغاد وهو يترفق بمالك بن قراد و يطيب قلبه و يدور حواليه و يطلب أن يفوز من عبلة بنظرة ولو بعدم إحدى عينيه . هذا و عبلة تعرف منه ذلك فلا تلتفت إليه ولا تحن عليه بل أنها تبكى و تندب ابن عمها عنتر و عمارة يبكى لبكائها او يتحسر و جعلت عبلة تنادى باسم ابن عمها و عيناها لذلك تدمع و قلب عمارة لأجل بكائها يكاد أن ينقطع قال وكانت عبيد ربيع بن زياد الذين ساقهم عنتر بن شداد يصيحون على عبيد بنى قراد وهم يسوقون الحريم و الأولاد إلى أن وقعت العين على العين و أيقنوا عند ذلك بحلول البين وضجت عبيد عنتر لقدومه بالصياح وسمع عنتر أصوات النساء النادبات بالنوح فقال لعروة بن الورد ولمن معه من الرجال الأوقاح دهينا يا بنى عمى فى المال و العيال و الحريم و الأطفال هذا وقد أشتد به الغيظ والخبال وما بقى يعرف يمينه من الشمال فحرك جواده وحمل على بنى زياد الذين كانوا مع السبى و الأولاد وزعق زعقة اهتزت لها الجبال و الأوهاد وطعن أول فارس فى فؤاده فنكسه عن جواده وضرب آخر على جنبيه فوقع يتخبط فى دمه وقد انقطع قلبه و ثالثاً فمن جواده كر كبه قال فلما عاينت الفرسان هذا البلاء و المصاب غاب عنهم الصواب لما علموا أنه عنتر الفارس المهاب فعادوا راجعين على الأعقاب و عمارة فى أولهم وقد أيقن بشرب كاس الذهاب وهو ينادى هو ومن معه البدار البدار و أخذ فى الهزيمة و الفرار وهو لا يصدق بنجاته من العطب و البور وقد عدم رأيه وصوابه وقد أتلف سرجه و ثيابه (قال الراوى) لهذا الديوان وماج الركب وارتفع ضجيج النسوان وطالع الغبار إلى العنان وعادت عبيد بنى قراد على بنى زياد ووقعوا فيهم بالعصى و الحجارة و السيوف الحداد وصاروا يقولون لهم ياويلكم جاءكم الموت الذى ماله من نفاد وهو أبو الفوارس عنتر بن شداد و اليوم يقابلكم على فعالكم بالحريم و الأولاد قال و فى دون ساعة انحلت من الرجال عزائمهم وما كانوا فيه من الجلاد و تقدم عنتر فى عاجل الحال بحسن الوداد إلى إبنة عمه عبلة بنت مالك بن قراد وسلم عليهم و سألها عمن فعل بها هذه الفعال و رماها بالعناد و النكال فقالت له يا ابن العم ما فعل فى هذه الفعال إلا بنو زياد الانذال و بنى فزارة و بنى مرة شرار الرجال ولولا فارسهم ظالم ابن الحارث ابن الانذال ما قدم أحد منهم إلى الجبال و فعل هذه الفعال فكر عليهم يا ابن العم جزاء لذلك ولا تدع أحداً منهم يعود سالماً من المهالك فقال لها عنتر هذا قريب فمن أبصرت منهم وجهك يا إبنة العم مالك فقالت كلهم يا ابن العم إلا عمارة بن زياد فلم أمكنه من ذلك فقال لها عنتر البطل الضرغام فكلهم يا أبنة العم أذبحهم ذبح الاغنام قال فبينما هو معها فى الكلام و المقال وإذا بأمه زبيبة تنادى به من على بعض الجمال و قالت ويلك يا ولد الزنا و تربية الخنا أنت ما تمشى برجلاك إلا موضع هواك ولا تلتفت إلى من لها عليك استحقاق و تخلصها مما هى

فيه من الشد والوثاق قال فتبسم عنتر من كلامها وقد عمد إليها هو ومن معه من الرفاق وهو يقول لعن الله وجهك ولعن أيضاً وجوههم معك فأى شىء أرادوا يا عجوز النحس بسبيلك والوثاق حتى أنهم اتبعوا الجمل الذى حملك من دون الجمال والنياق ثم إنه تقدم إليها وحلها من وثاقها وأمر شيبوباً أن يحمل أعمامه ومن معه من أصحابها ورفاقها ثم إن عنتراً تقدم هو وعروة ابن الورد فى مائة فارس أقيال يطلبون لقاء الخيل والأبطال وتركوا الباقى لحفظ الحريم والعيال قال وكان عمارة قد وصل إلى أخيه الربيع وحذيفة وظالم والجميع واستقبل الجيش وهو ينادى بذلك النداء وصياحه وصياح أصحابه قد أقلق البيداء فقال له الربيع بعد ما تقدم إليه وسأله عما حل به من ذلك الأمر عليه ويلك يا أخى ما حالكم وأى شىء الذى نالكم فقال له عمارة والله يا ابن الأم قد ظهر عنتر وأحل بنا البؤس والضرر ثم أعلمهم بالحال وكيف أن عنتر خلص جميع العيال وفك الأسارى من الاعتقال وكذلك النساء ربات المحارم ولولا اشتغاله بعبلة ما عاد أحد منا سالم فقال الربيع اليوم يعود عنتر وهو نادم وسوف تراه وهو طريح من سيف الأمير ظالم ثم إن الربيع صاح فى الرجال وأخذ الأهبة للحرب والقتال هذا وظالم قد علم بمجىء عنتر ففرح بذلك واستبشر ثم أطلق لجواده العنان وركض وركضت من خلفه الفرسان واشتد صياحهم حتى طبق القيعان هذا وقد انقسموا ثلاث فرق وكل منهم صاح وزعق على عنتر وبنى عبس كل منهم انطبق قال هذا وظالم وبنو مرة أخذوا الميمنة والربيع وبنو زياد فى الميسرة ولهم غدير وزمجرة وهم سائرون فى ذلك البر والبلقع فبينما هم كذلك وإذا هم بعنتر من تحت الغبار قد طلع وهو كأنه الأسد الأروح وأصحابه وراءه فى التبع وهو قدامهم كأنه أسد من الآساد ينادى ويقول يا ويلكم يا أوغاد غير أمجاد أين تذهبون ومن خلفكم عنتر بن شداد وما كفاكم ما فعلتم من الفعال وهجمتم علينا عن الأطلال حتى أنكم أتيتم خلفنا إلى هذه الجبال وما الذى تريدون منا يا بنى الأنذال وقد استنجدتم ببنى مرة الأراذل وأتيتم فى غيبتى وسبيتم العيال مع النساء ربات الحجال وظننتم أنكم أمنتم من غدرات الأيام والليالى ثم إنه صاح فيهم وعليهم حمل وتبعه أصحابه وفعلوا أمثل ما فعل وارتفع النقع وثار القسطل هذا وقد اختلطت الطائفتان فى بعضهم البعض وركض خيولهم زلزل أقطار الأرض وهاجرا فى طولها والعرض هذا وقد عملت بينهم السيوف وقطعت الأيدى والكفوف هذا والجبان قد طلب الهرب فما وجد له طريق وحمل الشجاع نفسه ما لا يطيق ووقعت ضربات عنتر على أجسادهم كأنها نيران الحريق ومزق شملها بحسامه أشد تمزيق وفرقهم كل فرقة فى طريق ومن كثرة ما أصابه من الذم والضيق ما بقى يسأل عن عدو ولا صديق (قال) ومازال معهم فى حرب وقتال إلى أن قربت الشمس من الزوال وإذا به قد التقى بحذيفة بن بدر وظالم ابن الأنذال

وهما جائلان فى وسط المعمعة ولهم هدير وقعقعة وقد جدا الاثنان فى طلبه وتحالفا على قتله وعطبه قال فلما أن وقعت العين على العين كان حذيفة لعنتر من ظالم أسبق فتلقاه وهو عليه أشد واحنق وطعنه طعنة الحرد والقلق وقال له خذيا ابن الأمة وأنا حذيفة ابن بدر بن عمرو فلما تحقق عنتر أن الطعنة واصلة إليه سواها بحسن معرفته وصناعته وصاح به فروع مهجته وقلب سنان الرمح إلى وادى ظهره وطعنه بعقبه فى صدره فالقاه على قفاه وكاد أن يعدمه الحياة ومال إلى ظالم بن الحارث وأراد أن يفعل به كما فعل بحذيفة فضرب ظالم برمحه فالبره منه وانكسر وأراد أن يثنى عليه بسيفه ذى الحيات فصاح به عنتر فارو عه وحذفه بما بقى فى يده من الرمح فى صدره فجبله وأصاب زنده فعطله ووقع السيف من يده فهجم عليه عنتر ومسكه من جلابيب درعه وأخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا وزعق على شيبوب فتقدم إليه وتسلمه منه وشده شداوثيقا وأنزل به الهم والضيق وأما عنتر فانه عاد يكر على الرجال وقد هانت عنده الأبطال وقلت فى عينه جميع الأقيال واتسع عليه المجال هذا والربيع لما رأى ذلك الحال خاف على نفسه من الوبال فلم يكن له سبب إلا الهرب والهزيمة وكان ذلك أوفى غنيمة فاتبعه بنو عمه وقد حلوا همه وغمه وأما أخوه عمارة فإنه أراد الهرب فكان عنتر وراءه فى الطلب فصاح به وفجأة وطعنه بعقب الرمح فرماه وقد حلت به الخسارة فتركه لأخيه شيبوب بجيده كتاف ويقوى منه السواعد والأطراف ففعل مثل ما أمره أخوه وأما عنتر فإنه تبع المنهزمين فى البرارى والبطاح هو وقومه الأوقاح وقد أكثر من خلفهم الصياح فضاقت فى عيون أعدائهم الأماكن السفاح وتخيل لهم أن البر كله رماح فقتل من عمره قصير ونجا من كان فى أجله تأخير ومازال عنتر وأصحابه وراءهم فى الآكام حتى دخل عليهم الليل بالادلهام وعاد عنتر وهو كأنه غط فى بحر من الدماغ وصار جواده أحمرا بعدما كان أدهما وهو يتمايل على سرجه عجبا ويهتز فى البر طربا وجعل ينشد ويقول صلوا على طه الرسول الذى شدت إليه الحمول :

قف بالديار وناد فى بيدها ... فعسى الديار تجيب من ناداها
دار لعبلة لاح برق ضيائها ... فى ناظرى فهمت من مغناها
دار يفوح المسك من عرصاتها ... والعود والند الذكى شذاها
دار لعبلة شط عنك مزارها ... ونأت يقينا ما أراك تراها
ياصاحبى قف بالمطايا ساعة ... فى دار عبلة سائلا مغناها
بل كيف تسأل دمنة عادية ... نسف الجنوب ترابها وثراها
هى عبلة هاج الفؤاد بذكرها ... واشتقاق يوما طيب عطر شذاها
ياعبلة إن كان المنية صورة ... فأنا المنية لحمها ودماها

يا عبلة لا تبكى على بحرقة ... قد طال ما بكت الرجال نساها
ياعبلة إن شابت مفارق لمتى ... فالحرب تشهد أننى لفتاها
قسما بوجهك يا عبلة اننى ... من أجل دمعك لاأجيب نداها
سأبيدهم جمعا بحد مهند ... وأبيح لحمهمو لوحش فلاها
وأبيد كل صميدع متغشم ... شرس المراس ولاأخاف لظاها
أنا عنتر العبس فارس قومه ... أحمى حماها كى تدور رحاها
فوحق مكة والحطيم وزمزم ... والمعشرين ومن سعى بصفاها
لابد أن أخلى بعزمى أرضها ... سكنا لوحش البر ثم ظباها
وأبيد جمع القوم فى وسط الفلا ... ويقد رمحى نحرها وكلاها

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات ارتاحت لها السادات الفرسان فى الغارات وقالوا جميعا لافض فاك ولا كان من يشناك وأطال الرب القديم بقاك ثم أنهم جمعوا الأموال والرجال وهم فرحون بذلك الحال وساروا يجدون المسير والترحال فما أصبح الصباح إلا وهم على باب الجبل فدخل يسى بنى شيبان وبنى فزارة ومرة وذبيان وجميع من معه من الحريم والصبيان وكانت الأسارى مكتفين مع العبيد والغلمان (قال) وكان أعظم القوم فرحا ومسرة بشارة بن منيع لما أنه خلص من قبضة عمارة وأخيه الربيع وهو يشكر عنتر ويثنى عليه لأجل ما فعله معهم من ذلك الصنيع هذا والعبيد قد تقدمت بين أيديهم ورفعوا الخيام وأعلوا القباب ومدوا الأطناب وأقاموا فى الجبال ثلاثة أيام فى أكل طعام وشراب مدام وفى اليوم الرابع طلعت عليهم غير بنى شيبان وقد طبقت جميع الوديان وفى مقدمة الرجال والأبطال مفرج بنى هلال وقد ملأت عساكره جميع الجبال وانتشرت فى البر يمينا وشمال (قال الراوى) فلما رأت بنو عبس إلى ذلك الحال ركبت جميع الرجال والأبطال وفى أوائلهم عنتر بن شداد وعروة بن الورد ورجاله الأجواد وبنى عبس وآل قراد ومالك أبو عبلة وأخوهم زخمة الجواد (قال) ولما تأهبت الفرسان وخرجت من الجبال إلى وسيع القيعان ووقف الجميع فى وجوه بنى شيبان وعنتر بين أيديهم كأنه الأسد الغضبان فأخرج عنتر جميع الفرسان وقعد ثلاثين فارسا أعيان (قال) فلما رآهم مفرج بن هلال التفت إلى من معه من الأبطال وقال لهم ألا تنظرون إلى هذا العبد ولد الزنا كيف غلب جهله على قلة عقله واحتقر بنا ويريد بهذه الثلاثين فارسا أن يلتقينا كلنا ونحن فى خمسة آلاف فارس من كل قرم مداعس فلعن الله سباله إن كانت هذه فعاله ولكن الجهل ماهو إلا عند الذى أحوجنا إلى قتاله فقال له ابن عبد العزى سنان يا ابن العم لا تعجب من فعل هذا العبد الكشحان ولكن العجب مما

يظهر لك من قتاله فى الميدان لأن هذا العبد قد استقتل و ما بقى يبالى بالموت إن أدبر أو أقبل.
(قال) وكان الربيع بن زياد فى جملة الرجال وهو واقف بإزاء مفرج بن هلال وقد كان انهزم مع المنهزمين الذين ساروا فى البرهار بين إلى ناحية أرض العراق وكانوا جميعهم خمسين فارس سار فاق ولم يزالوا فى هزيمتهم إلى أن أصبح الله بالصباح فالتقوا ببنى شيبان فى تلك البطاح قال فعند ذلك سألهم مفرج بن هلال عما جرى لهم مع عنتر من الأحوال فبكى الربيع من شدة ما ناله من الخسارة وحدثه بما فعل عنتر فى بنى مرة و بنى فزارة وكيف أسر حذيفة بن بدر وظالم بن الحرث وأخاه عمارة فلما سمع القوم منه هذا المقال تعجبوا من فعل عنتر وأخذهم الانذهال وأما مفرج بن هلال فانه قال له طب نفسا وقر عينا فسيزول عنك ما قد اعتراك وأنا فى هذه المرة أبلغك من عنتر مناك فها نحن إليه سائرون وعلى قتله معولون نأخذ روحه من بين جنبيه وننهب جميع أمواله من الأموال أو نسبى جميع النساء والعيال ثم إن مفرجا حدثه بحديث الملك النعمان وكيف أرسل أخاه الأسود إلى بنى عبس وعدنان ومعه عشرون ألفا من العربان ففرح الربيع لما سمع هذا الخبر وعاد معهم على الأثر وقال إن فى هذه النوبة يقتل عنتر ويقبر ولا يبقى له ذكر يذكر ثم إنهم جدوا فى المسير حتى أشرفوا على الجبال كما ذكرنا فى المقال و كبت كما ذكرنا فرسان بنى قراد وقدامهم عنتر بن شداد وقال المفرج ما قال من المقال ورد عليه سنان بن عبد العزى المقال هذا وقد قال لهم الربيع بن زياد وحق ذمة العرب الاجواد أن عنتر ما خرج إليكم فى ذلك العدد إلا وفى نيته أن يلقاكم أنتم الجميع ويفرقكم فى البر والفدفد فعندها قال ابن عبد العزى سنان بادر أنت يا أمير مفرج إلى ذلك العبد الكشحان فعندها قدموا إلى عنتر أسنة الرماح وداروا به فى ألف فارس أو قاح وكان عنتر معه ثلاثين فارسا ريبال فانحط عليهم انحطاط السيل السيال وجل فيهم شرقا وغربا وأشبعهم طعنا وضربا هذا وقد اضرمت نيران الحرب وزاد البلاء والكرب وكان أى فرق صاح فيه مزقه وأى موكب من المواكب نزل فيه فرقه وهبر الابطال ومحق الاقيال وأخوه شيبوب بجانب جواده يحميه بالنبال ويشكها فى لبات الافيال فما تتعدى الحشا والاوصال وأما الامير شداد واخوته مالك وزخمة الجواد وجميع آل بنى قراد فانهم جالدوا أشد جلاد وقاتلوا عن الحريم والاولاد وقال وما كانت إلا ساعة من النهار حتى عادت الخيل جافلة من تحت الغبار وقد قتل من فرسان بنى شيبان مائتا فارس من الاقوياء الشجعان وجرح أصعافهم فى حومة الميدان فقال مفرج بن هلال وحق ذمة العرب الابطال إننا ما أتينا إلا لنفقد من معنا من الابطال ولقد بلينا من هذا العبد بشىء ما كان يخطر لنا على بال لأن هؤلاء الثلاثين فارسا قد نكلوا بألف من الرجال غاية النكال والقوم أربعمائة فارس أو يزيدون على هذا الحساب وقد أمدوا بعشرين ألف من الأقوياء الانجاب ثم أن مفرجا عاد وشجع قلبه وصاح فى بنى

شيبان الأوقاح فجردت جميعها الصفاح وهزت عوامل الرماح وحملوا أوفى من ثلاثة آلاف وهان عليهم شرب كاس التلاف فعند ذلك التقاهم بنو عبس وعدنان ووقع بينهم الضرب والطعان بعوامل الرماح والأشطان فبينما عنتر بكر على الأبطال والفرسان وإذا هو قد التقى بابن عبد العزى سنان وهو يحرض بنى شيبان على الضرب والطعان ومعهم الأمير عروة بن الورد أسير ومن حوله خلق كثير وكان فى ذلك الأمر والشأن أن ابن عبد العزى سنان قد رأى عروة ورجاله يحطمون فى بنى شيبان وقد فرقوهم فى قاع الصحصحان فقطف عروة وقد زاد عليه حنقه وضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه ومد إليه عند ذلك ساعده وخطفه من سرجه خطفة الجبار العنيد ورماه على وجه الأرض والصعيد فتسلمه بعض فرسان بنى شيبان * هذا وسنان يجول فى حومة الميدان وإذا هو قد التقى به عنترة الفرسان فزعق عليه ابن عبد العزى سنان وقال له ويلك يا ولد الزنا ما بقى لك من يدى خلاص ولا فرار لأنى أنا المسمى بقاصم الأعمار ثم أنه مد السنان إليه وأراد أن يقضى عليه فضرب عنتر رمحه بسيفه فبراه وأمهله حتى قاربه وحاذاه وبكفحه بالحسام كفحا وضربه على صدره صفحا فرماه على الربى والأحقاف فأدركه شيبوب وشده كتاف فنظره فرسان بنى شيبان إلى ذلك الأمر والشأن فتركت عروة ابن الورد وولت طالبة مفرج بن هلال وهم لا يصدقون بنجاة أعمارهم من يد ذلك الفارس الريبال هذا وقد تدفقت أمواج المواكب وعلا الصياح من كل جانب وطنب الغبار على المشارق والمغارب وصاح عنتر فى شجعان بنى عبس فتراجعت وهزت بأيديها القواضب ودم الضرب حتى قطر الدم من اللحى والشوارب وانسدت أقطار البر فى وجه الجبان الهارب وضاقت عليه جميع المذاهب فلله در وما فعل فى ذلك اليوم على باب الشعب من العجائب لأنه حقا فارسها الأوحد وليثها الأجد وكذلك فرسانه وأعوانه وكان عروة بن الورد قد عاد إلى ظهر الجواد وشفى فؤاده من فرسان بنى شيبان كما أراد وما زال السيف يعمل والدماء تبدل والرجال تقتل والحسام يقطع والدماء تهمع والرجال عن خيولها تهوى وتقع حتى ذهب النهار والضياء وارتفع وعاد كل فريق عن الآخر ورجع هذا وقد رأت بنو عبس على باب المضيق تحفظ المكان من الدخول فيه والتلسيق وأمر عنتر أخاه شيبوب أن يوصل سنان بن عبد العزى إلى الوادى ويشده مع المأسورين من بنى شيبان ونزلت أيضا بنو شيبان وقد ضاق بهم المكان لأجل أسر ابن عبد العزى سنان ومن قتل لهم من الفرسان وكانوا مائتين فارس تمام وجرح أضعافهم أخران وأما مفرج بن هلال فما كان له إلا أن قال للربيع بن زياد والله يا ربيع ما هذه إلا نوبة صعبة ما كانت لنا فى حساب وما علمنا بحصول مثل هذه

الأسباب وإن جرى علينا غداة غد مثل الذى جرى علينا فى هذا اليوم الأغبر افنانا هذا العبد الاكشر الذى لا يخالف من إحدى من البشر وإنى قد أمسيت من هذا الامر سكران بغير خمر لأنى ان خرجت إلى هذا العبد ولدالزنا صرت معيرة فى سائر الاقاليم ويقال ان مفرج بن هلال سيد بنى شيبان بارز عبداً زنيم وإن لم أخرج إليه وانجز أمره لأننا ما نريد عن خلاص الحريم ويشتفى منا كل حاسد وغريم فقال له الربيع بن زياد وهو بزعمه يقول أن رأيه سداد أنا الذى أرى الأمر الصواب والرأى الذى لا يعاب وهو أنكم كلكم تلبسون صدور الزرد وتترجلوا عن خيولكم وتزحفوا على ذلك العبد الأسود بالسيوف والعدد ولا يتأخر منكم أحد ولا تزالوا تضربوا فى أعداكم بالسيوف الرقيق حتى تحشروهم فى وسط المضيق وتدخلوا خلفهم الوادى وأنتم كشعلة نار الحريق فتبلغوا منهم الآمال وتخلصوا منهم الحريم والعيال فلما سمع مفرج من الربيع هذا المقال قال هذا رأيك البطال إنك تأمرنا أننا نزحف كلنا ونخلى عنتر يقاتل فى أطرافنا فوالله ما كان أحدمنا يعود وما كان يجىء علينا آخر النهار ولا يبقى منا ديار ولا ينفخ النار ولا يبقى أحدمنا سالم وتكون عندهم أوفى غنائم (قال الراوى) ثم أنهم لم يزالوا على ذلك الرواح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنور ولاح وأنا وأنتم نصلى على زين الملاح فثارت بنو شيبان تطلب الحرب والكفاح فكان أول من برز إلى المجال ومحل الضرب والقتال مفرج بن هلال ثم أنه صال وجال وواجهه بالمقال وقال يا عبد السوء ما البراز معك إلا غاية العار والذل والشنار ولكن قد تلجىء الضرورات إلى هذه الآثار وهذا طبع الليالى والأيام تضع الكرام وترفع اللئام (قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء فى وجهه كالظلام فغمز الابجر بالمهاميز فخرج به إلى حومة الميدان وقال له دونك باقرنان وابن قرنان ثم أنه أنطبق عليه كالاسد الكاسر فتلقاه الآخر كانه النمر الكاسر وهجموا على بعضهم كأنهم البحور الزواخر فاراد مفرج أن يجول معه كما تجول الفرسان فى حومة الميدان فما أمهله عنتر أن يقلب السنان إلى وراه ولا بلغه من ذلك مناه بل أنه أدار سنان رمحه إلى وادى ظهره وطعنه بعقبه فى صدره فرماه على الأرض والاحقاف فما لحق أن يثور حتى أنقض عليه شيبوب مثل الغيداق وأوثقه كتاف وقوى منه السواعد والأطراف وساقه قدامه أسير بحالة الذل والتقصير قال فلما أن رأت بنو شيبان إلى ما حل بسيدها من الهوان حملت جميعها وهزت الصفاح وطلبت الحرب والكفاح فالحقت أن تصف صفوفها ولا تؤلف ألوفها حتى قدم عنتر رجاله ورتب أبطاله وأقياله وقفز بالابجر إلى الميدان ومنعهم عن الضرب والطعان ثم أنه طلب براز الشجعان وتربع فى سرجه كانه الأسد الغضبان وأنشد هذه الابيات الحسان :

صياح الخيل فى كرى وفرى ولا ساق يطوف بكاس خمر
أحب إلى من قرع الغوانى على كاس وابريق وزهر
مدامى ما تبقى من خمارى باطراف القنا والخيل تجرى
أنا العبد الذى حيرت عنه ألاقى فى الكريهة ألف حر
خلقت من الحديد أشد قلبا فكيف أخاف من بيض وسمر
ألاقى الأسود ولا أبالى وأعلو للسماك وفرق نسر
إذا جاء الشجاع إلى لقائى يفر مهابه منى ويسرى
ظننتم يا بنى شيبان ظنا فاخلف ظنكم جلدى وصبرى
سلو عنى الربيع وقد أتانى بجر الخيل فى سادات بدر
أسرت سراتهم ووجعت عنهم وقد فرقتهم فى كل قفر
وها أنا قد برزت اليوم أشفى فؤادى منكموا وغليل صدرى
وآخذ مال عبلة بالمواضى ويعرف صاحب الإيوان قدرى

(قال الراوى) فلما أبصر الربيع بن زياد هذه الفعال وسمع هذا المقال ورأى ما فعل عنتر فى حق مفرج من الفعال لحقه من ذلك الانبهار والاندهال فقال لمالك بن حسان يا أمير ترجل وافعل مثل ما قلت لكم من الأول إلا فما تبلغ من هذا العبد أمل فعند ذلك ثنى رجله مالك بن حسان وترجل من على ظهر الحصان وفعلت مثل فعاله جمع بنى شيبان (قال) ولما أن ترجلوا على السباسب قال لهم الربيع بن زياد دونكم وإياه وازحفوا عليهم من كل جانب وضيقوا عليهم الجوانب وقطعوهم بالقواضب (قال) ولما نظر عنتر إلى بنى شيبان وقد ترجلوا وطلبوا باب المضيق قال لهم لعن الله من لا يفرقكم تفريق ومن يخلى منكم أحدا يهتدى إلى طريق ثم أنه التفت إلى عروة بن الورد وقال يا أبا الابيض احمل أنت على بنى شيبان فى مائة فارس من فرساننا الاعيان حتى أسوق بين أيديكم الذين ترجلوا ثم طلبونى بقلة عقولهم وما علموا بأن الذى أشار عليهم بهذه المشورة طالب هلاكهم ودمارهم وأنا أريد أن أسير من خلف ظهورهم وأملك خيولهم وأحيرهم فى أمورهم (قال) ثم أنه أمر أباه شداد أن يحفظ باب الجبل وهو وجميع الفرسان والعبيد وحمل عنتر مثل الأسد الشديد وتبعه عروة بن الورد فيمن معه من الرجال الاماجيد وهم الجميع مسربلون بالحديد والزرد النضيد وحملوا على أعدائهم كالسيل وأبلوهم بالهم والويل وطحنوا الرجال والخيل وعاد ضوء النهار مثل الميل وكان عنتر إذا طعن الراجل اعدمه الحياة وإذا طعن الفارس يتركه عبرة لمن يراه قال ثم أنه لم يزل على هذا الحال هو ومن معه من الابطال حتى أهلكوا جمعا كثيرا من بنى شيبان وصاروا من

وراء ظهورهم في القيعان وسارت خيولهم جائلة في الصحصحان فقال عنتر لمن معه من الفرسان دوروا بهذه الخيل من كل جانب ومكان وأديروا رءوسها إلى أصحابها وصيحوا من خلفهم وهي تلعب برؤس ركابهم (قال) فلما سمع عروة ذلك المقال أخذه الفرس والاستبشار وقال لله درك يا أبا الفوارس ما أخبرك بالحروب وخوض الغبار ثم إنهم تفرقوا عن الخيل من كل جانب وجمعوها من البر والسباسب وصاحوا عليهم صياحا عم المشارق والمغارب فانطبقت قدامهم وطلع لها قتام إلى عنان السماء حتى تبدل الضياء بالظلماء وداست الخيل عن الرجال وحارثتها محارثة الأيام والليالي وكان بنو شيبان قد ازدحموا حول الشعب والمضيق فتفرقوا غاية التفريق لما رأوا البلاء قد أتاهم وحار شيخهم وفتاهم وتمددت الأجساد على بسيط الأرض والمهاد وداستهم الخيل بحوافرها الشداد وضجت بنو عبس الأجواد من داخل الشعب والوهاد وقضى الله أمر بني شيبان على يد عنتر بن شداد . قال وكان الذى سلم منهم وأخر الله في مدته ركض بين الخيل الجياد وهج على وجهه في البر والوديان وكان من جملة من سلم منهم مالك بن حسان فإنه لما رأى الخيل أقبلت وماجت من كل جانب ومكان علم أنه لم يبق أحد من بني شيبان فطلب عرض البر والتلال وتبعه من سلم من الرجال وكانوا أوفى من ألف فارس وقد هجوا على وجوههم في الجبال قال فلما خرجوا من تحت الغبار ولاح لهم وجه الأمان والاستظهار إذاهم بالربيع بن زياد واقف في ذلك المكان ينظر ما دبروا من الشأن فعلم أنه رأى فمان فأ كل كفه من غيظه من عنتر بن شداد . قال فبينما هو واقف على ذلك الأمر والشأن وإذ قد اقبل عليه مالك بن حسان فلما نظر صاح على بني شيبان وقال لهم يا ويلكم اعلموا أن كل ما نحن فيه من الذل والهوان وهلاك الرجال وسبي البنات والنسوان من هذا الربيع القرنان ولولاه ما كنا عرفنا عنتر بن شداد ولا عبلة بنت مالك بن قراد فدونكم وإياه حتى نجازيه على فعاله ونصفع قذاله وننتف سباله ثم أنه طلبه حتى قاربه وكان الربيع في جانبه فتقدم إليه وهنأه بالسلامة فاهو إلا أن قدم إليه وقاربه حتى طعنه بعقب الرمح في جانبه فنكسه عن مركوبه هذا وقد حملت أيضا بنو شيبان وقتلوا عشرين فارسا من بني زياد وقد هج باقيهم في البر والوهاد فما زالوا في هزيمتهم إلى ناحية أوطانهم والبلاد قال فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الأمر والشأن وما حل بهم من الأحوال وأما ما كان من عنتر الفارس الرئبال فإنه لما عمل مع الرجال وفعل في قلوب الأعداء هيبة وإن جلال قال ولما انكسرت بنو شيبان وقد حل بهم الذل والهوان وبرد من بينهم نيرا الحروب وهدأت الكروب أمر عنتر أن تفتح للخيل

طريق حتى يعبروا إلى رأس الشعب والمضيق وقال هذه تكون لنا عدة من غير الزمان وطوارق الحدثان وتنفعنا إذا أتى إلى حربنا الملك النعمان وبعد ذلك قال لهم عنتر يا بنى عمى اتبعوا المنهزمين من بنى شيبان فى مائة فارس من فرساننا الأعيان فطلبوهم وقد جدوا خلفهم وعنتر سائر أمامهم قال ولم يزالوا خلفهم سائرين إلى أن أمسى المساء ثم عاد عنتر ومن معه من الأبطال طالبين الجبل فرأوا فى طريقهم الربيع وهو ملقى بين القتلى على الرمال وهو مخضب بالدماء وغرقان وهو بين من شدة ماحل به من البلاء والهوان من ذلك الجرح الذى جرحه له مالك ابن حسان لما انهزم من عنترة الريبال كما قدمنا فى المقال قال فعندها وقف عنتر فوق رأسه وقد فرحت جميع حواسه وقال لعروة هذا الربيع بن زياد الذى كان هو السبب فى هذه الامور والفساد انزل إليه وشد كتاف وأوثق منه الأطراف فان الله قد أوقعه فيما قدمت يداه ورد كيده عليه وأراد ولا بد لى أن أقرنه إلى مفرج بن هلال وحذيفة ابن الأندال فعند ذلك نزل عروة وشده كتاف وأوثق منه الأطراف وأراد أن يشده على ظهر جواده ففتح عينيه فرأى عنتر اواقفا على رأسه وهو راكب على جواده متكىء على رمحه وهو الأسد الضارى فصاح الربيع الصنيعة يا أبا الفوارس يا ابن العم فيكفينى ما أنا فيه من الهم والغم فبحرمة النسب الذى بينى وبينك أن تشد جرحى ولا تشدنى كتاف لانى مشرف على التلاف وأنا قد ندمت على ما بدا منى من قبيح الفعال وإن رجعت إلى مثلها فما أنا ولد حلال قال فلما سمع عنتر منه ذلك المقال تبسم ضاحكا من ذلك المحال وقال له والله يا ربيع يا من هو فى فعله سقيع أننا ما نقدر على مجازاتك ولا مكافاتك لأنك لا تزال تحفظ لنا النسب وترعى لنا فيم نعمله معك من الوداد العجب وأنت أهل للاحسان يا قرنان يا ابن ألف قرنان والله ما تقدر على قبيح إلا وتفعله فى حقى وتريد أن ينقطع من الدنيا رزقى ولا تناديني يا ابن العم إلا إذا وقعت فى مصيبة عظيمة وأمور ذميمة فقال له الربيع والله يا أمير أنت صادق فى هذا المقال فسامحنا عما مضى ولا تعاملنا إلا بالرضا وأننى من هذه التوبة أصفى لك الوداد وإن عدت إلى قبيح فما أكون من ظهر الأمير زياد فقال عنتر أقصر عن هذا المحال يا ابن الاوغاد كل هذا زور ومحال وما أنا جاهل بهذا المقال ثم إنه أمر عروة أن يشده على ظهر جواده بعد أن شد كتافه وقوى شداده هذا وقد جمع أصحابه الأسلاب وكثرت ال وعادوا راجعين إلى الجبال قال ولما صاروا داخل الوادى وأمنوا من كيد الاعادى علا منهم الصياح وكثرت عندهم الافراح وأمن كل منهم على نفسه واستراح فقال عنتر لاخيه شيبوب احبس جميع الاسارى فى بعض المغابر وتوكل بهم وأنت وأخوك جرير حتى ينفصل الأمر العسير فعند ذلك قام شيبوب مع أخيه جرير ومعهم بشارة بن منيع وقد ساقوا بين أيديهم الاسارى الجميع وقد فعلوا بهم أقبح صنيع مثل ما أمرهم

عنتر بن شداد ووكلوا بهم جماعة من العبيد الشداد وقد نزل فى أبياته وقد خلى منه البال على أحسن أحوال وأهنى عيش بين الرجال وباتوا على ذلك الإيضاح إلى أن أصبح الله الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فقال شداد لعنتر ياولدى أى شىء فى نيتك أن تفعل بهذه الأسارى أعلمنى بما عندك من الإشارة فقال عنتر وما عسى أن فعل بهم من الفعال غير صلبهم على قرن الجبال وفيهم من نمن عليه بالعتق والاعتقال فمنهم ظالم بن الحارث فارس بنى مرة أجز ناصيته وأصفع قمته وأما بن عبد العزى سنان ومفرج بن هلال القرنان وجميع من معه من بنى شيبان فإنى أصلبهم على الجبال وأحل بهم الهوان وأما حذيفة بن بدر والربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد فأنى أتركهم عندى فى الاعتقال حتى أبصر على أى شىء ينفصل الحال قال ثم أن عنتر أوثب قائما على الاقدام ويده فى يد بشارة بن منيع إلى أن وقف على باب الكهف الذى فيه الأسارى الجميع وقال لأخيه شيبوب أحمل هذا القرنان ومفرج بن هلال وأخرجه إلى قرن من قرون الجبال وعلقه فيها بالحبال وصف هؤلاء عن جانبه من اليمين والشمال وأما حذيفة وعمارة والربيع فأوقع بهم الارتباك ولا تدع لهم من الموت فكاك فإنى ما بقيت أبقى على أحد يعاندنى إلا وأوقع به الهلاك (قال) فلما سمعوا منه هذا الكلام أيقنوا بشرب كاس الحمام فعندها قال الربيع بن زياد وقد أيقن بالبلاء والنفاد لا صبحك الله بخير ياولد الزنا وتربية الأمة اللخنا ونسل الحرام وولد اللئام ولا رزقت بعيش هنى كما صبحتنا بهذا الوجه العبوس فى هذا الصباح المنحوس لأنك قد جئت تبشرنا بهذه البشارة الردية فلا يشرك الله بخير يا بن الأمة البذية فقال مفرج والله ياربيع ما بقى عنتر يترك منا بعد هذا الكلام لا صبيا ولا رضيع ويهلكنا من أجل هذا الكلام الشنيع والرأى عندى أننا نرق له فى الخطاب عسى أننا نتخلص من هذا العذاب هذا وقد نظروا اليه فرأوا عينيه مثل لظى الجمر وهو يتمايل على رجاله ويلجلج فى مقاله من نشوة الخمر وأما عمارة فإنه قد مات فى جلده ولوث نفسه وخرس لسانه وانهدت أركانه (قال) وأما مفرج بن هلال فإنه مما حل به من الوبال قال يا أبا الفوارس لأى شىء تفعل بنا هذه الفعال ونحن فى أسرك والاعتقال أنظر يا أبا الفوارس ما بين يديك ولا يلعب العجب بعطفيك واقرأ عاقبة البغى والعدوان ولا تنتقم منا هذا الانتقام لأنك أخذت أموالنا وسبيت عيالنا ويتمت أولادنا ولم نعرف لنا ذنب نستحق عليه هذا العذاب والصلب فقال له عنتر وإذا فعلت معكم هذه الفعال أو أكثر من يمنعنى عن هذا الحال فقال مفرج ما أحد يمنعك عن ذلك ولكن الله يحنن قلبك علينا لأنك الآن لنا مالك ولبزدك عن ذلك كرم أصلك وطيبة لبنك واعمل عملا صليح وقابل القبيح بالمليح قال فلما سمع عنتر من مفرج هذا المقال ورأى ذلك التخضع والإذلال قال له والله إن سبنى بنت عمى عبلة ما هو على

هين وأخذ أموالها وهو الظلم البين فوالله لا بد أن أفنى بنى شيبان وأقتل المشايخ منهم والشبان ، وأذبح الجميع ذبح الخرفان وانهب الأموال وأسبى الحريم والعيال أو تعيدوا ما أخذتم لبنت عمى من الجواهر والمال فقال مفرج وهو على ما وقع به ندمان اسمع يا حامية عبس وعدنان وفزارة وذبيان والله أن هذه المصيبة ما كان لنا فيها جنية وما نحن فيها وحدنا ولا تعرضنا لك تعمدوا منا إنما ابن عمك الربيع استقضانا حاجة خرب بها ديارنا وقلع آثارنا. ومالك الذى أخذناه من بنت عمك قد وصل إلى النعمان على يد الربيع القرنان وها هو قد صار فى قبضتك فافعل به ما تريد لأنه قد صار أقل من عبد من العبيد وأعلم أنه قد أعطى الملك النعمان العصابة والأموال الحسان وانت قادر على خلاص ذلك من الملك النعمان . قدير ما تريد من الأمر والشأن واقلع من مخه الآذان فما عاجز عنه يا حامية عبس وعدنان واجعلنا نحن عتقاء سيفك والسنان واتخذنا لك من هذا اليوم أصدقاء وغلمان وأعلم أن الملك النعمان قد أرسل أخاه الأسود إلى قومك بنى عبس وعدنان فى عشرين ألف عنان وكلهم معدودون بالحرب والطعان وقد أكد عليه فى الوصية والمقال أنه لا يعود إلا ومعه الملك زهير فى حالة الإذلال وجميع أولاده ورجاله موثوقون فى الحبال بعد سبى النساء وذبح الأطفال وكل ذلك لأجل المتجردة صاحبة الجمال لأنه سمع ما فيها من الحسن والكمال وقد خطبها الملك النعمان منه ارد رسوله وهو خائب ولا رضى أن يزوجها له ولا أنا ما هو له طالب قال فلما أن سمع عنتر من مفرج هذا الكلام قال له متى كان هذا الإبرام فقال له يا أبا الفوارس فى هذه الأيام ولا بد أن يحصل للملك زهير منه آلام ويصير الملك الأسود ديارهم خراب يزعق فيها اليوم والغراب ويأتى بهم من غير ارتياب وإن بلغ الملك النعمان أننا صلبنا فى هذه الجبال فعل فى سادتكم أبشع من هذه الفعال ويصلبهم على منصة الحيرة ويبليهم بالعذاب والنكال وأنت بعد ذلك أخبر بجميع الأحوال وقد قالت العقلاء وأولوا الألباب من لم يحسب الحساب يكن القتل له جواب.

(قال) فلما أن سمع عنتر من مفرج ذلك الخطاب زاد به الاكتئاب وغاب عنه الصواب وقد حسب لهم ألف حساب وقال لمفرج ياويلك وكم للأسود من مذ سار إلى ديارنا بالرجال. قال له مفرج يا فارس الأنام أن مسيره إلى دياركم من قبل مسيرنا إليكم بخمسة أيام فقال عنتر عندما سمع ذلك الكلام واذل بنى عبس من دون العربان ولكن والله لأقلعن أثر الملك النعمان وأصيرنه مهيجاً فى القيعان وأحرمنه أن ينام على مخدة الاطمئنان (قال) ثم أنه تركهم على حالهم فى الاعتقال بعدما جونوا صيبهم وخلاهم فى أسوأ حال وعاد عنهم فى عاجل الحال وهو يقول لعروة والله يا أبا الأبيض ما أتى للملك زهير وأولاده ردىء الفعال حتى انه يفعل فى حق هذه الأفعال ولكننى ما أحقد عليهم ولا أنسى جميلهم ولا أؤاخذهم بسوء أعمالهم.

وأتبع رضاهم ولا أغضب عليهم ولا بد لى أن أبذل روحى فى هواهم وأنصرهم على أعدائهم وما زالوا فى ذلك الايراد حتى وصلوا إلى بنى قراد وأخبر أعمامه مالكا وزخمة الجواد وأباه الامير شداد بن قراد بمسير الأسود أخى النعمان إلى ديار بنى عبس وعدنان بعشرين ألف عنان وأنا أعلم أن الأسود أخا النعمان آفة من آفات الزمان وأنه جبار شيطان أمكر من ملوك الجان وأنا خائف على الملك زهير وعلى أولاده وعلى جميع حماته وأجناده ولا بد والله عن مسيرنا إلى نصرته وأنقذه مما حل به من بليته فقال أبوه شداد يا ولدى نحن بقينا هاهنا ثلاثمائة فارس من الفرسان وبقى غريمنا مثل الملك النعمان وكيف نسير إلى لقاء عشرين ألف عنان ونترك هنا أموالنا ونساءنا والولدان فقال عنتر يا أبتاه أعلم أن الحريم ما بقى عليهن بأس ولا يقربهن أحد من الناس ما داموا متحصنين فى هذه الجبال ونحن لا بد أن نترك عندهم من يحفظهم من الرجال (قال) ثم أنه دعا أخيه شيبوب وقال له يا أبا رياح اننا ما نقصدك إلا فى الملمات الملاح أخبرنى كم هنا من طريق يسالك إلى بنى عبس وعدنان من غير تعويق فقال شيبوب هنا ثلاثة مفارق والكل يجتمعوا بطريق واحد على وادى الرخم وغدران بنى الاجزم فقال عنتر وكم يوما نقعد ونحن نجد إلى أن نصل الشربة والعلم السعدى فقال يا أخى خمسة وعشرين يوماً أو قريباً من ذلك فقال عنتر وأى الطرق أقرب المسالك فقال له هذه الطرق والدكادك تجمعنا على وادى الرخم فى ثلاثة أيام وما للسافرين عبور إلا من عليها وهى من هنا قريبة الآكام (قال) فلما سمع عنتر من أخيه هذا الكلام أمر شيبوب أن ينادى فى جميع الرجال أن يأخذوا الاهبة للحرب والقتال فعند ذلك استعدوا من يومهم وجهزوا أشغالهم وعزموا على المسير والجد والتشمير وهم فى مائتين وخمسين فارس من كل مدرع ولابس وهم فى الحديد غواطس وترك عند الحريم خمسين فارس وقدم عليهم عمه مالكا باعبلة أبلاه الله بألف علة ودبلة وكذلك ولده عمرو وأوصاهم أن يحترسوا على أمورهم ويحتفظوا على الأسارى غاية الاحتفاظ ثم أن عنتر ركب على ظهر جواده الأبجر وتقلد بسيفه الظامى الابتر وغاص فى الحديد وسار فى مقدمة الأبطال الصناديد وقال أن هذه سفرة تكون علينا مباركة إن شاء الملك الديان وعلى جميع من معنا من الفرسان ونهلك فيها أهل الشر والعدوان ونسوق الاسود مأسورا فى حبال الذل والهوان ثم أنه سار وبجانبه أبوه شداد وعمه زخمة الجواد وصديقه عروة بن الورد فارس الجلاد واستقبل عنتر الطرق وهو حائر العقل والفؤاد على الملك زهير ومن له من الأولاد (قال) ولما تبطن البر الأقفر تذكر أرض الشربة والعلم السعدى فجاش الشعر فى خاطره وأحب له أنه يبدى فأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

لا يحمل الحقد من تعلو له الرتب ... ولا ينال العلا من طبعه الغضب

ولا ينال المنى قط ابن زانية ... ولا شحيح ولا من حنه العتب
ومن يكن عبد قوم لا يخالفهم ... إذا جفوه ولا يغضب إذا غضبوا
قد كنت فيما مضى أرعى جمالهم ... واليوم أحمى حماهم كلما نكبوا
لله در بنى عبس وما نسلت ... من الشجاعة ما لم تنسل العرب
عبد لهم يترك الأبطال صاغرة ... تحت الغبار حيارى مالها حسب
إذا يعاب سوادى فهو لى شرف ... يوم الفخار إذا ما فاتنى النسب
إن لم أخلصهم من كل نائبة ... فلا سلمت ولا خطتنى النوب
إن كنت تعلم يانعمان أن يدى ... قصيرة عنك فالأيام تنقلب
إن الأفاعى ولو لانت ملامسها ... تبدى انقلابا وفى أنيابها العطب
واليوم تعلم يا نعمان أى فتى ... يلقى أخاك الذى قد غره الكذب
ومن يخوض غبار النقع مبتسما ... وينثنى وسنان الرمح مختضب
إن سل صارمه عمت مضاربه ... وأشرق الجو وانشقت له الحجب
والخيل تشهد أنى قد أكف لها ... والطعن مثل شرار النار يلتهب
لى النفوس وللطير اللحوم وللو ... حش العظام وللخيالة السلب
لا شك أن طيور الطير مقبرة ... فيها لمن جندلت أرماحنا نوب
فاسأل ديار الأعادى كم بنيت بها ... بيتا من البقع لم يمدد له طنب
وسائل القوم على فعلى وعن عملى ... فالمال ينحاز والأرواح تنسلب
لا أبعد الله من قوم غطارفة ... أنس إذا نزلوا جن إذا ركبوا
أسود غاب ولكن لا نياب لها ... إلا الأسنة والهندية القضب
تعدو بهم أعوجيات مضمرة ... مثل الشراحين فى أعناقها كبب
لا زلت ألقى صدور الخيل فى ملأ ... بالطعن حتى يقوم السرج والكتب
فالعمى لو كنت فى أجفانها نظروا ... والخرس لو كنت فى أفواههم خطبوا
والخيل يوم جلاد الفرس تشهد لى ... بالطعن والضرب والاقلام والكتب
نجمى يلوح على أعلا مراتبهم ... فوق السماك وفوق الشمس محتجب
أنا ابن شداد من أعلا مفاخرهم ... شدادها والذى يسمو به الأدب
مالى على الأرض من قرن يقاومنى ... فى حومة الحرب والأهوال تنسكب
هذا مقالى وخالى فى مفاخرتى ... وفخر شداد فخرى إذ به الحسب

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات طربت لها جميع السادات وقد تعجبوا من

من هذه الكلمات وصاروا يقطعون فى مسيرهم الأرض والفلوات وعنتر يحدث نفسه أنه يقطع عساكر الملك النعمان بمن معه من الفرسان ثم أنهم لم يزالوا سائرين يقطعون البر والآكام حتى أنهم وصلوا إلى وادى الرخيم وكان ذلك الوادى لعرب يقال لهم بنو الاجزم وكان بينه وبين جبال الردم سبعة أيام فأوصلهم شيبوب فى ثلاثة أيام وكان هذا منزلا قديما من منازل العربان وكل من يقصد بلاد العراق لا بد له من العبور من هذا المكان لأجل ما يلاقى فى طريقه من المخاوف لأنه بر موحش قليل الماء وكل من عبر فيه هلك من العطش والظمأ ثم قال شيبوب لأخيه عنتر لو كان معنا يا أخى من الفرسان عدد كثير يقوم مقامهم لكنا منعناهم عن ورود الماء ونمسك عليهم الطريق حتى يهلكوا من العطش والظمأ ولا سيما إن كان الملك الأسود قد ملك قومنا وأقاربنا قال الراوى فلما سمع عنتر من أخيه ذلك الكلام قال إن كان ولا بد فانزل بنا فى هذه الآكام وتوكل على الملك العلام الذى خلق الضياء والظلام فوحق من بسط الأرض ورفع السماء لا تركت أحدا يبل لسانه من هذا الماء ثم أن عنتر نزل على ذلك الغدير وهو يود أنه إلى لقاء بنى عبس يطير واختطف رجاله البر والتلال وانتشروا يمينا وشمالا وقعدوا ينتظرون القادم عليهم يومين بليلتين فما أحدا لهم ظهر ولا رأوا من يخبرهم بخبر فقلق عنتر وتحير وخاف على من تركهم فى جبال الرمل من الويل والضرر فشكا حاله إلى أخيه شيبوب وأعلمه بما عنده من الكروب وقال يا ابن الام كيف الحيلة والطريق عنا بعيد وبيننا وبين القوم مقدار احد عشر يوما فقال له شيبوب يا أخى أنا أكشف لكم الأخبار وآتيكم بجلية الآثار ثم أنه تحزم وترسم واعتد واشتد وسار من وقته وساعته وخاض البر الاقفر فما كان إلا زمن يسير حتى أنه غاب عن النظر فكانت مدة غيبته يومين بليلتين وصار الجميع عليه خائفين وقلق عنتر عليه بالأكثر وخاف أن يحصل أمر يكون فيه ضرر فبينماهم فى قيل وقال وإذا به قد أقبل من بين هذه الجبال وهو أشعث أغبر فى ايشم حال مما قاساه من السير والترحال فعندها تقدم إليه عنتر وقال له يا ابن الام ما الخبر وأى شىء الذى جرى وتدبر فقال له يا أخى قد جاء اليك القوم وبطل عليك التعب واللوم وغدا يشرف عليك الملك الأسود ومعه عساكر قد ملات البر والفدفد وفرسان ما لكثرتهم عدد فقال له عنتر ويلك يا ابن السوداء أخبرنى ما الذى حل ببنى عبس فقال له شيبوب حل بهم يا أخى التعس والنكس وقد قلع الأسود آثارهم وخرب بجنوده ديارهم لأنه لما وصل اليهم صبحهم صباحا ميشوما وترك ديارهم مسكنا للغربان والبوم وترك عيالهم ونساءهم مباحة لجميع الأعراب وأحاطت بهم الرزايا من كل جانب واحل بهم المصائب لأنه فرق جميع من كان معه من الابطال ورتبهم حوله يمينا وشمالا وقاتلهم أول يوم حتى أوصلهم إلى الخيام وفى اليوم الثانى أتته بنو فزارة وبنى مرة اللئام لان الخبر كان وصل اليهم مع المنهزمين

وأسرت ساداتهم ونزل بهم العذاب المهين وأنك قتلت من أبطالهم خلقا كثيرا وأنزلت بهم العذاب النكير فاصدقوا أن يسمعوا بمجيء الملك الأسود حتى أنهم اجتمعوا وساروا في البر والقدفد وقد نزل بهم النكد مما كثير من العدد وبنو عبس يظهرون الصبر والجلد وما زالوا صابرين على ما به الله أبلاهم إلى أن ضعف حيلهم وقواهم . هذا وقد سطا الملك الأسود على ملكنا زهير وضايقه في الميدان إلى أن أخذه أسيرا وأخذ أولاده من بعده وأحل بهم الوبل والتكدير وما أمسى المساء إلا وجمع أخوته وطائفته كذلك وقد حل بهم الذل واتسدت في وجوههم المسلك وعاد الأسود بعدما بلغ منهم الملل وحصل له التيسير ومعه أوفى من الفين أسير بحالة الذل والتقصير وقد وعد بني بدر ومرة أن يخلص من يدك أسراهم ويبلغهم مناهم وأخبره أن أخاه النعمان أرسله لك يحل بك الذل والهوان إذا وجدك ينزل بك الحرمان وأنه تابعك يكشف أخبارك وأينما وجدك يقطع آثارك وقد صح عنده أنك في جبال الردم ووادي الرمال وها هو غدا يشرف عليك بجميع من معه من الرجال وهذا الكلام كله سمعته من صديقك مالك بن زهير ولا تسأل عما هو فيه من الهم والضير وذلك أنني لما سرت من عندكم بقيت يوما وليلة وأنا أهيم في البر الأقفر فلم أر للقوم أثرا ولا جلية خبر فقصدت أن أسير راضيا ولا أرجع إلا ببلوغ المنا فلما كان في اليوم الثاني وأنا سائر في القفار رأيت سوادهم قد سد جميع أقطار وانتشر يمينا ويسارا فأوسعت أنا في الفلا لما أن حققتهم وصرت وراء ظهورهم وصبرت حتى أمسى المساء وقد حل بهم يا أخي الضر والأسى وتبعتهم حتى نزلوا على غدران الظبا فاختلطت بالواد الأعظم الذي فيه السبايا وأردت أن أسأله عما جرى فسمعت صوت مالك ابن زهير وهو ينتحب ويبكي مثل امرأة الثكلى وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أتانا الخوف من بعد الأمان … ونمنا عن معداد الذمان
وذقنا الذل لما غاب عنا … مثير عجاجة الحرب العوان
هلكنا بعد بغيانا وأضحى … جواد البغي مقطوع العنان
أغثنا يا همام بني قراد … بحد حسامك الغضب اليماني
ولا تشمت بنا قومنا لئاما … سبوا نسواننا سبي الزواق
فأنت غياثنا في كل حرب … إذا صاحت بنا خيل الرهان
وقد عودتنا عزا ومجدا … ونحن الآن في ذل الهوان
ولو شاهدتنا في ذل سوء … ونحن مع الأعادي في الهوان
تساق نساؤنا من كل عذرا … تشير إلى جنابك بالبنان
وتجر الدمع من طرف كحيل … على خد كلون الأرجوان

تنادى من شجا يا لعبس أجيرونى لحزنى قد دهانى
على قوم غدوا فى الأرض صرعى ينوح عليهم طير المغانى

قال الراوى وكان شيبوب ينشد هذه الأبيات وعنتر تنهل من أجفانه العبرات لأن مالكا كان عنده أعز من روحه التى بين جنبيه لأجل ما عمل معه من المكرمات وقد قدمنا لكم تلك الاشارات قال الراوى ثم إن شيبوبا قال يا أخى فلما سمعت ما لكا عرفته بنفسى وسلمت عليه وسألته عما جرى يا أخى والدموع تنحدر من عينيه هذا ولما رآنى وقد حقق معرفتى فرح واستبشر لما رأى صورتى وقد أعلمنى بهذه الأخبار وما حل بهم من الاضرار وقد أعلمته أيضاً بما جرى لك من الأخبار وإنك قاعد لهم فى الانتظار وفى قلبك من أجلهم وهيج النار وأخبرته بما فعلته مع بنى شيبان وكيف أنك أسرته مفرج بن هلال الكشحان وابن عمه عبد العزى سنان وكيف أهلكت فرسانهم الشجعان وأخذت أموالهم والنسوان وأعلمته أيضاً بما قد حل ببنى زياد وحذيفة وظالم نسل الأوغاد وأن الجميع عندك فى الاصفاد قال ثم أن مالكا لما أن سمع منى هذا المقال وعلم بذلك الشان خف كربه وانجلى عنه بعض ما يجده من الهموم والاحزان وقد أخبر أباه بذلك الأمر والشأن وقد حدثه بشجاعتك واقتدارك على جميع الأقران والشجعان فلما أن سمع الملك زهير من ولده ذلك المقال كاد أن يتفتت كبده قهرا على فراقك يا زين الرجال وقال نحن الذين عملنا بأرواحنا وأنفسنا ما لا تفعل الأعداء بنا أبعدنا حامينا عن أرضنا بغير ذنب ولا ضرر وقربنا أهل الخداع والمكر فلأجل ذلك تم علينا هذا الأمر ودهانا الزمان الذى من طبعه الغدر والهوان ولكن كان الذى كان وكلما عاش الإنسان تعلم وهذبته الأيام (قال) ثم أن شيبوب قال وما زلت معهم حتى وصلوا إلى عيون الظبا وعرف الأسود ما قدامه من اتساع الرى فامر العبيد أن يكثروا من الماء خوفا من العطش والظما فسرت معهم إلى وقت السحر وقد مضى الليل والفجر انفجر وقد عدت إليك وأعلمتك بما جرى وتدبر فقال عنتر وقد هدر وزمجر لما أن سمع من أخيه شيبوب هذا الخبر وأى شيء بقى هنا من التدبير بعد هذا الأمر العسير إذا رأينا هذا العسكر الكثير غير منعهم من ورد الماء وأن نوقع فيهم الحرب ونهريق منهم الدماء ونبذل نفوسنا فى خلاص الحريم ونتوكل على رب زمزم والحطيم وسوف ترى ما أفعل بهم فى ذلك المكان وأترك دماءهم تسيل كالغدران وأفرقهم فى هذه البرارى والقيعان والنار فى إست أمهم وأم ملكهم النعمان فعند ذلك قال شيبوب وقد تبسم وكان تبسمه فى محله أعلم يا أخى أن الأمر أقرب من هذا كله لأنى أدبر عليهم أحسن تدبير أقول إنه يرجع عليهم وبالا وتدبير فقال عنتر أخبرنى بما فعلت وما هو الأمر الذى أتقنته ودبرت فقال له شيبوب إعلم أنى لما سرت من عندك أكشف الخبر وأنظر ما جرى وتدبر

ووصلت إليهم وجرى ما جرى بالأمر الذى تم وطرا وأردت أن أجىء من عندهم باسير فقلت فى نفسى والله ما أرجع إلا كنت أفعل بهم أمرا نكير ولا بد أن أفعل معهم شيئاً اشفى به غليل صدرى فعند ذلك سللت منطقتى من على وسطى وسرت وكان الليل قد أسبل على الخافقين أجنحة الظلام وقصدت إلى زوايا الماء وأنا مثل أسد ضرغام وبقيت أجىء إلى الروايا وابذلها وأبدد ماءها وصرت أبذل واحدة بعد واحدة وقد علمت أن هذا النا أكبر الفائدة وما فارقتهم حتى انى بذلت الجميع وصنعت بهم أبشع صنيع وقد علمت أنهم إذا أصبحوا لم يجدوا معهم فى الماء ما يبلون به رمق الفؤاد وقد سرت أجد السير فى الوهاد وقد قطعت فى المسير شيئا كثير لا يقطعه غيرى إذا جد فى المسير إلا فى يومين بلياليهما على الجمال ومداراة الحريم والعيال والرأى عندى يا ابن الأم أن تأخذ أصحابك وتوسع بهم فى ذلك البر وتلك الوديان وتكمنوا هناك فى ذلك المكان ولا تزالوا هنالك كامنين حتى تروهم إلى الماء متعاقبين فتخرج إليهم وكل واحد فى دهشته وتسوق الملك فى دهشته ويكون قد انقضى ذلك الشغل وفرغت نوبته قال فما أتم شيبوب ذلك الخطاب حتى قال الأمير شداد أن هذا الصواب والرأى الذى لا يعاب لأنهم إذا وصلوا إلى هذا المكان ما يبقى منهم إنسان يلتفت إلى إنسان ويصيرون كلهم يترامون على الماء وذلك من شدة العطش والظما اسيما ويكون قد اشتد الحر وأوهج عليهم البر قال الراوى فلما سمع عنتر ذلك الخبر فرح واستبشر وأيقن بالنصر والظفر الاكبر وقد أمر أن يأخذوا أهبتهم فتجهزوا من وقتهم وساعتهم وركبوا على صهوات خيولهم وتزودوا من الماء وذلك من خوف العطش والظما وكان ذلك وقت المسا وقلب عنتر على الملك الأسود وجماعته قد قسا وهو يقول لعلى وعسى وقد صار بهم شيبوب فى عرض الفلا إلى مكان يعلم أنه يخفيهم من الاعداء حتى أنزلهم فى عرض تلك البيداء ✽ هذا وقد أقاموا فى ذلك المكان وهم صابرون تحت مشيئة الرحيم الرحمن فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الأمر والشأن (وأما ما كان) من أمر الأسود أخى الملك النعمان فإنه قد سار باقى ليلته وجعل يجد السير هو وجميع رفقته فما نزل حتى تضاحى النهار وحميت الصخور والاحجار فاكل كثيراً من الزاد وكان من لحم وحوش الوهاد فعند ذلك لحقه العطش والظما فطلب من عبيده الماء فعند ذلك نظر بعضهم إلى بعض وقد تمنى كل واحد أن تبتلعه الأرض وما فيهم من تكلم بكلمة واحده ولا فتح فمه خوفا من تلك الأمور الزائدة فقال لهم الملك الأسود يا ويلكم ما حالكم وما الذى حل بكم ودهاكم ولأى شىء سكتم عن الكلام أخبرونى بذلك يا بنى اللئام فقالوا له والله يا ملك العرب ما أصبح قطرة من الماء فى الروايات والقرب والجميع مبذولات ناشفات وما فيها ما يبل اللهوات

(قال الراوى) فلما سمع الأسود هذا المقال قال لهم ياويلكم ومن فعل تلك الفعال فقالوا والله مامعنا علم بتلك الاحوال وحق الملك المتعال الذى خلق الإنسان من صلصال وقدر الارزاق والآجال فقال الملك الأسود وحق النور والنار مافعل بنا هذه الفعال إلا من أراد هلاكنا والدمار على أننا قد توسطنا فى ذلك البر الاقفر والمهمة الاغبر والماء من الجانبين بعيد وقد تعجبت والله من هذا الأمر البعيد فقال له شيخ من مشايخ بنى لخم وجذام وكان عارفا بأمور الليالى والأيام يا ملك الزمان مضى ما مضى واعلم أن الانسان لا يقدر أن يدفع القضا واعلم أنه ما بقى فى الرأى إلا أن تنفذ النجابة بنى أيدينا يملؤه الراويات من المهل ويعودوا بها على عجل والاهلكنا من العطش والظما وحل بنا الوبل والعمى وان لم تفعل تلك الفعال وإلا هلكنا وحل بنا الوبال وأنا أقول أن بعض عبيد بنى عبس قد عمل معنا العملة وقد أرادهلاكنا جملة مجازاة لما فعلنا معهم من الرأى وكما تعلم أنهم لنا أشد الأعداء إذا وصل الينا الماء فلا تسقى بنى عبس قطرة واحدة ودعهم تحل بهم المكيدة الزائدة حتى يعلموا أن مكرهم قد عاد عليهم وكيدهم رد اليهم وقد قال بعض من قال المكر السيء لا يحيق إلا بأهله والاذى راجع لمن اهتم بفعله واعلم أن اللات والعزى قد خذلتهم ونصرتنا عليهم وأذلتهم فعند ذلك قال الملك الاسود والله لقد صدقت فيما نطقت ولقد أصبت فى ذلك الرأى وحق ذمة العرب وإن لم نفعل ذلك والاحل بنا العطب ثم أن الملك الأسود بعد ذلك الكلام والاشارات عين ماتى نجاب بالقرب والمزارات وامرهم بقطع البرارى والفلوات وأن يملؤوها ويسرعوا بالرجعات فعند ذلك تقربوا بين يديه وامتثلوا ما قال لهم عليه وساروا من ساعتهم يجدون المسير فى ذلك البر والهجير والملك لاسود قد سار فى أثرهم وقد حل به الظمأ مثل ما حل بهم وعقله من رأسه قد غاب وما بقى يعرف الخطأ من الصواب وكان قد ملأ جوفه من لحم الوحش وقد بدا يمل معه الظمأ والعطش ومازال كذلك إلى أن أمسى المساء وقد صار يعلل نفسه بلعل وعسى وهو يظن أن الماء يصل اليه وتقربه مقل عينيه وذلك من شدة العطش ومن كثرة ما لحقه من الدهش وقد زاد على عسكره الحال وكل منهم أخذه الانذهال وما بقى أحد منهم يقدر على الحركة وقد حلت بهم النائبات المهلكة ونشفت حلوقهم من الظمأ وحل بهم العمى (قال الزاوى) فلما علم الاسود منهم ذلك الحال نزل بهم فى بعض الجبال وقد ظن أن الماء يصل اليه فى ذلك المكان وجعل يتعلل بذلك الشأن فما أتى اليه بشر ولا ظهر للنجابين بخبر فقال الملك الاسود أظن أن أصحابنا حصل لهم ضرر وقد حل بهم الويل والعبر والافاكانوا انقطعوا ذلك الانقطاع ولاسيما وهم يعلمون ما حل بنا من الاوجاع ومازالوا على ذلك الايضاح إلى أن انفجر الفجر وبان الصباح فصارت الفرسان تضرب الفرسخ والفرسخين حتى أنهم يغيبون عن نظر العين وترجع بعد ذلك خائبة

كانت له طالبة وقد أيقنوا بحلول كل نائبة وحلت بهم المصيبة الزائدة فقال الملك الأسود وقد قاسى كل هم وضير أظن والله أنه لم يجر على أصحابنا خير ولو كنا علمنا أنهم لا يقدرون في مثل تلك الآكام ينقطعون كنا قطعنا الوادى ليلا ولا صبرنا حتى أحاط بنا ذلك البلا (قال) ثم أنه قتل الناس وهيج ذلك الحر وقد تلهبت جنبات الفلاو البر وكادوا أن يأكل بعضهم البعض وضاق عليهم وسيع الأرض وذلك الطول والعرض ولمعت فى وجوههم الهضاب ولاح لهم لائح الويل والعذاب واشتد بالقوم الظمأ واشتاقت أرواحهم إلى شربة من الماء المبرد بالهوا وساروا وقد قل منهم الحيل والقوى وكانوا كلما قطعوا من الأرض ميل كثر منهم القال والقيل وهم يقولون الساعة تصل إلينا أصحابنا بالنجب والقرب ولم يعلموا بما جرى عليهم من الأمر والسبب (قال) فهذا ما جرى لهؤلاء من الأمر والشأن (وأما ما كان) من أصحابهم وما حل بهم من الهوان فإنهم لما وصلوا إلى الماء والغدير وجدوا عنده العذاب النكير وهو أبو الفوارس عنتر وقد نصب لهم حبال القضاء والقدر لأنه لما تركه أخوه شيبوب فى ذلك المكان الذى وصفناه واختفى هو ومن معه من الفرسان كما ذكرناه وقعد لهم شيبوب ديدبان يرتقب كل من يأتى من الوديان وما زال على ذلك الحال إلى أن تنصف الليل وقد غاب نجم سهيل وقد هم أن يهجع وإذا هو بالنجابة قد أقبلت وهم فى ذلك الحال الأشنع والجميع مقبلون من تلك البرارى المقفرة ولهم هدير وزمجرة فلما رأى شيبوب إلى تلك الاقوام وثب قائماً على الاقدام وقد طار من عينيه المنام ونفر عنه النعاس وأخذه القلق والوسواس فعند ذلك حبا على يديه ورجليه وهو يرقب إليهم بعينيه وما زال تابعا آثارهم حتى أنه قارب القوم وكشف أخبارهم فرآهم مقبلين من البر والسبسب وهم يتساقطون على الماء كتساقط القطا والطير على الحب فلما رآهم سابقوا إلى الغدير مثل الريح العاصف عاد إلى أخيه مثل البرق الخاطف وأعلمه بجلية الخبر فقام أبو الفوارس عنتر وقد قامت معه الرجال على الأثر وفى دون ساعة دارت الرجال بالغدير حتى ملؤا الأقطار وصاحوا بهم فى قتام الاعتكار فأول ما عمل شيبوب من الخبث والمكر أن ساق النجيب هو وعشرة فوارس واتسع بهم فى البر وقد كان أصحابهم لما وصلوا إلى الماء قلعوا ما كان عليهم من العدد والسلاح ثم أنهم وضعوها عند النجب فى تلك البطاح فلما سمع القوم صياح عنتر ومن معه من الرجال حل بهم الويل والانذهال فرجعوا إلا ناحية النجب ليأخذوا عددهم ويفتقدوا نجبهم فما وجدوها فحاروا فى أمورهم لما رأوا نفوسهم بلا عدد ولا سلاح وقد عمل فيهم الطعن من سائر النواح وكان كل من مانع عن نفسه قتلوه وكل من سلم إليهم نفسه قبضوه (قال الراوى) وما جاء وقت السحر حتى قبضوا على الأسرى وقتلوا الاكثر وقد قلعوا منهم الأثر وما تركوا منهم أحداً يخبر بخبر وقد أخذوا منهم ثلاثين أسير

وتركوا الباقين مطروحين على جانب الغدير ثم إنهم عادوا إلى موضعهم الذى كانوا فيه فرحين ومستبشرين وكان ذلك الوقت قد طلع الصباح وشرقت الشمس على الرباو البطاح فعند ذلك قدموا الأسرى بين يدى عنتر وهم بحالة الذل والضر وفسألهم عن الملك الأسود ومن معه وجميع عسكره الذى جمعه وقال لهم تركتموه فى أى الأماكن من البطاح فقالت له الاسارى غداة غد يكون هو ومن معه عندكم فى وقت الصباح أن جدوا فى مسيرهم والرواح وأن كانوا يتكلون علينا حتى نعود كلهم بالماء هلكوا جميعهم من العطش والظما فقال عنتر لاخيه شيبوب لما سمع ذلك المقال والله ما بنا إلا أصحابنا الذين فى الاسر والاعتقال ولاسيما النساء والاطفال يهلكون عطشا فى تلك الجبال (قال الراوى) فلما سمع شيبوب من أخيه عنتر ذلك المقال قال له يا ابن الأم لا يضيق صدرك من هذه الأحوال ولا تشغل بهذا الأمر سرك يا فارس الابطال فانا يا أخى قد انفتح لى باب من الابواب أقول أنه غاية الصواب وذلك أن جيش الأعداء إذا اشتد عليهم حر البيداء وحلت بهم الهموم الزائدة يشتغل كل واحد منهم عن صاحبه ولا يسأل عن رفقاه ولا عن حبائبه ويطلب كل أحد منهم أن يصل إلى الماء وذلك من شدة العطش والظما ويتفرقون جميعهم فى جنبات البيداء ولا يسأل أحد عن أحد أبدا ويشتغلون عن الاسارى والسبايا فآخذ أنا هذه القرب والروايا واحملها على ظهور هذه النجب والمطايا وأسير بها فى عرض البر الأقفر المهمة الاغبر ويكون معى خمسون فارسا غضنفر ولا أبين لاصحبنا ولا أظهر إلا أن رأيت جيش الملك الأسود قد تبدد فى البر الأقفر وسار وخلاهم من خلف ظهر وكل أحد منهم اشتغل بهمه وقهر لانى أعلم أنه إذا اشتد عليه العطش حل به وبمن معه الويل والدهش ولا يبقى عند الاسارى إلا العبيد ويكون الاسود ومن معه قد هلكوا فى الأرض والبيد فاذا رأيت أنا ذلك الحال أسير باصحابى فى آثارهم وفى بعض المكامن اخفيهم ثم أسير انا وادخل عليهم حتى يسيروا ونسير جميعا على آثارهم وأنظر من أنقطع من الصبى والعيال وبعد ذلك أفعل على قدر ما أرى من الحيل والمحال واسقى جميع بنى عبس من الماء الزلال ولابد أن أطلق كل من رأيته وأن قدرت على أمر فعلته وأن ظهر على أحد من الأعداء اطلقت عليهم الفرسان الذين معى فى البيداء وادعهم يهبرونهم بالسيوف والقواطع حتى لا يبقى منهم لا ناطق ولا سامع وإن أصبح ذلك لنا فقد بلغنا المنا ونصرنا على الاعداء (قال الراوى) فلما سمع عنتر من أخيه شيبوب ذلك المقال قال له وحق ذمة العرب الانجاب لقد أشرت يا أخى بالصواب ورأيك ما فيه شيء يعاب وإن كان الامر على هذا الحساب فخذ معك عروة بن الورد وخمسين من رجاله الانجاب لتكون فى أمرك مستريح وافعل إذا وصلت هذا الفعل المليح (قال) فعند ذلك دبر شيبوب أمره فى عاجل الحال وفعل ما به قد أشار على الرجال ثم أنه ملا الروايات والقرب

وخلها وسار هو ومن معه يعتسف ذلك البر والسبسب وقعد عنتر هو ومن معه من الفرسان فى انتظار من يقدم عليهم من عساكر الاسود أخى الملك النعمان (قال الراوى) هذا وشيبوب مازال سائرا بمن معه من الرجال إلى أن أتى عليه آخر النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار فبينما هو على ذلك الحال وإذا قد طلع عليه من صدر البر غبار قد ملأ جميع القفار ثم أنه انجلى وبان للابصار وقد ظهر من تحت مهارى تقطع الفلا والقفار على ظهورها الرجال تسير سيرا حثيثا إلى ناحية الماء الزلال وركابها على ظهورها لا تعتنى بأحد ولا تلتفت إلى أبيض ولا أسود ولا تنظر يمينا ولا شمالا مما قد جرى عليها من الوبال وذلك من شدة العطش والظما وما قد اعتراهم من الويل والعمى (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملك الاسود لما أرسل النجابة فى طلب الماء إلى ذلك البر والهضاب وغابوا ذلك الغياب قالوا والله لا بد أن أصحابنا قد وقعوا فى مصيبة وإلا فما كانوا غابوا هذه الغيبة وهم يعلمون أننا هالكون من العطش والظما وإلا يكونوا قد ضلوا عن الطريق وعدموا السعادة والتوفيق والصواب أننا ننجوا بأنفسنا وإن لم نفعل ذلك وإلا هلكنا على آخرنا ثم أنه من شدة ما قد جرى عليه من كثرة أحزانه قام وركب هو ومن معه من أخوانه وساروا طالبين مياه بنى الاجزم وقد تركوا باقى الناس مبددين فى البر والاكم قالوا ومازالوا سائرين وهم فى سيرهم مجدين إلى أن وصلوا إلى عراض شيبوب وقد كمن هو فى عطف من عطوف الدروب وماء الساكب رموا أرواحهم عليه من كل جانب وقد تساقطوا عليه من شدة ما قاسوا من ذلك أحد منهم قطن به ومازالوا يجدون المسير إلى أن وصلوا إلى الغدير فلما أن رأوا ذلك الماء البلا فوجدوا جميع أصحابهم ملقحين على جنباته قتلى فحاروا عند ذلك فى أمورهم وتحيروا فى نفوسهم وخافوا من ذلك وانذهلوا وعدلوا على أن يشربوا ويرحلوا ويوسعوا فى البرارى والجبال خوفا على أنفسهم من الوبال الذى جرى على أصحابهم الاقيال ثم انهم جعلوا يتساقطون على الماء كأنهم الغربان وذلك مما حل بهم من الهوان قال فما لحق القوم أن يشربوا من هذا المباح حتى أدركهم عنتر ورفقته فى تلك البطاح وجعلوا يطعنونه فيهم بأعقاب الرماح وقد أدركهم الهم والاتراح وما أظلم عليهم الظلام حتى أهلك عنتر منهم ثلاثين فارسا همام وأسر سبعين أسير وقد قادهم فى حبال الذل والتكدير وفى جملتهم الملك الاسود أخو الملك النعمان وباقيهم كانوا خواص الفرسان لان عنتر لما نظر الاسود انقض عليه انقضاض الباشق على أفرخ الحمام وقد أخذه أسير وقاده ذليلا حقير وكتفه وسلمه إلى أخيه جرير فأخذه منه وساقه بين يديه فى المهاد وسلمه إلى الامير شداد بن قراد فعند ذلك أقرنه بحمل بن بدر وعادوا وهم فى فرح بالنصر والظفر (قال الراوى) وقد راق المكان من الحرب والقتال بعد ما أخذوا السبعين فارسا والاسود المفضال وقد وضعوا

جميع الأسارى فى القيود والاغلال والباشيات الثقال وقد أخذوا لهم راحة فى تلك الآكام وهم منتظرون بقية الاقوام فبينما هم على ذلك الحال وإذا بالجيش قد تتابع تتابع السيل السيال وكان أكثرهم راكبا على الجمال لان الخيل قد وقع أكثرها فى الفلاه من شدة العطش والظما فلما أن وصلوا إلى الغدير تراموا عليه كأنهم موتى لانهم ماوصلوا إلى الماء وفيهم رمق وذلك من شدة القلق فنزل عليهم عنتر وأصحابه نزول السيل وأبلوهم بالذل والويل وقد صاروا يضربون بالسيوف فى أعناق الرجال ويطعنون بالرماح فى صدور الافيال ويضربون مقادم الخيل والجمال هذا وقد صار الرجال يتساقطون على الرمال والفرسان تقع فلا تقوم والرجال فى الدماء تعوم وقد صار الانسان لايهوش ولا ينوش وصارت جثثهم رزقا للطير والوحوش وقد غابوا جميعهم عن الوجود من تلك الاحوال وما بقى أحد يعرف يمينه من الشمال وكانت تلك الليلة كثيرة الاهوال (قال) وما زال السيف يعمل والدماء تبذل والرجال تقتل وهم على ذلك الايضاح إلى أن أمضى الليل وقارب الصباح وقد كلت مناكب الرجال من كثرة ضرب الصفاح هذا وقد علم بنو لخم أن الماء قد ملك ورأوا غيرهم قد ملك فقاتلوا قتال من استقل واشتد الطعن بالاسل وهذا وقد كثر على بنى عبس العدد وتزايد المدد ولكنهم أظهروا الجلد وأخفوا الكمد وما زالوا كذلك إلى أن طلع الفجر الأول وما بقى فى القوم من يحس قولا ولا عمل من شدة ما حل بهم من الوجل ولما كان عند الصباح أشرقت عليهم غبائر من قبل الاعداء وقد زاد منهم الصياح وهم ينادون يا لعبس يا لعدنان أبشروا يا لئام بالويل وشرب كاس الحمام وصاروا يضجون بالفرح والاستبشار بخلاصهم من الاعتقال باطلاقهم من الوثاق والاضرار (قال الراوى) وكان خلاصهم من الكروب على يد القيم شيبوب لأنه لما سار الملك الاسود ومن معه من الطوائف وكان شيبوب سائرا بالماء فى عرض البر كما قدمنا وما زال والحتى عبر جيش بنى لخم من ورائهم وهم متتابعون إلى وادى الرخم طالبون وقد تركوا السبايا من ورائهم ما فيهم من التفت بعد رواح الملك الاسود بل طلب كل واحد لنفسه النجاة وأوسعوا فى ذلك البر والفلاه وذلك من شدة الحر الهجير وقد حل بهم العطش والتدمير فعند ذلك وصل شيبوب إلى بنى عبس والكل موثوقون بالكتاف وقد أشرفوا على التلاف فخلصهم شيبوب من الحال وأعلمهم بما جرى من الاحوال وقد سبى النسوان والبنات وجميع الرجال والسادات وكذلك الملك زهير وأولاده الجميع وأعلمهم بما فعل أخوه عنتر بالاعداء من الامر الشنيع قال فلما سمع الملك زهير من شيبوب ذلك الكلام اخذه الضحك والابتسام وتعجب من هذه الامور والاحكام وقال والله أنه من يوم ولد وهو رجل مسعود من الواحد العلام وكل من عاداه خرب بيته وزادت به الآلام هذا وقد فرحت بنو عبس بالخلاص وقد ضجوا الجميع لعنتر بالدعاء

والابتهال وقالوا والله مالابن عمنا مثيل فى جميع الأحوال فقال صديقه مالك بن الملك زهير والله إن ابن عمنا عنتر ماله مثيل ولا يفرط فى هذا الرجل عاقل ولا نبيل ولا من هو فضيل (قال) ثم إنه بعد ذلك الكلام والمقال صاح الملك زهير على بنى عبس الاقيال وقال لهم ياويلكم اركبوا من هذه الخيول الشاردة وخذوا من هذه العدد التى على هذه الجمال واطلبوا معونة من أحيا كم بعد الممات وصان حريمكم والبنات فعند ذلك تصايحت جميع الرجال وقد فعلوا ما أمرهم به الملك زهير الريبال وقد سمعوا منه ذلك المقال وكانوا أوفى من ألفين من الأبطال واشتدوا جميعهم بالعدد ولبسوا الخوذ والزرد وركبوا من تلك الخيول الحسان وصاروا يركضون فى ذلك الوديان ومازالوا على ذلك الحال إلى أن ولى الليل وأقبل النهار بالابتهال وأشرفوا على مكان المعمعة والقتال كما قدمنا فى المقال وقد نظروا إلى عنتر وجميع الفرسان وقد دارت بهم الاعداء من كل جانب ومكان فحملوا على الاعداء حملة الحنق وقد طعنوا فيهم طعن واشتد به الغيظ والحرق ففاض الدم وانهرق وزاد البلاء واندفق وسال من الرجال العرق والجرح من شدة المحال انمزق وكان الشجاع فيهم من رقص بالجواد ومرق ومن شدة عسفه فى الربا والبر احترق وما بقى من التعب رمق (قال) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل حتى ما بقى من الاعداء إلا من خلى القتال وولى وقد أخذوا بعض من بقى أسرى وتركوا الباقين على الأرض قتلى ملقحين على التراب فى الفلا لان القوم كانوا عشرين ألف فارس أسر منهم سبعة آلاف وقتل مثلهم وتلقحوا على الاحقاف والباقون هجوا على وجوههم فى الفلا وهم لا يصدقون بالنجاه (قال) ولما أن طلع النهار وأشرقت الشمس والانوار التقى عنتر ببنى عمه المشاهير وهم بنو عبس والملك زهير هذا والامير عنتر لما رأى الملك زهير ترجل له من على جواده الأبجر وكذلك فعل الملك زهير وقد تعانقا من شدة الفرح والتلاق وتباكيا من ألم الفراق وبعد ذلك ركب الملك زهير ومسك عنتر له الركاب وقد عضده لما ركب وباس رجله فى الركاب فأراد الملك زهير أن يترجل على الرمال ويقبله فأقسم عليه عنتر لا يفعل هذه الفعال وقال له يامولاى يعز على ما جرى عليكم من الاسر والاعتقال والذى قد جرى من عساكر العراق الانذال فقبل الملك زهير رأسه وبين عينيه وشكره وأثنى عليه وقال له والله ياأبا الفوارس ويازين المجالس إننا قد فعلنا معك القبيح وأبعدناك فى البر الفسيح وبعد بعدك عنا قد جوزينا على ما فعلنا وما عرفنا قدرك إلا لما فقدناك فلله درك ودر أبيك وقومك وأقربائك (قال الراوى) وبعد ذلك صفت القلوب من جميع بنى عبس الاجواد على فارسهم وحاميهم عنتر ابن شداد هذا وقد جمعت بنو عبس القتلى وسيوفهم وخيولهم وعددهم ورحالهم ونزلوا فى ذلك المكان لطلب الراحة ومحادثة الإخوان وهم فرحون بالنصر والظفر على أعدائهم أهل

الطغيان (قال) وماز الوا فى لعب وانشراح إلى أن أصبح الله بالصباح ووصل إليهم شيبوب بالحريم وقد فرح بذلك النصر العظيم وأقاموا ذلك اليوم كله على ذلك الغدير وهم مستبشرون بما حصل لهم من ذلك الخير الكثير هذا والنساء قد أتت إلى عنتر وصرن يقبلن يديه ويشكرونه ويثنين عليه (قال) وماز الوا على ذلك الحال وهم فى فرح وابتهال إلى أن ولى الليل وأضاء النهار وأشرقت الشمس بنورها المتلالى ورحلوا طالبين الأهل والعيال الذين تركوهم فى جبال الردم ووادى الرمال هذا وعنتر بجانب الملك زهير وأولاده وهو يؤانس ويداده ويعلمهم بما جرى له مع بنى شيبان وبنى زياد والربيع القرنان وأخيه عمارة الكشحان وما فعلوا فى حقه من العناد وكيف أوقعهم فى سوء بغيهم رب العباد (قال) وكانوا قد شدوا الاسارى على خيولهم بالعرض ولم يدروا إن كانوا فى سماء أوفى أرض هذا والملك زهير لا يشبع من حديث أبى الفوارس عنتر مدة كونهم سائرين فى البر الاقفر وقد صار ينظر إلى الملك الأسود وإلى حمل بن بدر وهما فى جملة الأسرى وقد صاروا يرقون للملك زهير خوفا من عنتر أن يبطش بهم وهو لا يلتفت إليهم ولا يعتنى ويعرض بهم عنهم ويريهم أنهم لا قيمة لهم ولا مقدار ولا يعاتبهم على ما فعلوا معه من ذلك الأضرار (قال) وماز الوا سائرين على مثل هذا الحال والملك زهير يقول للامير عنتر الفارس الريبال إعلم أنه ما بقى لنا أحد نعتمد عليه من سائر العربان لأنه قد صار لنا أعداء مثل بنى فزارة وبنى مرة وشيبان وما بقى الملك النعمان يقعد عن عداوتنا لأجل ما فعلناه فى أخيه وفى عسكره من ذلك الأمر والشأن قال الراوى فلما سمع عنتر من الملك زهير ذلك المقال تبسم ضاحكا ثم قال طب نفسا وقر عينا من هذه الفعال فوحق ذمة العرب الكرام لو أتى كل من فى الارض من ترك وعرب وأعجام ما عاد يصل إليك منهم هم ولا غم مدى الايام ولا بد أن أترك النعمان فى أسرك والملك كسرى يرتعد من ذكرك قال وماز الوا فى قيل وقال وهم يتحدثون فى مثل تلك الاحوال إلى أن أشرفوا على الجبال التى تركوا فيها العيال والخيل والجمال وإذا بمكانهم خالى الجنبات موحش العرصات ليس فيه ديار ولا نافخ نار وما بقى إلا مسكنا للبوم والغربان وقد انذهلت من رؤيته جميع الفرسان وأما الأمير عنتر فانه قد تحير مما شاهد وأبصر وكذلك جميع من معه من الاصحاب انذهلوا على فقد من لهم من الاحباب هذا وشيبوب قد نظره وهو يتعجب من ذلك الحال وإذا هو ببشارة بن منيع مصلوب على بعض قرون الجبال والطير حائم عليه وقد أكلت الحدأة من عينيه فعند ذلك صرخ شيبوب من شدة ما جرى من الحزن عليه ثم أنه زعق واحرباه عليك يا بشاره يا بن منيع والله اشتفت الاعداء منك وحزن عليك أهلنا والجميع ثم أنه دق بيده على صدره وقد أنقصم من ذلك الامر فقر ظهره فلما أن سمع عنتر منه ذلك المقال قال له ويلك يا مالك يا أخى تفعل هذه الفعال فقال له

أنظر يا أخى إلى بشارة بن منيع ها هو مصلوب على الجبال فنظر عنتر بعينه فوجده على ذلك الحال وهو معلق فى الجبال فتأسف عليه وقال والله لا بد أن أفعل مع من فعل به هذه الفعلة مثل ذلك الحال ثم إنه بكى من شدة البلبال وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

رأت عينى لوادى الرمل خالى ... فاجريت المدامع كاللالى
وقفت به أسائل عن فتاة ... وعن أترابها ذات الجمال
وكيف يجيبنى قفر محل ... خراب ليس يعقل ما سؤالى
إذا صاح الغراب به شجانى ... وأجرى أدمعى سحبا عوالى
غراب البين مالك كل يوم ... ينادى عن يمين مع شمال
وتخبرنى بأصناف الرزايا ... وبالهجران من بعد الوصال
كأنى قد ذبحت بحد سيفى ... فراخك أو نصبت لهم حبالى
بحق أبيك داوى جرح قلبى ... وأطفىء نار سرى بالمقال
وأخبرنى عبيلة أين حلت ... وما فعلت بها أيدى الرجال
فقلبى هائم فى كل أرض ... يقبل أثر اخفاف الجمال
وجسمى فى جبال الردم ملقى ... خيالا يرتجى طيف الخيال
وفى الوادى على الأغصان طير ... ينوح ونوحه فى الجو عالى
فقال إذاً وقد بدى نحيبا ... دع الشكوى فمالك مثل حالى
أنا دمعى يفيض وانت باكى ... بلا دمع فذا كبكا محال
لحا الله الفراق ولا رعاه ... فكم قد شك قلبى بالنبال
أقاتل كل جبار عنيد ... ويقتلنى الفراق بلا محال
وصلى الله ربى كل وقت ... على المختار صفوة ذى الجلال

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات تباكت جميع الأمراء والسادات ولم يعلموا من فعل فى حقهم هذه الفعال ولا من تجرأ على مثل هذه الأشغال وقد قلق عنتر وأخذه الاندهال من هذه الأمور والأحوال قال الأصمعى وكان السبب فى ذلك الأضرار أنه لما غاب عنتر وترك الحريم والأولاد فى الجبال ما حسب حساب الأشرار وكان ترك عمه مالكا أبا عبلة الغدر وترك معه عشرين فارسا من بنى عبس وهم خيار العشيرة لأجل أن يحافظوا المال والعيال وسار بعد ذلك وقد أوصاه على الأسراء والأطفال ففى يوم من بعض الأيام دخل مالك أبا عبلة على الأسارى ليطلع عليهم ويوبخهم بالكلام ويعاتب مفرج بن هلال هو والربيع بن الانذال ويطالبهم بما كان على عبلة من المال فقال له الربيع ويلك يا مالك أتستحى من هذا المقال وأنت تعلم ما أنت فيه من الذل والعار لاجل متابعتكم

لهذا الأسود الغدار وأنت مع ذلك تطلب الحماية بسيفه وأنتم تعلمون أن أهل الأرض كلهم صاروا أعدائه ويلك يا مالك هل أنت عدمت عقلك حتى تظن أن ذلك العبد يسلم من المهالك والعدم فهذا شيء لا يكون ولا يجري بين الأمم أتريدون بني قراد وأنتم في مائتين فارس أن تقاوموا العرب والعجم وهذا شيء ما يفعله إلا من عقله قد عدم ويلك يا ابن العم أنت تريد أن تزوج ابنتك لمن كان بالأمس راعي جمالك وخادم بغالك وحق ذمة العرب ما بقي عنتر يرجع من قتال الملك الأسود ويلك يا مالك دع عنك هذا المقال وهذه الفعال واغتنم الفرصة من قبل أن يحل بكم الوبال قال الراوي ويكون على علمك يا أمير عمرو أن عنترا في هذه النوبة ما بقي يرجع ولو عضدته جميع الأمم عن قتال الأسود وسوف تنظر ما تجد ويلك يا عمرو ودع أخاك الأمير مالك يغتنم الفرصة وإلا هلكتم كلكم وشربتم من الموت أعظم غصة وتسبى حريمك ومالكم وعيالكم ويحل بكم دماركم وفناكم وتلقوا مثلا بين الأمم وما بقي أحد من الأسارى إلا وتكلم وما زال الربيع يترجم حتى أخذت عمرو الحمية مع ما كان في قلبه من بغضة عنتر فقال وكيف يكون العمل يا ربيع فقال له بادر إلى مفرج بن هلال وأنا آخذ لكم منه الذمام والأمان على أموالكم وعيالكم والنسوان ونتفق كلنا ونسير إلى الملك النعمان ولا نزال عنده حتى يصل أخوه الملك الأسود وننظر ما يجري ويتجدد ومن الملك زهير وما حل به من الأسر والضير فإن كان الملك الأسود قد ظفر به وأسره توسطنا مع الملك بنوبته وزوجناه بالمتجردة ابنته ويبطل بينهم الارتياب ونزوج عبلة بعمارة الوهاب ونعود كلنا إلى أهلنا وتلتقي الاحباب بالاحباب ونسكون قد نلنا الفخر بمصاهرة الملك النعمان لأنه إذا صار لنا معه عقلة ونسب تهابنا بمصاهرته العرب فلما أن تكلم الربيع بهذا المقال قال له عمرو يا ربيع اريدك أن تصفح عما ابديته من المقال فإن ظفر عنتر بالملك الأسود وسلم واتى إلى هنا وعلم بما جرى وتجدد فإنه يقطع آثارنا إلى الأبد ولا يدع منا احد يلتفت إلى أحد فقال له عمارة وهو فيما هو فيه من ذلة الأسر والشدائد ويلك يا عمرو وما هذا إلا جنون زائد ايسير عنتر بمائة وخمسين فارسا غير أعيان ويريدون أنه يلقوا عشرين ألف عنان ومعهم مثل الملك الأسود وعليهم هيبة أخيه النعمان وحق اللات والعزى أن هذا شيء قط ما جرى في الأزمان ولا يسمع بمثله إنسان في سائر البلدان وإن كان في أجله تأخير فما ينفلت اكثر من أربع فوارس مداميرو يبقى الزمن مهججا في القيعان ولا يأويه أحد من العربان ويعود علينا ويسألنا أن نسأل فيه الملك النعمان حتى أننا نعيده إلى الأوطان ويبقى أذل مما كان فاترك عنك يا عمرو هذا الفزع وعدم التدبير واقبل من رأي أخي الربيع ما به عليك يشير فلما تكلم عمارة الصقيع بهذا المقال قال مفرج بن هلال وأنا الآخر اشهدا علي يا من هنا من الرجال انكم إن فعلتم ذلك رددنا عليكم ما أخذناه من

عبلة من المال و نكون لكم عدة ما بقيت الليال فلما سمع عمرو منهم ذلك المقال انطلى عليه ما زخرفوه من المحال فعاد إلى أبيه مالك و أخبره بتلك الأقوال فخاف على ذلك الأمر قلبه و زاد فزعه و رعبه و قال لولده يا ولدى لقد حسب الربيع حساباً فيه أنواع كثيرة من الصواب و لكنى يا ولدى أخشى العواقب لأنى قط ما خنت عنتر بن شداد إلا و أصابنى أنواع المصائب و أرجع أستغيث به حتى يخلصنى مما أقع فيه من النوائب فقال له ولده عمرو والله يا أبتاه أن ما قلته كذلك إلا فى هذه النوبة فإنك وحق اللات و العزى ما بقيت أبداً تراه إلا أن يكون هارباً مشتتاً فى الفلاه فدعنا يا أبتاه نبادر إلى هذا الأمر الذى ساقه القضا و نجعل لنا عند الملك النعمان اليد البيضا قبل أن نلقاه و نبقى نطلب رضاه و هو لا يرضى و إن لم تقبل منى هذا الأمر السديد نجوت بنفسى و ادعك تفعل بنفسك ما تريد فقال له أبوه أصبر على يا ولدى حتى أحكم التدبير و لا أفعل فعلا أنا به غير خبير فقال له ولده يا أبت ذلك إليك فما أنا مساعدك فيما تقر به مقل عينيك فقال له يا ولدى إذا دخل الليل و طلع نجم سهيل و دنا ما نؤمله من الأوصاف فادخل أنت إلى القوم و حلهم من الكتاف و سلم إليهم العدد و دعهم يجيئون و يسوقون كل ما هنا من المال و نكون نحن معهم فى الاعتقال حتى نصل إلى النعمان و نعلمه بما قد دبرنا من الاحتيال فإذا سمع ذلك فهو يطلقنا و يجود علينا بالأفضال و نكون نحن بهذه الفعلة بلغنا المراد و امنا من عتب عنتر بن شداد أن هو سلم من هذه الرزية و عاد لأنى أعلم أن نسوان أبيه و أعمامه يحدثنه بما يتم و يجرى من العمل إن هو عاد و كان له تأخير الأجل فقال له ولده عمرو و هذا هو الصواب و قد أتيت بأمر لا يعاب قال الراوى ثم أن عمرو صبر مثل ما أمره أبوه حتى أظلم الظلام و دخل إلى القوم و أطلقهم مما هم فيه من الشد و العذاب و أخبرهم بما دبر أبوه فرآه الفرسان من الصواب ثم أنه سلم إليهم السيوف الصقال و قد ذكرنا فيما تقدم أنهم كلهم أبطال و قد سمعتم ما قاسى عنتر منهم من الأهوال حتى أنه أخذهم و انزلهم فى القتال ثم أنهم لما ملكوا فى أيديهم العدد ثاروا و كل واحد منهم ما يصدق بخلاصه مما كان فيه من العذاب و كان مالك بن قراد يأخذ العشرين فارسا الذين أمره عليهم عنتر قبل الرواح و يبيت بهم فى فم المضيق و يحفظ المكان إلى الصباح و كان فى تلك الليلة قد أعلم من يعز عليه بما دبره من ذلك الإيراد و أوصاهم أن لا يقاتلوا إن كله ذلك كيادا لعنتر بن شداد و لما خرج مفرج بن هلال خرجت معه من فم الوادى الأبطال فقتلوا من قاتل من أجناد عروة و غيرهم من الرجال و قد قبضوا على مالك أبى عبلة و ولده عمرو و أصحابه كما وقع الاتفاق و المقال و ما أصبح الصباح إلا و القوم مالكون الوادى بما فيه و قد تحكموا فى أطرافه و نواحيه ثم أن مفرجا لما قتل الرجال الذين كانوا مستخفين فى الوادى و الرمال و ما كان له شغل إلا قتل بشارة بن منيع و صلبه على قرن الجبال و ذلك مما كان له فى قلبه الدحال و فى الحال استخلص مفرج من كان له من العيال

وكذلك نحو نيم بنى شيبان وأخذها كان هناك لبنى عبس من النسوان وأهان عبلة غاية الهوان وكان فعل كل هذا المكياد مما فى قلبه من عنتر بن شداد ثم بعد ذلك ساق أمواله وأموال أعداه وسار طالباً ديار النعمان وهو لا يصدق بالنجاة وانهم لما استقاموا على طريق بقى عمارة بن زياد يدور حول عبلة ويسليها كلما رأى نحيبها وبكاها وصار يكرمها كلما نظر مفرجا بينهما ويحل بها الأذلال ويعدها بخلاصها وخلاص قومها من الاعتقال وهى لا تلتفت إليه ولا تعول عليه ولما كان من الغد ضحوة النهار طلع من بين أيديهم غبار وارتفع وتزوبع وثار وزاد الظلام والقتار فتبادروا نحوه ليكشفوا ما تحته من الاخبار فبعد برهة انكشف ذلك المراد وبان من تحته جيش كبير زائد المدد والعدد وهو يموج بالحديد والزرد النضيد وقدام الخيل فارس مثل الأسد وهو عظيم الهيكل طويل القد كأنه برج مشيد وهو غارق فى ثياب الزرد وركائبه يخط فى الأرض من طول فخذيه والشجاعة تشهد له لا عليه فلما بان ذلك الفارس وتحقق الحال تغيرت أحوال المفرج بن هلال فعند ذلك نادى كل أعلى بالمقال وقال واحرباه يا وجوه العرب هذا والله معديكرب فارس الخيل والجلاد وأن الفرار من بين يديه خير من الاسر والاضرار لأنه فى هذا الجيش الكبير ونحن فى قلة وإن قابلنا حل بنا الوبال والتدمير ثم أن مفرج بن هلال أطلق لجواده العنان والتفت إلى ابن عمه سنان وقال له اتبعنى يا ابن العم واترك المال والعيال فإنه يخلصهم النعمان من قتال فعند ذلك تبعه مالك بن حسان وسنان بن العزى والربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد وهو يقول لأخيه الربيع ويكلم بكلام شنيع ويلك يا أخى تهرب وتخلى عبلة بعد ما حصلت فى أيدينا وترضى لنا بالعار ولا نقاتل قدامها ساعة من النهار فقال له الربيع ويلك يا مذلول الشارب أطلب لنفسك النجاة وإلا تموت موت الفجاة فإنما هى ارمتان فى هذه المحنة وأحلت بنا هذه النكبة فاهرب والا قتلت قتل الكلاب وحل بك الذل والانتكاب لان هذا معديكرب الزبيدى وله عند عنتر ثار من عهد خالد بن محارب لما سبى بنت عمه الجيداء وأى من وقع بيده مناذبحه ذبح الجديان فعند ذلك هرب عمارة وتبعه وقلبه متلهب على عبلة بالنار هذا ما جرى لمفرج بن هلال والربيع وعمارة (وأما كان) من ظالم بن الحارث الذى كان أتى نجدة لبنى فزارة فإنه لما رأى فعال هؤلاء القوم وهروبهم من بين يديه تعجب وقال أبلا كم الله بالعطب بين العرب لانكم لا تحمون الحريم ولا تدفعون الغريم ثم أنه ظالما بعد كلامه فارقهم وطلب دياره وكان ذلك الفارس الذى هرب وامنه ولم يقدروا على أذية يوصلوها إليه فارسا جبارا يعادل بقامته عاليات الاشجار وإذا وقف فى الحرب يظهر على خصمه غاية الاظهار وثبات الشجاعة عنده إذا تعطف وإذا ضم فخذيه على الجواد الجارى وقف وإذا لطم خصمه أسقاه كأس التلف وإذا لكم جنب الجاموس انخسف وما تحته

العرب معد يكرب إلا لطول قامته وعظم هامته لأنه كان إذا ركب الجواد العالى يخط فى الأرض بقدميه (قال الراوى) وما كان له همة إلا ركوب الخيل العالية العتاق والطعن بالرماح الرقاق وضرب الأعناق بالسيوف الرقاق وكان يكبس على الحلل والقبائل ويقطع الطرقات على القوافل وليس لملك عليه وسيلة ولا لبطل عليه حيلة لأنه شتت القبائل وأخذ عشرها ومراعيها وقد حملت إليه الأموال من سائر البلاد (قال) ومما نقلته الرواة من الاخبار أنه ما خرج فى هذا الجيش الجرار وسار فى هذه الاقطار إلا فى طلب عنتر ليأخذ منه بالثار لما سمع أنه نازل فى جبال الردم ووادى الرمال وتلك السباسب ليأخذ منه ثار خالد ابن محارب الذى قتله عنتر واحل به النوائب لما ذكر له عمه مالك الجيداء بنت زاهر وقد ذكرنا لكم هذا الكلام أيها السادة الكرام لأن الجيداء لما تخلصت عادت إلى ديارها وواظبت الأحزان ليلها ونهارها وبقيت تندب ابن عمها خالد وترثيه بالأشعار ولما حل بها من تلك المصائب (قال الراوى) وقد وصفنا فيما تقدم ما فى الجيداء من الفصاحة والقوة والبراعة وقد ذكرنا أن عنترا ما قدر عليها لما مضى إليها فى تلك البلاد إلا بعد جهد جهيد وأمر قوى شديد وكانت الجيداء من شدة نيرانها قد لبست السواد وضربت لها بيتا من الشعر على قارعة الطريق وواظبت البكا والتعداد وقد اقلقت ببكائها من كان بعيداً عنها أو جارها (قال الراوى) وكان معديكرب إذا جلس على الشراب من كثرة صراخها والانتحاب يأخذه عجاب فينفذ إليها ويعاتبها على ذلك الأمر المهول ويقول لها أما أن لهذا الحزن أن يزول فتقول له الجيداء لا وحق من لا يزول ولا يحول لا يزال حزنى يطول إلا أن الحق بابن عمى المقتول فيقول لها معد يكرب والله أنها أقبح القبائح والانكاد كيف يسير مثلى إلى قتال عبد من عبيد بنى قراد واجعل دمه عديل دم خالد بن محارب ويحل بنا العار فى المشارق والمغارب وحق اللات والعزى أنى إذا قتلت عوضا عن خالد بن محارب الملك زهير بن جذيمة كنت أنا الخاسر فى هذه الغنيمة (قال الراوى) ثم أن معديكرب اتفق معها على ذلك الوداد وجعل العيون والارصاد على عنتر بن شداد وبنى قراد وسار يأخذ أخبارهم وعول على ذلك الشأن حتى يسمع بحديث عنتر وما فعل مع بنى شيبان وقد بلغه أنه نازل فى جبال الردم غضبان (قال الراوى) فلما تحقق ذلك الخبر دعا الجيداء بين يديه وإذا هى من لبس السوداء كالغراب الأسحم وقد اسقمها البكاء والانتحاب وقد حلت بها النقم فقال لها يا بنت العم البشرى بقتل عنتر بن شداد وسائر بنى قراد وسبى حريمهم والأولاد فقالت له الجيداء والله يا ابن العم ما أرضى بهذا ولا اقنع إلا أن أرى ديار بنى عبس خرابا ولكن إذا شربت دم عنتر وشفيت غليل قلبى والفؤاد وانقضت أثار قلبى من الذياد فاخبرنى أى شىء

الذى جرى من الامور لا كون على قاتل بعلى كالاسد النيور فعند ذلك أخبرها بما وصل إليه من خبر عنتر وقال لها أنه والله ياجيداء قد قاوم النعمان وكسرت طائفة بنى شيبان وقد فعل هذا كله وهو فى غائق فارس من أبدال العربان فقالت له الجيداء يا ابن العم دع عنك الاغترار ولا تحتقر لا بالعبد ولا بالاحرار لان السعادة إذا نزلت من السماء تركت أقل العبيد محكما فأقبل منى وبادر هذه القصة واغتنم من عنتر هذه الفرصة ودعنا نأخذ منهم بالثار ونكشف عن قلوبنا هذا العار قبل أن يسبقنا إلى هلاكه الملك النعمان ونبقى نحن علينا العار ما بقى الوقت والزمان (قال الراوى) فلما سمع معد يكرب من الجيداء هذا المقال لما أمكنه المخالفة فى حال من الاحوال فعند ذلك أمر بنى زبيد بالاستعداد ولبس الحديد وركوب الخيل الجياد والمهار الشداد واختار منهم خمسة آلاف من الفوارس الاجواد وقد عول وعزم على المسير من يومه إلى جبال الردم هو ومن قد صحبه من قومه الفرسان الابطال وقال للجيداء أقيمى أنت هاهنا حتى أسير أنا إلى بنى عبس أقطع منهم الاكباد والنفس وآتيك بعنتر بن شداد وأبلغك غاية المراد فقالت له الجيداء وحق اللات والعزى لاسرت إلا بنفسى حتى أننى أقابلهم على فعالهم ولا بدلى أن أسقى سنانى دمائهم وأذبح شيوخهم وشبابهم وفتيانهم واسبى نسوانهم وأسوق عبيدهم وإماءهم وأنهب نوقهم وجمالهم ثم أنها لما فرغت من ذلك التهديد خلعت عنها لباس السواد ولبست عدة الجلاد وسارت فى أوائل الخيل وهى مقروحة الفؤاد من عنتر بن شداد ثم أنها انشدت تقول صلوا على طه الرسول :

فنى عمرى وحزنى غير فانى ... وقل تجلدى ووهى جنانى
وفيض الدمع قرح جفن عينى ... ونوحى بعد خالد قد جفانى
فوا أسفا على من كان يحمى ... حمانى بالحسام الهندوانى
دهانا فيه عبد بنى قراد ... وساعده القضا والموت دانى
ولو أن صرف الدهر غدرا ... لما أعطى الفخار بنو الزمانى
أثيروا يابنى الأعمام حربا ... على أطلال عبس والمغانى
وسوقوا من نساهم كل عذرا ... بأطراف القنا سوق الهوان
فما يطفى لهيبى غير طعن ... يثير عجاج ذى الحرب العوان
وضرب من ضيا البيض القوانى ... يعض له الشجاع مع البنان

(قال الناقل) لهذا المقال بعد الصلاة والسلام على من سلمت عليه الغزال وبعد ذلك سارت بنو زبيد وقد قويت عزيمتهم على لقاء بنى عبس بالأبيات وما زالوا يقطعون القفار فى البر والفلوات حتى قاربوا وادى الرمل وتلك الربوات والتقوا بجيش مفرج بن هلال وهو

سائر بالحريم والأموال وهو فرحان بالخلاص من الاعتقال هو ومن معه من الرجال وهرب كما ذكرنا من بنى زبيد فارسها عمرو بن يكرب وطلب النجاة وكذلك أصحابه ورفقاه وقد دار بنو زبيد بالمال وقد فرحوا بوقوع هيبته فقال معد يكرب للجيداء انظرى يا بنت العم إلى هؤلاء الابطال وما حل بهم من الهوب والانفلال ولكن الذئب إذا شم رائحة الأسد الريبال يجرى على وجه ويطلب البرارى الخوال وإن هذا يا بنت العم مال فيه تعب وهو أول بلوغ الأرب ثم أن معديكرب نظر إلى مالك وولده عمرو وجماعة من بنى قراد وهم مشددون على الخيول فى الرباط الشداد فتأملهم معديكرب فعرفهم فعندها صاح وصرخ من شدة الفرح ونادى يا لعرب يا بنى عمى ما أسعدهم من طريق ثم سألهم عن حالهم وما حل بهم وما نالهم وقال لهم يا ويلكم كيف وقعتم فى يد مفرج بن هلال ونحن قد وصل إلينا الخبر أنه عند عبدكم عنتر فى الاعتقال وأنه قد كسر بنى شيبان وقد احتوى على أموالهم وأولادهم والنسوان ونحن نرى مفرجا سائر الجميع وما نرى القصة إلا علمت علينا وما رأينا أحداً من رجالكم غير أولاد زياد وهم عبارة الربيع الكياد وهذه قصة عجيبة وما وقعنا لها على باطن وهذا أمر ما يمكن فيه تهاون (قال الراوى) فلما تكلم معديكرب بهذا الكلام قال له مالك والله يا فتى ما كنا إلا عزاز كرام وكل هذه المصائب والأهوال كنا نحن السبب فيها وفى أصولها وتلك الفعال ولكن تركنا الحق واتبعنا المحال وحق الملك المتعال أننا ما كنا إلا أعز الخلق والرجال ثم أنه حدث معديكرب بحديث عنتر وفعاله معهم وما كان من أمرهم وأخبره كيف رجع عنهم وخلاهم فى أمان من غير الزمان وأنه قد سار إلى الاسود أخو النعمان وقد أخبروا عنه أنه فى عشرين ألف عنان وكيف خلصوا مفرج بن هلال والقصة التى جرت من أولها إلى آخرها (قال الراوى) فلما سمع معديكرب هذا الكلام قال لعنك الله يا مالك على تلك الفعال وحق الملك المتعال لقد جازيتم عنترا بأبشم الجزاء يا ويلكم يا بنى قراد أما علمتم أن عنتر بن شداد هو الذى ترك لكم ذكرا يذكر ما طلعت الشمس والقمر ولولاه لاندثرت دياركم فوالله لقد جازيتم الرجل فبئس الجزاء ولكن ما جرت هذه العجائب إلا بسعادة الجيداء حتى تأخذ بثأر ابن عمها خالد بن محارب قال مجد ثم أن معديكرب أمر جماعته أن يبطحوه على الأرض فبطحوه بعد أن تواثبت إليه العبيد وأمر عبدين جليدين أن ينزلا بالضراب عليه فعند ذلك شبحوه فى أوسع سكة وأتت له الجيداء بذكر ثورين فنزلا بهما عليه العبدان وما زالا يضربانه حتى أوقع لحمه على عظمه وضربوه ضربا وجيعا وقد أهانوه وأهانوا بنى قراد الجميع وبعد ذلك قال معديكرب للجيداء يا بنت العم أعلمى أن مالكا هو الذى أنفذ عنتر إلى ديارك حتى سباك وقتل ابن عمك خالد وأراد هذا الشيخ السوء أن يجعلك خادمة لابنته فاشفى قلبك منه

ومن ولده إلى أن تصل إلينا الاخبار وتبرد قلوبنا بتلك الفعال والآثار لأن الذى كنا إليه سائرين قتال الملك الأسود ولكن يا بنت العم نرجع إلى ديارنا إلى أن تصل إلينا الأخبار وإذا سمعنا أن بنى عبس أتت مع الأسود وأن عنترا معه مأسور مقيد صرت أنا إلى الملك النعمان واستوهبه منه وحضره إلى بين يديك وتفعلين به كل ما تريد وتقر بذلك مقل عينيك (قال الراوى) فلما دار بينهم الكلام طلبوا منازلهم أجمعين ثم عادوا راجعين وكان ذلك يجرى لبنى زبيد فى مسيرهم والجيداء تعذب مالكا وولده عمرا وهم يقاسون منها الهم والبأس وهم عراة مكشوفون الرأس وهم يأكلون كفوفهم ندامة على مافعلوه من ذلك الأمر قال الراوى فهذا ما جرى للجيداء ومعد يكرب وأما ما كان من أمر المنهزمين من بنى عبس وشيبان فإنهم وصلوا إلى النعمان ولطموا على خدودهم وقد زادت أهوالهم وقد شكوا إليه أحوالهم وأخبروه أن مقدمهم مفرج بن هلال ومن كان معه من الرجال قد وقعوا فى الاعتقال قال الراوى فلما سمع النعمان ذلك المقال نادوا ياويلكم وفى كم التقا كم هذا الشيطان حتى فعل بكم تلك الفعال وأنتم قدسر تم فى عشرين ألف عنان فقالوا له أيها الملك المداعس قد التقانا فى دون المائتين فارس ثم أنهم أخبروه بما كان منهم وماتم عليهم وما كان من الأحوال فقال وحق النار والنور إن هذا حديث يقطع الظهور ولكن إذا لم أدبر على قتل عنتر الاصار له علينا يد وصار لنا معه شغل شاغل ثم أن النعمان أمر أن ينزلوا هؤلاء المنهزمين فى أعز مكان ويزيدوا لهم فى الاكرام إلى أن يصل أخى الملك الأسود بملك بنى عبس وأموالهم والنسوان وانفذه بعد ذلك إلى هذا العبد ولد الزنا الوغد اللئيم يسوقه بين يدى سوق العبيد حتى أعذبه العذاب الشديد وبعد ذلك أضرب رقبته وأرميه للكلاب فى القفر والبيد قال الراوى وبعد ذلك بأيام وصل مفرج بن هلال بعد أن خلص من القيود والاغلال وكذلك وصل أيضا سنان بن عبد العزى والربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد وما فيهم من كان يظن فى نفسه أنه نجا ولا رأى لعينه فرحا ثم أنهم دخلوا على الملك النعمان وهم على حالهم فى ثياب الذل والأحزان وما فيهم إلا من أساد معه وبكى وان واشتكى وشرح قصته وزاد بالنعمان الغيظ والغضب وتأوه وأحاطت به الكروب وفى عاجل الحال أمرهم بالجلوس ووعدهم بكشف البؤس ثم اسعاد الحديث على جليته من مفرج فشرح له ما صار وما جرى وأن هروبهم كان معد يكرب وكيف تركوا الحريم والأموال والعيال فعند ذلك تعجب النعمان من تلك الأحوال وقال والله يحق لهذا الحديث أن يكتب ويؤرخ بماء الذهب لما فيه من العجب ولما زاد بالنعمان الغيظ والحرد قال يا مفرج وكم سار عنتر إلى أخى الأسود قال والله ياسيدى أنه سار فى دون المائة فارس ولكنهم أبطال عوابس وقد زين لهم الشيطان وجه المحال قال الراوى فلما سمع الملك النعمان ذلك المقال أخذته الرعدة والرجفان

والدهشة والانذهال وقال والله إن هذا الشيطان لا يفزع من الموت ولا يخطر له على بال فعند ذلك تقدم الربيع بن زياد الذى طبعه الفساد من دون بنى عبس وباس الأرض وخدم وترجم وقال أيها الملك المطاع أدام الله عليك الانعام أعلم أنه ما جسر هذا العبد على ركوب الأهوال إلا عشقه لعبلة بنت مالك بن قراد وهى التى ترميه فى الأمور الشداد وعشقه لها أورثه الجنون ومحبته لها هونت عليه شرب كاس المنون فعند ذلك قال عمارة المفروش الذقن الصقيع الرقيع وحق اللات والعزى لقد صدقت فى الكلام يا ربيع لأن عبلة تورث الجنون بما أعطيت من الحسن والجمال البديع والقد والكمال والحسن الرفيع فعند ذلك عرف الربيع معنى كلام عمارة وقد علم أن ذلك من كثر عشقه لها وغرامه فهذا ما جرى بين الربيع وعمارة وقد علاهم ما حل بهم من الذل والخسارة . وأما الملك النعمان ومن حوله من الرجال والاقران فانهم أوقعتهم قلوبهم على مفرج بن هلال وعلى فرسان بنى شيبان وما ذهب لهم من الأموال والحريم والنسوان فجعل يطيب قلب مفرج بن هلال ويعده برد أمواله والحريم من غريمه وجعل يقول لمن حوله من الامراء والاصحاب والحجاب والله يا وجوه العرب الانجاب ما بقى لنا وجه نطلب منه الفرج وبلوغ الآمال إلا بقدوم أخى الأسود ومن معه من الابطال فإنه إن أتى بجميع ما نريد ومعه أعداؤنا أسرى مربوطين فى السلاسل والأغلال بلغنا منهم الآمال وأن كسر عنتر بالمائتين فارس الذين حدثتمونى عنهم سلمنا نحن الملك إليه وننظر لنا بلاداً نهرب اليها قال الراوى ثم أن الملك النعمان قال هذا المقال الا من شدة الغيظ الذى نزل عليه من تلك الاحوال وما جرى عليه من الهم والوبال قال الراوى وما جرى فى أيام الجاهلية من القيل والقال ومن غارات بعضهم على بعض ورحيلهم ونزولهم فى اتساع تلك الارض أنه بعد أيام قلائل وصلت إلى الحيرة طائفة من بنى جذام لخم الذين أنهزموا من قدام عنتر بن شداد فى وادى الرخم وهم فى حالة الندم مما قد اعتراهم من الجوع والعطش والعدم وما منهم من يلتفت إلى وراه ولا يعلم ما دهاه على رفقاه وقد أتعب أكثرهم النجب والمهارى وهى التى تمشى بهم فى هذه البرارى قال الراوى ومما اتفق من هذا الأمر الذى هو عجيب وغير سقيم أن النعمان كان فى ذلك اليوم قد ركب فى موكب عظيم من أرباب دولته وأكابر مملكته وقد خرج من مدينته وجعل يسير إلى مقاطع أرض النجف لعل أن يجد بذلك سرور وتحف فلما نظر إلى ذلك ورأى غبار المنهزمين تأتى إلى أن ظهر من تحته فرسان وهم منهزمون وقد تراموا بين يديه ونعوا أخاه الملك الأسود إليه فلما نظرهم الملك النعمان اشتد به الحردوقد انعجم لسانه عن الخطاب وقال له ما لكم وما الذى دها كم هل ظفر بكم عنتر بن شداد فقالوا له أى وأبيك ظفر بنا وبأخيك الملك الأسود وما نعلم ما جرى بعدنا من النكد فقال لهم النعمان يا أولاد الاندال

نحن سمعنا أن عنتر سار اليكم فى مائتى فارس من الأبطال وأنتم كنتم فى عشرين ألف عنان أقيال وفعل بكم هذه الفعال وكان معكم أخى الأسود الذى إذا غضب لم يبق على احد ومثله فى التدبير لا يوجد فقالوا وحق نعمتك التى بها علينا أنعمت قد كنا فى عشرين ألف فارس كما ذكرت وزادت فينا طائفة أخرى مقدار خمسة آلاف من بنى مره وكلنا وقعنا فى الخسران لا ننا سرنا مع أخيك إلى بنى عبس وعدنان واحطنا بهم من كل مكان وأنجزنا أمرهم وانزلنا بهم الهوان وأسرنا زهيرا ملكهم وأولاده واجياده واخذنا نساءهم وأولادهم والعيال ونهبنا مالهم من الأموال وعدنا راجعين وإلى عيون الغضب معولين وفرحنا ونحن مستبشرون وسرنا وقد أكثرنا من المال وقد جد بنا المسير وما زلنا سائرين إلى أن ضجينا من التعب ومافينا إلا من أكل الزاد والطعام وأمتلأ فلما عطشنا قمنا إلى روايات الماء فرأيناها ناشفة فأيقنا يا مولاى بالهلاك والبلاء وقد زاد بنا الظمأ وحل بنا الانبهار وصارت الأرض كانها شعلة نار فلما رآنا أخوك الأسود وقد اشرفنا على العطب أشار علينا أرباب دولته أن ننفذ بين يديه النجاب بالقرب فعندها أمر بذلك الشأن فسارت قدامنا مائة فارس على النجب والمهارى من مقدمين العربان وساروا حتى إنهم يجيؤن بالماء ويريحون الناس مما نالهم من الظمأ وشدة البأس فكان عنتر يا ملك الزمان مالك الغدير وقاعداً لنا فى الانتظار وقد اصطاد اصحابنا الكبير والصغير وقد عمل يا ملك عنتر اشياً ما أحد عملها فى دار الدنيا ثم إنهم أعادوا عليه القصة من أولها إلى آخرها فشرحوا له باطنها وظاهرها وقالوا أيها الملك سمعنا أن أصل بلائنا كله من أخيه شيبوب لأنه أتانا فى الليل وأراق الماء وتركنا فى حالة العدم والويل فعند ذلك قال لهم الملك النعمان وهو يعض على أصابعه وقد عظمت فجائعه هل منكم من يعرف أخى اعاطب أم سالم فقالوا له والله يا ملك الزمان ما معنا خبر منه فما رد النعمان كلاما لان لسانه انعجم عن الجواب وما زال كذلك إلى آخر النهار حتى وصلت آخر المنهزمين وانقطع مدد الواصلين فاخبره أن أخاه الاسود سالم من القتل وقد أسره عنتر هو وخمسة آلاف فارس أجواد من بنى لخم وجذام وعلى بن بدر والباقى أهلكهم عنتر بالسيف يا ملك الزمان (قال الراوى) ثم أنه كان الربيع بن زياد حاضر اذلك المقال فكاد الغيظ أن يخنقه من فعال عنتر فعند ذلك أدار وجهه إلى الملك النعمان وقال أيها الملك لا تأخذك فكرة من هذا العبد ولد الزنا الشيطان وأنت أمرك نافذ فى كل مكان أكتب إلى سائر القبائل وهى تأتيك وأقلع بها آثار بنى عبس فقال النعمان والله يا ربيع أنت الذى فتحت علينا بشؤمك بابا لا ينسد وأحوجتنا إلى إخراق الهيبة مع هذا وضيعت حرمة الملك والسلطان إلى هذا الحد ولقد كنا والله نحن ما بيننا وبين هذا الرجل معاملة ولا مشاكلة وأنك يا ربيع باب اشأم الابواب وما أنت بعدها لنا من

الاصحاب ولا من الاحباب ولقد رميتنا مع هذا الكلب بن الكلاب فياليتك ما كنت جئتنا ولا رأيناك وقد كنت استندت بغيرنا من قبائل العربان على هذا الشيطان بن ألف قرنان لاننا كنا منه فى أمان لا نلتفت إليه ولا يلتفت إلينا فأتيتنا ورميتنا فى شره وابتليتنا بذكره حتى وصلنا معه إلى خرق الحجاب وكثرة الالتزام ثم أن الملك النعمان بعد ذلك الكلام تنهد وتحسر وقد أبدى الآلام وسكت ساعة من الزمان ثم كتب كتابا إلى معديكرب يخبره بما كان من الاحكام ويعلمه بكسرة الملك الأسود وبنى لخم وجذام ثم أنه أمره بالقدوم إليه بجميع ما تحويه يده من الفرسان ويقول له أطلق الحريم التى لبنى شيبان ورد على مفرج بن هلال جميع ماله من الأموال لأنه قد نهبه عنتر مرتين وما ترك له حالا من الأحوال فالله تعالوا يلقيه على الرجال وأنا أرد عليك أكثر مما أخذت من أموال وجمال ثم أنه بعد ذلك أوصاه فى آخر الكتاب بالحفظ على عبله ومن معها ثم قال له وأنا أسألك لا تفرط فى أحد منهم وأنا أعطيك اضعاف ما ذكرت إذا أصبح هذا العبد هالكا أريد منك أن تأتى على عجل ولا يأخذك تهاون ولا كسل قال الراوى ولما فرغ النعمان من ذلك الكتاب دعا بنجاب وسلم اليه ذلك الكتاب وقال خذ هذا وأوصله إلى معديكرب وائتنى منه بالجواب فأخذه النجاب وسار إلى أن أوصله الى معديكرب فأخذه منه وقرأه فتعجب منه ثم قال والله در هذا العبد الذى قد اخذ الفروسية وحازها على كل الأمم فوالله ليكون له حديث شائع فى المشارق والمغارب يظهر منه شيء كثير من العجائب لأن هذا ما جرى لأحد قبله ولا بعده وأن هذا لعجب وأى عجب وأنه يحير العجم والعرب وأياما كانت منقطعا عنه الأخفية من العار لأنه كان فى الأول راعى جمال وكان برازه ذلا وشنار اليوم عاد برازه فخار لأنه أهلك جبابرة كثير وقد قام مثل الملك النعمان وكل من قهره فى الميدان نال الفخر العظيم وعلو الشأن قال الراوى لهذا الكلام ثم أن معديكرب بعد ذلك الكلام أرسل خلف الجيداء فحضرت فشاورها فيما يعمل من العمل ثم حدثها بحديث النعمان وقال لها أنت تسيرين ومعك سائر بنى شيبان إلى عند الملك النعمان وأنا أسير إلى لقاء عنتر بن شداد فى ثلاثة آلاف فارس شداد وآتى به وهو والملك زهير واسوقهم إلى عند الملك النعمان فى الذل والهوان وإذا أنا فعلت هذه الافعال لا يرجع النعمان يخالف لى مقال فقالت الجيداء أنا ما أقدر أن أسير إلى النعمان إلا معى سائر بنى قراد حتى لا أخاف عليهم العذاب والانكاد فقال معديكرب هكذا وصانى الملك النعمان فى الكتاب ثم أن الجيداء تهيأت ومن الغد سافرت فى مائة فارس من قومها وساقت بنى قراد قدامها وسارت طالبة العراق وكان من جملة الأسارى جرير وقد قاسى من العذاب أمر نكير وما قدر على خلاصه إلا ذلك اليوم لأنه لاقى فرصة فأخذ فى عرض البر وطلب جبال الردم وأما معديكرب فإنه بعد رحيل الجيداء أخذ ياسادات ياأخيار

صلوا على صاحب الأنوار ثلاثة آلاف فارس يضرب بهم الأمثال وصارت بهم من غير مهل وأما عنتر فان أخاه جرير اوصل إليه وأخبره بما كان من الأحوال فلما سمع عنتر هذا الأثر قام إلى الملك زهير وأعلمه بالخبر وكان الملك زهير لما وصل إلى الجبال ورأى الاماكن خوزال أخبر عنتر فى عاجل الحال وعلم أنه يبقى متحير الأجل هذه الاحوال فقال ياملك ما أسفى إلا على بنت عمى لانى أعلم أن عمى إذا وصل إلى النعمان يزوج عبلة بعمارة فقال له شيبوب والله يا أخى كلما جرى هو من عمك مالك وما زال عنتر كذلك إلى أن وصل اليه جرير وأخبره بالخبر وهو فى بكاء ونوح وأخبره كيف سارت إليه بنو زبيد وما القيت عبلة من العذاب الشديد فقال الملك زهير وعلى ماذا عولت يا أبا الفوارس قال ياملك على أنه ألقى معد يكرب بنفسى واصطلى نار الحرب وأقاتله بالطعن والضرب وإذا وقع فى يدى طلبت منه عبلة وأعمامى والاضربت رقبته أمامى وسرت إلى الملك النعمان وخلصتهم منه بالسيوف فقال له الملك زهير أفعل يا أبا الفوارس ما تريد فاننا لك سامعون ولأمرك مطيعون ثم أن عنتر أخذ أهبته اللقاء فقال الملك زهير لقومه يا بنى عمى أعلموا أن هذا الفارس القادم علينا هو فارس هذا الزمان فقال عنتر ياملك كن أنت مطمئن القلب من هذا الفارس أنت وقومك فانى لكم حارس ثم أن عنتر أخرج من باب المضيق ليحرس قومه فى ظلام الليل وفى ثانى ليلة فعل كذلك وعند الصباح خرج بنو عبس فاوجدوه فقلق الملك زهير وتحير حيث لم يجدوه وقال ما أظنه إلا سار وحده وإن مسيره إلى بنى زبيد ومعديكرب مجازفة ومن الصواب أن نعينه على ما يلقاه ثم قال لولده مالك خذمعك ثلثمائة فارس وسر إلى معونة عنتر فقال شداد والله ياملك أن كان عنتر قد فعل هذه الأفعال فاهو إلا خطأ والصواب أنا نساعده كما قلت فقال الملك زهير والله ياأمير شداد أن هذا الأمر مافيه شك وعناد ولا سار ولدك إلا لبنى زبيد فافعل أنت ياملك ماقلت لك من الفعل الحميد فامتثل من والده ذلك الرأى السديد وتوجه سائرا بالفرسان وفى صحبته شداد وأخوه زخمة الجواد (قال نجد) فهذا الذى جرى لهؤلاء من الأمر والشأن وأما ماكان من عنتر بن شداد رئيس الفرسان فانه كان قد أغتاظ من وصف الملك زهير لمعد يكرب صاحب المواقف المشهورة فى العرب فقام إليه وحده وبذل نفسه معه لومات فى بلوغ قصده (قال الراوى) وكان معد يكرب الآخر قد سار فى بنى زبيد مع رجاله كما ذكرنا واستمر فى مسيره حتى قدم على وادى الرمل وبقى بينه وبين الجبال يوم واحد فاحضر قومه للمشورة وقال يا بنى عمى أنا خائف أن تكون قد وصلت أخبارنا لبنى عبس فيخافون منى ويتحصنون فى جبال ويشرعون فى القتال ويدرككم الملك النعمان ولا نبلغ الآمال والصواب أن أسبقكم أنا إلى الجبال وأهجم على بنى عبس على غفلة وألقى فيهم القتال فما تصلون أنتم إلا وقد انقضت الاشغال فقالوا

ثم عمل ما أشرت فأخذ من قومه خمسين فارساً وسار من أول الليل وما نزل حتى عبر نصف الليل فسمع قدامه رجلاً يسير فى الظلام وهو بجنب الطريق فقال معديكرب لبعض رجاله الكرام أنظروا من هذا الذى سائر فتقدم الزبيدى وقال له من أنت وإلى أين قاصد فقال يا مولاى أنا من بنى زبيد وقد أنفذنى مولاى إلى بنى عبس لكى أشرف له على أخبار عنتر ابن شداد وها أنا قد عدت إليه ومعى طرف من الخبر فقال له الزبيد تكذب يا ولد الزنا فها نحن بنو زبيد سائرون إلى بنى عبس ثم مد يديه ليطعنه فضربه شيبوب بنبلة فى صدره فرقت تلمع من ظهره فلما وقع إلى الأرض زعق معديكرب وقال واحرباه قتل والله صاحبنا ودونكم وهذا الرجل أعدموا قواه (قال مجد) فعندها طلبه أربع فوارس فلما رآهم طلبوه ضرب آخر بنبلة فرماه وأوسع فى الفلاة فما لحقوا له غباراً ولا وقعوا له على آثار ولا غاب إلا ساعة وعاد وخلفه فارس كأنه طود أو بعير حل من قوده وهو ينادى يا أوغاد غير أنجاد أنا عنتر بن شداد ثم أنه انصب على الخيل انصباب السيل وكالهم بالسنان أوفى كيل فقتل منهم إثنين فى طعنة ورمى الثالث من غير مهلة والرابع رماه شيبوب بنبلة فى فؤاده فنكسه عن جواده والذى سلم عاد إلى معديكرب وهو ينادى بالويل والحرب فلما سمع معديكرب بالحال أخذه الوجد والبلبال ثم حمل على عنتر والتقاه وهو كأنه البحر إذا ذخر وتقاتلا حتى جرت بينهما العبر وجرى الدم من أجسادهما على التراب وما زالا يتطاعنا إلى أن بدا ه مفرق الصباح (قال الراوى) لهذه الأخبار صلوا على كامل الأنوار فنزل على وجه الأرض وتعاركا عراكا قويا فمل معديكرب واضمحل فنظر عنتر إليه فرأى دموعه تجرى على خديه فطمع فيه ورفعه على يده وضرب به الأرض فكاد أن يخالط طوله فى العرض ومن شدة الوقعة حصل له الوهن وتقايا ما شرب من أمه من اللبن وشده كتاف وركب عنتر جواده بعد ما شده على جواده بالعرض حتى آل إلى التلاف وكذلك فعل شيبوب بأسيره الذى رماه بالنبلة ثم قال عنتر عد بنا يا أخى إلى الجبال حتى نبصر على أى شىء ينفصل الحال لأن معديكرب إما أن يطلق عبلة ومن معها وإلا رميت رقبته ورقبة الأسود معه وأخلص أنا قومى بالحسام فلما سمع معديكرب من عنتر ما قال قال يا أبا الفوارس ما يحتاج إلى هذا التهديد والمقال فعبلة تأتيك وكل ما معها من الأموال وجميع أصحابك يخلصون من الاعتقال وأنا أيضاً أردقومى عنك وأكون عبدك من دون الرجال وأتخذك لى صديقاً على ممر الأيام والليالى وربما أتوسط لك فى الصلح مع الملك النعمان ويأتيك منه الأمان قبل أن يسير إليك بكل العربان فلما سمع عنتر من معديكرب هذا عرفه أنه الهذيان وقال له اسمع يا معديكرب أعلم أن هذا الذى تقوله كذب وبهتان وما أنت أهدى منى إليه حتى تناله يا اقرنان وسوف يبلغك ما أصنع أنا بالنعمان لأنى ما عديته وبذلت سيفى فى الفرسان إلا حتى أرفع عنى إسم العبودية ومرادى أن أعمل سلطان وأعمل على صلبك أنت وكل من

عادانى ياقرنان قال الراوى فلما سمع معد يكرب جوابه انقطع عن خطابه وعلم أنه جبار مكين وعرق لا يلين وماسار عنتر غير قليل فى البيداء حتى سمع حس صهيل خيل بنى زبيد قد طبقت البيداء وكانوا سائرين على عجل لأنهم يريدون أن يلحقوا صاحبهم معد يكرب من غير مهل فلما سمع عنتر حس الخيل ورآهم قال لأخيه شيبوب ويلك يا ابن الأم تقدم أنت باسراك إلى قدام حتى أرد أنا هذا الجيش الذى هو مثل الغمام تأملوا ياذوى الافهام ولم يرض عنتر أن يقول لأخيه إرسل إلى نجدة من بنى عبس حتى نلتقى بها هؤلاء الفوارس الذين رماحهم قد سدت منافس الشمس ثم أن شيبوبا سار بمعديكرب والفارس الآخر وعنتر قد واجه القوم وصاح فيهم صياحاً منكراً جاوبته الفرسان بصياح يحير الأفكار لأنهم رأوا القتلى الذين كانوا مع معديكرب فحارت منهم الأبصار وقد طمعوا فيه لوحدته فتجارت إليه الخيل وقالوا له يا ابن الانذال أخبرنا من فعل بأصحابنا هذه الأفعال فعاد إليهم من غير كلام وخاص فيهم تحت القتام وترك رؤسها تحت الأقدام ومازال يقاتل ويمارس حتى رمى منهم إلى الأرض مائة فارس فلما رأوا ذلك أيقنوا بالعطب وصاحوا على بعضهم سدوا عليه الطرقات وإلا فى الفلوات فحملوا من كل جانب وضيقوا عليه السباسب فبينما هو كذلك وإذا بغبرة بنى عبس قد ظهرت وهم ينادون يالعبس يالعدنان وشيبوب قدام الخيل كأنه ثعبان وكان قد التقاهم فى الطريق وعرفهم أنه ترك أخاه فى غاية الضيق فساروا إلى أن رأوه فى هذا الامر المنكر وهذه الانكاد وحملوا على الاعداء كأنهم الآساد فلما رأى بنو زبيد هذه الأهوال تفرقوا فى جنبات البيداء وقد تبعتهم بنو عبس الأماجيد وعادوا وقد بلغوا النصر والتأييد وكسبوا المال والأنعام والتقى مالك بن زهير بعنتر فعانقه وجدد معه الوداد فشكره عنتر وأثنى عليه وقال والله يا أبا الفوارس لو لقينا قدامنا لأجلك المهالك لما كفأناك على فعالك معنا فشكره عنتر على ذلك الكلام ودخلوا الجبال وهم كلهم فرحون بهذه الأحوال ولما خلى قلب عنتر أحضر معد يكرب وقال له أكتب الآن كتاباً إلى النعمان وافد نفسك بعبلة ومن معها من النسوان وجميع مالها من الأموال وإلا اسقيك كاس الوبال فعندها كتب معديكرب إلى النعمان كتاباً يخبره فيه بما كان (قال الراوى) لهذا الديوان صلوا على سيدنا محمد سيد ولد عدنان وكان الذى فى الكتاب من معديكرب للنعمان يقول الذى تعلم به الملك على العربان للعزيز الشأن الزمان يتقلب ويأتى بكل عجب ثم سأله أن يمن عليه بالمال ويخلصه من الأسر والوبال ثم كتب أيضاً إلى الجيداء يقول الذى نعلم به بنت العم أن الدهر يأتى بكل عجب ولم يزل بأهله يتقلب والزمان غدار والعاقل لا يأمن إليه فى الليل ولا فى النهار ومن قال أن ما مثله فى جميع الأبطال فقد أخطأ فى المقال وقد كنت جاهل ولا أنا بعاقل لأنى وقعت فى يد فارس

لا يبالى بالموت ثم أن معد يكرب شرح للجيداء فى الكتاب كل ما عليه من الأسباب ثم أوصاها أن تحسن إلى نسوان بنى قراد وأن تكرم عبلة كل الاكرام وأخاها عمرو وأباها مالك وتتعذر إليهم فيما فعلت معهم من العذاب وقال لها لا تدعى لهم من المال ولا عقال فاكون طول عمرى عند عنتر فى الاعتقال ثم سير الكتاب مع نجاب من بنى عمه من جملة المأسورين وأوصاه بسرعة العودة فقال السمع والطاعة وسار حتى وصل إلى الحيرة فرأى القبائل حولها كالجراد والملك النعمان يخلع على الفرسان الشداد وكان الجيداء قد وصلت إليه وحدثته بالحديث ومسير معد يكرب إليه فقال النعمان للفرسان والجيداء وحق النار ما كان مسير معد يكرب إلى هذا العبد صوابا وإذا هم برسول معد يكرب قد وصل وأخبر النعمان بحديث عنتر والذى جرى من الأمر والشأن فاشتغل قلب الملك النعمان وهام وعاد فى بحر الافتكار والاوهام وجمع وجوه قبيلته وقرأ عليهم الكتاب فلما سمعوا ما فيه من الخطاب غابت عقولهم والالباب وتاهوا جميعاً عن الصواب ثم سكت الجميع عن رد الجواب فازداد النعمان غضباً وامتلأ عجباً وقال أنا لا بد أن أسير إليه بنفسى ومعى هذه القبائل ولا أترك من بنى عبس لا فارس ولا راجل فقال له وزيره عمرو بن نفيلة العدوى أيها الملك العزيز الشأن القوى السلطان إذا أنت فعلت ذلك لم تبلغ مرادك لانك إذا سرت بهذا الجميع العباب ورأى أنه لا طاقة على لقاء هذه المواكب والاعراب أخرج أخاك ومن معه من الاحباب ويقول لك ارحل عنى بهذه الأمم وإلا ضربت رقبة أخيك ومن معه من الانذال الذين معه فى الاعتقال فهل يطيب على قلبك أن تبيع دم أخيك ومعه خمسة آلاف فارس من عشيرتك بدم عبد لا قدر له ولا قيمة ولا شأن فقال النعمان لا وحق النيران كيف يكون العمل والتدبير فدبر برأيك أيها العزيز والأب الكبير فقال يا ملك قبل كل شىء اهتم فى خلاص الأسارى وافعل بعد ذلك ما تشاء والرأى عندى أن ترد الجواب لعنتر فى كتاب وتقول له إن أردت أن تفدى عبلة فأطلق أخى الأسود وجميع من عندك من الأسارى وأنا أطلق لك عبلة ومن معها وإن أبيت أنفذت لك رأس عبلة وأصلب كل ما عندى واعلم يا ملك الزمان أنك إذا طلبت من عنتر كل من فى الأرض بعبلة أرسلهم إليك (قال الراوى) فلما سمع النعمان ذلك رآه عين الصواب وأمر أن يكتب لعنتر كتاب وأن ينفذ من ساعته مع نجاب ففعل الوزير تلك الأسباب وأنفذه مع نجاب وأقام ينتظر الجواب وسار الرسول حتى وصل إلى جبال الردم فمنعه العبيد والأبطال الذين رتبهم عنتر يحفظون باب الجبال ثم دخل بعض العبيد إلى عنتر وأعلمه بالحال (قال الراوى) فأذن للرسول بالدخول بعدما أقعد الملك زهير على سرير ملكه ودارت به الفرسان من أقاربه وأهله ووقف عنتر يحجبه فعندها دخل الرسول وسلم بقوة وجنان ورمى الكتاب إلى زهير فقرأه وأعاده إلى عنتر والحاضرين

فقال عنتر أنا أطلق الجميع لكن على شرط أن يرد على عبلة ذات الجمال وما كان عليها من المال ولا يضيع من مالها عقال وإلا أكون محاربه طول الأيام والليال فلما سمع الرسول هذا الخطاب عاد من وقته ودخل على الملك النعمان وأعلمه بما جرى وكان وما الذى قال عنتر فارس الزمان فلما سمع النعمان كلام الرسول قال له وما قال له الملك زهير فقال ياسيدى ومن هو زهير من الناس عند هذا الأسود الحجام والله لا زهير ولا غيره يقدر أن يرد له جواب كلام ولا تظنوا اليوم ان ملك بنى عبس غير عنتر بن شداد فقال له النعمان أذل الله رقبته وأرغم أنف قبيلته ما أقل نخوته ولا بد لى أن أذل رقبته (قال الراوى) ثم أطلع وزيره على ذلك الحال وقال أيها الأب الكبير ماذا يكون الحال فقال له رد عليه عبله وخلص أخوك ومن معه وبعد ذلك دبر على هلاكه (قال الراوى) فعند ذلك أحضر النعمان مال عبلة بالتمام ولم يفقد منه عقال حتى التاج والكم والعصابة والاكليل وسلمهم لها وأمر بإطلاق بنى قراد كلهم من الاعتقال وقال لمالك ياشيخ تسلم ابنتك وها هى مالها عليها وهؤلاء قومك سيروا عنا فعندها قال مالك أبو عبلة للربيع بن زياد بالله ياربيع أتركونى هنا عندكم فى الاسر والعذاب الأكبر ولا أكون كل يوم أصبح وأمسى بوجه ذلك العبد الأغبر فقال عمارة والله ياملك كلنا كذلك ولا يلذ لنا عيش حتى نراه هالك فقال الربيع والله ياعمارة هذه الحسرة بها نموت وكلنا كذلك حتى يدركه الفوت ثم إنهم ساروا مع الأموال والعيال حتى وصلوا إلى الجبال قال الراوى لهذه الأقوال وخرج عنتر والملك زهير إلى لقائهم وفرحت الأحباب بالأحباب وهنأ بعضهم البعض وسلم على عمه وهنأه بالسلامة فقال له مالك وشكره على ذلك ثم قال له والله ياابن الأخ كل الذى جرى علينا من الربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد لأن الربيع قد لعب بعقل بعض العبيد فحلهم من الكتاف والحديد وعادوا علينا تحت الظلام وجرى علينا ما لم يجر مثله على أحد من الأيام فعندها تبسم عنتر وأظهر الحلم والجلد وقال صدقت ياعم لأن أخى جرير أخبرنى بذلك وسلامتك هى أحسن واسد ثم أنه أقبل على إبنة عمه عبلة وسلم عليها وقبلها بين عينيها وسألها عن حالها ومالها فقالت ياابن العم ماذهب منه حسبة واحدة بهيبتك ياسيد الابطال ولا جسر النعمان أن يأخذ منى شيئاً يساوى عقال فقال عنتر وحياة عينيك لو أخذ لك شيئاً يساوى حبة لضربت رأس أخيه الأسود ثم أمر عنتر بإطلاق الاسارى بعدما عراهم من الثياب الملاح وأخرجهم من الوادى حفاة عراة بأسوأ حال فقال الاسود ياأبا الفوارس أما تخاف من غدرات الزمان إذا تركتنا حفاة عراة لاشىء نركبه ولا زاد ناكله (قال الراوى) لهذا الديوان فقال عنتر أنا أعلم أنكم تسيرون من هنا وتجمعون العربان وتعودون إلى قتالى بكل من سكن القيعان وأنا أحق بخيلكم ألقاكم بها وأقاتلكم عليها إذا أتيتم إلينا وأما المأكل والمشرب

فقدامكم كثير لأنكم تأكلون من نبات الأرض وتشربون من غدراتها وأما نحن فقوم محصورون فى هذا المكان على أنى وحق ذمة العرب ما أردت إطلاقكم بل أردت أن أضرب رقابكم وأقل ما كانت العرب تقول عنى أنى عبد ولد زنا وهذا تقولوه أنتم وغيركم ولو أنى أطلقتكم ألف مرة وأحسنت إليكم ألف كرة وكان الصواب قتلكم وراحة قلبى منكم وما أكثر من اللوم فسيروا من قدامى بلا مهل وأخرجوا من وجهى بالعجل ودعوا النعمان يأتى إلى فى أهل السهل والجبل فقال الملك الأسود لا يا أبا الفوارس لا تفعل بحق ذمة العرب فإنى لا أقدر أن أمشى ولا فرسخ طريق فلا تشمت بى العدو والصديق فان لم تمن على بشىء يحملنى وإلا فاجذب حسامك واقتلنى ومن هذه الحياة النكدة أرحنى وإلا فارحمنى بفضلك وارجع إلى طيبة أصلك فقال عنتر لشيبوب يا ابن الأم تصدق على هذا الفقير بما يركبه وأخرجه من وجهى وإلا أعجل عطبه قال الراوى وما فعل عنتر تلك الفعال بخلا منه بالمال وإنما أراد أن يريه أنه ليس للنعمان عنده قدر ولا قيمة هذا وشيبوب قد دخل إلى الجبال وعاد بشيطنته وغباوته ونكاته وخرج وهو يقول خذ العطاء واهرب لئلا يقتلك أخى عنتر فنظر الملك الأسود عبداً وقدامه جمل أعور بادى النابين مهدل الشفتين أعرج من يديه المقدمتين منخسف الجانبين لعابه ومخاطه يجرى على شفتيه كالمزرابين وخلفه ذلك العبد الذى جاء شيبوب وهو عبد أصلع الرأس معوقص الحاجبين وله ملة خلف ومن قدام حدبتين يغزل من رجاله الشمال وكله عيب وشين والعبد سائر وراء ذلك الجمل وهو يضرب أجنابه بالعصا وكلما ضربه ضربة يتأخر إلى وراء والعبد يحى ويقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول :

أنا الغلام الأغبر والشر منى يكثر ... والخيل منى تنفر لأن خلى أعور
فمن بنا يصبح فإنه يدمر ... وأى جيش قد رأى خيالنا ينكسر
فى يومه أو غده ... وفى ثلاث يقبر

(قال الأصمعى) هذا والعبد يلعلع وكلما وقف الجمل ضربه على أجنابه بعصاه وسار إلى عند الملك الأسود وقد أتى شيبوب ومعه ناقة ضعيفة جرباء عوراء لا يزال لعابها على خطامها بعنق رقيق مرخية الآذان بارزة الاسنان مكوية على أجنابها ووراء زرية الحال نظرها يقرف الكلاب تحيد عن الطريق وتقصد الروابى والمضيق رغاؤها مزعج صياحها مدهش لا تصلح لحاجة ولا تسوى دجاجة وما أتى بها شيبوب إلا لآمة وشيطنة ولجاجة وقال له شيبوب هذه الناقة اركبها وهذا العبد يخدمك واحملوا زادكم على هذا الجمل وعد إلى ديارك وإلا أعجل أخى بوارك (قال الراوى) فلما نظر الاسود إلى ذلك الجمل والناقة هانت نفسه عليه وهان ملكه عنده وحلف لا يركب الناقة ولا يتبعه هذا العبد ولو مات فى الطريق

فقال له شيبوب أغديا هذا المثلا يراك أخى ويعلم أنك رددت عطاءه فيتلف مهجتك قال الراوى فخرج الاسود إلى الجبال وهو كثير الحسرات وسار يقطع البر والفلوات ثم أن عنتر بعد ذلك دعا بمعديكرب فجز ناصيته وأطلقه وقال له أنا ما فعلت بك هذه الفعال إلا لأجل ما فعلت الجيداء بينت عمى عبلة وتركتها عندها فى الاعتقال فعند ذلك خرج معديكرب على أسوأ حال وسار الجميع وهم يذمون الزمان والأسود يقول وحق النار أن ضرب الرقاب خير لنا من هذه الأسباب وما زالوا كذلك ليلا ونهارا حتى وصلوا الحيرة ورآهم العربان الذين اجتمعوا فى ذلك المكان ونظروا إليهم وهم عرايا بأسوء حال فأخذهم من ذلك الانذهال ووصل الخبر إلى النعمان فجرى عليه ما لم يجر على إنسان وخرج للقاء أخيه فرآهم النعمان وهم عراة حفاة مكشوفون الرأس بأسوأ حال فأخذه الإنذهال وأفاض على أخيه من الخلع والأثواب واستعاد منه ما جرى من الحال فحدثه بما جرى وفى الاعتقال فزاد به الغيظ وقد حلف وشدد فى الايمان أنه لا يبقى من بنى عبس لا صغيرا ولا كبيرا ولا أى إنسان قال الراوى وكان الملك النعمان قد قال هذا المقال من شدة غيظه الذى قد ملا فؤاده ولما أن تكلم بهذا الكلام تقدم اليه حجاب بن عامر وباس الارض بين يديه وقال أيها الملك ادام الله عزك ومجدك أى شىء هذا المقال الذى يعود الينا وكيف تسير بنفسك إلى عبد أسود وأنت عندك من ينوب عنك وأنا أسير اليه فى مائة فارس واصرم لك عمره واتيك برأسه ورؤس قومه وأسوق إليك نساءهم وبناتهم سوق الاماء وأبلغك منهم غاية المنا وأنا الضامن لك ذلك الضمان وأنا صاحى غير سكران وسأريك ما تعجز عنه ملوك الزمان وجبابرة الفرسان فقال النعمان لا وحق بيوت النيران لاقبلت ذلك ولا أسير إلا بنفسى وكل من يفعل شيئاً قدامى شكرته وافضت عليه أنعامى وأكرمته لأنى أعلم أن الملك كسرى قد سمع طرفاً من هذه القصة وربما ينقل أمره العرب بسرى فهيؤا أنتم أشغالكم فى هذه الخمسة أيام حتى نسير كلنا تماما قال الراوى فعندها انصرفت الأبطال وأخذت فى إصلاح الحال وبعد ذلك رجع حجار وهو يقول لسادات قومه من بنى كندة يا وجه العرب لقد دخل قلب النعمان من هذا العبد فزع عظيم ولولا خوفى من معصيته والخروج عن طاعته لكنت سرت وحدى وقضيت هذه الأشغال قال الراوى وكان الملك كسرى قد جعل له على النعمان عيونا من خواصه وأصحابه من أجل نقل الأخبار وكلما جرى أمر من الأمور أطلعوه عليه وكان عنتر أول ما نزل بجبال الردم ووادى الرمل سبى بنى شيبان وفعل بهم تلك الفعال وأسر مفرج بن هلال فانفذوا إلى كسرى وأعلموه بذلك الحال ولما ظفر عنتر بالملك الأسود والحديث الذى تقدم كتبوا بذلك بطائق وأرسلوها إليه فلما سمع كسرى بتواتر ذلك الاخبار عظم عليه وقال كسرى فهذا العبد الأسود ذلك المشئوم الأنكد قد

فعل فى النوبة الأولى بما فعل لما أتى يطلب مهر بنت عمه عبلة ووقع فى أسر المنذر أبى النعمان وقتل حاجبى الخسروان وقتل جماعة من الفرسان الذين فى أرض خراسان وقبلت فيه سؤال الوزير الموبذان وجازيناه بالاحسان لأجل قتله البدر موط الذى قدم علينا من أنطاكيه وأعطيناه التاج والعصابة وحكمناه فى بيوت الأموال وأعدناه إلى قومه بنعمة لا يقدر عليها إلا الأملاك من ملوك الزمان ثم قلنا له أنه يكون لدولتنا من الأنصار فعاد العبد الزنيم إلى خساسة أصله وغره الطمع غاية الاغترار لأجل عدلنا ونظرنا اليه بعين الاحتقار والآن ما بقى فى الأمر إلا قتله وهلاك قومه وإلا طمعت فينا العربان ولا بد لى أن أنفذ بعض حجابى فى طائفة من الفرس الشجعان لأجل إقامة الهيبة وإلا عظمت النوبة ثم أمر وزيره فخرج اليه من يومه فى خمسة آلاف من عساكر خراسان وقدم عليهم حاجب جليل المقدار يقال له وردشان وكان رجلا جبارا خبيرا بالحرب والكفاح وقال له الموبذان يا وردشان لا تتكل على قتال العرب ولا تثق بتدبير النعمان بل كن أنت فى المقدمة حذر أن تجعل الذكر إلا للعجم حتى تنال من الملك النعم فقال الحاجب أيها الأب المعظم وحق النار إذا ضرمت لأعدت إلا حتى أهدم البيت وأهدم حجارة الحرم وأهجع العرب من أرض الحجاز إلى الروابى والآكم وأذبح الأطفال ذبح الغنم ولا أدع فى الأرض من يسجد لصنم وصار يجد السير فى أرض النجف ورأى من قد اجتمع حول الحيرة من العرب وكان النعمان قد عول ذلك اليوم على الرحيل إلى قتال عنتر وقد عرض العرب فرآها ثلاثين ألفا لأن بنى فزارة وصلت فيه مع الشيخ بدر بن عمرو وسائر أخوته وحذيفة وباقى بنى زياد ومن يتعلق بهم إلى أن الملك النعمان لما علم بقدوم حاجب كسرى إلى لقاه وعظم قدره عند ملتقاه وقال أيها السيد ما الذى أزعج قلب ملك الزمان حتى حرك للسير مثلك يا حاجب وردشان (قال الراوى) لهذا الديوان فقال له وردشان يا نعمان تواترت الأخبار بعجزك عن قتال عبد أسود كشحان فأنفذنى إلى كشف الضر عنك وعن العربان وأسوق اليه هذا العبد الأسود المهان فقال النعمان وقد صعب عليه ذلك الأمر والشأن أعلم أيها الحاجب وحق النار والمعبد الأكبر لقد كذب الذى قال هذا المقال وذكرنى بالعجز عند الملك العادل وإنما جمعت هذه القبائل وكنت أنا اليه سائر (قال الراوى) فضحك الحاجب وقال يا ملك العرب هذا من عجزك تسير بثلاثين ألف فارس وتخلى هذا العبد لك مقايس (قال الراوى) فسكت النعمان ثم أمرهم ذلك الحاجب بالمسير وسار فى المقدمة ولم يلتفت إلى أحد من العرب ورحل بعده حجار فى بنى كنده (قال أبو عبيدة) يا أخيار صلوا على النبى المختار وقد انضافت اليهم بنو فزارة وتتابعت بعدهم قبائل العربان وقد اسودت الدنيا من كثرة الغبار وكان عنتر قد أنفذ أخاه جريرا حتى أطلق الملك الأسود وبنى لخم ومعديكرب الزبيدى وقال له يا جرير

ألا تعد إلا الآن تراهم وحلوا النيا فسار جرير وهو فى زى العبيد ما برح حتى وصل ورد شان وجرى من الحديث ما تقدم ذكره ورحل مع القوم أول يوم وفى اليوم الثانى فارقهم وصار يقطع البر القفار حتى وصل إلى جبال الردم ودخل على أخيه وهو يرعد من هول ما رأى وحدث أخاه عنتر بالذى جرى فتبسم عنتر وقال له أسكت يا جرير ولا تعظم القضة فوحق ذمة العرب لا تركت أحدمنهم على طريق ولو كانوا فى عدد رمل العقيق ثم أنه أخذ معه أباه شداد وعمه زخمة الجواد وعروة بن الورد ودخل على الملك زهير وأخبره بما سمع فشاور زهير عنتر فى أمر القتال فقال عنتر يا ملك أى شىء نتشاور فيه فمالنا مشورة إلا الضرب بالسيوف الصقال ونحمى هذه الجبال حتى تلعب بروسنا الخيل ثم قال عنتر إعلم يا ملك الزمان إن الأمر أعظم من هذا وأقرب وأنت وأولادك لا تباشروا قتال ولا حربا ولا تزال حتى تروا الأعداء تهيئوا جسرا على رؤس الرماح العوال وأنا قد رأيت من الرأى أن آخذ معى الف فارس وأسير إلى لقاء هذا الجيش العرمرم فقال شيبوب يا أخى أنا أسير معكم بشرط أن تسمع منى ما أقول فقال عنتر قل يا أخى ما بدالك فما فينا من يخالف مقالك فقال شيبوب نسير فى هذا الألف فارس وأنا أسير بكم إلى وادى السيل الذى لا بد للقوم من العبور فيه وأخفيكم فى جنباته حتى إذا وصلت العساكر وازدحمت فى جنباته فاخرجوا وأزعقوا عليهم وقد حلوا فى ضيق المكان وتبدل خوفهم بعد الأمان وربما عادوا على الأعقاب وداس بعضهم فى طلب الهرب والذهاب فقال عنتر والله لقد أشرت بغاية الصواب وأحسنت فى هذا الحساب قال فعندها انتخب عنتر الرجال وكان قد اجتمع عنده فى الجبال ثلاثة آلاف وخمسمائة فارس ولما انتخب عنتر الأبطال أوصاهم بحفظ الحريم والعيال وسار من يومه فى ألف كلهم شجعان (قال الراوى) وكان وادى السيل هذا أقرب إلى جبال الردم من الحيرة بيوم وسبق عنتر وكمن فيه برجاله وأبطاله وطلع شيبوب إلى أعلى الجبال وقعد لهم ديدبان يرصد الأخبار وهو مختفى بين الصخور الكبار ويتأمل الأقطار يمينا وشمال وكانوا قد سبقوا النعمان بنصف نهار وأخذوا راحة حتى لبست الشمس حلة الاصفرار وعند المساء طلع عليهم غبار حتى سد الاقطار (قال الراوى) فعندها صاح شيبوب وقال تأهب يا ابن الام للحرب والقتال فها قد أتاك العسكر والابطال وكان النعمان سائرا فى آخر العسكر وهو متذلل بنفسه منكسر القلب من كلام الحاجب الذى لكسرى ثم إنه لما قارب الوادى ونزل بالفرسان قريبا منه خوفا من زحمة المضيق واستمرت الأعجام سائرة وهى نازلة إلى الوادى متقاطرة وفى المقدمة وردشان وكان هذا الحاجب من شدة عجبه بنفسه قد صار فى المقدمة وقد عقد سباله خلف أذنه وهو حنق القلب على العرب يقول إنه يهلكهم ويحل بهم العطب وهو لا يصدق أنه لا يرى عنتر وكذلك حجار بن عامر الآخر

وقد تبعته بنو فزارة وأيضا بنو زياد وكلهم يبغضون عنتر بن شداد إلا أنهم مادخلو شعاب الوادى حتى أقبل الظلام واتفق أنها كانت ليلة مظلمة سوداء معتمة فمادت عليها الرياح وقامت الرماح فى وجوههم من اليمين والشمال وتكدرت الروابى والتلال واختلطت فرسان العجم بالعرب وزاد حموا وعمت الكرب (قال الراوى) لهذه الاخبار فعندها صرخ عنتر فى أصحابه فارتجت جنبات بنو عبس بتلك الاصوات وما فيهم إلا من ضرب فارسا فرماه هذا وعنتر ينادى أين تأخذون يا كلاب يا أوغاد غير انجاد هاأنا عنتر بن شداد فارتاعت لهول صرخته الاجساد وارتعدت الأعضاء من زعقاته الشداد وقد تغيرت الالوان من هيبته وظنت العجم أن الوادى عليهم قد انطبق وعاينوا ملك الموت فى المكان الذى خرج منه عنتر وزعق فوقع بالجيش الرجفان وكادت روحه أن تتعلق وكادت الرجال أن تقع فزعا فرق وأخذهم بالسيف فى ظلام الغسق ولم تعرف الاصدقاء من الاعداء وسالت الدماء من وادى السيل وتلك العجائب وفاضت فيضان السحائب والخلق مزدحمة والدم شبه السيل إذا همى وما بقى يعرف الانسان روحه فى الارض أم فى السما ونادى حجار فى بنى كندة ياويلكم دونكم والموضع الذى نزل منه وإلا رحنا غلط وفرط فينا الفرط ولقد كان الصواب مع النعمان ثم عاد فى طائفة بنى كندة وترك الباقين بالاعاجم مختلطة وكان عنتر قد فعل تلك الفعلة وقتل من قتل وطلب رأس الوادى والجبل وانسل بأصحابه من المعمعة وخرج بالعجل ومعه عروة البطل (قال المؤلف) لهذا القيل والقال وكانت أيضا معه جماعة من بنى قراد وصار كل من وصل إلى باب المضيق وطلب النجاة صاحوا فيه وأشدوه أسيرا وإن كان هو مستيقظا تركوه غير آفبيناهو كذلك وإذا بحجار بن عامر قد طلع والسيف فى يمينه يلمع وجواده من تحته يتعثر وقد ظن أنه تجاور رأى من الموت فرجا فالحق أن يشم الهوا حتى ضرب شيبوب جواده بنبلة فوقعت فى نحره ووقع حجار من على ظهره فهم أن يثور فأدركه شيبوب وأخذه أسيرا وشده بالكتاف وطلعت من بعده بنو زياد الاوغاد فأخذ منهم عنتر ثلاثين من بنى بدر ونجا الربيع وعمارة عند اشتغاله ببنى فزارة وما كان عنتر عرف منهم أحدا وإلا فما كان الربيع نجا ولا عمارة ورأى له فرجا ولم يزل القتال يعمل إلى نصف الليل ولعبت بجماجم القتلى حوافر الخيل وباتت الاعاجم خاسرة بين طوائف العرب وهى مثل البحار الزاخرة وطلع وردشان من المضيق وحوله جماعة من فرسان خراسان وهو يهز فى يمينه العامود ويهدر هدير الاسود وكان قتل خمس فوارس من بنى عبس وجماعة كثيرين من بنى كندة فأبصر أصحابه وقد وقع فيهم الفناء فأخذ خواصه ونجا وماهو إلا أن ظهر من تلك الشعاب حتى انقض عنتر عليه مثل العقاب وعارضه ولم يعرفه بل طعنه فى جانبه الايمن فقلبه وعجل عطبه فرأت أصحابه

ما أصابه فهزوا الحراب إلى نحو بنى قراد فجرحوا عشرة أبطال وقد قتلوا ثلاثة ودفعوا الخيل وهجوا على وجوههم وتتابعت بعدهم المنهزمون وقد انجلى عنهم وبان الضوء وجعلوا يطلعون من باب الجبل وهم كتائب وكراديس وطلائب وعنتر واقف على رأس المضيق وكل من وصل إليه زعق فيه فذهل فيرمى عنه العدة وينهزم ويختبل وشيبوب يرمى فيهم بالنبال والرجال تطعن فيهم بالرماح الطوال والارواح تهرب من الأجساد والدموع تجرى على مفارقة الحريم والاولاد حتى أن الهارب إذا رأى شبحا قال هذا عنتر بن شداد ولما انجلى الصباح قل العدد وانقطع المدد وعاد عنتر ورجاله إلى الوادى فرآه يسيل بالدماء وقد أقلقه أنين القتلى ومافيه إلا رجل مجروح أو جسد بلا روح فقال عنتر لاصحابه خذوا أنتم هذه الأموال والرجال وسوقوا الاسارى فى الحبال قال الراوى المؤلف لهذه الأقوال وكانت هذه الليالى تعد بليال وتحسب بسنين طوال وكان عنتر فيها فحلا من الفحول الثقال ورجاله قد أشفوا الغليل ورموا الفرسان بالويل والنكال وكانوا قد أسروا من الفرس ثلاثمائة فارس من عرب وعجم فشدوا الجميع مع حذيفة بن بدر ثم عادوا وهم طالبون جبال الردم ووادى الرمال وساروا وعنتر فى المقدمة والجيش بين يديه وخلفه إلى جانبه عروة وعنتر مفكر فيما يقدم عليه فى وادى السيل مع هؤلاء الجيوش والعشائر وقد أخرج يده من جلباب درعه وأشار إلى عروة يخاطبه بالشعر ويقول هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات

حى يا عروة وادى السيل حى ... حيه ما دمت يا ابن العم حيا
كم غلام شاب فى ليلته ... رأسه من بعد ما كان صبيا
كم شجاع قد رأى ما هاله ... وتمنى أن يرى الصبح مضيا
فسقاه الموت كأس علقها ... من حسامى ثم ناداه عتيا
يالها من ليلة قضيتها ... برجال يبصرون الموت غيا
من بنى عبس إذا ما عبسوا ... أطيطت أنسابهم سعدا وطيا
ولهم خيل إذا ما ركضت ... عاد صوت الرعد الركض خفيا
سائلى يا عبلة عنى واسمعى ... خبرا يشفى الداء الدويا
لنا سقت من أعداك لما أن أتوا ... يطلبون كل جبار عتيا
ومزجت الماء بالسيف دما ... تجرى كالسيل فى الوادى طريا
خبروا النعمان أنى أسد ... مجتنى رمح تسامى سمهريا
من دما الأبطال شربى كلما ... شربت فرسانهم كأس الحميا
عندى الانصاف فى يوم اللقا ... وإذا خان العدا كنت الوفيا
لا أبالى باستلامى للقضا ... لا ولا أندب بيتا لى دهيا

اشبع الاطيار من أجسادهم بقناتى ثم رمحى السمهريا
وأنا من خير عبس منصبا وبهم افخر كهلا وصبيا

(قال الراوى) لهذا النظام بعد الف صلاة على المظلل بالغمام هذا الذى جرى لبنى عبس وعدنان وأما ماكان من الملك النعمان وما جرى له من الأمر والشأن فإنه كان قد نزل بالقرب من الوادى الذى ذكرناه وهو حاسب مثل هذا الحساب فوصل إليه أول المنهزمين فى الليل وهم يدعون بالثبور والويل واخبروه بما فعل عنتر وأنه قد قطع منهم الأثر فعند ذلك هاجت العسكر وعول اكثرهم على الهرب والذهاب هذا وقد ركب النعمان وقال للعرب ياويلكم تقدموا إلى رأس الوادى ولا تتركوا أحد من المنهزمين يختلط بنا فى هذا الليل الهادى وإلا وقع فينا السيف فتقدمت فرسان بنى لخم وصارت تستقبل المنهزمين من العجم وتردها إلى الفضاء وأما العرب فانها ركبت واعتدت وأقامت تنتظر المدد إلى أن اصبح الصباح وعرف كل خصمه بحقيقة النظر وحدثوا النعمان بما فعل عنتر فاشتغل قلبه غاية الاشتغال وتعجب من الفعال وأقبل أخوه الأسود ومعد يكرب فى آخر العسكر وسارت بعض القبائل تقطع ذلك البر كما قطعت ذلك الوادى الاقفر الذى فعل فيه خلاصة عنتر وماز الوا ساترين إلى أن أشرفوا على جبال الردم ضحوة النهار وكان عنتر وصل إليها قبل انشقاق الفجر وشد الاسارى وقال لأخيه نادى فى العسكر أن يأخذوا الأهبة والعبيد يستعدون بالحجارة الكبار فعند ذلك نادى جرير فى الأبطال وأعلمهم بذلك المقال وأخبرهم بالحال فاعتدوا للقتال وتأهبوا اللقاء الأبطال (قال المؤلف) لهذه الأقوال صلوا على من سلمت عليه الغزال وقد وقد ركبوا الخيل الجياد وطلعت العبيد لحفظ جوانب المضيق بالقسى والنبال وقد حملوا معهم الحجارة والصخور والكبار وخرج الملك زهير وأولاده وتقدم موكب بنى قراد وفى أوائلهم عنتر بن شداد الذكى الفؤاد وما فرغ من هذا الترتيب حتى أشرف عليهم النعمان وعلى رأسه علم الذهب من أعلام كسرى أنوشروان ولما قارب النزول دقت الطبول واهتزت الأرض عرضا وطولا وازدحمت البيارق السود والاعلام والبنود والبازات الذهب السلطانية ودقت الكاسات الكسروية ومدت سرادقات النعمان مقابل باب الوادى وعلت قبابه ونزل مفرج بن هلال وطائفة بنى شيبان عن يمينه مع الربيع بن زياد وبنى فزارة ونزل معديكرب فى بنى زبيد ومراد عن يساره ولما هدأت الطوائف أبصرت بنو عبس قلة عددهم فقلوا فى أعينهم ونظروا عنتر بين أيديهم وقد أخرج يده من جلباب درعه وهو واقف بين العسكر القادم فلما رأته بنو كندة زادت أحقادهم وقد تقدموا إليه وتبعهم بنو شيبان أصحاب الضرب والطعان وطلبوه من كل الاجانب وأخذوا معه فى الطعان والطراد كل جانب (قال المؤلف) لهذا الايراد بعد الصلاة والسلام على خير العباد ولما طلع ذلك الغبار وانعقد وكر على أبطال عروة العدد

أدركهم عنتر بالمائة فارس الأخرى فتصادمت الخيل الجياد وصار الصلاح إلى فساد هذا وعنتر يسير من خلف رجاله ويجر رمحه من وراء ظهره فينظر ميمنهم ومياسرهم وهو كلما رأى جانبا منهم تضعضع وكثر عليه العدا حمل عليه كالجمل إذا شرد والاسد القوى اليد ثم قال لا بد أن أمحو هذا الاسم ولم يزل ينشر الرجال بطعناته وضرباته والمواكب تتعجب من قتاله واهتمامه ونقماته حتى عبر نصف النهار وتضعضع فرسان بنى كندة ووقع بهم الانبهار وطلب أكثرهم الهرب والفرار وقد كسرها عنتر بهيبته وعروة بهمته وهو فى مائتين فارس وكان أخصامهم فى ألفين فارس ثم عاد وقد قتل من رجاله عشرون وقتل من الأعداء سبعمائة بطل وعند عودتهم تلقاهم عنتر وهناهم بالسلامة وصار يشجعهم ويقول والله يا بنى عمى ما تعلوا الكرام المنازل إلا بالصبر على النوازل ومن لم يصبر على النوائب لم ينل أعلى المراتب وطمع فيه الغرباء والأقارب فقال عروة بن الورد والله يا أبا الفوارس ما نصرنا هذا اليوم إلا بهيبتك وحسن فعالك وقتالك وعلو همتك ولا تمت لنا هذه الفعال إلا بكونك خلف ظهرنا فشكره عنتر وأما الملك النعمان فانه نزل فى السرادقات وهو متعجب بمسير تلك القبائل إلى فارس واحد قال والماجرى فى القضية ما جرى أخبر النعمان أكابر دولته بفعال عنتر وأصحابه وكيف كسر بنى كندة فى مائتين فارس قال هذا الرجل قد جعل الحرب دأبه والضرب والطعن شربه ثم أخذ الراحة إلى ثانى يوم ثم أمر النقباء بترتيب الصفوف : ثم أن عنتر أهم أن يبتدر النعمان بحملته ويدهمه بصولته ويبلغ منه قصده ومنيته ويأسره فى الميدان بحملته وإذا بالجيداء بنت زاهر قد أقبلت فى طائفة من بنى زبيد وهى مقبلة كالبرج المشيد مسربلة بالحديد وفى يدها قناة خطية وعليها لباس السواد وهى مقروحة الفؤاد بعلامة الحزن على ابن عمها وبعلها خالد بن محارب الذى قتله عنتر (قال المؤلف) ثم ان الجيداء لما صارت بين الصفوف ورمقها الطائفتان صرخت وولولت وبكت وتحسرت وبدمع عينها تشرقت وأنشدت تقول صلوا على طه الرسول

يا لقومى قد قرح لدمع خدى وجفانى الرقد من عظم وجدى
ولباس السواد قد هد حيلى وترى ذا السقام عظمى وجلدى
كان لى فارس سقاه المنايا عبد عبس بجوره والتعدى
بدرتم هوى إلى الأرض لما رشقته الحمام من كف عبد
وتركنى من بعد كثرة جندى ورجالى أكابد الهم وحدى
يا قتيلا بكت عليه البواكى فى جبال الفلا وفى أرض نجد
وبكاء الحمام لما توالى وشكا من مقامه فى الغمد
كان مثل القضيب قدا ولكن قده صرف دهره شوم قد

يالقومى يكشف عنى ويراعى من بعد خالد عهدى

(قال الراوى) فوالله ما وصلت الجيداء إلى تلك الأبيات حتى صاحت عن بكرة أبيها بالاصوات بالثارات خالد وحملت بنو زياد وقد أطلقت الاعنة ورمت الاسنة وصار لهم ضجة ورنة وقد جردوا السيوف وهم يضجون فلما رأى الملك زهير ذلك الحال عاد فى باقى الابطال وقد حمل بنفسه يطلب القتال وقد عملت الرماح الطوال وطارت رقاب الرجال ووقعت الرؤس من الاعناق وقام الحرب على قدم وساق ووقع بهم الخوف والعدم وكلما سمعوا بأن عنتر أدهمهم طلبوه بالقنا والقواضب وداروا به من كل جانب وقد كشفوا رؤسهم وزمجروا بالجملة عليه وقد خنقوا ملبوسهم وكانوا سبعة آلاف بطل همام وليث كمقام ويتبعهم ألف فارس من بنى لخم وجذام وأيضا جماعة من العربان من فرسان الملك النعمان وبين أيديهم معد يكرب يدمدم كما الأسد الضرغام (قال الراوى) ولما نظر عنتر إلى حملهم علم أنهم لا يردون غيره لاجل ما فى قلوبهم من الاحقاد والكياد فالتقاهم بنفسه وأخذ معه عروة بن الورد ورجاله وثلاثمائة فارس من أبطال بنى عبس واستقبل رماحهم استقبالا كما تستقبل الأرض العطشانة قطر الغمام وصار يسحبها على رواق درقته بصناعته وكان الذى يدهمه أو يناجيه من الانام يبرى أعلاه بالحسام وهو يفترسهم بهمته افتراس الاسود للاغنام وقد ملأ الصحراء من قتلاهم والآكام وله صوت ودمدمة كأنها دمدمة الرعد فى الغمام ولم يزل على ذلك الحال وتلك الأحكام إلى أن كسر كل هؤلاء وبدد عنهم جماعة من الفرسان وملا بقتلاهم الميدان (قال الراوى) وأبصر الجيداء وهى تحرض الرجال وتعلن بنداها الابطال فطلبها عنتر وقاربها وزعق فيها فأرعبها وطعنها بعقب الرمح فقلبها وكسر لها ثلاث مواضع من جانبها قال الراوى فلما رأى ذلك معد يكرب نادى عنتر شلت يداك يا ابن الامه اللخناء أتظن أن الأيام لك كل يوم بالسعادة تدوم فأبشر فهذا اليوم عليك مشؤم ثم حمل واراد أن يطعن عنتر فما أمهله أبو الفوارس وقال له خذ حذرك ثم طعنه طعنة الحنق وضربه بالسيف فقطع حديده ووثاق زرده ووصلت الضربة إلى جسده فاجرت دمه وأشرف على هدمه ومنة حلاو الروح سار فى الآكام طالبا الخيام وحمل عنتر بعد ذلك على بنى زبيد فما كان لهم بحربه طاقة فولوا وتقهقروا وانخرج عنتر إلى وراء رجاله ووقف يرعاهم ويحفظ بنى عبس وصار الملك زهير خائفا عليهم من حملة الملك النعمان وكثره المواكب الذين معه من قبائل العربان وأما النعمان فانه انذهل وأخذه الفكر فيما شاهد من عنتر ومن بنى عبس الأحرار (قال الراوى) وكان النعمان قد أراد أن يرسل إلى زهير يطلب منه الصلح من غير حرب ولا نزال فما مكنه الوزير عمرو بن نفيلة بل قال أن

أيها الملك القوم فى هذه الساعة قد بحوا علينا وزاد طمعهم فينا وإن طلبت منهم صلحا يأبوا ويقولوا لولا خوفهم منا ماسألونا ولا طلبوا منا الصلح والصواب ياملك أنك تدلهم بكثرة الخلائق وتأمرهم أن يدوروا بهم من المغارب والمشارق ويفنوا أكثرهم بالسيوف البوارق وتلقى هيبتك فى قلوبهم حتى يجيبوك إلى ما تريد قال الراوى لهذه الأخبار فصبر النعمان وفى قلبه نار الوقود فلما رأى فعل عنتر بنى زياد زاد به الهيمان والتنكيد وعول أن يأمر بالحملة إلى سائر العربان وإذا بأخيه قد حمل بباقى الفرسان وهى العشرون ألف فارس الذين معه وداروا بعروة ورجاله وانقضوا عليهم مثل انقضاض القيعان وزاد الصياح من كل جانب ومكان وطلع الغبار وقد تقنطرت فيه من أعلى السروج الفرسان وتضاربوا باليمان وتطاعنوا بالسنان فأبصر عنتر فأمر أباه شداد وعمه زخمة الجواد أن يحملوا بالألف فارس ثم أنه تبعهم وزعق فيهم وقال يا بنى عمى لا تفزعوا من كثرة العدد فها أنا وراءكم أحفظ أقصاكم وأدناكم وأنا أنظركم وأرعاكم فمزقوا أعداءكم بمضارب السيوف وفرقوا هذه الألوف ولا تخافوا من الحتوف فعند ذلك حملوا بقلوب قوية ونيات صحيحة وخيول مستريحة وصاحوا ببنى لخم ففرقوهم عن عروة ورجاله تفريق الغنم وصاح عنتر ثانيا فولى الجبان وانهزم وقام الحرب على ساق وقدم وصاح سبع المنايا وهجم وزعق وتقدم ووقع الجبان فى العدم ثم أن عنترا أبصر النعمان فقال عنتر وا تأخيراه عن القتال فعلم النعمان أنه يخبىء نفسه لساعة الأهوال فزعق وصاح فى العشرة آلاف الذين عن يساره وأمرهم بالحملة مع مفرج بن هلال فحملت ومعها الربيع بن زياد واقتحمت العجاج والسواد وتصادمت الخيل والجياد ومالت الأبطال السداد وهم الملك زهير أن يحمل فى باقى بنى عبس فلم يمكنه عنتر بل قال يا ملك أنت وأولادك احموا ظهرى بفم المضيق ولا تحمل حتى ترى النعمان حمل ثم حمل عنتر فى الف آخر وأكب رأسه فى قربوس سرجه ومد بين آذان الابجر فخرج من تحته كالبرق الخاطف إذا غشى البصر ثم أنه ألهب الحرب وأحماها وتلقى الأبطال بالضرب وأجرى دماها وأغمد سيفه الظامى فى قمعها وكلاها وضرب بسيفه الرماح فبراها وأطعم الوحش من لحوم القتلى وأقراها هذا وبنو عبس قد جاوبته بنداها ونادى بعضها بعضا بأسماها وأقرنت شدائدها ورخاها وقد عظم مصابها وغيبت المعمعة جميع الفرسان بضياها وأورثت الرجال بلاها (قال الراوى) لهذه السيرة وقد كشفت المنية عن أنيابها وأيقنت النفوس بذهابها وزادت نار الحرب وقوة التهابها ودارت أيدى القضاء على مشايخها وشبابها ونفذت الأسنة فى قربها والبابها وعلقت الناشبات فى لحوم الأبطال أنيابها وقطعت السيوف من الرجال رقابها واحتجبت الشمس وكان الغمام حجابها (قال أبو عبيدة عفا الله عنه) وطارت الجماجم من أعلى رقابها وشاب من الفرسان شبابها

وكانت الحرب مثل جهنم وعنتر بوابها والفرسان احطابها وكانت جماجم الفرسان نعال لدوابها وكان الملك زهير كلما أبصر بنى عبس تقهقرت يسعفها بمائة بعد مائة حتى بقى هو وأولاده وأجناده حوله فى ثلثمائة فارس كأنهم الأسود القناعس ورأى الربيع ذلك فزاد به استبشار وخرج فرحان من تحت الغبار وقال للنعمان ياملك الزمان أما ترى إلى بنى عبس قد ضاعت بين هذه الخلائق ولو أسودهم عنتر ماكان بقى منهم أحد وهذا الملك زهير واقف فى باب الشعب وأولاده بين يديه فلم لا تأمر بعض القبائل بالحملة عليه وتضع السيف فيمن حواليه وربما أسرتهم وهجمت الوادى وسبيت العيال وأخذت النساء والأموال وقد انفصل الحال فقال النعمان بالله عليك ياربيع دع هذا الهذيان واصبر حتى ننظر على أى شيء ينفصل الحال وهذا أمر والله طويل ولا بد أن يتحدث به جيل بعد جيل ويعايرنا بفعله كل قبيل لأن هذه الأربعين ألف فارس لا يفزعها شيء وما بلغت منها عرضى فوحق النار أن أصحابنا هم الخاسرون وأن بنى عبس هم الرابحون والصواب ياربيع أننا نلزم الناموس والا لعبوا بنا فى القيام والجلوس وحل بنا كل شين وبوس ونقع فى البلاء والنحوس لأن مضيق القوم محفوظ بالرجال ولهم على أحاقيف هذه الجبال عبيد مثل زبل الجمال وعندهم الحجارة الثقال وأكثرهم بالقسى والنبال وما يقبل عليهم إلا من زال عنه الاقبال قال الراوى لهذه الاقوال ألف صلاة على المظلل بالغمام سيد أهل الكمال فقال الربيع وقد وقعه الخجل والله ياملك لولا هذا العبد ولد الزناكنا بلغنا وها أنت تسمع صوته قد أقلق الأرض شرقا وغربا وهو لا يمل طعنا ولا ضربا ولو كان بين يديه تعرف شيئا من الحرب كان انفصل الكلام فقال النعمان وحق النار وما فيها من الأنوار لئن لم يقتل هذا العبد لا ينتج حينا ولا يقلع أبدا (قال الراوى) ولم يزل القتال يزداد ويكثر العناد إلى أن ولى النهار فنادوا بالانفصال وقد مالوا من الانصدام وطلب كل فريق منهم مضاربهوا الخيام والتقى الملك زهير بأولاده وهم سالمون غانمون ومن ورائه سائرون وعنتر وراءهم مثل شقيقة الارجوان وأكمام درعه تنقط من دماء الفرسان وجواده منقع بالدماء وبياض رجليه صار أدهما من رؤس القتلى الذين صاروا رمما وهو ينشد ويقول بعد ألف صلاة ترضى نبينا محمد الرسول غاية المسئول والمأمول ورضى الله تعالى عن ابن عمه زوج البتول وأشار بهذه الأبيات التى تطرب العقول .

ياعبلة قرى بوادى الرمل آمنة ۔ من العدا وإذا أحرقت لاتخفى
فدون بيتك أسد فى أناملها ۔ بيض تقد أعالى البيض والجحف
لله در بنى عبس لقد بلغوا ۔ كل الفخار ونالوا غاية الشرف

خافوا من الحرب حتى أبصروا فرسى ... تحت العجاجة يهوى بى إلى التلف
ثم اقتفوا أثرى من بعد ما علموا ... أن المنية سهم غير منحرف
خضت الغبار ومهرى أسود حالك ... وعد هو خضيب من دم الجيف
ما زالت أنصف خصمى وهو يظلمنى ... حتى غدا من حسامى غير منتصف
إذا عاب سوادى لو جهلت به ... فالدر يستر ثوب من الصدف
وما شرفت بقومى بل همو شرفوا ... بما بلغت من العلياء والشرف
وقد سلكت من العلياء منزلة ... بدر الدجا لو علاها عاد وهو خنى
وارض ملكى وسكان الفلا خدمى ... وفوق ظهر السها والمشترى شرفى
لولاك ياعبلة ماذل الهوى عنق ... ولا دعوت دعا يعقوب وا اسفى
عسى تجودى بوصل منك يا أملى ... تحيى الفؤادى من الآلام والتلف

(قال الراوى) لهذا النظام فلما سمع زهير هنأه بالسلامة وقال له لله درك ودر أبيك وباركت اللات والعزى فيك فما أفصح كلامك وماأمضى حسامك ثم افتقد بنى عبس فوجدهم قد فقد منهم مائة فارس فقال وحق الفرد الصمد لولاك ماكان اليوم رجع منهم أحد لانى رأيت العرب قد شالت عليهم مثل الزبد ولكن بهبتك انتصروا وبسيفك تخلصوا فشكره عنتر على ذلك الحال والكلام ونزل الناس لأكل الطعام وأخذوا الراحة وهم محترسون لانفسهم أيقاظ لأرواحهم وأما الملك النعمان فإنه نزل بعدما أنفذ أخاه الأسود للقبائل والفرسان وحسبوا من قتل فكانوا أربعة آلاف وسبعمائة فارس وأكثرهم من بنى زبيد لانهم تقدموا اقدام الجحافلة فقال النعمان وحق النار والنور إن دامت علينا هذه الأمور فما يبقى منا من يخبر بخبر من فعال هذا العبد عنتر وهذه مصيبة ما رأى غيرنا شكلها ولا وجد مثلها إن لم تدركنا القبائل وإلا أصبح عزنا زائل فقال الوزير أيها الملك الامجد وحياتك ما اهلك الناس إلا هذا العبد الاسود لأنه قد طمع فى الحرب وعلم أنه ليس له مقاوم ولو كان هنا فارس مثله يلقاه لكان لعب السيف فى أصحابه ورفقاه وإلا فما دمنا هكذا ما نبلغ المقصود ولو أننا بقوم عاد وثمود لان عنترا ما حمل على موكب إلا ومزقه وفريق إلا وأهلكه فقال النعمان أيها الوزير وحق النور وشمس النهار لو انى كنت أعلم أنى التقى هذا الملتقى فى هذه البيدا ماكنت بت فى هذا المكان أبداً وقد كنت حسبت أنى أصل إلى هذا المكان فى الحال وأحضرهم فى الحبال وبعد ذلك أعتقهم وأطلب منهم المتجردة بنت الملك زهير وأتصل بهم لانهم فرسان وأى فرسان أشجع منهم فى هذا الزمان لاسيا عبدهم الأسود الذى ناره فى الحرب ماتخمد لانى إذا كنت أنا ملك العرب وخلفى مثل هذه الطائفة العبسية هابتنى جميع الملوك القصية والدنية ووقعت لى الهيبة فى قلوب العجم وصرت

عند كسرى معزز أمكرم ولـكن كيف الوصول إلى هذه الحالات والمراتب العليات وإنى
وحق النار هانت عندى نفسى وصغر ملكى فى عينى وزادت محبة هؤلاء القوم فى قلبى
وإن لم اتصل بهم وإلا مت بغير اجلى (قال الراوى) ثم نزل لإسرادقه وكاد الغيظ أن يخنقه
وهو متفكر فى هذا الامر العسير وزاد الحرس من الطائفتين والجد والتشمير واوقدت
بنو عبس النيران على الجبال فصارت كانها مواكب من نار ذات لهيب التلال وما زال الامر
كذلك حتى طلع الصباح وركبت عساكر النعمان على ثنايات باردات هامدات لأن
أكثرهم قد أتى للنهب وماظن أنه يلقى من قتال بنى عبس هذا الملتقى ولما ابصروا منهم
تلك الفعال أيسوا من نهب المال وفترت نياتهم عن القتال وصاح عنتر فى بنى عبس فتبادروا
مثل السباع الهوامل وقد حدثوا أنفسهم بكسر تلك القبائل وفى تلك الساعة وصل إلى
النعمان نجدة من اليمن عشرون ألف فارس وهم طوائف مختلفة وفيهم طائفة يعبدون القمر
يقال لهم بنو الاشتر وأيضا حامى بلاد اليمن إلى سواحل البحر وصاحت أرض الطلع وهو
الذى ضربت به الأمثال وتعودت منه صناديد الرجال لان هذا الفارس كان يقاتل فارسا
وراجل كانت تفزع منه الملوك الأفاضل (قال الراوى) وكان لطيف الخلقة رقيقا
رشيقا يقاتل بالعمد والمزاريق وإذا عدا على قدميه قبض وحش الفلا بيديه إلا أن خلقته
وحشة المنظر وكان قصيرا اسمر غميق السواد زائد الخيل والنحب قليل المنال فى قبائل
العرب وكان الملك النعمان ينفذ له الهدايا كل طول الزمان ويتحفه بالخيول والأموال
ويرجو منه النصر على كل الشدائد والأهوال ثم أنه لما قدم فى ذلك اليوم اكرمه النعمان
وأحسن إليه وإلى رفقاه وترحب به عند ملتقاه وقال له النعمان ياغاسق وحق النار ما تيت
إلا فى وقت الحاجة إليك ثم اخبره بما هو فيه من الأخبار فعندما تبسم غاسق من كلام
النعمان وتقدم وباس الأرض وقال أيها الملك أدام الله عزك ونشر بالعز والعدل فضلك
لو كنت أنت صبرت حتى وصلت أنا إليك ماكنت أحوجتك إلى هذه القبائل بل كنت
سرت وحدى إلى هذه الطائفة وبلغت منها المنى ولـكن ماكان أيها الملك إلا هكذا وأنا
وحق الملك المتعال وما أقود إليك ، لا عنتر بن شداد ولا اترك من أصحابه من يخبر بخبر
ولا أخرج للحرب إلا عارى الجسد من الحديد والزرد حتى تنظر هذه القبائل فعلى وتشهد أنى
مافى زمانى مثلى (قال الراوى) وبعد كلام غاسق التفت فرأى الصفوف قد تعدلت فعند
ذلك ترجل غاسق عن جواده ورمى الرمح من يده وزعق ببعض عبيده فأتى إليه وباس يديه
فقال له إئتنى بحسامى والحربة فعندها ناوله حساما عريضا ثقيلا وحربتين دقاقا بأسنة مثل
لهيب النار ولما صار الجميع بين يديه خلع غاسق الأثواب التى عليه ولبس ثوبا قصير الاكمام
وضيق اللثام وأخذ بيده اليمنى حربته وحسامه والدرقة بشماله وكانت درقة واسعة

الصفات قوية الزواق لا يخرقها حربة ولا مزراق ولما كملت عدته برز إلى الميدان وسعى على قدميه وجال كما يجول على الخيل الجياد الفرسان وقد حير الشجعان فهتب إليه العيون من كل مكان ولما قارب بنى عبس صاح ونادى بأعلى صوته وقال يا بنى عدنان ويا فرسان هذا الزمان أطلبوا فرسانكم وأبطالكم وشجعانكم إلى هذا الميدان إن شئتم رجاله وإن شئتم أبطالا خياله حتى أريكم من فعالى ما يدل على طول الزمان والليالى فها أنا عارى الجسد خالى من الحديد والزرد وقليل السلاح والعدد وقد خرجت إلى الميدان هدفا للسيوف الفواصل وأسنة الرماح الذوابل على أن الاجل إذا حضر وكان مقدر الاترده الدروع ولا الحراب فابرزوا إن أردتم أفرادا وإلا أزواجا ثم صال وجال وقال أنا لا أتكبر على أحد حرا كان أو عبدا أو الخلق عندى كلهم سواء ثم أنه أنشد وجعل يقول صلوا على سيد السادات وصاحب المعجزات :

إنما يلبس الحديد جبان	جاهل فى حوادث الأعوام
وابن عشرين لا تزيد سنوه	بفرار لو ظل فوق غمام
والمنيا إن لم تفاجئك صبحا	فارتقبها عند اختلاط الظلام
أنا حتف النفوس ساق المنايا	باهتمامى فى يقظتى والمنام
من رآنى فقد رأى الموت حقا	من خيال يلوح تحت القتام

(قال أبو عبيدة) هذا ما جرى من غاسق مقدم بنى الاشتر وأما ما كان من بنى عبس وعنتر فانهم صاروا منتظرين إليه وكان الملك زهير قد حمل هما عظيما من قدوم هذه النجدة إلى النعمان وقد علم أن قبائل العرب إليه متتابعة فعند ذلك اشتغل قلب الملك زهير لذلك فعلم عنتر منه خوفه من المهالك فقال يا ملك الزمان لا يهم قلبك كثرة الأعداء فنحن إن زاد علينا الأمر وكان كثير الأخطار ودخلنا الشعب ومسكنا رأس المضيق وطاولنا الأعداء بالحصار ولو أنهم فى عدد رمل العقيق ولا نصالح النعمان إلا على ما تريد وإن لم يفعل النعمان ذلك فأنا آخذ معى عشرة فوارس وأقطع بهم عرض البر وأختلط بقبائل العرب وإذا أصبح الصباح درنا حول النعمان ومن معه وحملنا عليهم وقتلناهم وصلنا على الجميع وقد فرقناهم لأنه يا مولاى هذا الملك إذا قتلناه تفرقت هذه الطوائف إلى بلادهم وربما نهب بعضهم بعضا وطلبوا ديارهم فبينما عنتر مع الملك زهير فى هذا المقال وأمثاله وإذا ببعض فرسان بنى عبس قد انقض على غاسق وطلبه مثل البرق البارق ومد إليه رمحا طويلا بلا خارق ولما رآه غاسق ثبت إليه حتى قاربه وضرب رمحه بسيفه فبرى فى الحال مضاربه وهز إحدى الحربتين اللتين فى يده وضربه بها فولى فوقعت فى ظهره فرقت تلمع من صدره فلما رأت الفرسان ذلك علمت أنه بطل شديد فبرز إليه ثان من بنى قراد يقال له زياد فجال

وصال فما تركه غاسق يجول بين الرجال وضربه بالسيف فقده نصفين وصار فى الحال دلوين (قال الراوى) فلما رأى عنتر ذلك الحال تغيرت منه الأحوال وتكدر عيشه أسفا على الرجال فقال عنتر أن برزت إلى هذا الشيطان وأنا فارس فما أكون انصفت بين الشجعان وإن برزت إليه راجلا رأى الغلبة خلانى وعدا على قدميه فما أقدر أن ألحقه ولا اصل إليه فعندها قال الأمير ناصر الدولة شيبوب يا ابن الام أنا اخرج إليه واضاربه بالنبال وأوسع معه فى المجال وأبصر أينا اقوى عصب وأسرع جريا نا عند الطلب فقال عنتر والله يا شيبوب ما أنت من رجاله ولا نقدر عليه فى ميدانه لأن أحواله شاهدة عليه والنجابة لائحة عليه وإن أنت خرجت إليه فلا آمن عليك من حربه قال الراوى فبينما عنتر وشيبوب فى الكلام وإذا بعروة قفز إلى غاسق ونادى ويلك يا ابن الأنذال لقد لعب العجب بعطفيك حتى أحتقرت بالرجال وخرجت راجلا تطلب القتال وها أنا اريك عاقبة البغى والضلال ثم أنه طلبه وصال وجال وأنشد وقال صلوا على باهى الجمال :

الجهل والعجب يعيب الأنام فدعه يامطرود ياابن اللئام
ما كل من قال أنا سعيد يصدقوه الناس عند الكلام
فالارض حبلى وهى ولادة تأتيك باولاد فى كل عام
وقد فتكت اليوم فى سادة كانوا رجالا عند ضرب الحسام
وسوف يأتوك بنو سادة بطعنة تسقيك كاس الحمام

(قال الراوى) لهذا الحديث الغريب فلما سمع غاسق كلام عروة ورأى هجومه عليه طالبه وهو يقول يا عبسى وحق الليل إذا انسدل والظلام إذا اكتحل ما قلت إلا قول الشجاع والبطل ولكن اين الناس من يقول ويفعل ويصبر عند ملاقاة الرجال فى السهل والجبل تحت غبار القسطل فما فرغ من كلامه حتى اطبق عليه غاسق به زعقة الأسد وقد تقدم إليه وقاربه وهز الحربة التى كانت منه وضربه بها فجاءت فى جنب جواده فقلبه فعاد إليه وأدركه قبل أن يثور وأدار كتافه وسلمه لعبيده فأخذوه وساقوه ذليلا حقيرا وكان خلفه ثلاث عبيد لا تزال قريبة منه فى المجال كما طلب شيئا من آلة الحرب ناولوه وإذا أسر أسيرا أخذوه منه وتناولوه ثم أن غاسقا لما سلم عروة إلى عبيده قال لبعضهم ائتنى بجوادى ورمحى حتى انجز أمر هؤلاء القوم اللئام قبل أن يذهب الظلام فعندها اتوه بجواد من تربية العرب كثير الأدب مليح اليقظة ذيال الذنب له غرة مثل الكوكب يلحق إذا طلب ولا ينجو منه من أراد الهرب وناولوه رمحا قصيرا غليظا مكعب كانه حمة عقرب أو قبس عال مرقب فعندها ركب غاسق الجواد مثل الشيطان واستلب الرمح منهم الحاد السنان وحمل وقد قبض فى مقبضة الترس حربة ماضية من الحراب الخراشية وقفز وهو يطلب بنى عبس وقد قلوا

فى عينه وهانوا عنده وقد حدثته نفسه به يكسرهم وحده ويأخذ بذلك الشرف على أهل الحضر والبوادى وحمل وهو بين الصفين بادى وكانت حملته على الميمنة ولما حل فيها صار يلعب بالرمح ويقصد به النحور ويطعن فى الجوانب والصدور حتى قتل خمسين فارسا وبطلا من جملة الفرسان والعرب من غير مهل فعندها تشوشت العساكر وهاجت الاكاسر وقد بهتت الخلائق وماجت بنو عبس لما رأت هذه البرائق ثم التفتت تطلب عنتر وإذا به قد قفز بجواده الابجر إلى الميدان وموقف الطعان ورأى غاسقا وقد فعل هذه الفعال فعندها زادت نيرانه اشتعال ولما قرب غاسقا سمع الصياح منه عالى ورأى الخيل تتبادر إلى نحوه مثل السحالى وهو يردها بصيحاته وقد أسر وهو معه أسير وجعل يقوده بحبل كالبعير وفى الحال سلمه إلى عبيده وهو حقير وقال لهم أطلبوا بهذا إلى الملك النعمان حتى أردأنا عنكم الفرسان فهذا الذى جرى لهذا الفارس ٭ وأما عنتر فانه لما صدم الميدان ورأته الفرسان ورأى غاسقا ومعه ذلك الأسير طلبه عنتر وإذا هو بالمأسور أبوه شداد فعند ذلك زعق زعقة عظيمة اهتزت لها الجبال الشداد وحمل على العبيد وطعن أحدهم فى ظهره فطلع الرمح من صدره وأراد أن يخلص أباه فادركه غاسق وفاجاه وصاح فيه وناداه وفى الحال انطبق الاثنان انطباق الجبال وقد لعبوا بالرمحين حتى حيروا الفريقين وتلاعبوا على ظهرى الجوادين فما سمعت الاذان ولا رأت العينان مثل ما جرى بين هؤلاء الفارسين فهذا ما كان من هذين البطلين (وأما ما كان) من النعمان فانه زاد به الفرح واتسع صدره وانشرح وتيقن أنه يأخذ عبس وعنتر مع جملة من أسر فعند ذلك دنا النعمان ينظر من تحت الغبار وقد انكشف عنه الأعلام وتقدم إلى الضباب لأجل أن يرى ما يكون بين عنتر وهذا الغلام وعندها تقدمت من ورائه بنو فزارة والفرسان والابطال وأكثروا القيل والقال وقد صرح الملك زهير فى بنى عبس وغطفان وبنى عمه من آل عدنان وما صرخ زهير فى قومه وحمل بنفسه يطلب الحرب والقتال إلا لأن فعال غاسق قد قطعت ظهره واحتار فى أمره وتقطعت منه الأكباد وقال لمن معه من الأولاد والعساكر والاجناد كونوا على أهبة أمركم وإذا قضى الله عنتر بقضائه ورأيتم طوائف النعمان عليكم قد حملت فالتقوهم بصدوركم ولا تموتوا إلا وانتم كرام لأننا إن قصرنا عن ضرب الحسام سبيت نساؤنا والعيال وخربت ديارنا والاطلال وتفرقت سبايانا إلى سائر البلاد والجبال فما فرغ الملك زهير من هذا المقال والكلام حتى جردت بنو عبس كل حسام ضمام وأشهرت صفاحها وهزت رماحها وعلا صياحها وقد وطنت الرجال أرواحها فعند ذلك بلغ الخبر إلى حريمهم والعيال فاقلقوا بصياحهم الجبال خوفا على الاطفال وأرخوا الذوائب على الأكتاف وخافت القبيلة كل المخاف وقد رفعت النساء كلها ألسنتها بالدعاء إلى عنتر وقد أشارت عليها بأصابعها نحو

السماء ولطمت خدودها حتى تخضبت بالماء فزعا من السبي بعد الحماء وكذلك سمينة زوجة شداد زاد بها البكاء والتعداد وقد دار عنتر وخصمه الجلاد (قال الراوى) لهذا الخبر والايراد بعد الف صلاة على سيدنا محمد سيد العباد وطلع الغبار حتى عاد النهار سواد ورأى كل واحد من صاحبه ما رأى وقد حار الفريقان بما جرى ودار الأمر كذلك حتى انقضى أكثر النهار وسار غاسق ذا بلازائل وبعد ذلك عاد عنتر وقد استظهر على خصمه وقد لاحت له عليه المقاتل وعفا عنه لأن عنترا كان مراده أسره حتى يفدى به أباه وعروة وقد عرف منه غاسق ذلك لأنه كان من الفرسان المذكورة فعند ذلك نادى غاسق بعد ما أشرف على التلف وقال ياوجه العرب بحق معبودك من تكون من الفرسان فانى ما رأيت مثالك ولا أقوى من صلبك وقد سمعت أن لبنى عبس فارسا من أهل الحرب والجلاد يقال له عنتر بن شداد وأنا من أجله أتيت إلى هذه البلاد أطلب معه الحرب والجلاد وقد دخلت فى عسكر النعمان وقلت إن قتلت العبسيين افتخرت بقتله على فرسان الزمان ما خرجت هذا اليوم إلا راجلا لأجل أن ينظر طرفا من شجاعتى وقوتى وبراعتى ولاجل أن تقع فى قلبه هيبتى ويطيع الملك النعمان على ما يريد فى أى شىء سواء كان قريبا أم بعيدا والآن قد رأيت منك ما أضعف جنانى وهد مناكبى وبلى مضاربى فبحق ما تعتقده من الأديان والعباد هل أنت عنتر بن شداد أو ذاك دونك فى الجلاد فلما تكلم غاسق بهذا الكلام وأمثاله تبسم عنتر من مقاله وقال ياهذا هو أنا عنتر بن شداد الذى سمعت بذكره ووصفته من كل جالس وقائم من العباد ولولاك ياشيطان خرجت إلا راجلا ما كنت أبقيتك إلى الآن سالما وقد فعلت ما فعلت وأسرت من أصحابى ما أسرت وها أنت قد وقعت فما بقى لك من يدى خلاص على أنى أقاتلك وأناضلك حتى أنى أثخنك بالجراح وآخذك أسير من وسط هذا الفلا والبيد الفساح حتى تكون لمن أسرتهم فداء وإن وقعت فى يدى مرة أخرى قتلتك وأكون قد أخذت ثأر من معنا والآن إن أردت السلامة من الجراح تسلم نفسك وأرح روحك من الكفاح وإلا وحق ذمة العرب طعنتك فى بعض المقاتل وأعجل اتلافك وأضربك بهذا الحسام أقطع به أطرافك فلما تكلم عنتر بهذا الكلام قال له غاسق وقد أظهر الذل والخضوع اعلم ياحامية عبس قد سمعت عنك أنك منصف عند الحرب ولكن أرى كلامك هذا فى غاية التعدى لوجوه عديدة أحدها أنك خرجت إلى وأنا تعبان وقد قاتلت فارسا راجلا ولقيت ما لقيت من الفرسان والوجه الثانى أنك تأمرنى أن أسلم روحى لك من غير قتال ولا حرب ولا نزال ولو هذا أمر لو فعلته يعايرنى به الأخلاء والأصحاء والمشايخ والشباب وكانوا يقولون لعنه الله ولعن أمثاله أى شىء جرى له حتى أنه سلم روحه من غير قتال ولكن ياوجه العرب أريد أن تفعل معى ما تذكر به طول الأبد فقال عنتر وما هو الذى تريد فقال هو أنك

تعلم أننا خاليان من الزرد والحديد والقصد أنك تطاعنى وأطاعنك بلا أسنة قدام هؤلاء الخلائق والأبطال فأجابه عنتر إلى ما قال فقلع غاسق من رمحه السنان ورأى عنتر فعاله فخاف من العار وأراد أن يذكر بالانصاف فى سائر الاقطار فعند ذلك مد يده إلى رأس الرمح وعول على قلع السنان (قال الراوي) فعندها استغنم غاسق الغفلة وصاح فى عنتر وزعق زعقة من عدم صبره وجلده وهز الحربة التى كانت فى يده وزجها إليه وطلب بها صدره فخرجت الحربة من يده كأنها شهاب أو شعلة نار وقد انفتح لها باب وكان عنتر لما سمع صيحته ونظر إليه فرأى الحربة قد قاربته فمال عنها واستتر بدرقته وعلم عنتر أن خصمه قد غدره فما شعر بنفسه حتى وقعت الحربة فى كتفه ففجرت دمه وعبرت مثل السهم ولم تخطىء الوهم (قال الراوى) فعندها أحس عنتر أن السماء قد انطبقت على الأرض من شدة الغيظ وألم الجرح الذى وصل إليه إلا أن عنترا ما اشتغل بها بل أخذ الرمح فى مثل البرق وصاح بين آذان الحصان فخرج من تحته يأخذه اسيرا فرآه قد ثبت جنانه وعاد طالبه فحار غاسق من قوة اهتمامه وشدة عزيمته واهتمامه وفى الحال عول على الهرب وانسد فى وجهه كل مذهب ثم أدركه عنتر من بين يديه مثل السلهب وطعنه فى جنبه فاعتدل الرمح فيه وتصلب فمال إلى الأرض يتخبط فى دمه طولا وعرضا وعاد عنتر وقد اشتد به الألم ودخل بين الجبلين وقد انهد خلفه جيش بنى عبس وجميع الأمم وأتبعه شاس بن الملك زهير وأخوه مالك وقد صعب عليهم ذلك (قال الراوى) وكان الملك زهير على الدخول قد عول بين تلك الجبلين الشواهق فرأى عرب اليمن وبنى الاشتر قد حملوا وهم يطلبون أثار فارسهم غاسق فعندها خرج الربيع بن زياد فى تلك الخلائق وصار يقول يا ويلكم دونكم الآن وبنى عبس وقد قتل عبدها ومن كان يحميها وهاهى قد أنهزمت وانكسرت تطلب الشعاب خوفا من السبى والسيف لا يقيها وبعد كلام الربيع وقع النفير فى سائر فرسان قبائل العرب فعند ذلك انطبقت الخلائق على بنى عبس انطباق الغمام الدافق وقد حمل الأسود أخو النعمان وحمل معه معديكرب الزبيدى وعلا الصياح حتى كادت الجبال ان تنقلب ورأى الملك زهير إلى هذا الحال فعاد بباقى الأبطال وهو يطلب القتال وقد عملت فى صدور الطائفتين النصال وتقطعت المطارق والأوصال وطارت الرؤس عن الرقاب والعناق نار الحرب على قدم وساق ووقع فى بنى عبس المحاق وعملت السيوف الرقاق والرماح الدقاق وطعنت الأسنة فى المقل والأحداق وودعت الأرواح والأجساد توديع الفراق وزاد القتال عليهم حتى أظلمت الآفاق وتولت قومهم قواطع الآجال والأرزاق ودارت على العسكرين كاسات المحاق وصار القتال عند باب المضيق وتكاثرت قبائل العرب على بنى عبس من كل جانب وطريق وانحصروا فى الشعب والمضيق وهذا الحرب

يعمل بينهم كأنه نار الحريق وصار الحراب والمزاريق وحققت الحقائق وجرى الذى كما يجرى البحر الدافق فعندها أيقنت بنو عبس بالهلاك وسوء الارتباك فقاتل الملك زهير لما وقعت هذه الوقعة ورأى هذه العساكر المتدفقة وقد أخذوا عنتر او دخلوا به إلى الشعب والحى وقلعوا الحربة من كتفه ونشفوا الدماء ووضعوا عليه شيء من الحشائش النافعة وجعلوا ينظرون مايكون من تلك الجريمة الواقعة فسمع عنتر الصياح لما هدأ به من داخل الجبلين ورأى بنى عبس عادت راجعة ضعفاء عن القتال فعلم أنه إن غفل عنها نالت العدى منها أمكن منال فعندها عاد عنتر إلى ظهر جواده الأبجر وهو فى أغبر حال من الجرح المنكر وقد تألم له وتغير وخطف رمحه الأسمر وطلب باب المضيق وهو لا يعرف العدو من الصديق هذا والمنية قد هانت عليه ومن كثرة الغضب الذى قد حل به إسودت الدنيا فى عينيه وكان أولاد الملك زهير قد منعوه من ذلك فلم يقبل منهم الاعتذار وخرج كأنه شعلة نار فرأى الملك زهيرا وعشيرته فى ضيق الخناق وقد ضاقت بهم الآفاق فعندذلك زعق عنتر وحمل فى جيش النعمان فلحقتهم الرجفان من عظم زعقته وولت الخيل راجعة من شدة همته وتأخرت الفرسان حال رؤيته وتغيرت وجوهها عند حملته وفى عاجل الحال ردت اليه الخيل على أعقابها ورمت من على ظهورها ركابها مما حل بها من طعنها وضرابها ورأت من عنتر طعنا يسابق الأجل وهو يتهدر كأنه الشجاع البطل ولم يزل عنتر كذلك يقاتل ويمانع ويدافع عن نفسه وعن قومه وهو يحميهم ويضرب فى المقاتل حتى آن سواد الليل على الخافقين انسدل وقد زال طمع العربان وما كانوا أملوه الأمل ولما أن رآهم عنتر كذلك رجع هو وقومه إلى الخيام وقد عمل فى ذلك اليوم عملا منكراً وقاتل قتالا تعجز عنه الجبابرة الاول من البشر وقد عادت بنو عبس رابحة بعدما كانت خاسرة لأن عزيمتهم للعرب فغياب عنتر كانت فائزة إلا أن عنترا من ألم الجراح فى شدة شديدة ولكن له عزيمة على الحرب جليدة ولما عاد عنتر من الجولان تلقاه الملك زهير مع أولاده وبعض خلانه وأجناده وقد عبس فى عنتر لأجل فعاله وما يبدى من أعماله وقال له ياأبا الفوارس أن حياة هذه القبيلة مقرونة بحياتك وسعادتها موافقة لسعادتك وهذا بعدما اعتنقه وهناه بسلامته وقد فرح الملك زهير بما أولاه الرب القدير من عنايته ثم قال ياحمية عبس لو رأت عيناك ماجرت علينا أمس ولولا أغثتنا لكانت العرب نهبتنا لاننا وقعنا فى بحر عجاج وسارت الفرسان تتنافر أفرادو أزواج ماجرى عليها من العرب فقد طمعت فينا لغيبتك فالحمد لله على سلامتك ولولا خروجك لنا آخر النهار لما كانت العرب أبقت منا ديارا ولا نافخ نار ولكن ما يعجبنا منك أن تلقى روحك العطب والبوار وأنت بهذا الجرح الوثيق الذى كأنه نار الحريق فقال عنتر أيها الملك الجليل وحق اياديك التى

لا تحصى أن عبدك لا يبالى بالجراح لأنها عندى ألذ من شرب الراح وسوف تنظر ما أفعل بهذه العساكر عند الصباح أن شاء الملك الفتاح وسوف أقتل الملك النعمان وأحرق عساكره وأملأ من قتلاهم الميدان وقد انقضى الأمر وهان إن ساعدنى الرب القدير الكريم وأسرت النعمان بن الأوغاد فأنا أفادى به صديق عروة وأبى شداد وأنى لولا ما وقع لى هذا القرنان وما أبداه لى من زخاريف المقال والهذيان وتذلله فى الكلام لما كان قدر على هذه الفعال وما كنت تركته يرفل فى حلة عجيبة أى أرفال وما جرحنى إلا بالخديعة والمحال ولا كان يقدر هذا القرنان أن يصل إلى بحربته هنا لك ولولا خديعته ما كان ذلك ثم أن عنتر نزل عن جواده وفى قلبه وفؤاده من أسر عروة وأبيه شداد لهيب النار التى لا تطفأ لها أنوار هذا وقد نزلت العشيرة وهى متألمة لجرح عنتر (قال الراوى) فهذا ما كان من بنى عبس وأما ما كان من النعمان ومن معه من العساكر والفرسان فانه نزل وهو بالنصر فرحان وصار يتعجب من صبر بنى عبس قدام هؤلاء العربان ولما أن استقر به الجلوس دخل عليه سادات اليمن وشكوا إليه قتل غاسق وما نزل به من البوائق وكذلك وأخوه الاسود وبنو فزارة شكوا له مما دار عليهم من سوء الدوائر وكذلك معد يكرب وبنت عمه الجيداء بنت زاهر وما فيهم إلا من أشار عليه بقتل عروة وشداد وطلبوا بذلك أخذ الثأر وجعلوا يشكون اليه ما فى قلوبهم من لهيب النار وقال أخوه الملك الأسود أيها الملك المهاب الذى أراه من الصواب أنك ترضى قلوب هؤلاء السادات الذين أتوا إلى خدمتك بقتل هؤلاء وتنزل بهم البلاء المبين وتبادر غدا أعداءك بنيات صحاح وتسلبوا منهم الأرواح ويكون غدا يوم الانفصال وقد بلغت الآمال وإذا أنت ظفرت ببنى عبس الأنذال فصلبهم كلهم على هذه الجبال وفرق هؤلاء القبائل المجتمعة من لهم من العيال حتى تقع لك الهيبة فى القلوب ويخضع لك كل غنى وصعلوك ولاسيما إذا حضرت رأس هذا الأسود بين يدى كسرى وأيضا رأس ملكهم زهير وإن لم تفعل ذلك اتهمك كسرى بهلاك وردشان حاجبه وربما يقول لك أنت الذى عملت على أصحابى وسلطت عليهم العرب حتى سقوهم كأس العطب (قال الراوى) فلما سمع النعمان ذلك الكلام قال لمن معه من الفرسان الكرام ياقوم وحق البيت المعظم وحرارة الجمر إذا أضرم أنى ما أنا متأسف على مثل هذه القبيلة كيف تعدم ولولا فارسها المخدوع والمجروح لما كانت خسرت ولا تأخرت ولا حل بها بؤس ولا ترح على أنه قد خرج آخر النهار للمطال على قومه المطال وفعل على ما به من الآلام تلك الفعال فقال أخوه الأسود وقد أغضبه ذلك وكادت نفسه تزهق أى شىء مرادك تأمر العربان بالتفريق والانفصال وترحل عنهم بعد ما فعل بنا هذه الفعال وما قاسيت أنا من الأسر والاذلال

﴿ تم الجزء التاسع ويليه الجزء العاشر ﴾

الجزء العاشر

من سيرة عنتر بن شداد

وحق النور والنار ماكان يبقى لنا عند العرب قيمة ولا مقدار ولا ترجع تطيع لك أمراً ولا تسمع لك مقال ولا يبقى ينتظم لك عند الملوك حال من الأحوال ولا تقول أنك رحلت عن بنى عبس شفقة وهم يقولون خوفا وإذلال فقال بقية الدولة صدقوا والله يا ملك أخوك فى هذا الإقال فقال النعمان وهكذا نريد أن نعمل ولكن اصبروا إلى غد حتى أسير إلى بنى عبس رسول وأسمع من ملكهم ما يقول (قال الراوى) فلما سمعوا من النعمان كلامه انكسر عزمهم وطلب كل واحد منهم مقامهم ولما خرجوا من عند النعمان طلبوا خيمة الأسود فلما رآهم ترحب بهم ولما جلس كل منهم فى مقامه دار بينهم الحديث فقال ملوك العرب للاسود أما تنظر ما فعل أخوك وهذا أمر ما نصبر عليه فقال الأسود يا وجوه العرب لا كلام حتى تنظر ما يفعل أخى من أحكام فان صالح بنى عبس اللئام فانا أكاتب كسرى وأطلعه على هذه الأحوال الجسام وأقول انه ما أرسل إلى عنتر وأمر بقتل العجم إلا اخى النعمان وهو الذى عمل على الحاجب وردشان ولا أزل أرفع شأنى وأحط شأنه حتى أن الملك كسرى يعزله وأتولى أنا مكانه وإذا صرت ملك العرب أرسل اليكم حتى تجتمعوا وأكاتب العرب وأقطع أثر أخى وأثر بنى عبس وأقيم ناموس الملك كما أحب (قال) فلما سمع العرب مقاله طابت خواطرهم فهذا ماكان من أمر هؤلاء (وأما ماكان) من النعمان فانه لما خلا له المكان أحضر وزيره عمرو بن نفيلة وكان من حكماء الزمان وقد ذكرنا أنه عاش من العمر أربعمائة عام وكان أكثر مقامه فى البيت الحرام وكان يكثر من ذكر محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو من جملة من بشر بظهوره وكان النعمان يرفع قدره ويقبل رأيه ولما أن خلا له المكان شكا اليه حاله من جهة المتجردة بنت زهير واستشاره فى أمر بنى عبس وقال يا ابن عمى أننى ما يهون على اتلاف هذه القبيلة التى فعلت هذه الفعال وقد وقع فى قلبى لها بجدوا جلال وأنا أريد منهم مقرب والاتصال وأن لم أتصل بهم وإلا إعترانى الجنون والانذهال لأن مثل هذه القبيلة لا يهمل أمرها ويخمد ذكرها وإنى ما أحضرنك فى هذا الوقت إلا لتشير على فلما سمع الوزير كلام النعمان فرح بذلك الشأن وأتاه الأمر كما أراد لأنه كان يحب بنى عبس وعنتر بن شداد فقال يا ولدى أرسل القوم ورافقهم وقوقلبك بمصاهرتهم فإنهم أبطال وأقبل وصيتى فيهم واكرم فرسان بنى عبس وعدنان وأبطال البيت الحرام وراعهم فى هذه الأيام اكراما للرجل الذى يظهر بين زمزم والمقام العزيز فى الكلام

فكأنك به وقد قام بأمر خالق الضياء والظلام وقد خمدت بيوت النيران ويدعوا العرب بشريعته الواضحة البرهان الشديدة الأركان والرأى عندى أنك ياولدى تتلافى قلوب هذه الطائفة وتملك رقابهم وتظفر بالإحسان فمنهم نبى آخر الزمان وهو محمد بن عبدالله ابن عبدالمطلب العظيم الشأن عليه الصلاة والسلام من الرحيم الرحمن ويخرج منهم هذا الانسان وهم يكونون له أعوان (قال الراوى) لهذا الديوان بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان فلما سمع النعمان ذلك المقال وافق ما بقلبه من الغرام والبلبال فقال يا أبت كن أنت الرسول اليهم فلعله ينصلح بك الحال وأشكرك ما بقيت الأيام والليالى عسى يزوجنى الملك زهير بابنته ذات الحسن والجمال وأنا أمهرها بما طلب من الأموال وأنا أخبرك أن فارسهم جرح وعجز عن القتال وأنا خائف من هذه الطوائف أن تفنيهم إذا طال عليهم المطال فقال الوزير السمع والطاعة ياولدى أنا أسير فى هذا الأمر والشأن وأعود اليك بما يسرك وأجعلهم لك أطوع العبيد ولكن ياملك من الرأى أن تحسن إلى عروة وأبى عنتر شداد وتطلقهم وتنعم عليهم وتطلب منهم أنهم يتوسطون لك فى هذا الأمر والنوبة لينصلح بهم الشأن فلما كان عند الصباح أحضر الملك النعمان شداد أبا عنتر وعروة الفارس القسور وخلع على الاثنين خلعا ملكية من ملابس الملوك الكسروية وقال لهم ياوجوه العرب من بنى عبس وحق النار ما أواخذكم بسوء فعالكم ولا أقابلكم على أعمالكم لان لى فيكم جميلة ومنزلتكم عندى جليلة وأريدكم أن تسيروا مع وزيرى عمرو ابن نفيلة وتساعدوه فى خطبة بنت ملككم زهير ولا تعودوا إلا بالصلاح والزواج والنكاح وإلا وحق خالق المساء والصباح أمرت جميع الطوائف بقتالكم وآمرهم أن يجردوا السيوف ويمحوا آثاركم ولولا رغبتى فيكم لكنت فعلت هذه الفعال من أول يوم وأبطلت هذا العتب واللوم واعلموا أن كسرى ما بقى يقعد عنكم بعد ما قتلتم حاجبه وردشان وكسرتم جيشه الذى أتى من خراسان ولا بد له من قلع آثاركم إذا لم يكن خلفكم مثلى يمانع عنكم بلين الكلام وإذا اشتد الأمر بينكم بضرب بالحسام فماذا أنتم قائلون فى هذا الكلام (قال الراوى) فلما سمع شداد هذا الكلام التجم بلجام وقام شداد فقبل يده وقال ياملك من لم يعرف اليوم الاحسان فما هو بانسان وأنت قدرت وعفوت والآن لا بد لنا من الاجتهاد فى هذا الأمر ولو طارت رؤسنا ونكون من جملة الخدام وما تكلم شداد بهذا الكلام إلا لما فى قلبه وقع من الخوف والفزع لأنه كان هو وعروة ايقنوا بالهلاك وظنوا أنه ما بقى لهم من الموت فكاك لأجل ما فعل ولده عنتر بالابطال فما صدق أنه يسمع من الملك النعمان هذا المقال حتى أنعم وأجاب بوعده هو وعروة بالاصلاح فعندها جاءت لهم الخيل والجنائب الجياد الغوال وساروا هم والوزير إلى أن وصلوا إلى الجبال ورآهم

عيانا فترجل عند ذلك وأوما بالسلام وهنأهم بالسلامة وقبل يدى الوزير فقبله الوزير فى رأسه وسار فى ركابه إلى عند الملك زهير فترجل عن جواده فقام له الملك زهير وأحسن ملتقاه. وجبر قلبه وتلقاه ثم جلسوا فقال الوزير للملك زهير ايها الملك المكرم أعلم انى أتيت من عند الملك النعمان بما يسرك ولك فيه الخير إن أنت اجبتنى إلى ما أقول وإن أنت أبيت فانك تصير مشردا فى القيعان أعلم أيها الملك العظيم الشأن أنه لا بد لابنتك من زوج وهى لا تلق لها مثل الملك النعمان ولا أوفى ولا أعلى منه شأنا فلما سمع الملك زهير كلام الوزير أجاب وكذلك أشار عليه عنتر بذلك هو وأرباب دولته والاصحاب فانعم الملك زهير بها وأجاب. فقال الوزير أيها الملك أنى قد أتيت خاطبا ولابنتك راغبا فقال الملك زهير قد أجبت النعمان إلى ما طلب من المرام وأنا له من بعض الخدام (قال الراوى) فعندها فرح الوزير بقضاء حاجة الملك على يده فاوصل إلى الملك زهير ما كان أتى معه من الخلع وقد وقعت البشائر ودقت الكاسات وزمرت البوقات واجتمع زهير والنعمان وانصلح الأمر والشأن ومن غيظ الأسود خطب من بنى فزارة بنت بدر وهم كانوا افيه أرغب هذا وقد انصلح الأمر والشأن. واصلح النعمان بين بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان واصلح أيضا بين عنتر بن شداد والربيع بن زياد واستمال قلوب الأبطال والسادات من الرجال واصلح بين القبائل وفى قلوبهم على بنى عبس ثار الحقود والدخائل والغيظ فى قلوبهم مثل المشاعر (قال) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من سائر القبائل ومن العجم وعسكر خراسان الذين كسروا فى وادى السيل بعد قتل وردشان فانهم وصلوا إلى المدائن وهم يدعوا بالثبور وعظائم الأمور فلما علم الملك كسرى بذلك أحضرهم إلى بين يديه وسألهم عما جرى فاخبروه بالكبسة التى كبسهم أياها عنتر بوادى السيل وفتكه فيهم فى ظلام الليل وكيف قتل وردشان وما جرى وكان فلما سمع ذلك قام وقعد وأرغى وأزبد وقال لهم ما الذى كان من النعمان فاخبروه وأنه ما دخل معهم الوادى ولا ترك العربان تقاتل معهم ولا نصح فى القتال إلا أخوه الأسود فلما سمع ذلك نما غيظه وقال وحق النار والنور وتربة جدى سابور لا يسير إلى قتال العرب غيرى حتى أمحو شأفتهم وأستأصل دولتهم ثم أنه أمر النقباء أن تنادى فى عساكر كسرى وفرسان خراسان أن يأخذوا الاهبة للقتال من أجل العربان فتقدم إليه الوزير الموبذان وقال له ادام الله أيام الملك العادل من هم شيوخ العرب من القبائل حتى تسير إليهم وتعتنى بقتالهم ولكن أصبر أيها الملك حتى تصل إليك الاخبار بما فعل النعمان مع هذه الفرقة فان كان سينتقم منهم فما هو إلا على السداد وأن كان لا يفعل ذلك وصاحبهم وعفا عنهم فيكون قد استحق غضب الملك قال فلما سمع كسرى ذلك الكلام صبر بالرغم عنه ولم يكن إلا أيام يسيرة حتى أتت إليه الاخبار بما صار لبنى عبس مع.

الملك النعمان وكيف صالحهم بعد أن جمع سائر العربان وقد أرسل الأسود إلى الملك كسرى يعلمه بما جرى ويقول له الذى نعلم به الملك العادل أدام الله بقاءه أن أخى النعمان الذى أوليته مملكتك نافق عليك وأستخار بنى عبس بعد أن كانوا اذلوا وجرج عبدهم عنتر وقد صالحهم وتبع شهوة دنية ونفى الدولة الكسروية وكل ذلك من أجل بنت الملك زهير حتى تزوجها وأخذهم له أنصارا وأصهارا وقد أطلعتك على هذه الأخبار والسلام عليك من النار (قال الراوى) لهذا القول المجمع أن كسرى كان ملكا عادلا طيب الأصل قريب المرجوع فلما سمع بهذه الأخبار قام وفى قلبه لهيب النار واتفق أنه كان لحاجبه وردشان الذى قتله عنتر فى وادى السيل لما كان مع النعمان أخ يقال له زردخان وكان شجاعا ريبال وهو بطل من الأبطال ومقدم على عساكر كثيرة واجناد وله أقطاع واسعة بلاد وأنه لما سمع بقتل أخيه حزن حزنا عظيما وأصابه لفقده مرض دائم جسيم ومما أصابه أنه قطع شعره وحار فى أمره وقال وحق بيوت النار ما أخذت ثار أخى إلا من النعمان وما زال مديما للاحزان وهو مكمد إلى أن وصلت كتب الملك الأسود وهو يخبرهم بما كان ووصلت كتب أخرى من العيون التى كانت على النعمان وفى تلك الكتب شرح القصة وما كان من المبتدأ إلى المنتهى ولما أن قرئت الكتب على كسرى بقى من الغيظ لا يسمع ولا يرى ثم قال وكلنا ما فعلنا هذه الفعال وأهلكنا العساكر والأفيال إلا لأجل حاجة النعمان ابن الأندال وإذا كان الأمر كذلك فما هو تحت يدى بل أنه ملك مثلنا وإلا فما كان فعل هذه الفعال بغير أمرنا ولكن نحن الذين بسطنا إليه بساط عدلنا فأمن غضبنا وما بقى من الصواب إلا أنه يهان ويؤدب وإلا طمعت فينا شيوخ العرب (قال الراوى) ثم أنه من وقته وساعته دعا بولده خداوندا إلى حضرته لأنه أكبر أولاده وهو الموصى له بالملك من بعده وكان أشد أولاده بأساو أقواهم رأسا فلما حضر بين يديه قص قصة النعمان عليه ثم قال له ياولدى وبعد ذلك فالملك يريد سياسة وناموسا ولا يبقى صاحبه بين الملوك مركوسا وأنا أريد ياولدى أن تركب من هنا فى جيوشك وتتوجه إلى الحيرة وساعة أن تصل إلى النعمان تضع السيف فيمن أحتمى له من العربان ولا ترجع إلى هذا المقام حتى تنتقم من بنى عبس غاية الانتقام وتعلق على البيت الحرام رؤس هؤلاء الاقوام وتفعل تلك الفعال بجميع من يحتمى لهم من الرجال وتسبى نساءهم وأولادهم حتى يتعظ من سواهم وأما الأسود أخو النعمان فأوله الجميل والاحسان واخلع عليه خلع القبول والرضوان وولة مملكة العربان لأن الكتب التى وصلت إلى عندنا أخبرتنا أنه ناصح لدولتنا (قال الراوى) فلما سمع خداوندا من أبيه ذلك المقال نهض فى ساعة الحال وبادر إلى قضاء تلك الأشغال ثم أقبل على أبيه وقال له كم آخذ معى من الفرسان فقال له سبعين ألف عنان لأن العرب كثيرة فى أرض الحجاز وكلهم فرسان

الحرب والبراز وربما يداخلهم الطمع فى عساكر الاعجام ويحامون بالكثرة عن البيت الحرام فلما سمع خداوندمن أبيه ذلك المقال أخذه القلق والانذهال وقال وحق النار وما يظهر فيها من الاشتعال انى أقدر أن أهجج العرب إلى رؤس الجبال بعشرة آلاف فارس من الرجال وأفرقهم فى البرارى والقفار ولا أبقى منهم ديار ولا نافخ نار ولكن ما أفعل إلا ما تحب وتختار ثم أنه خرج من عند أبيه وقد اهتم فى الامر الذى أنفذه فيه وأمر أخاه وردشان أن ينتخب له الابطال ففعل ذلك وفرغ منه فى ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع سار وهو فرحان وقد تقدم فى مقدمة العسكر وهو مؤمل أن يأخذ ثار أخيه بهذا والجيش قد تتابع وهو مثل الغمام وخداوند بن كسرى سائر تحت الاعلام وهو يحلف بأعظم الأقسام لاعدت ولا رجعت من هذه السفرة حتى أنزل ببنى عبس الذل والحسرة وأجعل لى فى تلك البلاد خبرا مذكورا وافعل بالعرب كما فعل بهم جدى سابور وإلا فما تصفو لنا معهم أمور (قال الراوى) فهذا ما كان من عباد الصلبان (وأما ما كان) من الملك النعمان فإنه لما أتى إلى مدينة الحيرة أقام بها أفراحا كثيرة ولما أن استقر به الامر وأنست به الديار وأخذ يدبر فى تجهيز المهر حتى أنه يرسله للملك زهير واشتغل بذاك عن نوائب الدهر ومع ذلك هو لا يشتغل بسبب من الأسباب ولا يلاحظ أن يأتيه من عند كسرى جواب فلم تكن إلا أيام قلائل حتى أشرف عليه جيش الديالم فلما نظر النعمان تلك العساكر التى ملأت السهول والجبال ركب فيمن عنده من خواص دولته من الرجال وسار يتلقى تلك العساكر التى كأنها البحر الزواخر ولم يزل سائرا حتى وصل إلى تلك العساكر ولما أن قاربهم سأل أحدهم فأخبره أنه ابن الملك كسرى مقدم تلك الجحافل فلما سمع النعمان ذلك الكلام سار فيمن معه وهو طالب الأعلام ولم يزل سائرا بين تلك العساكر إلى أن التقى بابن الملك كسرى ولما وقعت عينه عليه ترجل فتقدم إليه الحاجب وردخان أخو وردشان وقبض عليه وقدمه بين يديه فباس النعمان الأرض وأشار بالدعاء فقال له خداوند يا نعمان كأنك قد غرتك مملكتك حتى أنك فعلت ما فعلت بارادتك وأن أبى ما أمرنى إلا بضرب رقبتك وسلب نعمتك بسوء تدبيرك وقلة معرفتك ولكن أنا ما أعجل عليك حتى نفرغ من الخدمة التى نحن فيها وبعد ذلك أحملك إليه وأقدمك بين يديه وإذا صرت قدامه مثل بعض العبيد يفعل فيك ذلك الوقت ما يشتهى ويريد فلما سمع النعمان ذلك المقال أخذته الحيرة والانذهال فندم على ما فعل من تلك الفعال ثم سكت عن رد الجواب وعلم أن ذلك الوقت لا يفيد فيه الكلام والخطاب بهذا وقد خافت حواشيه وجميع ناسه لما فعل به ذلك قدام أكابره وجلاسه ثم أنهم لما قبضوا عليه قبضوا على جماعة من خواصه وفعلوا بهم ما فعلوا وأيقن كل منهم بقلة خلاصه ثم أنهم وضعوا فى أرجلهم القيود والاصفاد وجعلوا الكل فى السجن وعليهم العيون والارصاد ثم أن

خداوند دعا بعد ذلك بالأسود فحضر إلى بين يديه وقد تجرد ثم أنه فى عاجل الحال رق اليه فوضع على رأسه التاج وأمر بالخلع فخلعت عليه وفرح الأسود بذلك الحال وأيقن بقبول السعادة والأقبال ثم أن خداوند قبل بعد ذلك الحال وقال له أعلم أن الملك العادل كسرى أنوشروان قد عرف نصحك ومخامرة أخيك النعمان وأنه جعلك مكانه ملكا على جميع العربان وقد أمرنا أن نسير من هذا المكان ونفنى بنى عبس وعدنان وننزل بهم الذل والهوان ومن عصى عليك من القبائل سرنا بعد ذلك اليه بهذه الجحافل وننزل به الفناء النازل وقد مضى أمره من الديار والمنازل فلما سمع الأسود من خداوند ذلك المقال والاخبار قبل الأرض بين يديه مرارا وقال وحق النور والنار وما تبديه من اللهب والشرار لقد أنكرت على أخى النعمان غاية الانكار لأنه رق للاعداء وعنهم عفا وعاملهم على قبيح أعمالهم بالجميل والوفا بعد ما كانوا قد استوجبوا الذل والضير وكان ذلك من أجل ابنة ملكهم زهير لانه سمع بصفاتها من بعض الناس فأخذه من حبها القلق والوسواس فلما سمع خداوند من الأسود ذلك المقال تعجب غاية العجب من تلك الأحوال وقال أنه قد مضى حكم النعمان وولى وانقضى وما وقع الا بجر عمته وأن الملك العادل قد رضيك لدولته واستخارك نائبا على رعيته فاكتب أنت الساعة إلى قبائل العرب وأعلمهم بما تجدد من هذا الأمر والسبب حتى تبصر من يطيعك ومن يكون اليك قادم ومن يخالفك ويعصى على دولة الأعاجم فمن أطاع أحسنا اليه ومن عصى سرنا اليه بهذه العساكر وقدمنا اليه وأخذنا روحه من بين جنبيه وأخربنا أرضه وأطلاله ونهبنا أمواله وسبينا عياله قال الراوى فلما سمع الأسود ذلك الكلام دعا لدولة الاكاسرة بالدوام وقال يا مولاى ما دمت أنت وأبوك خلفى فكل الأرض وأهلها فى كفى ولا أكلفك بالمسير إلى هذه الطائفة التى قد بغت على أنفسها ولا تتعب بل أنى أبيح دماءهم إلى سائر العرب ولا أدع لهم رأسا ولا ذنب ولا من يركب على قتب فلما سمع خداوند ذلك الكلام قال له لا بد لى من المسير اليهم فى هذه الأيام وأطلب هذه الطائفة العبسية وأصلب سادتهم على البيت الحرام ولا أدع منهم فى هذه السفرة لا شيخا ولا غلام حتى تهابنى جميع العرب وتخشى جانبى ويعلموا أن جميع الأقطار تحت قبضتى فعند ذلك كتب الأسود كتبا كثيرة بهذا السبب وانفذها مع النجاب إلى سائر قبائل العرب وهو يعلمهم بوصول الملك ويأمرهم بالقدوم عليه والحضور بين يديه ثم أنه أرسل فى جملتهم إلى معد يكرب وإلى حجار وهو يطلعهم على جلية الاخبار ووعدهم أنه سائر إلى بنى عبس ليأخذ بالثار ثم أنه خلع ووهب وفرق الفضة والذهب واستمال قلوب الناس اليه وقبض على كل من كان من اخيه ثم أنه ذبح الذبائح وأولم الولائم ومد السماطات إلى الأعاجم والديالم وقد فرح بما تم من ذلك الامر وتولى بنفسه خدمة

خداوند بن كسرى فهذا ما استتم لهؤلاء من الأخبار (وأما ما كان) من حجار بن عامر فانه لما أطلقه عنتر وسار طالبا إلى أهله والديار وكانت قد هانت عنده وزاد همه وكبر وجده وصار يسهر الليل والنهار وقد أخذه القلق والافتكار ورأت روحه العبر من كثرة حنقه على عنتر وكذلك جرى على معديكرب وقد حل به الضجر والويل والحرب ولم يبق له اسم يذكر في العرب وقد هجته ومدحت عنتر سائر الفرسان بما تم عليه من ذلك الأمر والشأن وما بقى يركب مع أحد من الشجعان ولا يحضر ضربا ولا طعانا حتى يأخذ من عنتر ثاره ويطفيء ناره ويكشف عاره هذا والفرسان قد سارت تأتى إليه وتتوجع له فيما جرى عليه وقدمت عليه الفرسان من كل جانب ومكان ومن جملة من أتى إليه زائرا وقدم عليه من الشوامت مبادرا دريد بن الصمة الخثعمى الذى عمر من العمر إلى ذلك الزمان أربعمائة وخمسين عام ولحق نبينا محمدا سيد الأنام عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة والسلام وكان مع العمر الطويل صعب القتال شديد الأوصال صبورا على الطعن والنزال ولأجل هذا سمته العرب رحاء الحرب فقدم على معديكرب ومعه صهره سبيع بن الحارث المسمى بذى الخمار وكان سبيع هذا زوج ابنة دريد وهو من جملة جبابرة الجاهلية ومن أفضل من ذكر بالفروسية وقد أرخ فى غير هذا الحديث ما جرى له مع الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه من القتال والعجائب حتى قتله الإمام وأنه لما قدم على معديكرب مع دريد أكرم مثواهم ونحر لهم النوق وأقاموا عنده يومين وفى اليوم الثالث مزح دريد مع معديكرب وأكثر له من المذمة وأشار إليه بهذه الأبيات صلوا على طه الرسول :

لقد ذل يامعدى من أنت ناصره ... وخاب رجاه واستبيحت جرائره
أما يستحى من يدعى منزل العلا ... يقاتله عبد زنيم ويأسره
فخل اليمانيات لا تحملنها ... ولا تذكر الفخر الذى أنت ذاكره
فما كل من سل الحسام بكفه ... يشيع له ذكر وتخشى بوادره
وما فى سنان الرمح موت وإنما ... يعلمه قبض النفوس معاشره
فمت كمدا أو عش بذل وحسرة ... ولا تشكى ليلا إذا أنت ساهره
فان كنت ذا عز ونفس حمية ... فسر نحو شيطان الحجاز وبادره
ولا تخش من عبس سوى عنتر الوغا ... فما فيهمو ليث سواه تحاذره
فإن خفت فاطلب من سبيع معونة ... ترى أسدا فى الحرب تدمى أظافره
إذا سل سيفا أخرق الأرض حده ... وسل به الأرواح والموت ناصره

(قال الراوى) فلما سمع معد يكرب من دريد هذا المقال تغيرت منه الأحوال وقل منه الصبر والجلد ومات من الغيظ والكمد وما بقى يملك شيأ من العقل وتمنى الموت والقتل

ولكنه أخفى الكمد وأظهر الجلد وجعل يعتذر لدريد ويقص عليه الخبر ويحدث بما فعل عنتر وكيف أباد الفرسان وقهر الشجعان وكيف أنه أسر حجار أو قتل وردشان فعند ذلك تبسم ذو الخمار سبيع بن الحارث وإليه أشار وقال له أنت يامعديكرب لم تقل هذا المقال إلا من أجل ماحل لك من العبر وبما وقع فى قلبك من رعب عنتر أدلت اللات والعزى رقبة من يذل لعنتر وبعد فهذا الأمر قد فات وما بقى ينفع فيه غير الصمات وإن أردت أن تمحو عنك العار وتأخذ تارك من هذا العبد الغدار فشد عزمك وأزل همتك وغمك وسر كيف شئت حتى أسير معك وأبلغك رأيك وأريك ما افعل بعنتر تنظر وتبصر من يكسب ومن يخسر ثم أنهم بعد ذلك الكلام أقاموا عنده خمسة أيام وهو يزيدهم فى الاكرام ثم أنهم ودعوه وساروا طالبين الأوطان هذا ومعديكرب قد طاب قلبه بوعد دريد وذى الخمار وأمل فى نفسه خلاص الثأر وكشف العار ثم أنه كتب كتابا إلى حجار بن عامر وأعلمه بما وعد صهره ذو الخمار وبشره بأخذ الثأر وكشف العار وجعل يستشيره فيه بما يفعل من الفعال فلما وصل الكتاب إلى حجار وقرأه وعلم بصحة الأخبار أرسل لمعديكرب وأكد معه الأيمان وتحالفوا على قلع بنى عبس من دون العربان ولم يزالوا على ذلك الحال وهم ينتظرون بلوغ الآمال إلى أن وصل إليهم الخبر بما تجدد وعلموا أن مملكة العرب قد صارت للملك الأسود ففرحوا بذلك الشأن وزاد سرورهم بالقبض على الملك النعمان ثم أنهم رحلوا طالبين ديار بنى عبس وعدنان وكان أول من سار بن عامر حجار لأجل الاتفاق الذى كان بينه وبين معديكرب وكان معه سبعة آلاف من بنى كندة وهم الذين كان يرجوهم لكل شدة وما فيهم إلا من هو على صهوة الجواد منغمس فى عدة الحرب والجلاد وسار يطلب أرض بنى عبس وقلبه يغلى بالشر والأحقاد وقد أمل أن يسبق الملك الأسود وجيوش كسرى ويفوز بالذكر والفخر دون الورى قال الراوى وكان بنى عبس قد عادوا إلى أرضهم ونزلوا فى ديارهم وقرارهم وهم فى فرح بمصاهرة الملك النعمان وبما قد بلغوا من العز وعلو الشأن وعنتر وعروة لا يفترقان من ابتكار شرب الدنان واللعب والطرب مع الاخوان حتى ختمت جراحاته التى جرحها له غاسق فارس اليمن وما بقى عليه خوف ولا وهن وكان كلما جرى ذكر عبلة بينهما يشير عروة على عنتر أن يطلبها عمه ملك وهو يأتى ذلك ويقول يا أبا الأبيض أنا ما أدخل على بنت عمى حتى تدخل مولاتى المتجردة على الملك النعمان وتنفصل ولائم الملوك الكرام وسادات العربان وأدبر أنا بعد ذلك أمرى أى وجه كان . هذا ما كان من هؤلاء وأما كان من خداوند بن كسرى فإنه بعدما قبض على الملك النعمان كان اول من علم بذلك الشأن بنو عبس الشجعان لأن الوزير عمرو بن نفيلة العدوى كتب إليهم كتابا وأخبرهم بما جرى من الأسباب ولما أن وصل إليهم الخبر بهذه الفعال وسمع كله

منهم ذلك المقال أخذهم الانذهال وضاقت صدورهم واحتاروا فى أمورهم وبقوا بين المصدقين والمكذبين وما زالوا حتى وصلت عند الأسود كتب إلى فزارة وسمع بنو عبس بأن أرض بنى فزارة انقلبت بالأفراح وواظبوا على شرب الراح فى المساء والصباح وزالت عنهم الهموم والأفراح وفرحوا بوصول الكتاب وخلع حذيفة بن بدر على النجاب ثم إن حذيفة صنع لأصحابه الولائم والدعوات وتعلقت به الإماء والمولدات وقال سوف تأخذ من أعدائنا ما فاتنا بعد أن صار صهرنا الأسود حاكم جميع العربان وقد حكم الملك العادل على صهر بنى عبس وفى هذه الأيام يقلع آثارهم يوسى صغارهم ويقتل كبارهم (قال الراوى) وكان بالاتفاق العجيب أن هذه الكتب لما وصلت إلى بنى فزارة كان الربيع بن زياد نازلا عندهم هو وأخوته فاجتمع بحذيفة بن بدر ووجوه عشيرته فقال لهم يا بنى عمى كونوا أنتم من اليوم على أهبة واستعدوا للطعن والضرب وأى قبيلة أتت إلى بنى عبس من أى الجهات حتى يعينوهم وأمسكوا عليهم الطرق والمذاهب حتى لا ينجوا منهم هارب واكبسوا عليهم قبل ان تأتيهم الأعاجم والاعارب وأفنوهم وتملكوا أنتم أرضهم ومراعيهم وكان قد وصل إليهم كتاب الملك الأسود وهو يأمرهم بذلك وأن يضيقوا عليهم المسالك ويقول لحذيفة يا أمير إن رأيت بنو عبس وقد خافوا من الفرس ورحلوا فاكتب إلى وأعلمنى بذلك وفى أى مكان ينزلون فلما سمع بنو عبس بهذا الشأن وصح عندهم بأن ابن كسرى قبض على الملك النعمان وبلغهم أن بنى فزارة مداومون الأفراح مساء وصباح فعند ذلك حضر الملك زهير بنى عبس بين يديه وأخبرهم بما أتى من الأخبار إليه وقال لهم اعلموا أن الوزير عمرو بن نفيلة قد ذكر فى كتابه الذى أنفذه إلينا بأن خداوند بن كسرى سائر إلينا فى عساكر العرب والعجم وكذلك الأسود وقد اتفقوا على أهراق دمائنا ونهب أموالنا وسبى عيالنا قال الراوى فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء فى عينه كالظلام وقال له أيها الملك الهمام نحن الذين ضيعنا السداد برحيلنا إلى وادى الرمال وكان الأحسن لو سرنا نسمع ما يجرى على صهرنا وبعد ذلك كنا ندبر أمورنا ولكن ما بقى ينجينا من الأهوال ويحمى حريمنا والعيال إلا الضرب بالسيوف الصقال والطعن بالرماح العوال الرأى أيها الملك أن ترحل بنا من غير مطال وتطلب بنا مكانا نحصن فيه الحريم والعيال وبعد ذلك نتجرد إلى لقاء العرب والعجم وننثر منهم القمم وأريك أنا ما أفعل بهذا الملك الجديد وكيف نبدل صفو عيشه بتنكيد واترك بنى فزارة بعد الأفراح يتقلبون فى هموم وأتراح واقيم فى ديارهم النواح مساء وصباح قال الراوى فلما سمع زهير هذا المقال من عنتر فرح به واستبشر وصفا عيشه بعد ما كان قد تكدر لأنه يعلم أنه فارس غضنفر وهو على ما يقول يقدر ثم أنه قال يا أبا الفوارس إذا كان الأمر على هذا الحال فقل لأخيك شيبوب يعلم الرجال بما نحن فيه وما نحن معولون عليه

من الارتحال حتى نسير إذا مضى الليل بالظلام ونتحصن فى جبال أجاو سلما لأنها جبال حصينة للانام وأى طائفة نزلت بها كانت من أعدائها آمنة ونقيم هناك فى تلك الجبال حتى ننظر على أى شيء ينفصل الحال لأن هذه الجبال مثل جبال الردم واصعب ملتقى وأعلى منها ذروة ومرتقى فعند ذلك أمر عنتر شيبوبا أن يعلم الرجال ويأمرهم بأخذ الأهبة والارتحال ففعل شيبوب ما أمره به أخوه عنتر وصبر حتى أظلم الظلام واعتكر ورحلوا بالمال والعيال وقصدوا نحو ذلك الجبال العوال وتركوا امنازلهم خوال ثم أن عنترا أرسل عبدين من العبيد الكثيرة الشطارة وقد أمرهم بالمسير إلى بنى فزارة وقال لهم كونوا فى ديارهم ولا تعودوا إلينا حتى تعلموا جميع أخبارهم لأنهم يجدون لنا فى الطلب وهم أشد لنا عداوة من جميع العرب فعندها سارت العبيد من غير مطال وبعدها سار بنو عبس طالبين نحو الجبال فلما وصلوا إليها نزلوا ونصبوا الخيام طولا وعرضا وقد نسوا بتلك الأرض ولما استقربهم القرار أحضر الأمير عنتر أخوه جرير القهار وقال ما أريدك إلا أن تسير من ساعتك هذه إلى مدينة الحيرة وتنتظر هذه العساكر الكثيرة أو تختلط بمن قد جمعه الأسود من العرب والعجم وتستخبر كم يكون عدد تلك الأمم وإذا رأيته قد سار إلى نحونا فإنك تسبقه وتقطع الفلا وتأتى لتعلمنا حتى أننا نتأهب إلى لقائه فلما سمع جرير من عنتر ذلك المقال أجابه بالسمع والطاعة ثم تجهز وسار من ذلك الوقت والساعة قال الراوى فهذا من كان من بنى عبس أصحاب الشجاعة والشطارة وأما ما كان من طائفة بنى فزارة فانهم لما سمعوا برحيل بنى عبس من الاطلال ومسيرهم إلى أجاو سلما وتحصينهم فى الجبال صعب عليهم ذلك المقال وقالوا لقد فاتنا منهم الغنائم والأموال وما بلغنا مما كنا نرتجيه منهم الآمال ثم أن الربيع بن زياد من عظم ما حل به من الهم والنكد اجتمع هو وحذيفة بن بدر وكتبوا إلى الملك الأسود لأجل أن يعلموه بما جرى من أمر بنى عبس وتجدد وقالوا أعلم أيها الملك أننا لقدومك منتظرين وكذلك القبائل الذين كتبت لهم كانوا لك مرتقبين ونحن نقول عسى أن يصل أحد منهم قبل أن يدرى بنو عبس فنعينهم عليهم وندهمهم ونقتل شبابهم ورجالهم وننهب أموالهم فعلموا بمسير خداوند إلى نحوهم وعرفوا أنه جمع كل عدولهم فرحلوا إلى جبال أجاو سلما وحصنوا بها أموالهم ونساءهم ونحن إذا رأينا أحدا من القبائل أتى إلينا سرنا نحن أيضا قصدناهم وأعناهم عليهم وجمعنا عليهم العرب من سائر السباسب ونساعدهم بالقنا والقواضب وأنا نهنيك بما وصل إليك من الأكرام وأكبر الهنا إذا حصل لك النصر على أعدائك ولا سيما إذا أحاطت يدك على زهير ملك بنى عبس وعبدهم عنتر بعد ذلك طوى الكتاب وأرسله إلى مدينة الحيرة مع نجاب قال نجد وبعد إرسال الرسل وصل إليهم الأمير حجار ومعه أبطال بنى كندة وهم معدودون من أصحاب الشجاعة والشدة فتلقاهم بنو فزارة

وقد أيقنوا أنهم يحلوا ببنى عبس الخسارة فلما قدموا عليهم أكرموا مثواهم ولما استقر بهم الجلوس سأل حجار عن بنى عبس وما تم لهم فاخبروه أنهم تحصنوا بالجبال وتركوا ديارهم خوالى فلما سمع ذلك حجار زادت به الآلام وعض على شفتيه وصعب ذلك الأمر عليه ثم أقبل على الربيع وجعل يمالقه فى الكلام ويقول يا امير لا تتأسف على رحيل الأعداء فسوف نسير ونجدو نتبعهم ونحصرهم فى الجبال وننزل بهم الذل والوبال ونقيم على حصارهم حتى يأتينا الملك الأسود لاننا قد أرسلنا إليه نجاب يعلمه بهذه الأمور والاسباب لكن ما بقى فى الرأى إلا أننا نجمع عليهم خلفاءنا وأصدقاءنا وأصحابنا الذين نعتمد عليهم فى شدتنا ورخائنا وما نسير من هذه الديار حتى يبلغنا جميع الاخبار ونسمع عن خداوندأنه قد دهمهم فى جيوش العرب والعجم ونعلم بأنه قد أنزل بهم البؤس والنقم فإذا وصلت الينا هذه الاخبار سرنا وكشفنا عنا العار وطلبنا منازل العز والافتخار وينتقم بعضنا من بعض لاننا فينا كفاية أن نلقى أهل الارض قال الناقل فلما سمع حجار من الربيع ذلك المقال أجابه إليه واتفقوا أنهم يسيروا هم الجميع ثم قال له حتى يصل الينا معديكرب ونجتمع ونجد كلنا لهم فى الطلب ويأتى أيضا دريد مع ذى الخمار لانهم لا يأتون إلا فى جيش جرار وبهم نبلغ ما نختار لانى ما رحلت من الديار حتى أتانى كتابه وأخبرنى أنه واصل الينا بمن معه من أصحابه فلما سمع الربيع وبنو فزارة ذلك الكلام وجدوه رأى الصواب ثم بعد ذلك الكلام أنزلوا حجار ومن معه الخيام وأكرموه غاية الاكرام وأكثروا له من الطعام والمدام وأقاموا بعد ذلك فى انتظار معديكرب ومن يصل إليهم من شجعان العربان وقد أيقنوا أن ليس يبقى من بنى عبس آثار وأنهم يقلعون من عنتر ومن معه الآثار قال الراوى وكانت هذه الامور والأقوال كلها تجرى والعبدان اللذان أرسلهما عنتر إلى بنى فزارة يسمعان ويران فلما أن علموا بما جرى من تلك الاحوال عادوا مسرعين إلى الجبال ولما وصلوا أعلموا عنتر بجميع ما سمعوا من تلك الأحوال وقصوا عليه جميع الاخبار وما اتفق عليه الربيع وحجار وشرحوا له أخبار بنى فزارة وما سمعوه عن دريد من تلك العبارة فلما سمع عنتر مقالهم اشتد غضبه على الاعداء كلهم ثم نهض من ساعته إلى عند الملك زهير وأولاده وأخبرهم بذلك المقال فلما سمع الملك زهير من عنتر هذه الاخبار قال له والله يا أبا الفوارس ما أرى أنه ظهر لنا مع بنى فزارة فى الصلح آثار لان الغدر لباسهم والبغى أساسهم وإنما تقع الخسارة إن شاء الرب القديم فى رؤسهم لأنهم قوم لئام مناحيس فما عندك من الرأى يا أبا الفوارس (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الملك زهير ذلك الكلام قال له الرأى عندى يا ملك أننا نخلى هنا ولدك قيسا لحفظ المال ويكون معه ألف فارس ليوث عوابس ونسير نحن فى هذا المكان إلى من قصدنا من العربان ونكبس أعداءنا بمن معنا

من الفرسان وتنزل بهم الذل والهوان ولا يبقى منهم إنسان فلما سمع زهير ذلك رآه صواباً ثم تأهبوا للمسير وصاروا فى ثلاثة آلاف فارس غضنفر كل فارس منهم يلقى المائة وأكثر وتركوا قيس ومعه باقى الرجال وأوصوه بحفظ المال والعيال وأمرهم هو باليقظة والاحتراز وأن يكونوا على حذر من شياطين الحجاز وبعدها رحل الملك زهير وجد فى قطع البر الأقفر وبجانبه بدر الدولة أبو الفوارس الأمير عنتر وكذلك أبوه شداد وعروة بن الورد ورجاله الاجواد والكل على الخيل الجياد بالرماح المداد والسيوف الحداد ولما بعدوا عن الابيات ودخلوا فى البرارى المقفرات قال عنتر لأخيه شيبوب خذ بنا على أقرب الطرقات وأقصد بنا البرارى المقفرات حتى لا يلقانا لا أبيض ولا أسود فقال لهم شيبوب سيروا خلفى وانظروا العجب وجدوا الاعدائكم فى الطلب فعندها جدوا فى قطع القفار وأوصلوا سير الليل بالنهار وساروا يقطعون الفلا إلى أن بقى بينهم وبين بنى فزارة مقدار فرسخين فعندها أقبل عليهم شيبوب وقال لهم انزلوا هنا وأريحوا خيولكم من التعب والعنا حتى أننى أسير وأكشف خبر أعدائكم وأعود اليكم بمافيه رضاكم ثم أنه مضى وكانه بعض الجن الطيارة وعرف الربح من الخسارة ثم أنه عاد على عقبه راجع وقد بقى من الليل الربع الرابع فلما وصل إلى أخيه أعلمه أن الاعداء قد برزوا من الحلل وقدملوا جميع السهل والجبل وقد اجتهد بنو فزارة وبنو كنده وأظهروا ما عندهم من الشدة وقد عولوا على المسير وأن الربيع بن زياد هو الذى يديرهم ويشير وهم سائرون إلينا وقلوبهم تغلى من نيران الحقد علينا وقد عولوا على حربنا وقتالنا فلما سمع عنتر من شيبوب هذا الكلام قال له لا تصف لنا أولاد اللئام فوحق الملك العلام الذى أنزل القطر من الغمام وأرسى الجبال كالاعلام وأوسع البرارى والآكام لا تركت ليلة غد الصباح إلا وكلهم مبددون فى البطاح ثم التفت إلى الملك زهير وقال أيها الملك أقعد أنت وأولادك ومن يعز عليك فى هذا المكان ويكون عندك خمسمائة من الفرسان حتى أسير أنا وأكبس الاعداء فى هذا الوقت والحين وما أدع النهار يطلع إلا وهم فى البر مفرقين فلما سمع الملك زهير من عنتر هذا الكلام قال وحق البيت الحرام ولا عذبت روحى عليك ولا سرت إلا بين يديك فقال له عنتر إذا كان خاطرك أيها الملك على هذا الأمر فأنا أشير عليك برأى موافق وهو أنك تقسم العساكر ثلاث فرق وإذا وصلنا إليهم تقصد كل فرقة إلى جانب وتحمل وتزعق وكلنا فى ظلام الغسق (قال الاصمعى) فاعجب هذا الرأى زهير وكل من حضر منهم إلا من أيقن بالنصر والظفر لما سمعوا ذلك القول من أبى الفوارس عنتر ثم أنهم ركبوا خيولهم وساروا وقد أيقنوا ببلوغ ما مولهم ولم يزالوا حتى حازوا ديار بنى فزارة فتفرقوا وحملوا عليهم من كل جانب وشرعوا إليهم بالقنا والقواضب فصار العقل منهم ذاهب بما حل بهم

من المصائب وفى عاجل الحال ركبوا على صهوات الجنائب وكان أكثرهم خاليا من الزرد فمن دهشتهم تفرق شملهم وتبدد مما حل بهم فى الظلام الأسود وحارت منهم العيون وخابت آمالهم والظنون، هذا وسيوف بنى عبس تعمل فى أطرافهم وقد عاينوا اتلافهم وأما حجار فإنه لما سمع صياح عنتر وهو كالرعد إذا هدر صاح فى بنى كنده معاشر الأبطال والشجعان لا يهو لنكم صياح هذا الشيطان فاثبتوا وجدوا لهم فى الطلب وإياكم أن تحدثوا أنفسكم بالهرب ولا تخافوا من هذا الخطب الجليل فما هم إلا فى نفر قليل ثم أنه بعد ذلك النداء طلب عنتر ابن شداد وقد سبقه من قومه الرجال الأجواد وخيم عليهم الغبار لما طلع من تحت أرجل الخيل الجياد فزاد الليل سواد وعملت بينهم البيض الحداد وكثرة الابراق والارعاد ودامت الأهوال وكبر العناد ودار بينهم العناء من كل مكان وتفرق الفرسان، هذا وثلاث مواكب تنادى عن لسان واحد يا آل عبس يا آل عدنان وجعلوا يصيحون بذلك النداء وهم أشد الكفاح وكثر بينهم القتل والجراح حتى أقترب الصياح وصارت الفرسان أشباحا بلا ارواح وحل بهم ما أتى به القضاء والقدر وما منهم إلا من تعب وتقهقر إلا أبا الفوارس عنتر فإنه عمل فى تلك الليلة عملا منكرا وسار كأنه الأسد الادرع الذى يفترس ولا يشبع وبقيت الرجال قدامه تهوى وتقع وما زالوا على ذلك الحال الاشنع حتى انفجر الصباح وطلع وبنو فزارة وبنو كندة قد جرعت تلك الليلة الموت جرع وقد حل بهم من سيف عنتر الذل والويل وتفرق بنو فزارة فى ظلام الليل وبنو عبس قد شفت الغليل لأنه ما بقى إلا حذيفة والربيع فى نفر قليل وكذلك بنو كندة حل بهم الويل الطويل بعدما قتلوا واسروا منهم الفين قتيل (قال الراوى) ولما طلع النهار وأشرقت الشمس على وجه الأرض عرف الناس بعضهم بعضا وكان الملك زهير قد قاتل هو وأولاده ذلك اليوم أشد القتال لانه كان أجتمع فى تلك الليلة بكل فارس قتال وأما عنتر فانه أباد الأبطال وتحيرت منه جميع الرجال وما زال على مثل ذلك الحال إلى أن حميت الشمس واشتد الحر وحل بهم الفناء ونزل بالناس العناء وصارت الشمس فى كبد السماء وحل بالطائفتين العطش والظما قال الراوى فعند ذلك نزلوا وقد انطرحوا فى جنبات تلك الساحة وقل منهم الحيل والقوى حتى هب عليهم نسيم الهواء فعادوا إلى خيولهم وركبوها وكان أول من ركب وتحضر إلى الميدان أبو الفوارس عنتر بعد أن رتب صفوفه فلما رأته بنو كندة فعلوا كفعله وركب حجار وابتدر الميدان لنحو عنتر فارس عبس وعدنان فلما رآه عنتر حمل عليه حملة الغضب وقد انطبق عليه انطباق الصخر إذا نزل من صبب ولوح السيف وضربه فرماه فى وسط الفلاة فأدركه شيبوب وشد كتافه وساقه بين يديه فلما رأت بنو كندة ذلك حملت بأجمعها تريد عنتر فما أمهلها حتى تلقاها بضرباته فشردها وأمر الملك زهير لبنى

عبس بالجملة فحملت على بنى كندة فأورثتها الذل والشدة (قال الراوى) فلما رأى حجار ذلك الأمر والشأن نزلت دموعه على خده غدران فقال له شيبوب لعن الله أباك وقبح بطنا رباك تفعل فعال الغدران وإذا جاء الزمان ورماك تبكى بكاء النسوان فقال له حجار يا شيبوب وحق علام الغيوب الذى يعلم ما فى القلوب ويكشف الشدة عن كل مكروب ما بكيت خوفا من القتل والهوان وإنما بكائى على تقلبات الزمان لأنه ما زال ينغص اللذات ويغرق الجماعات وإذا أضحك يوما أبكى سنة وليس له على أحد جميل ولا حسنه فلما سمع شيبوب مقاله رق لحاله وقال له ما معنى هذا الكلام يا حجار بينه لى حتى أعرفه وأنظر ما فيه من الاسرار فقال له شيبوب أعلم أنى كنت أهوى جارية تسمى بنت اسد بن دودان صاحب أرض الحيوان وسيد قبيلة بنى الزيان وقد قاسيت لأجلها شدائد وأهوال تقصر الأعمار والطوال وتذل كل إنسان وتحير الأنس والجان وما سمع بها حتى توسط فيها الملك النعمان ولما انفصل الحال ودنت أيام الوصال وحملت إلى أبيها النوق والجمال وما بقى لى عائق يعيقنى عن بلوغ الآمال أتانى فى ذلك اليوم كتاب الملك النعمان وهو يأمرنى بالمسير إلى قتال اخيك فيمن معى من الفرسان فسرت أنا ومن صحبنى وقد اشتدمنى العزم وقصدناكم وأنتم فى جبال الردم فاسرنى أخوك عنتر وأنزل بى الذل والعبر وتركنى فضيحة بين البشر فلما صالحه النعمان وأطلقنى وسرت طالبا أهلى ولما وصلت إليهم وقرب القرار أرسلت أطلب من أسيد زوجتى فأرسل يقول لى أنت قد علاك الشنار وأسرك عبد من عبيد بنى عبس وألبسك ثوب العار وأنا ما بقيت اسلم ابنتى إليك ولا أزفها عليك حتى تأخذ منه تارك وتكشف عنك عارك فبينما نحن عن ذلك الشأن وإذا قد أتانا الخبر بالقبض على النعمان فلما سمعت ذلك الخطاب ضاقت بى الأسباب وما صدقت أن يأتينى من الملك الاسود كتاب حتى سرت إليه بمن معى من الاصحاب وقلت فى نفسى لعل وعسى فعاندنى الدهر وعلى أسا وجرى ما جرى وإذا بى وقعت فى يده مرة أخرى وهى أشد من النوبة الاولى وعلمت أنى بهما عند العرب مثال وبعد ذلك أنا أعلم وأتيقن أنه أن عاد من الحرب ينزل بى المحن ويعذبنى ويسلب نعمتى وبعدها يضرب رقبتى وأنا مما جرى على من هذه الامور والأسباب جرت دموعى من شدة الاكتئاب (قال الراوى) فلما سمع شيبوب كلامه وعرف مرامه قال له ويلك يا حجار لو انك عوض ما سرت إلى الأسود وأتيت لتساعده على هذا النكد وأنت فى هذا الجمع والعدد وعملت هذا العمل فى حق النعمان بعد ما أولاك الجميل والاحسان وجازيته بأسوأ المجازاة وجئت تساعد عليه أعداه كنت جئت إلى أخى عنتر أنك ترى بعينك وتبصر ما يفعل معك من الجميل الذى يذكر ويبلغك من تحب جميع أوطارك وكان يجيئك الأمر على حسب اختيارك ولكن لما كافأت النعمان

بقبيح أعمالك أوقعك الغدر فى سوء فعالك فلما سمع حجار من شيبوب ذلك المقال بان عنده الحق من المحال وقال والله لقد صدقت يا شيبوب لكن أن سبب لى خلاصى علام الغيوب فانا أرجع عن ذلك وأتوب ويكون على يديك أقلاعى عن هذه الذنوب وأريك يا وجه العرب أن تكون أنت المتولى لهذا السبب وتتوسط فى الصلح مع أخيك وخلاص مهجتى من العطب وأن يصطفينى ويرغب فى صحبتى وأنا وذمة العرب أخدمه جهدى وطاقتى حتى تدهمنى منيتى وأكون عوناله وأهلى وعشيرتى وإن أنا خنته بعد هذه المرة فتكون أمى زانية غير حرة وأكون كذبت فى نسبى وتعلم سائر العرب انى من غير أبى (قال الراوى) فلما سمع شيبوب مقاله عول على أن يعطيه زمامه لما علم أنه فى مقاله صادق وأنه لم يكن بالكذب ناطق فأقبل عليه وقال له ياسيد بنى كندة أنا أفرج عنك هذه الشدة وأزيل عنك همك وغمك وآخذ لك ذمام أخى وأكرمك ولا يرجع أحد من أجله يكلمك ولكن يا وجه العرب إن كنت تعرف ماورائك من الحسب والنسب فاحلف بالرب الكريم الذى هو باحوال الخلائق عليم الذى أوسع الفلا ورفع السموات العلا وسطح الأرض على تيار الماء وأحاط بكل شىء علما وعلم آدم الاسماء وخلق من فى الارض نسمة تسعى وأخرج منها النبات والمرعى وعظم قدر الكعبة الغراء وأكرم مثواها بمجاورة أبى قبيس وحراء وأمات وأحيا وحكم على عباده بالموت والفنا وتفرد بالدوام والبقاء وبحق موسى وأبراهيم وما أنزل عليهما من الآيات البينات وبالنبى الذى يظهر فى آخر الزمان من أفخر عنصر معد بن عدنان صاحب المعجزات والبرهان أنك ما تكون بعده الايمان خوان (قال الراوى) فلما سمع حجار من شيبوب هذا المقال أجابه إلى ما قال وقال له بمن أرسى شوامخ الجبال ويعلم كم وزنها ذرة ومثقال وأكد عليه فى الايمان والاقسام بأنه ما عاد يغدر لا فى قتال ولا فى كلام قال الراوى وكانت هذه الايمان التى كانت تحلف بها الجهال فى ذلك الزمان الأول وكل من حلف بها وهو كذاب يموت لوقته أن سلم من العذاب قال الراوى فلما سمع شيبوب من حجار ذلك اليمين وأشهد عليه رب العالمين أطلقه من شداده ورد عليه كلا عدته وجواده فلما نظر حجار إلى شيبوب وقد أطلق سراحه زال همه وكثرت أفراحه وانذهل وزاد أعجابه ثم أنه ركب وعاد إلى أصحابه فلما رأت بنو عبس إلى ذلك الحال ورأوا حجارا أقبل وهو فى أحسن حال ظنوا أنه انطلق غصبا عن شيبوب فصاح فيهم الملك زهير وأمرهم أن يأخذوه أسيرا وإذا بالأمير حجار ركض على الملك زهير وترجل عن ظهر جواده وقبل رجل الملك زهير فى الركاب وحكى له ما جرى له مع شيبوب من الأمور والأسباب ثم أن الامير حجار عاد إلى ظهر جواده ونادى بأعلى صوته يا بنى العم كفوا أيديكم عن ضرب الحسام البتار فقد حلفت إلى بنى عبس يمينا بمن أرسى الجبال الشوامخ وقدر الأرزاق والآجال

ورب السموات العوال الذى لا شبيه له ولا مثال أنى أكون إلى الأمير عنتر من جملة المحبين على طول الزمان حتى نخلص إلى الملك النعمان فكل من سمع كلامى ورعى ذمامى وإلا عجلت عليه بحسامى إذا لم يرم مرامى فلما سمع بنو كندة كلام الامير حجار انكفوا عن قتال بنى عبس وفرحوا بالخلاص من قدام عنتر الأسد الرئبال . ثم إن جميع بنى كندة وكانوا كما ذكرنا سبعة آلاف مالوا على بنى فزارة وبنى زياد وأبادوهم بالحسام وطعن الرمح الهدام وأما عنتر فانه كان تحت الغبار يبطح الأبطال بحسامه الظامى البتار وكان عنتر قد خاف من غدر الأمير حجار أن يغدر به تحت الغبار حتى رآه فعل تلك الفعل وابصر هو وقومه بنى كنده ابادوا بنى فزارة وبنى زياد ففرح عنتر واتسع صدره وانشرح بمصاحبة هذا البطل الجبار فبينما عنتر واقف يتفرج عليه إذا بالأمير حجار هجم على عنتر وترجل على ظهر جواده وركض وأراد أن يقبل رجل عنتر فى ركاب فترجل عنتر على ظهر جواده الابجر واعتنق الأمير حجار وقبله بين عينيه هذا وقد قال الامير حجار لعنتر يا أبا الفوارس كل دم بيننا موهوب والله مطلع على ما فى القلوب لأنى عرفت ما فعلت معى من الجميل والاحسان فلعن الله أبا حجار أن كان بعد هذا اليوم بعين الأعداء عليك فى البيداء أو يضمر سوء أبدا فلما سمع عنتر كلام الأمير حجار شكره على كلامه وأثنى عليه وتحالف الاثنين على حفظ الوداد ثم أنهم حملوا على بقية بنى فزارة وبنى زياد وطعنوا فى أقفيتهم بالرماح المداد ولم يزالوا خلفهم يطردوا فيهم حتى أوصلوهم للخيام وبعد ذلك عادوا على خيلهم الشاردة والعدد المبددة إلى أموالهم ورجعوا طالبين جبال أجا وسلما وحجار راكب إلى جانب عنتر وقد فرح بذلك واستبشروا قال الراوى وأما بنو فزارة والربيع بن زياد فإنهم كانوا واقفين قريب الخيام منتظرين إلى حجار حتى يعود إليهم بعنتر أسيرا وإذا بأصحابهم مقبلين عليهم هاربين وللنجاة طالبين فلما رأوهم كذلك وقع بهم الانبهار ولما نظر الربيع ذلك انقطع ظهره وحار فى أمره ونادى ويلكم يا بنى العم ما الذى جرى عليكم ونالكم فحكوا له ما جرى عليهم من بنى عبس وعدنان وكيف أسر عنتر الأمير حجار وقد صار من جملة أصحابه وكان أكثر شكواهم من عنتر وبنى كندة فلما سمع الربيع ذلك الكلام انذهل وطلب الهرب خوفا من الهلاك والعطب وأما عمارة بن زيادة فإنه رمى الرمح من يده اليسار وبقى يركض ويلتفت إلى ورائه من خوفه من عنتر وهو يقول يا ليتنى ما كنت فى هذا اليوم ركبت فى هذا الموكب وانكسر الربيع وأخذ يسب الأمير حجار وبنى كندة على ما فعلوا بهم وأما الأمير عنتر فإنه رجع من خلف الاعداء وقد تشفى فؤاده من بنى فزارة وبنى زياد وبلغ منهم ما اشتهى وأرادوا عاد مع رجاله طالبين الجبال هذا وكان عنتر راكبا بجانب الأمير حجار وقد أخرج يده من جلباب درعه وافتكر ما جرى له من الأهوال وما جرى

عليه من المصائب الثقال فأشار بهذه الأبيات يقول أفلح من يصلى على طه الرسول صلى الله وسلم وبارك عليه

أعبلة أنت ضيعت العهودا ... وصار وصلك الماضى صدودا
ومازال الشباب وما اكتهلنا ... ولا أبلى الزمان لنا جديدا
ولازالت صوارمنا حداد ... تقد بها أناملنا الحديدا
سلى عنا الفزارين لما ... شفينا من رجالهم الكبودا
وخلينا نساءهم حيارى ... قبيل الصبح يلطمن الخدودا
ملأنا سائر الأقطار حربا ... فأضحى العالمون لنا عبيدا
وجاوزنا الثريا فى علاها ... ولم نترك لقصدنا مزيدا
إذا بلغ الفطام لنا صبى ... تخر له أعادينا سجودا
ومن يقصد بداهية الينا ... يرى منا جبابرة أسودا
نديرالطعن بالسمر العوالى ... إذاماالحرب أنضج ذى الكبودا
وتضرم نارنا فى كل أرض ... تذيب العظم منهم والجلودا
تقد سيوفنا فى كل أرض ... عظاما داميات أو جلودا
إذا دارت على قوم رحالنا ... تركنا عامر الأطلال بيدا
ويوم البذل نعطى ماملكنا ... ونملأ الأرض أحسانا وجودا
فهل من يخبر النعمان عنا ... مقالا سوف يبلغه رشيدا
إذا عادت بنو الأعجام تهوى ... وقد ولت ونكست البنودا
وسمر الخط تعمل فى قفاها ... وتروى مثل ما تروى الكبودا
ويعلوا ملكه ويبيت قهراً ... يقاسى مثل ما أفنى ثمودا
أنا العبد الذى ألقى المنايا ... حقيقا فارس الخيل المجيـــدا
وطئت بهمتى هام الثريا ... وسعدى باذخ وسما حميدا
أنا عنتر وذكرى شاع جهراً ... لدى الآفاق ذا فعل شديدا
ولى نجم سعيد من إلهى ... ومن خلق الأنام له عبيدا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه القصيدة وهذا النظم الجيد حتى طرب الملك زهير وكل من حوله من أبطال بنى عبس الاماجيد وبنى كندة الصناديد وأما الأمير حجار فانه بقى باهتا فى وجه عنتر وقال له والله ياأباالفوارس لقد جمع الله فيك الفروسية والكرم والفصاحة وحسن الشيم وقد سدت على العرب والعجم والذى يحفظ مثل هذه

الأبيات ما يحتاج معه فى الليل إلى أنيس ولا فى النهار إلى جليس (قال الأصمعى) رحمه الله وكانت هذه الأبيات سمتها العرب فى ذلك الزمان المؤنسية وكانت العرب إذا اختلت بأنفسها فى البر تنشدها فيجذبها الانس وهى من جملة القصائد المختارات لعنتر صاحب الوقعات هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من معديكرب الزبيدى وبنى زبيد فانه لما وصلت إليهم الأخبار بركوب خداوند إلى بنى عبس هو والملك الأسود وأن الملك النعمان انقبض عليه جمع معديكرب من قومه مقدار خمسة آلاف بطل من بنى زبيد وبنى خثعم ومراد وكاتب الأمير حجار بن عامر الكندى أن يلاقيه على أرض بنى عبس وركب بعدها معديكرب وصار إلى عند دريد بن الصمة يطلب منه ومن ذى الخمار معونة ونجدة على بنى عبس فلما نزل معديكرب عند دريد بن الصمة حكى له ما جرى على الملك النعمان وركوب خداوند واجتماعهم على بنى عبس وأن العرب والعجم اتفقت عليهم مع الملك الأسود فلما سمع دريد هذا الكلام صار الضياء فى عينيه كالظلام وقال والله إن تم هذا الأمر والسبب على فرسان العرب طمعت فينا أنذال العجم وباعونا فى بلاد الترك والديلم بيع الاماء والعبيد والخدم هذا والأمر ما أتركه يتم على أبطال العرب ولا بد أن أكاتب أمارة العربان وأطلعهم على هذا الامر والشأن وأزل مقيما فى هذا المكان حتى أسمع ما جرى على بنى عبس وعدنان وكيف رضى ملكهم زهير أن لا يعاونهم على حسبهم وأنا وحق ذمة العرب لولا عنتر فى بنى عبس لكنت سرت إلى معاونتهم على قتال العجم ولكنى أخاف من معيرة العرب أن يقولوا اسار دريد بن الصمة أمير بنى هوازن وخثعم إلى خدمة عنتر وهو عبد أسود راعى نوق وجمال وغنم وأما أنت يا معديكرب فإنى لا أقدر أن أسير معك بعد قبض العجم على الملك النعمان وطمعهم فى قبائل العرب ولا أخرق حرمة البيت الحرام لانى أعلم أن الاسود ما تدوم مملكته ولا يفلح من يتبعه وبينى وبين الملك النعمان عهد لا أضيعه فلما سمع معديكرب من دريد هذا الكلام انكسر قلبه وفترت نيته وأقام فى ضيافة دريد ثلاثة أيام ورحل فى اليوم الرابع وجعل يدور على القبائل والحلل ويجمع الفرسان من كل منهل حتى سار فى عشرة آلاف فارس وسار بهم طالبا قتال بنى عبس فمر فى طريقه على أرض الامير حجار بن عامر الكندى وخرج بنو كندة إليه ليتلقوه ويسلموا عليه فسألهم عن الامير حجار فأخبروه بمسيره إلى قتال بنى عبس وأنه اتفق هو وبنو زياد عليهم وأن الجميع سائرون إلى نصرة الملك الاسود حتى يتقدم فى طائفة العرب والعجم وسمعنا أن بنى عبس هربوا إلى جبال أجا وسلمى فلما سمع معديكرب هذا الكلام والخبر فرح واستبشر وصاح وافرحاه بعد ترحاه والتفت لمن معه وقال لهم وحق رافع السما قد صح لى ما كنت أحب وأختار وسهل الله لى بأخذ الثار وكشف العار ثم إنهم ساروا يقطعون البرارى والقفار وجدوا فى المسير

طالبين جبالا جاوسلما حتى أشرفوا على الجبال وطلع غبار خيلهم حتى غشى الابصار وكان لقيس بن زهير ديدانية على رؤس الجبال فلما نظر العبيد إلى غبار معديكرب نزلوا من رؤس الجبال وأتوا للملك قيس وأعلموه بما نظروا من ذلك الغبار فلما سمع الملك قيس كلام العبيد صاح فى بنى عبس وأمرهم بالركوب فركبت الابطال والشجعان وضج حى بنى عبس من كل جانب ومكان وركب قيس بن الملك زهير واعتقل حتى بقى كانه قلة من القلال أو قطعة فصلت من جبل وركض فى أوائل بنى عبس حتى وصلوا إلى باب المضيق فأبصروا البر يموج بالفرسان وفى أيديهم عوامل الاشطان فعند ذلك أرسل الملك قيس فارسا من بنى عبس وقال له امض واسأل عن هؤلاء ومن أى عرب هم أمن أصدقائنا أم من أعدائنا لان الطالب إلينا كثير فسار العبسى حتى صار بين تلك العربان ونادى بأعلى صوته يا أيها العربان أخبرونا من أنتم من الرجال قبل أن يقع بيننا وبينكم القتال فعندها تقدم إليه معديكرب وقال ويلكم يا بنى عبس الويل لكم يا قليلون الحياء يا من الحقتم فى أنسابكم أولاد الإماء وقد دنا هلاككم والفناء بعدما طلبكم العجم والعرب ونحن بنو زبيد وأنا مقدمهم معديكرب وقد جلبت كل من له عليكم دم وثار تسلموا أنفسكم قبل أن تصل إليكم عساكر العرب والعجم فلما سمع العبسى كلام معديكرب عاد إلى قيس وحكى له بالخبر فبان فى وجه الملك قيس الغضب وصاح فى رجاله وثار الغبار وأضرم نار القطل وأظلم النهار والتقى بنو عبس وبنو زبيد وأقامت القفار والبيد ووقع بينهم طعن شديد وضرب مديد وانقلبت الدنيا بالصياح واسودت الوجوه الملاح وهبت نسمات الموت مع عواطف الرياح وكثر على بنى عبس المدد وزاد عليهم النكد ودهمتهم تلك المواكب ودارت بهم من كل جانب ووقع بهم الملل وقد تأخروا إلى ذيل الجبل ولم يزالوا على مثل ذلك العمل حتى ولى النهار وارتحل وأقبل الليل وانسدل فافترقوا عن بعضهم البعض من بعد أن سالت الدماء على وجه الارض فنزل بنو عبس فى فم الوادى خوفا على حريمهم من الاعادى ونزل معديكرب والابطال الذين معه على باب المضيق وأما الملك قيس بن زهير فإنه اجتمع فى ابطاله وقال لهم يا بنى العم الرأى عندى أننا نطاول هؤلاء القوم بالبراز ونحمى هذا المكان إلى أن يصل إلينا أبى بمن معه من الفرسان فلما سمعت بنو عبس هذا الخطاب قالوا أشرت بالصواب على أننا لولا هذا البطل الجبار معديكرب ما كنا نبالى بكثرة العرب الذين معه لكن هو الذى أضعف قوانا وأنزل بنا الكرب فقال لهم الملك قيس والله يا بنى العم لو كان فيكم من يخلفنى ويدبركم بعدى لكنت خرجت إليه فى غداة غد ولكنى أخاف أن يقضى على ويقع فيكم بعدى الفناء ثم أنهم بعد ذلك خرسوا أنفسهم إلى أن طلع الصباح وغابت الكواكب وأقبلت إليهم الكتائب من كل جانب وأول من تقدم للحرب معديكرب قدام الجميع وهو كانه الأسد الاروع

وقد زاد به الغضب وأراد أن يظهر شجاعته عند العرب فقال لبنى عبس مخاطبا ويلكم يا بنى عبس أين أسودكم عنتر الذى طلبتم حماه واتكلتم عليه ابرزوه هنا إن كان حاضر ودعوه اليوم يحامى عن النسوان الحرائر فوحق من أمر الغيث فهطل والبرق فأعشب لا تركن لى ولكم حديثا يكتب ومثلا يضرب ثم أنه لعب برمحه انداب حتى حير عقول أولى الالباب ولما نظر قيس إلى فعال معديكرب وكيف أعجب بروحه نادى فى بنى عبس إليكم والجبال حتى ابرز إلى هذا البطل المعجب بنفسه من دون الرجال ثم إن الملك قيسا تحرك على ظهر الجواد حتى صار قدام معد يكرب وناداه ويلك يا معدى إلى كم هذا التعدى ويلك أما أنت الذى أسرك حاميتنا عنتر بن شداد وجللك بالعار وجادلك بالاطلاق بعد ما أراد قطع ناصيتك وطعنك فضيعت الصنع وفعلت فعال اللئيم الوضيع ولو كان عنتر ها هنا حاضرا لبرز اليك وأخذ روحك من بين جنبيك لكنه غاب اليوم إلا من أجل سعادتك وإن غاب اليوم يحضر غدا وترى ما يحل بك من الرداوالله يا نذل بنى زبيد إن عدت ووقعت قدامه وبين يديه لاطال لك عمر ولا بقى ولا لقيت منه إلا الاشر ملتقى لأنك قد اسأت الادب وأنت تزعم أنك أمير صاحب حسب ونسب هذا إن رجعت اليوم من قدامى وأنت سالم وما فيك من سنان رحى هلا ثم أن قيسا حمل على معديكرب وصدمه ومد سنان رمحه إليه وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

لو كنت تعرف يامعدى إحسانا ... لما جلبت لنا خيلا وفرسانا
وقد عفا عنك بعد الاسر فارسنا ... وقد حلفت وخنت العهد عدوانا
انكرت يامعد ما أولاك من نعم ... وابن اللئام إذا امنته خانا
لله در بنى عبس لقد حملت ... من الفخار اكاليلا وتيجانا
نحن الملوك وباقى الناس كلهم ... تراهموا عند ضرب السيف غلمانا
إذا ركبنا ظهور الخيل وانبسطت ... رماحنا قدحت فى الحرب نيرانا
يبيت من خلفنا كسرى على وجل ... مخافة وملوك الأرض تخشانا
فان وهبنا ملانا الأرض من كرم ... حتى يصير عطانا منه طوفانا
وإن بدا الفخر منا عدت فى خجل ... لما ترى فعلنا سرا وإعلانا

(قال الراوى) ولما فرغ قيس من هذه الابيات صاح معديكرب فيه وحمل عليه والتقى الملك قيس كما تلتقى الأرض العطشانة أوائل المطر والتحم بينهم القتال والطعن والنزال وجرى بينهم قتال شديد وحرب يذوب منه الحديد حتى طحنت أرجل خيلهم الحصى والجلاميد إلا أن قيسا ما كان من طبقة معديكرب فى الشجاعة والفروسية لأن معديكرب كان من الجبابرة الألفية المعدودين فى زمن الجاهلية وسطا معد يكرب على قيس بن الملك

زهير واستطال وأراه فى الحرب أهوال لما نظرت بنو عبس إلى تلك الأحوال أرادت أنها تحمل وإذا بالعرب قد حملت والأرض من ركض خيلهم قد تزلزلت ومدت الرماح السمهرية وجردت السيوف الهندية وافترق قيس من معديكرب وكان معديكرب قد جرح قيسا فى موضعين فعند ذلك حملت أبطال بنى عبس وعدنان واختلطوا مع بعضهم البعض فى حومة الجولان وعملت الرماح الخطية والسيوف الهندية ومازالت بينهم تعمل والرجال تقتل والدم ينزل ونار الحرب تشتعل إلى نصف النهار وقد قل من بنى عبس الاصطبار وعادت إلى باب المضيق وحملت أنفسها مالا نطيق وأعادتها العبيد بالحراب والمزاريق إلى آخر النهار وقد أقبل الليل بالاعتكار ورجعت كل طائفة إلى خيامها ومعديكرب كأنه أسد وصار يقوى أصحابه على الحملة فقالوا واله وحق ذمة العرب ماحملنا إلا وقلنا أنها واقعة الانفصال فقال معد يكرب لو كنتم صبرتم ساعة واحدة كنت قتلت قيسا أو أخذته أسير لكن غدا نهجم عليهم فى الجبال وننهب منهم الأموال ونسبى الحريم والعيال فقال أمراء العرب والله يامعد يكرب إن بنى عبس شجعان وما بقى يسمح بمثلهم الزمان ويحق لهم أن تسمهم العرب الكرام فرسان المنايا والموت الزؤام وناصرين الحريم والايتام ثم أنهم أقاموا حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فزعق معديكرب على قومه وقال لهم دونكم وهذا المال المباح من قبل أن يأتيكم العربان وتزاحمكم الشجعان فهناك ركبت الفرسان واعتدوا للحرب والطعان وكان بنو عبس لما اعتدوا عند الصباح تصايحت عليهم نساؤهم والأطفال وقالت لا تتركونا لقبائل العرب نباح فهناك جرد بنو عبس الصفاح وتقدموا للحرب والكفاح وطاب الموت للرجال وقاتلوا دون المال والعيال فلما لقى معد يكرب الأمر قد طال ترجل عن ظهر الجواد وترجلت معه الأبطال وفعلت بنو عبس مثل مافعل وقد خاب الرجاء والامل وقد وقع بالجبان الملل وتضاربوا الضرب الوجيع حتى جرى للدم نجيع وقام الحرب بينهم على قدم وساق وضاق بهم الخناق وشربوا من المنية كأس المذاق ودام الامر على ذلك حتى أقبل الليل الحالك فافترقوا عن بعضهم البعض وقد امتلأ بالقتلى وجه الأرض هذا ماكان لهؤلاء وما جرى لهم من الكلام والمقال (وأما ماكان) من الملك زهير والأمير عنتر ومامعهم من الرجال فإنهم رجعوا كما ذكرنا طالبين الجبال وهم فرحون ببلوغ الآمال وعنتر أفرح الخلق بمصاحبة الأمير حجار حتى قربوا من الجبال فقال الأمير حجار لعنتر والله يا أبا الفوارس أنى قد أنكرت غيبة معديكرب لأن كتبه قد أتت إلى عندى وقد وعدنى أنه يلاقينى بأرضكم هو ودريد بن الصمة وذو الخمار وأنى أراهم ما بان لاحد منهم خبر وأنا خائف أن يكون سمع بمسيركم إلى بنى فزارة وسار إلى حريمكم وسطا على أصحابكم فى غيابكم والرأى عندى أن ترسل إلى أخاك يأتينا

بالأخبار فلما سمع عنتر كلام الأمير حجار رآه صوابا فأمر أخاه شيبوبا أنه يسير ويشرف على الجبال وينظر بنى عبس ويرجع لهم بالخبر سريعاً فأجاب شيبوب إلى ما أمره أخوه عنتر وأعطى رجليه للريح وطلب البر الفسيح كأنه النسر إذا طار أو النمر إذا غار فى البرارى والقفار حتى وصل للجبال فسمع صياح بنى عبس فتقدم نحو نار الأعداء حتى يعرف من يكونون من عرب البيداء وإذا بالقائل يقول يا بنى زبيد أبشروا ببلوغ المراد فما بقى من بنى عبس من يقدر أن يثبت للحرب والطراد وعند الصباح نمكن منهم ضرب الصفاح ونسبى الحريم الملاح ونأخذ بثأر خالد ونسلب منهم الأرواح فلما سمع شيبوب ذلك المقال عاد على عقبيه كأنه ريح الشمال حتى التقى بعنتر والملك زهير ونادى بحالة الضيم والتنكير قال واذل حريمكم يا بنى عبس فقال عنتر ويلك ما الخبر فقال شيبوب إن معديكرب قد جمع أوفى من ثمانية آلاف من الأبطال وحاصروا أهلنا فى الجبال وقد طال عليهم بقوته واستطال وسمعت صياح النسوان والأطفال فلما سمع عنتر هذا الكلام زاد به الهم والآلام وقال لعن الله أصلك يا معديكرب ولعن أبى وجدى إن لم أدع لى ولك حديثاً يذكر من بعدى ثم إن عنتر هم أن يطلق عنان جواده ويلحق أهله قبل أن تسبيهم الأعادى فأقبل عليه الأمير حجار وقال له يا أبا الفوارس بحياة عينى عبلة دعنى أسير فى هذه الخدمة حتى أبصر ما دبر هذا الرجل ومن تبعه من فرسان العرب وأريد أن أجعل بينك وبينه مودة ونسب قال عنتر افعل ما بدا لك لأنك أقسمت على بقسم عظيم وإلا كنت سرت إليه وأخذت روحه من بين جنبيه ولكن افعل ما بدا لك فما بقيت أن أخالف مقالك فعند ذلك ركب الأمير حجار فى أبطال بنى كندة وسار من نصف الليل إلى أن أصبح الصباح ووصل إلى الجبال ونظر إلى القتال فقال الأمير حجار واحرباه يا له من يوم مشئوم على معديكرب ومن معه من أبطال العرب فوحق البيت الحرام لو أبصر عنتر ما بقومه من المصائب ما أبقى من بنى زبيد لا ماشيا ولا راكب وفى ساعة الحال طلب معركة القتال ثم إن معديكرب لما نظر المواكب أقبلت وملأت البرية فرح بهم لأنهم قحطانية وقال لقومه أبشروا فإنه قد أتاكم حجار بن عامر وأناله فى الانتظار حتى نقطع من بنى عبس الآثار ثم إنه حرك إليه ظهر جواده وقد انشرح فؤاده وغاص فى الغبار حتى قرب من الأمير حجار ونادى اهلا وسهلا بالأخ الشقيق والخل الرفيق وذمة العرب ما أتيت إلا فى وقتك حتى تأخذ من الغنيمة قسمك فتبسم الأمير حجار وقال له وحق خالق النهار لقد خاب ظنك يا معديكرب لقد نسبتنى إلى أبى وجدى وإن الإحسان ما يضيع الإنسان ومن كان له نسب رفيع ما يفعل فعال اللئيم الوضيع فقال معديكرب وكيف ذلك يا أمير حجار أما أنت معى على العهد مقيم قال حجار بل وحق زمزم والحطيم إن كنت تسمع منى

نصحى وطلبت مودتى وصلحى وإلا فدونك سيفى ورمحى فبقى معديكرب باهتا فى وجه الأمير حجار ولا يعلم أى شىء جرى من الأخبار وقد اشتد به الغيظ والغرام وقال له يا أخى أى شىء بلغك عنى من قبيح الفعال حتى تكلمت معى هذا الكلام المحال الذى هو أشد من ضرب السيف اليمان فعندها حكى الأمير حجار جميع ما جرى له من عنتر بن شداد الفارس المغوار ووصف له كرمه وشجاعته وكيف أسره وسلمه لأخيه شيبوب وكيف عمل معه من الجميل وكيف أطلقه وبعدما حلف له ثم قال حجار وبعد ذلك يا معديكرب وحق مالك الممالك وموسع المسالك ومن فرق بين الصباح والليل الحالك لو أعطانى عنتر جماله لرعيتها ولو مالت عليه الجبال لالتقيتها فان كنت ترضى يا معدى لنفسك ما قد رضيت فعاهدنى على هذا المقال وكن من بين يدى عنتر من بعض الرجال وإلا فدونك الحرب والقتال ودع عنك القول والمحال فلما سمع معديكرب من الأمير حجار وإلى هذا المقال تقطعت منه الاوصال وزادت ناره اشتعال وقال ويلك يا حجار وإلى هذا الحد تركت عزة النفس وذليت لعبد بنى عبس فقال له حجار دع عنك هذه الحماقة يا معديكرب ولا بقيت تقول مثل هذا المقال فى حق الأمير عنتر فكل الناس من أنثى وذكر ولكن عنتر فى هذا الزمان معدوم المثال وليس له نظير فى الأبطال لأن قتال الالف فارس والعشرة آلاف فارس والفارس عنده بالسواء ولا يعد نفسه إلا غالبا بين فرسان العرب وأنا وإن كنت أقول إنى فارس الدنيا فما أقدر أن أقف بين يديه لأنى بارزته فى هذه المرة فى أرض بنى فزارة فرأيت منه العجائب وكلما بذلت فيه المضارب يبطلها عنه بضرب صائب ويعف عنى كما يعف الفرسان عن النسوان ولما أسرنى سلمنى لأخيه شيبوب الفارس المقدام ثم عفا عنى وأعطانى الامان والذمام وأطلقنى حتى كأنى ما أخطرت لهم على بال فلما رأيت أنا ذلك الحال هانت نفسى على وصرت له من بعض الخلان وها أنا سائر معه أعينه على خلاص الملك النعمان وقتال الاعجام اللئام قبل أن تطمع فينا عبادة النار ويخرقوا حرمة بيت الله الحرام لأن الملك الأسود تابع لكسرى فى عبادة النار ولا بد لعنتر أن يقلع آثاره ويعجل دماره ويعيد الملك النعمان إلى مملكته ويقتل خداوندبن كسرى أنوشروان وكل من معه من عساكر وشجعان فاترك يا معد يكرب ما أنت عليه من نصرة العجم ولا تتبع هوى النفس فتندم وبادر إلى صلح عنتر من قبل أن يحل بك العدم لأنى تركت عنتر اسائرا على أثرى بمن معه وفى هذه الساعة تكون عندى لأنه سمع ماجرى على قومه من الخبر ثم أنه عاد عليه جميع ما فعل عنتر وكيف ارسل إليه أخاه شيبوبا تحت الليل حتى أنه أشرف على بنى عبس ونظر إلى ما جرى عليهم منك وتدبر وما فعلت بهم من الفعل المنكر وأراد أن يسير إليك فما كنته من شفقتى عليك فبادر لهذا الأمر قبل الفوات ولا ترم نفسك فى الهلاك والممات فلما سمع معديكرب

كلام الأمير حجار تذكر قول دريد بن الصمة في سابق الحال وقد علم أنه نصحه لما قال له عن الملك الأسود ذلك المقال وأن ملكه لا يدوم ولا يفلح من يتبعه وبقي مفكراً في هذا الحساب والأمر والشأن بين الإجابة والعصيان ويخاف إن خالف هلك هو ومن معه من العربان وخاف أن يقتله عنتر إن وقع في يده ثاني مرة فقال يا أمير حجار وكيف تصير قلوب بني عبس لنا صافية بعدما فعلت معهم هذه الفعال فقال حجار إن أصفيت لهم الوداد زالت من قلوبهم الأحقاد وسامحوك بما فعلت معهم من الأخطار لأن فرسان العرب ما زالت تطلب أخذ الثار وكشف العار وأنا أكون واسطة في هذه النوبة من غير تنكيد ويصير لك من هذه القبيلة ركن شديد ويأتيك الأمر كما تريد ولا سيما إذا خاصمت صهرهم الملك النعمان فانه يشكرنا على ذلك جميع العربان ويرفع لنا قدر وشأن ونحتوي على أموال الأعجام ونسقيهم كأس الحمام ونحامي عن البيت الحرام الذى كانت العرب تحلف به فى ذلك الزمان ولما صفا الخاطر من التنكيد اختلطت بنى كندة فى بنى زبيد وكان قيس ومن معه من الأخيار قد زادبهم الهم والأضرار من قدوم بني كندة وحجار وقد ظنوا أنهم أتوا نجدة لمعديكرب فاشتد عند ذلك مصابهم وصاحت نساؤهم على حجار بحالهم فإذا حجار قد أنفذ إليهم يطيب خواطرهم ويعلمهم بجميع ما جرى من الأمور فحل عندهم الفرح والسرور وما أقبل الظلام واعتكر حتى أقبل الملك زهير وعنتر فلاقاهم الأمير حجار ومعه معديكرب وبشرهم بالصلح وزوال الكرب ثم إن معديكرب ترجل وقبل أيادى الملك زهير وسلم على عنتر ورق له فى الكلام واعتذر وقال له يا أبا الفوارس كل دم بيننا فهو موهوب غير مطلوب وربنا تعالى مطلع على القلوب فقال عنتر والله يا وجه بني زبيد وحق من أوسع البيد نحن ما فعلنا هذه الفعال عصبية للملك النعمان وإنما كان ذلك خوفاً على البيت الحرام لأن العجم لو تملكوا من البيت جعلوه معابد للنار وقلعوا من العرب الآثار من سائر الأقطار فصدقه جميع الحاضرين فى كلامه وشكروه على فعله وغمرهم الملك زهير بالخلع والتم شمل هؤلاء القوم واجتمع ودخلوا إلى الجبال وهم فى خمسة وعشرين ألفاً من الأبطال وأقاموا فى الولائم والدعوات سبعة أيام متواليات وفى اليوم الثامن قدم جرير أخو عنتر من أرض الحيرة وأخبر أخاه عنتر بكثرة عساكر العرب والعجم ووصف له ما قد اجتمع من الخلائق والأمم فقال عنتر يا ويلك يا جرير من أجاب من العربان للاسود والكشحان قال يا أخى الذى أجابه بنو الأشتر وبنو غامض وبنو ناهض وأصحاب الدماء من الفرسان وبنو طى وبنو شيبان وكل من كان يبغض دولة النعمان وأما من كان يحب الملك النعمان فما أجاب وأكثر القبائل سمعوا كتابه فما ردوا عليه جوابه ومازال يرتب أموره حتى قدم عليه الربيع بن زياد وحذيفة بن بدر وكل أمراء بني زياد وبني فزارة على أكتاف النجب

والمهارة وأخبروه أنكم فلعتم منهم الآثار وأخربتم الديار وبكى حذيفة وانتحب وطلب منه تعجيل المسير بالعرب إلى قتالكم فاجابه إلى ماطلب وزاد به الغضب وحلف أنه ما يبقى منكم احدو كان خداوندبن كسرى عول على أنه يقسم العساكر قسمين واحداً يرسله إليكم والثانى إلى مكة حين قدم إليه الربيع و بنو فزارة وحكوا له أن الأمير حجار صار لكم من الأصدقاء فأشاروا على الملك الأسود أنه يشير على خداوند بأنه يسير بجميع العساكر إليكم فدخل الملك الأسود على خداوند وقال له يا ملك الرأى عندى أننا نسير بكل العساكر على قدم واحد و نبصر من القبائل من هو طائع ومن هو معاند و بعد ذلك نهجم على بنى عبس نأخذهم كلهم أسارى حتى ينقادوا قدامك ذليلين حيارى و نطلب البيت الحرام لأن بنى كندة قد مالت إلى بنى عبس وستميل إلى غيرهم لأن عباد البيت الحرام لا يتخلون عن زمزم والمقام ولا يتركونه يهدم منه شىء حتى يصير الدماء حوله مثل سيل الغمام فلما سمع خداوند ذلك الكلام من الأسود أجابه إلى ماطلب ونادى فى عساكره بالرحيل وما ترك فى الحيرة غير ألف فارس من العجم تحفظ الملك النعمان ومن معه من الفرسان وما فارقتهم ياأخى إلا والدنيا ترهج من لمعان العدد والبيض والزرد فصاح عنتر فى أخيه جرير بصوت يصدع الحجر لا تصف لى طناجير العجم وحق من أبرق البرق وأنار الشمس من الشرق لابد أن أفرق مواكبهم كالأسد الكاسر حتى لا يركن الأول للآخر ثم أنه بعد ذلك الكلام دخل على الملك زهير وقال نحن مالنا تدبير غير القتال وصون الحريم والعيال ولا نعرف من هؤلاء القوم الذين صاحبونا أن يقاتلوا معنا بنصيحة وإلا فنحن أصحاب القريحة فقال له عنتر ياملك وحق ذمة العرب ما بيننا وبين القوم إلا أن تقع العين على العين ويقتل عشرة فوارس من الطائفتين وقد طلب بعضهم بعضاً بالدماء فيلزمهم مثل ما يلزمنا ثم إنهم طلعوا إلى خارج الخيام وأخبروا الفرسان بالعساكر القادمة وإن عدتهم مائتان وخمسون ألف عنان فقال الأمير حجار والله إن هذا من أعظم العار أننا نخلى هؤلاء القوم الطناجير الاشرار يدوسون أرضنا بحوافر خيولهم وما بقى لنا فى البر قرار إذا لم يعودوا إلى مملكة النعمان قال أمراء العرب الحاضرون ما الذى عزمت عليه أنت يا أبا الفوارس فقال عنتر عزمت على لقاهم والصبر على أذاهم قال معديكرب والله ما تركنا من هؤلاء الطناجير من يمشى على قدم قال الأمير حجار صدقت يا معد يكرب فى كلامك ذى الحكم نحن كلنا عازمون على هذا الأمر ولكن الرأى قبل القتال صواب فى هذه الأمور والأسباب قال قيس بن الملك زهير ياوجوه العرب أن جرير أخا عنتر ذكر لنا أن الخلق كثير سائرون إلينا وخداوندبن كسرى للمراحل من أرض الحيرة ما ترك كما تقدم لحفظ الملك النعمان غير ألف فارس من العجم وهذا جمع يسير والصواب أن يسير منا مائة فارس على أكتاف النجب

والمهارة وإذا وصلوا أرض الحيرة يضعوا السيف فى الاعجام ويخلصوا الملك النعمان من القيود والاغلال فتبلغ بذلك الآمال لان هذه العساكر المتكاثرة ما تشرف علينا إلا بعد أيام كثيرة لاجل بعد المراحل وإذا وصلت ففينا كفاية أن نطاولهم فى القتال يوما وعشرة وعشرين إلى أن تكونوا أنتم خلصتم الملك النعمان قبل أن تميل إليه كل قبائل العربان فلما سمع الحاضرون كلام قيس بن الملك زهير رأوه صوابا وقال له الجميع لله درمن سماك قيس الرأى لانك أشرت بالصواب والامر الذى لا يعاب وما بقى بعد هذا الكلام والمقال إلا الفعال قال عنتر الرئبال إن كان لا بد لكم من هذا الحال فأنا أسير بعشرة أبطال وأخلص الملك النعمان ولو حال من دونه الإنس والجان فقال الملك زهير والله يا ابن العم إن مسيرك أنت عن بنى عبس فى مثل هذه الاوقات ما هو صواب لان المدى إلى الحيرة بعيد ونحن طائفة قليلة قدام هذا العدد الكثير وقد خاف الملك زهير من عنتر أن يسير للحيرة وهم يبتلون بعده بالحيرة قال الامير حجار أنا أسير إلى خلاص الملك وحق ذمة العرب لا يسير أحد غيرى فقال عنتر لما سمع كلام الامير حجار إن كان يا أخى لا بد من مسيرك أنت فخذ معك عروة بن الورد مع رجاله فأجابه إلى ما يريد واعتد الامير حجار من يومه وركب فى مائة بطل من شجعان قومه وركب معه عروة بن الورد فى مائة بطل من رجاله على أكتاف النجب والمهارة وساروا إلى أرض الحيرة ومن بعد مسيرهم صار عنتر كل يوم يأخذ معه معد يكرب ومقدار مائتى فارس ويبعدون عن الجبال ليكشفوا أخبار العجم للمسافر ويعودوا للجبال ومازالوا على ذلك الحال مدة عشر أيام وفى اليوم الحادى عشر وهم سائرون كما جرت لهم العادة وإذا هم يرون الغبار من قدامهم علا وثار وسد منافذ الاقطار وبان ذلك الغبار عن خمسة آلاف فارس للحديد لوابس وكانت هذه الابطال طليعة عساكر العجم مع فارس جليل القدر يسمى شاه مرد وكان جبارا لا يقاس وشيطانا لا يمارس فلما بان وبانت وراءه المواكب قال معد يكرب لعنتر يا أبا الفوارس هذه طليعة عساكر العجم فاصنع بهم ما تريد قال عنتر الرأى عندى أننا نقاتلهم ولا نرى لهم تأثير ثم إنه أيقظ جواده الابجر وعدل جميع رجاله وفعل معد يكرب مثل فعاله فابصر مقدم العجم قتالهم فأنكر أحوالهم وقال لقومه لو كانوا طليعة العرب لكانوا من وقت أن رأونا عولوا على الهرب لكن يتقدم أحدكم يسألهم عن أحوالهم ويأتينى بأخبارهم فطلبتهم الفرسان من كل مكان والذى قصدهم ألف فارس فلما نظر معد يكرب إليهم صاح فى بنى زبيد وأراد أن يحمل عليهم ليفرقهم فى أقطار البر والبيد فقال له عنتر يا أخى لا تضيع عوائد العربان وتفعل فعالا ما لنا فيها فائدة قال معد يكرب كيف ذلك يا أبا الفوارس قال عنتر متى لقيت ألفا من العجم بمائة من العرب نقصت حرمتنا عند هؤلاء الطناجير

ومن تابعهم من الخلق الكثير ولكن دعنا نلتقي أنا وأنت هذا الالف فارس بعشرة فرسان ونبيدهم يميناً وشمالاً وترى قلوبهم هيبة لا تزال إلا طمعوا فينا وفي قتالنا قال معديكرب وحق ذمة العرب إني أقدر أن ألقاهم وحدي وأفرقهم بقوة ساعدي وزندي وما دام أنك أشرت بهذا الرأي فافعل ما بدا لك واختر من قومك من أردت فقال عنتر لا والله بل أحمل أنا وأنت ولا نريد معنا أحداً حتى يكون أهيب لنا وأجود قال معديكرب افعل يا أبا الفوارس ما تريد فأنا عن رأيك ما أحيد ثم حمل عنتر على الميمنة وحمل معديكرب على الميسرة وساروا تحت الغبار والقتام وصاح الاثنين صيحات الأسد الضرغام وصارت إليهم الاعين ناظرة ومن فعالهم متحيرة وأبصر شاه مردمن فعالهم ما أبصر وفي الحال نزل عن جواده وسجد للشمس كفراً وغروراً وأنا وأنتم نوحد الملك الغفور وقال لمن معه من عساكر العجم وحق النار إن هذا الحديث يحق أن يؤرخ ويكتب بماء الفضة والذهب وهل رأيتم قط فارسين من رعاة الغنم يحملان على ألف من العجم فقال له أصحابه يا مولانا هؤلاء من جاهلية العرب وجهلهم يحملهم إلى الهلاك والعطب والساعة تبصر رؤس الاثنين تحت حوافر الخيل وبعدهم تحمل على رفقائهم حتى نهلك الجميع ولا نخلي منهم لا رفيعاً ولا وضيعاً قال شاه مرد أي شيء هذا الكلام وحق النار لم أترك احداً يحمل من أصحابنا عليهم حتى ننظر ما يفعلوا هؤلاء الاثنان بهذه الألف فارس ثم إنه وقف ينظر ما يجري بينهم ساعة من النهار وإذا بالعجم الديالم طالعين من تحت الغبار هاربين وللنجاة طالبين وهم ينادون كبكات زلزلات جري خان عشر فيسرات يعني الهرب الهرب من قدام هؤلاء العرب وفي أعقابهم صرخات عنتر ومعديكرب كأنها الرعد في خلال الغمام وما زال العجم في هزيمتهم حتى صاروا قدام شاه مرد وأكثرهم على تلك الحالة فقال لهم ما حالكم وما الذي جرى لكم قالوا يا حاجب الحجاب الذي جرى علينا ما جرى على أحد من هؤلاء الأعراب لأن هؤلاء القوم ما هم من البشر وما هم إلا من الجان الذين عصوا نبي الله سليمان وإذا لم تحمل في بقية الخمسة آلاف ما تنال منهم مراداً فلما سمع شاه مردمنهم هذا الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام وقال لهم أرأيتم فارسين من العرب رعاة الغنم يحملان على ألف فارس من العجم ويكسرانهم مثل ما يكسر الذئب الغنم فعلى هذا الحساب إن كانت العرب الذين ركب عليهم خداوندبن كسرى وقفت أمامهم فإنهم يقدرون أن يلقوا كل منهم من العساكر والجيوش والدساكر ثم بعد كلامهم صاح في الخمسة آلاف وانطبقوا على عنتر ومعديكرب فالتقوهم كما تلتقي الأرض العطشانة أوائل المطر وحملت أبطال بني عبس وبني زبيد في معونة عنتر ومعديكرب والتقت الأعجام بالسيوف وضربت الجماجم والقحوف وارتجفت من ذلك النفوس في هذا اليوم العبوس وأظهر فيها معديكرب العجائب وعنتر مزق الكتائب ونكس الأعلام وأهلك فرسان

الأعجام وهتك مرائر القلوب بطعن يرد النظر مقلوب وينهب الأرواح بطعن الرماح وضرب الصفاح والتقى بشاه مردو هو يهز فى يده العامود ويتوسل بالنار والنور والظل والحرور فقال له عنتر فى است أمك على أم كل من يعبد النار معك ثم انه زعق فيه صوتا فأذهله وخبله وطعنه بالرمح فى صدره فطلع عشر أنابيب تلمع من ظهره فرماه قتيلا وفى دمائه جديلا فلما نظرت العجم إلى قتل أميرها ولواهاربين وللنجاة طالبين هم يشتمون النار كيف جعلت للعرب قيمة ومقدار وماز الوا فى هزيمتهم إلى أن وصلوا عندقومهم فتلقاهم الحاجب الكبير وسألهم عن هذا الخبر النكير فقالوا له أنه قد اعترضنا عنتر ومعه ألف فارس وقتل شاه مردو طعن فينا طعنا لا يرد ولولا أننا ولينا هاربين كان قتلنا أجمعين فلما سمع الحاجب ذلك الخبر اختلط بالعسكر ولولا هيبة خداوند بن كسرى كانوا تفرقوا فى أقطار الصحرا ولكن ثبتوا أرواحهم وافتقدوا عددهم وسلاحهم ولم يزالوا إلى أن أقبل الليل الحالك ولم يعلموا خداوند بذلك (قال الراوى) هذا ما كان لهؤلاء وأما ما كان من عنتر ومعديكرب فانهم لما فرقوا الأعجام فى الروابى والآكام جمعوا الخيول والأسلاب وعولوا على الرجوع والذهاب وأقبل عنتر على معديكرب فى الخطاب وقال له ما تقول فى إرسالنا إلى أهلنا وأعلامهم أنهم يبيتون هاهنا وتلقى أعدائنا فقال معديكرب يافارس الأعراب هذا ما هو صواب بل قتالنا عند الجبال أصلح على كل حال وقد خاف معديكرب من عنتر أن يقف فى هذا المكان بمائتى فارس قدام مائتين وخمسين ألف بطل مداعس فأجابه عنتر فى مقاله وبلغه غاية سؤاله وساروا طالبين الجبال وعنتر قدام الأبطال كأنه غطس فى بحر من الدماء وهو يذكر ذلك اليوم وما جرى لهم فيه من الأهوال وما قتل من الأبطال وينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

قف بالمنازل إن شجتك ربوعها	فلعل عينك تستهل دموعها
دار لعبلة شط عنك مزارها	ونامت ففارق مقلتى هجوعها
وسقتك يا أرض الشربة مزنة	منهلة تروى ثراك هموعها
وكسا الربيع الأرض من أزهارها	حللا وأما الأرض فاح ربيعها
كم ليلة عانقت جيد خريدة	يحيا عند الظلام ضجيعها
الشمس إن طلعت سجدت جلالة	لجلالها وجلا الظلام طلوعها
فالموت يا بنت الكرام كدوحة	وأنا ورمحى أصلها وفروعها
وغدا يمر على الأعاجم من يدى	كاس أمر من السموم نقيعها
فأذيقها طعنا تذل لوقعه	ساداتها ويشيب منه رضيعها
قاتلتها حتى يمل ويشتكى	كرب الغبار رفيعها ووضيعها

وتركت الأسد الضوارى لحمها   ولمن يلينا خيلها   ودروعها
يا عبلة لو أن المنية صورت   أومت إلى سجودها وركوعها

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات تعجب معد يكرب من شجاعته وفصاحته وقال لافض الله فاك ولا كان من يشناك يا حامى بنى عبس وعدنان يازين الشجعان واستمروا سائرين طالبين الجبال وكان الليل أظلم والسواد قد خيم وكانوا أبطأوا على قومهم وفات قدومهم وركب الملك زهير وأمراء بنى عبس وساروا على آثارهم حتى يقفوا على أخبارهم فما بعدوا عن الجبال حتى التقوهم مقبلين فأشد بعضهم البعض وسلموا عليهم وهنوهم بالسلامة ابتداء هذا وعنتر يحكى للملك زهير ما فعلوا فى طليعة العجم وكيف كسروهم وبددوا شملهم وقتلوا مقدمهم فقال الملك زهير إن كسرة طليعتهم وتفريقهم فى البرارى والآكام علامة النصر والظفر وقد وجب علينا الشكر للرب الكريم رب زمزم والحطيم والثناء على هذا البطل الذى انتصرنا بسيفه على الأعداء اللئام وأومأ بيده على معد يكرب فلما سمع معد يكرب كلام الملك زهير فى حقه تقدم إليه وقبل يديه وقال يا ملك ما نصرك الله إلا بسيف هذا الفارس والبطل الغشمشم لأن طعنته هى التى كسرت طليعة العجم فانهم لما نظروا إلى حاجبهم وكيف أن عنتر طعنه فرماه ولوا الإدبار وركبوا الهرب والفرار وبعد ذلك دخلوا الجبال وحكوا للفرسان بما جرى على عساكر الأعجام الأنذال ففرحت بنو عبس وبنو كندة وبنو زبيد وأيقنوا بالنصر والظفر وباتوا تلك الليلة فرحين حتى أصبح الله الصباح وأضاء بنوره ولاح خرجوا طالبين الحرب والكفاح لكنهم ما اصطفوا قدام الجبال حتى أشرف عساكر العجم وطلع الغبار حتى سد منافذ الاقطار واظلمت منه سائر الجهات ونفرت الوحوش من الغابات واهتزت الجبال من كثرة المواكب والكتائب وأظلمت المشارق والمغارب وظهرت الرايات والاعلام والازدهارات وكان كلما أشرف موكب ونظروا إلى بنو عبس مصطفين قدام الجبال وعنتر قدامهم يتعجبون من ثبات بنى عبس وهم فى هذا العدد قدام هذه العساكر الذين كانهم البحار الزواخر وكان عنتر قال لمن حوله من الرجال هذا يا بنى عمى الكرام يوم تبين فيه منازل الأبطال ذوى الاقدام ثم أنه أفرد كل موكب بألف فارس وأقام عنتر يحرسهم كأنه الأسد الرئبال ولما وصلت عساكر العجم ونظرت إلى قلة بنى عبس طمعوا فيهم وانطبقوا عليهم فلقيهم بنو عبس كانهم السباع الكواسر هذا وعنتر وقف خارج المعمعة يحرس رجاله وهو يلتفت يمينا وشمالا وكلما أبصر طائفة من بنى عبس تضعضعت يحمل معها ويعينها ولا يرجع حتى يردعنهم الخيل ويفرقهم يمينا وشمالا ويهد قواهم ويفرق الرجال ويعود فيقف مكانه يحرس رجاله وفرسانه كما يحرس الأسد أشباله فلما أبصر معد يكرب إلى فعال عنتر صار يفعل

مثل فعله ودام القتال على ذلك الحال حتى تنصف النهار وفى ذلك الوقت أشرف خداوند فى الموكب الأعظم ولما أشرف ونظر القتال يعمل بين عساكره وبين بنى عبس صاح فى حاجبه زردخال وأمره أن يرد العساكر عن القتال وقال حتى يستقر بنا النزول ونرسل إلى بنى عبس رسول لأنهم رعيتنا على كل حال وربما يكونوا ندموا على ما فعلوا ويأتوا قدامى طائعين ويقضوا على عبدهم عنتر الهجين ويأتوا به إلى عندى ذليلا حقيرا حتى نوقفه على فعله وبعد ذلك نعفو عنه لأننا نحن قوم سيمتنا الانصاف والعدل والإحسان عند كل إنسان فلما سمع زردخال من خداوند هذا المقال رد العساكر عن الحرب والقتال فابصر زردخال الأرض مفروشة من القتلى وأكثرهم من العجم ونزلت عساكر العجم فى الخيام وامتلأت الأرض من عرب وعجم وأخذوا لهم راحة حتى برد الهواء فأمر خداوند الحاجب أن يكتب إلى بنى عبس كتابا يأمرهم فيه بالطاعة حتى أكون لهم عند أبى شفيعا وأن أبوا ودعوا اللجاج فبادرهم بالقتال والصدام وتفنيهم بحد الحسام ولا نترك منهم لا شيخا ولا غلام فعند ذلك كتب الوزير كتابا إلى الملك زهير مثل ما أمره خداوند يقول فيه الذى اعرف به الملك زهير إن هذه الطائفة الحقيرة الباغية يجب عليك أن تردها إلى الطاعة بعد العصيان فقد وصل إلى العجم منها الاذية فاعرف قدر هذه النية ولا تخالف الدولة الكسروية فانك تندم وترى بعينك الهوان والعدم لأن الملك العادل كسرى انوشروان صاحب التاج والإيوان قد امر ولده خداوند بهذه الاحكام وأوصاه أنه لا يبقى منكم لا شيخا ولا غلام وإنما هو رقيق القلب كثير الاحسان وقد أبصر قلتكم فوقع فى قلبه رحمتكم وقد عول على أن يحملكم إلى دولته أركان ولشدته أعوان وسلام النار عليك ودخانها وشرارها داخل فى عينيك ثم إنه طوى الكتاب وختمه وأحضر بعض حجاب خداوند وأعطاه الكتاب وأمره بالمسير إلى بنى عبس وحمله بالنجائب والاعلام وزاد له فى الاكرام أضاف إليه عشرين فارسا من الاعجام وأعطاه ترجمانا من العرب يقال له عقاب بن ترجم وسيره بسير الملوك الكبار أصحاب الاقاليم والامصار وكان بنو عبس نزلوا فى ذلك الوقت وما بقى أحد راكبا إلا عنتر ومعديكرب ولما أبصر عنتر إلى الحاجب أقبل قال لمعديكرب يا أمير إن هذا الحاجب مقبل إلينا يريد أن تسلمهم أرواحنا حتى يأخذونا ويصلبونا على قلة الايوان ويسقونا كاس الهلاك والهوان وأنا أريد أن أبدأ بهم قبل أن يبدؤا بنا وأصلبهم كلهم على رؤس الجبال وآخذ جميع ما معهم من المال فبينما هم فى الكلام إذا بالحاجب إليهم قد وصل فما سلم ولا تكلم بل إنه سأل عن الملك زهير فقال الترجمان لعنتر ومعديكرب إنه يسألكم عن الملك زهير لأن معه من خداوند كتابا يأمركم فيه بالطاعة إن كان أحد فيكم له عقل ونظر وإن أنتم خالفتم فما يكون إلا السيف لكم جواب (قال الراوى) فلما

سمع عنتر من الترجمان هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وقال الترجمان نحن قرأنا كتابكم من قبل وصولكم إلينا وقدومكم علينا وهو أن ملككم يأمرنا أن نسلم أرواحنا بلا حراب ولا قتال ولا طعن ولا نزال ثم إن عنتر صاح فى أخيه شيبوب وقال له ويلك رجل هذا الحاجب عن ظهر جواده هو ومن معه من أصحابه ورفاقه وخذ ما معهم من المال وإن أحد تعاصى عليك فافعل معه هذه الفعال ثم إن عنتر فتح باعه ومد ذراعه وطعن الحاجب بالرمح فى صدره فطلع عشر أنابيب تلمع من ظهره ولما رأى الباقون ما فعل عنتر فى الحاجب نادوا الأمان وسلموا أرواحهم إلى شيبوب فشد الكل بالكتاف وقوى منهم السواعد والأطراف وأما عقاب الترجمان فإنه انذهل وتحير وانقطع ظهره وحار فى أمره وقال جزاكم الله خير لأنكم أطعتمونا قبل أن تقرؤا الكتاب فإذا كانت هذه خلعة عبدكم الحاجب العظيم الشأن فكيف تكون خلعة عبدكم الترجمان فقال عنتر وحق البيت الحرام وزمزم والمقام إن قولى صادق والكلام فقال الترجمان بلى وحق الرب العظيم وزمزم والحطيم الله ينصرك على العرب والعجم إن عفوت عن عبدك بن ترجم وأنت أهل المروءة والكرم لأنى والله ذو عيال وأنا صعلوك قليل المال لا نوقلى ولا جمال مع هؤلاء الأعجام إلا وقلت لعل أن يحصل لى شىء من المال أعود به إلى العيال وما حسبت أن ألقى هذه الأحوال ولا أن أصلب وتبقى عيالى بعدى بالويل والحرب ثم إنه بكى وانتحب وأشار يعلم عنتر وجماعته بشجاعته وقوته وبراعته يقول صلو على طه الرسول :

يافارس الخيل والأبطال تصطدم	وليتها وهى مثل البحر تلتطم
ذلت لهيبتك الأبطال والمخذلات	لما رأوك وذلت بعدها العجم
ولو دنو منك أو مدوا رماحهم	إلى لقاك فما عادوا ولا سلموا
فارحم فديتك شيخا قل ناصره	عند المشيب وذلت بعده الحرم
مولاى ذنبى عظيم فاعتذرت . به	فانظر إلى فقد أضنى بى العدم
فما طعان القنا والحرب من شيمى	ولا الفراغ ولا فى صارم سلم
إسمى عقاب ولكن ما أنا بطل	والسيف فى راحتى تصطادنى الرخم

(قال الراوى) فلما سمع عنتر من عقاب هذه الأبيات ضحك حتى استلقى على قفاه فقال معديكرب والله ياأبا الفوارس إن هذا الرجل حرام صلبه لأنه أقر بذنبه فعندها أطلقه عنتر وقال له ارجع إلى أهلك ولا تعد للعجم فتهلك وإذا رأوك سالما اتهموك وربما أنهم يقتلوك فقال الترجمان والله يامولاى إنك لصادق وحق ذمة العرب لو علمت أنكم تكسرون العجم ماكنت فارقتكم وكنت أكسب لى شيئا من أموالهم أعود به إلى عيالى فقال معديكرب ياشيخ

هذا أمر يطول عليك شرحه لكن خذ سلب هذا الحاجب وعد إلى أهلك ودع عنك الفضول وما بقيت تعود فتصير مقتول قال الترجمان والله يا مولاى أنك لصادق لأن العاقل من يمضى إلى أهله وهو سالم وذلك خير له من الأموال والدراهم ثم أنه تقدم للحاجب وأخذ سلبه وكان فى وسطه منطقة مرصعة بالجوهر والياقوت مزركشة بالذهب الأحمر فلما رأى ذلك الجوهر أخذه الطمع فى كثرة المال لأن العرب من طبعهم الطمع وتقدم إلى عنتر ودعا له وقبل قدميه وقال الله ينصرك على أعدائك ويبلغك منهم مناك وأنا والله يا مولاى ما بقيت أفارقكم بل أقيم عندك واصبر حتى يرسل لكم الملك رسولا آخر فتقتله وتعطينى سلبه لأنى ما أتيت إلى هذه الجبال إلا لأجل هذا الحال فضحك عنتر من كلامه وقال له أقم عندى وحق ذمة العرب إن أتى خداوند بن كسرى لأقتلنه وأعطيك جواده وسلبه هذا وعنتر أمر شيبوبا أن يصلب الرسول وأصحابه فقال معديكرب اتصلبهم وتنزل بهم الضير ولا تشاور بذلك الملك زهير فقال له المشاورة ما هى فى مثل هذه الساعة وإن الجسارة كلها شجاعة لأنه ما أحدمنا عندهم ويقبلوا فيه شفاعة وهؤلاء ما أتوا إلا ليقطعوا آثارنا وأى شىء لهم عندنا غير الصلب والعذاب والطعن بالحراب وضرب الرقاب والملك زهير لابد أن طلعه على الكتاب ثم أنه أمر أخاه شيبوب أن يصلب الجميع ويخلى منهم ثلاثة سالمين لأجل أن يعودوا إلى خداوند ويعلموه بما فعل عنتر بهم ثم عدل عنتر إلى الملك زهير حتى وصل إليه وأعطاه الكتاب ففضه وقرأه وفهم رموزه ومعناه وسمع ما فيه من التهديد وغليظ الجواب فصعب عليه وكبر لديه والتفت الملك زهير إلى عنتر وقال له يا ابن العم ما كان جواب هؤلاء القوم الكلاب إلا الصلب وضرب الرقاب حتى لا يعود خداوند يبعث لنا أحدا قال عنتر يهينك يا ملك الزمان أنا قضيت لك الأشغال وصلبت الجميع على الجبال قال زهير وحق ذمة العرب أنت ما على رأيك رأى فمهما أردته فافعله فالأمر مفوض لك فى جميع الأحوال لا يعارضك أحد من الأبطال فعاد عنتر ولقى شيبوب قد صلب الجميع ما خلى غير الثلاثة الذين أمره أن يتركهم فأمره عنتر أن يحلق ذقونهم ويقطع آذانهم وخشومهم ويضع رؤس المصلوبين فى رقابهم ويردهم إلى عند ملكهم ففعل شيبوب ما أمره عنتر فيهم ثم أنه أمرهم أن يرجعوا إلى عند ملكهم خداوند فبعد أن طلعوا من الجبال مات واحد منهم فى الطريق والاثنان وصلوا وثيابهم من الدم مثل العقيق وما زالوا سائرين حتى صاروا قدام زردخاناه ولما نظر إلى حالهم غاب عن الوجود وهدر وزمجر وكفر وتحير وطار من عينيه الشرر وقال الذنب عند خداوند الذى يراسل مثل هؤلاء العرب الذين أبدوا القبح ويطلب منهم الصلح ثم أنه أخذهم ودخل بهم على خداوند بن كسرى وحكى له جميع ما تم وما جرى فلما سمع خداوند من حاجبه هذا الكلام صار الضياء فى عينيه كالظلام وحلف بالنار إذا لم تأتوا

بجميع العربان إلى بين يدى أجمعين أسارى مكتفين مغلولين حتى أشفى منهم كبدى والغليل. وإلا جعلت كل من عندى قتيل ثم أنه بات تلك الليلة وهو لا يصدق متى يصبح الصباح حتى ينهب من أعدائه الأرواح فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح نادت النقباء فى المواكب وصاحت الفرسان والكتائب وركبت صهوات الخيول والجنائب وتعدلت الميامن والمياسر وصار فوق رؤسهم سرادق من الغبار وظلمت الاقطار وبرقت الابصار وخفضت الرايات ودقت الطبول وزمرت البوقات وتعالت الأصوات فى وسيع الجو وعدم النور والضوء وتقدمت الأعلام الكسروية ووقفت الخيل العربية وهزت العجم حرابها وكشرت المنية أنيابها وخافت شيوخها وشبابها وثارت بنو عبس تريد القتال وتطلب المدافعة عن الحريم والعيال وقد أيقنت بالويل والوبال ولم يبعدوا عن الجبال خوفا على الحريم والعيال وحمل عنتر على عساكر العجم وصار يفترس منهم كل غشمشم وأراد أنه ذلك اليوم يرد العجم عن الحملة فما أمهلته العساكر بل أنها صاحت بلغاتها المختلفات وتوسلوا بالنار والنور وانا وأنتم نوحد الملك الغفور هذا وخداوند بن كسرى أمر زردخال أنه يأمر الملك الأسود أن لا يدع العرب تختلط مع العجم حتى لا تشتبه العرب بالعجم وقت الحرب والقتال ثم سار زردخال وأعلم الملك الأسود فأجاب بالسمع والطاعة وكان قد ركب مع العرب من الحملة الربيع بن زياد وحذيفة بن بدر وجماعة من أمراء العرب لأجل أن يتفرجوا على القتال خارج المعمعة هذا والدنيا قد انقلبت والشمس من شدة الغبار وقد احتجبت والأرض من ركض الخيل قد تكدرت والنفوس على الخلاص قد تحسرت وفى ذلك الوقت دافعت العرب عن أرواحها وقد أيقنت بافتضاحها هذا وعنتر ومعديكرب بددوا عساكر العجم ونثروا منهم القمم وأكثروا منهم الرمم وهما الاثنان كأنهما ماردان من مردة الجان أو كأنهما فرسان رهان يحملان حملات هائلات ويضربان ضربات قاتلات وكذلك الأبطال من بنى عبس وبنى كندة وبنو زبيد قاتلوا قتالا لا يذكره القريب والبعيد قال الأصمعى ولقد كنت حاضرا فى هذه الوقعة ولها ناظر فقاتلت بنو عبس لذلك الجمع الكثير وما قصرت وحمت حريمها وما تأخرت فقال الربيع للملك الأسود وحق ذمة العرب يا ملك إن ثبات هذه القبيلة ماهو إلا بعنتر ولو مات وأندثر ماكان أحد منهم وقف ولا قاتل فقال الملك الأسود والله إنك لصادق يا ربيع فى مقالك أما تسمع حسن مواقع ضربات عنتر كأنها الرعد القاصف هذا وخداوند جعل باله إلى بنى عبس وحملاتها وصعب عليه ثباتها وكان حوله مقدار عشرين الفا من العجم فأمرها بالحملة فحملت ورمت أنفسها إلى المجال والقت أرواحها فى القتال هذا وقد زاد الفزع والمخاوف وقطعت الأيادى من خلاف ودار عليهم

ملك الموت بكاس الاتلاف وعاد الوعد بينهم خلاف والقتل إسراف واصفرت الوجوه خجلا وارتفع الغبار وعلا وصار السهل جبلا وعظم الويل والبلا وكساهم من الدماء حللا وما زال السيف يعمل بين الملا ونار الحرب تشتعل حتى ولى النهار وارتحل وأقبل الليل وانسدل وهدت الأرض من ركض الخيل بعدما قل من الجميع القوى والحيل وامتلأت الارض قتلى دارت المواكب حول خداوند بن كسرى لانه حار ذلك اليوم من ثبات بنى عبس قدام العساكر التى كانها البحار الزواخر وقال وحق النيران إن دام علينا الأمر انكسر ناموس الدولة الكسروية إذا لم يتبدد غداة غد أمر هذه الطائفة الدنية ولأضربن رقابكم كلكم بالسواء فلما سمعت الحجاب من خداوند ذلك الخطاب أوعدوه أنهم لا يتركون من بنى عبس ديارا ولا من ينفخ النار ثم بعدها نزل خداوند وعساكر العجم وهم حيارى من فعال عنتر الهمام هذا ما كان للاعجام وأما ما كان من بنى عبس وفارسها الأدهم فإنهم لما انفصلت العساكر وعادوا طالبين الجبال وعنتر قدامهم كانه الاسد الرئبال وهو كانه شقيقة أرجوان بما سال عليه من أدمية الفرسان وبات العسكران يتحارسان تحت مشيئة الرحيم الرحمن الذى لا يشغله شان عن شان حتى أصبح الله الصباح وأضاء بنوره ولاح فركبت العساكر واصطفت العساكر للحرب والكفاح وظهرت أبطال بنى عبس وقدامهم عنتر بن شداد وإلى جانبه معديكرب كأنه من بعض الآساد ولما صاروا قدام الجبال ما مكنتهم العجم من الوقوف بل إنهم صاحوا عليهم من سائر الجهات وانطبقوا على بنى عبس كما تنطبق البحار الزاخرات ودقت الطبول وزمرت البوقات وعلت الضجات ورقصت الخيل بركابها وهزت الديالم حرابها وقدحوا من الرجال ألبابها هذا وبنى عبس لم يتأخروا عن الجبال خوفا على الحريم والعيال وعندها اندفقت عليهم عساكر العجم وأبطال الترك والديلم كأنها البحار الزواخر وعملت الرماح البواتر وصار الدم غائر والشجاع كاسر والجبان خاسر وتفطرت المرائر هذا وعنتر كانه أسد جاسر وهو يجول فى تلك العساكر ولا تهوله الامور والكبائر وقد تدفقت عليه المواكب كانها البحر الساكب وعملت بينهم القنا والقواضب وسال الدم على اللحا والشوارب وكثر وحمى الشجاع وهاج ونادى ملك الموت فى الارواح بالهجاج هذا والصوارم لمعت والرماح شعلت والدروع تقطعت والارواح انتزعت والارض بالدماء تبقعت ومنازل الابطال أرتفعت وزادت نيران الحرب وكثر الطعن والضرب وعمل كل صارم عصب وصارم الهين صعب هذا والمعمعة غلت كغليان القدور وفجرت البطون وتقصفت الظهور وتعاظمت الامور ونزل عليهم القدر المقدور وحامت عليهم العقبان والنسور وصار الجبان مقهور والشجاع منصور وقاتلت الرجال وعظمت الاهوال واشتد القتال وجالت الاقبال وقل القيل والقال وعملت بينهم

بيض النصال وطاب لهم السماع فى حومة الميدان بتلك البقاع وتسطحت القتلى فى جوانب القاع وانذهل الشجاع وارتاع ودام الحرب واتصل وثار القسطل وتساقطت الرؤس من أعالى القلل ووقع الضجر الملل بكل شجاع وبطل وضرب بالقوم المثل وكان عليهم ذلك اليوم كألف شهر وأطول كما قال فيه من رتب هذا الكلام وله نقل حيث يقول شعراً

نهار فى الدهور الخاليات … يؤرخ فى مقالات الرواة
جرت فيه الحروب وكل شر … على الاعجام والعرب السراة
وجيش الفرس قد جاءوا بخيل … وعسكرهم ملا كل الفلات
وقد راموا هلاك العرب جمعا … وسكان البرارى المقفرات
فلاقتهم بنو عبس ومعهم … جيوش بنى زبيد الفاتكات
وكرت بينهم خيل المنايا … وقد نادى المنادى بالممات
وقد طلع الغبار بكل فج … وغيب فى الوغا شخص الكماة
وبرق البيض يلمع وهو يحكى … نجوما فى الليالى المظلمات
وضرب السيف يسمع مثل رعد … يقعقع فى السحاب السائرات
وطعن الرمح يخرق بكل صدر … ويقلع للعيون الناظرات
وهمهمت الفوارس فى مجال … كأنهموا أسود فى الفلاة
وصالت سائر الأقران فيه … يطعن فاتك أهل الترات
وهامت فى المجال رجال حرب … لهم فى الحرب أوصاف الصفات
وقد طربوا على حسن المواضى … رجال الحرب شبه الغانيات
فلما شاهدوا منها قواما … وهى تجلى على كل الحماة
تناثرت الرؤس لها نثاراً … وقطعت للرجال بداىلات
وغنت بينهم بيض وسمر … وقد قام السماع بمرهفات
فطابوا للسماع بكل وجد … وقد مالوا إلى نحو الشبات
ودارت بينهم كاس المنايا … بخمر من شراب المهلكات
فأسكرهم وغيبهم جهارا … وقاموا للتعربد والشتات
وقد سلوا الصوارم ثم عادوا … إلى بذل النفوس الغاليات
فلما عربدوا وجبت عليهم … حدود لارتكاب المنكرات
فمنهم من تراه غدا طريحا … تدوس عليه خيل الصافنات
وآخر قطعت أعضاه قطعا … وآخر مل من طعن الكماة
وقد صاروا بوجه الأرض صرعى … وقد شربوا لكاسات الممات

وناحت بينهم غربان بين | كذا سمعوا صياح النادبات
وغارت بينهم خيل المنايا | وأجساد لهم مثـــل الرفات
ودام الحرب بينهم وملوا | وخيل الموت وافت جائلات
وداموا فى الحروب وقد تغانوا | على هذى المعانى والصفات
وهذا النظم من رجل فقير | غريب يرتجى للمكرمات
غلام عند أهل النظم جمعا | ومداح الأصول الطيبات
حزين فى الزمان ينوح دوما | على عمر مضى فى الدهيات
وليس له من الأعمال شىء | يرجيه غدا فى يوم آتى
سوى مدح النبى خير البرايا | شفيع المذنبين مع العصاة
فهو كنزى وذخرى يوم حشرى | به أرجو السلامة مع نجاتى
من النيران والأهوال جمعا | وأسكن فى الجنان العاليات
وأنا والحاضرون ووالدينا | وكل المؤمنين ذوى الثبات
وإنى قد سميت لحب شيخى | بمحى الدين يسمى فى العصاة
وعبد القادر الفرد المسمى | قرأ كلّ العلوم الخافيات
به وبجده خير البرايا | محمد من أتى بالبينات
وأرجو العفو من ملك قدير | إله جل عن حد الصفات
بحرمة عبدك المختار تقبّل | سؤالى قبل ما تقضى حياتى
وإن ابن الحسين لديك يرجو | زيادة أحمد قبل الممات
وفى الأخرى يكون لنا شفيعا | من النيران تلك الحاميات
وندخل جنة برضاء رب | كريم غافر الموبقات
أنا والمسلمون ووالدوهم | سألنا الله حسن الخاتمات
بجاه محمــــد خير البرايا | أجرنا فى الحياة وفى الممات
على طول الزمان يدوم دوما | إلى أن تقبل الأخرى وتاتى

(قال الاصمعى) ولم يزل العسكران فى قتال وطعن ونزال إلى أن عول النهار على الارتحال وأقبل الليل بالانسدال ودقت طبول الانفصال فافترق العسكران عن بعضهم البعض بعدما امتلأ بالقتلى وجه الأرض ثم أنهم باتوا يتحارسون إلى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وثاروا للحرب والكفاح ولما وقعت الصفوف وتعدلت المئات والألوف وركبت الأبطال على ظهور الخيل الصافنات واعتدوا كما جرت لهم العادات وأخذ الفرسان مواضعهم إلا أنه ما طال الوقوف بالناس حتى ظهر عنتر كأنه الموت الأحمر

وبرز على ظهر جواده الأبجر وهو مثل البرج المشيد أو كأنه قطعة من الجلاميد وقد تبعه الملك زهير مع أولاده وسائر فرسانه وأجناده وأبوه وأعمامه ورجاله بنى قراد وأمامه وانحدرت من خلفه بنو غطفان وكل واحد منهم كأنه مارد من مردة الجان وجميع الأبطال والفرسان فقال الملك زهير لعنتر يا أبا الفوارس الجمع علينا كثير والعدد غزير فقال عنتر أى شيء هذا الكلام يا ملك الزمان فأنا أقسم لك بالملك الديان الرحيم الرحمن الذى خلق الانس والجان لأرينك حربا وقتالا يذكر ما بقى الزمان لابيدن هؤلاء الاقران وأرضى الرحيم الرحمن بهلاك عباد النيران ثم أن عنتر أنشد يقول :

أنا العبسى عنتر ليث حرب ... ولى ذكر سما بين الكرام
ذكرت عبيلة فى وقت حربى ... فأصبح حبها يفنى عظامى
حملت قناة حربى فوق سمهرى ... نهار الحرب فى يوم الصدام
كسرت لأهلها من حد سيفى ... وفاض دماءهم مثل الغمام
وما رديت صدر المهر عنهم ... وهمت بعبلة والحب سامى
فقلت لها أقصرى عنها وسيرى ... فقد فزع الركائب بالزمام
حماة الروع قد جاءت إلينا ... كتائب تبتغى ورد الحمام
كتائب جيش عربان وفرس ... علوج حول ذى ملك همام
يكر عليهم مهرى كريما ... قلائده سباسب مع آكام
وراكبه فتى من آل عبس ... أبوه وأمه من نسل حام
زبيبة من بنى حام بن نوح ... كأن جبينها حجر الظلام
تبعبع شبه ضع فى قلاها ... وساقاها ممـددة العظام
وخيل تحمل الابطال شعث ... غداة الروع أمثال النعام
بأيديهم مهندة وسمر ... كأن صباها برق الغمام
فجاء يكر فى حرب عوان ... كأن حريقة نار الاضرام
قتلت الوردشان وكان قرما ... منيعا فى اللقاء يوم الصدام
تركت نساه تبكى عليه ... بتفجيع وهو فى التراب دامى
وهذا اليوم أغتال بن كسرى ... ومعه أسود نسل اللئام
وانى عنتر قد شاع ذكرى ... أقد الهام بالعضب الحسام

(قال الراوى) ثم بعد ما فرغ عنتر من هذه الأبيات انحط على العجم كأنه الأسد الكاسر وصاح وحمل فاهتز لعظم حملته السهل والجبل وتحيرت الأبطال من عظم صرخته ورأت الفرسان ما أهالها من شجاعته (قال الراوى) لهذه السيرة العجيبة والامور المطربة الغريبة

لقد سمعت على عنتر مرارا عديدة ممن أثق بهم من الناس وأعتمد فى كلام الصدق عليه قال لى يا أصمعى أن عنتر له حملات تهد الجبال الراسيات وله صرخة إذا صرخها تجاوبه القيعان والبيد ويلين منها الحديد وتفلق الحجر الصلب الجليد وتزلزل الأرض لعظم صرخته وتولى الخيل من شدة هيبته وتحطم الرماح من الازدحام وتتكردس الأبطال والشجعان وما كنت أنا أصدقهم فى هذا الكلام حتى حضرت فى هذه الوقعة ورأيت بعينى تلك الحملة والصرخة من عنتر فحسبت أن الجبال انطبقت على تلك الأرض والأطلال وأن الرعد هدر فى خلال حملته وصرخته والغمام قد اضطرب من عظم زعقته فعرفت أن الذى كان يصف لى عنترا ما قدر أن يوصف بعض صفاته حتى انذهل عقلى وحار فكرى وتحيرت فى أمرى وكنت أصف عنترا وهذه الوقعة بين يدى بعض الملوك فكان يقول لقد كان لبنى عبس عبد عجيب لو عاش لملكت به سائر الأقطار وأن عنتر خلقه الله شرارة من النار ونقمة ذلك الزمان قد حاز الكرم والمعرفة وحسن الشيم واللطف فى المقال والنخوة عن النساء والرجال وحسن الصناعة والقوة والبراعة وقد مدح النبى المكى فى قصائده واستنجد به ولم يره ومن جملة ما قال هذه الأبيات يا من حضر صلوا على فخر ربيعة ومضر الذى انشق له القمر وترضوا عن أصحابه الغرر أبى بكر وعثمان وعلى وعمر :

أنا عبد بنى عبس المسمى رجال الحرب تعرف لى مقامى
فيا رباه أن تظهر محمـــد رسول الله مصباح الظلام
وتنشر ذكره فى الأرض جمعا وتحمى حرمة البيت الحرام

(قال الراوى) فلأجل هذا سمعت جميع أشعار الجاهلية فلم أرتض إلا كلام عنتر وقد طلب بعض الملوك رؤيته وكان ابن ثلاثين سنة لما سمع عن شجاعته وأوصافه الحسنة وأراد أن يكون فى ركابه بين الملأ فوفق الله أن كان من ذريته من أسلم وقاتل بين يدى نبينا عليه الصلاة والسلام وهى ابنته عنترة وعمرو وجار العلم وزيدان والغضروف والغضنفر والجوفران وقد جعل فى ركاب نبينا ﷺ من هو أشجع من عنتر وأفرس وأثبت عند اللقاء وأحرس وجعله الله آية لنبيه وأعطاه من الشجاعة ما ليس لغيره لا من قبله ولا من بعده وهو الإمام الكرار والليث المغوار والأسد الهدار الضارب بذى الفقار والذى محا المشركين والكفار الإمام الأنزع والبطل السميدع ليث بنى غالب وفارس المشارق والمغارب أمير المؤمنين على بن أبى طالب (قال الأصمعى) وقد اجتمعت على عنتر مرارا عديدة فما رأيته قط يسجد لصنم ولا هتك حرم وما كان يحلف إلا برب البيت الحرام وكان عنده يقين بظهور سيد المرسلين ولما رجع من سفرته من بلاد الروم عند الملك قيصر أرسل وراءه الراهب

الذى فى دير الصنم وقال له متى يغور الماء الذى فى جزيرة الصافات ومدينة الواحات الذى فى جزائر الأفرنج فقال يغور ذلك الماء بعد أن يظهر فارس بنى عبس الأدهم وشجاعها المعلم ففى ذلك الوقت ينقطع لمع عيان وبعده يظهر المبعوث من آل عدنان يكسر الأصنام والصلبان ويبطل عبادة النار والأوثان قال عنتر ورب البيت الحرام أنا أحق من يؤمن به ويستجير ما دمت فى قيد الحياة وإذا ظهر أغارى أعداءه وبعد ذلك عاد عنتر من بلاد الافرنج مطالبا أرض بنى عبس وعدنان وكانت مدة سفرته عشرين عاما ولما وصل إلى الفرات وسمع بوصف النبى ﷺ أراد أن يسير إلى البيت الحرام فقتله الأسد الرهيص وأسقاه كاس الحمام وكان ذلك بأمر الملك العلام فلما بلغه ﷺ ذلك قال إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ولما أثبت فى هذا الحديث فى سيرتى الحجازية المروية التى هى أثبت القصص اعترضنى جماعة من العلماء وكان ذلك فى حضرة هارون الرشيد وهو الخامس من بنى العباس وكان من جملة من اعترضنى فى حضرته وهم جلوس حسن البصرى وعبيد الخوارزمى وبشر البغدادى ومالك النخامى وعبد الرحمن السمرقندى وشعيب الاصفهانى ومالك بن يزيد السكندى وإبراهيم الموصلى واسحق بن سعيد الدمشقى وعبد الله بن نافع الطائى وكان بحضرته أبو نواس ويحيى البغدادى وجعفر بن يحيى البرمكى وجماعة من وزراء هارون الرشيد وندمائه فجهدوا أن يبطلوا هذه السيرة تعمدا وعصبية وحسدا حيث أنهم لم يقدروا أن يأتوا بترتيب لفظى وحسن اهتمامى وإيقاظى وناظرونى فكذبونى فأقمت الحجة عليهم وأرغمت أنوفهم وأشهرت سيفى وأغمدت أسيافهم وأشهرت هذه السيرة فى بلاد الحجاز وانتشر ذكرها فى سائر الآفاق لأنى عمرت من العمر ستمائة وسبعين عاما فى زمن الجاهلية منها أربعمائة عاما والباقى فى الإسلام وأدركت هارون الرشيد وهو الخامس من بنى العباس حتى أجزت بسماع هذه السيرة بين الناس وذلك لاجل ما تقوله العوام وتخوض فيه الكلام وما يعرف هذا القول يا رفاق إلا أرباب العقول والأوفاق الذين أطلعهم الله على سائر مكنوناته وعرفهم بذاته وصفاته على حسن أقاويلهم واستعدادهم (ونرجع إلى سياق الكلام الاول) بعد الصلاة والسلام على نبينا المفضل ولما أن حمل عنتر ذلك اليوم على العجم وصرخ جاوبته الجبال والاودية والقيعان وارتجت الخيل على أعقابها وقدحت حوافرها النيران وحين حمل عنتر صاح فى جواده الابجر فطلع من تحته كأنه البرق إذا برق أو السهم إذا مرق وعلى الحقيقة أنه فى تلك الساعة أعتمت الجهات وأقيمت الرايات والغبائر خيمت الرجال تصادمت والجماجم تساقطت والبطون تفجرت والرماح تحطمت والسيوف تثلمت والدماء قد انسكبت والارواح انسلبت والفرسان باختلاف اللغات تجاوبت وبالحراب تراشقت وأصحاب الاشناب افتخرت والانذال تأخرت والشجعان تقدمت والقحوف بالجراح

انفتحت والرؤس تطايرت والقتلى تكردست وفى ذلك اليوم ضاقت الأنفاس وزاد الأمر عن حد القياس ولم يزالوا فى حرب وقتال وطعن ونزال حتى أذن الله للنهار بالارتحال والليل بالانسدال فتفرقت العسكران وقد ملوا من الضراب والطعان * هذا وخداوند بن كسرى أنو شروان قد حار من هذا الأمر والشأن (قال الراوى) ثم انزل خداوند فى قلبه لهيب النار على عنتر ومن معه من العربان وجميع عساكر العجم ما لهم من ذكر ولا كلام ولا قد ولا شأن إلا عنتر وشجاعته وما فعل بهم فى الحرب والطعان هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من بنى عبس فانهم لما عادوا وعنتر قدامهم كانه شقيقة أرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان هذا والملك زهير وأولاده وبنو عبس الجميع ما عاد له ذكر ولا كلام غير عنتر الهمام والكل يدعو فكان له بالنصر والظفر وباتت العسكران تلك الليلة حتى أصبح الله بالصباح فعندها تواسبت العجم إلى ظهور الخيول واصطفوا ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وطلت أبطال بنى عبس من الجبال وأخذت مواضعها الرجال وما طال بالناس الثبات ولا وقفوا غير ساعة من الساعات حتى برز عنتر وهو راكب على ظهر جواده الأبجر وهو كانه موج البحار الزواخر إلا أنه ما جال ولا طلب برازو لا نزال دون أن حمل على عساكر العجم وعمل فيهم عمل النار فى الحطب وأنزل بهم البلاء والكرب وقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة وبعد ذلك رجع إلى بين الصفين صال وجال وافتكر فيما لاقى من الأهوال وأشار للعجم بهذه الأبيات وهو يقول صلوا على طه الرسول:

سيفى الصامى صديقى وكذا الرمح رفيقى صهوة الأبجر عندى
وكذا لدرع خلوقى وكذا الحرب دواما هو صبوتى وغبوقى
وإذا الصائح نادى بنحيب وشهيق جئته والخيل تسعى
مثل نيران الحريق وأجاربه سريعا ليس أخشى من مضاق
وكذا الضامى شقيق لعدوى وصديقى عبل اتى وادى بخصمى
وهو يقظان مفيق وأنا عنتر حقا طعنتى تسقى لريقى
لا أبالى إن أتى الموت ولى عزم وثيق ليس لها فى الحرب ند
أن رحى كالعقيق وإذا الأهل جفونى وثبوا عنى صديقى
أكتم الغيظ وأعفو عن عدوى ورفيقى

قال الراوى فما أتم عنتر لكلامه وفرغ من شعره ونظامه إلا وبرز إليه فارس من الديلم كأنه قطعة جبل وانحط على عنتر مثل القضاء المنزل وهو يذكر النور والنار فاستقبله عنتر كأنه الأسد الهدار وقال له فى است أمك على ام كل من يعبد النار يا ابن الأشرار وضربه بالحسام على وريديه فأطاح رأسه من بين كتفيه ورماه قتيل وفى دمه جدبل ثم أن عنترا صال وجال

وطلب البراز والنزال فبرز اليه ثان من العجم نزل به الهلاك فعند ذلك تتابعت إليه الفرسان من كل جانب ومكان لم يزل يقتل ويأسر حتى غابت الشمس فرجع الميدان بعدما قتل منهم مائتين وخمسين وأسر سبعين من الفرسان وعاد وهو كأنه شقيقة أرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وهو بما فعل ذلك اليوم فرحان وهو مع ذلك ينشد ويقول أفلح من يصلى على طه الرسول

إذا شئت أمطرت القنا لون عندم ... وجندلت فرمانا الهياج بمخدمى
أنا ابن كرام الناس شرقا ومغرباً ... أصول كبأسى فى الوغا وتقدمى
أنا فارس لم ينتج الدهر مثله ... أتيه بفعلى فى الوغا وتكرمى
أنا ظاهر الأهوال فى يوم باسها ... أنا قابض الأرواح مفنى العزائم
أنا الفارس المطلوب يا صاحب الندا ... أنا طاعن الشجعان فى يوم التصادم
أنا فارس الفرسان عزى قد سما ... وقد صار مقروناً بشمس النعائم
أعبلة إنى فارس مقصور ... وإنى ذو بأس عبوس غشمشمى
فاقسم بالبطحاء والركن والصفا ... وأركانها والمعشرين وزمزم
بأنى أقيم الحى فى حومة الوغا ... وأوجزهم طعنا برمحى وصارمى
أقيم بنى عبس على الناس كلهم ... بجودى وعزى عندهم وتقدمى
إذا نادت الأبطال فى الحرب منالها ... أنادى أنا والموت بالموت يرتمى
وأنا الذى ألقى المنية ضاحكا ... وتلقانى الفرسان دون تبسمى
فلا كل من يعلو الجواد بفارس ... ولا كل معقود البطاقين صارمى
عبيلة قومى وانظرى اليوم عنترا ... هزبرا يلاقى كل جيش عرمرمى
خداوند فارجع لا تكونن مخاطرا ... بروحك مع حامى الحريم فتندم
أنا عنتر العبسى فارس قومه ... وذلت لسيفى العرب من كل أعجمى

(قال الراوى) فلما سمع بنو عبس من عنتر هذه الأبيات قال له الجميع لافض الله فاك ولا كان من يشناك يا حامى الحريم والأهل والبنات ودافع عنا النائبات فشكرهم عنتر على مقالهم وأثنى عليهم ودعالهم ودخلوا الجبال وهم فرحون بفعال عنتر الفارس الريبال وباتوا يتحارسون إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فركبت الأبطال واشتهرت الرجال واصطفت الصفوف وتعددت المئات والألوف وركب خداوند بن كسرى فى موكبه الخاص وعلى راسه الازدهارات وقد لبس فى ذلك اليوم أحمر والغيظ كاد يخنقه من دون البشر وهو ينظر إلى عساكر بنى عبس نظر شزر وإذا بعنتر قفز إلى بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى بأعلى صوته هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم الهزائز اليوم شيل

الجنائز لا يبرز لى منكم ياطنا جير العجم لا كسلان ولا عاجز ما لكم واقفين فى أمركم حائرين. ابرزوا فارس لفارس عشرة لفارس مائة لفارس ألف لفارس وإن طلبتم قلة الانصاف. احملوا على بجمعكم حتى التقيكم وحدى بقوة ساعدى وزندى قال الراوى فلما سمعت عساكر العجم خداوند بن كسرى كلام عنتر واقعهم التحير والفكر قال خداوند وحق النار أن هذا من أعظم العار من يبرز لهذا العبد الجبار هذا وقد تقدم إلى قدام خدواند رجل شيخ من مشايخ النار وقبل يديه وقال له ياملك الزمان لا تحتقر بهذا البطل الذى ضربت بشجاعته الأمثال وقد أهلك جميع الأبطال والرأى عندى أنك تحمل عليه وعلى بنى عبس بكل عساكرك من عرب وعجم وترك وديلم إلا أفنا هذا الفارس الادهم فلما سمعت أرباب دولة خداوند بكلام ذلك الشيخ قالوا كلهم وحق النار ياملك الأقطار أن هذا الشيخ تكلم بالكلام الصحيح وأبدى القول الصريح والرأى عندنا أن تسمع منه كلامه فعندها أمر خداوند إلى العساكر بالحملة فحملت جميع تلك العساكر حملة رجل واحد من عرب وعجم وترك وديلم فالتقاهم عنتر كأنه أسد أغبر يضرب لا يبقى ولا يذر فلما نظر الملك زهير إلى حملة العساكر وكيف إحتاطوا بعنتر أمر بنى عبس وبنى كندة وبنى زبيدة. بالحملة فحملوا بجملتهم واندفقوا على عساكر العجم وانطبقوا على بعضهم البعض كموج البحر إذا التطم حتى شابت من هول ذلك اليوم المفارق والقحم وقاتل شجاع الغشمشم وذل الجبان وانهزم وعادت الموالى خدم وجرى عليهم ماخط بالقلم وانهار ركن الحياة وانهدم واظلم عليهم واعتم ودهمهم الشجاع ويرى المعاصم والقمقم فأبصر خداوند من بنى عبس ومن فارسها الادهم حربا ماشاهد مثله لا فى العرب ولا فى العجم وما زال الحرب يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وانفصلت العسكران عن بعضهم البعض وعاد عنتر قدام الأبطال كأنه غطس. فى بحر من الدماء سال ودرعه صار ذلك اليوم مثل القنفد من نبال العجم فافتكر هذه الوقعة وما جرى له فيها من الأهوال والأمور الثقال فأنشد يقول صلوا على طه الرسول

عبلة بالحديث فلا تبالى	ولا يحزنك طارقة الليالى
ولا تخشى المنية فهى حتم	بأمر مقدر ماضى الفعال
وحقك لو نظرت إلى الأعادى	تجول على فى حال القتال
وقد نقضوا كتائبهم وجالوا	بكل غضنفر وافى السبال
وقد هاجوا والأبحر فى لظاها	يبارى الريح فى يوم المجال
وماجوا مثل موج البحر حولى	وسلوا عندما سلت نصالى
فكنت كما الهزبر بلا ارتعاب	ولا خوف لدى ولا أبالى

ولو أبصرت برق الموت يبدو   من البيض المهندة الصقال
وكاسات المنايا دائرات   من السمر المثقفة العوالى
وعنتر تحت ظل من عجاج   يقد بسيفه هام الرجال
وإن لدغته أطراف العوالى   يقاتل باليمين وبالشمال
أنا الموت الذى أعيا البرايا   تلين لشدتى صم الجبال
أتانا الكسروى بكل علج   عريض الذقن منتوف السبال
فجلنا فيهمو بمضمرات   مذللة الخواصر كالسعال
فلاقينا صدورهمو بطعن   يقلقل وقعه قلل الجبال

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من هذه الأبيات تعجب من نظمه الأبطال والسادات أما الملك زهير فإنه انقض على عنتر وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه لأنه خاف عليه ذلك اليوم وما صدق أنه يراه سالما من نبال العجم وافتقد الملك زهير أولاده فوجدهم قد انجرح منهم ثلاثة وانصابت عين ولده ورقة نبلة من نبال العجم فقال عنتر والله يا قوم لولا ضربهم بالنبال كنا محقنا عددهم وقطعنا مددهم وتركناهم عبرة لمن اعتبر ثم انهم ربطوا الأسارى فى الحبال وأدخلوهم الجبال وعنتر يقول وحق ذمة العرب لآخذ بثأر ورقة بن الملك زهير الأرواح خداوند بن كسرى أنوشروان لأنى غداة غد لا بد أن أهجم عليه تحت الأعلام وآخذه أسيرا وأتركه قتيلا معفرا بين الآكام وبعدها نزلت العساكر وقد أوقدوا النار حتى بقى الليل مثل النهار وكانت بنو كندة عادت ذلك اليوم وهى متحيرة على من قتل منها كأنه وقع فيها المحاق والأضرار لأجل غيبة الأمير حجار وباتت تلك الليلة يلوم بعضها بعضا حتى أصبح الله بالصباح وأمر خداوند إلى حجابه أن يفتقدوا الطوائف التى فى الكفاح فقالوا يا ملك قتل منا مقدار عشرة آلاف وأسر ألفان فضاق صدره وحار أمره وقال غضبت عليكم النار واستوجبتم العار يا ويلكم كل هذا يجرى عليكم وأنتم أضعافهم فى العدد فلو كان مثل نصفكم أو مثل ربعكم ما كانوا تركوا منكم أحد فقال له الحجاب والمقدمون أيها الملك لا تلمنا لأننا كنا هذه الأيام الماضية يتكل بعضنا على بعض وفى هذا اليوم نريد قتالهم مبارزة حتى يبين الشجاع من الجبان لأنه يا ملك فى فرساننا كل واحد يلتقى ألفا من هؤلاء العرب فغداة غد ترى عينك منا العجب ولا نخلى منهم لا رأس ولا ذنب قال خداوند افعلوا ما بدا لكم ولا تخلوا العرب والملك الأسود يرو كم بعين النقصان ويقولون أن العجم على كثرتهم ما قدروا على بنى عبس فى الحرب والطعان . فلما كان ثانى الأيام اصطفت العساكر وترتبت الدساكر وكذلك بنو عبس ومعد يكرب وبنو زبيد ركبت واهتزت لذلك الجوانب وقال معديكرب لعنتر يا أبا الفوارس

لو بارزنا هؤلاء القوم الأعجام كانت بانت شجاعتنا بين الخاص والعام فقال عنتر يا معد يكرب إن بارزونا أو حاربونا لا بد عن إهلاكهم وكسرهم وتبديدهم فبينما هم فى الكلام وإذا بفارس قد ظهر من عساكر الأعجام كأنه قطعة غمام وتحته جواد صلب القوام صبور على التصادم وعلى ذلك الفارس درع مانع وهو قصير الأكمام من عمل داود عليه السلام ثم أنه لما بعد عن الصفوف نزل عن جواده وسجد للشمس كفراً وغروراً وأنا وأنتم نوحد الملك الغفور وطلب من النار أنها تنصره على بنى عبس ومن معهم من عرب القفار فلما نظر معد يكرب إلى ذلك الفارس برز من بين عساكر العجم وصار بين الصفين قال لعنتر يا أبا الفوارس كأنه طلب البراز فقد انقضت حاجتى وشهوتى واليوم أشفى منهم غلتى ثم أن معديكرب انقض على ذلك الفارس وانطبق عليه فلما قاربه صاح فيه وزعق عليه وأراد العجمى أن يظهر شجاعته فلم يتركه معديكرب يلتفت ولا يلوى العنان بل طعنه فى صدره فطلع الرمح عشرة أنابيب يلمع من صدره وانقلب على ظهر جواده إلى الأرض فتعجب الأعجام من تلك الطعنة وقالوا من فينا من يقدر أن يفعل مثل هذه الفعال قال خداوندوحق النار هذا البدوى ما خلى صاحبنا قدامه يقدر ولا يلتفت العنان هذا ومعديكرب صال وجال وبرز اليه الثانى فما خلاه يصول ولا يجول دون أن يتركه على وجه الأرض مقتول فصارت الفرسان تتابع إليه وهو ينكسها بين يديه حتى منتصف النهار فقتل أربعين وأسر ثلاثين فتوقفت عن برازه عساكر العجم وجرى على خداوند ما لم يجر على قلب بشر من الأمم وأما الربيع بن زياد فإنه لما كاد قلبه أن ينفطر تقدم إلى الملك الأسود وقال له أى شىء هذا التدبير يا ملك الزمان هذا شىء مما يبلغنا من بنى عبس آمال والصواب عندى أن نحمل كأننا عربا مع عجم وترك وديلم ونهجم على بنى عبس داخل الجبال ونسبى الحريم والأطفال حتى نبلغ منهم الآمال قال الملك الأسود يا ربيع أنا أعلم أن العساكر تنكر ما دام أن هذا الصبى لهم مدبر لأنه نظر ما جرى على أصحابه ومن قتل من حجابه فهانت روحه لأنه صبى وجاهل على كل حال هذا ما كان للربيع والملك الأسود (وأما ما كان) من خداوند فانه لما نظر ما جرى على أصحابه زاد به الغيظ والغضب وعول على أنه يسل حسامه ويقع فيمن قدامه ويتولى بنفسه الحرب والقتال فما مكنه من ذلك الحال وزيره زردخال فارس بلاد العجم بل أنه تقدم إليه وقبل الأرض بين يديه وقال له أيها الملك السعيد بعد ما بلغ الأمر بيننا إلى هذا الحال نحمل نحن ولا تقاتل أنت بنفسك لأن فى عساكرك كل واحد يلتقى كل هؤلاء العرب ويردها بقوة ساعده وزنده وأولهم أنا فإن أردت أن آتيك بالجمع أسارى إلى بين يديك فعلت وأن أردت يا ملك حملنا عليهم بكل العساكر حملة واحدة وقد تركنا هذه الأرض منهم خامدة

قال خداوندما كنت أريد إلا من يأتيني بهذا البدوى الذى هو واقف فى حومة الميدان حتى أعذبه أشد العذاب وأحرقه فى بيوت النيران حتى لا يقول الملك الأسود ما كان فى عساكر العجم من يلتق هذا البدوى فى الحرب والصدام قال زردخال يا ملك الزمان أنا آتيك به أيها الملك الهمام وآتيك بعنتر الأسود الحجام قال خداوند وهل هذا البدوى ليس هو عنتر قال زردخال لا يا ملك بل هذا البدوى يسمى معد بن يكرب وفى هذه الأيام صادق عنتر ابصافى الجنان وصار له من بعض المحبين والأخوان وقد التجأ هو وقومه إلى بنى عبس وعدنان وأنا من أول يوم كنت توليت أمر القتال ما كنت تركت لا عنتر ولا معد يكرب ولا أحداً من هؤلاء العرب ثم إنه بعد كلامه برز إلى بين الصفين وهو راكب على جواد أدهم بغرة كالدرهم إذا صهل كاد أن يتكلم وعليه درع قصير الاكمام ينجى صاحبه من الكرب فى الصدام ولما أن صار بين الصفين هدر وزمجر وصار يدمدم ويشتم العربان بلسان العجم حتى صار قدام معد يكرب فلما نظر عقاب الترجمان إلى الوزير زردخال صار قدام معد يكرب فى حومة الميدان تقدم عقاب إلى قدام عنتر وقبل يده وقال له يا مولاى أما عاهدتنى أنت أنه كلما أتى إليك رسول أو حاجب تضرب رقبته وتعطينى جواده وعدته فعندها ضحك عنتر وقال ويلك يا عقاب وأين هو الرسول أو الحاجب قال عقاب هذا يا مولاى صاحب حجاب خداوند ابن كسرى وقد خرج إلى قتال معد يكرب دونك وإياه فاقتله واسقيه كاس فناه والنار فى است أمه على أم خداوند معاه فلعن الله أبا سباله ما أحسن عدته وجواده وذمة العرب لا بد لى أن أسأل معد يكرب إذ قتله وأسقاه كاس الهلاك والعطب أن يعطينى جواده وعدته والسلب قال عنتر يا شيخ عقاب ما أطمعك من دون قبائل الأعراب أما أخذت أنت ما يكفيك قال عقاب بلى والله يا مولاى أخذت ما يكفينى لكن مرادى أن أجمع مالا كثيراً لأجل جارية رأيتها أمس بين خيام بنى عبس ذات حسن وجمال وقد واعتدال وهى زائدة الاحتشام بوجه كأنه البدر التمام بعيون ترمى القلوب بسهام وحاجبين خطا بقلم الرحمن وفم كأنه خاتم سليمان وشفايف كأنها عقيق أو مرجان وصدر كأنه رخام ونهود تشبه الرمان وبطن كأنه طيات عجان وخدود كأنها الورد فى بستان وسرة تسع أوقية دهن بان وأفخاذ أنعم من ريش النعام وبينهما شىء ما أقدر أن أصفه بلسان كأن أرنب مقطش الآذان فلما رأيتها يا أبا الفوارس بقيت ولهان حيران وليتنى ما كنت جئت عندكم ولا رأيت هذه الجارية ويا ليتك صلبتنى مع الحاجب والآن قد حكيت لك قصتى وأنا أريد من إحسانك إذا قتل مولاى معد يكرب هذا الحاجب أن تأخذ لى جواده وسلبه حتى أضيفه إلى ما معى من المال وأعطيه لأبى الجارية فعساه أن يزوجنى بها وأحظى بحسنها وجمالها قال عنتر ويلك يا عقاب من تكون هذه الجارية وأى شىء اسمها قال عقاب يا مولاى

إنى لما سألت عن أسمها قالوا لى اسمها عبلة بنت مالك بن قراد وأريد أتزوج بها وأقيم عندك فى هذا الأرض والوهاد وقالوا لى أنه عشقها عبد أسود زنيم راعى نوقها وجمالها وأبوها ماهو مريد له وهذا الزواج لا يصلح عند أبطال العرب أن البنت العربية تتزوج من غير أبناء جنسها فلما سمع عنتر كلامه ضحك حتى استلقى على قفاه وقال له ويلك ياشيخ عقاب إنى أخاف عليك من زوجها أن يسمع كلامك فيقتلك ويلعن بأسبابك قال عقاب يامولاى من يكون زوجها من بين العبيد السودان الاوغاد حتى يقتلنى وأنا نازل فى حمى عنتر بن شداد فضحك عليه وعلم أنه قليل العقل بين العباد وقال له أبشر ياشيخ عقاب فانا آخذها لك فبينما هم فى الكلام إذا بزردخال حمل على معديكرب فالتقاه كما تلتقى الأرض العطشانة أوائل المطر ووقع بينهم حرب وقتال يذهل الأبطال ويحير صناديد الرجال ومازالوا فى كر وفر وأخذ ورد وهزل وجد وقرب وبعد إلى آخر النهار وكان قتال معد يكرب مع زردخال مدافعة لأنه كان ثعبان من براز الفرسان ومازالوا على ذلك الحال حتى مضى النهار وافترقوا عن بعضهم البعض وعاد معد يكرب طالبا الجبال ولما نظر زردخال إلى معديكرب عاد من قدامه سالما خجل أن يرجع إلى عند خداوند وما علم معديكرب أنه ينقض عليه مثل البرق فاذاهو قد ضربه بحربة طلعت من يده كأنها صاعقة ووقعت فى درقة معد يكرب فخرقتها وعبرت إلى الدرع ووصلت إلى جسد معديكرب فرمته من على ظهر الجواد إلى الأرض والمهاد كانه طود من الأطواد فلما نظر عنتر إلى فعال زردخال وكيف غدر بمعديكرب ورماه فى مقام الحرب والصدام صار الضياء فى عينه كالظلام ولكن الأبحر وانقض على زردخال كانه الأسد وصاح فيه صوتا كانه الرعد إذا هدر وطعنه بالرمح فى صدره فطلع عشر أنابيب تلمع من ظهره فرماه إلى الأرض قتيل وفى دماه جديل وتقدم عنتر إلى معديكرب وأخرج الحربة من ظهره وكان الجرح واسعا مثل فم القربة وصارت الدماء تسيل منه دافقة على ظهر جواده وأمر أخاه شيبوب أن يأخذه إلى الجبال فاجابه إلى ماطلب وأخذ شيبوب معديكرب وهو غائب عن الصواب وكان الليل أقبل والنهار ولى وارتحل وتوجه بنو عبس للجبال وهم فى كرب لأجل جرح معديكرب وبات عنتر وهو ضيق الصدر لاجل هذا الامر هذا ما كان منه (وأما ما كان) من خداوند فانه زاد غيظه وغضبه وجذب سيفه وقال ائتونى بكل اسارى العرب حتى أقتلهم وأنزل بهم العطب فقال له وزير أبيه ياملك تأن على نفسك إن قتل هؤلاء العرب ما يبرد ذلك غليلا لانك ان قتلتهم بقتل العرب الاسارى الذين عندهم لان عندهم أوفى من خمسة آلاف أسير من العجم فبينما خداوند مع الوزير فى هذا الكلام وإذا بالملك الاسود أقبل ودخل وسلم وخدم ودعا للدولة الكسروية بدوام العز والنعم وقال أيها الملك السعيد أى شىء هذا التدبير

الذى ما يعود علينا منه إلا الهلاك والتدمير أنت تعلم يا ملك الزمان أن العرب مناهم البراز لأنهم يفتخرون به فى أرض الحجاز والرأى عندى أن تأمر جميع العساكر من عرب وعجم أن يحملوا حملة واحدة وإلا فلا تنال منهم مراد فى الحرب والجلاد بعد ذلك أنت أخبر وفى تدبير شأنك أبصر قال خداوند وحق النار ما تقاتل هذه العساكر والعربان إلا فارسا لفارس وإذا لم تأتونى بالجميع أسارى وإلا فإنى عند الصباح أبرز بنفسى إلى حومة الميدان فأما أنال منهم ما أريد أو أنى أقتل وأبقى ممدا على وجه الأرض والصعيد ثم قام وقد لزم الحجاج فلما سمع الملك الأسود من خداوند ذلك الكلام رجع وهو غضبان وحدث أمراء العربان بما جرى من خداوند من الأمر والشأن فقال الربيع بن زياد كل هذا من سعد عنتر بن شداد حتى ينصره الله علينا فى الحرب والجلاد وأنا أعلم أن كل هذه العساكر تنكسر ما دام هذا الصبى لها مدبر ثم أنهم باتوا تلك الليلة حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنورها ولاح وركبت الأبطال الخيل الجياد وتقدموا إلى الحرب والجلاد وأرادوا أن يسرعوا فى أمر القتال وإذا بالأمير عنتر سار فى وسط المجال وصال وجال ولعب برمحه العسال حتى أنه أذهل عقول الرجال وحمل على ميمنة العجم وغاب فيهم ساعة من النهار وعاد من تحت الغبار كأنه شعلة نار وقد أهلك منهم سبعين فارسا كرار ونزل عن ظهر جواده وأوثق جرفه فى حومة الميدان وحمل على الميسرة وكان فيها قبائل العرب فقاتلهم حتى تضاحى عليه النهار ورجع كأنه شعلة نار وقد هلك من العرب مائة فارس كرار هذا وشيبوب فى ركابه مثل البرق إذا برق والنجم إذا مرق هذا وقد نكس رايات قوم يقال لهم بنو غيلم وعاد وراءهم وطلب الميدان وصال وجال ولعب على أربعة أركان المجال واشار يناشد العرب والعجم ويقول صلوا على طه الرسول :

سلى يا عبلة ذا الجبلين عنا ... وما لاقت بنو الأعجام منا
فنينا جمعهم لما أتونا ... يموج مواكب إنسا وجنا
وراموا كلنا من غير جوع ... فأشبعناهم ضربا وطعنا
أذقنا الكل طعنا نافذات ... تقد جنوبهم ظهرا وبطنا
وفككنا المواكب عن نساء ... يزدن على نساء الأرض حسنا
كمثل عبلة مافى زمانى ... رأيت مثالها فى الناس اسنى
ألا يا عبلة لا يلقاك طيش ... إذا رمحى بكفى صار لدنا
وسيفى دائما يفنى الاعادى ... إذا جردته فى الكف أجنى
وكم قوم تركت نساه صبحا ... يرددن الصراخ عليه حزنا
وحجار رأى طعنى فنادى ... تأنا يا ابن شداد تأنا

خلقت من الحديد أشد قلبا　　وقد تفنى الجبال ولست أفنى
أنا الحصن المشيد لآل عبس　　إذا ماشيد الأعداء حصنا
ولون الليل لونى غير أنى　　فعالى من شعاع الشمس أسنى
جوادى نسبتى وأبى وأمى　　حسامى والسنان إذا انتسبنا
وإنى عنتر أحمى حماى　　وليث الحرب فارسها المكنى

(قال الراوى) فما أتم عنتر كلامه حتى ان الملك الأسود رمى عمامته وحمل حملة أبعدت ملوك العرب فنادى الربيع بن زياد ويلكم اقتلوا هذا العبد الأسود ولد الزنا الذى طغى وتمرد وأنزلوا به الهلاك والنكد فهنالك حملت العساكر على عنتر من كل جانب ومكان فلما نظر عنتر إلى شيبوب وقال له ارجع للملك زهير وقل له يرسل لى ألف فارس حتى أقاتل هؤلاء العربان المجمعة ففعل شيبوب مثل ما أمره أخوه عنتر وفى دون ساعة أتت إلى عنتر الفرسان أكثر من ثلاثة آلاف بطل من بنى عبس وبنى زبيد فقاتل بهم عنتر عساكر الملك الأسود ووقع الطعن والضرب وصار الهين صعب وصارت الرؤس طائرة والخيول غائرة والاجساد مطروحة والفرسان بجروحة وفى أقل من ساعة رخصت كل بضاعة ودام ضرب الصارم الذكر حتى حارت الخواطر والفكر وسكر من كاس الحرب من كان عمره ماسكر وقد تشكت الأجناد من ثقل الحديد الذى هو عليها مقنطر وظهرت ذلك اليوم شجاعة أبى الفوارس الأمير عنتر واعتكر عليهم الغبار أشد من سواد الليل وقل منهم القوى والحيل ونزل عليهم الذل والويل وكان عليهم يوما طويل ولم يجدوا إلى الخلاص من سبيل وجرى العرق كالماء فى السراويل وعاد القرم منهم ذليل واشتد القتال وطاب النزال وكثرت الاهوال وعملت النصال هذا والنهار أعتم والشجاع دمدم والبطل تقدم والرمح تحطم والقلب انخلع والرأس انقطع وفنيت الابطال أجمع فلا ترى فى ذلك اليوم إلا قاتلا ومقتولا وناكلا ومنكولا وهدر كل ليث مهول وعنتر فى المعمعة كالاسد الاكول وهو يطرح الابطال عرضا وطولا وكان لهم يوم مهول كما قال فيه بعض واصفيه حيث يقول صلوا على طه الرسول :

تطايرت الرؤس عن الرقاب　　وحل البؤس مع خش العذاب
وقطعت الصوارم كل وصل　　من الأطراف حقا مع رقاب
وصار الدم فى الميدان يجرى　　كما يجرى الغدير من السحاب
وعاد النقع مثل الليل لونا　　وبرق البيض يلمع كالشهاب
وضرب السيف مثل الرعد صوتا　　على الأحقاف يسمع بالضراب
تكردست الفوارس فى مجال　　به الأبطال تشبه ذا الشباب
وعم القوم يوم فيه حرب　　يذوب لهوله صم الصلاب

(قال الراوى) فبينما الناس فى قتال وضراب وهموم واكتراب وإذا هم بفارس مغوار قد خرج من تحت الغبار وهو ينادى يا آل عبس يا آل عدنان أنا حبيب عبلة على طول الزمان فتأمله الفرسان وإذا به عنتر بن شداد وهو طالع من تحت الغبار وعليه عدة الجلاد ومعه أسير يقوده مثل البعير وخلفه كل شخص كاد من الفرح يطير وكان ذلك الاسير وهو الملك الأسود لأنه أول من حمل بين يدى الجيش وهجم على عنتر ورفع باعه بالرمح الذى فى يده وأراد أن يطعن عنترا فسبقه عنتر هجم عليه وهجمة الأسد القسور وضربه بالدرقة فى صدره وقد ذكر الاصمعى أن درقة عنتر كانت سبعة أطواق من جلود الحيات وزنها مائتان وتسعون منا بالمكى بها عشر حلقات كل حلقة وزنها عشر أقات وسمك الدرقة ثلاثون ذراعا بالحديد تماما فوقعت درقة عنتر على صدر الملك الأسود كأنها جبل فطرحته من على ظهر الجواد إلى الأرض والمهاد وهو غائب عن الوجود فاداركه شيبوب بيديه وشده بالكتاف وقوى منه السواعد والأطراف وساقه قدامه وعنتر يردعنه الخيل التى هى حوله كالسيل حتى أخرجه من المعمعة ورجع عنتر واقتحم الحرب والقتال وبدد الأبطال وطرح الرجال وأظهر الأهوال وكان معد يكرب متألما من الجراح التى أصابته من زردخال إلا أنه ركب ذلك اليوم وصار يحرض قومه على القتال والجلاد مع عنتر بن شداد وأما خداوندفانه صعب عليه حمله العرب بغير إذنه وقال لحجابه ويلكم لا تخلوا أحدا من العجم يقاتل مع العرب حتى نبصر أمرنا كيف يكون مع هؤلاء الشياطين وما زال القتال عمال حتى ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال ٭ هذا وقد هربت أكثر العرب والتجأت إلى خيام العجم خوفا من ضربات عنتر ٭ هذا وعنتر وبنو عبس عادوا طالبين الجبال وهم فى فرح النصر والظفر والنوال وعنتر قدامهم والدماء جامدة على درعه مثل أكباد الإبل وهو ينشد ويقول أفلح من يصلى على النبى الرسول صلى الله وسلم وبارك عليه :

ترى علم السحاد أنى مظفر ... على كل أعدائى العوال بلا ريب
ولى صارم كالبرق يلمع نوره ... إذا هزه كفى تلال مع الشهب
ولى أسمر أفنى العدا بسنانه ... وجندلهم صرعى على أغبر الترب
يريدون قتلى والحسام محكم ... بكفى وجن الأرض تفزع من حربى
أنا عنتر الفرسان فى ساعة اللقا ... أكر على الأعدا واسقهموا ضربى

(قال الراوى) فلما رجع خداوند بن كسرى وهو مكروب من شدة غيظه نزل فى السرادق وهو يقول وحق النار لقد انخرق ناموس الدولة الكسروية وذلت الفرسان الديلمية وما بقيت ألوم النعمان على مصاهرته لهؤلاء العرب لأن أهل الشرق والغرب لا يقدرون أن يفعلوا فعل عنتر بن شداد فى الحرب والجلاد فقال حجابه أيها الملك هؤلاء القوم لا يغلبون

إلا بالمكاثرة والرأى عندنا أنك غداة غد تأمر جميع هؤلاء العسكر الذين معك من عرب وعجم أن تحمل عليهم وتهجم إلى داخل الجبال حتى تسبى حريمهم والعيال وقد انقضت الأشغال فلما سمع خداوندا إلى هذا الكلام رآه صوابا وأمر النقباء أن تدور على العساكر وتعلمهم بما اتفقوا عليه فأخبروهم بالأمر وباتوا يفتقدون العدد ويصلحون الحديد والزرد إلى أن أصبح الصباح فركب خداوندا وركبت عساكر العجم والعرب وصاحوا صيحة واحدة ارتجت منها الجبال والأودية الخوال وتقدموا بالحرب والنبال وعولوا على ان ذلك اليوم يجعلوه وقعة الانفصال هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من بنى عبس فإنهم باتوا فرحين تلك الليلة بما بان وظهر من ابى الفوارس عنتر ولما أصبح الصباح عول بنو عبس على أن يركبوا خيلهم ويحملوا كلهم حملة واحدة فمنعهم عنتر من ذلك الحال وقال لهم يا بنى العم هذا اليوم ما هو مثل سائر الأيام التى مضت هذا يوم يشيب من هوله الأطفال لما يجرى فيه من الأهوال ومن عظم القتال ولكن اجتمعوا كلهم وأثبتوا فى المضيق وإياكم من التشتيت والتفريق بل أثبتوا فى ساعة الزحف واتفقوا ولا تتفرقوا ويكون قتالكم اليوم أنتم رجالة ولا تقاتلوا خيالة لأن العجم إلى خيامكم يقصدون وإلى هلاككم يطلبون (قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذا المقال حتى صدمتهم عساكر العجم وجبابرة الديلم وفاضوا عليهم كما يفيض البحر الزخار وهجموا على بعضهم هجوم موج البحار ۞ هذا وقد ضاقت بهم الفجاج وكثر بينهم الانزعاج وعاد النهار كأنه ليل داج واختلت الأفواج بالأفواج وماجوا كموج الأمواج وقد جرى لهم يوم ما نظر أحد مثله ولا رأى شكله لأنهم قاتلوا حتى وقعت الأجساد تالفة وعادت رعود الموت بينهم راجفة وأرياح المنايا عليهم عاصفة ولرؤس القتلى ناسفة وكان عنتر ذلك اليوم اختار له من قومه ألف بطل وصار يقاتلهم بهم ويحمل هو قدامهم وتلتقى عنهم سهام الأعجام ۞ هذا والعبيد واقفون خلف بنى عبس وهم قائدون الجنائب وهم يحملونهم بالقنا والقواضب وكلما رأى عنتر العجم أضعفوا من بنى عبس جانبا يركب هو على ظهر جواده الأبجر ويحمل على الأعداء ويصيح على من قدامه من العجم ويحمل عليهم حملات الأسد الضيغم هو والألف فارس الذين معه ولم يزالوا يقاتلون حتى فرقوا الأعداء فى جنبات البيداء ولم يزل عنتر فى كر وفر حتى وقعت هيبته فى قلوب العجم لأجل ما أبصروا منه فى البراز الذى تقدم فصار إذا صاح فى جوانبها تفرقت وإذا حمل على كتائبها تمزقت وما زال الأمر على ذلك الحال حتى تنصف النهار وعظمت الحروب وزادت الأخطار وارتفع الغبار وعمل السيف البتار وقصرت الأعمار وذل كل جبار ووقع بالعجم الانبهار وطلبوا الهرب والفرار وضعفت مواكب تلك العسكر وفاض الجمع وزخر وطلب الغبار واعتكر وشكت الأرض ثقل هذا العسكر ولما نظر خداوندا إلى

ثبات العرب قدام ذلك العسكر الجرار زاد فى قلبه لهيب النار وترجل عن ظهر جواده وزحف نحو العرب راجلا بسيفه وترسه ولما نظرته العجم ترجل عن ظهر الجواد إلى قتال أبطال العرب هنالك تصارخت وترجلت حول ابن كسرى تلك الأمم من عرب وعجم وترك وديلم وما منهم إلا من رمى روحه على الهلاك والعدم وفى ذلك الوقت ارتجت الآفاق وزاد الأمر على وصف الحذاق ولعبت الخيل العتاق وابتلى العجم بما لا يطاق وذاق من حضر أجله فى ذلك الطعن مر المذاق ومازال السيف يعمل حتى غاب نور الشمس بالإشراق وأقبل الليل بظلامه الغساق وأرخى ظلامه على الآفاق هنالك نادت الطوائف بالافتراق بعد ما كلت هى والخيل العتاق وعاد البطل الشجاع بما عاين فى ذلك اليوم مدهوشا وكان قتل فى ذلك اليوم من العجم أضعاف من قتل من العرب إلا أن العجم من كثرتهم ما بان فيهم القتل والعدم ثم إن العرب عادوا راجعين إلى الجبال ولكن قتل منهم فى ذلك رجال وأى رجال وأما بنو كندة فإنه حل بهم الإياس لأنهم بلا مقدم ولا راس والذى كان فى أجله تأخير فإنه ولى وانهزم وتفرقت فرسانهم بين الروابى والآكام وما تأخر عن الحرب والفرار إلا كل بطل مغوار ومن خاف من الفضيحة والعار وكذلك بنى زبيد قد قل نشاطهم لأجل جرح مقدمهم معديكرب وباتت وهى محصورة على الخلاص وأما الربيع بن زياد فإنه فرح بما جرى على بنى عبس وبات وهو يبشر حذيفة بالغلبة والنصر ويقول له سيتم غدا أمثل ما جرى على بنى عبس اليوم فنقلع أثرهم وأثر من بقى معهم من القوم قال حذيفة والله يا ربيع ماهم إلا فرسان جبابرة لا يغلبون أبداً ما دام هذا العبد الزنيم فيهم سالما لأنهم من يوم أن حضروا ما قتل منهم فارس وقتل من العجم أكثر من مائة فارس (قال الراوى) وكان بنو عبس قد عادوا وهم فى أسوأ حال وقد تجرح أكثرهم ، هذا والملك زهير شاور عنتر فى الدخول على الجبال ليقاتلوا قدام الحريم والعيال قال عنتر لا وحق من أرسى شوامخ الجبال وقدر الأرزاق والآجال ما ندخل الجبال إلا إذا غلبنا من هؤلاء الأنذال وأنا يا ملك إذا بقى معى ألف فارس أقدر أن أحمى هذا المكان ولو اجتمع على الإنس والجان والعفاريت الذين عصوا نبى الله سليمان والتفت عنتر إلى أخيه شيبوب وقال ويلك أبا رياح شد غداة لبنت عمى عبلة هودجا عاليا واطلعها خلفى إلى خارج الجبال حتى ألتقى قدامها هؤلاء الطناجير الأعجام الأنذال اللئام فلما سمع الملك زهير كلام عنتر طاب قلبه وقال له افعل يا ابن العم ما تريد ونحن عن أمرك ما نحيد ثم إن بنى عبس باتوا تلك الليلة إلى أن أصبح الصباح فركبت عساكر العرب والعجم لأجل الكفاح هذا وقد اهتزت البرارى والآكام وركب خداوند بن كسرى وقد علا الصياح حتى ارتجت البرارى والبطاح وركبت أيضا أبطال بنى عبس الأنجاب وعنتر فى أوائلهم كأنه أسد خرج من غاب وصال وجال وافتكر ما لاقى من الأهوال فأشار

يسمع الأعجام بهذه الأبيات والأوزان يقول صلوا على طه الرسول :

أطربتنى صواهل الصافنات وصرير الرماح والذابلات
وضجيج الفرسان فى يوم حر ب لفؤادى أحلى من اللذات
فهنالك الفخار يا ابنة عمى فدعينى من عذل قوم وشاة
ما فخار الفتى بكاسات خمر دائرات فى مجلس السادات
إنما الفخر فى الثبات لحرب يوم جذب الصوارم المرهفات
ذاك يوم إذا افتخرت بقومى كان فعلى موفقا اصفاتى
كل من قال إن جدى فلان وأبى سيد من السادات
ذاك بين الأنام شخص ذليل وجبان لا يلتقى المعضـــلات
أنا رمحى أبى وجدى حسامى وخليل مهرى لدى النازلات
إننى عنتر وقومى عبس وابن شداد صاحب الوقعات

(قال الراوى) وكانت عبلة فى ذلك اليوم خرجت وراءه وهى راكبة فى الهودج تنظر إلى فعاله وتتفرج على قتاله ولما فرغ عنتر من هذه الأبيات نادى بصوت كأنه الرعد القاصف أنظرى بعينك يا عبلة يا بنت مالك ثم أنه حمل على ميمنة العجم بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرأ من تيار البحر إذا زخر فضرب فيهم ضربا يعمى البصر ويذهل العقل ويحير النظر فما مضت ساعة حتى قتل خمسة وعشرين فى لمح البصر ورجع للميسرة فقتل عشرة وعاد إلى بين الصفين وصال وجال بين الأبطال ولعب فى حومة الميدان جملة أنداب حتى حير عقول ذوى الألباب من الشيوخ والشباب ثم أنه نادى هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم الهزا ثم شبل الجنائز لا يبرز اليوم منكم كسلان ولا عاجز فان هذا اليوم ليس مثل الأيام التى مضت بل هذا يوم تنظروا فيه ما أريد أن أفعل من الأهوال وما أقتل من الرجال وأشار إليهم يقول

أسمعانى تحمحم الصافنات ومجالى فى شاهق وكماة
وبخورى من العجاج وطيبى عرق من سيوفنا المرهفات
وأنا عنتر وقومى عبس هم أسود القتال فى الوقعات
همتى همة الأسود ولكن عزماتى تعلوا لدى الكائنات
فوحق الذى أمات وأحيا خالق الخلق غافر الزلات
لست ألوى عن موقف الحرب حتى يغزلوا لى الاكفان قبل الممات

(قال الأصمعى) فما أتم عنتر كلامه حتى برز إليه فارس للحديد لابس وكان هذا الفارس من مقدمين الديلم وكان يسمى رستم زادو ماله نظير بين الديلم فى الحرب والجلاد ولما صار قدام

عنتر ناداه ويلك يا أسود يا زنيم يا عبد يا لئيم هذا اليوم أسكنك رمسك وأقطع من الدنيا رزقك وحسك قال له عنتر يا طنجير العجم وأخس الديلم لا بد أن أتركك اليوم عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن تبصر ثم انطبق عنتر عليه وقد أراد أن يرى بنت عمه طرفا من شجاعته فما ترك ذلك الديلمي يصول ولا يجول دون أن يهجم عليه كأنه أسد أكول ومد له يدا كأنها رقبة البعير الأسود وطبق أطواق درعه والزراد فأخذه على يده كأنه العصفور في يد الباشق السكسور ومسكه من رجله ولوحه كما يلوح المقلاع وأطلقه فطلع من يده كأنه حجر من منجنيق فوقع بين عساكر العجم وقد انقطع قلب كل من كان في ذلك المكان من الأمم فبرز إليه ثاني فارس من العجم كأنه الأسد القشعم فالتقاه عنتر بقلب أقسى من حجر ومد يده إليه ورفعه على ساعديه إلى أن أعلاه إلى فوق رأسه وجلده في الأرض فادخل طوله في العرض فبرز إليه ثالث بطل كأنه قطعة فضلت من جبل فما خلاه يصول ولا يجول دون أن هجم عليه كأنه أسد خرج من غاب حتى حك الركاب في الركاب فسكب يده ولطمه على صدره فالصق صدره إلى ظهره فرماه قتيل وفي دماه جديل فبرز إليه رابع فارس شجاع وقرن مناع فالتقاه كما تلتقي الأرض العطشانة أوائل المطر وما تركه ملتفت دون أن مد يده إلى رأس ذلك البطل وجذبه إليه فخلعت رقبته من بين كتفيه فانذهلت من فعال عنتر الرجال وقصرت عن الخروج إليه الأبطال وأما عبلة فإنها كانت تنادي إليه من الهودج وتقول له يا بطل لا شلت يداك ولا كان من يشناك يا فارس الزمان ويا قاهر الشجعان وكان عنتر حين يسمع كلام عبلة لا يظن قدامه فرسان بل كأنهم نسوان ومازال يقاتل بالسيف والسنان ويطرح الشجعان في حومة الميدان إلى أن أمسى المساء فوجد من قتل من فرسان العجم والديلم مائة وخمسين بطلا ضيغم ، هذا وخداوند بن كسرى يتعجب من عنتر وشجاعته وأما عنتر فإنه لما عاد من حومة الميدان أخذته عبلة بملء الأحضان وقالت لله درك يا حامي الحريم وقاتل كل عدو وغريم ، هذا وعنتر لما سمع كلام عبلة زال عنه التعب والعناء حتى كأنه ما قاسى حربا ولا قتالا ولا طعنا ولا نزال وقد تيقن أنه يلقى وحده كل عساكر العجم وكل من سكن البراري والآكم فالتقاه أيضا الملك زهير وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه ثم بعدها دخلوا للجبال وبات بنو عبس وهم في فرح بفعال عنتر الفارس الرئبال إلى أن أصبح الصباح ففعل عنتر مثل ما فعل أول يوم وتولى وحده القتال ولم يزل عنتر وحده حامي الميدان يجندل الشجعان إلى تمام عشرة أيام ولما كان اليوم الحادي عشر كل عنتر ومل وجرح في أربع مواضع وجرى دمه من سائر جسده وهو لا يولي ولا يكل ولا يميل إلى الفرار قدام بنت عمه عبلة ولا يميل هذا والعجم قد أخذهم فيه الطمع فصاح الربيع يا ويلكم دونكم الحملة على عنتر لأنه جرح وكل وتعب ومل فاقتلوه بقلب

غير خاشع واسبواحريم بنى عبس اللاتى هن مثل البدور الطوالع (قال الراوى) فلما فرغ الربيع من كلامه إلا وهو يرى أثر غبار علا وثار وسد منافذ الأقطار وطلع من تحت ذلك الغبار جملة عساكر كأنهم البحار الزواخر وهى مقبلة أسرع من دنو الأجل والوحش من قدامهم قد جفل فلما نظرهم الربيع انذهل وتحير بما شاهد ونظر فالتفت إلى حذيفة بن بدر أمير بنى فزارة وقال له إن صدقنى حذرى يا أمير فهذا الغبار غبار الملك كسرى أنوشروان وقد أتى فى كل عساكر خراسان لأنه بطأ عليه خبر ولده خداوند وإن كان هذا صحيحا مافيه لبس فما بقى يسلم أحد من بنى عبس ثم أنه أحدق النظر إلى ذلك الغبار وإذا به انكشف عن عسكر جرار كأنه البحر الزخار وفى أوائل الجيش الملك النعمان وإلى جانبه الأمير حجار ابن عامر الكندى وعروة بن الورد العبسى ثم أن ذلك الجيش تفرق فى الجبال والبرارى والآكام ونادت فرسانه عن لسان واحد يا آل جذام أبشروا بالويل والارغام يا بنى الأعجام لقد جاءكم الملك النعمان ملك العربان ولما سمع الربيع بن زياد هذا الكلام انقطع ظهره وحار فى أمره وذهب ما عنده من الفرح وحل به البؤس والترح ثم أنه التفت إلى حذيفة وهو من الفزع حيران وقال والله يا ابن العم أن بنى عبس قد خلصوا الملك النعمان وأتوا به إلى نصرتهم فيمن معه من الشجعان وأنا أعلم بحقيقة الأخبار أنه ما خلصه إلا الأمير حجار وسوف يعتب علينا الملك النعمان وعلى ما فعلنا ويقول لنا أنكم لما علمتم بحبسى وذهابى أتيتم لقتال ألسانى وإذا لم نحسن الآن التدبير وقعنا فى الهلاك والتدمير ثم أن الربيع بعد كلامه عاد إلى غدره ومكره والزور والبهتان وصار ينادى أعلى صوته فى قبائل العربان وهو يقول ويلكم كفوا عن الضرب والطعان فهذا هو الملك النعمان وقد تخلص من القيود والأغلال على رغم أنف الاعداء الانذال فلما سمعت قبائل العرب كلام الربيع بن زياد ونظرت إلى ذلك الجيش الذى أقبل مع الملك النعمان وأخبر بعضهما بعضا بذلك الحال رجعوا عن الحرب والطعان وجعلوا ينادون عن لسان واحد نعمان يا منصور يارب أدم له الفرح والسرور ثم أن العرب كلها مالت وإلى نحو الملك النعمان ترجلت وإلى الارض قبلت لأنها بعد أسر الملك الاسود ذلت ولحقها الندم وصارت بلا رأس ولا مقدم ورأت الهوان من العجم والترك والديلم ولولا طمعها فى نهب أموال بنى عبس كانت تفرقت فى البر والآكم (قال الراوى) هذا ما كان من العربان (وأما ما كان) من سبب خلاص الملك النعمان فإنه كان على يد الامير حجار بن عامر الكندى وعلى يد عروة بن الورد العبسى وكان هذا السبب فى ذلك الامر أنهم لما ركبوا وساروا طالبين أرض الحيرة مازالوا سائرين على ظهر النجب والمهارة وهم يجدون المسير ليلا ونهارا حتى أشرفوا على أرض الحيرة وقصدوا إلى المراعى والوديان وغاروا على الرعيان وأخذوا من الخيل أجودها

ووضعوا السروج على ظهورها ثم أنهم تدرعوا الزرد وتقلدوا بكل صارم مهند هذا وقد تصايحت الرعيان والقوا الصياح فى أرض الحيرة وركبت الألف فارس الذين كانوا فى أرض الحيرة الذين تركهم خداوند لحفظ الملك النعمان وركبوا جميعهم وطلبوا القتال وفى أوائلهم الحاجب وهو كانه الأسد الهدار فلاقاه الأمير حجار بن عامر الكندى لما سمعه يبربر بلغة العجم ويذكر النار فما فهم منه جوابا ولا خطابا بل أنه استقبله بطعنة بين يديه فأطلعه الرمح يلمع من بين كتفيه وضرب عروة فارسا فرماه هذا وبنو عبس وبنو كندة صاحت بأسيابها وطعنت العجم فى صدورها وأجنابها وسطا عليهم الأمير حجار ابن عامر الكندى بشجاعته ونكس الفرسان بضرباته فما كانت غير ساعة من النهار حتى أبلوا تلك بالألف فارس بالهلاك والدمار وفرقوهم فى البرارى والقفار وقتل أكثرهم وهرب من سلم ثم أن الأمير حجار دخل للحيرة بمن معه من الأبطال وخلص الملك النعمان من القيود والأغلال وبشره بالسلامة وحكى له بما جرى لهمع عنتر وصار له من المحبين ولما سمع الملك النعمان ذلك المقال شكر الأمير حجار وفرح بتلك الفعال وقال ما أعرف الساعة أن الذى خلصنى من القيود والاصفاد الا الأمير عنتر بن شداد هذا وقد تخلصت الألف فارس المحبوسة معه من أهله وأقاربه ومن يومه كتب الكتب وأرسلها مع النجابة إلى كل محبيه وحلفائه وفى ذلك اليوم أفاء بجهر جميع حاله وهو فرحان بخلاصه من اعتقاله فلما كان ثانى الأيام عند طلوع النهار أقبلت الفرسان كانها البحر الزخار ولم يلبث فى الحيرة إلا خمسة أيام حتى صار عنده سبعة عشر ألف مقاتل ومن خوفه على بنى عبس من العجم رحل من يومه يقطع البرارى والقفار هذا وفرسان العرب تسمع بخلاصه وتتلاحق به من سائر الأرض والاقطار ولم يزل يجد السير فى الليل والنهار حتى أشرفوا على جبال أجا وسلما إلا أنه ما وصل إلى ذلك المكان حتى صار معه خمسة وأربعون ألف فارس ما بين مدرع ولابس وجرى ما جرى من القصة ما جرى هذا وكان السبب فى خلاص الملك النعمان ولما أقبل نادى الربيع بذلك النداء فأقبلت العربان كلها على الملك النعمان وأقبل الربيع بن زياد إلى قدامه وقبل الأرض واعتذر إليه وكذلك فعل حذيفة بن بدر وبنو فزارة وأما خداوند بن كسرى فانه خاف من مجىء الملك النعمان فعاد من الجبال وعادت معه عساكر العجم وقد خافوا عليه من العرب وداروا من حواليه لأنه قد بقى معه من المائة وخمسين الفا خمسون الفا والباقى كلهم شربوا شراب الهلاك والعطب وساروا معفرين فى التراب وأصابتهم النوب (قال الراوى) هذا وبنو عبس كانوا منقطعين قدام الجبال ولما أقبل برجاله الملك النعمان ونظروا إلى خوف العجم ورجوعهم عنهم طمعوا فى نهب أموالهم وتصايحوا عليهم من كل جانب ومكان وهموا بالحملة مثل الثلاهب فنهاهم الملك النعمان عن ذلك الأمر والشأن وأمرهم

بالوقوف وتقدم هو نفسه إلى خداوند لأن الملك النعمان كان حسن السياسة والتدبير وبعواقب الأمور فطن خبير ثم أنه تقدم طالباخداوند ومعه الأمير حجار وعروة بن الورد وجماعة من أمارة العرب حتى صار قدام خداوند فترجل على ظهر الجواد وسلم وخدم ودعا للدولة الكسروية بدوام العز والنعم وقال لا تخف أيها الملك المحتشم ولا تفزع أيها الملك من قدومى عليك بهذا الجيش العرمرم فما أنا إلا عبد الدولة الكسروية وخادم المملكة الفارسية وأنا ياملك ما عرفت لى ذنبا أحبس عليه إلا مصاهرتى لهذه الطائفة العبسية وها أنت قد أبصرت فعالها وذقت حربها وقتالها وأنا أقسم ياملك بحق ذمة العرب أنا ماطلبت قرب هذه القبيلة إلا من عظم ما رأيت من حربها وأهوالها لأنها ياملك ما يقتل منها فارس حتى يقتل ألف فارس وما رأيت ياملك أن يفنى من أجل قبيلة واحدة كل قبائل العربان وأسألنى فأنا أخبرك بالذى أحسنته فى سياستى وتدبيرى ولكن سمع أبوك فى كلام الأعداء لأجل شىء لم يحط به علما وأنه لما تسبب لى الخلاص ما جئت إلا من خوفى عليك من جماعة العربان لأنهم لا يعرفون قدر الملوك ولا يفرقون بين الغنى والصعلوك وما لهم إلا التشتت من أرض إلى أرض والتفرق عن بعضهم البعض والآن ياملك كان الذى كان ونظر العين أحسن وأوفى من سماع الآذان وها أنت قد نظرت إليهم بعينك وقد كفى وهذا الأمر عليك وعلى أبيك لا يخفى وأنا ما أعلم منكم إلا الاحسان والوفا فان رضيتمونى لدولتكم كنت لكم سامعا وطائع وإن كرهتمونى فالبر بين يدى واسع على أننى ما عدت أفارق حتى أفرق عنك هذه العشائر والقبائل وأسير إلى عند أبيك بالخير الكامل (قال الراوى) فلما سمع خداوند من الملك النعمان هذا الكلام تفكر فى بعضه البعض وأطرق من شدة حيائه وجهه إلى الأرض لأنه كان ولدا نفيسا من الأصايل وهو قريب المرجوع مليح الخصايل وكذلك كانت الاكاسرة لأنهم كانوا ملوك ذلك الزمان وكان آخر ملوكهم الملك بردين شهريال وهو الذى قتله الامام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأخذ بنته أسيرة وزوجها للحسين بن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومنها الأئمة الاطهار والسادات الأخيار أهل الكرم والفخار (ونرجع إلى ما رويناه من الأخبار) هذا وخداوند ترجل للملك النعمان وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه وقال ياأبا نعمان أنى قد عذرتك فى هذا الأمر والشأن وما بقى عليك عتب ولا ملام (قال الراوى) وبعد ذلك انصلح الأمر والشأن وتبدل وخوف خداوند بأمان وقال الملك النعمان وحق النار والنور ما أسير إلا وركابى مع ركابك مقرون وإذا وصلت إلى عند أبى ترى ما أفعل معك ومع أصهارك لأننا ما عرفنا قدرك حتى حققنا أمرك ولما نظرت إلى فعال عنتر وضرباتها التى كأنها الموت الأحمر التى لا تبقى ولا تذر عذرتك فى هذا الأمر المدبر ولكن أريد منك أن تأخذ عنترا

معنا حتى أغمره من نعمتي وأجعله عوناً على شدتي فلما سمع الملك النعمان من خداوند هذا الكلام فرح بهذا الأمر وقال له وحق ذمة العرب يا ملك ما عنتر إلا فريد العصر ونتيجة الدهر والساعة تراه هو وكل بني عبس بين يديك ويسعون في خدمتك ويقبلون رجليك ويعتذرون عما فعلوا إليك ثم أن الملك النعمان أمر عروة بن الورد أن يسير إلى عند الملك زهير وعنتر ويحكي لهم كل ما جرى وتدبر ويأمرهم بالحضور إلى قدام خداوند بن كسرى فأجابه عروة إلى ما طلب وسار من وقته وساعته طالباً بني عبس حتى وصل إليهم فالتقاهم راكبين الخيل العوال ومصطفين قدام الجبال ولما وصل إليهم سلم عليهم وأعلمهم بما صار له من العز والشان عند خداوند بن كسرى أنوشروان وقد كانوا واقفين ينظرون على أي شيء ينفصل الحال ولما أتى إليهم عروة بن الورد أمرهم بالمسير إلى عند خداوند بن كسرى صاحب الأيوان فلما سمع الملك زهير ذلك المقال زال عنه الهم والخبال وقال الحمد لله الملك المتعال الذي سبب لنا الخلاص من الهلاك والوبال ونجانا من هذه العساكر التي كأنها البحار الزواخر وبعدها ما بقي إلا المسير إلى خدمة هذا الملك الكبير لعل أن يزول عنا هذا الأمر العسير وينصلح هذا الفساد ثم يزول عنا الشر والعناد ويعود الملك النعمان إلى أحسن ما كان ونعود نحن للمنازل والأوطان وتهدأ قلوب الرجال منا والنسوان لأننا جعلنا أنفسنا هذه للمصائب وعادينا الأعاجم والاعارب ثم إن الملك زهيرا بعد كلامه التفت إلى عنتر وقال له أي شيء ترى عندك يا أبا الفوارس من الرأي قال عنتر وحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب ما كان عندي أصوب من قتل خداوند وهلاك أبطاله ولكن ما يمكنني أن أضيق صدر مولاي الملك النعمان بل إني أجيب بالسمع والطاعة فلما سمع الملك زهير كلام عنتر أقبل عليه وشكره وأثنى عليه وانتخب مقدار مائة فارس من أمراء بني عبس وسار مع عروة بن الورد إلى عند خداوند ابن كسرى والملك النعمان وجعل عروة يحكي لعنتر والملك زهير كيف كان خلاص الملك النعمان وما فعل الأمير حجار بن عامر الكندي هذا وكان عنتر سائراً معهم كأنه سائر إلى شهادة زور لأن نفسه كانت تأبى الذل ولا تطلب إلا أعلى المنازل هذا وقد جعل عنتر يسير قدام الملك زهير ورمحه معرض على عنق جواده وهو ينظر أبطال العجم بعينين كأنهما الجمر الأحمر لأنه كان يبغض أبطال العجم وما كان يشتهي أن يرى منهم أحد فما زالوا سائرين حتى صاروا قدام خداوند بن كسرى فترجل الملك زهير ومن معه من الرجال وسلموا على الملك النعمان فأمرهم أن يتقدموا قدام خداوند بن كسرى ويفعلوا مثل ما أمرهم فتقدموا وسلموا وللأرض قبلوا ولثموا فتبسم خداوند من فعالهم وتعجب من مقالهم وقال لهم يا وجوه العرب الاجواد العتب في هذا الوقت يجدد الفتنة والاحقاد وأنا الساعة ما أحضرتكم إلا حتى أهبكم دم

جالى واستوهب منكم دم رجالكم وأجعلكم لدولتى أركان وأعوان لأن أبى جعلنى ولى عهده وصاحب حله وعقده وأوصى لى بالملك من بعده وأريد أن أتخذ لى أنصار او حبائب وأدفع بكم الآفات والمصائب وأبذل لكم كل ما أملك من الفضة والذهب حتى تطيعنى جميع قبائل العرب وأهل المنازل والرتب هذا والملك زهير قال وحق ذمة العرب أيها الملك الجليل الفخيم نحن عبيد دولتك جديدا وقديم ولكن الإنسان إذا بلى بشىء وعلم أنه هالك يحامى عن نفسه ولو سلك أعظم المسالك وبعد تقدم عنتر إلى قدام خداوندو أراد أن يقبل يديه فوثب خداوندله على قدميه وقبله بين عينيه لأن هيبة عنتر كانت وقعت فى قلوب جميع العجم وفى قلب خداوند أيضا من شدة ما رأى من حربه ومن قتاله فلما كان ذلك اليوم تبسم خداوند فى وجه عنتر وفرح به واستبشر . هذا وعنتر صار يدعى لخداوندو لابيه وللدولة الكسروية وأشار يمدح خداوند بهذه الأبيات ويقول صلوا على طه الرسول :

كفاك الله نائبة الزمان ... وعشت من الحوادث فى أمان
ولا زالت ونجمك زاهرات ... بسعد ثابت وعلو شان
ولا زالت سيوفك قاطعات ... رقاب عداك فى الحرب العوان
ودمت فى العز دوما ... مدى الأيام ذا جاه وشان

(قال الراوى) فلما سمع خداوند من عنتر هذه الأبيات شكره خداوندو أثنى عليه وأعطاه سيفا من سيوف الاكاسرة يساوى خراج العراق إذا كانت عامرة وقد سير له عشر جنائب من جنائبه الخاصة بعددها ولامتها وسروجها من الذهب الأحمر وبعده قدم للملك زهير ولكل أمراء بنى عبس الجنائب والخلع السنية والعمائم البهية فعندها صفت منهم القلوب من جميع الكروب لأن حطام الدنيا محبوب ونعيمها مطلوب وبعد ذلك أقبل خداوند على الملك النعمان وقال له يا شاه الزمان يعنى يا ملك العرب ان مرادى منك أن تأخذ عنترا معنا إلى البلاد حتى أنى أسمع حديثه وأشبع من كلامه فقال النعمان السمع والطاعة وأكون أنا المسعود فى هذه البضاعة (قال الراوى) فما صدق الملك النعمان أن يسمع من خداوند هذا المقال فى حق عنتر حتى أخذه معه لأن الملك النعمان كان خائفا من غدر العجم فأتاه الأمر مثل ما أراد بأخذ عنتر بن شداد لأنه إذا كان معه الأمير عنتر ما يبالى بكل من سكن البر الاقفر وهنالك أقبل النعمان على عنتر وقال له يا أبا الفوارس أن خداوند أمر أنك تسير معنا إلى أرض الحيرة فقال عنتر السمع والطاعة يا مولاى أنا أسير معك وأينما سرت أتبعك وما أقبل الليل بالانسدال حتى انصلح الأمر والحال وصنعوا الولائم والدعوات وكثرت بينهم الأفراح والمسرات وأطلق بنو عبس جميع الأسارى

الذين كانوا عندهم فى الأسر والهوان ومن جملتهم الأسود أخو الملك النعمان فأتى إلى عند أخيه ودخل عليه واعتذر من فعله إليه وقبل يديه فعانقه الملك النعمان وبعد ذلك أصلح بين بنى عبس وبنى فزارة وكذلك أصلح بين بنى قراد وبنى زياد وعنتر بن شداد صلحا لا يضر ولا ينفع والتفت الملك النعمان إلى عنتر وقال له يا أبا الفوارس أنا أعلم أنى نغصت عليك عيشتك فى هذه الأيام لأجل أن يؤخر زواج ابنة عمك عبلة صاحبة الاحتشام وبعد هذا ما يبقى إلا انجاز شغلك وتعجيل أمرك فقال عنتر لا وحق ذمة العرب الكرام أنى ما أدخل بعبلة حتى تدخل على بنت مولاى الملك زهير المتجردة ويزول همك وغمك ويطيب لك الزمان ويصير كسرى أنوشروان عليك راضيا غير غضبان وإذا لم يتم لك هذا الأمر والشأن زلزلت على رأسه الايوان واجعلك أنت الحاكم مكانه على العجم والعربان وتبقى ملك العصور والزمان وحاكم الوقت والأوان فلما سمع الملك النعمان كلام عنتر دعا له وله شكر وعلم أنه على ما يقول يقدر ثم أنهم أقاموا بعد ذلك الكلام فى الولائم والدعوات ثلاثة أيام متواليات وفى اليوم الرابع أخذوا أهبتهم للسفر فقال الملك النعمان للملك زهير أرحل يا ملك وانجز امر ابنتك حتى يأتى رسول إليك وكذلك قال الملك الأسود لحذيفة بن بدر لأنه كان ايضا خطب اخت حذيفة وبعد ذلك تقدم عنتر إلى عند عبلة يودعها فبكى بين يديها بكاء شديدا ما عليه من مزيد واشار يودعها بهذه الأبيات يقول أفلح من يصلى على طه الرسول :

وحق الركن والبيت الحرام ... ومن لبى بزمزم والمقام
وحق فتور عينيك اللواتى ... بها أبرى وأشفى من سقامى
يمينا لا نسيت هواك حتى ... يذيب العشق لحمى مع عظامى
تقرى واقنعى . بالقول منى ... ولا يدخلك ريب من كلامى
فوجهك بغيتى وهواك دينى ... وذكرك مؤنس لى فى الظلام
شربت هواك مع لبنى صغيرا ... ويوم منيتى أنوى فطامى

(قال الأصمعى) فلما سمعت عبلة من عنتر هذه الأبيات بكت بكاء شديدا ما عليه من مزيد وقالت له والله يا ابن العم يعز على فراقك ولم أزل طول غيابك أشتاقك ولكن يا ابن العم كل مقدر لا بد عن انفاذه وأشارت له بهذه الأبيات تقول أفلح من يصلى على طه الرسول

سر فى أمان الله يالون الدجا ... وأجل من ركب الجواد وأسرجا
فالقلب بعد فراق عنتر مؤلم ... والنار تشعل فى الفؤاد توهجا
أنت المؤمل للحوادث كلها ... تبغى لنا من كل ضيق مخرجا
أنت المنا أنت الغنا أنت الوفا ... أنت الرجاء لنا وأنت المرتجى

أنت الذى فى ذا الزمان مؤيد ... ما مثل عنتر قط من سلك الدجا
إن غبت عن عينى فشخصك ... حاضر فى وسط قلبى ليس منه مخرجا

(قال الراوى)فلما سمع عنتر كلام عبلة بصفاء قلبها وحسن مودتها وكثرة محبتها فتقدم إليها وضمها إلى صدره وقال لها يا بنت العم ويا مزيلة الهم والغم وحق ذمة العرب أن فراقك عندى أصعب من فراق الارواح وبعد ذلك أستدعى بأبيه شداد وعمه زخمة الجواد ومالك أبى عبلة وابنه عمرو وأوصاهم بعبلة وقال لأخيه شيبوب وأنت ياأبن السوداء لا تغفل عنها وتعاهدها ليلا ونهارا ولا تغفل عنها فى الطريق ولا فى الأحياء وإلا أقطع أعصابك وأعدمك أحبابك قال شيبوب أفعل ما بدا لك يا ابن الملعونة أنا والله أحفظها أحسن منك وبعد ذلك أقبل على الملك زهير وأولاده وودعهم وأوصاهم على بنت عمه عبلة فقال شاس أنه والله يعز علينا ياأبا الفوارس فراقك فلا أبعد الله عنا شخصك ولا مزارك ثم أن شاسا بكى على فراق عنتر وتنهد وتحسر وأشار يودعه بهذه الأبيات يقول صلوا على طه الرسول :

لقد حرت لما سرت من أرضنا شرقاً ... وكاد فؤادى أن يذوب ولا يبقى
فيا راحلا عنا لأرض غريبة ... فلا تبعدن عنا فمثلك ما نلقى
فأنت لعمرى كنز عبس وعزها فلا ... زلت فى سعد مدى الدهر لا تشقى
عليك سلامى يا ابن شداد دائما ... سلاما جديداً كلما غنت الورقا
ونذر أكيد إن ظفرت بقربكم ... عتقت عقيدى عند ملقاكم عتقا

قال الراوى فلما سمع عنتر كلام شاسا انذهل وتحير وما أراد أن شاسا يكلمه بمثل هذا الكلام ثم قال عنتر يا ترى ما الدهر صانع بنا فى هذه المرة كانى ما بقيت أرى شاس بعد هذه الخطوة لكن يا ترى من الفقيد منا ثم أشار عنتر إلى شاس بهذه الأبيات يقول صلوا على من سارت إليه الحمول :

عبيدك يا مولاى لا تبتغى عتقا ... ولا كان دهر انت من صرف تشقى
سأمضى مع النعمان أوفى بذمتى ... وأدفع عنه من أعاديه ما يلقى
وأتركه سلطان كل قبيلة ... ومن رام عزلا منه أحقه محقا
وإن صار صلح عدت عنه مؤيداً ... وفيا بما عادته كلما أبقى
فيا شاس قد أرميت فى القلب جمرة ... فيا ليتنى ما صرت عن أرضكم شرقا
فسيروا بنى عبس ورا السيد السنى ... زهيرا ولا تخصوا ببسطوته خلقا
واسأل مولاك الذى أنا عبده ... يسهل أمرى مع عبلة كى التقى

قال الراوى وبعد ذلك سارت العساكر يتلوا بعضها بعضا وكل منهم طالب أرضه

وبلاده ورحلت بنو عبس طالبة أرضها وبنو فزارة طالبين أوطانهم ورحل خداوند والملك النعمان وعنتر طالبين أرض الحيرة وكان عنترا راكبا إلى جانب الملك النعمان وهو كانه الأسد الغضبان وقد أخرج يده من جلباب درعه وتذكر ماله من العوقات والأمور الهائلات وفراق ابنة عمه عبلة وأشار يقول صلوا على طه الرسول :

أترى يعود الدار يجمع شملنا ... بكموا ويختلس المحب الاجزع
وأرى عبلة بالعيان لعل أن يشفى ... الفؤد ومن هواها يقنع
هل للعليل وأن تعاظم داؤه ... منكى شفاء أو دواء ينفع
من بعد عبله صار دمى عبرة ... ترمى به البيداء وأرض يلقع
من أعينى تروى التراب مدامعى ... حين أردهت أجفانها والبرقع
ماذا الذى نالته حتى غرها ... وبذا الدلال نتيه إذ ما تطلع
متباسقات فى العجاج لانها ... طافت تسابقها الرياح الأربع
ولها نفر الدار إن هى لم تزل ... من دون أهليها وفيها البيقع
وأتيت أحباباً حفظت على الوفا ... لهم العهود وهم لعهدى ضيع
إن أعوذ ورد الركايا بعد ما ... يأنوا فها دمعى لهن المشرع
ياعبلة كم من حروب خضتها ... وبها رجال من لقاهم يفزع
وعليهم الزرد النضيد تحصنا ... فكثرتها وأزيل تلك الأدرع
لما التقينا فى الغداة شيبة ... داوت بنا الفرسان كل يطمع
فحملت حملات عليهم جندلت ... فرسانهم ما عاد قرن يرجع
وتركت قوم الفرس كلا هائجا ... فى قفره فيها السباع الروع
أنا عنتر العبسى حامى جيرتى ... وجميع أهل الأرض منى تفزع

قال الراوى فلما فرغ عنتر من الأبيات تعجب الملك النعمان وقال لارد الله فاك ولا كان من يشناك يافارس الزمان وحامى بنى عبس وعدنان هذا وهم سائرون يقطعون الأرض والقيعان بصيد الوحوش والغزلان وفى كل وقت يسمعون من عنتر بدائع الأشعار حتى وصلوا إلى أرض الحيرة وتلك الديار فكان لدخولهم إلى الأوطان يوم عظيم الشان ماجرى مثله لاحد فى ذلك الزمان فنزل الملك النعمان فى محل عزه وقد فرحت به المحبون والاخوان وعمل لخداوند وليمة عظيمة فرحا بخلاصه وعودته إلى الملك على رغم أعدائه ومازالت الولائم متصلة مدة سبعة أيام حتى شبع فيها الخاص والعام هذا وعنتر جالس إلى جانب خداوند بن كسرى أنوشروان وهو ينادمه على الخمر والمدام وفى اليوم الثامن حط الملك النعمان فى رقبته منديلا وأقبل على خداوند بن كسرى

أنوشروان ونادى بأعلى صوته أشهدوا على يامن حضر فى هذا المكان من أمارة وفرسان أنى أنا عبد الدولة الكسروية وخادم المملكة الفارسية فإن رضونى أكون لدولتهم ناصرا رضيت وكنت لهم سامع وإن أرادوا نفى فالبر قدامى واسع وإن أرادوا قتلى فبالله عليكم ياسادة ياكرام ما أحد منكم يعارضنى ولا يحامى لى ولا يمانع فانى قد سلمت أمرى إليه يفعل بى ما أراد فلما سمع خداوند من الملك النعمان هذا الكلام حن قلبه عليه ووثب خداوند على يديه وقبل الملك النعمان بين عينيه وقال يا أسود جزاك الله خيرا كما فعلت بأخيك هذه الفعال بين الرجال ثم أن خداوند التفت إلى النعمان وقال له طب نفسا وقر عينا يانعمان وحق النار ما أكون إلا محاميا عند أبى وعونا على طول الزمان ثم أن خداوند خلع على الملك النعمان وأجلسه مكانه وبعد ذلك التفت خداوند إلى عنتر وقال له يا أبا الفوارس مرادى أن تنشد لى شيئاً من أشعارك حتى نلتذ ونطرب ونملأ كؤس المدام ونشرب فقال عنتر السمع والطاعة يامولاى وكان عنتر مراده بهذا الكلام أن يسمع الملك الأسود بما فعل أخيه الملك النعمان من الأمر والشأن فأشار إليه بهذه الأبيات ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

بين العذيب وبين ذاك المحمل	طال البعاد على رسوم المنزل
وإذا تحمل أهلها وترحلت	عنها بدور كالصباح المنجلى
لعبت بها الأهواء بعد نسيمها	والكاس بعد صفاء ليس بممتلى
فوقفت فى عرصاتها متحيراً	أبكى شجونا لى بدمع مهمل
وأثارت الأشجار منى والأسى	حتى لقد نصحت شجونى مسائل
من أجل واضحة الجبين عزيزة	تسبى العقول بعارض متهلل
ولقد رأيت الموت بل ولقيته	متسربلا والموت غير مسربل
فقحمت فى وسط العجاج مصمما	مالى مجير غير حد المنصل
ضحكت عبلة من فتى متذلل	أسد شجاع ماجد متفضل
كم ضيغم جندلته بمهندى	وأقول لاشلت يمين الصيقل
ناديت عبسا فاستجابت بالقنا	وكل ابيض ماحق لم يقاتل
وبكل مداد الكعوب مثقف	فى يد كل صميدع لم يجهل
يدعو عنتر والرماح سواجر	والخيل تعثر فى رؤس القتل
إن المنية لو تمثل شخصها	لى فى العجاج طعنتها فى الأول
فاحذر مصاحبة اللئام وقربهم	إن الكريم عن اللئيم بمعزل
واحذر ديار السوء لاتنزل بها	وإذا نبا بك منزل فتحول

أحظى المنازل منزل تسمو به ... شرفا بلا ضيم ترى وتذلل
وإذا أردت منازلا فى ساحة ... فاسأل عن الجيران قبل المنزل
والق ضيوفك بالكرامة والدعاء ... وأبسط لسانك عندهم بتذلل
وأعلم بأن الضيف يخبر أهله ... بمبيت ليلته . وإن لم يسأل
والجار فاحفظه وراع حقوقه ... وألق الصديق بكل فعل أجمل
والق الضيوف ترحبا وتحية ... وأبسط لسانك للكرم وسهل
واسمع أيا ملك الزمان قصيدتى ... وابلغ سلامى للمليك العادل
وانصحه حتى أن يجود بفضله ... للعرب والنعمان ذاك الباذل
واصفح له إذ قال عنتر فتنة ... ليثير حربا فى خلال قبائل
ما كل من طلب العلا يناله ... بل لم ينل إلا بسعد أول
وإذا وليت ولاية كن عادلا ... وأعلم بأنك عن قريب تعزل
وإذا هممت بفعل سوء فانثنى ... وإذا هممت بفعل خير فافعل
يا عبلة كم حلة باكرتها ... وتركت فارسها قتيل الجندل
أدعى بعنترة إذا انتشب القنا ... ونفر منى الأسد عند الحجل
أشفيت نفسى منا أعادى مهجتى ... وقهرت كل صميدع ومكمل
وبلغت كل فضيلة عجز الورى ... عنها بكل مهند ويذبل
أنى أنا الليث الهمام وسطوتى ... تعلو على كل الملوك الكمل

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من كلامه فى هذه القصيدة وما فيها من التهديد والملام والتعنيف فى طيب الكلام قالت أمراء العرب كلها لا رد الله فاك ولا كان من يشناك وطول الله عمرك وأبقاك وأما الملك الأسود فإنه من شدة ما دخل على قلبه من الغيظ والحنق وكادت مرارته من كلام عنتر أن تنشق فقام وطلع من بين الحاضرين وأما خداوند فإنه قال لعنتر يا فارس الزمان ويا قاهر الشجعان وحياتك ما تكون للملك النعمان ولجميع العربان من أجلك إلا مساعدين على نوائب الزمان وأطيب قلب الملك كسرى أنوشروان صاحب التاج والإيوان من جهة الملك النعمان فعندها شكره على ذلك الملك النعمان وباس الأرض بين يديه وله خدم ودعا لأبيه بدوام العز والنعم وإزالة البؤس والنقم ولما انقضت الولائم وكان اليوم الثامن أمر خداوند العساكر بالرحيل إلى أرض المدائن وعندها دقت الكاسات وزمرت البوقات ونشرت الرايات والازدهارات وركب خداوند وركب وراءه الملك النعمان وعنتر بن شداد رئيس الشجعان وساروا معه مقدار يوم كامل وودعوه وعادوا إلى أرض الحيرة واستقام عنتر عشر أيام عند الملك النعمان وهم منتظرون من كسرى

أنوشروان إتيانه بالخلع والاحسان وفى يوم الواحد وعشرين أقبلت الهدايا والتحف من كسرى أنوشروان مع وزيره الموبذان (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن خداوند لما رجع إلى عند الملك كسرى أنوشروان وجد أباه على مقالى النار عن كثرة الانتظار حين أبطأ عليه سماع الأخبار فما صدق حتى نظر إلى ولده خداوند عاد سالما فسأله عما جرى فقال خداوند أعلم يا أبى أننا كنا ظلمنا الملك النعمان وسمعنا فيه كلام أهل البغى والعدوان أعلم يا أبى انه ما يصلح لدولتنا حاميا غير الملك النعمان لأنه شفوق وصاحب رأى صائب والرأى عندى يا أبى أنك ترسل الخلع والمواهب وتجعله عندك فى أعلا المراتب وكذلك عنتر بن شداد الذى لا يوجد مثله فى سائر العباد ثم أنه أحكى له بما قاسى من عنتر فى الحرب والقتال وأخبره عنه من قتل من عساكر العجم والترك والديلم وقال له آخر كلامه يا أبتاه أرسل للملك النعمان وإلى عنتر هدايا الأموال وداريهم بالخلع والغوال ومازال خداوند يلح على أبيه بمثل هذا الكلام حتى انخدع كسرى ولان وانصلح الأمر والشأن ورضى بعدما كان غضبان وأمر أن يحضروا له عشر نجائب بعددها ولامتها من الذهب مرصعة بالدر والجواهر وعشرة آلاف دينار ذهب كسرى خمسمائة ثوب من الديباج وعشرين عقدا من خالص الجواهر ومائة نفحة مسك أذفر وخمسين وزنة من العنبر وشىء من الخلع الحسان وقال هذا قسم عنتر ابن شداد قاهر الفرسان أرسله للملك النعمان وأنفذ له بخاتم الأمام ومنديل الذمام وأمر الموبذان أن يأخذ الجميع ويسير إلى أرض الحيرة إلى النعمان فأخذ الموبذان الجميع وسار الليل والنهار حتى أشرف على أرض الحيرة وتلك الديار فسمع الملك النعمان بقدومه فركب إلى لقائه بجمع عساكره وهو فرحان بما وصل إليه مع الموبذان حتى أنهم التقوا بالموبذان وسلم عليه النعمان وعنتر وجميع الفرسان وقال الموبذان للنعمان أن الملك العادل كسرى أنوشروان يقرئك السلام وقد أرسل لك هذه الأموال وبعدها أقبل عنتر وقبله بين عينيه وقال والله يا أبا الفوارس لقد نلت مالم ينله راجل ولا فارس والملك كسرى أنوشروان أرسل لك هذه الأموال والجنائب والخلع الحسان وهى قليلة فى مقابلة فعلك يا فارس الزمان فعند ذلك شكره عنتر وثنى عليه وعلى كسرى أنوشروان وقبل يد الموبذان وقال والله يا مولاى ما أنا إلا عبد الدولة الكسروية ثم بعد ذلك رجعوا إلى أرض الحيرة وعملوا الولائم والدعوات ثلاثة ايام متواليات وشبع فيها الخاص والعام وأمر الملك النعمان بأن تزين الحيرة سبعة أيام وأعطى ووهب وفرق الفضة والذهب وعطى عنتر لمعديكرب الزبيدى وعروة بن الورد أموالا لا تعد ولا تحصى وبعدها عاد الموبذان طالبا المدائن فطلع الملك النعمان وعنتر وجميع أمراء العرب إلى وداعه يوما كاملا وسار الموبذان طالبا المدائن ولما وصل الملك

النعمان بهم إلى الحيرة صنع لهم وليمة عظيمة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع طلب عنتر الإذن من الملك النعمان في المسير إلى الديار والأوطان فقال الملك النعمان والله يا أبا الفوارس أن فراقك وفراق الروح عندي سواء ولكن ما أقدر أن أمسكك لأجل ما في قلبك من الشوق والكمد من حب عبلة التي علم به كل أحد ثم أن الملك النعمان أذن له في المسير والانصراف بعدما أعطاه من الهدايا والتحف ما يكل عن وصفه اللسان وركب النعمان ووزرائه إلى وداع عنتر حتى يعدوا عن أرض الحيرة ثم عاد الملك النعمان إلى دياره والأوطان واستمر عنتر سائراً طالبا أرض الشربة وديار الاحبة وفرحان بما وصل له من المال والهدايا والغوال وما بعد عن أرض الحيرة وصار في البراري والقفار حتى جاءت عبلة في باله وافتكر من أجلها ما جرى له فتأوه من فؤاد مذبول وأشار بهذه الأبيات يقول صلوا على طه الرسول :

ذنبي عدا عند حبي غير مغتفر ... لما توضح وخط الشيب في شعري
لقد أصيب فؤادي من لواحظها ... بكل سهم شديد الغور في الحور
فاعجب لها من سهام غير طائشة ... من الجفون بلا قوس ولا وتر
كم ما طلتني وقد أغفلت ما جبلت ... يد التفرق من وجدي ومن سهري
وكم حفظت ذمام القول وهوله ... يصطاد في الغاب ذات الدل والخفر
من لي طبيبا وبي داء يخامرني ... طول الزمان ودا نقص من العمر
من حب خود يغار الغصن حين يرى ... لقدها بين مياد ومختصر
أيام غصن شباب في شبوبته ... ألهو بما فيه من زهور ومن ثمر
يا منزلا ادمعي وقف عليه إذا ... طل السحاب على الاطلال بالمطر
أرض الشربة كم قضيت ذا طرب ... فيهن بالغيد والخلان من وطر
بمربع ورماح السمهر تكنفني ... أبطاله في ظلال البيض والسمر
أين الزمان الذي كنت أحمده ... على التداني بلا عين ولا ضرر
لم يخطر البين في بالي فأحذره ... ولا أهاب لما فيه من الخطر
ألهو بحب عبلة في الديار وما ... أبات منه ومن وجدي على غرر
يا وجه خل أرى شمسا إذا طلعت ... منه بوادر تغنيني عن القمر
وفي كل يوم أرى من نشرها سحرا ... يبدو ضياه كنشر الزهر في الشجر
وكل غصن غدا من حظه نظرا ... ما خص عاشقها منها سوى السهر
ما هبت الريح من نجد معطرة ... إلا ولو عابريا بردها العطر

وما جرت أدمعى والشمل يجتمع | إلا لما علم الأحباب من حذرى
خوفا عليها ولولا ذاك ماوقفت | ركائبى بين ورد القوم والصدر
كلا ولاكنت بعد القرب مقتنعا | منها على شط نأى الدار بالخبر
هم الأحبة إن خانوا وإن نقضوا | ودى فما حلت عن عهدى وعن سهرى
فكم أضاعوا محبا فى الغرام بلا | ذنب وكم ظل فيه من دم ومن هدر
يشكو ذوو الهجر فى سر وفى علن | شكوى تؤثر فى صلد من حجر

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات تعجب عروة مع رجاله من فصاحة عنتر ومقاله فقال عروة بن الورد لافض الله فاك ولا كان من يشناك وبلغك الله مناك يا حامية عبس وعدنان وفزارة وغطفان ومرة وذبيان لقد فقت على أبطال هذا الزمان بالشجاعة والفصاحة والكرم وحسن الشيم فشكره عنتر وأثنى عليه ثم جدوا فى المسير الليل والنهار كل ليلة يحرسها عنتر من خوفه عليهم من طاعة العرب ولم يزالوا سائرين على ذلك الحال حتى أنهم وصلوا إلى أرض معطشة موحشة مدهشة فساروا فى ثلاثة أيام حتى قطعوها بعدما كانوا أشرفوا على الهلاك وسوء الارتباك من شدة العطش وعظم الدهش واليوم الثالث بان لهم جبل عالى الآكام وكان هذا الجبل يبان من مسيرة ثلاثة أيام وكان يسمى جبل أبان فقال لهم الدليل جدوا فى المسير لعلنا نصل إلى هذا الجبل فأجابوه وجدوا فى المسير طول ذلك النهار حتى وصلوا إليه وقت المساء ونزلوا على غدير ماء فى لحف ذلك الجبل فأسقوا خيلهم وشربوا وأكلوا شيأ من الزاد وأراد عنتر بن شداد أن يحرسهم تلك الليلة فما مكنه عروة بن الورد من ذلك الحال وتقدم إلى عنتر وقال له وحق ذمة العرب لا أمكنك من هذا الأمر لأن لك ليالى كثيرة تحرسنا فنم أنت الليلة وأنا ورجالى نحرس القوم فأجابه عنتر إلى ما طلب فأخذ عروة من رجاله خمسة أبطال ودار تلك الليلة حول المال والنوق والجمال وكانوا أطلقوا خيلهم ترعى فى ذلك البر والمرعى فما زال عروة ورجاله حول المال دائرين حتى تنصف الليل وجاء وقت السحر فأتوا إلى تل عال أشرفوا منه على المال والنوق والجمال وجلسوا فى ذلك المكان وأخذوا فى الحديث والكلام فهب عليهم الهواء فناموا كلهم معا كأنهم قتلى مافيهم من أفاق حتى طلع الصباح بالإشراق فأقاموا وقد انذهلوا فافتقدوا خيلهم فما نظروا منها قليلا ولا كثيرا فامتزج عروة بن الورد بالغيظ والغضب وقال والله لقد افتضحنا عند سائر قبائل العرب فبينما هم يلوم بعضهم البعض وإذا بعنتر أقبل عليهم من تلك الأرض وسألهم عن الخبر فحكوا له عن ضيعان الخيل فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلاما وقال لعروة لأى شىء هذه الفعال ياأبا الأبيض كيف تنام أنت ورجالك حتى بلغت الأعداء منا المراد فى هذه الأرض والمهاد فقال عروة وقد استحى من عنتر والله

يا أبا الفوارس لقد درنا فى هذا البر الأقفر حتى جاء وقت السحر وقلنا إن هذه الأرض لا يأتى إليها أحد وما حسبنا هذا الحساب لهذا النكد ثم إن عروة أطرق رأسه إلى الأرض من شدة حيائه من عنتر فقال عنتر والله إن فراق روحى عندى أهون من فراق جوادى الابجر ولكن ما أكون عنتر ولا من ظهر شداد إذا لم ألحق الذى فعل بنا هذه الفعال وأجعله مثلا يضرب به بين النساء والرجال ثم إن عنتر أمر رجال عروة بن الورد أن يتفرقوا فى تلك البرارى والتلال يمينا وشمالا لعلهم أن يقفوا للخيل على خبر أو على جلية أثر فأجابوه إلى ما أمر وتفرقت رجال عروة مثل ما امرهم عنتر وغابوا ساعتين من النهار حتى حمى الحر واشتد هجير البر فعاد الكل إلى قدام عنتر وما فيهم أحد وقع للخيل على خبر فحكوا لعنتر أنهم ما رأوا للخيل خبر فقال عنتر أما رأيتم لهم أثر قالوا بل رأينا أثر حوافر الخيل معاودة إلى ناحيه أرض العراق قال عنتر نعم خيلنا ما راحت أرض الحيرة لأن الذين فعلوا معنا الفعال ما هم إلا تابعون أثرنا من أرض العراق إلى هذه الاراضى والآفاق ثم أن عنتر التفت إلى أخيه جرير وقال له ويلك يا ابن الأم سر وأتنى بشىء عليه أركب ولو أنك تسرق لى جوادْ من بعض أحياء العرب لأن شيبوبا ما كان حاضرا إذ ذاك مع أخيه عنتر لأن عنتر قد أرسله مع بنى عبس لأجل حفظ عبلة وإلا فما كان جرى عليهم شىء من هذه النوائب والكروب لو كان حاضرا أخوه شيبوب فأراد جرير أن يسير إلى ما أمره أخوه عنتر وإذا هو ينظر إلى الابجر وهو مقبل كأنه الطير الطائر أو النمر النافر وقد أقلق الأرض بالصهيل كأنه ناقة ضل عنها الفصيل فلما نظر عنتر إلى جواده الابجر فرح واستبشر وقال جاء جوادى فاليوم ألحق على ظهره الاعادى ثم إن عنتر ركب على جواده وقد بردت النار من فؤاده والتفت إلى عروة ورجاله وقال لها تبغى يا أبا الأبيض أنت ورجالك واركبوا على هذه النوق والجمال حتى

ورجاله وقال لها تبغى يا أبا الأبيض أنت ورجالك واركبوا على هذه النوق والجمال حتى

أسير أنا بين هذه الروابى والتلال ثم أن عنتر ساق جواده على الأثر فى ذلك البر الأقفر حتى تنصف النهار وحمى الحر واشتد هجير البر فأراد عنتر أن ينزل عن ظهر جواده الأبجر ويدعه يستريح من التعب من كثرة ما قاسى من النصب وإذا هو يرى رجلا مقبلا بين تلك الجبال والاودية والتلال وهو يركض كأنه غزال وأياديه مكتوفات إلى ورائه وفى رقبته حبل طويل يسحبه فى البر الفلاة ومن خلف ذلك الرجل عشرون فارسا يطردونه وقد تقطعت خيلهم فى الطرد من ثقل الرمال فلما نظر عنتر إلى ذلك الحال تأمل فى ذلك الرجل الذى حلت به الكروب وإذا به أخوه شيبوب فصاح أن عرف عنتر أخاه شيبوبا ووثب من الأرض إلى ظهر جواده وكان شيبوب عرف أخاه عنتر فصاح شيبوبا بأعلى صوته ويلك يا ابن السوداء خلصنى من هذه النوائب والكروب فأنا أخوك شيبوب هذا وقد ركض عنتر على ظهر جواده الابجر وتلقى أخاه شيبوبا فقطع الكتاف من يديه وأزال الحبل من رقبته وكتفه وقال له ويلك

يا أبا رياح وأى شىء الذى جرى لك حتى صار هذا الحال حالك هل أحد سباكم من العرب وبلاكم بهذه النوائب قال شيبوب ما أحكى لك ما جرى حتى تقتل هؤلاء الفرسان الذين يطردونى فى هذا البر والقيعان من أول هذا النهار فلما سمع عنتر كلام أخيه التقى العشرين فارسا كما تتلقى الأرض العطشانة أوائل المطر وطعن الأول فى صدره فاطلع الرمح يلمع من خلف ظهره فجندله ورماه والثانى أعدمه الحياة والثالث ألحقه برفقاه والرابع ترك رأسه بحذاه والخامس ترك من الحياة آيس والسادس جعل رأسه ناكس والسابع تركه فى التراب واقع وما كانت غير ساعة من النهار حتى قتل من العشرين ستة عشر بطلا والأربعة هربوا على خيلهم قدام عنتر وهم ينادون لعن الله أبا قصتك وقبحة رؤيتك ما أشد ضرباتك وما أنفذ طعناتك وما أصعب حملاتك هذا وعنتر ما تبعهم بل تعلق قلبه باخيه شيبوب ونزل عن ظهر جواده الابجر فى تلك البرارى والبطاح وقال له ويلك يا أبا رياح أحك لى ما جرى لك حتى وقعت مع هؤلاء العسكر اليسير وجرى عليك هذا الأمر العسير قال شيبوب ما أقول حتى تحكى لى أنت ما الذى أتى بك من أرض العراق إلى هذه الأرض وأنت وحدك بلا رفاق فقال عنتر بلى يا أخى معى عروة بن الورد ورجاله ولكن يا شيبوب انسرقت خيلنا منا وأصبحنا فى هذا الارض رجالة وابتدأ عنتر يحكى لأخيه شيبوب جميع ما جرى وقت أن كان عند الملك النعمان وما أعطاه من المال وكيف عادوا طالبين الارض والاطلال وكيف تولى عروة بن الورد الحرس فى جبل أبان وأصبحنا ما رأينا من خيلنا قليلا ولا كثير فى هذه الكثبان ثم قال له عنتر وقد التقيت جوادى فركبته وركضت على أثر الخيل فوقعت فى هذا المكان وخلصتك من الأسر والهوان فلما سمع شيبوب كلام أخيه عنتر تعجب من هذا الامر الذى جرى غاية العجب وقال والله يا ابن الأم إن سرقة خيلكم كانت السبب لسلامتى وسلامة الحارث بن الملك زهير لأن الذين سرقوا خيلكم كانوا أربعين سلالا من سلالين العرب والمقدم عليهم محنة العرب والذى لا يطبق فى الحرب والتلاق يقال له أويس بن السعلا وأنا والله يا أخى اعرف الخلق به من دون الملا (قال الاصمعى) وقبل ما أذكر لكم أمر شيبوب والحارث ووقوعهم فى بنى زهران وقدومهم إلى ذلك المكان أذكر سبب سرقة خيل عنتر ومن معه من الفرسان فاقول قد كان السبب فى ذلك أن عنتر لما طلع من عند الملك النعمان طالبا أرض بنى عبس وعدنان ومعه تلك الأموال التى لا تعد ولا تحصى نظر اليه ذلك السلال أويس ابن السعلاء وكان أويس بن السعلاء جبار لا يصطلى له بنار آفة من الآفات وبلية من البليات يقاتل فارسا وراجل وإذا ركض على قدميه يسبق الخيل الصواهل وأنه لما نظر إلى تلك الأموال السائرة مع عنتر أخذه الطمع وكانت رجاله أربعين سلالا والعكل يقاربونه فى العبارة والمكر والدهاء والشطارة فأقبل عليهم وقال دعونا نخاطر من عنتر ونتبعه من

وراء إلى وراء فى هذه البيداء والصحر لأن الطريق قدامه بعيدة وهى صعبة شديدة فلا بد أنه ليلة من الليالى يغفل أو ينام فنأخذ منه بعض هذه الأموال فأجابه رجاله إلى ما أمر فى الحال ثم إنهم أتبعوا عنتر ومن معه من الرجال ولم يزالوا تابعين منه الآثار ويقطعون البرارى والقفار وكل ليلة يرون عنتر دائراً على حرسهم فتمنعهم هيبة عنتر من الهجوم عليهم وما زالوا تابعين لعنتر حتى وصل إلى ذلك الجبل وتولى عروة تلك الليلة الحرس وكان أويس بن السعلاء فى تلك الليلة قال للسلالين الذين معه يا بنى العم واحد منكم يسير ويكشف لنا الأخبار فإن رأيتم لنا فرصة اغتنمناها وإلا فدعونا نرجع لأن أكثر من هذا الاجتهاد لا يتأتى من سائر السلالين فأشرف على عنتر ومن معه فوجدهم لأجل القضاء والقدر جميعاً نائمين ووجد خليهم قد تباعدت عنهم فى الصحراء وقد توسعت فى البر لأجل الماء والمرعى فعاد ذلك السلال وأعلم أويس بن السعلاء ومن معه من السلالين بما رأى فقال أويس الرأى الصواب أننا نقنع من هؤلاء القوم بخيلهم لا غير وإلا فإن أخذنا بعض هذه الجمال بما عليها من الأموال والأحمال يلحقنا عنتر ومن معه من الرجال وينزلوا بنا الهلاك والنكال فنكون خاطرنا معهم برؤسنا وضيعنا نفوسنا فأجابه السلالون إلى ما أرادوا وأقبلوا على خيام عنتر بن شداد ورأوا الخيل وهى ترعى وقد بعدت عن الخيام فى البر وهى تسعى فانقضوا عليها وركبوا بعضها وجدوا فى المسير تحت الليل والظلام من غير نكير وما زالوا يطلقون الأعنة حتى جاء وقت السحر من خوفهم أن يتبعهم عنتر ثم قال فلما كان وقت السحر إذا أنا أسمع هدير الأبجر وهو يركض فى عرض البر الأقفر فعرفت أنه جواد أبى الفوارس عنتر وقد اندهشت بنو زهران فأردت أن أكشف الخبر فوقفت وجذبت نفسى عمن كان قائداً زماميه ولطمته برجله فى بطنه فكاد أن يشرب كاس المنية وصرت أركض فى البر والفلا وافتقدتك على ظهر الأبجر لأجل أن تمدهم الحياة فركض خلفى هؤلاء السلالون على أظهر الخيل التى كانت معهم فما لحقوا منى سوى الغبار فعادوا عنى وهم خائفون على أنفسهم من الهلاك والدمار إلى أن تنصف عليهم النهار فأدركتهم فرسان بنى زهران فلما نظروا إلى تلك الأربعين سلالا عرفوا أنهم سلالون فصاحوا عليهم وحملوا فيهم وكان بنو زهران الذين معهم شيبوب والحارث أسارى خمسمائة فارس والسلالون أربعين فما كانت غير ساعة حتى قتلوا منهم ثلاثين وهربت العشرة مع أويس بن السعلاء قال الراوى وفى ذلك الوقت الذى جرى فيه على السلالين ما جرى هرب شيبوب من يد العبد الذى كان ماسكاله وما به درى لأن العبد الذى كان قائداً لشيبوب التهى بالفرجة على السلالين القادمين وكان ماسكا شيبوب بحبل من رقبته فجذب شيبوب نفسه من ذلك العبد وطلب الهرب فى البر والسبسب فأعلم العبد خيل بنى زهران بهروب شيبوب فأطلقت الخيل فى طلبه تطرده حتى التقى بأخيه عنتر وكان عنتر قد ملك جواده

الابجر فحمل على تلك الخيل وهى تطرد شيبوب فانزل بهم الهم والكروب وقتل ستة عشر فارسا من بنى زهران وخلص شيبوبا كما ذكرنا من ذلك الهوان وقال له ويلك يا أبا رياح أحكى لى الآن ما جرى لك أنت والحارث بن الملك زهير فى بنى زهران وأى شىء الذى صيرك أسيرا أنت وإياه فاشرح لى قصتك وأكشف لى عن حالتك حتى أجد فى خلاص الحارث فقال شيبوب لا يا أخى أنه لا يحتاج أنك تسير إليهم لأنهم لا بد أن يقطعوا الدكادك ويصلوا إلى هذا المكان من هنالك فتفعل فيهم ما تشتهى وتريد وتذيقهم العذاب والتنكيد بل الصواب أنك تنظر إلى عروة بن الورد ورجاله حتى يصلوا ويركبوا من هذه الخيل الشاردة الذى حصلت لنا وتستعينوا بها على الأعداء لأن الأربعة الذين هربوا من العشرين لا بد أن يصلوا إلى بنى زهران ويعلموهم بما فعلت فى أبطالهم والفرسان فلما سمع عنتر كلام أخيه شيبوب رآه صوابا ما فيه شىء يعاب هذا وشيبوب ابتدأ يحكى لأخيه عنتر عن سبب وقوعه ووقوع الحارث فى أسر بنى زهران وما جرى لهم من الشدائد والهوان قال الاصمعى وكان السبب فى ذلك ان بنى عبس لما رجعوا من قتال خداوندبن كسرى أنوشروان من جبال أجا وسلما إلى أرضهم وهى أرض الشربة والعلم السعدى وكانت هيبة بنى عبس وقعت فى قلوب سائر العربان فى ذلك الزمان من آل عدنان وقحطان وجذيمة وشيبان من أجل أنهم عادوا خداوندبن كسرى انوشروان والملك النعمان ومن معه من العربان وما قدروا عليهم فى الحرب والطعان فوقعت هيبتهم فى قلوب العربان وجميع من سلك البرارى والقيعان (قال الراوى) فاتفق من الامور والأحكام أن الحارث بن الملك زهير ركب يوما من بعض الأيام وطلب الصيد والقنص ومعه جماعة من بنى عبس فأبعدتهم عن أرض الشربة لانتهاز الفرص وصار يشق فى تلك الأراضى فى طلب الصيد شرقا وغربا حتى وصلوا إلى واد من أودية بنى عبس يقال له وادى النقا وكان ذلك الوادى مشبعا من دون الوديان لأن فيه مناهل كثيرة وغدران وكان هذا الوادى منزلا لبنى عبس من قديم الزمان ولكن ضاق عليهم فانتقلوا إلى أرض الشربة والعلم السعدى ولما وصل الحارث ومن معه من الأبطال إلى هذا الوادى شقوا فى نواحيه وكان عهد الحارث بهذا الوادى إنه ما فيه أحد من السكان فرأى ذلك اليوم فيه خداما وخياما ومضارب وقبى وقوضب وخيولا وجنائب وجمالا تسرح ومهارة تمرح فأنكر الحارث ذلك غاية الأنكار فسال بعض الرعيان عن ذلك المال فقالوا له يا مولاى نحن من بنى زهران قال الحارث ومن أنزلكم فى هذا المكان فقال له العبد يا مولاى ما أنزلنا فى هذا المكان إلا بأمر صاحبه الملك زهير بن جذيمة ملك بنى عبس وعدنان وفزارة وغطفان ومرة وذبيان لأننا طلبنا منه الأمان والذمام فأجارنا واعطانا الأمان والذمام فبينما الحارث ابن الملك زهير يتحدث مع ذلك العبد وهو يحاوبه وإذا بغزالة قد لاحت من قدامه

فهمز جواده وطلبها ففاتته فعاد عنها طالبا رفقته وإذا بفحل غزال أقرن قد طلع من قدامه فلحقه الحارث وبقي يكد في الجواد خلفه حتى لحقه فوصل الغزال إلى الغدير وإذا بجماعة من النسوان والبنات وهن حول الغدير يلعبان وإذا بفحل الغزال وصل إليهن ودخل تحت أذيال واحدة منهن كالمستجير وكانت تلك البنت بنت أميرهم وهم العرب الذين سأل الحارث العبد عنهم فقال نحن من بني زهران وكان أميرهم يسمى بكر بن المقدار الذي فاق بجوده على كل أحد وكان اسم البنت لبنى (قال الراوى) وكان لسبب رحيلهم من أرضهم ونزولهم في أرض بني عبس وعدنان هو أن هذا الأمير بكر بن المقداد كانت له هذه البنت التي نحن في حديثها وهي لبنى وكانت بديعة في الحسن والجمال والبها والكمال وكان كثر على أبيها الخطاب والطلاب فما أنعم أبوها لاحد منهم بزواجها وكان لها ابن عم يسمى جرير بن قادم وكان للابطال مصادم شجاع في ميدان الحرب صبور على البلاء والكرب إلا أنه كان قبيح الخلقة بشيع الصورة وكان خطبها من أبيها فلم ترض لبنى لانها كانت تبغضه من قبحه فقالت لأبيها متى انعمت على ابن عمي بزواجي فانا أقتل روحي لأن نفسي لا تقبله من قبح صورته فلما سمع أبوها مقالها رد ابن عمها خائب مما هو له طالب وجرى بينهم كلام وخصام ولأجل هذا رحلوا من أرضهم وقطعوا البراري والقيعان حتى انهم وصلوا إلى أرض بني عبس وعدنان واستجاروا بالملك زهير فاجارهم وأعطاهم الذمام والأمان وانزلهم في هذا المكان فكان هذا هو سبب نزولهم في تلك الأرض والقيعان (ونرجع) إلى الكلام الأول بعد الصلاة على نبينا المفضل ولما أتى الحارث خلف الغزال ورآه دخل تحت أذيال لبنى كالمستجير نظر الحارث إلى لبنى فرأى الغزال تحت أذيالها فتعجب من قدها واعتدالها وقال لها الحارث ياغزالة الوادي هاتي لنا صيدنا ولما نظرها الحارث نظرة أعقبته النظرة ألف وخمسمائة حسرة فقالت له لبنى ياابن السادات الكرام صيدك استجار في الحريم اتركه لنا لأنه طلب منا الذمام فلما رآها الحارث وهي تكلمه تحير وصار باهتا وقتلته بلين قوامها وحسن ابتسامها وكان هو أيضا جميل الصورة زائدا عليها فنظرته وهو واقف ينظر إليها فارتخت أعضاءها وزاد عشقها وبلاها واعقبتها النظرة ألف وخمسمائة حسرة وبقيت لبنى تتحدث مع البنات وتبتسم في وجه الحارث ويلوح البرق من بين ثناها وهي باهتة من شدة ما حل بها ودهاها وكثر شوقها ووجدها وقل صبرها وحارت في أمرها فعندها تأوهت من فؤادها وأشارت لبنى إلى الحارث ابن الملك زهير تناشده بهذه الأبيات صلوا على سيد السيادات

أن عيني صاح رمدا عن فتى   مربي يبغي من الصيد الظبا
وانثنى فاصطاد قلبي حسنه   ومضى فازداد قلبي لهبا

جاء يصطاد غزالا في الفلا صاد ظبيا آنسا عنه نبا
ظبيا لم تدر ما البؤس ولا رعت الشيخ باكناف الربا
قلت دع للصيد قد نلت المنى وبلغت السؤال ثم الأرباء
كنت اصطاد بغيتي الظبا مالقلبي صاده من لي سبا

(قال الأصمعي) فلما سمع الحارث من لبنى هذه الأبيات اشتعلت في قلبه النار وزادت ظفراته ومابقي له اصطبار وصار لايعرف من شدة العشق والهوى أنه كان هو في أرض أوفي سماء ومن شدة ماجرى عليه أشار إلى لبنى يناشدها بهذه الأبيات يقول صلوا على الرسول :

انظر إن شمس القصور وبدرها وإلى جمالها وبهجة زهرها
وإن تلق عينك أبيض في أسود جمع الجمال فوجهها مع شعرها
وبحمرة الوجنات يخبر حسنها عن طرفها أن لا تحيط بخيرها
وتمايلت فقضيت من أردافها عجبا ولكن قد بكيت لخصرها

(قال الأصمعي) ثم أن الحارث بن الملك زهير رجع إلى ورائه وحب لبنى قد تمكن في أعضائه فتكاسل في مشيه وقلت همته ولا برح سائرا حتى وصل إلى رفقته فلما نظرت أصحابه إلى حالته أنكروا أمره وعجبوا من قصته وقالوا له ما بالك يا حارث قد كنت الساعة في الصيد فرحان كالأسد الغضبان وتراك في هذا الوقت قد عدت وأنت فاتر كسلان فقال لهم والله يا بني العم قد اختبط جسدي من كثرة الشوق في هذه الأرض والبيداء وأنا الساعة أريد أن أرجع إلى الأحياء ثم أنه بعد ذلك سار طالبا الحي والديار وهو طائش العقل ذاهل اللب مما أخذه من الوجد والحب فلما وصل إلى قرب خيام بني عبس صار يلتفت إلى ناحية خيام بني زهران وينهل كاسات الغرام والهيمان وينشد ويقول صلوا على طه الرسول.

سلامي على الوادي ومن حل دونه فقد حملوني فوق ما أنا حامله
مررت به أبغي من الصيد ظبية فعدت وقد صارت فؤادي حبائله
وخليت قلبي عند سكان أرضه وجسمي على نار الهوى ومراحله
فإن يك جسمي قد مضى نحو أهله فإن فؤادي عندكم وبلابله

(وقال الأصمعي) ثم أن الحارث لم يزل سائرا حتى وصل للخيام ودخل إلى مكانه وبات تلك الليلة وقد زادت لوعته وكثرت حسرته فوصل خبره إلى أمه وأخوته فأتوا إليه وسلوه عن حالته فقالت له أمه تمارز وقد تألمت لوجيعه ياولدي ما الذي أصابك حتى صرت في هذا الحال دون أصحابك فقال لها الحارث ياأماه أعضائي بها وهن وقد تغير مني البدن وأنا مكرب ولا يعلم بحالتي سوى علام الغيوب فمضت أمه من عنده مع أخوته

وما بقى عنده أحد فأرسل الحارث خلف دايته وكانت تحبه محبة عظيمة دون أخوته وكان الحارث يأمن إليها دون رفقه فى كل أموره ومصلحته فأتت إليه وسلمت عليه وقالت له ولدى مالى هكذا أراك جلعنى الله من السوء فداك فاعلمها الحارث بأمره وأمرها أن تكتم خبره ولا تبوح بسره وقال لها اعلمى ياخالة أن إباحة السر ردية أولها هتيكة أحبابه والثانية شماتة أعدائه وحساده وبعد هذا كله فانى أخاف من أبى لأنه إن أعلم بما حل بى يقول لى لم تعرضت إلى جيرانى ويمنعنى عن ذلك وينهانى ثم أنه بعد ذلك كشف لها عن حالته واطلعها على قصته فلما سمعت الداية مقالته أوعدته أنها تساعده على بلوته وتزيل عنه غصته فقال لها الحارث أريد منك ياخالة أنك تمضى إليها فى زى زائرة وتبصرى أن كان قلبها مثل مانى قلبى لأنها قد ملكت عقلى ولبى وعرفى أباها ومن يملك رأيها أنى رأيتها تتنهد وتتحسر بعد مسيرى عنها وأريد منك أن تعلميها بما عندى من الهوى وإن كان حالها مثل حالى فعديها أنها تخرج إلى الغدير ويكون ذلك وقت تعينه لك حتى أنى إليها أسير وأقصدها واجتمع أنا وإياها لأن قلبى يحبها ويهواها فلما سمعت الداية كلام الحارث أجابته بالسمع والطاعة وقالت ها أنا سائرة إليها من هذه الساعة وما أجىء من عندها حتى أدبر الرأى على اجتماعك بها (قال الراوى) وكانت هذه الداية فى القيادة لها رأى عظيم ثم أنها سارت طالبة وادى النقا ولم يأخذها من ذلك تعب ولا شقا فلما وصلت إلى الوادى ونظرت إلى خيام بنى زهران دخلت عند النسوان وأظهرت لهن أنها زائرة لذلك المكان ولم تزل تفعل الحيل حتى أنها اختلت بالجارية لبنى وتحدثت معها وبخبر الحارث بن الملك أعلمتها فلما سمعت لبنى بذكر الحارث تنهدت وتحسرت وقالت لها وحق من يقول للشىء كن فيكون أنى البارحة ماغمضت لى من أجله عيون وزادبى الشوق إليه وبقيت حائرة فيمن يوصل خبرى إليه لأنى قد قل صبرى وحرت فى أمرى والآن قد انفرج الهم عنى بحضورك عندى ولا بقيت أعرف اجتماعى إلا منك فلما سمعت الداية مقالها علمت بأن حب الحارث قد غير احوالها فقالت لها ما بقى فى الأمر إلا أنك تطلعى الليلة عند الغدير حتى آتيك به وتجتمعى معه زمنا يسير فلما سمعت لبنى هذا الكلام قالت لها السمع والطاعة وإنى ليلة غد أكون على الغدير ولا أخاف من كبير ولا صغير هذا والداية لما سمعت كلام لبنى ودعتها وعادت طالبة الحارث إلى أن وصلت إليه فابصرته على مقال النار هو قاعد لها فى الانتظار فتقدمت إليه وأخبرته بجميع ما صار لها من الشوق والغرام فلما سمع الحارث من الداية هذا الكلام أيقن بالوصال والتئام الأحوال وأقام ذلك اليوم للمساء ولما كان آخر النهار أخذ الداية معه وطلب معها النقا لعله يفوز باللقا وأشار بهذه الأبيات ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

وسرنا نريد الصيد فى البر والربا ... أصبنا الطلا والعين والقلب فى مرح
طردنا الظبا فى ساحة البر ضحوة ... قد طاب منا القلب والخاطر انشرح
وقد عن لى لحل عتيق من الظبا ... فاكربته فى البر طرا وقد سرح
إلا أن أتى ذات الجنادل لاعبا ... بذعر صبا نحو البنات وقد رمح
والتى بنفس لا أنزل عزيزة ... إلى نحو لبنى والفؤاد قد انشرح
ووافته فى حضن لبنى وقد غزت ... تحب جواد أو العسير قد انصلح
فعاينت منها قائمة شبه بانة ... تخلى كبدر التم والحسن قد وضح
وأنفاً كطرف السيف والثغر باسم ... وأثرا فى الأحشاء والقلب فانجرح
بعنق كعنق الريم والصدر مرمر ... ونهدين كالرمان فى الصدر قد طرح
وخصر رقيق ثم ساق مدملج ... وردف ثقيل مهجة الصب قد قرح
فياحب لبنى قد جرحت حشاشتى ... وقد حرت فى امرى وصبرى قد برح
وليتنى ما جئت نحو غديرهم ... وكان جوادى عن منازلهم جمح

(قال الراوى) ثم أن الحارث بعد هذه الأبيات لم يزل سائرا حتى أنه وصل للغدير و لمن هو والداية تحت شجر الأراك حتى أمسى المساء هذا ما كان للحارث بن الملك زهير هو والداية وأما ما كان للبنى فانها صبرت إلى وقت المساء وأخذت جاريتها معها وطلبت الغدير كأنها تشم الهواء فلما وصلت للغدير وجدت العجوز والحارث من أجلها على مقالى النار وقد عدم الاصطبار فلما نظرت لبنى إلى روحها فضمها إلى صدره وجعل يقبلها فى فمها وهى تقبله وما زالا على ذلك الحال حتى بردت من قلوبها نيران الوجد والاشتعال وبعد ذلك أخذوا فى الحديث والشكوى وتشاكوا من ألم الهوى وافترقوا بعلة ما لها غير الوصال دوى ثم أن لبنى حكت للحارث قصة ابن عمها جرير بن قادم وما جرى لها من الاخبار وسبب رحيلهم من أرضهم والديار ثم إنها بعد ذلك الكلام قالت له وحق ذمة العرب الكرام لقد سلوت بحبك الديار والاوطان وما بقى لى عنك صبر ولا سلوان قال الحارث وأنا كذلك يا بدر التمام (قال الراوى) فما تفرقوا من ذلك المقام حتى تعاهدوا وجددوا الاقسام بأن لا يملك أحدهما نفسه إلى غير صاحبه من الانام وصار لهم ذلك المكان معبدا فى كل وقت يجتمعون فيه وهما فى عيشة هنية مدة زمانية كل هذا وما جرى بينهم فاحشة ابدا بل إنما هى محبة لعب ومزاح لا محبة نكاح إلى أن كان يوم من بعض الأيام ركب الحارث بن الملك زهير جواده وسار طالبا وادى النقا ليزيل ما به من الهموم والشقا ولما وصل للوادى ولم يجد للقوم خبر ولا جلية أثر قلق لذلك وتحير واسود فى عينيه ذلك البر الاقفر ووقف حائرا على ظهر جواده وقد اشتعلت النار فى فؤاده وبكى بكاء شديدا ما عليه

من مزيد وأشار يسأل الربع والدار عما جرى على أهليها وما عليهم وأشار بهذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

مالى أرى دارا تنكر أهلها وتغيرت جنباتها والوادى
يا ويلها عن بعد فقد أحبتى فلمن أسائل ربعها وأنادى
والبين والتفريق أقلق مهجتى ورمى سهام البعد وسط فؤادى
لما وقفت على المنازل بعدهم ادعوهمو ولهم أكون منادى
إنى أنوح بعبرة مصفرة من أجل سادات مضوا بوسادى
ما صابهم إلا عيون حواسد نالوا مناهم منهمو وأعادى
يا ويح دهرى فيهمو لما رموا بالنبل عن قوس أصاب فؤادى
قد أصبحت أوطانهم قفراً ولا فيها أنيس غير ذاك النادى

قال الأصمعى ثم أن الحارث عاد إلى حى بنى عبس وما وجد له راحة فأرسل خلف دايته وأعلمها بما هو فيه من بليته فلما سمعت الداية كلامه قالت ياولدى لاشك أن القوم رحلوا إلى أرضهم وديارهم فاسمع منى واترك عنك هذه الأحوال وإلا حل بك الهلاك والوبال خفر بما أنه يقضى بك ذلك إلى العدم وتقدم حيث لاينفعك الندم فلما سمع الحارث كلام دايته بكى بكاء أشديداً ماعليه من مزيد وقال لها ياداية وحق ذمة العرب وأنا ما أقدر أن أصبر على فراق لبنى ولا ساعة واحدة وأشار إليها ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

إنى ليقلقنى شوق وتذكر لما حدا بهم الحادى وقد ساروا
وخلفونى وحيدا بعد بعدهمو وهتكت لبعاد القوم أستار
ساروا وفى القلب منهم لوعة أسى وأضرمت فى الحشاء من خبهم نار
فعدت من بعدهم أبكيهمو أسفا ودمع عينى على الخدين مدرار
كم قلت من فرط شوقى نحوهم أسفاً يا دار بالله أين الحب يا دار
هذى منازلهم تشكو البعاد لهم وإنما حكمت بالبعد أقدار
كانوا بأطيب عيش فى منازلهم واليوم ما منهموا فى الدار ديار
يا دار أنى حزين القلب بعدهمو قد أضرمت فى الحشى من بعدهم نار
وفارقونى وقد ضاقت لغيبتهم على يا سادات مدن وأقطار
يا فجعت يابين البين كم فتت من كبد يوم الفراق وكم قد بان أستار
أفجعت يا بين قلبى بالفراق فلا بلغت يابين ما تهوى وتختار
يا وحشتى منهمو يا فجعتى لهمو فكم قضى فى الهوى بالوصل أوطار
كانوا لعينى شموسا أستضىء بهم وفى الظلام همو والله أقمار

وأراهم الدهر عن عيني فواحزني ... يالتهمو أيقظوني عندما ساروا
بقلب صبرا على بلوى الغرام عسى ... يأتي اليك من الأحباب أخبار
إن كانقد رحلوا عن خاطري فلقد ... أمسوا وهم في سوار القلب حضار

قال (الاصمعي) وكان السبب في رحيل لبنى وأبيها وقومها بني زهران من ذلك المكان له الكلام عجيب وامر مطرب غريب وهو أنه أتاهم رسول من عند ملكهم وكان ملكا عظيما صاحب حرمة وكلمة يقال له الاشعب بن ضرمه وهو صاحب أرض البيضا ووادي النضا لأنه ما كان علم برحيل أبي لبنى إلا بعد ما قطع الأراضي فصبر مدة أيام حتى علم أنه نازل في أرض بني عبس وعدنان ولما علم أنه مقيم في ذلك المكان أنفذ اليه رسولا يقول له انا من الأول ما علمت بسبب رحيلكم وتحويلكم وإلا فما كنت تركتكم تتغربون عن أهلكم ولا تبعدون عن أرضكم وبعد ذلك لما علمت بأن المعتدي عليكم ابن عمكم جرير بن قادم غضبت عليه من أجلكم وأوقعت فيه الخسارة وضيقت عليه وحبسته في مغارة وما بقيت أطلقه إلا ان كنتم تجيئون اليه وتطلقوه بأيديكم وأريد منكم أنكم تعودون إلى الأوطان قبل أن يتصل نسبكم في بني عبس وعدنان فلما وصلت هذه الرسل إلى أبي لبنى بردت حرارة ناره وقل شره وفرح بالعودة إلى دياره لانه كان بلغه ما جرى لابنته مع الحارث بن الملك إلى زهير فرحل من وقته وساعته فيمن معه من قومه وعشيرته قال الراوي فلما حقق الحارث الامر وصح عنده رحيل القوم حلت به السكروب وكاد من الفراق أن يذوب وقال في نفسه لو كان عنتر حاضرا كان يساعدني ويسعى في قضاء حاجتي ولكن ما بقي في الأمر إلا أني أرسل خلفه أخيه شيبوب وأعلمه بما حل بي من الهموم والسكروب لأنه لمثل هذه الاشياء دروب ثم أن الحارث من وقته وساعته أرسل خلف شيبوب أخي عنتر فلم تسكن غير ساعة حتى أنه حضر وحكى له جميع ما جرى له مع لبنى وكثرة أشواقه إليها فلما سمع شيبوب كلام الحارث قال له وما الذي تريد يا مولاي من الفعال علمني بما عندك من المقال حتى أني أساعدك بروحي ونفسي وأنوب في هذه المرة عن أخي عنتر العبسي فلما سمع الحارث مقاله أيقن باصلاح حاله وقال أريدك يا شيبوب أن تسير معي إلى ديار المحبوب فلعلي أن أنال المطلوب وتنفرج عن قلبي هذه الهموم والسكروب فلما سمع شيبوب من الحارث بن الملك زهير ذلك المقال قال له يا مولاي يجب عليك أن تخفي أحوالك وتدبر أمرك ولا تطلع أحد على سرك لئلا يحدث شيء يضرني ويضرك قال الحارث لقد قلت الصواب إلا أن أبي لو علم بهذه الامور والأسباب كان يقبض علينا ويعيقنا عن المسير والذهاب ثم أنهم صبروا حتى أقبل الليل بالظلام وأخذوا اهبتهم للمسير وقطع البراري والآكام ولبس الحارث بن الملك زهير عدته واعتقل برمحه وتقلد بصمصامته وكذلك فعل

شيبوب مثل فعلته وتنكب بقوسه وكنانته ثم أنهم طلعوا من الخيام عندما اعتكر الليل بالظلام وجعلوا يقطعون البراري والكثبان وهم طالبون ديار بني زهران هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملك زهير فإنه لما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح افتقد ولده الحارث فما وجد له خبر فزاد همه وغمه لغيبة ولده وصار في كروب وكذلك جرى على زبيبة أم شيبوب وغدت حائرة في أمرها وتمكر فكرها وأما الداية فما لقيت لها أوفق من السكوت لأنها خافت أن تقول للملك زهير فيقول لها لأي شيء ما أعلمتيني بمسيره ويقتلها فسكتت حتى تبصر كيف ينفصل الحال هذا ما كان لهؤلاء (وأما ما كان) من الحارث وشيبوب فإنهم لم يزالوا سائرين يقطعون البر والقيعان حتى أنهم قربوا من أرض بني زهران. فأقبل شيبوب على الحارث وقال له يا مولاي أكمن أنت في هذا المكان حتى أسير أنا وآتيك بالأخبار وأبصر ما جرى وصار ثم أن شيبوب أخذ اسم الجارية من الحارث وصفاتها حتى أنه يسأل عنها وعن أبياتها وسار طالبا حال بني زهران التي في تلك الكثبان وهو كأنه من بعض فقراء العرب حتى يكشف الأمر والسبب هذا وقد لف عمامة على رأسه وأفلج رجله اليمنى وعور عينه الشمال وكتع يديه وانعوج وانفلج حتى بقي عبرة لمن يراه ولم يزل سائرا حتى وصل المراعي واختلط مع الرعيان فأحسنوا إليه وأكرموا مثواه وقالوا له من أي العرب ومن أين وارد فقال لهم شيبوب أنا من بني عطارد ثم أنه لم يزل شيبوب عندهم حتى اعتكر الليل بالظلام وهو يتحدث معهم بزخارف الكذب والمحال إلى أن وصل الخيام ولما أن صار في خيام بني زهران سار يدور بين البيوت ويسأل عن مضارب بكر بن المعتمد بعض الاماء كأنه يستطعمهم القوت فدلوه عليها فسار حتى وصل إليها ووقف على باب الخيام في صفة سائل ولب قوت النفس فخرجت إليه جارية لبنى ومعها لقمة خبز وقالت خذ يا فقير وأدعى لصاحبة هذا البيت أن يجمع الله شملها بالأحباب فلعل دعاك مستجاب فلما سمع شيبوب مقالها أخذ الخبز من يدها والخبر من فمها وقال لها يا بنت الاحرار هل أنتم أغراب أم من أهل هذه الأرض والديار فقالت لا والله ما نحن غرب بل من هذه الأرض والديار ونحن من بني زهران لكن ستي لها أليف في بني عبس وعدنان وهي من شدة شوقها إليه لا تلتذ بشراب ولا طعام فلما سمع شيبوب مقالها وبانت له أحوالها قال لها شيبوب والله أن حديثك عجب ويجب أن يؤرخ ويكتب بماء الفضة والذهب وأن الله لدعائك قد استجاب وقد جمع الله شمل ستك بالاحباب لأني أنا عبد الحارث بن الملك زهير وقد أتى معي وهو على نفسه أحذر من الطير لأنه قد خاطر بنفسه إلى هذه الارض والديار مما حل به من الافتكار ثم أن شيبوب أخبرها بقصته وما جرى له من المقاساة ووجده ولوعته فلما سمع الجارية من شيبوب ذلك المقال بكت رحمة لستها لبنى ثم دخلت على مولاتها لبنى وأعلمتها بقدوم الحارث بن

الملك زهير المفضال وما سمعت من شيبوب عنه من المقال وأنه أتى من أجلها تلك الأرض والأطلال فلما سمعت لبنى من جاريتها ذلك الكلام وثبت لبنى على الاقدام وخرجت إلى شيبوب وقد زاد بها العشق والغرام وسلمت عليه وحيته وقالت له وحق ذمة العرب الكرام ما أتى سيدك إلا وقت الحاجة إليه لانني فى هذين اليومين أيقنت بحضور المنية لأن الخيتعوش بن الاشعث كان يريد أن يدخل على وقد زوجنى أبى به وأنا والله ما أحبه ولا أطلبه ولا أريد الا مولاك الحارث وأطلب قربه (قال الأصمعى) وكان سبب زواج لبنى للخيتعوش أمر امن الأمور وذلك أن أبا لبنى لما عاد من أرض بنى عبس إلى أرضه رأى أخاه جرير بن قادم محبوسا عند الملك الاشعث فى مغارة فقال له الملك الأشعث خذ بن أخيك فقد جعلت أمره إليك إن أردت قتله فاقتله وإن أردت اعتاقه قال أبو لبنى لا يا ملك أطلقه ودعه يمضى عنا الآن قتله ما يهون على لأنه ابن أخى فعند ذلك أطلقه الملك الاشعث بعد ما أيقن بالهلاك وسوء الارتباك ولما جرت هذه الأمور خطب الاشعث لبنى إلى الخيتعوس وقال لأبيها إذا زوجت بنتك بولدى وصار اسمه عليها انقطع طمع ابن عمها منها ولا يقدر أن يذكرها بشفة ولا لسان فلما سمع أبو لبنى لهذا المقال فرح بذلك الحال وأجاب من غير مطال وزوجه بها من غير خلاف وقبض المهر من غير مخاف وما بقى فى تلك الأيام إلا الزفاف ثم أتى شيبوب والحارث إلى تلك الديار وجرى ما جرى من الأخبار إلا أن لبنى لما علمت أن الحارث أتى بسببها فرحت وطاب قلبها ثم أنها عادت إلى خباها بعد ما أمرت شيبوب أنه يسلناها ثم أنها أقامت حتى أعتكر الليل بالظلام وهجع كل من فى الخيام ونام بعد ذلك خرجت إلى شيبوب وقد حن قلبها إلى لقاء المحبوب ومعها ناقة وهى تمشى خلفها وقد حملت عليها فى ذلك المضرب كل شىء لها ثم قالت لشيبوب خذ هذه الناقة وسر بنا إلى عند مولاك واحترس من أحد يراك فعندها سار شيبوب ولبنى من ورائه وهى ترجف من شدة خوفها وفزعها وشيبوب قد فرح بقضاء حاجة الحارث ولم يزل سائراً وهو من الفرح مشروح حتى وصل إلى عند الحارث وقال له قم يا مولاى قد بلغت السؤال والمنى فهذا الحبيب منك قد دنا فلما نظرت لبنى للحارث رجف قلبها من شدة عشقها ومحبتها ومن عظم وجدها وأشارت ترحب الحارث فى هذين البيتين وهى تنشد وتقول صلوا على طه الرسول :

لو علمنا بجيئكم لفرشنا ... مهج القلب أو سواد العيون
وفرشنا خدودنا ومدينا ... فيكون المسير فوق الجفون

(قال الأصمعى) فلما فرغت لبنى من هذا الكلام وقعت على الحارث بن الملك زهير فوق صدره وجعلت تقبله فى عارضه ونحره ولما رآها الحارث كادت روحه أن تفارقه ثم إنه جعل يقبلها

ويبكي وهي تقبله وإليه تشتكي فقال شيبوب ويلكم ماهذا وقت بوس ولا عتاب قوموا بنا نطلب الهرب والذهاب من قبل أن يأتينا سبب من الأسباب قالت لبنى صدقت ياشيبوب في كلامك وأقبلت على الحارث وقالت له يامنية القلب والفؤاد أهل أنت لأجلي قد تغربت في هذه الأرض والمهاد وحق ذمة العرب لو كنت أنا عرفت طريق دياركم ما كنت أحوجتك إلى عناء ولا تعب بل كنت أنا سرت إلى عندكم خادمة لكم ثم أنها ركبت ظهر الناقة وأخذ شيبوب بزمام ناقتها وركب الحارث جواده وقد بلغ من أخذها مراده وساروا يقطعون البراري والقفار تحت الليل وظلام الاعتكار هذا ما كان لهؤلاء (وأما ما كان) من أهل لبنى فانهم لما افتقدوها عند الصباح وما وجدها صعب على بني زهران وصاح الاشعث بن عباد في فرسان بني زهران فركبت الأبطال وتحضرت الفرسان وتفرقوا في جميع البراري والقيعان وأما بعلها الخيتعوش فكاد أن يهلك من هذه الأمور وركب في خمسمائة فارس للحديد لوابس ثم أنه سأل أبا لبنى عن ذلك الحال فقال والله يا مولاي ما أصاب بنتي سبب من هذه الأسباب في بني زهران إلا أن يكون في أرض بني عبس وعدنان لأني سمعت عند عودتي بأن الحارث بن الملك زهير قد تولع بابنتي وأنها قد أحبته وهو الذي أحوجني أن أعود بها سريعا من حيرته فلما سمع الخيتعوش من أبي لبنى هذا الكلام صار الضيا في عينيه ظلام وقل منه الإحتيال وقال وحق ذمة العرب الأبطال لالحقتها ولو وصلت إلى بني عبس واقتل الحارث وبني عبس اجمع وما أترك منهم من ينطق ولا من يسمع ثم أنه فرق الخيل التي معه في جميع الأقطار وسار هو فيمن بقي على الآثار هذا ما كان لهؤلاء من هذا الأمر الحادث وأما ما كان من لبنى وشيبوب والحارث فإنهم ساروا تحت أستار الظلام حتى بدا الصبح بالابتسام وأصبحوا في مرج يقال له مرج الظبي وجبل ويقال له جبل السنام وكان هذا الجبل شامخا في الأرض والأقطار وهو ما يعلم راسخ الأحجار لا يقدر أحد أن يسلكه إلا من طريق واحد لأنه كان عظيم الأخطار ولأجل ذلك كان طريقه انقطع من السفار ولما وصل شيبوب والحارث إليه ومعهم لبنى عولوا على النزول في بعض نواحيه فبينماهم كذلك وقد أيقنوا ببلوغ المأمول وإذا قد ظهر عليهم من ذروة ذلك الجبال عشرة عبيد كأنهم فحول الجمال وفي أيديهم الحجف والنصول العوال وفي أوائلهم عبد كأنه غول وهو عظيم العرض والطول وهو يهدر وهديره قد دوت منه البراري والفلاه والعبيد تتجارى من وراه (قال الراوي) وكان هؤلاء العبيد قد اتخذوا ذلك المكان لهم سكنا وحمى وهم فيه دائما يسفكون الدما ويقطعون الطريق على تجار العرب وكانوا إذا طلبهم أحد يتعلقون في ذلك الجبل وما كان له غيره طريق وكل من تبعهم حلوه من البلاء ما لا يطيق وكان لهم في ذلك المكان كهف عظيم المرام وواسع لا يرام وكان القاعد فيه ينظر الشيء من مسيرة ثلاثة

أيام وكان المقدم على هؤلاء العشرة عبيد عبد يسمى عابس بن عابس وكان بطلا من الأبطال الانا جيب لا يحارب به محارب ولا ينجو من قدامه هارب وكان فى صبيحة ذلك اليوم الذى أقبل فيه الحارث وشيبوب ولبنى لما أشرفوا عليهم من ذلك البر نزلوا إليهم وقد ظنوا فى نفوسهم بأن الفارس يهرب ويقتلون الراجل ويسبون الجارية ويبلغون منها المراد هو الأمل ولم يعلموا أن الراجل نار محرقة وصاعقة مبرقة فلما نظر إليهم شيبوب والحارث وهم فى ذروة الجبل أقبل شيبوب على الحارث وقال له تمهل يا مولاى بالنزول ولا تعجل حتى أبصر ما يكون هؤلاء العبيد اللئام لأنى أريد أن أقتلهم وأسقيهم كاس الحمام لأنى أعلم أنهم من فتاك العرب الذين لا دين لهم ولا مذهب ثم أن شيبوب تقدم إليهم حتى يكشف خبرهم وإذا بالمقدم عليهم يصيح ويلكم ضعوا الصنيعة وأنجوا بأنفسكم لأنها لكم أوفى غنيمة وإن خالفتم هذا المقال أهلكناكم فى الحال (قال الراوى) فما أتم العبد كلامه وفشاره حتى انتزع شيبوب نبلة من كنانته ومكنها من كبد القوس ورمى بها ذلك العبد فأصابته فى صدره وطلعت تلمع من ظهره فصاح ووقع قتيلا وفى دماه جديلا فلما نظرت العبيد إلى مقدمهم وهو قتيل زعقوا على شيبوب وطلبوه مثل العقبان وهم يصيحون أشل الله أناملك يا شيطان قتلت فارسا ما بقى ينتج مثله الزمان فلما نظر الحارث إلى العبيد قد طلبوا شيبوب وسعوا نحوه كأنهم الريح الهبوب ساق الحارث جواده إلى معونته وإذا بسهم وقع فى صدر جواده فرماه ووقع الحارث من أعلاه ولما صار الحارث راجلا سحب سيفه وترسه وهجم على العبيد بنفسه فقال له شيبوب على مهلك أيها الملك الهمام ولا تهن نفسك مع هؤلاء العبيد اللئام ودعنى أعجل لهم الهلاك والارغام ثم أن شيبوب سعى نحوهم كأنه غزال وصار يرميهم بالنبال وكلما ضايقوه يطلع من بينهم كأنه ريح الشمال ولم يزل يسعى خلفهم على قدمه وهو يرميهم بالنبال ويقتلهم واحد بعد واحد فى الحال حتى قتل منهم ستة رجال وبقيت أربعة فعند ذلك رجعت الأربعة على أنفسها بالملام وقالوا وحق ذمة العرب الكرام أن هذا الرجل ما هو إنسان وإنما هو شيطان من الجن الساكنين فى هذا المكان لأن مقدمنا كان يقول لنا بأنه يرى الجن عيانا فى هذا الوادى إذا ذهب النهار وأقبل الليل الهادى وكنا ما نصدقه حتى بانت لنا حقائقه ودهينا من هذا الشيطان الذى أصابنا منه هذا الأمر الشأن فقال واحد منهم ويلكم إن كنتم سمعتم من مقدمنا هذا الكلام لأى شىء ما اعلمتونا قبل ما فعلت الجان بنا هذه الفعال لكن دعونا الساعة من هذا المقال وأطلبوا بنا الفرار عسى أن ننجوا من الهلاك والوبال ثم أنهم ولوا هاربين وإلى النجاة طالبين فنظر وإلى شيبوب يسبقهم إلى المضيق وهو ينادى يا أوغاد غير أمجاد إلى أين تفرون وتطلبون الهرب وأجلكم قد اقترب

﴿ تم الجزء العاشر ويليه الجزء الحادى عشر ﴾

الجزء الحادي عشر

من سيرة عنتر بن شداد

ثم أنه ضرب الأول بنبلة فى صدره فخرجت تلمع من ظهره ثم إنه عدا على قدميه ولحق الثانى وقد عول على الرجوع والهرب من بين يديه وضربه بالخنجر فأخرج امعاءه وأعدمه الحياة وأما الاثنان الآخران فانهم طلبوا البر الأقفر وهم ينادون لعن الله أبا قصتك وقحبة ربتك يا ابن الأندال ما أقواك على رمى النبال وما أقوى عصبك وما أشد ركبك فما زلنا نظلم فى هذا المكان كل من جار علينا من العربان حتى سخر الله لنا من فعل بنا هذه الفعال وتركنا مفرقين فى البرارى والقيعان وأما شيبوب فانه عاد إلى ناحية الحارث ابن الملك زهير من خوفه عليه فقام الحارث وتلقاه وتبسم فى وجهه وحياه وقال له لله درك يا شيبوب على ما فعلت اليوم بهؤلاء العبيد اللئام ولكن من تشبه باخيه فما ظلم فقال شيبوب إنى فعلت هكذا مع هؤلاء العرابيد وما كنت يا مولاى أخلى الملك يقاتل أخس العبيد فشكره الحارث على ما فعل وقال يا أبا رباح كيف العمل لأنى بقيت راجلا فى هذه الأرض والبيد والطريق قدامنا بعيد ولا نأمن من خيل تلحقنا وتأخذنا وتهلكنا (قال الراوى) فما أتم الحارث كلامه إلا والغبار علا وثار وسد منافذ الاقطار وانكشف الغبار وبان عن بريق زرد ولمعان خود وفرسان ما لكثرتها عدد وقد أقلقوا بصيحاتهم ذلك البر والقيعان وكانوا هؤلاء القوم من بنى زهران والمقدم عليهم الخيثعوش زوج لبنى وفى قلبه النار وهم مقبلون مطلقون العنان ولبنى إلى جانب الخيثعوش وفى قلبه على ابنته النار وعلى ما جرى لها من تلك الأمور الكبار ولما نظرت لبنى إلى الخيثعوش والخيل علمت أنها أتت وراءها كالسيل ونظرت فى أوائلها فرأت بعلها وأباها فعند ذلك تقطعت أمعاءها وأحشاها وفاضت الدموع من عيناها وأيقنت بهلاكها وفقاها هذا وقد تألم قلب الحارث لأجلها وخاف عليها من أعدائها ثم إنه التفت إلى شيبوب وهو قد أيس من لبنى وقال والله يا ابن العم هذا هو الهلاك بعينه لأننا والله ما نقع فى يد هؤلاء القوم اللئام إلا ويسقونا كاس الهلاك والحمام فقال له شيبوب يا مولاى الآن ما بقى لنا ملجأ نلتجىء إليه إلا الثقيف الذى كان فيه العبيد لأننا إذا صرنا فى أعلاه أمن كل واحد منا من بلاه وأعداه لأنى أفرغ كنانة النبل قدامى وأحميك من أهل الأرض فى طولها والعرض ولا أدع أحداً منهم يصل إليك بسوء ونطاول القوم بهذه الأحكام ونطلب النصر

من رب زمزم والمقام وإن رأينا الشقيف ما ينجينا من هذا الامر وقدر ناعلى الهرب نهرب
قال الحارث أفعل ما بدا لك ودبر حالنا وحالك ولكن أخاف على لبنى أن تذهب من أيدينا
ويحصل لنا شيء يفنينا فقال شيبوب وكيف تضيع منا لبنى ياملك الزمان وحق ذمة العرب
أنى لأبذل بين يديك الجهد فقال الحارث يا ابن العم كيف تقدر لبنى أن تطلع هذا الجبل
وما بقيت تستطيع أن تتحرك من شدة الخوف والوجل فقال شيبوب ابشر يامولاى ببلوغ
الأرب وانتظر من خادمك شيبوب فى هذا اليوم العجب ثم انه دنا من لبنى وحملها على كتافه
وسعى بها على أقدامه حتى أوصلها إلى ذيل الجبل وتسلق عليه كأنه شيطان أو قرد مذعور
من الجان حتى أنه وصل الى الشقيف أسرع من دنو الآجال وأما الحارث ابن الملك زهير فانه
سعى خلف شيبوب وصار يجهد روحه حتى انه يلحق بلبنى وشيبوب فما قدر على ذلك
الحال وأما أبو لبنى والخيتعوش فانهم نظروا إلى شيبوب وهو كأنه من بعض الطيور
تحيروا من تلك الامور وصاروا اليه ناظرين حتى أنه وصلها الى الشقيف هذا وهم على ظهور
الخيل وقد أطلقوا الأعنة ولحقوا الحارث وهو فى ذيل الجبل لانه كان مثقلا ماله قد حمل
من اللبس الذى عليه والعدد والحديد والزرد هذا الحارث أخذ يمانع عن نفسه ويدافع
بسيفه وترسه فأخذوه أسيرا وشدوه كتاف وقوا منه السواعد والأطراف (قال الراوى)
وكان شيبوب قد أوصل لبنى وهم أن يرجع ويحمل الحارث على أكتافه وينجيه من أتلافه
فوجد الحارث وقع مع بنى زهران أسير أحزن عليه حزنا كبيرا وفاض الدمع من جفون لبنى
كما يفيض الغدير وخافت عليه من القتل والتدمير هذا والخيل تتواصل على مهل وتزلت فى
الوادى من تحت ذيل الجبل ثم ان جماعة منهم تسابقوا يطلبون الصعود الى الشقاف فتلقاهم
شيبوب كانه البلاء المصبوب وصار يقصد منهم الضلوع والصدور ويرميهم فى النحور
وما أتى عليهم الليل بالظلام وولى النهار بالابتسام حتى أنزل بهم الهلاك من رمى النبال
وعندما نزل أبو لبنى والخيتعوش وقلبها متعوب وقد حاروا جميعهم من فعال شيبوب
وأقبل الخيتعوش على أبى لبنى وقال له أرى من الرأى الصواب أن تترك هذا الشيطان الذى
رأينا منه مالم نره من الجان لكن ما بقى الأمر إلا شيء واحد وهو أننا عند الصباح نخرج
الاسير العبسى للصلب ونقول لهذا الشيطان إذالم تسلمنا بنتنا حتى اننا نمضى عنكم وإلا صلبنا
ابن ملكهم ولم نزل محاصرين لك حتى نقدر عليك ونأخذ روحك من بين جنبيك فقال أبو
لبنى لما سمع هذا الكلام افعل ما بدا لك فما أحد منا يخالف مقالك فعندها شدوا الحارث إلى
جانب مضرب الخيتعوش ووكلوا على ذيل الجبل عبدين وأمروهما بأن يرصدوا إلى شيبوب
فأقاموا ينتظرون الصباح لتنجلى عنهم الهموم والأمور القباح وأما الحارث ابن الملك

زهير فانه بات تلك الليلة يقاسى الهموم والاقراح وكان فراقه من لبنى أشد عليه من أسره والجراح وأما شيبوب فانه لما اظلم الظلام وخيم على الاقطار والآكام أتى عند لبنى ودخل إلى ذلك الشقيف ودموعه على خدوده نازلة فوجد فيه ماء وزاديكفيهم سنة كاملة فأكل شيبوب منه كفايتهم وقدم إلى لبنى فاذاقته ولا مدت يدها إليه من حزنها على الحارث وما جرى على نفسها وعليه فطيب شيبوب قلبها ووعدها أنه ينزل ويسعى فى خلاص الحارث ويفديه بنفسه ثم انه قام فى تلك الأرض والبقعه حتى مضى من الليل هجعة فلما علم أن القوم استولى عليهم سلطان فى المنام سل خنجره فى يده ونزل يزحف تارة على بطنه وتاره على ظهره وتارة يحبى على يديه وتارة على رجليه وهو خائف من أحد تقع عينيه عليه ولم يزل على تلك الامور الصعبة حتى أنه أتى إلى ذيل العقبة فوجد العبدين راقدين كانهما موتى من كثره التعب الذى حل بهما النصب فدنا شيبوب منهما وذبح الاثنين وعجل لهما الخين ثم أنه سار بعد ذلك إلى ماهو عازم عليه وجعل يمشى على يديه ورجليه حتى وصل إلى الخيام ثم أنه عبر بين الخيام وعينيه تدور على الحارث عسى أن يسمع له كلام وإذا به يئن أنينا شديدا ويكثر من البكاء والتعديد وينشد هذه الأبيات صلوا على سيد السادات .

يالقومى قيود أسرى وثاق ما بقى لى من أسرها اطلاق
أدركونى قبل الصباح وإلا نهبت مهجتى السيوف الرقاق
يابنى العم مانهبت يوما بوصال حتى دهان الفراق
ورمانى الفراق منه بسهم قاتل ما لرميه ترياق
فاطلبوا الثار يابنى عمى بعدى كلما جالت الخيول العتاق
واخبروا عنتر بن شداد أنى مت شوقا وقد دهانى المحاق
فهو كهف اللقا بسيف منيع وأمير غضنفر لا يطاق
ويح لبنى ماذا تلاقيه بعدى من غداها إذا شجاها الفراق
قد رجونا أن نعيش جميعا فى أمان لينطفى الاحتراق

قال الأصمعى فلما سمع شيبوب من الحارث هذه الأبيات تألم قلبه عليه ثم انه تقدم فوجده مشدود القيد فى رجليه فدنا منه شيبوب وقطع فى الحال الوثاق من يديه وفك القيد من رجليه هذا والحارث قد حار وأخذه الانبهار وبقى كانه فى منام لأنه كان أيقن بشرب كاس الحمام وقال له شيبوب اتبعنى وافعل مثل فعلى ثم ان شيبوب صار يمشى على يديه ورجليه والحارث من خلفه وهو ينظر إليه حتى وصل شيبوب للموكلين عليه فذبح منهم عشرة عبيد ذبح الاغنام وكان يأتى إلى جانب العبد وهو نائم ويمد يديه إليه ويذبحه من الوريد للوريد وبعد أن يذبحه يشق بطنه لئلا يشخر فيفيق الذى بجانبه وبعد ذلك طلع الحارث

من بينهم ولم يزل يتخطى النيام وهم سائرون باهتمام مسرعون على عجل حتى وصلوا إلى ذيل الجبل وهم شيبوب أن يطلع فعجز الحارث فقال له شيبوب مالك يا مولاى فقال الحارث يا شيبوب الأسر قد أوهن عظمى وأقل قواى فدنا شيبوب والحارث واحتمله على كتافه وسعى به من غير مهل حتى صار فى أعلا الجبل فلما نظرت لبنى إلى شيبوب قد اقبل والحارث معه فى حماة فرحت لبنى بخلاصه من أعداه ثم أن شيبوب حطه عن أكتافه وأطعمه شيء من الزاد حتى قوى منه رمق القلب والفؤاد وأقاموا حتى أصبح الصباح فلما انتبه الخيتعوش من مرقده طلب الحارث فما وجده فى معهده ورأى القيد مقطوعا والعبيد الموكلين به مذبوحين وعلى وجه الأرض ملقحين فالتفت من شدة ما دهاه إلى الأبطال الذين معاه وقال لهم ويلكم يا أنذال قد خلص ذاك الشيطان من أيديكم وبالأمس قتل شجعانكم وبلبل أحوالكم فكيف تحفظونى إذا كانت هذه الفعل فعالكم ثم أنه هم أن يقتل باقى الموكلين وينزل بهم الفناء فى الحين فمنعه من ذلك أبو لبنى وقال له هؤلاء يا أمير مالهم ذنب فى هذا العمل بل الذنب على الذين وكلناهم بذيل الجبل ومع ذلك ما عمل كل هذا العمل الا الذى أمس للبنى على اكتافه ونحن لانقدر عليه مالم نصمد اليه ونأخذ روحه من بين جنبيه ونعجل له الهلاك والهوان ونخلص منه لبنى ولا نصير معيرة عند العربان فلما سمع الخيتعوش من أبا لبنى ذلك الكلام والخطاب قال هذا هو الصواب وفى ساعة الحال ساح فيمن معه من الرجال وأمرهم بالطلوع للجبل فتسارعوا إلى ما طلب وطلعوا ولهم صياح وزجل ولما نظر شيبوب إلى تلك النوبة الصعبة افرغ كنانة النبل قدامه وقعد لهم على رأس العقبة يرميهم بالسهام وهى تنفذ فى الدروع منهم والأجسام وأما الحارث فانه جعل يرمى عليهم الصخور والأحجار من علو ذلك المكان فتهرس المركب منهم والسيقان وما كانت غير ساعة حتى قتل من بنى زهران مقدار خمسين فارسا من الشجعان وعاد الباقون بالخيبة وقلة الهيبة فقال الخيتعوش يا آل زهران ياذلنا والهوان كل هذا يجرى علينا من فرد انسان ونحن فى خمسمائة فارس من الشجعان وذمة العرب الكرام أنا يهون على أن ألتى الف فارس من الفرسان ولا أقاسى ما قسيت اليوم من هذا الشيطان ثم أنه بعد ذلك التفت إلى من معه من الرجال وقال لهم يا بنى العم قد انفتح لى باب أقول أنه صواب وبه نأخذهم بغير اتعاب وهو أنه الليلة لا بد أن ينزل إلى العسكر ويأخذ له سهام ليبلغ بها المرام والمأمول منه مطرق علينا بالنزول لينال بذلك المأمول وأريد منكم أن ترصدوه وإذا رأيتموه فاقبضوه وإياكم أن ينفلت من أيديكم لانه لو سابق الريح يسبقه وما فينا من له جواد يلحقه ثم أنه أوصاهم باليقظة والاحتراز وسار إلى مضربه هذا ما كان لهؤلاء وأما ما كان من شيبوب فانه ضاق صدره لاجل فراغ نبله فما صدق أن الليل قد أقبل بظلامه حتى نهض على أقدامه وسل خنجره بيده وهو مضى

من الأجل حتى صار فى أسفل الجبل فتوالت العبيد عليهم فهجم عليهم وقد أراد الخلاص من أيديهم وجعل يضرب فيهم بخنجره يمينا وشمالا هذا وصياحهم قد أذهل العقل والبلبال فاستيقظ الرجال ووصلوا اليه ومسكوه باليد وقبضوا عليه بعدما قتل منهم أربعة وشدوه كتاف وقووا منه السواعد والاطراف وقدموه إلى قدام الخيتعوش فلما نظر إلى شيبوب فرح فرحا شديدا عليه من مزيد وقال له وقعت يا شيطان وحق ذمة العرب لاذيقنك من العذاب الوان ثم أنه بعد ذلك أمر الرجال بالطلوع للجبل فطلع الجميع وأبو لبنى فى الأول ولما رأى الحرث إلى ماجرى زاد همه وغمه وسل سيفه والتقى بنى زهران وقد أيقن لنفسه بالهلاك والهوان ولما رأت لبنى ذلك الحال أمرت الحارث أن يفعل بها شيأ قبل حصول الهلاك والويل فقال لها الحارث وحق ذمة العرب الكرام إنى لا أقربك إلا فى الحلال لا فى الحرام ثم أنه انحدر إلى بنى زهران وقاتل حتى قتل منهم نحو عشرين فارسا وبعدها تكاثروا عليه وأخذوه قبضا باليد وشدوه كتافا وقووا منه السواعد والاطراف ثم أن أبى لبنى تقدم إلى ابنته وهى ترجف من شدة الخوف والفزع فشدها من ذوائب شعرها وجرها للعقبة وأراد أن يذبحها فما مكنه من ذلك الخيتعوش وقال له دعها أما هى زوجتى وقبضت مهرها منى وأنا لما أصل للديار أصلب الحارث الذى هى تحبه وبذلك ينقطع طمعها منه ثم انهم أقاموا فى ذلك المكان حتى ظهر الصباح وشدوا الحارث على ظهر جواد بالعرض واركبوا لبنى على ناقتها وربطوا شيبوب بحبل من رقبته بعدما شدوه كتافا وسلموه إلى عبيد بنى زهران وقالوا له سق هذا الشيطان فما هو ممن يتعب من المسير وإياك أن تغفل عنه فيهرب فى هذه البرارى والقفار فلا تلحق خيلنا له غبار ثم أنهم هموا بالمسير عندما طلعت الشمس فاشرف عليهم فى ذلك الوقت أويس بن السعلاء بخيول بنى عبس هو والسلال وهم جميعا سائرون فى ذلك البر الأقفر بلا هدوء ولا مستقر ولما نظر بنو زهران اليهم طمعوا فيهم وقال الخيتعوش يا بنى العم دونكم وهؤلاء السلالين اقتلوهم وخذوا منهم هذه الخيل لانهم سرقوها من أبعد مكان فلما سمع بنو زهران كلام الخيتعوش حملوا على السلالين من كل جانب ومكان فلم تسكن غير ساعة حتى قتل منهم ثلاثون ونجا أويس بن السعلاء والعشرة الباقية لانهم كان تحتهم خيل تسبق البرق إذا برق وغاصوا بها فى البر والقفار وطلبوا اهلهم والديار فى وقت القتال والحرب اشتغل العبد الذى كان يقود شيبوب فجذب شيبوب نفسه من يده وهرب وغاب فى البر والفلاه فصاح معبد فى الفرسان بما دهاه وساقت الخيل فى ظله يطردونه فى ذلك البر الاقفر حتى حمى عليهم الحر وهو حر البر وحلت بهم الكروب وتقطعت خيلهم من خلف شيبوب وحس هو أيضا بالتعب والتدمير لان يديه كانتا مكتوفين إلى ورائه والاكان قد طار قدامهم فى البر الا أنه عند إياسه من نفسه وهو فى ذلك البر الاقفر تلاقى مع

أخيه عنتر خلصه من الكتاف وحمل على بنى زهران وقتل منهم ستة عشر من الفرسان وانهزم الاربعة وعاد عنتر إلى أخيه شيبوب وسأله عن أسره وأسر الحارث ابن الملك زهر فحكى له ما قدمنا من الكلام هذا ما كان من السبب فى أسر الحارث وشيبوب ووقوعهم فى يد بنى زهران وقدومهم إلى ذلك المكان ثم أن عنتر اصار منتظرا قدوم عروة ورجاله فما فرغ شيبوب من كلامه مع أخيه عنتر حتى وصل جيش بنى زهران وكانوا مقدار مائة فارس هام وكان سبب مجيء بنى زهران الأربعة فوارس الذين هربوا من قدام عنتر فانهم ما زالوا فى هزيمتهم حتى انهم وصلوا إلى بين يدى الخيتعوش وأبى لبنى وحكوا لهم بما جرى عليهم من عنتر بن شداد وكيف جار ذلك الرجل الذى كنا نطارده وقتل منا ستة عشر فارسا وما سلم إلا نحن الأربعة فلما سمع الخيتعوش منهم هذا الكلام صار الضياء فى عينه ظلام وقال ويلكم أنا ما أصدق أن فارسا واحدا وكان منتخب يمهل كل هذه العمايل لكن أنه اليوم أريكم فيه العجب ثم انتخب مائة فارس وسار طالب قتل عنتر البطل المغوار بعد ما أوصى أبا لبنى على الحارث وعلى لبنى وسار ا مجدا فى السير حتى أشرف على عنتر كما ذكرنا ونظر إلى قومه مقتولين كما وصفنا فزاد به اللهب وصاح فى عنتر صيحة الغضب لاسيما لما نظر إلى شيبوب جالسا بجانبه وأشار إلى عنتر يقول صلوا على طه الرسول

ياصاحب الفرس الجواد الأدهم   والسيف والرمح الاصم اللهزمى
أن كنت أنت من فرساننا   فالدهر يغدر بالهذبر الضيغم
وإذا سقى عبدا كؤسا حلوة   غلطا أتاه بغيرها كالعلقم
وإذا حضرت الحرب يوما مجالها   أرديت منها كل نسر قشعمى
ورجعت والأبطال ترجت خيفة   وترى شديد الأرض كالمتهدم
فاختر لنفسك حيلة تنجو بها   فالعذر يمحى قبح ذنب المجرم
ودع الذى قد كان أصل بلائها   حتى تعود بفرحة وبمغنم

(قال الراوى) وكان عنتر ماركب جواده الابجر فلما سمع جميع ما أنشدا الخيتعوش قال لشيبوب يا أبا رياح احفظ أنت هذه الخيل العوال حتى أريك ما أفعل فى هؤلاء الانذال ثم وثب عنتر فى الحال من تلك الوهاد وعلا من الأرض إلى ظهر الجواد وانطبق على الخيتعوش وأجابه على شعره يقول صلوا على سيد السادات

أنبيك أنى قد تركت رجالكم   بالسيف رزق للنسور الحوم
وسنان رمحى قد شكا كرب الظما   وإذا التقينا اليوم يروى بالدم
أجحدتموا قدرى وقد قرت به   فرسان فاس فى بلاد الأعجم
وفوارس الهيجاء فى يوم اللقا   تعنوا لذكر شجاعتى وتكرمى

وإذا سلكت البر آنس وحدتى في الليل سيف كالقضاء المبرم
وجوادى المشهور سمرة وجهه وسواده مثل الغراب الاسحم
والرمح في يوم البراز ذخيرتى وسنان رمحى لامع كالارقم
كم وقعة لى قد تركت رجالها رزق السباع وكل نسر قشعمى
وقبيلة صبحتها ونساها بين البيوت تقيم حزن المأتم

(قال الأصمعى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات أنطبق على الخيتعوش فالتقاه واصطدما على الأثنان والتحما وماجا والتطما وتباعدا وتقاربا ومازال الأمر بينهما على ذلك الحال ساعتين من النهار حتى وقع التعب في أيادى الخيتعوش فعلم عنتر من حاله أنه كل ومل وبعد عزه ذل فنزل عليه نزول القضاء والقدر فضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه وضربه بالضامى على صدره فأوصله إلى جديلة ظهره ورماه قطعتين كأنه انقسم بميزان نصفين وكانت المائة فارس الذين هم من بنى زهران تعبوا شيبوب لانه هرب من قدامهم وجعل يلوح لهم بيده فتبعت خيلهم من الركض خلفه وكان قصد شيبوب بذلك أنه يبعد الفرسان عن أخيه حتى لا يعنوا الخيتعوش عليه فصار يأخذ قدامهم تارة يمينا وتارة شمالا وتارة خلفا وتارة أمام حتى أنه ضيعهم فى تلك البرارى والآكام واختفى منهم فى مكان لا يهدى اليه إبليس ولا أولاده المتاعيس وصارت الخيل تدور عليه فى ذلك البر وتلك القيعان وهو قاعد ينظر اليهم من ذلك المكان وأما عنتر فانه بعدما قتل الخيتعوش حمل على تلك الخيل التى تطرد شيبوب وصاح فى الابحر من تحته كأنه الريح الهبوب أو الماء إذا اندفق من الانبوب وفى دون ساعة لحق الخيل كانه أسد جسور وزعق عليهم بصوب كأنه الرعد إذا هدر وطعن أول فارس فرماه إذا بشيبوب ظهر من جانب الابحر وضرب الثانى بنبلة فأعدمه الحياة وقتل عنتر الثالث وقتل شيبوب الرابع فلما نظرت بنو زهران إلى عنتر وشيبوب حلت بهم السكروب وكانوا قد علموا بقتل الخيتعوش فهربوا من قدام عنتر فى البر الأقفر بعد أن قتل منهم أكثر من أربعين ومازالوا فى هزيمتهم حتى وصلوا إلى أبى لبنى فسألهم عن الخبر فحكوا له جميع ما جرى وتدبر وكيف قتل الخيتعوش على يد عنتر فقال أبو لبنى ويلكم كم كانت الأبطال الذين فعلوا معكم هذه الفعال قالوا وحق رأسك ياأمير ماكان غير فارس واحد لكنه أسود راكب على جواد أسود وله قلب أقسى من الحجر الجلمد قال أبو لبنى أنا ما أصدق أن فارسا واحدا يقتل الخيتعوش ويفعل كل هذه الأمور لكن سيروا معى حتى أريكم العجب فما أتم أبو لبنى كلامه حتى تقدم اليه فارسا من بنى زهران يسمى جحفال وقال له ياأمير الرأى عندى أنك تترك بنتك لبنى وهذا الأسير فى هذا المكان وتوكل

عليهم جماعة من العبيد السودان حتى نسير كلنا إلى هذا البطل الجبار ونأخذ منه بالثار ونكشف العار فلما سمع أبو لبنى من ذلك الفارس هذا الكلام رآه صوابا فترك الحارث ولبنى فى ذلك المكان ووكل عليهم خمسة عبيد وسار أبو لبنى فى كل أبطال بنى زهران هذا ماكان لهؤلاء من الامر والشأن (وأما ماكان) من عنتر قاهر الفرسان فانه بعد ماقتل الخيتعوش وكسر بنى زهران أمر أخاه شيبوب أن يجمع الخيل الشاردة والعدد المبددة فاجابه بما أمر وإذا بعروة ورجاله مقبلين إلى عنتر راكبين النوق والجمال فرق الفزائع والاعدال فالتقوا عنتر واقفا على جواده الابجر وهو كأنه الاسد الغضنفر ونظروا إلى تلك الأرض ملآنة بالقتلى ومخضبة بالماء فتعجبوا من ذلك الأمر والسبب غاية العجب وسأل عروة عنتر عما جرى فحكى له عنتر جميع ماجرى على بنى زهران ومافعل بهم من ذلك الفعال وأمرهم أن يركبوا فتقدم شيبوب قدام أخيه عنتر وقال له ياابن الام أنا عولت على أن أركب جوادى وأسير إلى بنى زهران فاستمروا أنتم سائرون على أثرى عسى أن أجد لى فرصة أو حيلة أعملها لكم على الحارث ولبنى لانى أخاف ياأخى من بنى زهران إذا علموا اقتل الخيتعوش المشهور أن يقتلوا عوضه الحارث وتعظم الأمور فقال عنتر افعل ما بدا لك فوثب شيبوب إلى مكان المعمعة بعد أن ركب على جواده ولبس عدة حربه وجلاده وتزيا بزى بنى زهران المكسورين وسار حتى اختلط بهم مع أخيه عنتر ورجال عروة بن الورد من ورائه سائرين على الأثر فما كان غير ساعة حتى التقوا مع بنى زهران وصاح عنتر فى عروة ابن الورد ورجاله وحمل فارتج لعظم حملته السهل والجبل ولما نظر بنو زهران إلى ذلك الأمر والشأن أقبلوا على أبى لبنى وقالوا له اعلم أيها الأمير أن كل بنى عبس أتوا مع عنتر لان المنهزمين ذكروا لنا عن عنتر أنه وحده وها نحن نبصر عنتر ومن معه أبطال كثيرة ثم أنهم قاتلوا ساعة. ونظروا إلى عنترة وضرباته التى لاتبقى ولا تذر وقد قتل منهم فى ساعة الحال مقدار مائة فارس ويبال فنادى أبو لبنى الهرب يابنى عمى الهرب يابنى زهران فماز الواهاربين حتى وصلو للمكان الذى تركوا فيه الحارث ولبنى فما وجدوا منهم ديارا ولا نافخ نار ولقوا الخمسة عبيد مقتولين ولبنى والحارث هاربين قال أبو لبنى لمن معه لاشك ياابن العم أن بنتى لبنى تخلصت للعبسى وأخذها وسار إلى أرضه ثم انه فات ابنته خوفا من عنتر أن يسقيه كاس المنية واستمر فى هزيمته هو وأبطال عشيرة بنى زهران وبعد ساعة وصل عنتر وأبطال بنى عبس وعدنان إلى ذلك المكان فقال عنتر لعروة بن الورد ياأبا الأبيض أشر علينا ودارى لنا هذا المرض لاننا تعبنا بنى زهران أخاف على أخى شيبوب وإن أقمنا حتى نكشف أخبار شيبوب أخاف على ابن الملك زهير قال عروة بن الورد الرأى عندى ياأبا الفوارس أننا ننزل فى هذا المكان حتى نريح

الخيل فان أتى أخوك شيبوب كان وإلا بقينا له هنا أحد من رجالنا وتبعنا نحن بنى زهران فاجابه عنتر إلى ما طلب ونزلوا فى ذلك البر والسبسب وتفرقت رجال عروة وتجمع الخيل والسلب وإذا بجماعة تنادى على عنتر من راس الجبل الينا الينا يا أبا الفوارس فقد وجدنا الحارث بن الملك زهير فى مغار فى هذا المكان فلما سمع عنتر هذا الكلام أخذ عروة ورجاله وطلع إلى ذلك الجبل والما وصل إلى ذلك الغار لقى الحارث مجروحا فى عاتقه جرحا أشرف منه على الهلاك لكنه مشدود الجرح فتقدم عنتر اليه وسأله من فعل بك هذه الفعال فلما سمع الحارث صوت عنتر فرح واستبشر وردت الروح اليه وفتح عينيه وابتدأ يحكى لعنتر عن سبب جرحه (قال الأصمعى) وكان التسبب فى ذلك الأمر الذى جرى على الحارث هو أن أبا لبنى لما وكل عليه وعلى ابنته لبنى الخمسة عبيد وسار طالبا قتال عنتر فمن بعد مسيرهم من ذلك البر الأقفر وصل إلى ذلك البر جرير بن قادم بن عم لبنى وقد ذكرنا له أنه كان يحب لبنى محبة عظيمة ولما أخذه الحارث وشيبوب وطلعت خيل بنى زهران خلفهم كان ابن عم لبنى جرير ركب على جواده واعتد بعدة حربه وجلاده وتبع منهم الأثر لعله يدرك من لبنى فرصة فما زال سائراً يقتفى منهم الأثر حتى انه وصل إلى ذلك البر الاقفر فالتقى العبيد الخمسة ولبنى والحارث فى ذلك المكان وما عندهم أحد من الفرسان فهجم جرير بن قادم على الخمسة عبيد فقتلهم ورماهم على وجه الصعيد وضرب الحارث بن الملك زهير بالسيف على عاتقه فهد كتفيه وأراد أن يثنى عليه فرمت لبنى روحها عليه وقالت له يا بن العم بحياتى عليك لا تضربه ثانياً يكفى هذا الجرح وخذنى وسر إلى حيث أردت فلما سمع جرير كلامها أردفها خلفه على ظهر الجواد وسار يعتسف فى البرارى والمهاد وبعد مسيره عن الحارث بقليل وصل اليه شيبوب ونظر الحارث على ذلك الحال يئن من ألم الجراح فتقدم اليه وسأله من فعل بك هذه الفعال فحكى له ما جرى له من جرير ابن عم لبنى ثم قال له وأنى يا شيبوب بعد أن بعد من هذا المكان كنت أسمع حس لبنى بعده فى أدنى البر والقيعان فلما سمع شيبوب كلام الحارث دفعه فى ذلك الغار بعد أن شد جرحه وطلب جريرا ولبنى فما زال يركض خلفهم إلى أن دخل وقت السحر وكان جديرا آمناً على نفسه فى ذلك الوقت من الهلاك والضرر ولا يعلم بما نزل به من القضاء والقدر الذى ما للعبد منه مهرب ولا مفر وإذا بشيبوب نظره فتقرب اليه بحيث لا يراه وانتزع السهم من كنانته ومكنه من كبد القوس وضرب به جريرا فوقع فى خصيتى جواده فشب به الجواد ورماه هو ولبنى من أعلاه فى ذلك البر والفلاه فما تركه شيبوب يقوم إلا وهو راكب على صدره وضربه بالخنجر فى صدغه فأطلعه يلمع من بين كتفيه وأعلى ظهره فصار قتيلا وفى دماه جديلا وقال للبنى

لا تخافى أنا شيبوب أخو عنتر ففرحت لبنى وسألته عن الحارث فحكى لها أنه طيب وأنه شد جرحه ودفعه إلى غار ففرحت لبنى ثم أن شيبوب أخذها وعاد طالبا أخاه عنتر وكان عنتر نظر للحادث بن الملك زهير وهو قاعد فى انتظار أخيه شيبوب وإذا بشيبوب اقبل ولبنى معه فلما رآه عنتر فرح واستبشر وتقدم اليه وسلم عليه وسأله عما فعل فحكى له شيبوب بكل ماجرى وتدبر ففرح عنتر وحكى لشيبوب عن كسر بنى زهران والتفت بعد ذلك عنتر إلى لبنى وقال لها ويلك يا لبنى تقدمى إلى الحارث وكليه حتى أنها تأتى اليه عوافيه لان مرض العاشق النسيب لا يبرأ إلا برائحة الحبيب وهو الدواء والطبيب فعند ذلك تقدمت لبنى إلى الحارث وكان من وجه مطروح فلما رآها الحارث رجعت اليه الروح ثم أنه وثب اليها وضمها إلى صدره وردت روحه اليه ونسى كل ماجرى عليه ثم أن عنتر أقام بهم فى ذلك المكان ثلاثة أيام حتى استراح الحارث وردت اليه عوافيه وفى اليوم الرابع ساروا طالبين أرض الشربة والعلم السعدى وكان عنتر كلما نظر إلى محب اجتمع مع حبيبه يرفع إلى السماء ويقول اللهم انى أسألك أن تكون لدعائى مجيبا وتجمع بينى وبين من يحبه قلبى قريبا ثم أن عنتر تذكر عبلة وبعده عنها وما قاسى مع أجلها فأشار ينشد هذه الأبيات ويقول

أمسك بدا أم عنبر فاح واشتدت ... أم الريح هبت فى الربا تنشر الندا
أم البرق من ثغر الحبيبه إذ بدت ... تحاكى لبدر التم إذ نورة امتدا
بل نرجس الدوح النضير كطرفها ... وتفاحه الورد قد أشبها خدا
أهيم بها شوقا وأعصى عواذلى ... ولست أرى للوجد فى حبها حدا
أيا عبلة قلبى فى هواك معذب ... وأبدلتنى بعد التقرب لى بعدا
أيا عبلة أنى فى الوغا ملهب اللظى ... إذا خمدت أضرمت نيرانها وقدا
أيا عبلة نجمى فى السرادق لائح ... وبى فى الهيجاء أعضانى السعدا
أيا عبلة لا تخشى على من العدا ... فان قضاء الله لا ينثنى ردا

(قال الاصمعى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت لها الفرسان وساروا بعدها طالبين الاوطان يقطعون البرارى والقفار بالليل والنهار حتى بقى بينهم وبين أرض الشربة والعلم السعدى يوم واحد أو بعض يوم فعند ذلك أمر عنتر أخاه شيبوب أن يسبق للديار ويبشر الملك زهير بسلامة ولده الحارث فاجابه شيبوب إلى ماطلب وأعطى سياقه للريح وطلب البر الفسيح فغاب أكثر منها وإذا به قد رجع كانه الطير إذا طار أو النمر إذا غار حتى صار بين يدى عنتر البطل المغوار فقال له ويلك يا أبا رياح أى شيء عاقك عن المسير

فقال شيبوب بلى يا ابن الأم يا شهم يا كبير قد وصلت إلى الديار والأوطان فلقيت كل أبطال بنى عبس وعدنان متفرقين بين البرارى والقيعان فسألت بعض العبيد عن حقيقة الحال وما لبنى عبس متفرقين فى الروابى والتلال وهم على ظهور الخيل العوال فأعلمنى بعض الأبطال بان الملك زهير أتاه البشير يعلمه بقدوم أخيه أسيد من مكة فطلع إلى لقاه ومعه أولاده وأخوته ورفقاه فصادفتهم الأعداء فى الطريق فأسروا الجميع وأعدموهم التوفيق وقد ذكروا أن البعض قتل والبعض أسر وقد ركبت الفرسان فى إدراك المطالب ولم يعلموا السالم من العاطب وسمعت أن الذى فعل بهم هذه الفعال فارس واحد منتخب ومعه جماعة من صعاليك العرب فقال عنتر أما علمت فى أى أرض أسروا قال بلى سمعت أن الخيل طالبة أرض الأراك ووادى البان فقال عنتر أما هذا والله أعجب ما كنا فيه وذمة العرب ما قدم أرضنا وفعل هذه الفعال إلا رجل لا يهاب الرجال ولا يبالى بالابطال ثم أن عنتر بعث الحارث ولبنا إلى الحى مع عشرين فارسا من أصحاب عروة بن الورد وسار هو وباقى الأبطال طالبا أرض الاراك ووادى البان وشيبوب بين أيديهم مثل السرحان قال الراوى وكان الملك زهير لما فقد ولده والحارث قد حار فى أمره وأرسل العبيد إرسائر الحلل لتأتى له بالأخبار وأقام هو ولهم فى الانتظار قال الراوى لهذا الكلام فبينما الملك زهير ذات يوم من الأيام جالس بين أصحابه الكرام وإذا بنجاب قد أقبل وهو غزال شردان ثم أنه أستمر سائرا إلى أن أتى بنى عبس وعدنان فاستقبلوه وعن حاله سألوه فقال لهم إليكم الملك زهير بن جذيمة فناداه الملك زهير ما خطبك ومن أين وإلى أين فقل ما تشاء فأنا الذى تريد فقال له يا مولاى أنا الذى أرسلنى الملك النعمان وهو يقول لكم جهزوا العروس بافخر الملبوس فالله قد أرسل يخبركم مع عنتر فما أتاه منكم خبر فقالوا له وأين عنتر فقال لهم وحق النار أن له مدة أكثر من شهرين من حين خرج من عندنا وقد أنعم عليه الملك النعمان وأعطاه نوقا وجمالا وخزا وبزا وأن أبن عمه عصاما وزائى وهو مقبل لكم ووافد بالمهر عليكم فأرسلوا معه المتجردة (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب والأمر المطرب الغريب فلما سمع الملك زهير ذلك الخطاب خلع عليه وقال له سر أنت من يومك فى الحال وبشره ببلوغ الآمال وارسال العروس بأفخر ما يكون من الملبوس بعد أن أنزله فى دار الضيافة ثلاثة أيام ثم خلع عليه ثانى مرة واعتزر إليه وسيره إلى صاحبه بسلام فلما كان بعد أن سار النجاب بسبعة أيام وكان الملك زهير قد اشتهى أن يطلع إلى العلم السعدى فعمل هناك وليمة وجلس هو وأولاده وشداد وأخوه زخمة الجواد فأكلوا وشربوا وشداد فرحان بسلامة ولده عنتر قال فبينما هم فى الكلام وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار ثم أنه انكشف عن رجال أبطال وليوث أقيال.

فالتفت الملك زهير إلى أخيه خداش وقال له ائتنى بخبر هذا الغبار فانى أقول أنه عصام ابن عم الملك النعمان فركب عند ذلك خداش فى مائتى فارسا وسار إلى أن التقى بهم فاذا هم من بنى لخم وجذام والمقدم عليهم عصام فلما رآهم خداش حياهم بتحية العرب فردوا عليه ثم أنه أرسل بعض فرسانه إلى الملك زهير ليعلمه بقدوم عصام فركب أولاد الملك زهير مع جملة الفرسان وطلعوا المقابلة رسول الملك النعمان فلما أقبلوا إليه ناداه شاس نعمت صباحا يا عصام ودمت فى الخير والانعام ثم تقدم أخوته اليه وحيوه وسلموا عليه ثم ساروا حتى نزلوا على بنى عبس عند الملك زهير وقد التقاهم من بر الخيام وترحب بعصام فقال له عصام يا مولاى ان الملك النعمان يسلم عليك وقد أرسل لك الفين ناقة من النوق العصافير ومثلها حمر الوبر سود الحدق والف جواد من الخيل الاصايل الجياد ومن الخز والديباج ونوافيج المسك جملة نفيسة ومن طرائف العجم شيأ كثيرا وقد اعتذر اليك أيها الملك المحترم فقال الملك زهير والله ان هذا شىء كثير ولولا كلام العرب ما اخذت منه عقال حتى لا يظن أننا نفتش على مال ولا نوال فشكره عصام على ذلك المقال ثم انه أمر أولاده بذبح النوق والاغنام وعمل الولائم سبعة أيام وروقوا المدام وقد طاب لهم المقام (قال الراوى) وإذا بحذيفة وأخيه حمل وأولاد بدر وأخوتهم سادات عشيرتهم قد أقبلوا على بنى عبس فتلقوهم بالاكرام وأنزلوهم فى الخيام وجددوا الولائم لقدوم أولادعمهم ثلاثة أيام وفى رابع الأيام أخرج عصام مهر اخت حذيفة التى قد خطبها منه الملك الأسود فتسلمه منه وهو من نوق وجمال وخز وبز ومال ونوال وقد أمرهم أن يصلحوا أحوالهم للمسير فما مضى لهم ثلاثة أيام الا وبنو فزارة قد أتوا بعروسهم فى هودج عظيم مجلل بالحرير وكان الملك زهير قد اصلح هودجا عظيما لابنته وجلله بالذهب المكلل باللؤلؤ الرطب قد أعطاه له عنتر من أول سفرته لما أتى من عند كسرى وهداه له هدية وهى قبة عظيمة (قال الأصمعى) وقد أرسل الملك زهير مع ابنته مائة امة من المولدات ومائتى عبد وعليهم ثياب الديباج وقد خرجت فرسان بنى عبس وعدنان مع العروسين وهم يلعبون قدامهم بالرماح ثلاثة أيام ثم ان الملك زهير تقدم ومسك بزمام ناقة ابنته المتجردة وقال لها يا بنية كنت عندنا واحدة بين عشرة وكنت عزيزة والآن صرت أعز ولكن يا ابنتى انت قادمة على ملك همام فكيفما قدرت لينى له الكلام وابديه بالسلام وإياك ان يقع منك غليظ الكلام فاحفظى ذمامه وامسكى كلامه واعطيه كلاما رطب ووصال حبيب وان كنت سيدة بنى عبس ولك خدام فلا تسكونى له إلا من جملة الخدام حتى انه يودك ويرعاك ويحبك ولا ينساك وإياك أن تنفرى فيه بالكلام أو تبدى من غير تعجب ادنى ابتسام وحبى ما يحبه واكرهى ما يكرهه وأنت فوق ذلك الوصية

نافعة يا بنية فامضى فى وداعة الله ثم انه أوصى عليها عشرة من العبيد كانوا مولدين فى بنى
عبس وأمرهم أنهم إذا رأوها فى ضيق يأتوا اليه ويخبروه ثم أنه ودع عصاما وولده شاس
وأعطى له زمام الناقة وأوصى عليه حذيفة بن بدر وقال لهم خذوا معكم مائة فارس فقال
حذيفة لا والله ما أخذ احد فلا تتعب نفسك ولا فرسانك ثم أن الملك زهير ودعهم والنار فى
قلبه على ولده شاس لانه أقسم أن لا يتبعه أحد من بنى عبس ثم أنهم ساروا وما زالوا سائرين
إلى أن قربوا من العراق وهم فى بسط وإنشراح ثم أنهم أرسلوا وأعلموا بقدومهم للملك
النعمان فأخرج اليهم عمر بن حسان وسائر أخوانه فالتقوه وأكرموهم وساروا حتى
قاربوا الحيرة فخرج الملك النعمان إلى لقائهم وهو وسائر بنى لخم وجذام وبنى بكر بن وائل
وشكر وذهل ومرة وثعلبة والنمر بن قاسط وشيبان فالتقوهم وساروا إلى المنازل
والاوطان وقد خلع عليهم الملك النعمان الخلع الحسان وقدم لهم الخيل الجياد والعبيد
الأجواد وزادلهم فى الاكرام ثلاثة أيام وبعد ذلك شرع فى الولائم فى أرض تسمى صحرات
بنى بكر بن وائل وهى تسع أهل الدنيا وكل القبائل ثم أنه أرسل خلف المحبين والخلفاء
والمتعصبين فأتته الوفود حتى ملؤا تلك الصحراء وسدوا أقطار البيداء (قال الراوى)
وكانوا قبائل مختلفة من سائر أجناس العرب الصرية وقحطانية وقضاعية وخزاعية
وشيبانية حتى ضاق بهم فسيح تلك الأرض والصحارى وكان النعمان قد أرسل إلى بلاد
الشام أحضر الفى حمل من المدام وأرسل خلف خداوند بن كسرى ليحضر وليمته ويجبر
بخاطره فاتى اليه بقبة مكللة بسائر المعادن من در وجوهر وياقوت وبهرمان وقد كلل له
خمسة تيجان كل واحد يساوى ملك خراسان واحضر له من الجمال البخاتى الف وقد أكثر
له من التحف (قال الأصمعى) فعند ذلك طلع النعمان إلى لقائه هو وسائر إخوته وأولاد عمه
من بنى لخم وجذام وسائر ملوك الأنام فلما التقوا به نزلوا كلهم عن خيولهم وترجلوا
وقبلوا ارجل خداوند فى الركاب فحلف عليهم أن يركبوا خيولهم والدواب فركبت سائر
الاعراب بعد أن خلع على المقدمين والسادات الانجاب ثم أنهم رجعوا إلى الأطلال ونحروا
الاغنام مع الطيور وروقوا المدام وسكبوا الخمور وعملوا صحبة ثلاثة أيام وبعد الثلاثة أيام
عملوا وليمة طامة لجميع العربان من القبائل عدى وشيبان وبنى لخم وبنى مالك بنى الصعب
وبنى الظعن وبنى العيون وثعلبه وسهل وعكاية وأسد وبنى جندى ومرة وغيلم وربيعة
الفرس وبنى تميم بن مره وبنى دارم وحنظلة والبراجم والمربان وسعد وبنى يربوع والقفز
واللهاذم وعصام ومقاعبس وبنى نويرة وثعلبة ومازن وبنى نهشل ولاجمال وفقس وكل
هؤلاء طوائف تميم بن مرة (قال الراوى) وقد أتى إلى الملك النعمان من سائر القبائل وقد

نحو الملك النعمان فى هذه الوليمة عشرة آلف ناقة وخمسين الف رأس من الغنم وشيئا كثيرا
من الطيور وذبح اخوه الأسود الف ناقة وعشرة آلف رأس من الغنم وشيئا كثيرا
من الطيور وأصنافها وذبحوا مائة أسد ومائة لبوة أتت بها الرجال من الآكام والجبال
وقد أحضر الملك النعمان سادات العربان وخلع عليهم الخلع الحسان وقد كسا الارامل
والايتام ودعوا للملك النعمان بالعز والنصر ورفعة الشأن وداموا على أكل الجزور وشرب
الخمور سبعة أيام (قال الراوى) وبعد ذلك حملوا المتجردة وأجلوها عليه وكذلك زفوا أخته
حذيفة بن بدر على الملك الأسود ودخل الملك النعمان وأخوه الملك الأسود على بنات
عربيان يخجلن الشموس والنجوم الزاهرات وهن يحاكين البدور الطالعات وقد زادوا
على البدور ملاحة وصباحة وعذوبة مبسم وكمال بهجة مع حسن قوام وغنج وابتسام
فسبحان من خلقهن وسواهن من نطفة قذرة وهو الذى يقول للشيء كن فيكون فتبارك
الله أحسن الخالقين (قال الراوى) لهذا الكلام ياسادة يا كرام هذا وقد انبهر الملك النعمان
مما قد رأى من جمال المتجردة بنت الملك زهير العبسية وكان يعشقها على الصفة والسماع
وكلما ذكرها له يغيب عن الوجود من شدة الغرام فلما رآها حار من حسنها وجمالها وأخذه
الانبهار ثم انه صار كانه مجنون من تلك العيون واختلى بها سبعة أيام ليلا ونهار وهو
معها فى أكل وشرب ولذة وطرب ومسرة ووصال حبيب مع الاكرام والمبرة (قال
الأصمعى) وبعد السبعة أيام قالت المتجردة ياملك وسيد ملوك هذا الزمان أى شيء فعلت
مع أخى الملك شاس المفضال وما صنعت فى حقه معه من الأعمال فقال لها وحياتك
يا حبيبة القلب أنى أنى نسيته وأنى بدهشة جمالك صرت كانى ما عرفته ولا لقيته ولكن هذا
الوقت أمضى اليه وأنعم عليه ثم ان الملك النعمان خرج محل مملكته وأرسل أحضر الملك
شاس وأمر أخاه الملك الأسود أن يحضر حذيفة بن بدر كيما ديه ويعطيه عطاء جزيلا فسار
الملك الأسود من وقته وساعته ثم انه حضر اصهاره وأعطاهم وانعم عليهم بالخيل والجمال
والنوق العصافير الغوال والثياب الفاخرة من الخز والديباج والاموال (قال الراوى) لهذا
الكلام ياسادة يا كرام فهذا ما كان من أمر الملك الأسود وأصهاره وأما ما كان من أمر الملك
النعمان وما جرى له من صهره الملك شاس فانه التفت اليه وقال له تمن على ما شئت يا ابن السادة
الكرام ولك أضعاف ما تتمناه وحق الملك العلام فقال له شاس اعلم يا سيد ملوك هذا الزمان
من قحطان وعدنان أنى ما أريد غير سلامتك يا ملك الزمان وعافيك على عمر الزمان وأكبر
مرادى ومنيتى أن لا يكون لك عدو فى العربان إلا وتملكه بالسيف والسنان (قال الراوى)
لهذا الديوان فعند ذلك أحضر الملك النعمان من خزائنه جواهر وياقوتا ودرا ومرجان

وقال له وحق آبائى وأجدادى الكرام والنار المضيئة الشديدة الإضرام أن تتمنى على أمنية فقال له يا مولاى أعطنى من الطيب والعنبر والمسك الاذفر فقال النعمان أوقروا مائة جمل من طيب وعنبر ومسك أذفر وطرائف العراق فقال شاس لا وحق البيت الحرام ما يتبعنى غير حمل مطيتى طيبا لانه يا ملك الزمان من يصاهر لا يناكر ولا يخاصم ولا يصادر فقال النعمان أنت حلفت أن نوقرها من الطيب فنحن نوقرها لك من الذهب الصبيب فقال شاس لا وحق الآله القريب لا يتبعنى من عندك غير حملها طيب ولا يكون لزهير بن جذيمة غير ذلك نصيب فبينما الملك النعمان مع شاس فى ذلك الكلام وإذا بحذيفة وأخيه حمل قد حضروا سريعا إلى حضرة الملك النعمان فانعم عليهما وأوصى بهما وبعد ما أوصى بهما ركب هو والملك الاسود وسائر السادات والقبائل حتى يودعوا شاسا وحذيفة ومن معهم وبعد يومين حلفوا عليهم وأرجعوهم وقد أوصوا حذيفة وأخاه بشاس فقالوا يا ملك الزمان كيف توصينا بابن عمنا وهو كاشف همنا وغمنا ولو قدرنا جعلناه فى سواد أعيننا (قال الأصمعى) ثم رجع الملك النعمان وعساكره وسار بنو فزارة وحذيفة وشاس حتى وصلوا إلى غدير يسمى غدير بغيض بن الاملوس فنزلوا وباتوا ومن الصباح قد رحلوا وطلبوا الديار والاماكن وهم يتذكرون أخبار الولائم فقال حذيفة والله أن الأسود عمل وليمة ما عملها النعمان ولا يقدر عليها أحد فى هذا الزمان قال الراوى فقال له شاس ولم ذلك يا حذيفة قال لأنه ذبح الفى ناقة وخمسة عشر الف رأس من الغنم فقال له شاس وأى شىء الذى ذبحه النعمان قال حذيفة دونه يا شاس قال شاس كذبت يا حذيفة لانه ذبح أربعين ألف رأس من الخيل والجمال والنياق شيأ لا يعد ولا يحصى ويملأ الآفاق ولمع ووهب وفرق الفضة والذهب وفعل ما لا يفعله أحد (قال الراوى) فقال حذيفة والله يا شاس انك تعديت وما أنصفت وقد بغيت وصار بنو فزارة يؤيدون كلام حذيفة ويكذبون كلام شاس فصعب عليه وكبر لديه وقال والله يا حذيفة أنت وبنو عمك قد تعديتم وفى قولكم كذبتم وبغيتم وتكلمتم على قدر هواكم فقال حذيفة وكان جاهلا حسيفا خبيثا أوهج مجنونا ظالما قليل الانصاف ما شغل غير البغى والأسراف كذبت يا شاس وان لم تسكت لارمين منك الراس واخمد منك الانفاس وأهدم منك الاساس (قال الراوى) فقال شاس ويلك يا حذيفة أولى تهدد بهذا الكلام وأنا وحق الملك العلام ما كذبت عمرى فى كلام ولا حلت عن الزمام وان زدت على فى كلامك قطعت بهذا الحسام هامك (قال الأصمعى) فلما سمع حذيفة هذا المقال قامت فى رأسه مقل عينيه وتغيرت سائر حواسه وكاد من شدة جهله وحماقته وقلة عقله أن يمزق ما عليه من لباسه وجذب على شاس ماضى حسامه وحمل عليه بجهله وقوة اهتمامه فلما رأى شاس هذه الأمور حار وأخذه الانبهار وجذب حسامه وهجم على حذيفة



وتقابضا الحال كل منها الغريمه لام ولحى وأراد أن يتباطشان فدخل بينهم بنو فزارة وفرقوا بينهم وأبطلوا الغارة بعد ماقد تهامروا وأبرقوا وأوعدوا ففرقت بينهم أولئك الرجال من سادات وأبطال ثم قال حذيفة لشاس ويلك ياابن زهير امض عنافى دربك أنت وعبدك فلست لنا برفيق بعد هذا الشر والتعويق (قال الأصمعى) فصعب ذلك على شاس وقال قبحك الله بين الناس اهكذا تقول بنو الأعمام فلا كنت بين الأنام وأنا وحق الملك العلام الذى خلق الضياء والظلام ماعدت لك برفيق ولو عدمت الترفيق فأما أن تسيروا أمامى وأن أسير أنا أمامكم. فقال له رجل شيخ كبير منهم ياابن زهير نحن لانفارقك وأنا وبنو عمى هؤلاء العشرون فارسا نرافقك ولا نترك وحدك كرامة لاهلك وقومك (قال الراوى) فقال له شاس والله ياعم لاسرت إلا وحدى ولا أرافق إلا عبدى فقال الشيخ بئس والله مافعلت ياحذيفة بترك إبن عمك فى هذا البر والفدفد ومامعه من بنى عمه أحد فوحق الفرد الصمد لاعدت أنا الآخر ارافق منكم أحد (قال الراوى) وكان هذا الشيخ اسمه نجيد ثم أنه سار وحده وقال لشاس ياإبن العم أنا ماضى إلى سعد العشيرة إبن ضبية فسر معى حتى أهديك إلى الطريق ومن هناك سر وحدك ويعينك ربك وهو نعم الرفيق (قال الراوى). فسار نجيد وشاس ذلك النهار فى البرارى والقفار ومن الليل

نزلوا على مياه بنى غيلم ومن الغد سار ووافى برأ قفر ومهمة أغبر إلى أن حميت الشمس وقد أتوا إلى فم الوادى فعندها افترق القوم فقال نجيد اسمع منى ياشاس اتبعنى حتى أنزل بك على أخوالى بعد سعد العشيرة فنأكل ضيافتهم ونبيت فى حلتهم وأكون أنا وأنت رفقة لأن قلبى خائف عليك ياشاس فقال له ياعم إمض إلى حال سبيلك فوالله لارفقت أحداً فى المسير فسر مصاحبا للسلامة والخير فقال له الشيخ ياولدى المقدر كائن وإذا نزل القضاء بالبلا عمى البصر ثم ودعه شاس وسار وهو يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات صلى الله عليه وسلم

يقول نجيد لما سار عنى ... أخاف عليك من شر البوادى
ألم يعلم بأن الله حق ... فمن يقضى قضاه عن العباد
إذا يقضى على أموت قتلا ... فان قضاءه ماضى المراد
فلا لقيت خيراً يا ابن بدر ... ولا صادفت عمرك من رشاد
لانك ياردىء بقيت فعلا ... ردىء الطبع دوما من العناد
بغيت على ابن عمك فى قفار ... وقد أمسى غريباً فى البلاد
ورمت قتاله من غير ذنب ... فسار مغاضباً لك فى انفراد
ولم ترعى له أبدا ذماما ... فسار بلا رفيق وهو غادى
ولكن أنت جبار عنيد ... بطول الدهر تسعى فى الفساد
فإن أرجع إلى قومى فإنى ... أجازيكم على رغم الأعادى
وإنى لست أرجو لى رفيقا سوى ... رمحى وسيفى مع جوادى
هما أنسى وأجنادى وعزى ... ومن أصفيتهم أبداً ودادى
فسر لا سرت من ندل لئيم ... كثير الشر وغد ذى كياد

(قال الراوى) ياسادة فاز الواسائرين كل واحد منهم فى طريق هذا يمين وهذا يسار إلى أن وصل نجيد إلى سارة وصار شاس يجد السير طالبا أرض بنى عبس وعدنان فهذا ما كان منهم ياأخوان (قال الأصمعى) وأما ما كان من أمر الملك زهير فانه لما أرسل ولده شاسا إلى العراق افتقد بعده ولده الحارث فقال له أخوته هو عند أخواله بنى الشربة فى صيد وقنص فقال قيس والله ليس هو عند بنى عامر ولكن أنا أرسل إليه عبدى يكشف خبره فقال الملك زهير نعم الرأى ياقيس (قال الراوى) فبينما هم عازمون على أن يرسلوا العبد وإذا بنجاب ينهب الأرض انتهاب فاستقبله بنو عبس وقالوا له من أين وإلى اين فقال لهم أنتم من بنى عبس قالوا له نحن من بنى عبس فقال معى رسالة من صاحب وحبيب فأتوا به إلى عند الملك زهير فسلم الأعرابى عليه بتحية العرب وترجل ثم أنه أخرج الكتاب.

وناوله للملك زهير فاخذه وناوله لعروة بن الورد بحضرة سادات بني عبس فاذا فيه يقول بسم الله القديم رب اسماعيل وابراهيم والسلام على الاخوان والاهل وأني واصل اليكم عن قريب فاذا وصل اليكم كتابي فأنعموا ولاقوني أنا وسائر أولاد عمي وأصحابي ونحن سالمون غانمون ولكننا اليكم مشتاقون وكان ذلك من أسيد بن جذيمة ونصر بن سيار ومسروق بن راشد وعاصف بن ماجد وطارق بن سابق (قال الاصمعي) فلما سمع الملك زهير ذلك الكلام أخذه الفرح والاستبشار ونادى في بني عبس بالركوب للقاء المحبوب فركبت من بني عبس وسار الملك زهير بسائر أولاد جذيمه وأولاده وبني عمه وأجواده بعد أن خلع على النجاب وكان أسيد غائبا في مكة له عشرون سنه فأمر الملك زهير أخاه خداش أن يأخذ مائة فارس وخمسمائة من الغنم وعشرين جملا من المدام وساروا لاجل أن يلاقوا أسيد بن جذيمة وكان الملك زهير قد ركب في سائر بني عمه واخوته وأقربائه ونزلوا في وادي الظباء ثم ساروا ضحوة النهار مع كمال الصفاء وما زالوا سائرين ثلاثة أيام حتى نزلوا في وادي كثير الزهر وقد جرت في أرجائه الانهار وكان يسمى مرج اليعفور ووادي الشحرور فنزلوا فيه وإذا هم بمطايا مقبلة وإلى نحوهم سائر (قال الراوي) فسابقت إلى نحوهم الفرسان وإذا هم بأسيد بن جذيمة ومن معهم من الفرسان فحياهم أسيد بأحسن التحيات ثم استقبلهم أحسن استقبال فتعانقوا وتصافحوا وساروا وهم فرحون في تلك الفلوات وباتوا تلك الليلة فقال أسيد لاخيه ما فعلت بفرسي الودكاء فقال كما تحب وترضى يا بن أبي ثم أنه أمر بني عبس فحضروا بها مسرجة ملجومة فركبها أسيد بن جذيمة وكان له عشر سنين ما ركب جوادو لا هجين وقد رأى تلك الارض وفيها الوحوش سائبات فلما رأى أسيد ذلك طرد خلف غزال حتى لحقه وطعنه فرماه ونزل اليه وذبحه ثم ركب فرسه وحضن شجرة طلح وكانت هناك وضم أغصانها وبكى واشتكى وأنشد يقول شعرا

العمر فان والزمان عجيب ... وكذلك في عقب الشباب مشيب
هيهات أن يأتي لنا ما قد مضى ... وتعود أوقات الصفا وتطيب
لله أوقات مضت بوصالكم ... في مرج يعفور وغاب رقيب
حياك يا وادي الاراك تحية ... وسقاك هطال يسح صبيب
ما طاب عيشي من زماني برهة ... حتى دهاني بالفراق حبيب
فتركت لذاتي وأهلي والربا ... من بعد خل بان فهو غريب
يادهر هل تسمح لنا بتواصل ... ويعود غصن الوصول وهو رطيب
ياحبذا الوادي الاراك ويعفر ... حيث انثنى للوصل فيه حبيب
إني غريب الدار طالب حاجة ... يارب كن عوني فأنت قريب

قال الأصمعي ثم أن أسيدا بكى حتى ابتلت لحيته وفي تلك الساعة أقبل عليهم خداش بن جذيمة. بالنوق والمدام وكان مع زهير ثلاثون فرسا وكان عليها فرسان الصدام فركبها عشرة من أخوته وعشرة من أعمامه وعشرة من سادات قومه وكلهم حاضرين وما غاب منهم غير الحارث وشاس فلما نزلوا نحروا الذبائح وروقوا المدام بعد ترويح الطعام ثم أنهم أكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وتذكروا أوقات مضت في أيام الصبا فطابت أوقاتهم ودار المدام بينهم وتناشدوا أخبار العشاق ثم تذكروا الحرب والكفاح والضرب والصفاح ثم أنهم باتوا في ذلك الوادي تحت شجرة الاراك ومقابلها شجرة طلح ثم أن الملك زهير التفت إلى أخيه أسيد وكان المكان خالياً مافيه غير أولاد زهير قال له يا أخي سألتك الله وبلبن أمك إلا ما أخبرتني عن خبر الاراك والطالحة والبان التي عانقت اغصانها فقال لهم أعلموا يا أخوتي أنني كنت في زمان شبابي وأنا خالي من الهم والغم وكان نديمي أخي هاني وابن عمي بشر النعماني. فطلبنا يوما الصيد والقنص فركبنا وسرنا نحو البر الأقفر وإذا بجملة من الحمر الوحشية وسرب من الغزلان فأطلقنا نحوها الاعنة فرأيت بينهما غزالا أقرن وهو يكر على سرب الغزلان. كما تكر الفرسان وهو معجب بنفسه فأطلقت عناني خلفه ومازالت كذلك إلى أن حميت الرمضاء ثم التفت فلم أجد من أصحابي أحد فطلبت الغزال فهرب مني ومازال يجري إلى أن دخل إلى وادي الاراك ومرج اليعقور وإذا بي هناك جارية تحير الازهان بقامة فضية وطلعة مضية فلما رأيتها يا أخي سلبت عقلي فناديتها يازين الدلال لعلك تسقينا شربة من الماء لنطفي لهيب الحر والظما فقالت يا وجه العرب أبشر بالماء والقرى فقد وجب حقك علينا فانزل لتستريح فقد أهلمكت الجواد المليح فما صدقت بذلك الكلام حتى قلت لها يا بنت الكرام أخرجي هذا الذي قتلني بسلام فقالت أنه صار في جوارنا وتحت زمامنا وعندنا غيره. ثم أنها أحضرت لبنا وعسلا وقالت دونك والسويق فبردفؤادك بلا تعويق فشربت منه شيأ الذمن الروح إذا عادت إلى البدن ثم أني طلبت الراحة فقدمت لي وسادة وطراحة فاردته. النوم فما قدرت فقامت إلى قدرها وقد أصلحته وكان عندها لحم طري فوضعته في القدر ساعة وإذا بشيخ كبير اتى إلينا فلما رآني مال إلى فصيل فنحره ثم قربه إلى بنته ثم جلس يحادثني. فقال لي حييت وحيتك اللات والعزى من أي القبائل أنت فقلت أنا اسيد بن جذيمة بن رواحة. العبسي سيد بن عبس وعدنان فقال سيد كريم وفتى عفيف شريف فقلت له وقد أزال الحياء من وجهي ياسيد قومه من تكون من العربان الكرام فقال نحن حلة من بني شمخ ابن عثمان بن مزينة وسيدنا الاسلت بن عاصم فقلت وهذه الفتاة بنتك فقال يا أبني أنها بنية من ذوات الخدور وان طلبتها فهي أمة لك بالفرح والسرور وأنا أيضا لك عبد مأسور ثم أنه قام وأحضر جماعة من أجاويد بني شمخ فحضروا ثم أن الشيخ قام على قدميه وقال يا بني عمي

الست أنا واصل بن مسرور ونسبي بينكم معلوم مشهور وانتم تعلمون أن الخطاب قد أتت اليها ورددتهم من عمنا احق ذلك أم لا فقالوا والله أنك صادق وليس فى كلامك باطل فقال يا بنى عمى وأنتم تشهدون أنى عبد لهذا السيد سيدين جذيمه وإنى له أمة وممن يقف له فى الخدمة فقلت يا سادات العرب أن قبلت كلامه وهى كريمة المصونة ثم أنى قلت له إنكحنى كريمتك على نقد وقدره مائة ناقة اليك منساقة ومائتى جواد من خرخر ول العرب فهل ترضى بهذا الكلام أيها الاسد الضرغام فقال رضيت يا ابن الكرام وحق الملك العلام وعند ما شاهدت طلعتك أحببت أن تكون سلمى ابنتى مطيتك ثم أنه حط اليد فى اليد وقد صرنا على عهد فقمت يا أخى من ساعتى وأشربتهم فى قصتى وقد رعتهم إنى من الغد أكون عندهم وآتيهم بالنعم والصداق الذى تقدم ذكره وعبرت إلى الخيام واقتطعت من مالى مائة ناقة تمام ومائتين من الاغنام وقدر عشرين ثوبا من الديباج ومائة من الذهب الوهاج وشيأ من الطيب وخذا وبزا وأربعة من العبيد لاجل سوق الانعام وصبرت حتى من علينا الظلام وركبت جوادى وخرجت من الخيام ولم يرنى منكم أحد وسارت العبيد قدامى حتى بقيت ظاهر البيوت وتوكلت على الحى الذى لا يموت وطلبنا البر والسباسب حتى أشرفنا على المضارب فما أصبح الصباح ولاح الضياء فى البطاح إلا وقد بان لنا من بين أيدينا خيام وقباب وأعلام وهى لبنى شيخ بن عثمان الشجعان الملاح من مدينة قريش وتلك البطاح وكانوا أحسن العربان ونساؤهم تفوق الحور والولدان فكنت أنا والشمس بالسواء على أخبياء ذلك الشيخ الاجل فناديته فلبانى من غير مهل وقال ماهذا يا ابن الكرام فقلت له هذا مهر ابنتك بدر التمام وهو الذى قد ذكرته لك وضمنته فى الكلام وهذه عشرة من النياق لاجل النحر فى الخيام وهذه خمسون رأسا من الاغنام غير ما يخصك من الانعام وذلك من أجل الولائم والطعام فقام الشيخ من وقته وساعته إلى مقدم قبيلته وكان يسمى شبيب بن الوضاح وحضرت أكابر الحلة ورحبوا بى وفرحوا غاية الأفراح وقد قالوا له سعدت الآن يا واصل وصار نسبك بنسب بنى عبس واصل وها أنت صاحب الحسب والنسب دون سادات العرب ثم أننا تعاقدنا ثانيا على المهر والصداق وقد نحروا من تلك النياق وكذلك من الاغنام وقدروجوا عندهم الطعام ورووا آنية المدام ثم أنهم يا أخى أدخلونى على سلمى فكان دخولى عليها تحت هذه الشجرة الاراك وهذه الطلحة التى هناك ثم تكفكفت عينا أسد بالدموع إلا أنه ظهر الخشوع وقد ناداه أخوه الملك زهير وكان قد إشتاق إلى كلامه كثير وقال له ثم ماذا كان يا أخى من الأمور التى جرت فقال أسيد يا أخى ثم لما دخلت عليها وجدتها درة ما ثقبت ومطية ما ركبت فازلت بكارتها يا أخوان بعد أن طلقت العنان وقومت السنان وطعنت به فى حومة الميدان وقد بت تلك الليلة

نشوان كأنى كسرى صاحب الايوان أو قيصر ملك عبدة الصلبان وقد زادت محبتها عندى وهى أيضا كذلك حتى كاد كل منا ان يشرف على المهالك ثم انى قمت عند صهرى سبعة أيام وبعد ذلك ودعته ومضيت من عنده إلى ان وصلت إلى الخيام فرأيت ابى واخواتى يتحسرون على غيبتى وقد اقلقو البيداء خوفا على من شر الأعداء فلما أن رأونى قاموا إلى واستقبلونى وفرحوا بسلامتى وسألونى فى أى أرض كانت إقامتى ثم إنى دخلت إلى الخيام واقمت معهم ثلاثة أيام وقلت لهم انا ماضى إلى بنى غطفان لأقيم عند سيدهم حسان برهة من الزمان لانهم أولاد عمى وبهم يزول همى وغمى لان لى أياما وأنا بهم ولهان وقد زادت بى الاشجان ثم إنى مضيت أنا وعبدى بعدما أخذت معى هدية طيبة عظيمة وكان لها قدر وقيمة وهى تصلح للحبيب وفيها شىء من المسك والطيب وسرت فى ذلك البر الطويل فوصلت إلى بنى شمخ فى نصف الليل فوجدت سلمى لى من المنتظرين فاخذتها فى حضنى وبتنا آمنين وما زلنا على ذلك الاكرام هكذا عشرين يوما تمام فأحسست منى بحملها وزادها شغفها فقالت لى يوما من الأيام ويحك يا مولاى هلا تبلغنى مناى فهل سمعت من بعض الحاسدين ان فى نسبى شيئا يشينى لم تعلم لى قومك وتأخذنى معك فى يومك حتى يتكمل حظنا ويجتمع شملنا وتبقى أهلنا خلان ونقيم مع بعضنا فى الأوطان ونصير بها قطان كما تفعل أجاويد العربان فقلت لها والله ياسلمى أن قولك مليح ورأيك صليح لانى كنت اخاف من عتب أخوتى وأبى لانهم يقولون لى تزوجت وما أعلمتنا ولا عزمت علينا ولا اكرمتنا فبكت وقالت أنى أخاف الفراق لانى بالأمس رأيت غرابا تعلق وهو ينعق عن شمالى فبت تلك الليلة من دون الليالى وهى تضمنى إلى صدرها وتبكى وإلى يا أخى تشكى ثم أنها رأت فى كتفى دملجا من ذهب وفيه صورة صنمين من حجر البهرمان وهو يساوى ملك خراسان فقالت لى أعطنى هذا الدملج عسى ابلغ به أربى واحتفظ به حتى يجىء من هو عندى أعز من روحى وقلبى وقد عنت بذلك ولدى فتنهدت لها عند ذلك كبدى فسلمته اليها وقد حن قلبى عليها وقلت لها خلى بالك فلابد لى من ذلك فقالت يا مولاى لا تنس ودى فان قلبى قد اقلقه الانزعاج واخاف من الفرقة والهجاج فقلت لعن الله شيطانك فاقصرى من همك وأحزانك ثم انى نمت معها إلى الصباح ولما اصبحت اعطيتها الدملج فقالت تودع منى يا ابن السادات فقلت ماهذا الفأل ياسلمى وما هذه الاشارات فقالت يا ابن الكرام لقد رأيت وحق الملك العلام البارحة فى المنام انك قد انحطيت على وأنت فى صفة طائر فاقتنصنى ثم صرت آدميا وعاشرتنى ثم إنى قعدت معك يومين وفى اليوم الثالث قلت يا سلمى امضى معى إلى الديار فاجبتك فقلت حتى أعلم أهلى وعشيرتى فكانى مسكتك وقلت لك أعطنى شيئا من أثرك فاعطيتنى هذا الدملج فأخذته وسرت أنت إلى أهلك فلما مضيت عنا ثار علينا من ناحية اليمن غبار اسود مظلم يشبه النار

ظهر شيء هائل على النار فأخمدها وأضرمها بريحه فبددها وأطفأ النار بعدما أحرقت الرجال الابطال ولم يبق إلا أنا وأنت فلاقني ذلك السواد المظلم ومضى بنا إلى اليمن فأتاني آت وضرب ظهري فخرجت من فرجي شعلة نار فأوهجت واستعرت ثم انها سارت إلى نحو الحجاز فطافت إلى غدرانه جميعا ثم انها أتت إلى مكاني هذا وأنت وقومك هنا فلحقتكم جميعا وأخذتكم وعادت وإذا قد ظهر علينا فيل أسود فاصطلى النار ذات الوقود حتى عادت بعد ذلك فى خمود ثم أنه أراد أن يبول على الجمر ليطفئه فاذا به قد صار شمعة مضيئة فنورت عليكم وبقيتم فى نورها والفيل الاسود قد خضع لكم بعدما تجبر وأزبد وأرعد وأقلب الأرض من أراضى اليمن كأنها يا مولاى أرض بنو عبس وهى أرض شرحه وإذا بنيران أحرقت الأرض والسهل والجبل وأحرقت كل مامرت عليه فلما أقبلتم على النار واضرمت وأشعلت فهربت من قربها الرجال وأحاطت بالنساء والاولاد والبنات من ذوات الحجال وإذا بالفيل قد حمل على النار وخاض هرامها وجعل يصب والماء من فيه فتخمد النار ويذهب وقودها وقد بقى من النار شيء يسير فسار ذلك الفيل اليها وجعل يأكل النار ويرش من زلومته الماء ورأيت ذلك الفيل مازال يفعل كذلك أربع مرات والنار تأتى من قبل اليمن ورأيت ذلك الفيل طالت زلومته حتى أنها فاضت على أرض الحجاز وتهامه واليمن ونجران واليمامه وحضرموت وأرمنت وبلاد الحبش والعجم والروم وسائر النجوم وسمعت رجلا يقول لابد أن يبعث طه ويس النبى العربى الرسول فيهدى الامة ويكشف الغمة ويذهب هذه الظلمة وله النور الساطع فياقوم من كان له تابع فهذا منامى قصصته عليك ولا أعلم معناه فقلت له دعى هذا الهذيان والله أن هذه سيرة طويلة ليس لها أول يفهم ولا آخر يعرف وما أظن أن يصح هذا الكلام ثم أنها اشارت بهذه الابيات وهى تقول صلوا على طه الرسول

رأيت مناما هلا ئلازاد أشكانى ۝ وحربا ورعدا ذاحلول وترحال
وبرقا يمانيا أتى لتهامه ۝ وعاد على نجد بعزم وأشعال
أصابك مع أبنا أبيك سعيرها ۝ وأذهلكم احراقها أى اذهال
وعادت كما جاءت ففاض وهجها ۝ من الغرب فيل قد حكى عشر افيال
له شدة مع رعدته كصواعق ۝ وصولة ضرغام على فقد أشبال
وصا يدوس النار يطفى شرارها ۝ ويأكل منها الجمر والضوء متعالى
إلى أن بقى من جمرها فرد جمرة وقد ۝ طفىء الاشعال من برد وسلسال
فاشعل منها شعلة مثل انجم ۝ وقد أفرغت غصنا بزهر الربا العالى
فانقذكم من حرها الفيل غامدا ۝ وسار أمام الجمع منكم بترحال
إلى أن أتيتم نحو ربع يمانيا ۝ وكم فيكو من تاه من عجب ارقال

أصبتم عجاجات ونارا تأججت ورعدا وبرقا زائدات باهوال
وقد احرقت ذاك الربا وشعابه ونحن بتلك الدار فى منزل غالى
وقد ضجت الأبطال مما أصابهم وقد برزت نساء منهم باطفال
فوافيتمو والفيل يمشى أمامكم وقد سال من زلومه الماء سلسالى
فما زال يطفىء النار بالماء آكلا لجراتها الحمراء من غير إهمال
إلى أن هدا تلك العجاجة كاشفا وأخمدنا نارا أضرمت ذات إشعال
وعدنا التقينا بعد دهر وغيبه وقلبى لكم والله لم يك بالسالى
وعدنا رجعنا بعد بين وفرقة ومعنا جواد أبيض أكحل غالى
جواد كريم خلفه قاد مهرة يمانية منسوبة العم والخال
وهدنى أمور يا أسيد جليلة مقدرة من مالك حكمه عالى

(قال الراوى) وكان أسيد يحكى لأخوته هذا الكلام وهم على المدام وأسيد غائب حتى كان أباه قتل فى البيت الحرام فلما فرغ من حديث سلمى كفكفت عبراته واستعادت أخوته منه الحديث فقال فلما قالت لى سلمى هذا المقال قلت لها قفى حتى أحضر من الحلة المطايا والعبيد من بنى عبس وآخذك إلى الديار فقالت لى قف حتى أودعك فان قلبى وعينى ما عادت تنظرك فان هذا المنام قد أزعجنى وأحرمنى لذة الطعام وملا قلبى حسابات وأوهام لكن الأمور لها تقادير تقف لى ياسيدى ولا تبخل بالوداع وان سمعت منى ذلك الكلام فاردفنى خلفك وخذنى معك ودع المطايا والهوادج فان قلبى من هذا المنام خائف فقلت لها هجعى ياسلمى ومن يقدر أن يرد القضاء إذا نزل من السماء لا تفزعى وأصبرى للقضاء والقدر فان الأمر كله بيد الله تعالى ثم أنشدتها هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات

رأت فى طيب الأحلام سلمى مناما ما به خبر صحيح
فسكنى ياسلمى واطمئنى فإن وراءك البطل الرجيح
نخلى عنك ذا الهذيان سلمى فبعلك سيد بطل صبيح
غدا يغدو بك لديار قوم خباهم هى الرحب الفسيح
وتبقى فى أمان مع سرور بدار ربعها ربع مليح

(قال الأصمعى) قال أسيد ثم أنى حلفت لها أننى لا أغيب عنها غير ثلاثة أيام أن لم يعقنى عائق مرض أو حمام فودعتها وسرت فلما أتيت إلى الأحياء رأيت الحى منقلبا بالنواح والشعور محلولة والخيول مهلوبة والنساء تعدد وتبكى فلما رأيت ذلك الحال أخذتنى البهتة والخبال وسالت عبدا من العبيد عن هذا الحال فقال ياسيدى قتل سيدى جذيمة ابو سيدى عمرو فلما وصل خبره تبعه ولده عمرو وعلى أثره فنزلت عن جوادى وكسرت

رمحي وحثيت التراب على رأسي وأخذت في البكاء والانتحاب وعملنا العزاء أربعة عشر يوما ثم سرنا لأخذ الثأر وقتلنا الريان قاتل أبي ثم رجعنا إلى الأحياء ونحن فرحون مسرورون بأخذ الثأر فلما رجعنا أرسلت خلف بني عمي هؤلاء وهم نصر بن سيار ومسروق بن راشد وعاصف بن ماجد وطارق بن سائق وأعلمتهم بأمري وأودعتهم سري وقلت لهم أريد أن تروحوا معي إلى وادي الأراك حتى آتي بزوجتي سلما فقالوا على الرأس والعين فركبنا وأخذنا معنا أربعة عبيد وعشرين مطية وسرنا في الليل من أوله نجد السير حتى أصبحنا في وادي الأراك فرأينا الديار بلاقع والمنازل قفرا ونار المعمعة ورأينا القتلى قد أكلت لحمها الوحوش فتحيرت من ذلك وقلت لأصحابي لقد حس قلب زوجتي سلما بذلك الأمر وأخبرتني به سابقا ثم اني بكيت وأنيت وقلت لصحبي انزلوا بنا لنرى آثار الحبيب فنزلنا قبل الرحيل وجلسنا نبكي وإذا نحن برجل على مطية وهو قاصد إلينا فسلم علينا وحيانا فسألنا عن بني شمخ بن عثمان فبكى وقال والله يعز علينا ما جرى لبني عمنا من القتل وسبي الحريم فقلت يا أخي كيف كان هذا الأمر ومن دهمهم من الفرسان والسادات والأعيان فقال يا أخي نحن من بني خميس بن مزينة فجرى بيننا وبينهم شأن فرحلوا عنا فسرنا إليهم بعد أيام واسترضيناهم وطيبنا خواطرهم وقلنا لهم عودوا معنا يا بني الأعمام إلى الديار فأجابوا وباتت سادتنا في ولائمهم إلى الصباح وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وانكشف عن بريق صفاح ولمعان رماح وزرد وفرسان تنادي يا العرب يا لقحطان ثم أنهم بذلوا في أهل الحي السيوف وأخذوا الأموال بعد قتل الرجال ونهب الأموال وسبي الحريم والعيال وساروا مسرعين فسرنا وراءهم بالخيل الجياد فعادوا علينا وقتلوا منا عشرين هماما وسمعنا بأن الذي أخذهم من همدان ومذحج وفرسان الطعان وفارسهم محارب الأسد عمران البارقي لأنهم كانوا من ثلاث قبائل وهم خمسة آلاف فارس غير أتباعهم فما قدرنا عليهم ولما كان الليل رجعنا بخيلنا عنهم بالخسارة ورحل بنو قحطان بالتجارة وسمعنا بأنهم باعوا النساء وجعلوا الرجال يرعون الجمال فلما سمعت ذلك أخذني الانذهال وأنشدت هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات .

بهذا الربع قد كانت سليمى   ولكن لست أعلم أين سارت
ولا أدري بأي الأرض حلت   ولا هذي النوائب كيف دارت
لقد طرقت إلى شمخ خيول   وقد دهمتو صحبا وجارت
وفرق شملهم صرف الليالي   بفرسان طلوع الشمس غارت
فيا ريح الصبا بلغ سلامي   إلى ظبي به النيران ثارت
سليمى منسكي وبها غرامي   وأحشائي محبتها استخارت

(قال الراوى) ثم أنى رجعت إلى الديار وقد اسودت الدنيا فى عينى لاجل جذيمة سيد بنى عبس ثم أنى أخفيت سرى وقلت لاصحابى أريد البيت الحرام وأقضى العمر بين زمزم والمقام فقال لى نصر بن سيار ومسروق بن راشد وعاصف بن ماجد وطارق بن سابق والله يا أسيد أننا لا نفارقك أبدا وأينما سرت سرنا معك ولو رحلت إلى الربع الخراب من الدنيا تبعناك فأمرتهم أن يخفوا أمرى ولا يظهروا أحدا على سرى فسرنا إلى الحى وانا حزين رزين وقلت لك يا أخى أنى أريد أن أعتكف فى بيت الله الحرام وأعبد الآلهة الكرام فقال لى أنت وشأنك فسر أنت وخلافك فأخذنا من أموالنا ما نريد وأخذنا معنا عشر عبيد وعشرين ناقة وسرنا إلى بيت الله الحرام ومكثنا به مستوطنين مدا الأيام وأرسلت من عبيدى ثلاثة دخلوا إلى بلاد اليمن يفتشوا على سلمى فى أحياء اليمن فما وقعوا لها على خبر ولا رأوا الها جلية أثر فقطعت منها أياسى وقضيت أيامى بشدتى وبأسى فلى الآن عشرون عام وأنا مجاور بيت الله الحرام وقد قطعت من الدنيا الاطماع ومددت فى خدمة إله السماء الباع وقد رافقنى يا أخى هؤلاء السادة الاماجيد والفرسان الصناديد حتى صار عشرين عام وقد تركت سائر الانام إلا الوجد والغرام فانى لمولاى شاكى ومن غرامى باكى واكثر بكائى يا أخى على ولدى فقد ضاع وتفتت عليه كبدى وأنا أدعو لصاحب هذا البيت أن يجمع شملى بولدى وأهلى إلى ليلة من جملة الليالى وكانت فى آخر شهر رجب فسهرت إلى نصف الليل فاخذتنى سنة من النوم فنمت وسبحان من لا ينام وإذا بآت اتانى وقال لى يا أسيد تبكى أبشر بقرب الحبيب وبجل بحبيب قريب لان الله فى ملكه ارادة شقاوة وسعادة وفراق وبعد تلاق وبعد ذلك يا أسيد ابشر باللقاء فقد زال الشقا فارجع إلى مكانك فان المقادير تجمعك على خلانك فاذا اجتمع شملك فاشكر خالقك ورازقك ثم أنى انتبهت وانا فرحان واخبرت نصر بن سبأ ففرح ورجعنا وكانا ملتقانا موضع فراقنا وانا أسأل رافع السبع الطباق الواحد الخلاق أن يجمعنا فى مكان واحد ولكن يا أخى قد خطر ببالى شىء أريد ان اعمله فقال زهير ماهو يا أخى حتى أساعدك عليه فقال قصدى أن آخذ خيلا وجمالا وادخل اليمن فى صفة تاجر لعلى انظر سلمى فقال زهير والله يا أخى ان كلامك صواب ولكن حتى نتملى برؤيتك حينا من الزمان وبعد ذلك سر إلى أى مكان شئت ولعل القضاء والقدر يعملان شيأ لا يكون فى الغرضيات ثم أن الملك زهير ناول آخاه القدح فطاب له مجلس الشراب وانشرح فرجع إلى النفس الابية والنخوة العربية وأنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول اللهم صلى وسلم وبارك عليه:

رأت فى طيب الاحلام سلمى ... برؤيا ذات أهوال عظام
لنيران من الربع اليمانى ... أتت نحو الحجاز باضطرام

ولقد لفحت ضحكا سادات عبس واهوت منهمو نحو الشآم
فعارضها من الافيال فيل شديد البطش فى يوم الزحام
فأخمد سائر النيران قهراً وعاد بشمعة نحو الظلام
وقد ذكرت لنا سهراً طويلا وأخباراً تدل على التمام
وقالت قم نقم فى أرض عبس وأنا من عندهم شر الانام
فقلت لها أعاود نحو عبس وآتيك بأقوام كرام
فسرت وقد بكت سلمى وقالت عليك الدهر يا اسدى سلامى
سنرجع نحو هذى الدار يوما فلا تلقى الرجال مع الخيام
فقلت لها اهدئى سلمى وقرى فأنت عزيزة فى ذا المقام
وسرت إلى السرية باهتمام لقيت جذيمة صيد الحمام
وقت أسفت عليه شيوخ عبس وقد حزن الـكبير مع الغلام
وقمنا فى العزا سبعا وسبعا وللثار انتدبنا باهتمام
فأورينا بنى الريان حربا فلم ينجوا بغير الانهزام
قتلنا منهموا السادات قهرا ونلنا الثار منهم بالحسام
وعدنا للديار نريد سلمى وقلبى كل يوم فى انصرام
ركبت مطيتى واخذت عشر مطايا بالرجال وبالزمام
وعشرة أعبد أيضا شدادا وسرنا نحو سلمكا بانتظام
وعاصف كان مع نصر رفيقى ومسروق وطارقة الهمام
إلى وادى الاراك نرى قفارا بها الغزلان تمرح فى الخزام
فلم ألق بنى شمخ نزولا ولا قوما سواهم فى المقام
فألويت العنان وعدت أبكى وفى قلبى حرارات الغرام
ولم أعلم بسرى غير ربى ولم أخبر سوى محيى العظام
ورحت مهاجرا من دار قومى إلى مأوى حمى البيت الحرام
أقمت مجاورا عشرين عاما لزمزم والحطيم مع المقام
وحرمت القيان وحظ نفس وحرمت العقار مع المدام
إلى ان كان فى ذا العام آت أتانى مخبراً لى فى المنام
فقال أبشر أسيد فسوف تلقى لمن غابت وأبلت بالغرام
ويجمع شملك الرحمن يوما بأحباب وسادات كرام
فحرك ساكنا عندى قديما وذكرنى المنازل مع خيام

فسرت أقول يادهرى عساهم يعود للشجى المستهام
فسرت اليكمو والقلب يبكى وصبرى نازح والشوق نامى
فيا سلمى سقيت بغاديات بدار العز يابنت الكرام

(قال الراوى) فلمافرغ أسيد من شعره فاضت دموعه من عيونه فقال له أخونه يا أسيد نحن نساعدك و ندخل معك إلى اليمن فلعل أن تقع لها على خبر ثم دارت عليهم الكاسات وانبسطت السادات ولم يكن معهم أحد من بنى زياد ولا من بنى قراد إلا بنى جذيمة وساداتهم ولم يزالوا يشربون حتى أخذت منهم الخمر مأخذها وقد هبت عليهم نسمات الاسحار فى جانب تلك الانهار فناموا آمنين لكونهم فى بلادهم سالمين وهم سادات عدنان فناموا إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وإذاهم بالحبال فى رقابهم وهم مكتفون وقد ربطتهم الرجال على الخيل بالعرض وساروا بهم فالتفت الملك زهير إلى أخيه اسيد وقال له يا اسيد لك عشرون عاما تنظر فى هذا المنام فلا باركت فيه الاصنام فما رد أسيد جواب فاجابه نصر أبن سيار وقال يازهير أعلم أن المرء فى أموره مسير وليس هو مخير فأصبر فان لكل شيء سببا فاسألوا هذه السرية من أى العرب هى فصاح نصر بن سيار وقال من أى العرب أنتم أخبرونا فقالو ماأنتم إلا من بنى عدنان فقالوا نعم فقالوا لهم ونحن من بنى القيان ولنا ثار على فرسان بنى عبس وعدنان فقالوا ومن صاحب ثاركم فاموا إلى زهير فقالوا ومن هذا قال زهير بن جذيمة وكان معهم رجل شيخ قد عاش مائة وخمسين عاما وكانت بنو عبس أسرته فى الطريق وأسراوامولاهم بشر وكان يعرف بنى عبس واحدوا حدوكان هذا الفارس المقدم على هذه السرية يقال له نازح تربى فى ابيات عباد ونشأمع ضيا وكان نازح أحسن مايكون من الشباب فاحبته ضيا وأحبها هو أيضا وكان لايزال يغزو على حلل العرب ويجمع المال والمكسب حتى خافت منه جميع قبائل العرب وكان هناك رجل خبار ويقال له جزيم بن فاتك من بنى نعامه وكان نازح فى بعض غزواته فأتى جزيم بن فاتك وخطب ضيا فرده عباد سيد بنى القيان أقلج رد وقال له ياجزيم لوكان عندى الف كلبة ما أعطيتك منها شعرة أمض لاأم لك فمضى من عنده غضبان وأتى إلى بنى عمه ولبنى السواد وآلى على نفسه انه لا يكلم أحدا من العباد فدخلت عليه سادات قبيلته وقالوا ما بالك يا جزيم لا أحزن الله لك قلبا ولا اعتراك ضيقا لما فعلت هذه الفعائل ونحن سادات ورؤس القبائل فما رد عليهم جواب لاخطأ ولا صواب فقالوا له أيها الملك والله انه يعز علينا هذه الفعايل فأوضح لنا أمرك واعلمنا من ذا الذى من العرب قهرك فعند ذلك زفر جزيم زفرة واتبعها بحسرة وقال ياقوم وأى شيء تنفع الشكوى لمن لايزيلها فقالوا له بحق الذى رفع السماء بغير عمد الا ما أخبرتنا وكان جزيم مضطجعا فقصدو قال لهم يامعاشر بنى نعامه هل سمعتم فى بطون أسد بن دروان وأحيائهم

وقبائلهم وحللهم وعشائرهم أحدا قال ان فى شيئا يعيبنى فى حسبى أو نسبى فقالوا الا والله ما سمعنا بمثل هذا فقال وهل سمعتم أن احدا قصدنى فى شىء وخيبته قالوا الا قال فكيف أمضى إلى كلب بنى القيعان عباد ذى الجهل والفساد فردنى عن بنته ويقول لى لو كان عندى ألف كلبة ما أعطيتك منها شعرة أخبرونى يا بنى الاعمام عن أصل هذا الكلام فقاموا وقد غضبوا ولقتاله تأهبوا وقالوا سوف نفكره بكلامه ونذكره به عند ملامه أنه امسك أولاد القطار وآذى بنى عمه وسوف ترى يا ابن الكرام ما نفعل معه من الانتقام وقال وكان نازح هذا قد تربى فى أبيات عباد كما ذكرنا وكانت امه سلمى عندهم فى اعلا منزل لان عبادا كان لا يعيش له ولاد فرزق ببنت فسماها ضيا لاجل فلة الاولاد وكان له ابن عم من كهان العرب ودهاقنتهم فقال لهم وقد رأى نازحا وهو ابن ثلاث سنين يا عباد من أين لك هذا الولد الجرىء اداخبرنى على سره اطلعنى فقال يا عم أنا أخبرك بخبره وذلك أنى خرجت فى ليلة من بعض الليالى الى الصيد والقنص واغتنام اللهو مع الفرص وكان معى اولاد عمى فصادفنا فى البرخيل ابن عمرو ويزيد ابن حذاق السكسكى فى القين فارس من السكاسك ومعهم صنف سبى وهو محزون وكنا صادفناه فى مضيق العجم فرأينا معهم غنائم لا تعد ولا تحصى ونوقا وجمالا وكان وقت السحر والقوم لا يلتفتون الينا من كثرة الغنائم فقطعنا منها مضيق العجم خمسين ناقة ودخلنا بها إلى كهف كفرى قديم يسع الفى نجيب وكنا فيه إلى الصباح ثم خرجنا إلى رأس الشعب فلقيناهم سائرين وهم لا يلتفتون فخرجنا وسقنا النياق وإذا نحن بامرأة سخمت وجهها ولبست الحداد والسواد على أهلها ومن قتل لها فلما رأتنى قالت يا ابن العم هل عندك عفة وصيانات للنساء العربيات فاننى قد قاسيت من السبى والغربة والتشتيت ما لا فاساه احد فبالله عليك أن تستر وجهى ولا تفضحنى وانا اسأل إله السماء أن لا يفضح لك حريم ولا يرميك فى يد غريم فارحم من فارقت ديارها وابدا لها الدهر العجيب بعد الامان بالخوف والتغريب ورماها الزمان بنوائب الحدثان واحسن كما أحسن الله إليك لأنى من كرام الناس السادات ولكن الدهر له نكبات ما قرب إلا بعد وما جمع إلا فرق وإن كنت الكرام تجيب فان خير الكرام كرام الغريب وقد قيل فى الأمثال كما تدين تدان (قال الراوى) فما فرغت سلمى من كلامها حتى جرت من الرجال العبرات وسحرت عقول الرجال بهذا الكلام الفخيم الذى كأنه الدر النظيم فقال لها عباد ابشرى يا حرة الستر والحمى وكشف المضرة والعنا الانك وحق من له الاسماء العظام من أولاد السادات الكرام والله لاجعلنك بين أهلى وتكونى من بعض بنات الاعمام وتعيشى فى جوارى والذمام وانت حرة من بعض أحرارى ما دمت سالما من الآفات وحق رب الارض والسموات فما اسمك يا بنت الكرام فقالت له أنا سلمى بنت واصل بن سرور البطل المشهور من بنى شمخ بن عثمان المزنى من مدينة قريش فقال لها كيف

قدر هؤلاء عليكم وأنتم سادات شجعان فقالت له يامولاى أتوا الينا بغتة ونحن فى ولية
أصحابنا مع قومنا وسادتنا فرحين سكارى فما أصبحنا إلا والسيف يعمل فى سادتنا وصرنا
لكل قوم عبرة فصار ما صار وهلك الصديق والجار قال الأصمعى فعند ذلك أخذ عباد سلمى
وعاد إلى قومه وبنى عمه فلما دخل على زوجته ورأت سلمى بصحبته غارت منها فلما علم عباد
منها ذلك قال لها يا أم ضيا خذى إليك هذه الجارية الغريبة الطريدة المسبية فأكرمى مثواها
وبردى غليلها وجواها فانها لى من بعض الأخوات وحق رافع السموات وهى فى ذمامى
فمهما أكرمتيها بشىء فهو من إكرامى ففرحت زوجته لما سمعت منه ذلك الكلام وقالت لها
ابشرى يا ابنة السادة الكرام بجوارنا والذمام فقرى عينا فما يصيبك شىء فهدأ روع سلمى
وقد كانت حاملة من أسيد فمكثت إلى أن تكامل حملها فأتاها المخاض والطلق باذن خالق
الخالق فحضر حولها نساء الحى وقالوا هذه غريبة وعن أهلها بعيدة ومناقربية فحنهم عليهم
محن القلوب وكاشف الكروب ثم أنها استغاثت بعلام الغيوب فما استتمت دعاها حتى
وضعت ولدا ذكرا مثل القمر أبلج بطرف أكحل أدعج فقالوا لها يا بنت الكرام ما تسمى
هذا الغلام فقالت أسميه نازح لأنه لقلبى جارح ولعمرى إنه نازح عن الأوطان والمطارح
وقعدت سلمى تربيه فى الدلال وكان بنو غيضان فى كل وقت يتوعدون على حرب بنى عبس
ويقولون لابد من أخذ الثار لأنهم قتلوا بشرا أبا عباد فأخفت أمرها وقالت هذا الولد
عبد لكم وأنا لكم أمة ولما سألوها عن أبى هذا الغلام قالت لهم كان رجلا من بنى عمنا ومات لما
دهمتنا الأعداء وحلوا بنا الرداء وقد كانت ضيا أكبر من نازح بسنة وهى مثل البدر إذا شرق
أو الغصن إذا أثمر وورق فربى نازح مع ضيا فى الدار فى العز والافتخار إلى أكمل له من
العمر ثلاث سنين وكان عباد يحبه محبة زائدة أكثر من ابنته لأنه يتيم وقد ذكرنا أنه كان
بعض الأيام خرج به عباد إلى الغدير فرآه ابن عم له يقال له عانق بن عنيف الكبير فقال
يا عباد من أين هذا الغلام فقص عليه ما تقدم لامه من الكلام فقال إلى به حتى أكشف
لك أمره وما يكون منه لأنى أراه ولدا نجيبا فأخذه منه وأعراه لباسه وقد غسله من
الغدير وصبره عليه إلى ان جفت أقدامه وأمشاه على الرمل وهز رأسه وقال يا عباد احفظ هذا
الغلام لعل أن ينالنا منه الخير ويبلغنا من أعدائنا المراد ويقهر الأعداء والحساد وهو الذى
يأخذ لنا بالثار أن أحياه الملك القهار ثم رجع عباد إلى الاحياء وقد زاد فى أكرامه وكذلك
سلمى وصار لا يأكل ولا يشرب إلا معه فى الحى ومازال نازح ينمو ويكبر وينشأ إلى
أن صار له من العمر عشر سنوات وكان نازح هذا غلاما مليح بقدمعتدل رجيح ولسان
فصيح فكانت ضيا تحبه محبة زائدة وأقسمت أنها ما تريد أحدسواه ومن كثرة محبتها
له كانت تراه عندها أحلى من السكر ولا تناديه إلا بيا ابن العم إن غاب أو حضر إلى أن كان.

في يوم من بعض الأيام وهب له خاله عباد جملة أغنام مكان نازح يخرج بها مع أمه سلمى إلى المرعى وكان خاله عباد أعطاه فرسا يقال لها الهراوة وكانت تلك الفرس عجوزا عقيما لانها عاشت من العمر تسعين سنة وكانت فرس بشر أبي عباد سيد بني غسان وكان لما أمات بشر حرم عباد ركوبها وكانت وقعت أسنانها وانقطع نسلها فكان عباد يطحن لها الشعير ويطعمها ويزيد في أكرامها وما منها إلا أن تسرح وتعود فقال له نازح يا خالاه أريدك ان تهب إلى الهراوة حتى أبقى أركبها إلى المرعى وأعود فقال له خاله يا نازح الهراوة لا يركبها راكب وحق عينيك ولو كان سيف ابن ذي يزن ما كان لها من الفرسان ولكن هي لك فاروق بها ولا تعنفها فانك يا نازح عندي عزثم أن نازحا أخذ الهراوة وصار يركبها إلى المرعى ويلعب عليها بالقصب الفارسي ويطعن الشجر وكانت الهراوة جوادا أصيلا فصارت تعلمه الجولان والفروسية وكان في حي بني القيان جواد يقال له السكاب وكان هو أيضا أجود خيول الأعراب وقد كان في المرعى ذلك اليوم مع عبد من عبيد صاحبه فلما رأى الهراوة صهل وانجذب على الهراوة فلما رأنه الهراوة ضربت بأربعتها حتى قلبت الدنيا بالصهيل فلما رأى نازح الهراوة قد وقفت وانحلت مفاصلها نزل خوفا على نفسه فركبها الجواد أولا وثانيا وثالثا وإذا بصاحبه قد أقبل وكان الخبر قد وصل اليه من الخدم فاتى والسيف في يده مشهور وقال لنازح ويلك يا ولد الزنا أنت ما رأيت غير جوادي تشده على تلك العجوز العقيم فقال نازح والله يا عم أن جوادك هو الذى طرح شره علينا فخذ أنت الحصان والهراوة ولا توقع بيننا وبينك خصاما فقام صاحب الحصان وسحب حسامه وضرب عراقيب الهراوة فقطعتا فوقعت إلى الأرض فديده في حياها وجرف ما في بطنها من ماء جواده ومسح يده في التراب ودسها فيها ثانيا وثالثا وقال أنا ما أخلي ماء جوادي في جوفها وبعدها سحب خنجره فبدد مصارينها وأخذ حصانه ورجع فقعد نازح يبكي على الهراوة وكان نازح غلاما ذكي العقل فأخذ من شوك السعدان وقطب بطن الهراوة بعد ما دخل مصارينها بأربعة عشر شوكة كبارا مثل المسلات ثم أخذ طينا جبليا وكبسه وكان ذلك الطين من طين اليمن فمسك على جرحها بأذن الله تعالى وربط على أعضائها بحبل كان معه وبات عندها في البرية إلى الصباح وإذا بخاله عباد مقبل عليه ومعه من الحي جماعة وأمه باكية قدام الكل خائفة عليه فرأوه عند الهراوة وقد غرقت في دماها فتلحقت أمه عليه وقالت له والله يا ولدى ما نمت هذه الليلة لاجلك فمن فعل بك هذه الفعال وبفرسك الهراوة فحكى لهم وقال أن الذى فعل معي هذا الفعال هو عمران بن الجراح من شأن فرسه السكاب وخرق بطنها حتى لا تأتى منه بحصان عجيب فقال عباد أما يعلم عمران الخسيف العقل ان فرسنا الهراوة عاقر ولكن عمران أن يكرم لأنه من فرسان القبيلة (قال الراوى) ثم أنه عاد بنازح والهراوة وقد تقطعت

أعصابها وانعقر بطنها إلى أن أراد الله عز وجل بكرمه فطابت ومكثت سنة فولدت حصانا ما رأى أحد مثله فى ذلك الزمان أصفر مثل الذهب المصفى محجل الثلاثة مطلوق اليمين سائل الغرة يأمر عباد أن يخفيه ولا يظهره لئلا يعلم عمران فيأخذه فكان نازح يسقيه لبن النياق اللقاح فى المساء والصباح حتى كان له من العمر ثلاث سنين فصار يركبه ويخرج به إلى الصيد والقنص ليوم من بعض الأيام متى فيه نازح بعمران ومعه عشرون من الفرسان وهم سائرون إلى الغار فرأى نازحا وتحته جواده الزعفران فلما رآه عمران صبر إلى أن قرب اليه فقال له نهنيك يا نازح بهذا الجواد الأصيل الذى أمه الهراوة وأبوه السكاب فقال هنيت يا عمران فان الله تعالى أطعمنى على غيظك فتحقق عمران أن هذا الجواد من الهراوة لانه ما تكلم مع نازح هذا الكلام إلا لتثبته فلما ثبت عنده أنه من جوادها انقلبت عيناه فى أم رأسه وتغيرت حواسه وقال له نازح لا أم لك ولا أب قبل أن أخرج هذا السنان من ظهرك فقال له نازح لا تفعل يا عم لأن الهراوة كانت غير ولود والمولى هو الواصل فلا تبغ على فان البغى مصرع فقال عمران لأصحابه ألا ترون ابن الزنا كيف يكلمنى بهذا الكلام ثم أنه أطلق عليه عنانه وقوم سنانه فلما رآه نازح حمل عليه وفاجأه سحب حسامه وضرب به رمح عمران فبراه فجذب عمران حسامه وانطبق عليه انطباق الغمام فكر عليه نازح ولاصقه وأتعبه وأكربه وأبطل عليه ضربته وأمسكه من أزياقه وأرعبه وأنقض عليه وأخذه أسيرا وصاح على أصحابه ففروا من بين يديه رعاية لخاله عباد فرجع نازح إلى عمران وقال له يا قرنان كيف رأيت نفسك لا بد أن أهدم منك الاركان فقال عمران الصنيعة لك يا نازح وأنا أصير لك من جملة الخدام فأطلقه فلما رأى الرجال إطلاق صاحبهم فاجتمعوا عليه وقالوا له أنت اميرنا ومقدمنا ومشيرنا وكنا نحن عازمون الغزو والمسير فهل لك ان تسير معنا قال نازح سيروا على بركة الله تعالى (قال الأصمعى) فسار نازح وعمران بعد ما صفاه وحسن منه الوداد وساروا قاصدين إلى بنى ثعلبة ومازن وتميم لأنهم اعداؤهم من قديم الزمان ومازالوا يجدون المسير ثلاثة أيام وفى رابع يوم اشرفوا على مكان وفيه غدير ماء يجرى فكمنوا حتى سرحت اموالهم والانعام فعند ذلك طلع منهم خمسة خيالة فقدموا نحو الفين ناقة وساقوها فى البر الأقفر فلما بعدوا عن الحى مقدار فرسخ وإذا بخيل بنى ثعلبة قد تلاحقت بهم وفى اوائلهم ماميتهم مسيرة بن السراج فصاح على بنى القيعان ابشروا بالخيبة واتركوا الغنيمة وانجوا بأنفسكم فهو رأس المال فقال نازح انا لهم فقالوا اما علم أن فيهم الحية الرقطاء والرزية المعطاو هو ميسيرة بن السراج البلية السلطة فقال لها نازح يا بنى عمى أنا له ولامثاله فقالوا له نحن الجميع بنى ثعلبة (قال) وكانوا خمسمائة فارس فاعطوا النوق إلى خمسة فوارس ورجع الباقى مع نازح ثم استقبلوا أول الخيل ونازح ماله قصد إلا مسيرة

مقتل ميسرة ابن السراح



ابن السرح فصدمه صدمة جبار عنيد لا يخاف من الموت الشديد ثم انهم أخذوا فى صدام ولزام *هذا وميسرة قد اغتاظ من نازح وقد استقله فى عينه فوقع بينهم حرب تشيب منه الرضع واختلف بينهم ضربتان وكان السابق نازح فضرب ميسرة فى صدره فخرج السنان يلمع من ظهره فرأى ثعلبة إلى حاميتهم على وجه الأرض قتيل فولوا الادبار وتركوا الأموال وركنوا إلى الفرار فساق نازح وعمران النوق والخيل الشاردة والأسلاب وباقى الأموال وساروا يقطعون الأرض فى طولها والعرض إلى أن وصلوا إلى وادى الملتمس وغدير جابر فنزلوا هناك للراحة قال الأصمعى وكان اتفق بالقضاء والقدر إن الادرم بن حيان فارس بنى همدان أخذ معه الف فارس وسار إلى أرض عدنان وغار على بنى مداج وكان فارسهم سراقة الخثعمى الذى لحق رسول الله ﷺ لما خرج من قريش فقال له رسول الله ﷺ ارجع ياسراقه فلم يرجع فاشار رسول الله ﷺ إلى الأرض أن تبتلعه فاخذته إلى صدر جواده فقال يامحمد إطلقنى وأنا أردعنك كل من أتى وراءك يطلبك من قريش فأمر النبى ﷺ الأرض أن تطلقه فاطلقته ثلاث مرات حتى عاهد رسول الله ﷺ أن يردعنه كل من أتى من قريش يطلب النبى ﷺ فكان يقول لهم إرجعوا فان هذا المكان ما أتى فيه أحد فيرجعوا وتأخر اسلام سراقة بعد فتح مكة فأتى إلى رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين (قال الأصمعى) الراوى لهذا الحديث العجيب فلما أتى الادرم إلى ديار بنى خثعم

ومدلج أشار اليهم وكان فى الحى سبعون فارسا فعتك فيهم الادرم وقتل منهم عشرة فوارس وهرب الباقى فأخذ المال وعفا عن الحريم والعيال وسار يقطع الأرض طولا وعرض حتى أصبح الصباح ودخلوا وادى الملتمس وغدير جابر وإذا بنازح وعمران وهؤلاء العشرون فارسا من بنى القيان وكانوا المار أوا الغبرة ركبوا ظهور الخيل وإذا بالادرم بن الجبان قدامهم هو وبنوا الهمدان وقد تنافروا مثل العقبان فقال عمران اعلموا يا بنى العيان أن هذا هو الادرم ابن الجبان وفى هذه الساعة تذهب منا الارواح فقال نازح أسكت يا جبان فسوف أريه قدره ابن الشجعان فقال عمران انت ما تعرفه ياولدى هذا يقال له مثير الحروب فرده أنت عنا ونحن نحمى القبيلة من غيره قال نازح فلما رأيت ذلك قلت لفرسى الزعفران أن القوم ولا كل يوم ثم انه قوم السنان وأطلق العنان وقال يا آل بنى القيان فعندها تبسم الأدرم وقال للنازح يصلح لمثلك أن يفتخر ويتكلم بهذا الكلام لاننى أقول قول من له فراسة ومعقول انك لست من بنى القيان وحق الملك الديان لان فروسيتك تشابه فروسية بنى عدنان ولكن أنت معجب بنفسك واليوم أسكنك رمسك وأنا أعلم يا غلام أن ما فى بنى القيان من له بذلك عادة ومتى يصطاد الرخم عقبان قال الاصمعى فلما سمع نازح من الادرم هذا الكلام صار الضياء فى وجهه كالظلام وقال ويلك يا أدرم أما تدرى ما تقول من الكلام وتعرف قدرك بين الأنام وأنا وحق الملك العلام لا بد أن اشك فى نحرك هذا السنان المعتدل القوام وابرى منك الهام بهذا الحسام الصمصام انظر يا ويلك أن الشجاعة برسمك أم نزلت من السماء على اسمك فان طلبتم الانصاف ففارس لفارس وإن لم تطلبوا الانصاف فدونكم والقتال يا أطراف العربان فقال له دونك والميدان ودع الفشار والهذيان فصدم نازح للادرم فره مثل الجبل العظيم فأخذ معه فى طراد وجلاد وكر وفر وأخذ ورد ومستقر حتى ضج الفريقان وحارت تلك العربان من هول ذلك الحرب المهول الذى يسلب العقول (قال الراوى) ولم يزالا على ذلك الغبار حتى جاء آخر النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقال الادرم والله يا غلام ما أنت إلا اسد ضرغام أمض فقد عفوت عنك فى هذا النهار وان عدت سقيتك كاس البوار (قال) وكانت الفرسان التى مع الادرم ما قاتلوا بل وقفوا ينظرون إلى قتال نازح مع فارسهم وباتوا يتشاورون فى قتل نازح ويسوقوا الغنيمة التى معه قال الاصمعى هذا ما كان من جماعة الادرم وأما نازح وعمران فانهم باتوا فى الوادى وقالوا النازح أنت مع غريمك يا نازح لأنه فارس اليمن وغفير صنعاء وعدن فقال نازح والله يا بنى الاعمام انه لفارس همام وأسد ضرغام لكن أنا غدا أقتله بعون الرب القديم رب زمزم والحطيم وأفرق بنى همدان فى البرارى والآكام قال ثم انهم باتوا إلى أن أصبح الصباح فركب الفرسان واصطف الجيشان وإذا الادرم قد برز إلى الميدان ونادى بأفصح لسان يا ويلكم يا بنى القيان اتركوا الغنيمة من

أيديكم ولكم الأمان ولا تسمعوا كلام نازح الشيطان فإنه جاهل بمكافأة الشجعان ولو شئت لقتلته بالأدرس وعجلت حلول مصابه ولكن رحمته لأجل شبابه قال الأصمعى فلم يتم الأدرم جملة كلامه حتى تأهب الأمير نازح لصدامه فمنعه عمران عن ذلك الشأن وقال له يا نازح أعلم أنى لك ناصح وترك هذه الغنيمة من أكبر المصالح فتقدم إلى الادرم وصالحه ولا تقاتله ولا تكافحه فربما يظفر بك ويقتلك فصاح عليه نازح أسكت يا جبان يا ذليل يا مهان وحق الملك المنان لقد صدق الادرم المفضال فيم قاله من المقال ومتى كان فى بنى القيان فارس يعد من الفرسان خذ لك أنت وبنى عمك منه الأمان فاستحى عند ذلك عمران وقد عمل معه كلام نازح مثل ما يعمل السيف والسنان فقال يا أمير نازح إن هذا عيب وقبائح وها نحن بين يديك ورؤسنا من تحت قدميك ولا نبخل بأرواحنا عليك ثم إنه برز إلى الميدان ومحل الجولان وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

سوف أودى بنى القيان بضرب قاطع للرؤس فى الميدان
كى يقروا ويعلموا أن عزمى وطعانى بجندل الشجعان
سوف تدرى يا أدرم القوم بطشى حين تبقى رهين ذى القيعان
حين تلقى بهـذه الأرض طمعا لوحوش الفلا بهذا المكان
وبعزمى أرد ما قد نهبتم من أياديكوا بنى همدان
كى تقرون وتشهدوا لى جميعا إننى فارس فريد زمانى

قال الراوى فلما سمع ذلك الادرم فسر الحروب وعقابها ومضرم نار الحرب تحت قتامها تبسم وزاد به الابتسام وقال له يا نازح يحق لمثلك أن تقول هذا المقال وتفعل هذه الفعال وأنا أقول وحق الملك الديان بفراسة أهل العقول والعرفان أنك لست من آل بنى القيان لأن فروسيتك تشبه بنى عدنان ولكن أنت معجب بنفسك وفى هذا اليوم أسكنك فى رمسك وأنا أعلم يا غلام أن بنى القيان قد طابت نفوسهم بفوت الغنيمة وقد رضوا منى بالسلامة والهزيمة ولكن أنت الذى ثبتهم ولحربى أوقعتهم وهم لا يغنون عن أنفسهم شيأ فكيف يغنوا عنك يا نازح أو يشيع لهم ذكر عن كل غاد ورائح وهم يرتضون بالذل والفضائح فبحق مالك الممالك هذا القول منى صادق وليس الأمر بخلاف ذلك فقال نازح يا أخى كلامك صحيح ورأيك مليح ولكن ما الذى تريد أيها البطل الصنديد فقال له يا نازح خذ هذه الغنيمة وحدك فقد صارت ملك يدك ولا تعط منها شيأ لبنى القيان وامض سالما إلى الأوطان فقد وهبتك نفسك دون أبناء جنسك فقال نازح أمسك عليك لسانك ولا تكبر هذيانك لأن الشرق فى قبضة يدى وأنا محتوى عليه بشدة ساعدى وزندى لا يمكن أن إنسانا يهب شيأ لا يملكه وإن وقع له مال فعار عليه أن يتركه

أيها الأمير إن أنت خليتني أسيرو تركتني ذليلا حقيرا وشديتني بالحبال فخذ أنت المال والجمال وأنا لا أرضى بهذا المقال ولا يكون بيننا انفصال إلا بحرب وقتال تتحوز منه الأبطال ويشيب له رؤس الأطفال قال الراوى فعند ذلك حمل الادرم حملة الفيل الادغم والليث إذ هجم ولناز ح قد صدم وكانت صدمته صدمة جبار لا يطفى له بنار فعندها تلقاه نازح مثل الاسد العرين وتطاعن الاثنان حتى تقصف الرمحان وتضاربوا بالسيفين إلى أن كلت منهما سواعد الزندين إلا أن نازحا كان عجولا وبطلا مهولا يفوق على الأقران فى حومة الميدان كانه الأسد الغضبان قال الأصمعى فعند ذلك هاجم الادرم واروعه وضربه بالسيف صفحا فقلبه عن جواده كركبه فانقض عليه فارس من بنى القيان واوثق شداده وهو غائب عن رشاده ثم أن نازحا رأى الخيل وهى تموج فى الميدان وتنادى يا آل همدان نحن أسود الوغا نهار الطعان فخلوا على نازح وأطلقوا العنان وهم الف فارس من الشجعان فاستقبلهم نازح بالسنان وجود الضرب فيهم بالطعان وصاح ويلك يا عمران دونك وهؤلاء الفرسان فحمل بالخمسة عشر فارس وأعانوه على تلك الحوادث وكانت خيل بنى همدان تزيد عن الف عنان فصار يطعن فى نحورهم حتى حار وانى أمورهم وما زالوا على ذلك العيار إلى أن تنصف النهار فقتل من بنى القيان خمس فوارس أعيان وجرح مثلهم فى الميدان فولى الباقون وهم من فعل نازح متحيرون وأما الأمير نازح البطل المكافح فإنه صبر على الضرب الويل إلى أن دخل عليه الليل فعاد من بينهم راجع وقد جرح فى أربعة مواضع وكان قد قتل من بنى همدان خمسين فارسا أعيان وجرح مائة وعشرين بالسنان ورجع نازح آخر النهار وهو مثل الأسد الهدار وقد جمد الدم على ذراعيه فلما أن رآه عمران قام إليه وقبله بين عينيه وقال لله درك يا فارس الزمان ويا بطل العصر والاوان ثم أن عمران غسل عن نازح الدم وقدم له من الزاد ما يمسك به رمق الفؤاد ثم أنه بعد ما أكل من الطعام جلس فى بعض الخيام وأحضر الادرم ابن الجبان سيد بنى همدان وقال له كيف ترى حالك يا ادرم قال أسد ضيغم ولا بد للأسدان أن تصدو أن تصادفافعل ما شئت أيها البطل الجواد فان قتلتنى واهرقت دمى على الصعيد فها أنا طالما قتلنا منكم من أحرار ومن عبيد وإن طلبت الفدا فعلنا كما تريدو اطلب ما شئت من الاموال والنوق والجمال وان تصفح وتمن على بالخلاص فأنت المحمود والمشكور وأعلم أن هذا المقال ما هو خوفا من الممات وحق رافع السموات ولكن أنت تعلم بأن سراقة بن خثعم قد نهب ماله وقتلت رجاله وكأنك غداة غد به قد طبق البيداء بغباره فإنه لا بد أن يطلع علينا ويأتى بجيشه إلينا وأخاف أن يسطوا على بنى همدان فيفنيهم بالحرب والطعان فقال نازح يا أدرم وهل فيك موضع للصنيعة فقال أى وحق من خضع له كل شىء أننى أكافىء على الصنيعة وحوزتى منيعة وخيرى بادى وقد سال كرمى من

الأيادى فقال عمران والله يا نازح أنه السيد المطاع والقرن المناع (قال الراوى) فعند ذلك استحلفه نازح على الوفاء والصدق والصفا وإنه لا يخون ذمامه إذا هو عنه عفا وكل من خالفه يرميه الملك الديان بأعظم الايمان وقام اليه نازح وتناوله بالأحضان من بعد ما أطلقه من الوثاق وحاف له بالملك الخلاق ثم أنه أنعم عليه بجواده ورد له عدة جلاده وأرسله إلى بنى همدان فما سار الادرم غير قليل حتى عاد إلى قومه وأخذهم وعاد بهم من يومه وأخبر نازحا أنهم كانوا يريدون أن يكبسوا عليهم فى الليل، وقد تقدمت أجاويد بنى همدان تشكر النازح بكل ثناء ولسان وباتوا فى أكل وشرب وزال عنهم الهم والعنا والبؤس والضنا (قال المؤلف) وكان الادرم قد أرسل لقومه من غير عاقة وأتى من عندهم بألف ناقة وقال بالله عليك يا أمير نازح أنت من أى العرب وإلى أى القبائل تنسب فقال لا أدرى غير أن عباد بن بشر القيانى دعوه بخالى وابن عمى لانه أخو أمى فقال والله انك لفارس كريم ولكن يا نازح بحق هذا الزاد وجميع الفتيان الاجواد إنك تقبل منى هذه الالف ناقة يا ابن الكرام ولا تردنى خائبا بين هؤلاء الاقوام ولا تتركنى على عتب وملام ثم أنه أراد أن يقبل يده فانجذب منه وقال والله لولا إن مقامك عظيم وخاطرك جسيم ما قبلت منها عقالا ثم انهم باتوا بأحسن مبيت إلى الصباح فقال الادرم يا نازح نحن مطلوبون للحرب وقريبون من حلة بنى مدلج وأنا قلبى يحدثنى بأنهم يأتوا خلفى فقال نازح هدىء روعك وسر على بركة الله تعالى وأنا أسير معك إلى وادى العرفج ومياه غياغب ومن هناك أسير من اليمين وأنت تسير من الشمال فقال الادرم نعم الرأى أيها البطل المفضال لكن أكثر خوفى من وادى العرفج ومياه غياغب (قال المصنف) لهذا الكلام فساروا ذلك اليوم حتى نزلوا على ركابا شاكر فطلب عمران الأذن فى الرواح قبلهم ليبشر أهل الحى بسلامتهم فقال له نازح سر ياعم ولا تخلى خالى عبادا يتعب ويطلع ليلاقينا ثم أنه سار بعدما ودع أهل الحى فى السحر وحملوا النوق والجمال وساقوها وقطعوا البر الاقفر وقد ساروا إلى قرب الغدير وإذا هم ببريق زرد ولمعان خود ثم عارضتهم تلك الخيل وهى تنادى إلى أين تأخذون يا كلاب همدان اثبتوا فقد أتتكم فرسان بنى مدلج بن بقر الشجعان وسراقة أمامهم على جواده والجارود كأنه أسد من الاسود (قال الراوى) فلما أن رآهم الادرم تغيرت ألوانه وظهرت أحزانه فقال له نازح هدىء روعك وهل هم سوى خمسة آلاف من الفرسان لاقدر لهم ولا شان ثم انه حمل على بنى مدلج كأنه السرحان وكان الادرم قال لنازح اكفنى مؤنة هذا الشيطان وأنا أكفيك شر ما حوله من الاقران وقد كان سراقة أسر الادرم مرة وقتل أخاه وابن عمه فى كره ومكث فى بنى مدلج ستة أشهر وهو يطحن لهم الشعير حتى انه فدى نفسه ومضى من هذا العذاب الكبير وأقام بعد ذلك يطلب من سراقة أخذ ثاره ودفع ما يخل به من عار ۞ قال

فلما أن صدمه نازح وهو ينادى بنسب بنى القيعان ضحك عند ذلك سراقة من أجل ذلك الشأن ثم أنه قال ومتى كان فى بنى القيعان فارس من الفرسان أو شجاع يعد من الشجعان وما كان حاميتهم سوى عباد وعمران ولعمرى متى يصيد الرخم عقبان ومتى تقابل سباع الغاب أقل الكلاب ومتى كان لبنى القيعان ذكر مذكور وخبر مشهور بين الشجعان أسكت ياويلك عن هذا الخبر ولا تفتخر بما لا يفتخر به ولا تعد مثل ما يكون من الخلق والبشر وهات ما عندك من الحرب واستعد للطعن والضرب (قال الراوى) فعند ذلك أنطبق الفارسان على بعضهما البعض وقد أخذوا فى جولاتهما طولا وعرض ثم أنهم تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت وتضاربوا بالسيوف حتى تثلمت إلا أن سراقة قد تأمل فى حرب ناذح فرآه فارسا متين وهو كالاسد العرين فتحايد عنه فى عاجل الحال وتجنبه فى المجال وما زال معه فى النزال إلى أن عول النهار على الارتحال وأقبل الليل بالانسدال وجن عليهم الظلام وقد رجعت الطائفتان عن الحرب والصدام وباتوا يتحارسون إلى الصباح وكان الأدرم قد سأل ناذحا عن سراقة فقال والله إنه فارس جبار وبطل مغوار ولكن فى غداة غد يكون الانفصال إما ان يقتلنى ويتركنى طريحا على الرمال وإما أن أقتله وأستريح من القيل والقال فقال له عمران بل ان تقتله إن شاء الملك الديان أو تأسره فى حومة الميدان هذا ما كان من هؤلاء من الأمر والشأن وأما ما كان من سراقة فانه عند ما سأله بنو عمه عن فارس بنى القيان وما جرى له معه فى الطعان قال والله يا بنى العم ما هو إلا فارس كريم وبطل عظيم وما هو من بنى القيان وليس فيهم إنسان يشبهه فى الطعان ولا من يثبت معه فى حومة الميدان إلا أن تكون أمه قد التقطته من بنى عبس وعدنان لأنه يا بنى الاعمام له حملات ماهى قحطانية وما هى إلا ضربات عدنانية وحق خالق البرية وانى أشهدكم على يا بنى الاعمام اننى ما عفوت عنه فى هذا النهار إلا من الفضيحة والعار وغداة غد اقتله بالصارم البتار ولو يكون فارس الاقطار (قال الناقل) لهذه الأخبار بعد الصلاة والسلام على سيد الابرار قال مجدو ما زالوا على ذلك الرواح إلى أن اصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وإذا بالأمير ناذح الجحجاح قد خرج يريد الحرب والكفاح فلما أن توسط الميدان واشتهر بين الفرسان نادى بأفصح لسان يا بنى مدلج الكرام ابرزوا إلى محل الصدام لانكم والله فرسان واقران وأنا أريد منكم الحرب والطعان قال المؤلف لهذا الديوان فما استتم كلامه إلا وسراقة قدامه وقد أخذ معه فى الجولان والصدام والكر والاقدام وأخذ فى طعن يقد شوامخ الجبال والجلاميد وقد ثبتوا ثبات الفرسان الصناديد وما زالوا فى عراك إلى أن وقفت الشمس فى قبة الافلاك فوقفت الفرسان فى وسط الميدان هذا وسراقة سأل ناذحا ان يتمهل عليه لحظة فأمهله ناذح فنادى سراقة يا أدرم أنت أضرمت النار فلأى شىء تتكل على

غيرك يصطليها أندل العرب قد عولت على صبيان بنى القيان أن يأخذوا لك بالثأر ويكشفوا عنك العار وهيهات هيهات ستندم على ما فات لأنى البستك ثوبا من العار لا تقدر أن تقلعه إلا بقوة زندك وساعد جدك أبرز إلى الميدان ودع مدلج وهمدان وأنا أشرط على نفسى شرطا واحدا وفيه الصنيعة إعلم ان المال الذى أخذته وغرت عليه مالى وهى ستة آلاف وثلثمائة ناقة غير الخيل والبغال فابرز إلى الميدان ومقام الطعان فإن أنت قتلتنى مضى بنو عمى ولا يطالبوك بثأرى فى هذه النوبة بل يدعوه إلى مرة أخرى وتمضوا أنتم بغنائمكم سالمين وإذا أنا قتلتك أخذت المال وأطلقت بنى عمك بلا غنيمة سالمين فلما سمع الادرم هذا الكلام أخذته النفس الأبية والحلة الدنية وحمل على سراقة بعد أن قال لنازح ياولدى تنح أنت عنه وعن قتاله هذا قاتل أخى وابن عمى وأنا أحق بقتاله ثم قال فأخذ معه فى الحرب أخذا أكيدا وتطاعنا طعنا شديدا فتقاتلا طول النهار إلى الليل فهجم الادرم على سراقة هجمة الاسد الغضبان وأمسكه من جلابيب درعه وأراد أن يبطش به ويقتله ويأخذ منه ثاره فلما رأى سراقة منه هذا الأمر لزم غريمه وتجاذبا على ظهر الخيل حتى قتل تحتهما الفرسان وبعدها هجم الادرم على سراقة وضربه فقطع الدرقة ونزل السيف فى كتفه وكذلك الادرم ضرب سراقة على هامه فنزل السيف حتى قطع الرفادة وشق دماغه فوقعوا بعد أن صاحوا صيحتين فحمل الفريقان على بعضهما لما سمعوا صياحهما وكان السابق إليهما نازح فلا زال يضرب بالسيف حتى خلص الادرم وأخذ سراقة بعد أن قاتل إلى الليل فرجعت بنو مدلج وقالوا فى أنفسهم أما سراقة فقد قتل ونحن غدا نطلب الإقالة من هذا الفارس الذى هو من بنى القيان لأنه ليس له عندنا ثار يأخذه فإن رضى وإلا فالبغى يصرعه (قال) هذا ما كان من بنى مدلج وتدبيرهم وأما ما كان من ناز ح فإنه أحضر الاثنين عنده وشد جراحهما بعد أن ربطهما فأفاقوا الإثنان بعد أن سقاهما الشراب المنعش فقال سراقة أين أنا فقال ناز ح ليهدأ روعك ياسراقة ما أنت عزيز إلا عند من يعرف قدرك ولا يهمل أمرك وإنى قد أطعمتك طعامى وأسقيتك مدامى ثم أنه أرسل خلفه عشرة من مشايخ بنى مدلج وقال لهم إعلموا يابنى الأعمام أنه قد انفصل بين سراقة والادرم الكلام على أنكم ترحلون بسلام لأننا لا نركب مطية البغى فتردينا وتشمت الأعداء فينا وهذا سيدكم عندى مكرم معزوز مطعم إلى أن تطيب جراحه ويتم صلاحه ويشور للسلام إليكم فقالوا له حبا وكرامة ثم تركوا مع سراقة ثلاثين فارسا أعيان أبطال الاشجعان وسار الباقى فى ظلام الليل (قال) فلما سار بنو مدلج إلى أحيائهم سار نازح ومعه سراقة والادرم ومعه فرسان همدان إلى أن بقى بينه وبين الديار يومان وإذا بعمران ملاقى نازح وهو راجع يركض بجواده مثل المجنون ويقول النفير النفير الحق يا نازح بنى القيان قبل أن تهلكهم الفرسان ويتبدل عزمهم بهوان فإنهم

قد ابتلوا بما لا يطاق وقد ضيقوا عليهم الخناق والذى أحوجهم لغزونا ابن فاتك الأسدى
وبنو انعامة لأنه قد خطب ضيا فرده خالد وقال إنى قد أعطيت ضيا لنازح ابن أختى
فرجع عليه جذيمة ببنى نعامة وبعض قبائل العرب وحلفائه وأتى إلينا فى سبعة آلاف
خيال ونحن عسكرنا ألفان وخمسمائة خيال وله اليوم ثلاثة أيام وهو يقاتل بنى القيان وقد
ألجأهم إلى جبال ساهم فى شدة وضيق فالبدار قبل أن يفنيهم جذيمة بن فاتك (قال الراوى)
فلما سمع نازح ذلك الكلام انقلب الضياء فى عينه ظلام وقال من هم هؤلاء اللئام سيعلمون
من هو النادم ومن يرجع خاسرا وهو قاظم وأنا أقسم بمن يقول للشىء كن فيكون لا بد أن أذيقه
كاس المنون ثم إنه جد فى المسير وقد أطلق الادرم وسراقة وصلحت أحوالهم وقد أصلح
بينهما نازح وعمان وجعلوهما إخوان ثم ساروا وفى قلب نازح من جذيمة نار لا تطفأ
ولهيب لا يخفى وفى ثانى يوم وقت الصباح أشرف نازح على أرض بنى القيان فوجد الحرب
بينهم عمال وقد اشتعل وقوده فى اشتعال (قال) فسأل عن ذلك وكان السبب فى ذلك جذيمة لما
اتى إلى عباد رجع وهو غضبان اجتمع بأهله وشكالهم ذله وانكسار نفسه فقالوا له ومن
هو عباد الحداد وكانت بنو القيان فى الجاهلية يصنعون السيوف والزرد واللبوس وآباؤهم
من قبلهم كانت هذه صنعتهم ومعنى القيعان يعنى الحدادين فلذلك سموا بنى القيان وكان لما
ظهر نازح صار حامية الاخوان وكان عباد القيان وهو آمن من الويل فما شعر إلا وقد دهمته
الخيل وينادون بأحسابهم ودارت ببنى القيان سبعة آلاف عنان من كل جانب ومكان
ثم أرسلوا إلى عباد رسولا يقول لهم اعلموا يا بنى القيان أن صاحب هذه الخيل جذيمة ابن
فاتك أمير بنى نعامة وجليلها وقد أتوكم بالفارس والراجل فإنكم رددتم جذيمة بن فاتك
الرد الذى لا يصلح لمثله أن يرد به وذلك قولك الصريح لو كان عندى ألف كلبة ما أعطيته
منهم شعرة فأنت قد جعلته كلباً وهو سيد بنى نعامة صاحب النسب الصحيح فاغتاظ
لذلك واستجار ببنى عمه واستغاث بنا لنكشف همه وغمه فأجبناه وأغثناه وأنت
يا عباد قد أسأت الأدب مع سادات العرب وأهل المنازل والرتب فإن أتيت
حافى الاقدام مقرا بهذا الخطأ والإجرام ومع هذا تهديه بنتك بلا مهر فانك تنجو
من الذل والقهر لانه حلف أن يأخذها مسبية فقلنا له لا تفعل فإذا وصل رسولنا إليك
ياذا الهمة العالية فاعمل ما أمرناك (قال الراوى) فلما وصل هذا الكتاب مع الرسول
إلى عباد بهذا الكلام صار الضياء فى وجهه كالظلام وقال يا كلاب أنتم لكم قدر بين
الانام حتى تقولون لمثلى هذا الكلام قوموا اعليهم بالحرب والطعان وهل هى إلا مونة
واحدة أكون قاتلا أو مقتول وينفرج ذلك ويزول فإن قتلت فخذوا ابنتى ومالى
وعقارى ثم أنه قام فى بنى عمه خطيبا وقال الحمد لله على كل حال اعلموا يا بنى

الأعمام أن المقال لا تنال إلا بالصبر على الاهوال والشدائد والنزال والعمر لا يزيد ولا ينقص والرزق مقسوم لا يزيد ولا يقل فقاموا يابنى عمى عن الحريم والاموال ولا تخافوا يابنى عمى من هؤلاء الانذال فانهم بغاة الباغى له مصرع والله تعالى يرميهم ويردهم خائبين المرجع (قال الراوى) فلما سمع ذلك بنو القيان قاموا إلى الخيل فشدوها وإلى الدروع فلبسوها وكان لهم جيران يقال لهم بنو ذهيب نحو خمسمائة فارس فصاروا ثلاثة آلاف خيال والأعداء فى سبعة آلاف خيال ورجع الرسول إلى جذيمة بما قال له عباد وجماعته وقال له انه ما عندهم أخس منك ولا ممن معك فلما سمع هذا الكلام قال غداة غدا يكون الحرب ونزلوا على المياه والغدران ثم انهم ملؤا ذلك البر والصحصحان وكان بجوار بنى القيان جبل يقال له ساهم وهو جبل منيع وحوله شعاب وصخور وهضاب فأوقدوا تلك الليلة النيران وحملوا كل شىء لهم وخلوا البيوت خالية من العيال والنسوان وساروا نحو جبل ساهم فأحست بهم بعض الأعداء من رغاء الجمال وقت تحميل الأموال فركبوا خيلهم واعتقلوا بالرماح وتقلدوا بالسيوف ليباشروا الحتوف فلما حمل بنو القيان وعباد النوق والجمال سيروها قدامهم ووقف عباد وسادات قومه فى ناحية الأعداء وإذا بالخيل قد أقبلت وعليها فرسان بنى نعامة وبنى مراد وجميع العرب الذين جمعهم جذيمة فقد أتوا ركضا فاصطدم الفريقان واختلت الطائفتان وحان الحين وزعق غراب البين ولا زال الحرب يعمل والدماء تبذل والرجال تقتل إلى أن طلع النهار ونزل جذيمة وفتك بنى القيان وجرح السادات والفرسان مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع بينما هم فى شدة الحرب وإذا بعمران أقبل وعلم بالبشارة فقاموا يبكون فى وجهه وينعون إليه من قتل من بنى القيان فحسبوهم فوجدوهم ثلاثمائة خيال ومن بنى ذهيب ثمانين فارسا وقالوا له ان أكثر فرساننا الذين عليهم المعتمد وجدوا بجروحين فبادر ياعمران قبل حلول الحين فرجع عمران وهو طائر العقل فلما رآه نازح وهو صائح قال له ما بالك أنت انجننت حتى تصبح وأنت فارقتنا على إنك طالب الحى والاوطان فما أعادك أنت فى هذا الهوان (قال) فأخبره عمران بما وقع من جذيمة وما فعل وما جمع من القبائل وإنه قائم الحرب بالليل والنهار فلما علم نازح ذلك عض على يده وقال سوف أرى جذيمة ما فعل وأجازيه فسار وهو يقول صلوا على طه الرسول :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والموت واحد

ثم جدوا فى المسير إلى أن وصلوا إلى الديار فوجدوا الأعداء قد ملكوها وكان نازح ارسل عمران وقال له اكشف لنا خبر أهلنا فسار وعاد وأخبر أن الأعداء قد ملكوا المضارب وانهم فى الجبل (قال الأصمعى) فلما دخل نازح ومن معه ورآه أهله فرحوا به وقويت قلوبهم على

الحرب وكان نازح قد سبق النوق والجمال وعمران سبقهم إلى الجبل وأدخلهم الشعب واجتمع مع عباد فقال عباد أين نازح فقال له خليناه فى الجبل يحسب حساب الأعداء. إذا سبقت أنت بهؤلاء المجروحين نخلهم فى الجبل ونبقى نحن جرائد وقد بلغنا الآمل إذا جاءتنا الخيل وإذا بتليتنا بالجمال رجعنا إليهم فى الحال فلما سمع عباد ذلك المقال ركب وسار بمن معه وبقبائل نازح وكان عمران قد طلع من النوق والجمال شيأ يسيرا وقصر بهم خوفا أن أحدا يلتقيه فينهبه وكان مع الأعداء مائة فارس ركبوا خيلهم وقصدوا الشعب وكان مقدمهم أخو جذيمة يقال له جهزم النعام وكان قد سبق النوق والرجال المجروحين فصاح فرسان بنى القيان بفرسان بنى نعامة وكان بالأمر المقدر سهرانين تلك الليلة إذا بالنوق الذى قصدبها عمران الجبل حتى قرب من الأعداء وكان قد رآها الأعداء فقال واحد منهم ما تقولون فى هذا الذى هو مقبل علينا فقالوا له ويلك ياحبش فما تقول أنت يا ابن خويلد فقال أقول أن جيشا مقبل من هذه الناحية فإن كانت هى الخيل فالفرار وإن كانت غنيمة مع فارسهم نازح نخذوها ثم أنهم صبروا إلى أن وصلت إليهم وصرخوا فاجابهم الفرسان من جميع الجهات والتقت الفرسان بالفرسان وصاحوا على الخيل التى مع الغنيمة. فاجابهم عمران يقول يا لبنى القيان أصحاب الضرب والطعان وكان أخو جذيمة قد طلع من الجانب الآخر فاجتمع بحجرة حبش بن الصمصامة وحملوا على تلك العشرة فوارس الذين هم من بنى القيان فكان قريباً كاذ كرنا من هذا المكان فيحرس الطعن والنوق والجمال والأنعام قال الراوى فلما سمع نازح البطل الجحجاح ذلك الصياح أدركهم فى الوقت والساعة وحمل وأدرك العسكرين فى تلك الساعة وقد قوى الأمر وزاد الشر وزاغت مقل العينين. وارتفع العياط بين الفريقين وقد بلوا بنو نعامة بما لا يطاق فقال لهم عمارة بن مسعود انخسوا هذه الجمال بأعقاب الرماح وأطلقوها على بنى القيان وهى تدوسهم تحت أرجلهم وتهلكهم فقالوا هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم أنهم لزغوا النوق والجمال كما أمرهم عمار فردت النوق على بنى ذهيب وهمدان ونازح وبنى القيان فلما أن رأى نازح ذلك قال يا بنى الأعمام أقبلوا أعنان الخيل والحقونى إلى رأس الجبل لعلكم تنجون فقالوا الماذا فقال لهم الحقـ ـنى ولا تراجعونى ثم أنه ألوى عنانه فعندها ألوت همدان وذهيب وبنو القيان كلهم أعنتهم حتى ساروا فى فم الوادى ونزل نازح عن جواده وقال لهم يا بنى الأعمام افعلوا كفعلى وانزلوا عن تلك الخيل واتركوها مع الجمال وتعلقوا أنتم فى الشعاب فعند ذلك نزل الجميع وقد نزل كل واحد عن جواده وصاروا فى الصحراء وتعلقوا فى الشعاب وقد أطلقوا الخيل فداستها الجمال وقد كان بعض الخيل أصيلا عتيقا معودا بالسلوك بين الصخور فهرب وهو مثل الأرقم فنجا ووصل إلى جبل سام كانه

النسر القشعم وقد عبرت الجمال كلها إلى الشعاب ولم يضع منها عقال وقد دخل الفرسان في أثر الجمال فرأوا هناك الرجال ملقحين على الرمال وكانوا أربعين فارساً وهم مطروحون وفي دمائهم مزملون ففرحوا بذلك ثم أنهم رجعوا إلى أماكنهم وقد أقاموا ذلك النهار للراحة وقد استراح نازح وفرح بسلامته وسلامة أصحابه الفرح الشديد الذي ما عليه من مزيد (قال الراوي) ثم بعد هذا أتى نازح إلى جواده الزعفران وركبه وكان ذلك الجواد تربى مع الخيل الجياد فركبه ومضى عليه إلى عند أمه وسألها عن بنت خاله عباد فقالت يا نازح ما كانت سفرتك عليها إلا كل يوم منها مقوم بسنه وكانت تسأل عنك في النهار ثلاث مرات وكانت تأخذها الحمى وتسخن في غيبتك وكانت كل ليلة تبكي إلى الصباح وتبدي الانين والنواح وتقول يا هل ترى الزمان يسمح لي وأرى نازح ماشيا أمام خيامي وعادي وهو حول خبائي ظاهر وبادي ومن يوم أقبل جذيمة وسمعت أنه يطلبها قالت لي يا خالة إلى أين قد مضى نازح فإنه قد أبطأ علينا خبره من دون كل غادي وبادي وهذا جذيمة يريدني وأنا قد أخذت هذه الشفرة التي تحلق اللحى فإن أنا أهديت إليه ورأيته دنا مني وضعتها والله في نحري أو في قلبي فاعلمي نازح أنني له ذاكرة ولإنعامه شاكرة وحافظة للعهود والوداد إلى يوم التناد (قال الراوي) فبينما نازح مع أمه في الكلام وإذا برسول من عند خاله عباد أتى بطلبه فقام على حيله وسار إليه فرأى مشايخ قومه عنده ولما نظر نازح قام له وترحب به وقال له يا ابن أختي أنت تعلم وأهل الحي أنني قد أردت أن تبرز غداً إلى جذيمة فإن قهرته فهي لك وخذها وإن قهرك هو والله يدبر لك الأمر كيف يشاء فقال له النازح والله يا خال ما لها إلا أنا بنفسي وأنا فداء كل من في الحي (قال الأصمعي) ثم أنهم باتوا على ذلك الحال إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فقامت الفرسان وركبت الجرد القداح واصطفوا للحرب والكفاح والطعن بالرماح فكان أول من برز إلى الميدان ومقام الضرب والطعان ليظهر الكاسب من الخسران هو نازح رئيس الشجعان ونادى جذيمة تقدم إلى الميدان إن كنت من الفرسان إلا لأنني أطلب ضيا وأنت أيضا تطلبها فابرز إلى الميدان ومقام الضرب والطعان فكل من قدر منا على خصمه بأسر أو قتل أخذها وأريح العرب من الحرب والقتال والطعن والنزاع ودع الناس في حالهم فلاى شيء يقتتلون من أجلي أو من أجلك (قال الراوي) وهو بهدبن هاشم فلما أن سمع جذيمة ابن فاتك هذا الكلام ضحك واستبشر وقال واحراه على كبدي ثم أنه وكل أمر بني نعامة إلى معقل بن عمه وقال له أنت خليفتي على بني نعامه فإن رأيتني قتلت فاحمل أنت عليهم وخذ بثاري واكشف عني عاري ثم أنه برز وهو على جواد أحمر يساوي عشر بدر ثم أنه هز جواده وضربه بالسوط فخرج من تحته مثل الريح الهبوب أو الماء إذا اندفق من مضيق

الانبوب ولما أن قرب إلى نازح قال له ياولد الزنا لست أنت من أمثالى ولا تعد من أشكالى ولا أنت فى الحرب من أبطالى ثم إنه أنشد يقول شعرا .

اليوم يا نازح تبقى مثلى وأنت ملقى فى القيعان مطروح
بطعنة العسال أو ضربة من أبتر فى الحرب ممدوح
غضب يمانى مليح الطلا يسلب من جثمانك الروح
من كف قرم أروع ماجد يترك منك الدم مسفوح

(قال الراوى) فلما سمع نازح هذا الكلام قال له انى أنا اليوم ياابن اللئام أطير منك الهام ثم أجابه على عروض شعره يقول صلوا على طه الرسول .

بشر جذيمة الندل مع قومه بنار حرب تأكل الروح
وغارة تلقاه من فارس يردى جذيمة وقلبه يصير مقروح
ترجو بأن تأخذ ضيا بلا طعن يخلى الدم مسفوح
هيهات ياهذا وعز الاقا ويبيت منك القلب مشروح
من دون ضيا فارس ضيغم يترك كبش القوم مطروح
فاقدم جذيمة تلقى نازحا يطعنك طعنا يسلب الروح



(قال الاصمعى) فما استتم نازح كلامه حتى أطبق عليه جذيمة مثل البرق الخاطف أو الريح العاصف والتطموا واصطدموا وقد أظهروا أشد تهم وبأسهم حتى أبهروا النواظر وسلبوا

عقل من كان حاضر إلا أن نازحا لاصقه وضربه بالحسام على هامته فشطره إلى نصف قامته فوقع على الأرض من ساعته فصاحت بنو قيان لا شلت يداك ولا كان من يشناك يا فارس الزمان وفريد العصر والأوان ثم أنهم حملوا وحملت بنو نعامة وعقيل ابن عم جذيمة والتقت الرجال بالرجال والأبطال بالأبطال وعظم الحرب والنزال ودام القتال ورأت الفرسان الأهوال والتقى نازح وحجر بن جبلة وهو يحرض الأبطال فانقض عليه نازح انقضاض العقاب واختلف بينهما الطعان والضراب وشابت من هول حربهما المشايخ والشباب وبعد ساعة من النهار اختلف بينهما طعنتان سابقتان وكان السابق بالطعنة حجر ابن جبلة فضرب نازح رمحه فبراه كما يبرى القلم وهجم عليه وضربه بسيفه فرماه ولما أن وقع انقض عليه رجل من بنى القيان وأوثقه كتاف وقوى منه السواعد والأطراف وإذا بجيش ابن الصمصام قد حمل على نازح وصاح فيه إلى أين يا لقيط يا ابن الزنا فالتقاه نازح بقلب أقوى من الصخر والبولاد وكان فى جيشه فارسا مذكورا وبطلا مشهورا فما زال مع نازح فى كر وفر إلى دخول وقت العصر ولما رأى نازح إلى طول المقام معه هجم عليه مثل الأسد وضربه بالحسام فطير راسه عن الهام فلما رأوا بنى عدى إلى سيدهم والخيل تلعب برأسه حملوا وتبعهم بنو بشير وسيدهم عمار بن مشير إلى آخر النهار ونازح مثل الجمل الهدار وقد فرق الفرسان والاقران وفتكت بنو القيان وهمدان وطرحوهم على وجه الأرض وفرقوهم طولا وعرض فلما رأى عمار بن مشهر ذلك طلب هو وقومه الفرار وولوا الأدبار فلحقهم بنو عمرو وبنو مرار وقد تشتتوا فى كل واد وبنو القيان وبنو دمهت وهمذان يقتلون فيهم ويأسرون إلى آخر النهار ورجعوا عنهم ونزلوا فى الخيام ونحروا النوق والأغنام ورجعوا إلى الطعام وروقوا المدام وباتوا بأطيب ليلة إلى أن أصبح الصباح فأحضر نازح الادرم وسراقة بن خثعم وأصلح بينهم صلحا مليحا وحلفهم أنهم لا ينقضوا الوداد فحلفوا وتعاهدوا أنهم لايخونوا فى الخير والشر سواء فأعطى كل واحد منهم ألف ناقة وأعطى بنى همدان قوم الأدرم نصف غنيمتهم ثم أحضر حجر بن جبلة وأراد أن يرمى رقبته فشفع فيه السادات وقالوا الاجل ابن عمه قيس بن مشكوح المرارى فقال له نازح ياحجر هل عندك موضع للصنيعة فقال نعم وحق الحنان المنان مكون الأكوان انى أكافىء على الاحسان (قال) فحلفه على الوفاء والصدق فحلف ثم أطلق سبيله وأطلق أكابر قومه فشكروه وودعوه ومدحوه ولما طابت الخواطر وقرت العيون والنواظر التفت نازح إلى خاله وقال له ياخال أوفى لى بوعدى من جهة ظبية القناص ودرة الغواص فقال عباد يانازح أنت وأهل القبيلة تعلمون أن دماء ناطرية عند بنى عبس وعدنان لأنهم قتلوا أخاك بشر بن وهب وأخى فاذا أتيتنى بفارس

مشهور من بنى جذيمة أو من بنى زياد أو من بنى قراد أو يكونوا اثنين سيدين حتى أقضى منهم الدين وأزيل العار والشين فبعد ذلك خذها وهذا أشرف لى ولك وأنا أرى منك أن تكتم هذا الحال عن النساء والرجال وان قلت لأمك فانها لا تدعك أن تروح لأنها تخاف عليك من فرسان عدنان أرباب الحرب والطعان ولعمرى أنهم فرسان وسادات وأصحاب حروب وغارات فان كنت عنهم عاجزا فلا تحمل نفسك ما لا تطيق فقال له نازح يا مولاى بالتدبير يهون المسير وأنا قصدى أن أجمع خمسين فارسا من بنى القيان يكونون لى أتباعا وأعوانا فقال له خذ لك ستين فارسا وخذ معك أيضا عمران بن الجراح (قال الراوى) ثم أحضرهم وأمرهم بالمسير معه إلى الغارة فأجابوه بالسمع والطاعة ثم أنه ودع أمه فسألته عن سفرته فقال لها لى غارة قريبة فقالت له غارة عدنانية أو قحطانية فقال لها لا أدرى فقالت يا بنى إياك والحذر أن تغير على الطائفة العدنانية فانهم فرسان وطعان وأنا أخاف من الفارس الاروع والبطل الامجد الذى أذل الفرسان وأباد الشجعان وأهلك الاقران حامية بنى عدنان الطويل النجاد وحية بطن الوادى وسافك الدماء المسمى بعنتر بن شداد فقال لها يا أماه زودينى بدعائك فقالت له روح الله يسهل عليك أمرك ويرفع قدرك ثم أنه خرج من عندامه وقد اعتد بعدة حربه وجلاده ثم أنه سار وتبعته الرجال وفى أوائلهم عمران بن الجراح قال الاصمعى ثم انهم صاروا أول يوم والثانى والثالث نزلوا على غدران الحجاز ومن هناك صاروا يكمنون بالنهار ويسيرون بالليل مدة سبعة أيام إلى أن وصلوا إلى بلاد جشم وهوازن ثم أنهم عرجوا على سقط اللواء ومنعرج النقا وقطعوا تهامة فى خمسة أيام وفى اليوم السادس أشرفوا على العلم السعدى فكمنوا فى وادى الظباء ووادى الاراك ثمانية أيام وفى تاسع يوم رأوهم نياما فى الوادى المذكور فقبضوهم وساروا يقطعون الربا والبطاح مدة سبعة أيام وهم يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار فتاهوا عن الضرب وكانوا فى ديار سبأ وحمير القديمة وربوعها فقالوا بعضهم لبعض نحن نعرج عن أسودهم فقال نازح اسأل الرب العظيم رب زمزم والحطيم يجمعنى أنا وأسود بنى عبس ثم أنهم جدوا فى المسير وهم يقولون لعلنا ندرك ثنية العوسج قبل الصباح ثم ساروا إلى أن قاربوا الثنية وإذا هم قد اعترضهم عشرون فارسا عشرة من اليمين وعشرة من الشمال وفارس بارز عنهم وهو أدهم وجواده أدهم وهو كأنه قطعة جبل وهو ينادى أين تذهبون ونحن لكم فى الطلب يا أنذال العرب قد أتاكم فارس الجلاد وقانص الأسود يوم الطراد ومفتت القلوب والأكباد الأمير عنتر بن شداد قال الراوى فعندها أجابه نازح أهلا وسهلا فأنا والله لى زمان طويل افتش عليك والحمد لله الملك الجليل الذى جمعنا فى هذا المكان بحضرة هؤلاء الشجعان قال وكان قدوم عنتر فى ذلك اليوم له أمر عجيب وحديث مطرب غريب وذلك أن عنتر والحارثه

ابن زهير آلما أتوا القوم وقتلوا الخيتعوش بن عرائر أتوا إلى الحى فرأوه مقلوبا والناس تقول قد فقدت السادات من بنى خذيمة وهم سادات بنو عبس وعدنان من وادى الاراك فاغتاظ عنتر وقال للحارث أقعد هنا يا مولاى ثم أخذ عروة وعشرين فارسا من رجاله وترك الحارث فى فرسان بنى عبس الكرام وسار عنتر وشيبوب قدامهم يقفز قفزات الغزلان إلى أن وصلوا إلى وادى الاراك وصار شيبوب يقتنص الأسود فى يوم وثانى وثالث ورابع إلى أن دخلوا ثنية العوسج فوقف شيبوب وكمن بهم فى الوادى ثم قال له يا ابن الأم قص هذا الأثر وانظر ما يكون فى أى وقت يأتوننا فسار شيبوب إلى ثنية العوسج وقال هيهات هيهات قد انقضت الحاجات وسبقناهم ولو كانوا طيورا يا سادات ثم أنهم باتوا تلك الليلة وفى ذلك اليوم التى نازح وعنتر وقد زعق فيهم وقال لهم دعوا سادات بنى عبس وذبيان وانجوا بأمان قبل أن تعودوا إلى نقصان ثم أنه همز وزجر ولعب برمحه الأسمر وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

ارفق بنفسك يا من أنت متعوب ... وأعلم بأنك يا مغرور مطلوب
كيف التخلص من رمح ومن ترس ... ومن حسام صقيل الحد منسوب
ملكت ساداتنا والخمر خامرهم ... حتى علتهم عدلات وتعذيب
أما سمعت باسمى ويك فى ملا ... وأن من ذاق طعنى فهو معطوب
أما علمت بأنى سوف أطلبهم ... ولو دهاهم إلى السدين تعريب
ياويح من بات لى فى حيهم طلب ... يمشى ذليلا ويضحى وهو مكروب
ياعبلة كم فارسا أرديته بجندلا ... فوق الرمال وهو بالدم مخضوب
وكم عجاج غبار خضت غمرته ... وقدت فرسانه والكل مغلوب
والسمهرى مع الصمصام يعرفنى ... عند النزاع وعقل المرء مسلوب
ويل إلى أم نازح حين تعدمه ... تبكى عليه بدمع وهو مسكوب
فسوف تعلم من منا يكون غدا ... قتيل بغى وهو فى الترب مسحوب
أنى أنا عنتر أو ما سمعت به ... بطل كمى يرد القوم ملهوب

قال الراوى فما استتم عنتر كلامه وما أبدى من نظامه حتى صار نازح أمامه وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه وقد انزعج عقله وحواسه وأخذته النخوة العربية والنفس الابية وصار فى حمية الجاهلية ورقرق مثل النار المحرقة والصاعقة المبرقة وأجابه على شعره يقول صلوا على طه الرسول :

يا أسود الجلد يا من أصله النوب ... ويا كثير الخنا والاصل معيوب
اليوم أرديك طعنا فى الفلاة ولا ... أبقى عليك وأنت اليوم مغلوب

وأسأل الأدرمكم عن نازح أسفا | عن طعنه حين أضحى وهو ملهوب
طعنته طعنة فى الحرب بالغـــة | هوى بها وهو فوق الأرض مكروب
تركته لوحوش البر تنهشه | فوق الحصا وهو للعقبان منهوب
كذاك حجر أسرناه بهمتنـــا | كالكلب شد وأضحى وهو مسحو
وسوف أردى بعزمى عنترا وكذا | أجرى دماه فيمسى وهو مسكوب
يبدى أنينا وأعضاه بجنـــدلة | فوق الرمال وهو بالدم مخضوب

قال الأصمعى فلما فرغ نازح من شعره وسمع عنتر ما قاله من نظم ونثر زادت به الغموم وقد صار الضياء فى عينيه ظلام وقال له يا ابن اللئام دونك والصدام واثبت إلى طعن القنا وضرب الحسام ثم إنهما اصطدما كأنهما جبلان والتطا كأنهما بحران زاخران أو كأنهما أسدان ضاريان وقد تعجب منهما كل من رآهم بالعيان هذا والأمير أسيد كلما رأى حرب نازح يتعجب ويزيد به الطرب وينظر إلى خفته ورشاقته وحسن حربه وشجاعته وهو مع ذلك صغير السن فأخذته عليه الشفقة والرأفة وصار يتأمل فى هذا العمل ويقول فى نفسه والله إن هذا الغلام ما يجوز أن يقتل ثم إنه نادى بعنتر وقال له بالله عليك يا فارس البدو والحضر إن قدرت على هذا الغلام لا تنزل به العبر ولا تتركه قتيلا معفر وتدعنى عليه أتحسر قال الأصمعى الراوى ثم إن عنتر البطل الهمام لما سمع هذا النثر من مولاه أسيد زاد به الابتسام وجد مع نازح فى الخصام وأخذ معه فى الصدام إلى أن جرى منهم العرق وزاد القلق ورأى عنتر من نازح طعنا يقلب الحدق ويشبه البرق إذا برق فاحترز منه على نفسه خوفا أن يسكنه فى رمسه فافترقا عن الطعان ووقفا فى الميدان فصار عنتر يعد له باللسان وهو لا يعرف إنسان ولم يأخذ كلام عنتر بقبول وأشار إليه ينشد ويقول ونحن وأنتم نصلى على طه الرسول

دع عنك عزلى فلا أصغى إلى عزلى | ولا أجيبك فى قول ولا عمل
موت الفتى وسيوف الهند تنهبه | أخير من عيشه فى الذل والخبل
ليس التقدم يوم الحرب يهلكنى | ولا الفرار ينجينى من الأجل
من كان يكره أن يلقى منيته | فالموت أحلى على قلبى من العسل
قابلنى الآن ياعبد اللئام ولو | عرفتنى كنت تخشانى من الوجل
لأن جنسك عبد أسود كدر | من يصطفى العبد لا يأمن من الزلل
فاليوم أرديك فى البيداء جندلا | رزقا لوحش الفلا فى السهل والجبل
لأننى ذكر فى الحرب ذو ذكر | مقلد ذكرا أهوى إلى القلل
أنا الذى لسراة الحرب أسرهم | لأننى فارس والناس تشهد لى

قال الراوى فلما سمع عنتر كلامه وفهم شعره ونظامه وما لفظ به من كلامه أشار يرد عليه جوابه وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

يا قاصدا يبغى قتالى فى الفلا ويرومنى عند اشتباك فناها
كم قد أبدت كتائبا ومواكبا وحملت فيها كى تدور رحاها
وبريق سيفى فى العجاجة لامع يغشى عيون الناظرين ضياها
وسنان رمحى فى الصدور مشرق ومغرب حتى يشك كلاها
وأنا الذى لو مثلوا لى صورة للموت يوم الحرب لا أخشاها
أحمى بنى عبس على طول المدا حتى أموت ولم يمت ذكراها

قال الأصمعى ولما قدم عنتر من أرض العراق حكى له أبوه شداد على ما جرى لبنى عبس الأجواد فتبع منهم الآثار فقال له شيبوب اتبعنى فى وسيع القفار وأنا يا ابن الام أسبقهم بيومين ولو كان كل منهم يطير بجناحين ما ألحقك بهم فى أقل من لمحة عين ثم أخذ بهم فى عرض البر أول يوم وفى ثانى الأيام طلع بهم من جبل وتحدر منه ونزل وفى ثالث يوم أشرف بهم فى تلك الثنية وصار يتأمل فى جوانب البرية فقال له عنتر سير ولا تخشى من نكير فقال له هيهات هيهات سبقناهم ولو كانوا طيور طائرات فما أقاموا غير قليل حتى بان لهم النور وهم على تلك الأمور فأشرف عليهم نازح وهجم عليهم وقد اشتد الشعر الذى أنشده وأجابه عنتر وحمل كل واحد منهما على صاحبه وقد ذاق من طعنه ومضاربه واصطدما كأنهما بحران والتقيا كأنهما جبلان هذا وعنتر كلما رأى رشاقة نازح وملاحة حربه على صغر سنه يتعجب من ذلك ثم أن أسيد صاح بالله عليك يا أبا الفوارس لا تقتل نازحا ولا ترديه بل أنك تأسره وتبقيه لأن قلبى عليه فى احتراق ولم أدر ما السبب فى ذلك الاشفاق هذا وعنتر قد رأى من نازح طعنا مثل الجمر إلى أن سال منهما العرق وقد زاد بهم القلق وكان الأمير نازح معه ثلاث من الحرب التى كانت من قديم الزمان يتحاربون بها فى بلاد السودان وكان إذا رشق بها خصمه أوزجها إليه تنفذ من الحديد والزرد الذى عليه لأنها تخرج من يده مثل البرق إذا برق أو مثل السهم إذا مرق فاغتصبت منها واحدة من يده وجعل الاثنان تحت فخذه فلما تعب من عنتر وحل به الخوف والضرر زجها إليه فخطفها عنتر من الهواء فأخذ حربة أخرى من الحربتين اللتين تحت فخذه وقد غضب حيث خابت حربته ثم أنه راوغ عنتر وأشار إليه بها وقد هزها إلى أن حرر طرفها نحوه وقال خذها فى تحرك يا أسود يا حجام ويا راعى الأغنام فجعل عنتر ترسه على صدره ووجهه فلما رآه نازح قد استتر من فوق زجها إلى صوب مشعره لشقه فوقعت الحربة فى قربوس سرجه وكان من الحديد الصينى اليابس وهو من سروج كسرى فخرقته وكان قد انحرف إلى ناحية عن السرج فضربه

بالحربة التى كان قد خطفها من الهواء فسبقته حربة نازح فجاءت فى السرج ونفذت منه وحصلت فخذ عنتر فجرحته (قال الأصمعى) فلما أحس عنتر بألم الجرح الذى فى فخذه اغتاظ وهز تلك الحربة إلى أن التقت طرفاها على بعضهما البعض وقد طار منها الشرر ثم أرسلها إليه فخرجت من كفه مثل البرق الخاطف أو الريح العاصف فوقعت فى لبة جواده الزعفران فمرقت من بين فخذيه مثل السهم إذا مرق أو الريح إذا سبق فوقع الجواد إلى الأرض فأراد نازح أن يثبت من على ظهره إلى الأرض فما أمهله عنتر بل هجم عليه وأخذه أسير (قال الراوى) هذا ولما أن رأت بنى القيعان ما حل بنازح حملوا الجميع على عنتر لما أن رأوا فارسهم معه أسير طمعا فى خلاصه من يده فناصه فعندها رمى عنتر نازحا من يده إلى وجه الأرض فكاد أن يرض عظامه رض وإذا بشيبوب قد انقض عليه مثل الريح الهبوب وفى عاجل الحال شده كتاف وأوثق منه السواعد والأطراف ثم أن عنتر ازعق على من معه من الفرسان وأمرهم بالقتال والضرب والنزال فعندها حملوا وعنتر وضع فيهم الطعن بالرماح والضرب بالصفاح فثار عليهم الغبار إلى أن سد البطاح وقل الفلاح وكثر النواح وقد تجندلت الفرسان على البطاح هذا وقد سار الغبار من فوق رؤوسهم مثل الدخان فهرب الجبان وتشتت الأقران وكانوا فى ذلك المكان كانهم العقبان فصار هذا يكر وهذا يفر وهذا يمر كأنه السبع الغضنفر وكانوا فى ذلك البر الأقفر ما يطلع أحد منهم على خبر فما كان للجبان صبر ولا مستقر ولم تكن إلا ساعة من النهار حتى وقع الفناء فى فرسان بنى القيعان وقد اشتدت عليهم المصائب والأحزان فقتلوا منهم ثلاثين بطلا واسروا خمسين وانهزم فى تلك البرارى عشرون (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب والأمر المطلوب الغريب بعد الصلاة والسلام على صاحب القضيب والبردة والنجيب الذى كل من صلى عليه قطعا لا يخيب وكيف يخيب وهو يصلى على الحبيب ثم أن عنتر تقدم إلى الملك زهير وأطلقه من الشد والوثاق وهو ومن كان معه مأسور من أخوته وأولاده وسائر الرفاق ولما استقر بهم القرار تقدم عنتر إلى الملك زهير وقبله وعن سبب أسرهم وما وقع لهم وهم نيام فى البر والآكام فقال عنتر يا مولاى يجب على كل إنسان لا يأمن غدرات الزمن فانه لم يزل غدارا وأنا أشكر ربى الكريم على هذا الخلاص والتيسير من غير حصول ما يوجب التكدير لأنه هو الذى سخر لنا الأمور وإلا بقينا معيرة فى سائر البرور ثم أن عنتر بعد ذلك حدث الملك زهير بما جرى له فى أرض العراق وكيف سرقت خيولهم فى الطريق وكيف انهم رأوا شيبوب والحارث والبنات مع بنى زهير وهم فى غاية ما يكون من شدة الاثر بعدما أيقن كل واحد منهم أنه مقبور هذا والملك زهير يسمع وأجفانه من العبارات تدمع ثم أنه قال يا أبا الفوارس هل ولدى الحارث اليوم فى

الحياة وهو فى الحلة سالم فقال عنتر له نعم انه فى الأحياء ماتم عليه من البشر شىء يخشاه فقال له لله درك يا أبا الفوارس فو الله لقد أزلت عنى ما كان اعترانى من الوساوس لأنه كان قلبى من ولدى آيس ثم أنه قال له يا أبا الفوارس سر بنا فى هذه القفار واطلب بنا الأهل والديار من قبل أن تشيع عنا هذه الأخبار قبل المسير وأضرب رقاب هؤلاء الكلاب واعلم أن قتلهم عندى هو الصواب واقتل هذا الولد ابن الزنا قبلهم وانزل به العذاب (قال) فلما أن سمع الحاضرون من الملك زهير هذا الكلام قال له الجميع والله لقد أشرت بالصواب هذا وقد تقدم شيبوب وأخذ نازح وقدمه أمام الجالسين وعراه فى عاجل الحال من ثيابه فبان له جسم أبيض كأنه البلور ثم أن شيبوب بعد أن عراه كشف رأسه فبان له شعر أجعد أسود فتأمله أسيد ابن خزيمة فرأى هذا القد الرشيق وتلك الخلقة العظيمة ورأى فى ذراعه معضدية وفيها صنمين وهما فى الحرز الجزع منظومان وهما على هيئة الآلهة والأصنام وكانت تلك المعضدية لا يلبسها إلا رجل جليل عاقل لبيب هذا وبنو عبس قد أرادوا بنازح التنكيل وتقدموا إليه بكل سيف صقيل فقال لهم أسيد اصبروا يا بنى عمى على قليلا حتى أنظر ما تحقق عندى من بعض ما أرى ثم أنه تقدم إلى نازح وقد حل المعضدية من على ذراعه وقلبها ساعة وبكى وأن واشتكى ثم أنه قال لنازح من أين لك هذه المعضدية يا غلام (قال الراوى) فعندها بكى نازح وقد نزلت دموعه مثل الغمام وقال له اعلم أن هذه قد أعطتها لى أى وإذا اعترانى هم فببركتها يزول همى وغمى (قال الراوى) فلما أن سمع أسيد هذا الكلام نزلت دموعه على خدوده حجام فقال لنازح يا هذا وما يقال لأبيك بين الفرسان فقال نازح والله يا مولاى أننى لا أدرى من هو أبى ولا أعرف من القبائل عربى ولا ربيت إلا غريبا يتيما فى غير هذه البلاد وقد انتشيت فى نعمة مولاى عباد وإن له بنتا يقال لها ضيا وقد هويتها أيام الصبا وبسببها نازلت الأبطال وقاسيت الأهوال وصرت كلما أحب أن أطلبها منه يمنعنى الحياء وأقول فى نفسى بالأمس كنت يتيما بينهم واليوم أطلب بنته فو الله لا فعلت ذلك أبدا ولو أننى أشرب كاسات الردى ثم أننى لم أزل أتقرب إليه بكل ما يرضيه وصرت أبالغ فى خدمته وأكتم فى قلبى هوى ابنته وكلما اشتد بى الغرام أشكو إلى أمى ما بى من الهيام فكانت إذا سمعت مقالى تبكى على أحوالى فيسمعها أبوها قصتى وقصتها ولما رآنى قد تفرست وقهرت الأبطال طلب منى مهرها مثل سادات بنى عبس وعدنان وقد ذكر لى أن عليهم ثار من قديم الزمان وهو من أجل ذلك يتقلى على مقالى النار وإذا تذكر أفعالكم تدمع عيناه كالغدران وكان قبل ذلك قصدكم مرارا وهو يعود بالخيبة ولم يحظ بطائل فقال لى إن كنت تريد أن تحظى بالقصد فسر إلى أرض الحجاز وأتنى بغرمائى فى الأصفاد ولما أن رأت أمى ما عزمت عليه

أعطتنى هذه المعضدية وقالت لى ياولدى اعلم أن هذه تكون حماية إن أراد نصرك رب السماء لأن فيها اسم محيى العظام وخالق النور والظلام واعلم أن أباك قد أعطانى إياها وقال لى إحفظيها ولا تعطيها لأحد وكان ذلك يوم حملت بك ولا أدرى بعد ذلك ما يكون من مكتوبى ومكتوبك فى جميع الأعداء ثم أنها قالت ياولدى ان أنت ظفرت بأعدائك وبلغته مناك فاحمد رب زمزم والمقام ومنى وإن أنت أخذت أسيرا فمن بركتها تخلص من البؤس والعنا فربطتها فى عضدى وقد ظننت أن أنال بها قصدى ثم انى بعد ذلك عرضت المسير على قومى فأجبنى منهم مائة فارس فأوعدتهم بالغنائم وقد سرنا إلى وادى البان وقد ظفرنا بكم من غير تعب بأمان هذا وقد لاح لى قول أمى فى المعانى قطعنا بكم البرارى إلى أن لقينا هذا الفارس الأسود الذى مثله فى هذا الزمان لا يوجد وقد جرى لى معه ما جرى وحل بى منه النكبة وها أنتم قد قدمتمونى لضرب الرقبة وقد أيقنت من ساعتى بالوفاة وأيست من الحياة (قال الراوى) فلما سمع أسيد من نازح هذا الكلام لاح له من الحق لائح السلام فعند ذلك تقدم إليه وقد ضمه إلى حضنه وقبله بين عينيه وقال له أنت ولدى وقطعة من كبدى واعلم أن هذه المعضدية قد أعطيتها لأمك ليلة دخولى عليها وها اسمى مكتوب فيها ثم أنه التفت إلى أخيه زهير وقال له يا أخى إن الزمان قد عاد وعلى جاد وقدر على ماذهب وأسدى إلى ما وهب واعلم أن لى مع أم هذا الغلام قصة وقد كنت أحدثتك بقصتها (قال الراوى) فلما سمع الحاضرون كلام أسيد تعجبوا وحل بهم الانذهال وقد بكوا وجرت دموعهم الغوال هذا وعنتر قد بكى وتعجب ولحقه الفرح والطرب وفى عاجل الحال جاء إلى نازح وقبله بين عينيه وقد زال ما فى قلبه من الاحقاد عليه لأنه قد رآه فارسا غضنفر وبطلا قسور فقال نازح يا بنى عبس ما أنتم إلا معدن الجود والفخر قال الأصمعى وبعدها عادوا طالبين الطريق المستقيم والمنهج القويم هذا ونازح سائر بجانب أبيه اسيد بن جذيمة يتحدثون وأسيد يعطيه صفة أمه وأحكامها وما كان من أمرها ونازح يقول له صدقت وقد صح عندى أنك أبى ولا بقى لى صبر عنك أو عن قومى وعربتى غير أنى متفكر كيف أقيم عندكم فى بنى عبس وأمى أتركها بحسرتها فى بنى القيعان تقاسى من شوقها إلى النيران ولا سيما إذا سمع عباد أنى من بنى عبس والله ما كان يتركها تمشى على الأرض وأموت أنا بحسرتها ثم حسرتى على ابنته ضيا لأن فى رجلى قيدا ثقيلا لا ينفك من محبتها إلا بوصل حبل الاجتماع بها وصحبتها فقال له أسيد وكيف ياولدى أخلى أمك فى يد العدا وأخلى من ضيا فى قلبك غصة أبدا ثم أنهم لم يزالوا سائرين إلى أن أمسى المساء فنزلوا وهم فرحون حتى أكلت الخيل عليقها وركبوا وصاروا على ماهم عليه حتى وصلوا إلى وادى البان فوجدوا فرسان بنى عبس وبنى زياد وهم فى تلك

الروابي والمهاد وقد أتت تقتفي الملك زهير وأخوته فسار وراءهم حتى يحظى بفعل الجميل معهم فخاب أمله وحظى بالفعل الجميل غيره إلا أنه لما أبصر الملك زهير وأخوته حدثهم بما جرى لهم مع نازح وبالقصة التي جرت من أولها إلى آخرها (قال الراوى) فلما سمع الربيع ذلك الكلام تقدم بمكره ودهاه إلى عنتر وسلم عليه وشكره على فعله قال له لا كان يوم لا ننظرك اليه لانك ذخيرة لأصدقائك ومصيبة على أعدائك ياسيفنا القاطع ورمحنا الساطع فلما سمع عنتر مقاله استحى منه وشكر فعاله وقال له هل أنا إلا عبدكم بسيفكم اضرب وبعزمكم أغلب ثم أنهم ساروا إلى الماء حتى أشرفوا على وادى الاراك فباتوا هناك إلى أن بدا الصباح فعولوا على الرحيل والرواح فقال أسيد أنا ما أقدر أن أسير معكم إلى الاحياء حتى أمضى وأخاص زوجتى سلمى وأبلغ ولدى نازح المنا ويزول عن قلبى العنا وإذا لم نفعل معه هذه الفعال وإلا فما يطيب له عندنا مقام ولا نزداد إلا قلقا وهياما قال الأصمعى فلما سمع الملك زهير من أخيه هذا الكلام قال له يا أخى كلنا نسير معك إلى بلاد اليمن وننزل بكل من فيها المصائب والمحن ولا نعود إلا ببلوغ المقصود فقال عنتر لا وحق من أخرج الماء من الجلمود وأهلك قوم عاد وثمود لا يسير لهذا الأمر إلا أنا ولا أحوجكم إلى تعب ولا عنا فقال الربيع لله درك يا أبا الفوارس يا زين المجالس أنا وأخوتى نسير بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك وكان قول الربيع مكرا ومحالا حتى يرمى عنتر روحه على الأهوال فانه كان يتمنى له عثرات الزمان أو مصيبة تصيبه فى بلاد اليمن من الذل والهوان فشكر عنتر مقاله وهو يعرف مكره ومحاله ثم أقسم بمن يعلم عدد النبات أن لا يسير فى هذا الأمر غيره هو والأمير عروة ومن صحبه من رجاله السادات فقال الملك زهير هذا الأمر لا يكون وكيف نترك مثلك يخاطر بنفسه يرميها فى البلاء والمحن أتريد أن تهلك روحك فى بلاد اليمن بل كلنا نسير معك وعلى ما تلقاه نساعدك وإلا فخذ معك ألف فارس من بنى عبس الأشاوس فقال عنتر أيها الملك الهمام لا وحق زمزم والمقام لو كنت سائرا لافتح بلاد الشام لاخذت معى ألف فارس تمام وهل هى إلا قضاء حاجة ونعود ولكن يا مولاى ما يطيب على قلبى المسير إلى هذه المعنى حتى يدخل الحارث على لبنى (قال الراوى) وكان الحارث قد برىء من جراحه وقد بدا علامة صلاحه هذا ولم يزل بنو عبس سائرين حتى وصلوا إلى الديار ونزلوا وقربهم القرار وقد أخذوا فى الولائم والهنا وجدوا فى عرس لبنى وهم فى فرح وسرور وهناء وحبور وذبحوا فى عرس الحارث خمسمائة ناقة وألفين رأس من الغنم هذا وقد رتع فى العرس الخاص والعام سبعة أيام تمام وزفوا لبنى عليه ودخل بها وطاب قلبه بقربها وأقاموا بعد العرس سبعة أيام فأتى أسيد إلى عنتر وشكا إليه ما فيه ولده نازح من الغرام فقال له عنتر والله لو أرسلت إلى بعض العبيد ما كنت تأخرت عن السفر أيها الملك السعيد ثم أنهم قالوا للملك نحن معلولين

على المسير فقال أمضوا يسر الله لكم المسير ثم أرسل معهم مائتين فارس غضنفر وعقد لأخيه أسيد راية وقدمه عليهم وسار معهم للوداع حتى بعدوا عن المنازل وودع بعضهم البعض وسار عنتر وأسيد قاصدين بلاد اليمن وكملت عدتهم ثلاثمائة فارس وهم المائتين اللتين أرسلهم معه الملك زهير والمائة فارس رجال عروة بن الورد ومع نازح وثلاثون فارسا من قومه صحبة عمران بن الجراح فجدوا فى قطع البرارى والبطاح فهذا ما كان منهم وأما ما كان من الملك زهير فإنه رجع إلى الديار فوجد الدنيا منقلبة بالنواح فلما نظر الملك زهير إلى ذلك حار ولحقه الانبهار وقال على من هذه المصائب والبكاء والانتحاب فتلقاه ولده الحارث وهو مسلوب الحواس وقال له أنه قتل أخى شاس فكاد أن يقع من على ظهر الجواد وقال له من أنا كم بهذا الخبر من العباد وإذا بعبده سالم تقدم وأشار يقول هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات :

قتلت عامر شاسا بستام قاتلات صاده الصياد غدرا فوق ظهر الصافنات
جاءه سهم بليل فهوى فى الفلوات بعد ذا قد أم نحره ظالم ذو غدرات
ثم أمضى بعد قتله دفنه فى الربوات جئتكم أسعى إليكم سادتى ذو المكرمات
فاعلموا حقا يقينا صدق قولى يا ثقاتى واطلبوا الثأر سريعا يا كرام السروات
فهو فى عامر حقا عم على بثبات بينهم قد راح شاس بسهام قاتلات

(قال الراوى) ثم أن العبد ابتدأ يحكى للملك زهير ما وقع لولده شاس وكيف حمل ناقته طيبا وكيف تعالج مع بنى فزارة ورافقهم وكيف رافق الشيخ مجيد وكيف حلف مولاى ما يرفق أحد ثم قال وسرنا يا مولاى حتى أتينا غدران جعفر والنظيم فصادفنا رجل كريم وقال لسيدى باتوا عندنا الليلة وفى الصباح سافروا الآن كل ليلة بداوزنا سلالا وهذا الليل عاكر فقال سيدى وحق ذمة العرب ما نبيت إلا قدام فسرنا يا مولاى إلى نصف الليل فأشرفنا على غدير وكان بالقضاء والتقدير عليه صياد وكان الصيد قد أتى إليه وكاد أن يقع فى اشراكه فنفر منه فقال الصياد ما هذا الظلام الذى بدأ منكم إلينا يا أنذال العرب أحرمتمونا رزق العيال ونفرتم عنا الصيد بعدما كاد أن يقع فى الحال فقال شاس ويلك يا نسل الحرام نحن ما معنا خبر منك ومن صيدك فى هذه الآكام فقال الصياد لمثلى يقال هذا الكلام خصوصا فى مثل هذا الظلام ولكن خذ ما جاءك وابشر بالحمام ثم أنه أخرج سهما وضرب به مولاى فى صدره فأخرجه يلمع من ظهره وزوده بأخرى فى ظهره فقلبه وهجم عليه وبرك على صدره وفى يده خنجر ماضى الحد فصرخت عليه فقام إلى كأنه فرخ من الجان والخنجر يقطر دما فعلمت أنه نحره وقال أعد يا كلب العبيد لا تقرب منى فخفت أن يقتلنى ولا أصل إليك فركضت فى عرض البر الاقفر حتى وصلت إليكم لتأخذوا بالثأر وتكشفوا العار ثم أن العبد

بكى وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

أيا عين أبكى بالدموع السواكب ... على شاس مولاى وعينى وحاجبى
ويا كبدى الحرا عليه تقطعى ... فلا كانت الدنيا بغير حبائبى
فلو حل بالأفلاك ما فى قلوبنا ... تساقطت الأفلاك من كل جانب
فهذا مصاب عم شرقا ومغربا ... على سيد من نسل قوم أطايب
وذلك أن سرنا أتينا لعامر ... فصادفنا صياد هذى الأرانب
وصاح على شاس تنجاولا تسكن ... جريئا وخف من سطوتى ثم جانب
فلم يصغ شاس من الكلام لأنه ... من الملك فى أمن وأعلا مراتب
ففوق سهما للقضا صاب نحره ... وأقلبه عن سرجه فى الغياهب
فخفقت مولاى على الأرض ثاويا ... بيغض الحصا ملقى على فرد جانب
وصاح ولم يقدر أن يتم كلامه ... وأروت دما للحصا والسباسب
وقد أخذ البهلول منى جواده ... وغيبه فى الأرض تحت المتارب
وقد صاح جهرا بعد قتله سيدى ... ورأم هلاكى بعد قتله صاحبى
فأسرعت يامولاى فى البر هاربا ... أجوب الفيافى مسرعا كالنجائب
فاخبرتكم بالأمر ياملك الملا ... لتسعى اليهم سائرا بالكتائب
فوالله لا طابت حياتى بعده ... ولا لذ لى عيش لفقد الحبائب

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره نزل الملك زهير وأقام بالفلا ثلاثة أيام وركب فى أولاده فى بكاه وانتحاب على فقد أخيهم شاس وزهير سائر فى أوائل الناس مقروح الفؤاد والضمائر حتى أشرف على بنى عامر فركب غشم ملاعب الأسنة فى قومه إلى ملتقى الملك زهير فأقبل إلى أن قاربه وترجل وسلم عليه وقال له ماهذه الهمة العلية ياملك الزمان لم تعلمنا بقدومك الينا حتى كنا نتأهب إلى لقائك بالإكرام فقال الملك زهير اسمع ياغشم أنا ماجئت لكم زائرا ولا ضيف بل أتيت أضع فيكم السيف فقال غشم وما الذى بلغك عنا وأنت ملكنا فاخبره ماجرى على ولده شاس وكيف قتل فى أراضيهم وأتى عبده وأخبره بذلك فقال ملاعب الأسنة وأنت ياسيدى تأخذنا بقول عبد علينا وإذا كان الأمر صحيحا ياسيدى فانه يرد على الماء بالليل من كل قاطع طريق وعابر سبيل وربما تفق له إنسان مريب وكان منه قريب فقتله وأنت ملك كريم لا تأخذ البرىء بالسقيم فإن كنت ياملك تسمع كلامنا سلمنا أنفسنا إليك وأولادنا وأموالنا بين يديك تفعل فينا ما تريد يا ابن الكرام ولا تجرد فى وجهك حسام فاستحى الملك زهير أن يقاتلهم من سيئة صدرت منهم على هذا الكلام فرجع هو والاولاد وقد زادت النـــار فى فؤاده وكان أعظم

أولاده حرقة ابنه قيس لأن العرب تسميه قيس الرأى فلما رجع إلى الديار دعا بدا بته وقال
ياخالتى أريد منك ان تسيرى إلى بنى عامر وتأخذى معك على هذين الناقتين الشحم والدقيق
وأظهرى أن عندك بنتا وفى مرادك أن تزوجها وانتسى إلى غير قبيلة عبس ولا تبيعه
إلا بطيب يكون زكى الرائحة وعلامته أن تكون فائحة واسألى عنه من أين انجاب
عسى أن تقعى على خبر او جلية أثر فأجابت بالسمع والطاعة وأخذت الناقتين وسارت
وأرسل معها فرسانا تخفرها إلى قريب بنى عامر ويرجعوا فسارت العجوز حتى دخلت
بين الحلل والمضارب فاجتمعت عليها النسوان من كل جانب وكانت سنة غلاء وقحط وقد
عدم على جميع الناس وكانت بالأمر المقدر زوجة الصياد ثعلبة بن الأعوج محتاجة إلى
الزاد وقد عيطوا عليها الأولاد فأتت إلى العجوز فرأتها والنسوان حولها كلما جابوا له شيأ
تقول أريد خيرا من هذا فقالت لها زوجة الصياد ياخالتى أنا عندى مطلوبك فقومى إلى بيتى
وأنا أقضى حاجتك وأبلغك أمنيتك فقامت العجوز وهى تقول يابنتى جميع ماتفعليه مع
هذه البنية اليتيمة تلقيه فقالت ماهناك إلا الخير لأن عندى نوعا من الطيب لا يوجد عند
خطار ولا يوجد إلا عند الملوك الكبار لكن ما أدفع لك الطيب حتى تعلمينى من أى القبائل
أنت فقالت ياسيدتى أنا من بنى دودان فامعنى هذا الكلام يابنت السادة الكرام فقالت
اسمعى ياخالة إن زوجى رجل صياد يقال له ثعلبة بن الأعوج وقد رزق على فقره ما لا يرزق
أحد لأنه كان فى بعض الليالى يصطاد فمر عليه غلام من بنى عبس يقال له شاس بن الملك زهير
فنفر الصيد عنه وضربه بسهم فقتله ودفنه وكان معه عبد هرب وخلاه فأتى بمركبه وناقته
فوجدنا حملها كله طيبا من هذا فذبح الناقة وفرقها على المساكين وأخذ الجواد والعدد لأجل
أن يبيعهم فى بلاد اليمن ويرجع فى أقرب زمن وأنا ما أدعك تسيرى من عندى حتى تحلفى لى
أنك لا تعلمى أحدا بهذا الكلام فقالت لها ياستى وأنا لا أعرف هذه القبيلة من أى قبائل
العربان ولا أعرف أن فى العرب قبيلة تسمى بنى عبس وعدنان ثم أنها ألهتها بشىء من الشحم
والدقيق ورجعت على عقبها تقطع الطريق إلى أن دخلت على قيس وأعلمته بجميع
الخبر وكان الملك زهير بعد رجوعه قد أتاه حذيفة وطائفة من بنى فزارة يعزوه فى ولده
فقال زهير والله ياحذيفة أنت ما أتيت معزيا ولكن أتيت شامتا لأنه ما فرط فى ولدى
غيرك ولا قتل إلا بسببك ولكن إذا ظهر قاتل ولدى قابلناه بما فعل فطلع حذيفة من
عنده حزنان وهو يقول وحق ذمة العرب لا كنت له معاونا ولا مساعد لأنه لا يخلع
نعال التكبر والتجبر من رجليه أبدا فهذا ما كان من حذيفة (وأما) الملك زهير فإنه
لم يزل مقيما فى مضربه وإذا بولده قيس دخل عليه وأعلمه بما دبر وكيف أتت العجوز
بالخبر فلما سمع الملك زهير هذا الكلام قام واقفا على الأقدام وصاح يا آل عبس

الكرام فأتت إليه الأكابر باهتمام فقال أركبوا فقد ظهر قاتل ولدى فى بنى عامر فركب الفرسان من بنى عبس وعدنان وسار زهير قدامهم وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

كم فرحنا بطارقات الليالى وفؤاد من الحوادث خالى
فأتتنا رزية عرفتنا بالرزايا وبالهموم الثقال
يا لقومى فقدت من كان سيفى ويمينى عند اللقا وشمالى
كان تاجا على بنى عبس طرا وهلالا يزداد كل كمال
فأتاه المحاق والنقص لما رشقته أيدى العدا بالنبال
يابنى عامر أما خفتم البغى الذى أهلك القرون الخوالى
أى أرض تلقكم بعد شاس أوحمى يرتجى لكم من وبال
خيلنا ضمر لأجل حروب وسيوفى تقد هام الرجال
وعوالى الرماح تشهد أنا فى المعالى لنا ينوب عوالى
وملوك الزمان فى كل أرض يخدمونا ونحن فيهم موالى
ابشروا بالدمار من حد سيفى وخيول لنا تحاكى السعالى

(قال الناقل) ثم انهم جدوا المسير وفى قلوبهم نيران السعير حتى أشرفوا على بنى عامر وكان المقدم عليهم أميرا يقال له خالد بن جعفر وفارسهم غشم بن مالك وبنو عبس المقدم عليهم الربيع بن عقيل وبنو كلاب المقدم عليهم جندح بن البكاء وهذه الثلاث قبائل نازلة فى فود مكان وبينهم أهلية ومناسبة إلا أن الحاكم على الجميع خالد بن جعفر وكان فى هذه الأيام غائبا فى أرض العراق عند الأسود أخو النعمان لأنه كان متزوجا بنت أخيه الأخوص وكان اسمها سعاد لأنه لما سمع بزواجه باخت حذيفة أخذ جماعة من بنى عامر وسار يهنيه فجزته بنت أخيه وقالت له أقم عندى حتى أبصر كيف يكون حالى وكان كلما سمع منها ذلك المقال يقل بصره من هذه الكلام فلاجل هذا أجابها وعندها أقام وفى غيبته جرت هذه الأحكام ووصل الملك زهير إلى بنى عامر تلك الأيام فوجد الأحياء خالية من الأبطال وما فيها غير ملاعب الاسنة فى نفر قليلا من الرجال وهم يشبتون قدام بنى عبس وعدنان فى قتال (قال الراوى) فلما رأت بنو عامر ملك بنو عبس ركبوا إلى لقائه وخضعوا له فى كلامه وسألوه عن عودته وسبب قدومه فى سفرته فأخبرهم بالحيلة التى دبرها ولده قيس حتى بلغ المراد وأعلمهم بأن قاتل ولده ثعلبة ابن الأعوج الصياد فلما سمعوا ذلك المقال وحققوه طلبوا ثعلبة فاوجدوه فأحضروا زوجته وقرروها بالقتل هددوها فأقرت بما فعل زوجها وأحضرت ما كان بقى من الطيب عندها فلما صح ذلك المقال عند الملك زهير صعب عليه وقامت فى أم رأسه مقل عينيه وقال يابنى عامر أريد منكم ثلاث

خصال والا امكنت منكم السيوف الصقال (قال الراوى) فلما سمعت بنو عامر ذلك المقال قالوا أيها الملك المفضال وما هى الثلاث خصال قال الأولى أن تعيدوا ولدى كما كان حيا والاسلموا إلى نساء بنى عامر وأطفالها اقتلهم بثأر ولدى وإن لم تفعلوا فاملؤا الى بردتى من النجوم السما (قال الأصمعى) فلما سمعوا ذلك المقال قالوا تعديت وبغيت فيما أشرت لأنه لا يحى الموتى ويميت الأحياء إلا الله تعالى وحده وأما قولك تملأ لك بردتك من نجوم السماء فهذا محال لأنك تعلم أن بيننا وبين السماء سفر خمسمائة عام وسمكها مثل ذلك ولا يقدر أحد على ذلك الكلام وأما قولك نسلم لك نساء بنى عامر وأطفالهم حتى تذبح الجميع فهذا شيء ما يقول إنك تفعله وأنت ملك عادل كريم لا تأخذ البرىء بالسقيم وأما إثارة الحرب بيننا وبينك فمعاذ الله أن تفعل ذلك ولا نثير الحرب بين الفرسان ولكن نحمل إليك عشر ديات ونسألك أن تعتق نساءنا والبنات ونكون عبيدا ونساءنا خادمات ونطلب ثعلبة بن الأعوج أينما كان ونأتى به إليك تنزل به الذل والهوان وما زال القوم على ذلك الشأن حتى رق لهم الملك زهير ولان والتفت يشاور الربيع فى العودة إلى الديار فقال له أيها الملك المفضال وأى شىء هذا المقال كيف تبقى رأسنا بين العرب تشال وولدك قد دق الاحتيال حتى عرف قاتل ولدك من الرجال وبعد ذلك تنخدع بالمحال ثم أنه جذب الحسام ونادى الثار الثار وضرب فى بنى عامر بالبتار فنادت أولاد زهير مثل نداه فارتجت لصيحتهم الفلاة ومدوا أسنة الرماح وعملت بينهم الصفاح وعلا الصياح ولبست أبطال بنى عبس السلاح ودافع بنو عامر عن أنفسهم وقد اشتد الكفاح وكثر القتال والجراح وجرى الدم وساح وطلع الغبار حتى غش المقل الصحاح وانتثرت الجماجم عن هيا كل الأشباح وقاتل بنو عامر عن أولادهم وقل صلاحها وكثر فسادها وما قاتل ذلك اليوم قتالا يرد به الأعنة إلا ملاعب الأسنة لأنه كان من الفرسان المشهورة والأبطال المذكورة ولكنه أبصر جميع بنى عبس قد تفرقت وجميع قومه قد تمزقت فخاف من انقلاب الآثار وخراب الديار فأخذ من قومه جماعة من الرجال الكرام وقصد الملك زهير تحت الرايات والاعلام ومن حوله أولاده فترجل إليه وقبل فى الركاب قدميه وقال له أيها الملك لا تفعل فعال الجاهلية اللئام وأنت السيد الهمام فارجع عنا الحسام وأقبل منا الكلام حتى نخرج لك هذه القبيلة التى قتلت ولدك من بيننا ونذل سادتهم الكرام ونسلم إليك لتبلغ منهم المرام ولا تؤاخذنا بذنوب غيرنا وتتركنا مطروحين فى الفلاة وتطالبنا بشىء ما فعلناه وأصبر علينا بقية هذا اليوم وعند الصباح دونك والقوم ولم يزل يرق له فى السؤال ويخضع له فى المقال حتى أجابه الملك إلى ما طلب وقد استحى ممن حوله من العرب وقال قد أمهلتكم بقية هذا اليوم حتى لا يبقى علينا عتب ولا

لوم ثم أنه فى ساعة الحال أنفذ عبيده ترد الرجال وما انفصل القتال حتى أقبل الليل بالأنسدال ثم أن ملاعب الأسنة عاد إلى قومه وقال لهم حصنوا حريمكم والعيال فى رؤس الجبال لأنى خدعت زهير بالمقال حتى تمضى هذه الأيام ويدخل الشهر الحرام ويرحل عنا هذا الجبار الذى لا يرام فلعل أن يقدم علينا خالد من أرض العراق ويدبر هذه المصيبة التى لا تطاق وإلا تشتتنا فى الآفاق (قال الأصمعى) فلما سمعت بنو عامر هذا الخطاب رأوه عين الصواب وتبادروا وقلعوا المضارب والقباب وحمل كل واحد منهم ماله وحصن فى الجبال جماله وعياله وما طلع النهار إلا والمنازل من سكانها قفار وهم يموجون فى أعلى الجبال مثل ماء البحر الزخار وكان الملك زهير قد ركب عند الصباح وزحف فى بنى عبس يريد الكفاح فرآهم على هذه الفعال فعلم أن ملاعب الأسنة قد جاءهم بالمحال فزاد حنقه وعظم قلقه وزحف فى قومه والأبطال وحصرهم فى الجبال وكل من وقع فى يده أسقاه كأس الوبال وتنحى من حوله الابطال من جميع الرجال وجعل شاعر بنى عبس يقول صلوا على طه الرسول

جدوا بنا يامعشر الأناس ومكنوا السيوف وسط الراس

لأقلع البيضة مع لباسى ولا ازال قابض الأنفاس

حتى ترد الحياة شاسى وإلا فلا رفعت عنكم باسى

(قال الراوى) ولم يزالوا فى حرب وخصام مدة خمسة أيام ودخل الشهر الحرام وهو شهر رجب الذى تعظمه العرب وتترك فيه القتال وإذا التقى الواحد بقاتل أخيه أو أبيه فلا يكلمه ولا يؤذيه وتسير فيه العرب بغير سلاح فى جميع الأماكن والنواح ولأجل ذلك سمى الشهر الاصم لأن الإذن تعدم فيه قعقعة الحديد ويأمن فيه الوحوش القريب والبعيد ويقال له الشهر الأصب لأن الله يصب فيه الرحمة أعظم صب وكانت العرب تحج فيه إلى البيت الحرام وتزور زمزم والمقام ويطلبون المغفرة من الملك العلام فلما رآى زهير هلال شهر رجب احترق فؤاده والتهب وتأسف ما بلغ عن بنى عامر الارب وترك القتال حتى لا يسن فى العرب سنة قبيحة المنوال وقال لولده قيس أذهب ياولدى وهات أمك حتى أقضى الشهر الحرام عند زمزم والمقام فأنا ما بقيت أرجع الديار حتى آخذ ثارى واكشف عارى (قال الراوى) فلما سمع قيس من أبيه هذا الكلام أجابه بالسمع والطاعة وصار قاصد إلى الديار وأما زهير فانه سار طالبا البيت الحرام حتى وصل إليه وطلب المقام حتى قدمت زوجته وأولاده وهم لابسون ثياب الاحزان فنزلوا فى منزل بنى عدنان لانه كان لهم فى كل حرب منزل معروف بهم أيام الزيارة ومما اتفق من العجب أن خالد بن جعفر قدم من أرض العراق فأتى قاصد البيت الحرام وكان قد حج جماعة بنى عامر الكرام وكان من جملتهم ملاعب الاسنة فاعلموه بما جرى لهم مع زهير فاحمرت من خالد مقل عينيه وكاد يغشى عليه وقال

بوا أسفاه على أنى ما كنت حاضر ولكنه اغتنم غيبتى مثل الكلب الغادر ثم أنه بات إلى الصباح وسار إلى الطواف بالبيت فرأى زهير فى الطواف فقال له ويلك يا زهير اغتنمت غيبتى وخلو الديار وهتكت الأحرار فقال الملك زهير والله يا خالد ما أدركت بذلك الثار ولا كشفت عنى عار ولولا الشهر الحرام دخل علينا فى هذه الأيام ما كنت أبقيت أحدمنكم فى الديار ولا بد أن أنهب أموالكم وأخرب دياركم إذا انقضت هذه الأيام فقال له خالد أما تخشى عاقبة البغى وأن تدور الدوائر عليك وعلى أهلك وتنقطع آثارك كما انقطع من كان قبلك وحق البيت الحرام لو كنت حاضرا فى الديار لقابلتك على صنيعك وأريك من يكون الخاسر ولكن بعد ما وقعت بيننا الدماء سوف ترى ما يحل بك من البلاء ومن يعض كفه ندما ويتوجع ألما فقال له الملك زهير وقد اشتد به من هذا الكلام الغيظ والله يا خالد لو كنت تكلمت بهذا الكلام فى غير هذه الأيام ما كان لك جواب غير الضرب بالحسام فقال له خالد كذا يكون إن شاء الملك العلام وأنا اشتهى أن اجتمع أنا وإياك فى يوم معركة وصدام وأسأل الرب القديم أن لا يفرق بيننا إلا بانفصال أما أن يكون بى أو بك ينتهى القتال (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير منه ذلك الكلام وعلم أنه من عجبه وتجبره ضحك وقال هذا يكون قريبا غير بعيد وتبلغ بدعائك ما تريد والله يا خالد لو كنت أنا تمام ما قدرت أن توقظنى من منامى ولا تبلغ ريقك قدامى فكيف إذا سلكت حسامى فعند ذلك استقبل خالد الكعبة وقال اللهم يا من رفع هذه الأركان وعظم قدر هذا المكان وجعله للابيض والأسود أمانا لا يمضى هذا العام ولا تنقضى هذه الأيام حتى أمكن كفى هاتين الضعيفتين من عنق زهير بن جذيمة وأصل اليه وأكون منصورا عليه يا الله (قال الراوى) فعند ذلك تقدم زهير بعظم تجبره وتكبره وقد زاد به الغيظ والغضب وقال اللهم يارباه لا تترك هذا العام ينقضى حتى تمكن كفى هاتين القويتين الشديدتين من عنق خالد بن جعفر حتى اقضى عليه وخلنى أنا وإياه فإنى قادر عليه ولا أريد معاونا ولا ناصرا منك عليه وكان حولهم جماعة من العرب قيام سجدوا قدام الأصنام وقبلوا أركان البيت الحرام وقالوا هالك زهير فى هذا العام بتجبره على الرب القديم الباقى على الدوام فقال زهير وقد تاه عن المعقول ولا بقى يعرف ما يقول أعذرونى يا فتيان العرب فى هذا الكلام ولا تجهلونى فى مقام الملام لأن الغيظ يعمل فى أكباد الرجال عمل الحسام وأنا اقسم لولا حرمة البيت الحرام والاوثان والأصنام لكنت شربت من دم خالد مثل المدام فقال خالد يا زهير أما هذه الأيام فانها سوف تنقضى وتسير ومن له دين يستوفيه بلا تعسير ثم انصرف وفرقت العرب بينهما وزهير يعض على يديه من الغيظ الذى جرى عليه وأما خالد فانه ما أقام فى مكة غير ثلاثة أيام وسار يطلب دياره والآكام وهو يتذكر قول زهير فى البيت الحرام وينشد ويقول

هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات :

تعدى زهير وأتى الزماما وأجرى الدما وحل الحراما
فهزوا معى يا بنى عامر صدور القناة وسلوا الحساما
ولا تلبسوا العار يوم الطعان وبيعوا النفوس وموتوا كراما
وأن خيم الذل فى أرضكم فجدوا رحيلا وخلوا الخياما
بنى عامر قد أفاق الزمان وفوق نحور الأعادى سهاما
ولاقوا زهيرا وأبناء عبس إذا فارقوا زمزم والمقاما
وميلوا عليهم بحد الصفاح وزيلوا اللحوم وأفروا العظاما
فنهد أركان عبس بعزم كما قد هشمتم اشاس العظاما
وترمل نساء الأبطال من عبس وتبقى البنين لدينا يتامى

(قال الراوى) ثم أنهم جدوا فى المسير وفى قلب زهير نيران السعير وجدوا فى قطع البرارى والقيعان حتى وصل إلى الأوطان فوجدوا بنى عمهم نزلوا من الجبال وضربوا مضاربهم على الغدران وهم فى أمن وأمان ولكن أكثر المضارب فيها البكاء والنواح على من قتل من الرجال الملاح فعند ذلك نزل خالد عندهم وطيب قلوبهم وفى يومه جمع ثلاث قبائل وأعلمهم بما جرى له مع زهير فى مكة وقال لهم يا بنى عمى أنا قد عولت على غزو بنى عبس وأطالبهم بالدماء وأنزل بهم البلاء وإذا قتلنا زهيرا ورجعنا بعد قتله إلى نهب الحلة لأن عنتر عنهم غاب وهم آمنون من المصائب وإن لم تجتهد و تغتنم هذه الفرصة جرعونا الغصة فماذا أنتم قائلون وما الذى تفعلون قال الأصمعى فلما سمعت بنو عامر ذلك الكلام أخذهم الفرح والإبتسام وقالوا نحن لك وبين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك لأنك ما خليت عليك ملاما لأحد من الرجال ونحن ما هبنا زهيرا وتحصنا منه فى الجبال إلا لأجل مصاهرته للملك النعمان يا ابن المول ولأجل بعدك عن الديار والأطلال فدبر نفسك الآن بما تحب وتختار أيها المفضال وافعل الذى لا يضرك وستنظر منا ما يسرك فقال خالد يا وجوه العرب الكرام أما خوفكم من النعمان فانبالى به لأن أخاه الأسود دزوج بنت أخى يردعنا شره ولا يدعه يؤذينا ولكن جهد النعمان ما يعمل فينا إذا وصلت اليه أخبارنا بذلك الوقت يكون ربح من ربح وخسر من خسر على أننا نكون الراجحين وهذا متجه على من الرأى وهو النصر المبين قال وكان خالد جيد الرأى والتدبير ومع شجاعته ومعرفته هو بعواقب الزمان بصير وله فى الخداع والمكر شىء كثير (قال الراوى) فعند ذلك قال يا بنى الأعمام تأهبوا فى هذه الأيام التى بقيت من الشهر الحرام حتى آسير بكم وألتقى زهيرا عند عودته من مكة وأعجل له بالهلكة لأنه ما معه غير ولده قيس فى نفر قليل من فرسانه وأصحابه وأقرانه وإذا نحن قتلناه

وقلعنا شأفته وأرديناه رجعنا وجمعنا حلفاءنا وأصحابنا وسرنا إلى بلاده وأرضه وأنزلنا عليها المصائب ولا نعطى أحد منهم ذماما لأن عنتر عنهم غائب وإن لم نجد اغتنام هذه الفرصة وإلا جرعتنا بنو عبس أعظم غصة (قال الأصمعى) فلما سمع بنو عامر هذا المقال أخذهم الفرح والإستبشار وقال جميع الأبطال والله ياوجوه العرب ما ترك خالد لذى رأى مقال ولا دبر إلا تدبير الرجال الذى يبلغون به الآمال وها نحن هنا عشرة آلاف فارس حلاحل سوى حلفائنا وكبراء القبائل فكم تريد أن يسير معك منا فقال خالد أريد جميعكم لعل أن نبلغ المنى فإنى أريد أن أقسمكم على سائر الطرقات حتى لا تفوتنا الفرصات فتأهب القوم وساروا إلى منازلهم وأصلحوا حالهم وتجهزت الثلاث قبائل وهم من بنى عبس وعامر وكلاب وأقامت الرجال الكرام وقد بقى من الشهر الحرام عشرة أيام ففرغوا من أشغالهم فى سبعة أيام وساروا فى البر الأقفر وفرقهم خالد كل ألف فارس على طريق ومعهم مقدم وقال لهم خالد يا بنى عمى ومن هم قرابتى أنتم عمدتى فى كل خطب جسيم يسكون الملتقى بيننا أرض هوازن وحى بنى منصور القديم وكذلك أوصى جندح بن البكاء وكان على فرقة أخرى وجعل خالد يحث الشجعان ويوصى الفرسان من شدة شوقه إلى الحرب والطعان ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا إلى أرض هوازن وحى بنى منصور الذى هو المطلوب فنزل خالد هنالك ونزلت رجاله من على كل جواد منسوب وبقوا هنالك مثل الفخ المنصوب فهذا ماجرى من خالد بن جعفر وأقامته فى أرض هوازن بن منصور القديمة (قال الأصمعى) وأما ما كان من الملك زهير بن جذيمة فإنه قضى حجه وعاد فى قلبه النار على بنى عامر لأجل أخذ الثأر ولم يزل يجد المسير بالليل والنهار حتى وصل إلى بعض أصدقائه بسوق عكاظ فاقام فى ضيافتهم ثلاثة أيام وبعد ذلك رحل وهو على بنى عامر مقهور حتى أشرف على أرض هوازن بن منصور فنزل على بعض المياه وما عنده خبر من قضاء رب السما وبلاه وكان النهار قد ولى فقال لولده قيس ايش قلت فى المبيت هنا فقال له قيس ارحل بنا يا أبتاه وادلج بنا فى هذا الليل المتعكر حتى نترك أرض بنى عامر خلفنا لأنك اثرت فى قلوبهم اثر وأنا والله خائف عليك من مكر خالد وأخاف أن يدهمنا فى هذا البر الأقفر فاقبل منى يا أبتاه رأيى فى هذه المرة فإن فيه النجاة وسر بنا حتى نقطع هذه الأرض ونتعلق ببلادنا قبل أن تثور مفسدوا العرب علينا عند فراغ الشهر الحرام فلما تكلم قيس بهذا الكلام زاد بزهير الابتسام وقال ويلك ياقيس ايش هذا الكلام ومن هم بنو عامر وخالد بن جعفر وكل من سكن البر الاقفر فوحق الرب القديم الواحد المنجى من الشدائد لارحلت من هذا المكان إلا بعد ثلاثة أيام وثلاثة ليالى ولو مالت على الجبال فى صورة الرجال وسالت من كل جانب مثل الرمل السيال حتى لا تقول العرب وسائر الأبطال انى جزت أرض بنى عامر وقطعتها تحت سور

الاعتكار وخفت من جوازى عليهم بالنهار خوفا من بنى عامر الذين وقعت منهم الحسام الباتر (قال الراوى) فلما سمع قيس من أبيه زهير هذا الكلام علم أنه قد دنا منه الحمام فعند ذلك نبه أصحابه المشورة والكلام وبات القوم جميعهم حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وذكو سيدنا محمد سيد الملاح (قال الأصمعى) فبينما زهير وولده قيس فى الكلام وإذا كم بفارس قد أقبل من ناحية ديار بنى عامر وهو مجد فى السفر فتبينوه وإذا به عمر ابن الشريد أخو تماضر وأولاده وكان شيطانا نحوس وقد أتى من عند بنى عامر فى صفة جاسوس لأنه كان نازلا عندهم ومتزوجا من نساء جندهم وكان يبغض زهير بغضة عظيمة لأنه نفاه من ارض بنى عبس ولولا أخته لكان قتله لأنه كان قتل لزهير عبدا من عبده وكان شاطرا فرحل والتجأ إلى بنى عامر وقد تزوج منهم فلزمه مالزمهم وكان هذا الرجل فى سائر الحالات يتمنى له الآفات ٭ وقد ذكرنا أن خالد بن جعفر قد كمن لزهير فى ذلك البر الاقفر وهو منتظره ومن معه من العسكر وقد فرق جنده كل ألف فى طريق وصار كل قسم فى طريق فابطأ عليه خبر زهير وعودته من سفره (قال الأصمعى) فعندها قال لأصحابه من يمضى إلى أرض هوازن بن منصور القديمة ويأتى لنا بخبر زهير بن جذيمة حتى لا يضيع تعبنا وتدبيرنا لأن البر مثل البحر العجاج ونخاف أن يفوتنا فى هذا العجاج وتزيد فى قلوبنا نار الهياج فقال له قومه والله يا خالد ما لنا مثل عمرو بن الشريد لأنه صهر زهير وخال أولاده وهو صاحب رأى شديد ولم تنكر عليه الموالى والعبيد لأنه يقول أنا أتيت أهنى اختى بقبولها وقدومها من مكة وبعد ذلك ينظر نزولهم فى أى مكان وتتضح له البراهين ويأتى لنا بالخبر اليقين وإلا فكل من سار منا ووقعوا به احرموه الرجوع إلى أولاده وقطعوا عنه الأنين فقال خالد يا بنى عمى أخاف من عمرو أن يخوننا ويعلم قومه بفعلنا ولم نبلغ قصدنا ويصبح تعبنا فقالوا هذه شىء لا نخاف منه واقلل ترداده فاننا نعلم أن الرجل يبغض زهيرا وأولاده ولو قدر على لحمهم جعله زاده وإن خاننا قبضنا عليه ونحرناه هو وأولاده (قال الراوى) فلما سمع خالد هذا الخطاب علم أنه صواب فدعا بعمرو وأعلمه بما جرى من الأمر فقال يا مولاى أنا أكشف لك الخبر ولكن على شرط ولا يكون لكم من هذا الشرط مفر وذلك أنكم إذا قتلتم زهيرا وصار فى المقابر طمير لا تصبوا اختى ولا من معها من الأولاد لا كبيرا ولا صغيرا فقال خالد لك ذلك علينا وهو بعض ما يجب لدينا وبعد ذلك سار فى ذلك البر وكان قيامه من بنى عامر نصف الليل فاصبح على مياه بنى هوازن فابصره قيس فعرفه فعاد إلى أبيه وقال يا أبتاه هذا خالى أتى على أنه زائر وأقول أنه ما أتى إلا جاسوسا لبنى عامر وسوف أبين لك الحق من المحال وأريك ما افعل من الفعال فما تم هذا الكلام إلا وعمرو وصل الخباء وهنأ الملك زهير بحجه وزيارة البيت الحرام بعدما اجتمع

بأخته وسلم عليها أحسن سلام وأخذ أخبار الفرسان وقعد يتحدث معهم بشيء كان وشيء ماكان فعندذلك قال له قيس ياخالاه فيماذا أتيت فقال عمرو زائر آلكم و مهنيا بقدومكم لأن خالد رجع من مكة هو وجميع سادات بني عامر وبكي بين أيديهم وجميع ماجرى له مع أبيك عاده عليهم فثارت فى قلوب القوم الأحقاد واتفقت ساداتهم على أنهم يقلعوا عنكم الأوتاد ويطلبوكم برجالهم الشداد وقد ساروا فى عشرة آلاف فارس من كل مدرع لابس وقد أخبروا خالداً أنكم ضيوف بسوق عكاظ ولبنى عامر من وقت أن ساروا عشرة أيام وأنا وحق البيت الحرام من عهد أن ساروا ما ذقت منام و بقيت خائفا عليكم وحائر فيمن يوصل الخبر اليكم فسرت فى أثرهم حتى قاربوا مكة وأنا أقول ما افارقهم حتى أنظر ما يجرى بينهم حتى علمت أنهم أيسوا منكم ورجعوا متفرقين فى أقطار البر خائفين فرجعت فى هذا الطريق وقد طاب قلبي بسلامتكم وعلمت أنكم من الأعداء أمنتم وأنكم لا تركبوا هذه الطريق فإن ركبتموها نصرتم على أعداكم ولو أنهم عدد رمل وادى العقيق وثمار أفراحى ملتقاكم بهذا المكان وإعادة خوفكم أمان فقال له الملك زهير يا ابن الشريد لاخوف علينا وحق من يعلم أين تضع النملة رجلها فى الليل الهادى لأن لقاء الأعداء أكبر مرادى وأنا فى فى انتظارهم حتى أشفى منهم فؤادى لأن شاس أكبر أولادى وإن كانوا أرسلوك جاسوسا فارجع وقل لهم أننا ما نبرح من هذا المكان إلا بعد ثلاثة أيام حتى أننى ألقاهم وأبيد أقصاهم وأدناهم (قال الراوى) فلما سمع عمرو ذلك ازورت منه العينان وقال لزهير يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان وهل بغضتى ما زالت فى قلبك والله لقد ضاع تعبى الآن وصار جميلى قبيحا وعدوان ولكن أيها الملك المفضال أنا ما فعلت هذه الفعال وخاطرت فى هذا البر والوهاد إلا لأجل أختى ومن معها من الأولاد وما دام رأيتها سالمة فقد أطمئن قلبي وإن رأيتمونى مرة غير هذه فلا تغفروا ذنبى ثم إن عمرا بعد كلامه نهض قائما على أقدامه ليركب جواده فامسكه قيس بل مسكه وشد كتافه وقوى سواعده وأطرافه ولولا أنه خاله لأورثه إتلافه وقال والله يا خال لابد أن تمضى معنا من هذا الرباط القبيح حتى نجوز هذه الأرض ونقرب منزل االفسيح ونشم بعثراته الشيح لأن قلبي حدثنى بشيء وأظنه صحيح فقالت تماضر ويلك يا قيس إيش هذه الأعمال التى ما يعملها إلا الجهال تقبض على خالك وتجعل جزاءه على زيارته لنا شده بالقيد والحبال ثم تذكرت ولدها شاسا وبكت لأن شاسا كان يحب عمرا حبا شديدا أما عليه من مزيد فأشارت تنشد وتقول صلوا على الرسول

عجز عن مراغمة الحمام   ودأب الموت مغرى بالأنام

وما جزع الجزوع وإن تباهى   يغني عن نوائبه العظام

وكيف نحيد عن طريق المنايا   وفى أيدى الردى طرف الزمام

هى الأيام تأكل كل حى | وتغدر بالكرام وباللئام
وكل مفارق للعيش يلقى | كما لقى الرضيع من الفطام
وما يغتر بالدنيا لبيب | يفر من الحياة إلى الحمام
رأيت الموت يبلغ كل وقت | على بعد المسافة المرام
كذلك شاس أتاه الموت حقا | وكان مماته تحت الظلام
ولم نعلم بقاتله حقيقا | فنأخذ ثأره كل الكرام
ومن عظم الرزايا هل مجيزا | يخلصنا من المحن العظام

(قال الراوى) فلما فرغت تماضر من كلامها حتى أبكت كل من كان عناو بكى مالك ابنها على أخيه شاس واشتعلت نار ضمائره فباح بمافى خاطره وأشار يقول صلوا على طه الرسول

جدوا لأخذ الثأر يالاشيطان | حتى يعود النوم فى أجفانى
أنتم بنو عدنان سادات الورى | تتفاخروا بالضرب فى الميدان
ما كل ميال الغمامة فارس | يلوى العنان على أعز مكان
فى كل واد أو بكل ملمة | يتذكرون مفاخر الفرسان
إذا لا يضيفون المعايب بينهم | وبيوتهم وقف على الضيفان
الطاعنون رماحهم مهج العدا | من كل ضرب صادق وطعان
الراكبون الخيل تعرفهم بها | تحت العجاج إذا التقى الجمعان
قوم إذا هطلت سحاب أكفهم | هطل الحيا متفارق الهطلان
وإذا تحاربت القبائل حلقوا | غرر السوابك بالنجيع القانى
وإذا رأيتهمو على صهواتها | أبصرت عقبانا على عقبان
وأسود حرب لا يهابون الردى | تحت الظبا وأسنة العبدان
يا آل عدنان الذين تطاولوا | فى المجد كل ممنع الأركان
قدراح شاس وكان تاج رؤسكم | فاقفو لعامر يا بنى عدنان
وكذلك عامر مع كلاب يضعوا | يا آل عبس مع ذوى ذبيان
قد لاح أخذ الثأر من هام العدا | قووا طعانكموا لدى الأقران

(قال الراوى) فلما سمع قيس هذا الكلام والنعى من أمه وأخيه قال هذا الكلام لا أسمعه ولا أعيه والذى مضى تدبر روحنا وأخو النافيه وأما خالى هذا فأنا أعرف أنه لا يشتهى أو يرى لى يوما مليح ومراده لو كنت على الأرض طريح فقالت أمه دع هذا الهذيان وراقب فى ذلك الرحمن فقال قيس دعينى وإلا قتلت روحى ومنى تستريحى لأنى أقسم بمن قسم الأرزاق ما أفكه من الوثاق إلا بعد ثلاثة أيام بلياليها حتى نفوت هذه الأرض التى تعكر

خاطرى فيها أو يعطنى عهدا من الله الذى يعلم ما فى الخواطر أنه لا يذكرنا بلسانه إلى أحد من بنى عامر ولا يسمى منا بشر لأنى ولا ذكر إلى أن نصل إلى ديارنا ويقر قرارنا فقالت تماضر لأخيها أعطى ولدى عهدا من الاقسام فعندها حلف عمرو بالبيت الحرام وزمزم والمقام وحرمة الرب الذى خلق الأنام وسير الغمام ورزق الوحش والهوام أنى لا أذكركم لأحد إلا بعد ثلاثة أيام فخله قيس من وثاقه والأصفاد فوثب قائما وركب الجواد وطلب من أخته شيأ من الزاد فاعطته زقا فيه لبن فأخذها وسار فى الفلاة وهو لا يصدق بالنجاة وبعد رواحه قال الملك زهير للقيس ايش هذا الفعل الردىء الذى فعلته أكل هذا من خوف الاعداء فقال له نعم لأن العاقل إذا كان له عدو يجب عليه أن يتجنب طرق الردى ولا سيما نحن فى نفر قليل وأعدانا قريب وما لنا فى هذا الأرض حبيب ولا حبيب فقال الملك زهير أنا الساعة قد أقسمت باقسام أنى لا أبرح من هنا إلا بعد ثلاثة أيام وإذا دهمنى عدو سوف أريك كيف أطعن فيهم بالرمح الهدام وافنيهم بالحسام فسكت قيس وعلم أن أباه قد فرغ أجله فنبه الفرسان وجعل لهم ديدبان ينتظر نوائب الزمان وطوارق الحدثان فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عمرو بن الشريد فانه لما فارقهم جد المسير وقد زاد به الغيظ على بنى عبس لأجل ما فعل معه قيس من الأمر الخطير ومازال سائرا حتى اشرف على بنى عامر وقد ركب خالد إلى لقاه وما صدق أنه يراه فلما قرب منه استخبره عن حاله فارد عليه جوابا ولا أبدى له خطاب بل عدل إلى شجرة هناك وهى مغروسة فى التراب وصار يقول لها أيتها الشجرة التى لا تردى جواب ولا تسمعى خطاب ولا تعدى من الحيوان الناطق ولا تفرقى بين الحديث الكاذب والصادق وأنا قد تزودت لبنا من لبن بنى عدنان وأما عقبته فزعان وأريد أن تذوقيه وتعلمى مطعمه حتى أكون من شربه فى أمان وصادق اللسان فى الإيمان (قال الراوى) فلما سمع خالد ذلك الكلام قال ان تبعه من الأبطال الرحل وقع بالأفوام وحلفوه أن لا يذكرهم لأحد من الأنام ولولا ذلك ما انفلت منهم الصواب أن تذوقوا هذا اللبن وتبصروا ما طعمه فإن كان حلو فزهير وجماعته قريب منكم وإن كان حامضا فهم بعيد عنكم فعندها وثبت جماعة من رجاله وشربوا منه فوجدوه حلو على حاله وهو طيب ما تغير فقالوا لخالد ابشر فان القوم قريب وما بيننا وبينهم إلا مرحلة فقال خالد صدقتم وما كذبتم وأظن الرجل ما فارقهم إلا من مياه هوازن بن منصور وقد أتى إلينا بصحة الأمر وربما يكونون بعد فراقه لهم رحلوا طالبين أهلهم والديار فالرأى عندى أننا نسير من هذا الوقت ولا نتهاون فى الأمور فان وقعنا بهم وإلا رجعنا على الطريق الأعظم إلى مياه هوازن بن منصور فنجدهم فى تلك الساعة نزولا لأجل طلب الراحة فى تلك الطول فقالوا بنو عامر افعل ما بدا لك

فما من يخالف مقالك ولعل بعض قومنا يقع بهم وتستريح خيلنا من الجد والشقاء فقال خالد وذمة العرب وشهر رجب مايقع بهم أحد ولو داروا على طول الابد لان أصحابنا تفرقوا فى سائر الاقطار ومسكوا الطرقات الذى لا سالكها إلا كل خائف والملك زهير بتجبره قد سار على الطريق الواضح ولم يسمع نصيحة الناصح لهذا قصدت أنا المسير إلى هذا المكان وحسبت حساب الفرسان الذين عركتهم نوائب الزمان ولما انتهى خالد من مقاله وحل بفرسانه وأبطاله وقد أخذ فى عرض البر حتى تنصف الليل وعادوا إلى الطريق الواضحة وارخوا أعنة الخيل واستقبلوا امياه هوازن وخالد مثل الواله المفقود فزعان أن يفوته المقصود إلى أن الصباح فاشرفوا على الماء الذى قدمنا ذكره فنظر قيس إلى الغبار الذى قد ظهر فأيقن بنزول القضاء والقدر ثم انه نزل من الجبال وعاد إلى أبيه وقال خذ هبة الحرب والقتال واحذر من خالد بن جعفر امير الزال فقال له لاتخف على فانى قادر على ضرب السيف وطعن القنا واليوم افرجك على ما يجرى وتبلغ المنى ثم انه لبس عدته وركب القعسا حجرته وهو يقول أهلا وسهلا بك يا ابن جعفر اليوم يبين من استجاب الله دعاه ويبلغ من خصمه مناه ثم انه خرج يطلب القفا فتبعه أولاده من كل جانب ومن معه من إخوته والأقارب ولما أبصر خالد ذلك الامر فرح واستبشر ثم انه صاح فى بنى عامر فتسابقت اليه وقدمت الرماح وقد ثاروا وزعقوا واختلط بعضهم ببعض وجالوا طولا وعرضا وحكم الحسام وقلق الهام وهشمت العظام واشتد الزحام وقل الكلام وثبت الكرام وفر اللئام وقد دارت عليهم الكاسات بشرب راح المنيات وقد هدر الملك زهير وزمجر وبان مافى قلبه وظهر وأشهر صطوته فى بنى عامر ونثر الجماجم مثل الاكر وكان إذا طعن خرق وإذا ضرب محق وإذا زعق فى جيش تفرق وترمى أرواحها الفرسان من زعقته على الأرض والقيعان وما انكشف النهار حتى عولت بنو عامر على الفرار لانها ابصرت من بنى عبس قتالا ما ابصرته فى سائر الاقطار وماثبت على الويل والضرر إلا بثبات خالد بن جعفر لأنه اختار القتل على الهرب وكافح زهير حتى شرف على العطب وفى تلك الساعة وصلت باقى الفرق والأبطال فرأت الحرب عمال فطلبوا الحرب والقتال فكانت بنو عامر عولت على الهرب بما قد ذاقوا من البلاء والعطب فقويت قلوبهم بقدوم أصحابهم لانهم كان فيهم فرسان مثل الاسود منهم الربيع بن عقيل وجندح بن البكار والطفيل بن تهامة المعروف بفارس اليمامة وحامة القبائل الكرام الذين ذكرناهم قبل هذا الكلام فحملوا عليهم فى ذلك الجمع والملا وارتفع الصياح وعلا وكثر على بنى عبس العدد وتزايد المدد قال الاصمعى وأين العشرة آلاف من المائة فارس ولكن المائة فارس أقارب وأخوة ونسائب فبان لهم أن البر كله رماح وسيوف وسلاح وأما قيس وأبو زهير فان كلا منهما وقد أشرف على شرابه

كاسات الردا من كثرة العدا وقاتل زهير أقوى قتال ما أبصرت مثله الأقيال لأنه أبصر بعينيه الهلاك وأيقن أنه ما بقى له من الموت فكاك حتى بقى كجسد بلا روح وقد جندل من بنى عامر مائة وخمسين فارسا ما بين مقتول ومجروح فأبصر خالد فعاله فالتى نفسه عليه وقصد بالجملة إليه وزهير مال فى حومة الميدان وقد افتخر على الفرسان وصال وجال وأنشد وقال صلوا على باهى الجمال

أيا جيرة بين اللوا والشقائق ... يسومون للاعداء ثوب التمالق
أبينوا لقومى والرفاق بأننى ... لقيت العدا طرا بخيل سوابق
لعلهموا أن يدركونا فإننا ... قليلون والأعدا كبحر مطابق
فيهم عصبة سباقة وقلوبهم ... إذا شهدوا الهيجاء غير خوافق
كأن فتات المسك در سحيقة ... مع العرف فى كاساتهم والنمارق
أسيد سيأتى ثم نازح بعده ... وعنتر مقدام ليوم العوائق
هموا يأخذوا بالثار من آل عامر ... لشاس إذا ماحق يوم الحقائق
ولما دعى داعى النوى فى حموعهم ... تجاوبت الغربان من كل ناعق
فانى أنادى من عيون قريحة ... أنا الوجد أضنانى وحر البوائق
فخلى دموعى تستهل فما الهوى ... يدارى ولا وعد اللسان بصادق
منعت الكرى إذ لم أفدها عوابسا ... تثير عجاج المارق المتطابق
يجيد عليها الكر كل صميدع ... ينال العلا والمجد غير مسارق
زواهر فى ليل الغبار كأنهم ... نجوم رجوم مع سهام رواشق
فأفنى بهم من آل عامر عصبة ... وآخذ ثارى بالنقا والبوارق

قال الأصمعى فلما فرغ زهير من هذا النظام التقى خالد وحمل عليه من غير ملام واصطدم الاثنان كأنهما جبلان ودمدما وهمهما والتحما وافترقا حتى تكحلا بمراود العمى وغابت عنهما الأرض والسما ونعوذ بالله من أحقاد جاهلية العرب لأنها تعمل عمل النار فى الحطب لاسيما الملك زهير الغضنفر وخالد بن جعفر لأنه قد جرى بينهما قتال وضراب يشيب من هوله الغراب وما بقى فى أيديهما من الرماح غير الأعقاب فرموها فى البطاح وسلوا أشفار الصفاح وتمشقوا بين الفريقين حتى تثلمت فى أيديهما حدود السيفين وتعارك الاثنين كتعارك الأسدين ولم يزالوا على ذلك المنهاج حتى وقعا فى وسط العجاج فما سكروا بالذقون وهان عليهم شرب كأس المنون حتى وقعا على وجه الأرض وبعضهما عالق ببعض إلا أن زهيرا لأجل تجبره فى البيت الحرام وقوله الفاسد وقع تحت كلكلة خالد وصار خالد فوقه وملك ساعده وزنده وأراد أن يسل سيفه من غمده فما تمكن ولا بلغ مراده فصاح بما فى فؤاده إلى فرسانه وأجناده يابنى عامر انجدونا

واقتلوا زهيرا اسريعا وإذا لم تقدروا على ذلك فاقتلوا جميعا قال الراوى ولم يكن وقت الصباح أقرب إليهما من ورقة بن زهير فصاح وا أبتاه ورمى روحه على خالد وضربه بالسيف على كتفه فلم يعمل شيأ من المآثر فكادت روحه أن تخرج من الضمائر ووصل بعده جندح ففتح يده بالسيف وضرب زهيرا على مفرقه فأضاع عمره وسمع لسيفه فى رأسه رنة وطنين وقال لخالد قم فوثب خالد عن صدر الملك زهير وعاد إلى حجرته أخذها وصاح فى بنى عامر ارفعوا السيف فقد انقضت الحاجة فقال له الربيع بن عقيل وكان قد أتى على حس الصباح فأبصر ما تم على الملك زهير لأن المعمعة قد انقلبت ولم نرفع السيف عنهم ونحن أبدا ما نجد لنا فرصة على الأعداء مثل هذا اليوم فدعنا نسقيهم كؤوس الردا فقال له يا ربيع أننى أخشى عواقب البغى والاعتدا أو أن يحل بنا ما حل بزهير لما بغى واعتدى وقد قلت لعمرو بن الشريد يعاقبنى من أن أسبى حريما وحلفت على ذلك بالله رب العالمين وقد ظفرت بالمنى فما بقيت أتعدى هذا الكلام خوفا من البغى بين الأنام ثم أن الربيع تبع خالدا وهو طالب أرضه ودياره حتى وصل لها وقر قراره وهدأت ناره وهو يقول لجندح أن سيفك لم يعمل أبدا وأشمت بنا العدا فقال جندح والله يا خالد أنى ضربته به ضربة لو جاءها توفيق من الجبل الأعلى ما عاش أبدا لأنك تعلم أن ساعدى شديد وعزمى ما عليه من مزيد وانى لما ضربته رأيت على السيف شيئا أبيض مثل السمن فلحسته فوجدته مالح فعلمت أن زهيرا مات وناحت عليه النوائح فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من قيس وبنى عبس فإنهم لما علموا بموت زهير طلبوا الحرب حتى انقطع عنهم الطالب فقال قيس عودوا بنا إلى أبينا ننظر حالته فإن كان فيه رمق حملناه إلى الديار لأن الأعداء لا شك أتاهم شغل شاغل فى هذه القفار ثم أن قيسا عاد بهم إلى أن وقف على مصرع أبيه فوجده يتململ بما أصابه ودهاه فنزل قيس إليه وكلمه ففتح عينيه وقال له ما الذى تريده منى يا ولدى أذهب فأنت الخليفة من بعدى على بنى عبس وعدنان ومالى عندك وصية إلا أخذ ثارى من خالد ابن جعفر ولكن إياك أن تفرط فى الاحتفاظ بابن عمك عنتر فلا تسمع فيه كلام الاعداء والحساد وأولهم عمارة والربيع أولاد زياد فانهم له أشد عداوة وأقوى عناد فتمسك به فإن ملكك لا يدوم إلا به ثم أشار يقول صلوا على طه الرسول :

لك الحمد يا ربى وحكمك قاهر ... فأنت كريم غافر الذنب ساتر
قضاؤك ماض فى العباد جميعهم ... بأمرك يا مولاى تجرى المقادر
صبرى جميل ألهمنى فأننى ... فقير وأنت الله بر غافر
ويا رب فاقبل توبتى عند موتتى ... فانك تواب رحيم وجابر
ويا قيس فاصبر للزمان وجوره ... فما خاب عبد للمقادير صابر

فلا خير فى عيش يدوم بلذة   إذا ما يكون العبد لله شاكر

(قال الراوى) ثم أنه بعد كلامه عاد إلى حال غشوته فضج أولاده بالبكاء والانتحاب



وأرخوا العمائم فى الرقات فقال قيس لابيه وهو فى كرب من هذا الامر العظيم والخطب الجسيم أما نحملك معنا إلى بنى عبس وعدنان فقال زهير لا يا ولدى لا تزعجنى ولا تتعجب من حالات الموت فان الضربة التى فى رأسى أحس بها فى سائر جسدى والأعصاب وما للميت دواء يا ولدى إلا

التراب فانه يستره من نهش الوحوش والذئاب ثم أنه انقطع كلامه وفى عاجل الحال جاءه حمامه (قال الراوى) فعند ذلك حفروا له وواروه فى التراب وشقوا ما عليهم من الثياب وعادوا طالبين المنازل والاطلال وهم حيارى فى أسوأ حال وما كان فيهم أشد حزنا وانتحاب من ورقة الذى ضرب خالدا وما قربت ضربته منيته وخاب فبقى ماشيا وهو مطأطىء الرأس بين أخوته وجميع الناس وهو يتمنى الموت من عظم ما جرى عليه ودموعه تجرى على خديه وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

رأيت بأنى تحت كلكل خالد ... وقد عميت عنه وجوه المقاصد
ينادى إلينا آل عبس تلفتوا ... إلى وعينونى على قتل خالد
فبادرته والخيل وتعثر بالقنا ... وبيض الظبا والموت صعب الموارد
ولكن نبا سيفى بكفى وخاننى ... جنانى وما طاعته كفى وساعدى
ويا ليتنى من قبل ضربة خالد ... أتانى فراغ الموت بين العوائد
ولا بشرت بالخير أمى تماضر ... كما بشرت بى فى الرجال الأماجد
لقد بشرت بى وهى ترجو معونتى ... فخاب رجاها عند يوم الأوابد
بنى عامر إن كنتموا قد ظفرتمو ... بقتل زهير واشتفى قلب خالد
فعما قليل تنظرون فوارسا ... تهز المنا والقنا فى السواعد
ألا يا بنى عبس وغطفان بادروا ... ألا واسعفونى بالرجال الأماجد
ويا عنتر العبسى غوثا لما جرى ... فأنت رجانا يوم عظم الشدائد
لقد باتت الحساد فى فرش الهنا ... بقتل زهير والبكا فى البوائد
سنقتل من فرسانهم كل سيد ... ونسبى نساء بالولا والقلائد
ونفنى كلابا مع غنى وعامر ... ونهلك أبطال الرجال بواحد
فمهدى به والقرب تخشى اقتداره ... وتطلب منه العفو عند الأوابد
فلا كانت الدنيا إذا لم يكن بها ... ولا طاب عيشى بعد فقدى لوالدى
لقد أصبحت عبس بغير مقدم ... عليها ليحمى ركنها فى الشدائد
إذا ما رأيت الدهر ياصاح قد بدا ... فكن فى إجتماع الشمل من غير فاقد
وسارع إذا ما سارع الغير وانتبه ... فمهل الفتى لا لربك هجعة راقد

(قال الراوى) ثم أنه لما فرغ من هذه الأشعار بكت الكبار والصغار وقامت النوادب ولطمت اللواطم وسار القوم طالبين الديار وهم فى هموم وافتكار وتماضر تأكل لحم يديها وكفيها وتلطم على خديها وقد أكثرت من تعديدها وهى تهم أن تقتل روحها فتمنعها خدامها وعبيدها ومع ذلك كانت أكثر النساء عقلا وأعلاهن حسبا ونسبا وأشارت تقول

صلوا على الشفيع المشفع يوم البعث والنشور المهول :

ليت سكان الأبارق والنقا علموا بالحزن منا والشقا
ساعدونى بالبكا عند اللقا فلقد صار بكانا علقا
أكثروا النوح على أطلالهم بعد ماساروا وقد عز اللقا
مذ نأوا عنى وغابت عينهم وحدا حادى المطايا مشرقا
وحلت روحى وسارت معهمو وكذا قلبي غدا منطلقا
قلت ياروحى ارحلى ولاترجعى ثم يا قلبي المعنى استفقا
جاوبتنى الروح والقلب معا هل لنا من دعوة أو ملتقا
ذهب العيش بأكتاف الحمى وتقضى عز سكان النقا
ما ظننت أن الدهر قد يفجعنا لا ولا أيقنت أن نفترقا
كيف صبرى بعدكم من بعدكم ليس لى صبر وعز الملتقى
وأحيانى من عدائى كلما نظرونى كنت منهم مطرقا
فعل الدهر بنا فرقنا شتت الشمل فلا يرجى اللقا

(قال الأصمعى) ثم أنهم ساروا وورقة بنزهير لم يقم قامته بل يبكى ويقول وامصيبتاه كيف قعادى بين السادات أم كيف خروجى إلى المهمات ثم أنه أشار يقول صلوا على طه الرسول :

رأيت أبى قد خر ملقى أناظره فأقبلت أسعى نحوه وأبادره
أرى بطلان ينهضان كلاهما يريدان حد السيف والسيف باترة
فشلت يمينى يوم ضربة خالد ولم يحمه منا حبيب مناصره
فأضربه والقلب ليس بحاضر وعقلى مما يؤلم القلب خامره
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى فقدت ولم أعرف من الدهر صائر
ويا ليتنى من قبل ضربة خالد وقتل زهير لم تلدنى تماضر
فقد بشرت بى وهى ترجو معونتى فخاب رجاها حين عز تناصره
ستعلم قومى أن أعيش و إن أمت بقلبى حزن دائم هاج ثائره
فنسر خالد إن كنت تقدر ثائرا فعقلى لأجل الملتقا حام طائره

(قال الراوى) فتباكوا عليه الجميع وكان أكثرهم هما وغما قيس فانه صار يقول القلب من فراق عزى قد احترق والدمع على الخدود قد اندفق وجعل ينشد ويقول صلوا على محمد الرسول :

نخطو وما خطونا إلا إلى الأجل وننقضى وكان العمر لم يطل
والعيش بوردنا بالموت أوله ونحن نرغب فى الأيام والدول

يأتى الحمام فيثنى المرء صرعته ... وأعضد المرء ما نثنى عن الأمل
لاتحسب العرش إذا طول فتركبه ... ياقرب ما بين عنقى المرء والكفل
تصاب من حادث الدنيا وتطلب ما ... يدنى الزمان بأرماح من الأجل
سلوا عن العيش ظل لايدوم لنا ... فأهون العيش ما تشفى من العلل
أيقودنى الموت من دارى فأتبعه ... وقد هززت بأطراف القنا الذبل
فالمرء تدركه حتما منيته ... وقد نجا من قراع البيض والأسل
يبكى الفتى وكلام الناس يأخذه ... والدمع يسرح بين الغدر والعلل
ليس الفناء بمامون على أحد ... ولا البقاء بمقصود على رجل
وفى الجفون دموع غير فائضة ... وفى القلوب غرام غير مرتحل
هذا العزاء وذى الدنيا مفارقة ... والعمر يقطعه المغرور فى شغل
فلا تمل لزمان أنت فى يده ... رهن ومالك بالأقدار من قبل
قد راح شاس ولم تظفر بقاتله ... كيف القرار مع الحيران فى الحلل
وقد مضى والدى من بعده وغدا ... رهن رمس فيا ذلى ويا خجلى
أقسمت بالكعبة البيت الحرام ومن ... أتى لها قاصدا حاف ومنتعل
لابد أن أقتفى آثار قاتلهم ... وآخذ الثار بالعسالة الذبل
سقى الإله ترابا ضم أعظمهم ... مجلل الودق محروما من العلل
ولا يزال على قبر تضمنهم ... برق يشق جيوب العارض الهطل

قال الأصمعى هذا ما كان من عبس ورجوعهم وأما ما كان من بنى عامر فانهم وصلوا إلى ديارهم وهم فرحون مستبشرون وكان ملاعب الأسنة مقيم فى الأحياء والأطلال فى نفر قليل من الرجال خوفا على الحريم والعيال فركب عند قدوم خالد وتلقاه وسأله عما جرى لدمع أعداه فبشره بكل خير وأعلمه بقتل الملك زهير وأوقفه على جلية الخبر فهناه بالنصر والظفر فقال والله يا خالد بئس ما فعلت من ترك قيس وأخوته لأن الانسان إذا فعل شيئا يتممه ويعمله جيد لأن ترك العدو لا يفيد فقال خالد والله يا ابن العم انى خفت من عاقبة البغى واليمين الفاخر هو الذى رمى زهير لما تجبر فى الكعبة على رب العالمين فأصبح فى المقابر وهو رهين فقال ملاعب الأسنة والله يا خالد ما هذه فعال الرجال ولكن دلنى حتى ألحقهم بالأبطال ويبلغك ما أنزل بهم من النكال وبعد ذلك نسير كلنا إلى ديارهم ونقطع آثارهم فقال خالد يا ابن العم الأمر قد فات وأما قولك نطلب ديارهم فهذا لا يتم لنا حتى نهلك عنتر بن شداد فإذا قتلناه بلغنا منهم الأرب والمراد وافعل كما فعلت بزهير وأتركه على الأرض عفير لانه مضى إلى بلاد اليمن مع غلام قد ظهر لأسيد بن جذيمة فنسير من هنا ونكمن له فى الشعاب التى بيننا وبين بلاد

اليمن وهي شعاب المسارح فلما سمع ملاعب الاسنة ذلك صعب عليه وأخذت حمية الجاهلية لأنه كان من الفرسان القوية وقال لخالد أنت ما وجدت لي فضيلة إلا اقتل هذا العبد الأسود وحق ذمة العرب أنا ما أرضى بقتل سادتهم الاماجيد فكيف أرضى بقتال العبيد وقد رأيت لما أتاني كتاب الأسود أخي النعمان وطلب مني النصرة عليهم فما رضيت أن أسير اليهم حتى لا أقاتل عبدا لا قدر له ولا قيمة فإن أردت أن تسير إليه فسر أنت وأنا أقيم عند الحريم والمال حتى أنك تعود ونقضي الاشغال فقال خالد دعني أقاتله وألبس العار ويلحقني الذل والشنار ثم أنه نزل إلى الراحة ومن الغد انفذ إلى سائر الأقطار ليأتي إلى معونته كل فارس مغوار وبعد ذلك أخذ ثلاث آلاف فارس من كل مدرع ولابس وفي جملتهم جندح بن البكار والربيع بن عقيل الفارس النبيل وسار قاصدا شعاب المسارح إلى أن أتى اليها وأقام كامنا فيها فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عنتر بن شداد فإنه سار مع أسيد ونازح يقطعون البر والوهاد ويتذكر ما لقي من حب عبلة وما صفا له من الزمان وهو ينشد ويقول هذه الأبيات صلوا على صاحب الآيات:

شكواي دهري للضمير وضيغم ... وأغيظهم في منعهم عن مغنم
لاسلوى بل صبوة لمتيم ... يرجو الوصال له مودة مغرم
خير الوداد وداد اليف ناطق ... أن تلعب الأهواء به لم يصرم
حتى المنيع الجار يقرب بأسه ... بالسابقات إلى جزيل الأنعم
غرس الفصيح بلا لسان صامت ... دون الثناء ولا بقي بمنجم
لي همة تصبو لسالف عهدها ... لم ترض نسيان الرفيق الاقدم
مظروفة بشفا الخطوب بنوشها ... بالجود غايات العزيز الازلم
يا بنت مالك زاد شوقي إلى ... ذاك الجمال فانعمي وتكرمي
سعد الجهول فقد أراح فؤاده ... مما أروم فليتني لم أعلم
يلوي مواعدها الزمان فتنقضي ... إنجازه فإلى متى وإلى كم
يا بنت مالك زاد وجدي والأسا ... وسكت حتى لا يقال تكلمي
وصبرت خوف الحاسدين على الهوى ... وسترت وجدا في فؤاد مهيم
وهيام وجدي في الضلوع مخيم ... لولا اصطباري ماسميت متيم
والآن قد سافرت مع ملك له ... فضل وفي كل الحروب غشمشمي
كل القبائل تخشى من سطواته ... متواضع ذو عفة وتكرم
يوم الحروب تكاد زرق رماحه ... عند الطعان تميل نحو الانجم
يا سيد فاسمع لشرح قلته ... لازلت من جور الزمان مسلم

قال الأصمعى فطرب أسيد من شعره وحسن نظامه وزاد غرامة فباح بما فى جنانه من هيامه وصار يقول هذه الأبيات :

أنا محبوبك ياسلمى فحيينا ... وإن سقيت كرام الناس فاسقينا
وإن دعوت إلى عز ومكرمة ... فى يوم سارت كرام الناس فادعينا
إن نبتدر غارة فى يوم معركة ... تلق السوابق منا كالشواهينا
وليس يهلك أسيد أبدا ... إلا اقتنا هماما سيد فينا
أنا لترخص يوم الروغ أنفسنا ... ولحفظ شبابنا من كل أهلينا
بيض مفارقنا تغلى مراجلنا ... وبذل أموالنا آثار أيدينا

قال الراوى فلما فرغ أسيد من هذه الأبيات هاجت بنازح ولده الزفرات وأشار يمدح عنترا بهذه الأبيات ويقول صلوا على سيد السادات :

يكاد الدجى يغدو صباحا منورا ... إذا عدد المثنى مناقب عنتر
ويزكو نسيم الجو عند مديحه ... كان باعلا وجهه نشر عنتر
إذا مد مد رمحا أسمرا فى نزاله ... فلا طعن إلا فى ضمير ومحجر
وتشكو طغاة القوم صدور فتكه ... بظلمة ليل من صباح ومسفر
فللوحش رزق من مواهب سيفه ... وللطير من جسم الكماة المعفر
تمنع عن سكنى الجفير حسامه ... فيغمده ما بين رأس ومنحر
وتكره ورد الماء كل خيوله ... فيوردها فى ناقع اللون أحمر

قال الراوى فتقدم عنتر إليه وقبل يديه وشكره وأثنى عليه وقال له ياسيدى جميع ماطلع من فيك فهو فيك لانك انت بالمديح أولى لانى أنا العبد وأنت المولى ثم أنهم ساروا يجدون المسير واخذوا فى الجد والتشمير وإذا قد ظهر من بين أيديهم غبار وعلا وسد الاقطار وساعة من النهار وظهر من تحته جيش جرار كانه البحر الزخار وفى المقدمة فارس كانه طود من الاطواد أو من بقايا قوم عاد وذلك الجيش من خلفه يسير ثم أنه لما رأى جيش عنتر قد اعترضه فى الطريق أرسل بعض عبيده يكشف له الخبر وكذلك فعل عنتر لانه لما أبصر الغبار أرسل أخاه شيبوب يأتيه بالاخبار فالتقى الاثنان فى الطريق فقال لشيبوب يا ابن الخالة من أى العرب جشم ومن أين وإلى أين أنتم سائرون ومن هو مقدمكم وقائد جحافلكم فقال له شيبوب نحن من عبس الذئاب الطاسن المعروفين بين العرب الكرام بفرسان المنايا والموت الزؤام وأما مقدمنا فهو أوحد هذا الزمان وفريد العصر والأوان حامية عبس وعدنان الذى قال فيه الشاعر مالك بن حسان هذه الأبيات الحسان .

هذا الذى شاع فى الآفاق مدحته ... هذا المسدد عند العجم والعرب

هذا المعاد لدفع المعضلات ومن ... يسطو بمرهفة فى الموقف الرهب
ما أن يرى فى اللقا فى يوم معركة ... إلا وقد زلت الأبطال للهرب
هذا المؤمل والضرغام تعرفه ... كل الصناديد والفرسان فى العرب
لم يعل مثل له ظهر الجواد ولم ... ير شبيه له فى سالف الحقب
يسوق أعداء سوق السرح فى ملا ... ويغنم بالمال والأنعام مع سلب
أبو الفوارس سموه بعنترة ... أبو شداد عبس مفخر العرب

(قال الراوى) ثم أنه قال وأما سؤلك عن مسيرنا فان بعض ملوكنا أسرت له زوجة فى بلاد اليمن ونحن سائرون إلى خلاصها ثم قال وأنتم من أى البلاد ومن أى العرب ومن قائد جيوشكم وإلى اين أنتم سائرون فقال له العبد وقد تبسم وزاد به السرور وأما قولك من أى العرب فاننا من بنى هبيرة وأما قائد جيشنا وسيدنا وملك قيادنا فهو المعروف بمشبع الأطيار وأما جهة سيرنا فاليكم قصدنا وأنتم طلبتنا ثم أن العبد سار طالبا قومه وعاد شيبوب إلى أخيه عنتر (قال الأصمعى) وكان السبب فى مجىء هذا الجبار كلام عجيب وذلك أن الفارس شيطانا من شياطين اليمن يقال له سابق بن طود الجيوش وكانت العرب تسميه مشبع الأطيار وكان خروجه من ارضه فى طلب عنتر بن شداد وهو فى جملة من الفرسان الأجواد وذلك أنه لما بلغه الخبر بأن عنتر قتل صديقه خطاف القنا الذى قتله وهو عائد من عند النعمان فى وقعة الخيتعوش والهيثم بن فضاله وهو أفنى من فرسانهم بلا إطالة فسار حتى يأخذ تاره ويكشف عنه عاره إلى أن التقى بعنتر ونزل شيبوب ويكشف الخبر ورجع كل واحد إلى رفيقه وأقبل العبد على طود الجيوش وأعلمه أن مقدم هذه الجيوش هو عنتر بن شداد ففرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد ودعس جواده إلى الميدان واشتهر بين الفرسان وصال وجال وطلب الحرب والقتال وأنشد هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات

اليوم أكشف ما فى القلب منى غصص ... ولى اصطبار على هذا ولى جلد
كم ذا تضام ونسقى كل نائبة ... من المذمة والاحشاء تتقد
لاصبر لاصبر بعد اليوم إن لنا ... نارا بحر لظاها يحرق الكبد
فاطمسوا بذباب السيف أعينهم ... فأين ملجؤهم إن مالف الأسد
فأين عنترهم يأتى إلى رجل ... يبرى الرؤس ومنه تغلق الخود
سآخذ الثأر والجعان ناظرة ... هذى فعالى وكل الناس لى شهدوا

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره ونظامه ووقف فى ميدان حربه ومقامه وسمع عنتر كل كلامه وكان أخوه شيبوب اعلمه بما أتى فيه هذا الفارس بقوة إهتمامه فحمل عنتر عليه وساق الجواد وقصد إليه وهو يجيب على شعره ويقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

كم خضت معمعة بحد حسامي أخمد نار ضرابها بضرامي
مارامني يوم الحروب مجالد إلا زالت جلاده بمرامي
مرحبا يامن أتانا قاصدا اليوم نلتقي فارسا ضرغامي
أنا عنتر العبسي والبطل الذي ذكرى سرى فوق الثرى بأنام

(قال الراوي) ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ بضاعته ويضاربه ۞ هذا وقد مالت بنو عبس على بني هبيرة وقلوا في أعينهم ومالت بنو هبيرة عليهم ولم يعلموا أن فيهم مثل نازح وأبيه أسيد وعروة بن الورد وشداد بن قراد (قال الاصمعي) فعند ذلك التقت الرجال بالرجال والأبطال بالأبطال وعمل السيف القضاب وقل اللوم والعتاب وتعاثرت الخيل برؤس الشيوخ والشباب ودارت طواحين الآجال ومال عليهم نازح واستطال وكذلك عروة بن الورد عمل عملا عظيما وقاتل قتالا جسيما ولم يزل القتال يعمل إلى أن قامت الشمس في كبد السماء وقد خاضت الخيل في الدماء وأشرفت الناس على الهلاك والعمى فبينما هم على أشد ما يكون من القتال والطعن والنزال وإذا بصائح قد صاح وهو بأعلا البطاح وفي يده رمح عال عليه سنان ومن فوقه رأس إنسان كأنها رأس شيطان وهو ينادي ويلكم يا أوغاد غير أمجاد هذه رأس سيد كم قد قتله عنتر بن شداد الذي سلطه الله على أهل العناد (قال الاصمعي) وكان قد جرى بين مشبع الاطيار وعنتر قتال يعمل عمل النار لانهما تطاعنا حتى تقصف الرماح ورجعا إلى ضرب البيض والصفاح وأخذ في الأنطباق والالتصاق فضايقه عنتر ولاصقه وسد عليه طرائقه وضربه بالسيف على عاتقه فأطلعه يلمع من علائقه فخطف شيبوب الرأس من الهواء بالعجل وجعلها على الرأس سنان رمح معتدل وقصد بها ذلك التل والجبل وأعلن بالنداء كما ذكرنا ۞ هذا وحين أبصر بنو هبيرة رأس سيدهم كما وصفنا ولوا الادبار وركنوا إلى الهرب والفرار وبنو عبس تعمل أقفيتهم بالسيف البتار والرمح الخطار وما رجعوا من ورائهم إلى آخر النهار وعنتر بين أيديهم ينشد ويقول :

كفي ملامك عن لومي وتفنيدي صبابتي بالمها والحراد والغيد
أطلعت حتى حسبت المجد منقصة كلا ولو أنه حتف الأماجيد
لما رأيت غراما جل عن عدد تركت نومي وقد دارمت تسهيدي
وهذا أتى مسبع الاطيار يطلبني بثار صاحبه والدهر مكدودي
ضربت قامه بالسيف مقتدراً وجلت في قومه جول الصناديد
وكم لقيت بقلبي كل نائبة والخطب يجلب من قوم رغاديد
والخيل تجري خفافاً في أعنتها وهن ما بين مقتول ومطرود
تكر تحت غبار النقع في وهج على نجيع من الفرسان مسرود

آل عبس على صهوات أظهرها   قد حطموا فى التراقى كل معدود

(قال الراوى) وقد بات عنتر فى تلك الأرض بأصحابه إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وذكرت الصلاة على سيد الصفاح سيدنا محمد زين أهل الملاح ورسول الملك الفتاح فجمعت بنو عبس الخيل والاسلاب وساروا إلى أن قربوا من أرض بنى القيان فأراد نازح أن يسبقهم إلى الحى ليعلم أهله بما قد جرى له فسار وما زال سائرا إلى أن وصل إلى الحى فأبصروا فى أرضهم طيورا طائرة وهى فى الجو حائمة وبريق صوارم لامعة وصياح نسوان وبكاء صبيان وأمور أتدل على وبال وشر وقتال (قال الأصمعى) فلما رأى نازح هذه الأحوال عاد إلى عنتر فى عاجل الحال وقال له دهينا يا حامية عبس أسرع لأجل القتال حتى أننا نخلص الحريم والعيال مع أيدى هؤلاء الأعداء الأنذال فقال له الأمير عنتر ابشر يا ولدى بما يسرك ودفع جميع ما يضرك ثم أن عنترة أقسم الثلاثمائة فارس الذين معه ثلاثة أقسام وأمرهم بالحملة سوية على هؤلاء الأعداء اللئام وكان عروة مقدم رجاله ونازح مقدم أقياله والأمير شداد مقدم المائة الأخرى وترك له سيدا واقفا تحت الأعلام فى خمسين فارسا تمام وأمره أن يرد من يعود عن الحرب والصدام وكان أسيد أراد أن يحمل معهم فى الأول ويجادل ويكافح لأن القتال من أجل ولده نازح فما أمكنه أبو الفوارس عنتر من ذلك بل قال له يا مولاى ما هذا صواب أن تقاتل أنت معنا هؤلاء الكلاب ولكن كن أنت فى مكانك تحت العلم حتى تعلم هؤلاء الأعداء أن لنا رأسا ومقدم وإذا رأيتنا قد ولينا منهم مدبرين فاحمل أنت وانصرنا ولا ندع الأعداء تملكنا فعندها أجابه أسيد إلى ما طلب وحمل عنتر الخمسين فارسا الذين معه على أعدائه كانه الاسد الاغلب فعندها جميع بنى عبس حملت ولأعنة خيلها أرسلت وعلى القتال عولت وصاحت ودمدمت ولسيوفها فى الرقاب أرسلت فحمل الأمير عنتر إلى معونتهم كانه البلاء المسلط وأخوه إشيبوب إلى جانبه كانه الثعبان الأرقط والذئب الامعط وانطبقت فرسان بنى عبس على بنى الأرقط (قال الراوى) وكانت هذه العساكر أشد عرب اليمن وأجبرها وأصبرها على نوائب الزمن وكذلك كان مقدمهم أعظم ملوك وأجبرها وأشدها جهلا وكفرا وأوحشها صورة ومنظرا وكان شديد الباس صعب المراس كثير الفرسان والأقران وكان إذا ركب إلى الميدان تخضع له رقاب الشجعان من أرض السودان إلى جبل الدخان وكان مولعا بحب النسوان وله عجائز تدور فى الأحياء ويدخلون على بنات السادات فاذا نظروا بنتا عربية حسنة أتوا إليه وأعلموه بها فينفذ إلى أبيها ويخطبها منه فان أرسلها إليه كان وإن أبى أرسل إليه العساكر وخرب دياره والأوطان ويأخذها منه غصبا بلا رضا ولا يزال معها إلى أن يسمع بغيرها فيجعلها من جملة إمائه إلى أن سمع بحديث ضمية بنت عباد فانفذ

يطلبها من أبيها فرد أبوها رسوله خائبا وقال أنا ما أزوج ابنتي لرجل جبار لا يعرف العار ولا يغار على النساء الاحرار قال الراوي فلما سمع نقمة كلامه اشتد به الغضب وأنفذ اليه ولده كلبوب في سبعة آلاف فارس من بني الارقط وقال لولده كلبوب لا تعد إلى وعبادمعك ذليل مهان واثنى به بين الأبطال والفرسان فقال ولده السمع والطاعة وحق الليل إذا اعتكر والقمر إذا ظهر ما أتركهم إلا مثلا يذكر بين البشر وعبرة لمن اعتبر (قال الراوي) وكان هؤلاء القوم يعبدونه ويستغيثون به في المهمات وضلوا عن رب الأرض والسموات فسار كلبوب بعد وصية أبيه نقمة إلى بني القيان وحصل لهم ما حصل ووصل نازح وبنو عبس وعنتر وأسيد ووجدوهم نهبت أموالهم وهتكت نساؤهم وسبيت بناتهم فحمل عنتر عليهم وفرق من الأعداء كتائبا وأخرق جوانبها ونكسها عن مراكبها وسمعت فرسان بني عبس صياح عنتر فدخلت في قسطل الغبار فرجعت بنو الأرقط وراءها وأبصرت البلاقد أتاها فعادت من بين المضارب والخيام وهي نافرة مثل الوحوش الشاردة والرزايا عليهم واردة (قال الأصمعي) فعند ذلك سأل كلبوب بن نقمة عن الخبر وقال ما بالكم هاربين قالوا إنا رأينا العبر وكان كلبوب واقفا خارج المعمعة وهو ينظر السبي الذي يأتوا به بين يديه وكان قد أبصر فرسان بني عبس لما حملت بأبطالها وجالت بفرسانها ولكن نظر إلى قلتهم فما خطر بباله الاهتمام بهم ولم يعلم أنهم فرسان المنايا والموت الزؤام إلا أنه نظر أبطاله نافرة يمينا وشمال أخذته البهتة والانذهال فنادى يا ويلكم إيش هذه الفترة يا بني الانذال اعلموا أن هذه غنيمة قد أتتكم من غير هذه البلاد وهي مجهدة للعباد وهي أكثر من ثلثمائة فارس وفرد رجل واحد ماشي على الاقدام (قال الراوي) ثم انه حمل وزعق وقسم أصحابه ثلاث فرق فحملت كل فرقة على فرقة فرأوا بني الارقط فوارس لا تردوا أبطالا لا تعدو لا تبالي بالعطب ولا تطلب الهرب بل تحمل حملات الاسود فيقرون البطون والنهود وظهرت من الرجال النخوات وعنتر يطعن فيهم طعن المهات فما استطاعوا الوقوف بين يديه فولوا هاربين وإلى النجاة طالبين وما سلم منهم غير القليل فصاروا يستغيثون بابن ملكهم كلبوب وهم يقولون يا ويلنا من هذا الفارس المنتخب والرأي عندنا أنك يا كلبوب تطلب الهرب من قبل أن يقوم عليك عنتر وينزل بك العطب ويخطف روحك من بين جنبيك ويترك أهلك ينوحون عليك (قال الراوي) فلما سمع كلبوب منهم ذلك المقال سحب حسامه وضرب منهم عشر رجال وقال أذلكم الله بين العرب يا ويلكم انتم ألف فارس وتنهزموا من مائة فارس ولكن لو أنني أريد أن أريكم ما أفعل بهذا الفارس الذي ذكرتموه فلا يأتيني منكم أحد في هذه الساعة ثم أنه خرج من تحت الاعلام وقال لبعض رفقائه تقدم واسأل هذا الشيطان من أي قبيلة فسار من عنده جماعة إلى عنتر وقالوا لمن

حوله ولم يقدروا أن يسألوه ما يقال لهذا الفارس الذى خاب أمله ودنا مرتحله فسمعه عنتر فلم يمهله أن يتم كلامه حتى طعنه برأس السنان فكركبه عن جواده وضرب الذى يليه بالرمح فى فاه فخرج يلمع من نقرة قفاه وضرب الثالث بالحسام فطير منه الهام وحمل على مقدمهم كلبوب وانطبق عليه وحملوا على بعضهم كانهما بحران التطما أو جبلان اصطدما وحمى بينهم الطعن والضرب وقد طلب أصحاب كلبوب أن يعينوه فما مكنهم من ذلك وأراد أن يريهم قتاله ومقاله فزعق عليهم وأوقفهم وقدام القتال واشتد النزال وفى دون ساعة انكسرت الألف الذين كانوا اقدام نازح (قال الراوى) وقد انهزمت الطائفة التى قدام عروة بن الورد وأوسعوا فى الهرب وولوا فى البر والسبسب وقد نادى عباد فى بنى القيان يا بنى الاعمام ابشروا فالنصر والمصالح فقد وصل الينا نازح ومعه العصبة القوية والفرسان العدنانية فقاتلوا معه بنية قوية قال الاصمعى ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن انكسرت بنو الأرقط وسار نازح ومن معه يطلبون عنتر هذا وبنو القيان لما رأوا ذلك الفرج أعلنوا بالصياح وحملوا وطعنوا فى العدا بالرماح إلى أن انكسرت بنو الارقط وهجوا فى الربا والبطاح وقد رجع نازح وبنو عبس وأما عنتر فانه ما زال مع خصمه فى قتال وطعن ونزال إلى أن كل كلبوب وملّ وانحل عزمه واضمحل وطلب الهرب من قدام عنتر فاظهر له عنتر الفتور فطمع فيه كلبوب واشتد وطعنة طعنة قوية وعنتر صار لها وهو متنبه للضربة إلى أن قاربه السنان ووصل إلى نحره فجذب سيفه وضرب به رمح كلبوب فبراه ورده عليه بعد أن امهله إلى أن قاربه وصار بين يديه فضربه على وريديه فأطاح رأسه من بين كتفيه ولما ضربه عنتر ووقع على الأرض قتيل وفى دمه جديل حملت الطائفة التى كانت معه وقصدت عنتر من كل جانب ومكان واقبلت عليه مثل فروخ الجان وعنتر قد هاج كانه البحر العجاج المتلاطم بالأمواج وكان شيبوب أخذ رأس كلبوب ووضعها على الرمح وصار ينادى ياويلكم عمن تقاتلون يا عباد الليل والقمر وصاحبكم كلبوب قد مات وانقبر فلما عرفوا رأس سيدهم كلبوب ولوا الادبار وركنوا إلى الهرب والفرار وتشتتوا فى أقطار القفار بعد ما فنى منهم خلق ما يقع عليهم عيار قال الأصمعى فلما نظرت بنو القيان إلى عنتر وما فعل ترجلت إليه الابطال والشجعان وقال عباد يا نازح من يكون هؤلاء القوم الذين قاتلوا معنا من غير معرفة فقال نازح وقد تبسم هم بنو عبس وعدنان واما دخولهم معى هذا المكان فليس بعجب لان ملكهم ابى وبليهم نسبى قال الراوى ثم انه حدثه بحديثه وما جرى له فى سفرته وكيف كانت معرفته بهم فى غيبته فلما سمع نازح حديثهم تعجب وحصل عنده غم وارتعب لانه لما ذكر له بنى عبس ضاقت منه النفس وبعدها راقت احواله واخذه الفرح واتسع صدره وانشرح وقال والله ما كان

عندى قبل اليوم أشد بغضة من بنى عبس ممن طلعت عليه الشمس لاجل ما كان بيننا من الغارات والقتل والآن وحق من رفع السموات بسط الأرضين على الماء وجعل البيت الحرام آمنا وحما إنناصرنا لهم عبيدا ونساؤنا لهم أماء خادمات وحق من هو عالم بما كان وماهو آت ولكن ياولدى من أبوك فيهم فقال له أعلم أن أبى أسيد بن جذيمة الذى على رأسه العلم صاحب المهابة العظيمة وهو زوج أمى سلمى التى هى أختك فى عهد الله وميثاقه (قال الراوى) ثم أنهم ساروا الجميع إلى ناحية الأمير أسيد بن جذيمة وسلم بعضهم على بعض وانبسطوا فى تلك الأرض قد علم عباد اتهم طائفة كبيرة من ذوى الرتب فأكرمهم وشكرهم وحياهم بتحية العرب فقال أسيد أعلم يا عباد وحق الملك الجواد أنه قد صار فضلك الينا وإحسانك علينا لأنك قد ربيت لنا هذا الولد إلى أن صار من الفرسان ويعد من الشجعان ومابقينا نقدر على مكافأتك طول الزمان وأنا ما أتيت هذا المكان إلا من أجل ضية بنتك بدر التمام وتريد أن تتم إحسانك وتوصل النسب بيننا وبينك فقال عباد يا مولاى ومن أين له بهذا الأمر وحق زمزم ومنى لآخذ منه مهر معدود اولا أطالبه بصداق ممدود قال فشكره أسيد (ثم) ساروا إلى أن وصلوا إلى الأحياء فتلقتهم السماء وصار البنات يضربن بالمزاهر والآلات وخرجت أم نازح وسلمت عليه وقبلته بين عينيه فأخبرها بما كان من أمره وأنه عرف أباه أسيد وأعطاها ملبوسا من ديار بنى عبس فلبسته ضية بنت عباد وفرحوا بذلك الايراد (قال الراوى) فلما علمت أم نازح أن أباه قد أتى معه فى طائفة بنى عبس وهم شداد وولده عنتر وعروة بن الورد نادت افراحها وقد لبست ثيابها وزالت اتراحها ونظرت إلى بعلها أسيد فعرفته فهرولت إليه وقبلته وسلمت عليه فترجل إليها وسلم عليها واعتنقها وبكى وما فيهم إلا من ذكر العهد القديم واشتكى وحدث كل واحد منهم صاحبه بما لاقى بعد فرقته فكانوا كما قال الشاعر حيث قال بفطنته :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقينا

(قال الأصمعى) فما دخل الليل إلا وضربت لهم الخيام ونقلوا إليهم البسط والفرش ومدت أوانى الطعام وصافى المدام وعند الصباح وصلت اليهم من عباد الهدايا والتحف الملاح وما تضاحى النهار حتى صار أمورهم نافذة فى بنى القيان وقد عزت أنفسها بعد ما كانت تهان وبهذا حكم الملك الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن ٭ (قال الراوى) ٭ وقد اصطنع عباد وليمة عظيمة جمع فيها سائر بنى عبس وسادات قومه الكرام وصارت جميع فرسان بنى القيان تخدم عنتر بن شداد وتزيد له فى الاكرام

(تم الجزء الحادى عشر ويليه الثانى عشر)

الجزء الثانى عشر

من سيرة عنتر بن شداد

(قال الراوى) وبعد ذلك طلب أسيد عباد بزفاف ضمية إلى ولده نازح فقال سمعا وطاعة ثم قال اعلم أن الفتى قد انتجز أمرها وفرغ شغلها ولو أمرتنى الليلة أن أزفها لزففتها ولكن قلبى خائف من هذا الجبار الذى قتلتم ولده كلبوب ولا بد أن يسير الينا فى عالم عظيم ويقطع منا الآكام فقال عنتر يا عباد ومن هو هذا الجبار الذى تقول عنه هذا المقال فوالله إننى لا أخرج من هذه الديار واترك أحدا يحكم عليك من الرجال فوحق ذمة العرب وشهر رجب لأقودن هذا الجبار من رقبته إليك وأريك فيه ما تقر به عينيك وأجعل كل من على وجه الأرض فى جبال الدخان طمعا لوحش الفلا والغربان وإن شاء الله تعالى أسير فى مائة فارس وأصرم عمره وأقطع أصله وفرعه فقال عباد يا أبا الفوارس لا تحلف ولا تتحدث بما ليس لك به علم ولا تظن أن هؤلاء القوم مثل غيرهم لأن أرضهم ضيقة ما للفوارس فيها مجال وأن هذا الجيش الذى أهلكناه ما هو إلا نقطة من تيار أو شرارة من نار ولكن اصبر حتى أننا نكاتب الحلفاء والاصدقاء ونسير كلنا إلى جبل الدخان نبذل الجهد مع هذا الشيطان وإن كان يطلب منا فدية دخلت له تحت كل ما يريد وإن لم يرض بذلك قاتلناه وطلبنا النصر من الملك المجيد (قال الاصمعى) فلما سمع عنتر من عباد هذا الكلام قال يا أسيد إيش هذا الكلام فوحق من سطح المهاد وجعل الجبال أوتاد لاسرت اليهم إلا فى مائتين فارس من بنى قراد وعروة بن الورد وابى شداد ولو أنهم بعدد قوم ثمود وعاد صاحب إرم ذات العماد قال ولما أن سمعوا من عنتر هذه الاقسام تعوذوا برب زمزم والمقام والمشاعر العظام وما فيهم رد عليه كلام إلا أن أسيدا قال له يا أبا الفوارس إن كان لا بد فارحل من غد ونحن نلحقك لاننا لا نأمن عليك أن تسير فى أرض لا تعرفها وتريد أن تلقى أهلها فى هذا النفر القليل فقال عنتر يا مولاى الامر اليك وأنا أرجو إن شاء الله تعالى أن أمضى هذا قبل أن تلحقونى (قال الراوى) وكان هذا القول عند المساء ولما أن هودا الليل وطلع نجم سهيل أمر عنتر أباه شدادا وعروة بن الورد أن ينتخبوا فوارس أنجادا يكونون معدودين للحرب والجلاد فأخذهم وقت السحر وساروا يقطعون البر الاقفر ولما أن خلا عنتر بنفسه تذكر محبوبته عبلة وأن واشتكى لانه رأى أسيدا اجتمع بزوجته سلمى ونازح بضميه فرفع رأسه

إلى السماء وقال اللهم يارباه أنت تعلم بما أنا فيه من البلاء وماقاسيت بين الملاو جميع الناس انتظم أمرهم وما بقى إلا أنا فاجبر خاطرى بعبلة لأن قلبى قد انكسر وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

حسناتى عند الزمان ذنوب — وفعالى مذمة وعيوب
ونصيبى بعد الحبيب جلاد — ثم غيرى له الذنوب نصيب
كل يوم يبرى الزمان سقاما — من محب وما لسقمى طبيب
إن طيف الخيال يا عبلة يحى — إن سرى القلب وهو ذا المكروب
كيف يسرى ودونه فلوات — دون تقطيعها الصبا والجنوب
يانسيم الحجاز لولاك تطفى — نار قلبى إذا زار قلبى لهيب
ولقد ناح فى الغصون حمام — فشجانى حنينه والنحيب
بات يشكو فراق الف بعهد — وينادى أنا الوحيد الغريب
قد تنفست من فؤادى عليل — نفساً يستعيذ منه الطبيب
ياحمام الغصون لوكنت مثلى — عاشقا ماحواك غصن رطيب
فاترك العشق والهوى لمحب — قلبه قد ثوى به التعذيب
كل يوم له عتاب كدهر — وقد استجمعت عليه الخطوب
وحروب لا تنقضى ورزايا — مالها آخر يكون قريب
فاسلى عبلة عن جوادى خبيرا — وشجاعا قد جربته الخطوب
فهل يخبرك أن فى حد سيفى — مورد الموت حاضرا لا يغيب
وسنانى يوم الطعان عليهم — مرهفات تهاب منه القلوب
كم شجاع دنا إلى ونادى — إننى القرم والشجاع النجيب
ما أدعانى حتى أتاه حسام — من حسام تنشق منه الجيوب
يضحك السيف فى يد وبنانى — وله فى بنان غيرى نحيب
وكأنى شربت كأس سلاف — مع جوار لهن مسك وطيب
فدعينى أجر أثواب فخرى — فلها فى علا الثناء دروب
وأنا عنتر المتيم حقا — لايزال الثنا لعمرى يطيب
لو تكنى غير بما أنا فيه — ذاب جسمى وعمه التعذيب
لكن الحكم للمهيمن ربى — يصطفى من يشاء وهو المجيب

(قال الراوى) ولما أن فرغ عنتر من إنشاده رق له قلب أبيه شداد وكذلك عروة بن الورد

وماز الوا سائرين طالبين أرض السواد وديار بنى الأرقط بين أيديهم شيبوب هو مثل الذئب الأمعط والأسد الأرقط (قال الأصمعى) فهذا ما كان منهم وأما ما كان من نقمة بعد أنفاذ ولده كلبوب إلى بنى القيان بقى متطالعا إلى خبره ومنتظر اله أن يأتى بضمية بنت عباد وما علم أن الزمان أخلف عليه الميعاد وأرسل له عنتر ينزل به البلاء والانكاد وماز الوافى انتظاره إلى أن وصل اليه ينهزمون من عشرة وعشرين وكانوا فى البر متفرقين ونعوا اليه كلبوب وما أصابه من شرب كاس المنون فقامت قيامته وزادت حسرته ولعبت النار فى أحشائه ومهجته وقال لهم يا ويلكم انتم سرتم فى سبعة آلاف عنان ومعكم ولدى كلبوب يعد بألف من الشجعان جرت عليكم هذه الأمور من بنى القيان وأتيتم وتركتم ولدى قتيلا فى الصحصحان قال رجل منهم يقال له عنان يا ملك الزمان أما بنو القيان فقد أبدنا منهم الفرسان وأهلكنا منهم الأبطال والشجعان وإنما وصل اليهم نجدة وهى ثلثمائة فارس من بطل أسود مثل الظلام لا يسمع من أحد كلام ولا يرد جواب بل يطعن برمحه فى الأجناب والرجال الذين معه تنثر سيوفهم الجماجم والرقاب وذلك الفارس الأسود أشد منهم بأس وأقواهم عزم مراس وهو الذى قد طعن بقوته فرساننا وقتل ولدك كلبوب وحمل علينا حملة المجنون ونهب الأرواح وشق البطون وكسرنا وأخرجنا من تلك البلاد بعد ما ملكنا المضارب والبيوت ولو شاء لتبعنا ولا خلى منا واحد بفوت (قال الراوى) فلما أن سمع نقمة كلامه جذب حسامه وضربه على وريده أطاح رأسه بين يديه وقال للعبيد أقبضوا عليهم وقدموهم بين يدى فوحق القمر إذا أشرق والليل إذا غسق لا أبقين منكم من أحد فعل العبيد ذلك فصار يضرب منهم الرقاب فتقدم أخوه نعمة وأخذ السيف من يده وكان نعمة رحيم القلب يحب العدل والانصاف وقال يا ملك الزمان فجعت فى ولدك فتب عن بنات العرب فقال نقمة أنت معارضى هل أنت ملك مثلى كيف أكون ملك اليمن وأترك شهوة من شهوات الزمن فوحق سواد الليل والبدر التمام الذى يعرفنا عدد الشهور والأيام إن عدت تعارضنى لأرمين رقبتك بهذا الحسام ثم أنه صاح فيه وقال له أخرج من قدامى وإلا رميت رأسك بحسامى قال الأصمعى فصاح العبيد فيه وأخرجوه من قدامه قال ولما أن خرج نعمة من قدام أخيه ركب جواده وسار يطلب منازله فالتقاه فرسانه وأجناده ومعه فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف يسمعون كلامه ويبغض أخاه كثيرا لأجل تجبره وسماجته ولما أن أجتمع نعمة بقومه حدثهم بما كان بينه وبين أخاه من الكلام وكيف هدده بالقتل وضرب الحسام فصعب عليهم وقالوا له قلنا لك ألف مرة لا تعده ولا تجعل له قدرا ولا ترفع له رأسا وأنت ما تقبل كلامنا فدعنا نحمل عليه ونضرب رقبته ونملك مملكته فقال لهم هذا أمل بعيد أنا لا بد لى من المسير فى هذه الأمصار

وأجلب العرب من سائر الأقطار واقلع منه الآثار وأول ما أقصد أهل الحجاز الذين قتلوا كليوب في أرض بني القيان لأني سمعت أن فيهم فارساً كراراً يعد بالف من الأحرار فقالوا له أفعل ما تريد قال الراوي ثم أنه قال لهم نسير من الصباح إلى بني القيان ونكون لهم من جملة الأعوان وما نسير إلا بجميع الأموال والعيال والنساء والصبيان قال الراوي ثم أنه أمر عبيده بحمل الاثقال فحملت رجاله وعياله وقدر كبت فرسانه وجميع أبطاله وساروا يقطعون الجبال بالاولاد والنساء والعيال قال فهذا ما كان منهم وأما ما كان من نقمة فانه بقي بعد روح اخيه من عنده محترق القلب على ولده كليوب وقد زادت به الكروب وقال لقومه أنا أسير إلى بني القيان واذبح الرجال والنساء والصبيان وأفني هؤلاء الانذال الذين قتلوا ولدي والا ما تنطفي نار كبدي ثم أنه بات تلك الليلة إلى الصباح فارسل إلى بني رباح وإلى بني وشاح وأمر الجميع بالحضور اليه من غير مهل وكانت القبائل تطيع امره وتحمل اليه الخراج وكانت منقطعة عن الارض الطيبة وكان جبلهم من عجائب مخلوقات الله تعالى لان الدخان كان يطلع منه ومن أرضه مثل الغمامة السوداء لا ينقطع منه لا صيفا ولا شتاء وكان كلما اهل الهلال يسمع له أنين مثل أنين المرأة الثكلى ويطير منه جمرات النيران إلى عنان السماء وهو أسود عالي الجنبات وما فيه عشب ولا نبات ولا يقدر أحد أن يصعد اليه ولا يعلم ما في أعلاه إلا الذي خلقه وسواه سبحانه لا عين تراه قال الاصمعي وقد ذكر كعب الأخبار ان الاسكندر بن زاراب الرومي لما عبر الى ذلك المكان ورأى أنعقاد الدخان سأل أبا العباس الخضر عليه السلام فقال له أخي أن هذا الجبل قد سخط عليه الله بعد خلق الدنيا وقد خصه بالعذاب وحكم عليه يوم القيامة أن يكون حجرا من حجارة جهنم وأني قد أطلعت عليه بعض السياحات فرأيت فيه أمورا هائلات ورأيت رأسه مقسومة قسمين ومفروقة فرقتين وفي وسطه بحر من نار لا يعرف له قرار يوهج لهيبه ليلا ونهار مختلط بغضب الجبار وعليه ملائكة الغضب لا ينامون ولا يأخذهم تعب من عذابه طول الابد وذلك بأمر الواحد الاحد الفرد الصمد فقال له أسكندر يا أخي هذا الجبل لا يعقل ولا يفهم قد سخط الله عليه وجعله حجرا من حجارة جهنم فقال له الخضر يا أخي أن الله سبحانه وتعالى لما خلق السموات والارض قال لهما ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين الا هذا الجبل اللعين فانه شمخ من دون الجبال وعلا وطال وتجبر وما أجاب فانزل الله عليه ذلك العذاب (قال الراوي) فلما سمع الاسكندر من الخضر عليه السلام هذا الكلام تعجب غاية العجب ثم أنه رحل طالبا عين الشمس ومطالعها وهو يسبح الله ويقدسه ويمجده على الطاعة والمعرفة قال الاصمعي ولنعد الى الكلام الاول فنقول وعند الصباح سأل نقمة من بعض السادات عن أخيه فتقدم واحد وأخبره بخبر أخيه وقومه برحيلهم فصعب

عليه وكادت روحه أن تخرج من بين جنبيه وقال أنا الذى طرقت لو كنت ضربت رقبته ماكان فعل ولكن لابدلى من إلحاقه ثم انه ركب فى ثمانية آلاف فارس وعليهم العدد والخوذ والزرد وقال لهم ماأريد الانحاز أمر أخى وأكون أنا معكم فى المقدمة وبعدها أسير إلى بنى القيان وأفنى منهم الرجال وأسبى منهم النسوان وبعد ذلك نرحل إلى أرض الحجاز وأوضع السيف فى فرسانهم والأبطال وآخذ نسوانهم والعيال وأهدم مكة واجعل حج العرب إلى جبل الدخان وكل من عصانى تركته رزق النسور والعقبان قال الأصمعى فلما أن سمع بنو الأرقط كلامه أجابوه وقد انتصف النهار وهو سائر بهم سير الجبابرة فى الاستعجال إلى أن أظلم الليل فنزلوا عن الخيل لأجل الراحة حتى أن تأكل عليقها ثم ناموا إلى الصباح فنظر بين يديه فرأى سوادا فبشر أصحابه وقال لهم بان لنا غبار وأقول أنه غبار أخى فادركوه وأمنعوه عن المسير وسيروا للطعن وأتركوا الخيل للراحة فركبوا الجنائب وتركوا الخيل للراحة وساروا لما أدركوا قال لهم نقمة ضعوا السيف فيهم والقواضب ولا تتركوا منهم ماشيا ولا راكب من ظفر منكم بأخى لا يقتله بل يأسره ويأتى بين يدى حتى أعذبه بأشد العذاب والنكال وبعد ذلك أصلبه علىّ قرون الجبال (قال الراوى) فهذا ماكان من نقمة فانه لما سار بالعيال وهو مجد خوفا من اللحاق ورأى غبار أخيه نقمة والرجال فقال لأصحابه هاهو قد لحقنا القوم ثم أنه وقف هو وبنو عمه وأدخل الحريم بين الروابى والكثبان ورجال نقمة صاحوا عليه ومنهم الصياح قد علا ودكدكوا أقطار الفلا ونقمة وقف ينظر ما الخبر فابصر المواكب عليه أقبلت والفرسان بالقنا والقواضب وسدت عليهم الطريق والمذاهب (قال الراوى) فعندها تغيرت لونه واضطرب ثم أنه شاور أبطاله فيما يعمل وقال لهم أريد منكم أن تحسنوا التدبير وما فيكم إلا من يسميني بالأمير ويلزمنى فى القتال ما يلزمكم فقالوا أننا ماسرنا معك إلا محبة لك وبغضا فى أخيك واليوم نريك منا ما يرضيك فاننا وحق من يرد سواد الليل إلى بياض وينجينا من الأعلال والامراض مافينا من يبخل عنك ولا عن الحريم والاولاد حتى تلعب رؤسنا حوافر الخيل قال ثم أنهم هزوا قطع الرماح وتأهبوا للحرب والكفاح وهان عليهم بذل الارواح وفى تلك الساعة أشرف عليهم عنتر بن شداد وهو راكب مثل الاسد على الجواد ومعه عروة بن الورد وأبوه شداد فى فرسان من بنى عبس وعدنان الامجاد فابصروا الخيل قد ملات القفار فانكر ذلك عنتر غاية الانكار ثم قال لشيبوب البلاء المصبوب ماهذه الغبرة ياأبا رياح انطلق إلى هذا الغبار وائتنا بالأخبار لأن فيهم نساء ورجال ومعهم عيال وفيهم هارب وطالب ومنهوب وناهب فعندها انطلق شيبوب مثل الريح الهبوب إلى أن وصل

إلى أصحاب نعمة ونادى ياوجوه العرب الكرام أخبرونا ما حالكم ومن أى العرب أنتم فتقدم إليه نعمة فقال يافتى ما الذى تريد بسؤالك عنا وعن أحوالنا فنحن قوم هاربون من الجبار المتكبر نقمة بن الاشتر الذى قد طغى وتجبر فانتم من أى العرب فاخبرونا لعل أن يكون لنا على أيديكم فرج فقال له شيبوب أبشر ياوجه العرب بكشف هذه الغمة إن كنتم من أعداء نقمة لأننا قد أتينا له طالبين وعليه واردين ونحن الذى قتلنا ولده كلبوبه وأما سؤالك عن سبب فنحن من عبس الذئاب الطلس (قال الراوى) فلما سمع نعمة من شيبوب ذلك الكلام داخله السرور وعلم أن حاله قد أستقام وأمره انصلح واتسع صدره وانشرح ثم قال لشيبوب يافتى أعلم وحق ما نعتقد أننا كنا اليكم سائرين وإلى نصرتكم طالبين ومن أجلكم جرى علينا ما جرى ثم أنه حدث بحديثه على جليته ثم قال له أرجع إلى الأصمعى فعندها رجع شيبوب إلى أخيه عنتر وأعلمه بالخبر ففرح عنتر واستبشر وقال لابيه شداد والله أن الأمر قد تيسر إلا أننى أخاف أن تكون مكيدة أو حيلة حتى نبقى فى أرساطهم فعندها ينطبقوا علينا وتكون المواكب فقال له أبوه ياولدى أن هؤلاء هاربون ومعهم عيال وهم عازمون على القتال فاحمل أنت يمينا واحمل أنا شمالا لعلنا أن ننجز هذه الاشتغال ونعود إلى أهلنا والاطلال فقال له عنتر صدقت ياابتاه قال الأصمعى ثم بعد ذلك حمل على الأرقط وحده وأخوه شيبوب بين يديه وكانت أبطال نقمة اختلطت بابطال بنى عبس وطعن بعضهم فى بعض وقد انطبقوا فى تلك الأرض ومالوا طولا وعرضا وأسنة فى الصدور وقد حصلت الرماح اليهم وقد وصلت وقد اشتد الأمر على نقمة وبنى عمه وزادت الخوف والهيبة وأعانه أخوه شيبوب وفرج عنه الكروب وحمى ظهره مع جولته كما تحمى الأسود أشبالها وملأ عنتر الارض من القتلى وبهر الاعداء بقتاله وطعانه وهو يجول فى ميدانه وأما عروة بن الورد وشداد ومن معهم من الاجواد فانهم حملوا على الميسرة حملات منكرة وقد أخروا الفرسان وراهم فابصر نعمة وأصحابه أفعال بنى عبس الاقيال وحالهم ورأوا منهم مالهم ففرحوا بهم فرحا زائد وقد قام الحرب على ساق وقدم السيف بينهم قد حكم وما زالوا إلى أن أقبلت جيوش الظلام وقد اسودت الأقطار من القتام ورجعت الطوائف عن بعضها البعض ونزلوا لأجل الراحة فى مقاومة الشجعان وأصحاب نقمة صاروا يستعيذون من فعال بنى عبس وعدنان ونزل نقمة وعقد عزمه قد انحل وصار همته قد قل ولما أن جلس فى مضاربه قال لأصحابه ياويلكم أبهذا القلوب تريدون أن تسيروا إلى أرض الحجاز وتلقوا أبطالهم عند البراز وأنتم لقيتم أخى فى ثمانية آلاف والحى فى ثلاثة آلاف ،

وقد فعلوا بكم هذه الافعال قال الاصمعى فعند ذلك تقدم اليه أرباب دولته قالوا الا تلمنا على حربنا وقتالنا لاننا رأينا فى هذا اليوم فرسانا ما رأينا مثلهم فى غابر الزمان ولا أدرى من أى طريق وصلوا وظن أنه قد كانت بهم أو يكونوا له إتفاق وقد نظرنا فى ذلك اليوم إلى الفارس الذى حمل فى الميمنة بين يديه ياملك فاذا هو رجل يقاتل على اقدامه وهو يهمز على الأرض كأنهم الغز لإن فان كنت رأيته ياملك ولمتنا فما أنت والله بعاقل قال لهم أنا نظرت إلى الفارس الذى فعل هذه الفعال وقد كنت عولت على ان أحمل عليه بنفسى وأردشره عنكم فخفت من ذلك الفارس فلزمت ناموسى فزعا من الخساره وخرق الهيبة وأنا والله قد عذرتكم لأنهم والله فرسان أوقاح ولا يوجد مثلهم فى سائر البطاح ولكن فى غداة غد أبرز اليهم فى الميدان وكلما قتلت منهم فارس أقتل منكم عشرة حتى لا يرجع أحد منكم يفر من قدام العسكر إلا أن يتشحط بالجراح أو يصير ملقى فى البطاح (قال الراوى) فلما أن سمعوا منه ذلك الكلام خافوا على أنفسهم منه فقالوا له أيها الملك الهمام والبطل الدرغام نحن نشهد على أنفسنا اننا عاجزون عن بعض أعمالكم لانك سيف البدو والحضر وأوحد أهل العصر فدعنا ياملك نحمل على الأعداء فى غداة غد فلما سمع منهم نقمة هذا الكلام عذرهم وأقاموا إلى الصباح (قال الراوى) فهذا ماكان منهم وأما ماكان من نعمة ورجاله الاوقاح فانهم كانوا خائفين على النساء والصبيان الذين معهم فلما أبصروا بنى عبس وقد كسروا العساكر وقد صدم عنتر الميمنة وكسرها وكذلك شداد بن قراد وعروة بن الورد كسر الميسرة طاب قلب نعمه وزال عنه الكرب وزغرتت النسوان وهلك الفرسان وفرحت الشجعان بعد ما كانوا أيقنوا بالهلاك وسوء الارتباك ونزلوا عن الغدران ونحروا النوق السمان والبقر والاغنام وأصلحت النسوان الطعام وروقت العبيد المدام واشتعلت النيران فى سائر الخيام والمضارب من كل ناحية وجانب (قال الراوى) فما أمسكوا حتى راح لهم الملك نعمة أن يقف للخدمة مع جملة اصحابه والخلان فقام له الامير شداد واخذوا بيده واقعدوه إلى جانبه فى الحال وقال ابشر ببلوغ الآمال وأعلم ياوجة العرب اننا مادخلنا تلك الأرض إلا فى حاجة أنفسنا لا لأجل حاجتك واما هذه الاسباب فانها جرت بسعادتك ثم انه حدث بحديث نازح بن اسيد وكيف انه تربى عند الامير عباد سيد بنى القيان وكيف انه قد هوى ابنته ضمية وحدثه بحديث اسيد مع سلمى وقال له اننا آلينا على انفسنا اننا لانخرج من هذه الأرض ونترك العباد اعداء يخاف منهم فنزلنا نطلب أخاك نقمة ونلحقه بولده كلبوب فعندها تعجب نعمة والحاضرون غاية العجب (قال الاصمعى) فعند ذلك صار لبنى عبس فى قلبه هيبة وقال نعمة فى نفسه لولا أن يكون هؤلاء القوم أشجع أهل

الأرض ماتوا الى أخى نقمة وديار الارقط يطلبون قلع آثارهم وخراب ديارهم وهم فى مائتين من الفرسان فقال لهم نقمة ياوجوه العرب وحق ما أعتقده من اعتقادى والدين الذى وجدت عليه آبائى وأجدادى إن أنتم قتلتم أخى نقمة وقلعتم آثاره من جبل الدخان فلا أكون إلا خادما لكم بطول الزمان وإذا أراد الأمير عباد أن أزوجه بإبنتى ست العرب فعلت حتى يبقى بيننا علقة ونسب ماكنت أرضى لأخى نقمة بالظلم وما وقعت بينى وبينه هذه الأحوال إلا من اجل عباد لأنى دخلت أخى وهو على ولده مقروح الفؤاد فذكرته عاقبة البغى فاخرق بى غاية الاخراق وقد أفضى بى الأمر إلى هذا الحال وقد وصلتم أنتم ونحن على نية الحرب والقتال فقال وصولكم لسعادتنا وأتمنى أن تكون هذه الأرض لى وتلك الاطلال ولكم ياوجوه العرب النوق والاموال والجمال (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام قال أعلم أيها الملك أننا ما نأخذ على فعل الجميل جزاء وما دمت أيها الملك على هذه النية فنحن نتخذك لنا صديق فى كل شدة وضيق أيها الملك أقسم بحق من أمر بالحج إلى الكعبة الحرام لابد أن أحمل غداة غد على أخيك وأضرب رقبته وأملك مملكته بعد ماأصرم عمره وأقطع من الدنيا خبره ثم انهم قدموا مناصف الطعام وأكلوا وصار بينهم حرمة وذمام وباتوا إلى أن أصبح الله الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح وسلمت على زين الملاح ورسول الملك الفتاح فتبادرت الفرسان إلى الحرب والكفاح وقد أبصر عنتر إلى عزم أصحاب نقمة فقال لأخيه نقمة أعلم أيها الملك أن اعداءك اليوم مظهرون النشاط فخذ أنت ورجالك الميسرة ونحن الميمنة وإن رأيتم مالاطاقة لكم به فاندفعوا بين أيديهم يتبعكم كل طامع فانطبق أنا على أخيك نقمة وأنا أتركه ملقى الرمال قال الراوى فلما سمع نقمة من عنتر هذا الكلام انعزل بقومه فى ناحية عن بنى عبس فلما رأت بنو الارقط إلى بنى عبس وقد انعزلت عن أصحاب نقمة علموا أن الطائفتين يريدون أبيه شداد ورجاله الاجواد وقال لهم أعلموا ياوجوه العرب أن الامر قد هان عليكم فاقصدوا معى ذلك العلم الازرق الذى عليه صورة القمر فانه على رأس نقمة بن الاشتر وأعلموا أننا لم نقتله زاد علينا عمله فعندها انتخبت بنو عبس لنفوسها سلت سيوفها وانطبقت على بنى الارقط إنطباق الغمام وأما عنتر فانه همز جواده الابجر بالمهاميز وقد أذعره فخرج من تحته كأنه البرق فى لمعانه أو الغيث فى إنهماله وبنو عبس من وراء ظهره كأنهم الشواهين الطائرة العقبان الكاسرة فما كان بنو عبس يصدمون موكبا إلا فرقوه ولا جمعا إلا مزقوه ولا طائفة إلا ويكسروها ولا خيلا إلا ويبطحوها ولا جماعة إلا

ويهلكوها (قال الراوى) فلما طلع النهار وظهر تدبير الافكار وقد قتل بنو عبس الفرسان وأهلكوا الشجعان ونكسوا الرايات وأكثروا الطعنات والزعقات وأبصرت بنو الارقط قتال بنى عبس وتواترت طعناتهم فتأخروا إلى وراها وقد أحاط بها بلاها فهجمت من الميمنة واندفقت على الميسرة فكثر على نقمة العدد وزيد عليه المدد فعول نقمة على الهرب فاندفعوا بين يدى أعدائهم فتبعهم بنو الارقط قدر فرسخ فعندها وقف الملك نقمة قدام الاعداء وثبت قومه وقال لهم ياوجوه العرب الرجعة الرجعة واثبتوا قليلا ولا تهربوا فتفضحوا عند العرب وعند هذا الفارس المنتخب الذى يذل مهجته فى هوانا (قال الراوى) وصار نقمة يرد الابطال ويحمى بنى عمه وأصحابه على الثبات عند القتال



ومقابلة الاهوال فبينما هم كذلك وإذا بمناد ينادى ويقول يامعشر بنى الارقط الآن نقمة قد قتل وانقطع منه الاجل من الفارس الغضنفر أبى الفوارس عنتر فلما سمعت بنو الارقط النداء احتارت فى أمورها وحار فى قتل ملكها عقولها وقد عاد الفوارس الذين مع نقمة على الاعقاب وانكشفت عن القوم الغمة والعذاب ٭ قال وكانت قتلة الملك نقمة على يد شجاع المعامع والاسد المدارع أبى الفوارس عنتر بن شداد لانه لما حمل على بنى الارقط صارت تتكسر بين يديه الفرسان وهو يقتل الشجعان ويشتت الفرسان فتفر من بين يديه وقد رأى نقمة مصمما عليه فعندها حمل عليه وصوب الرمح اليه فتلقاه نقمة وتقاتلا وتناضلا وتضاربا بالرماح إلى أن تقصفت وبالسيوف إلى أن تثلمت قدر ساعة من الزمان وقد كل نقمة وهل فرأى

عنتر منه ذلك فرى الرمح من يده وجذب سيفه الظامى الابتر وضرب رمح نقمة به بعد أن صار بحذائه فجاء فى صدره وعبر إلى قلبه ونفذ من ظهره وكان لابسا أربع دروع فخرق الجميع فحمله عنتر على الرمح وقال يا بنى الأرقط هذا ملككم الجبار الذى كان يهتك البنات الأبكار ويغربهم عن الأوطان والديار أهلكه الله العزيز الجبار (قال الراوى) فعند ذلك وقفت الخلائق واشتغلوا عما هم فيه وصاروا ينظرون إلى ملكهم وهو قتيل فى يد فارس النبيل ولما أن فرغ عنتر من كلامه نفضه بقوة ذراعه فتدحرج أوفى من عشرين ذراعا وقد خرجت روحه ومات ونزلت عليه الآفات والبليات فلما علم القوم بقتله وتحققوا أمره حردوا سيوفهم ورموا إلى الأرض نفوسهم وقد انضموا إلى أخيه نقمة وقالوا الأمان من فارس الزمان ومبيد الشجعان ونادوا نعمه يا منصور أدام الله عليك السرور وحفظ أبا الفوارس البطل الغيور والأسد الكسور وأبقى لنا أخاه شيبوب البطل المصبوب (قال الراوى) وما انتصف النهار إلا وقد لبس نعمة التاج وهو فى جيش جرار مثل أمواج البحار وعلى رأسه الاعلام والرايات ودقت له الكاسات وكان يوما لا يعد من الأعمار وتقدمت بين يديه الحجاب وولاة البلاد وخاطبوه بالملك واجتمع عليه الفرسان أحد عشر ألف عنان وسار فى تلك العساكر إلى ناحية بنى عبس وعنتر ماسك بعنان الجواد إلى أن عبر إلى الصيوان فعندها حمله عنتر وأجلسه إلى سرير الملك الذى كان لأخيه نقمة وسل عنتر سيفه الظامى وأشار إلى القوم قال لهم أعلموا أيها العرب أن كل من كان له باب مغلوق لا يفتحه ومن كان له باب مفتوح لا يغلقه ومن كان له أقطاع فهى له أو ديوان فهو على حاله والأمير أمير والوزير وزير كل من أقلق أو أكثر الكلام أطحت عنقه بهذا الحسام فماذا أنتم قائلون قال الأصمعى فعند ذلك أجابوا كلهم بالسمع والطاعة وقد دقت الطبول والكاسات ونفرت البوقات وباتوا تلك الليلة فى أمان واطمئنان ولما أن كان عند الصباح أمر عنتر الناس بالرحيل إلى جبل الدخان فرحلوا وساروا إلى أن أشرفوا على جبل الدخان وكان بعد خروج الملك نقمة اجتمعت العربان من جميع الوديان والبلدان الذين هم من أعمال جبل الدخان وكان جملتهم ثلاثة آلف عنان فأجابوه إلى بيعهم بالسمع والطاعة ودخل الملك نعمة إلى جبل الدخان وجلس على سرير ملكه لما أن نظر عنتر إلى ذلك وأمر أن ينادى فى البلاد بالأمان والأطمئنان فخرج المنادون ينادون يا معشر الناس من العربان القاصى والدان أنه قد أمر الأمير جمال الدولة عنتر بن شداد انكم تبيعوا وتشتروا وتأخذوا وتعطوا وأنه يحذركم وينذركم أن كل من تعرض أو تكلم فى حق الملك نعمة كان ماله وحريمه وعياله لعنتر بن شداد ويكون أول مقتول وقد حذر وأنذر من لا يصدق فليجرب (قال الراوى) وبات الناس

من فعل عنتر يتعجبون إلى أن أصبح الله بالصباح فعملت الولائم وذبحت الأغنام وأكل الخاص والعام مده ثلاثة أيام وبعدها انصرفت القبائل إلى مصالحها وأما الملك نعمه فانه ما خرج من عنده أحد حتى البسه من الخلع السنية وأركبهم الخيول العربية ففرحت العرب بذلك (قال الاصمعى) فعندذلك قال له عنتر اعلم انه يجب عليك أن تتلطف بالرعية فاجاب وأطعم الفقراء من أفخر الطعام وكسا الارامل والايتام وأقام بواجب الخواص من الرعية والعوام ولما ان تمهدت لنعمة قواعد مملكته وجلس على كرسى سلطنته فعندذلك استأذنت بنو عبس فى العودة إلى ديارهم والأوطان فقال لهم الملك نعمه والله يا وجوه العرب ماهذا شرط المروءة فكيف يجوز لكم ان تعودوا من غير فائدة ولا مال وذمة العرب ما يرجع معى مما صحبنى من مال أخى فقال بل انكم تأخذوه وتعذرونى فى التقطير فقال له عنتر يا ملك وحق من أنطق الالسن وشق الاعين ان الذى قد فعلناه لنا فيه الحظ الاوفر وأنت عندنا اليوم الملك الاكبر والسيد الافخر فقل لنا ياملك أن كان بقى لك عدو فانا نسير اليه ونأخذ روحه من جنبيه ونقلع آثاره ولا نعود كلنا من عندك إلا وأنت وافر الحظ فقال الملك نعمة يا مولاى ما بقى لى بعد أخى عدو ولا من يريد لى سوأ أبدا وان كان ولا بد لكم من العودة إلى دياركم فما يمكنى أن تسيروا من عندى من غير فائدة لكن خذوا منى هذه النوق والجمال فانها تعينكم على قطع الطريق واعلموا انها غريبة من هذه الديار ومن أرض الحجاز لانها سوداء حالكة السواد وليس لها مثيل فى سائر البلاد ولا توجد عند أحد فى غير هذه الأرض (قال الراوى) وكانت هذه الجمال من عجائب الدنيا لأنها كانت حالكة السواد زرق العيون لطاف الاجساد طوال الوبر قصيرات فى الدواب فعندذلك أقطع الملك عنها عشرة آلاف ناقة وحمل وسلمها إلى مائة عبد من عبيده ومائة أمة وقد أمرهم بسوقها معهم وأراد عنتر ان يحلف ويردها فما تركه شيبوب ان يفعل ذلك بل قال سروا ترك عنك الفضول فضحك عنتر من كلامه وقال له ويلك ياشيبوب تاخذ مال الرجل وتفقره فقال له دع عنك هذا الكلام فلولاك ما كان له فى هذه الديار مقام ثم انهم رحلوا من جبل الدخان وساروا وما زالوا سائرين إلى أن أمسى المساء فنزلوا على غدير وباتوا هناك تلك الليلة وعند الصباح جهزوا رجالهم وركبوا وساروفاراد الملك نعمة أن يسير معهم فلم يمكنه عنتر من ذلك بل حلف عليه ورده إلى دياره وسار عنترا ومن معه من الاصحاب فى ذلك البر إلى ان أقبل عليهم الظلام فنزلوا للراحة وناموا فى تلك الأرض ولما أن كان من الغد رحلوا وساروا فما ساروا غير قليل حتى ظهر لهم من قدامهم غبار وفى قدر ساعة انكشف وبان من تحته جيش جرار له فهتوا له وأحدقوا بالأبصار وسار عنتر وأبوه شداد وعروة بن الورد قدام الاجناد وأرسلوا شيبوب ليكشف لهم الخبر

فغاب وعاد وقال لهم هذا الأمير اسيد ونازح وعباد بنو القيان قال الأصمعي فبينما هم في الكلام وإذا بأسيد ونازح وعباد وفرسان بني القيان وما لهم من الحلفاء والأصدقاء وهم في عشرة آلاف فارس من كل مدرع ولابس وصاروا في فرح برؤية عنتر ومعه من الرجال (قال الراوي) وكان السبب في مجيء هؤلاء القوم أنه لما سار عنتر من عندهم هو والثلاثمائة الذين معه من الأصحاب وسار بعده هذا الجيش بعد عشرة أيام كما جرى بينهم الشرط والميعاد على انهم يلحقوه إلى جبل الدخان ويقاتلوا معه الفرسان فالتقوا به وهو راجع وقد بلغ من أعداءه المراد باذن رب العباد فهنوه بالسلامة وسألوه عن حاله وما جرى له مع نقمة فأخبرهم بما جرى وكيف حصل له من السرور وما ظفر به في هذه الأمور وساعدته المقادير باذن الواحد الغفور (قال الراوي) ثم انهم عادوا راجعين إلى ديار بني القيان فوصلوا إلى الحي وقضوا أكثر أيامهم بالفرح والسرور وزفوا ضمية وقضوا أيامهم بالدعوات والمواسم إلى يوم من بعض الأيام أراد أسيد التخفيف على عباد فاستأذنه في المسير إلى أهله وأرضه فقال عباد والله أنه يشق على ذلك لكني لا أمنعكم عن أوطانكم فعندها أمر أسيد بني عبس بالرحيل واجتمع شمله بزوجته سلمى وولده نازح بزوجته ضمية وساروا مقدار مرحلة وبعد ذلك ترجلوا وحلفوا على عباد وودعوه وساروا يقطعون الأرض إلى أن قاربوا الأوطان وعنتر كثير الاشتياق والهيمان إلى عبلة ثمرة الفؤاد وغاية المراد فعند ما تذكرها أن أنين المشتاق وأنشد يقول :

أسير وفي قلبي جوى وسعير ... إلى منزلي اشتاقه واشير
وإني مشوقة ياابن العم عاجز ... عن الصبرة والأفكار في تحيير
وإني لسار في القفار موله ... وقلبي به نار الجوى وزفير
أيا عبلة اني قد لقيت فوارسا ... لها طعنات مالهن مجير
ففرقتها بالطعن حتى تركتها ... ترى الأرض من خوفي كجلد بعير
قتلت لكلبوب ونقمة بعده ... وهذي فعالي والخيول تغير
أموت وأحيا كل يوم وليلة ... وما لكسير العاشقين جبير
وكل الذي قدتم من أجل نازح ... غلام يجيد الطعن وهو خبير
فياجبل الدخان لازلت في اظى ... وزادك من نار الجحيم وسعير
وياعلم السعد حييت منزلا ... وسقاك هطل دائم وغزير
به منزل اشتاقه كل ساعة ... ولي فيه اليف لايفك أسير
وإني على طول التباعد والله ... وثار بقلبي زفرة وسعير
فبي منك أشواق أقل مسيرها ... على السفن لو حطت لكان تطير

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات اطربت له السادات وما زالوا سائرين إلى أن قاربوا إلى شعاب المسارح وتلك الهضاب وهى التى أمسكها خالد بن جعفر وكمن فيها الا اننا قد ذكرنا أنه بعد قتل الملك زهير ولده شاس أخذ خالد قلع بنى عبس وانفذ إلى سائر القبائل وترك ملاعب الأسنة فى الأحياء يلم العرب والعساكر وسار خالد فى ثلاثة آلاف فارس ومعه الربيع بن عقيل وجندح بن البكاء وأقاموا فى العشب منتظرين قدوم عنتر ليقتلوه ويهلكوا الذين معه ويضعفوا قوة بنى عبس بقتل عنتر قال الأصمعى وقد كان عنتر وصل إلى هذا المكان ولما أشرف عنتر ومن معه نزلت النظار من على رؤوس الجبال وأعلموا خالدا بذلك وقالوا له أعلم أيها الملك الأمير أننا أبصرنا خيلا قد نزلت على الغدران لترد الماء وما تدرى هل هى خيل عنتر أو غيرهما قال الراوى فلما سمع خالد منهم هذا المقال فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وأمل أن يبلغ ما يريد ثم أنه صبر إلى أن عسعس الليل وطلع نجم سهيل فعندذلك أمر عبدا من عبيده أن يسير إلى الماء الذى نزلت عليه الخيل وينظر أن كان هو عنتر أو خلافه من الفرسان وقال له لا تعود إلا أن تعرفهم من أى العرب لأن لنا فى بلاد اليمن أعداء كثيرة فعندذلك تجهز العبد من وقته وساعته وسار كما أمره مولاه فما وصل ذلك العبد إلا نصف الليل فدخل عليهم وانحشر بينهم وتحقق أنهم من بنى عبس ورأى فيهم عنتر فعندها رجع لما أن صار عنده الخبر وما زال عائدا إلى أن وصل إلى مولاه وقال له يا مولاى أبشر ببلوغ المراد ويجىء عنتر بن شداد فنبه يا مولاه عزمك وأصحابك للحرب والكفاح والجلاد وأعلم أنى دخلت عندهم فى الليل بين البيوت وإذا أنا بعنتر وأخيه شيبوب وهما يتحدثان فى حرب الفرسان وعنتر يشكو ما به من شوقه إلى عبلة وبعد ذلك يا مولاى أنشد أبياتا ما فهمت منها إلا هذين البيتين وهما :

يا بانة العامين هل من مخبر حال المشوق الهائم المتغير
وبما لقيت من المهالك والعدا بالله يا يا ريح الجنوب تخبرى

قال الراوى فلما سمع خالد هذا الكلام نبه رجاله وأشهر حسامه والتفت إلى قومه وقال لهم أعلموا أن الرأى عندى أن نكبس على عنتر عند السحر لأنه يكون أتم لحالنا وبلوغ آمالنا فقالوا الرأى رأيك فهذا ما كان منهم وأما ما كان من عنتر الفارس الهمام ومن معه من الكرام فانهم نزلوا فى ذلك المكان وباتوا على الغدران وأقام عنتر على حرس القوم هو وأخوه شيبوب وتذكر محبوبته عبلة الساكن حبها فى القلوب ففاض دمعه وانحدر وأنشد يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

يا بانة العامين هل من مخبر حال المشوق الهائم المتغير

وبما لقيت من المهالك والعدا ❊ بالله ياريح الجنوب تخبرى
قولى لعبلة اننى من أجلها ❊ لاقيت اهوالا تزيل تصبرى
وياعبلة ويحك لو نظرت لعنتر ❊ بين الجحافل والعداة الاكثر
والخيل فى وسط المضيق تطابقت ❊ نحوى كمثل العارض المتفجر
فى معرك سد الفضاء قتامه ❊ ظهروا على الخيل العتاق الضمر
من كل أدهم كالرياح إذا جرى ❊ وباشهب عبلة البطون وأشقر
فصرخت فيهم صرخة عبسية ❊ كالرعد سارت فى جميع العسكر
وعطفت نحوهموا وصلت عليهم ❊ وصدمتهم صدما بصدر الابجر
وأذقتهم ضربا وطعنا هائلا ❊ بالمشرفى وبالكعوب الاسمر
فجعلتهم مثل الحصاد كانهم ❊ أعجاز نخل فى خصيب المحجر
ودماؤهم فوق الصعيد تخضبت ❊ منها الجلامد كالعقيق الاحمر
ورجعت تشبه للعقيق سواعدى ❊ والمهر مختضب بدم غضنفر
وأنا أنادى تحت مشتجر القنا ❊ والنقع فوقى والغبار مكدر
يا آل عبس أنا الغشمشم فى الوغا ❊ أفنى الفوارس بالحسام الابتر
وخرجت من تحت الغبار يحوشنى ❊ مثل العقائق أو كصبغ العصفر
وقتلت كلبوبا وولده الذى ❊ يدعى نقمة ظالما ذا مفخر
ولاصهب جراعته كاس الردى ❊ وفنيت أيضا كل ليث قسورى
أرديتهم جمعا بضرب قاتل ❊ بحسامى الظامى الثقيل الابتر
وقبائل العرب الجميع تفرقوا ❊ فى كل طود شاهق متوعر
وجماعة الفرسان صاروا فى الفلا ❊ لم أبق منهم داعيا ذا مخبر
وملكت أهوالا ونلت غنائما ❊ تملا الفلا والسهل ذاك المقفر
شهدت لى الأبطال أنى فارس ❊ أقوى من الليث الهمام القسور
ما نال قبلى فارس ما نلته ❊ وقد ارتقيت على جميع الاعصر
أمى زبيبة لست أنكر أسمها ❊ وأنا ابن شداد الزكى العنصر
سواد تحاكى للظلام ووجهها ❊ كالصبح فى الليل البهيم الأكدر
نلت السعادة والفخار مع العلا ❊ بعزيمة من فوق ذاك المشترى
والموت حقا لو رآنى لانثنى ❊ عنى وولى خوف سيفى السمهرى

(قال الراوى) ولما فرغ عنترمن شعره ترنحت السادة ثم أن عنترة أقام فى ذلك المكان الى أن أمضى من الليل هجعة وهى الأقل قال الراوى فعند ذلك أمرهم بالرحيل فقال له

أخوه شيبوب يا أبا الفوارس هل مرادك أن تدخل المسارح فى هذا الظلام فقال عنتر نعم دعنا نسير بمن معنا لأننا شبعنا من بلاد الغربة فقال شيبوب يا ابن الأم بأن تأمن عواقب الزمن فقال عنتر من إيش تخاف و تفزع فإن كنت تخاف من عرب تقطع علينا الطريق أو عدو يمسك علينا رأس المضيق فلا تخف فانى لملاقاتهم حقيق فقال شيبوب وذمة العرب يا ابا الفوارس قلبى يحدثنى أن هذا الطريق لنا فيها تعويق فقال عنتر أرحل ودع الفضول (قال الراوى) فعندها عاد شيبوب و نادى فى بنى عبس بالرحيل فقال أسيد يا شداد ان ولدك قد انتشق نسيم عبله وقد زادبه اللهيب عند قربه من ديار الحبيب و ماعاد يقدر على المقام و يحق له أن يفعل هذه الفعل لأن قصته قد طالت و أنا و ذمة العرب لا بد أن نولى نوبته و افرج كربته ثم أن القوم ساروا إلى أن قربوا من الشعاب و قد بقى من الليل شىء يسير فعندها قال عروة يا عنتر الصواب أنك تترك الظعن يسير بين أيدينا و نسير نحن فى تبعه حتى لا يكون أحد يطمع فى تبعنا ليأخذ النوق و الجمال فقال له عنتر دبر كل ما تريد و احترزوا على أنفسكم و أعلموا أنه لو جاءتنا الجن لقاتلناها و حاربناها فعندها وقفت الفرسان و الشجعان عند سماع هذا الكلام إلى أن عبر الظعن جميعه قال الاصمعى هذا كله وقع من بنى عبس و عنتر و خالد ينظر إلى الجميع و هو فوق الجبل فعندها أمر خالد إلى ثلثمائة فارس من أسيد و قدم عليهم ابن عمه فاخذهم و نزل من الشعاب و صبر خالد إلى ان عبر عنتر و أبوه شداد أسيد و ولده نازح و عروة بن الورد هو قد تتابعت الفرسان و أسرعت فى عودتها إلى ذلك المكان فقال شداد لعروة إن قلبى فزعان فقال عروة و أنا كذلك (قال الراوى) و كان خالد بعد عبور القوم أقام الصائح فى بنى عامر و كان قد بقى معه سبعمائة فارس فجردت الصفاح وهزوا قطع الرماح و قد حملوا من كل جانب بالقنا و القواضب فما كانت إلا ساعة حتى انطبقت السبعمائة فارس العامرية على الفرسان العبسية انطباق الغمام و كان اسبق الكل إلى عنتر الربيع بن عقيل و قد طعنه طعنة منكرة كفته على عنق الجواد فعند ذلك سل عنتر سيفه و ضربه فطير اعلا البيضة عن رأسه ثم عصر على صدغيه فغيب رشاده حتى لم يعلم الربيع بن عقيل أن كان هو فى أرض أم فى سماء و لما وقع إلى الأرض أدركه شيبوب مثل الريح الهبوب و كتفه كتاف و قوى منه الأطراف و كان جندح بن البكاء حمل على نازح بن أسيد و تقاتل معه و تكافح و تتابعت الفرسان و ازدحموا فى المضيق حتى صاروا لا يعرف العدو من الصديق و عنتر قد استيقظ لنفسه و طعن فى صدور الفرسان طعنا يشفى الغليل و يبرى العليل قال الاصمعى فهذا ما جرى مع هؤلاء و أما شيبوب فانه لما شد الربيع بن عقيل و أخذه أسير آسار به إلى من يغظه فرأى جندح بن البكاء مبهوتا من تلك الوقعة فعارضه شيبوب و ضرب حصانه بنبلة فانصرع و شب على قوائمه

فانقلب من عليه قال الأصمعي فعندها هم نازح أن يترجل اليه ويشد كتافه فأدركه شيبوب وقال له يا مولاى لا تتعب نفسك فى شده ورباطه فانا أكفيك امر هذا الشيطان ثم إن شيبوبا دنا منه وشده أقوى كتاف وأخذه ومضى به إلى الربيع بن عقيل فتركه وعاد واقتتلت الفرسان وركضت بالخيول الشجعان وعلا الصياح وقد خرجوا من بين الشعاب كانهم أسود الغاب واشتد القتال والكفاح وقد عظم الأمر وكثرت الجراح وجرت الدماء واشتد البلاء ووقع بالجواد الغائر العى والملل حتى صارت هذه الوقعة يضرب بها بينهم المثل والسيف قد انثلم وجعله الفرسان بينهم حكم وقتل عنتر من كان أجله قد انصرم قال الراوى ولما أبصر خالد الخسارة بهم قد وقعت ورأى غالب فرسانه قد قهرت وأسرت حار وانذهل وندم على ما فعل وصار يصيح فى فرسانه فلا تسمع صياحه وقد ولت الأدبار وفوارس بنى عبس تطعن فى صدورهم فتهدها وتضرب فى جماجمهم فتقدها وصار كل واحد منهم إذا أراد إن شاء الطعنة لا يقدر أن يعيدها بل إن القوم تكردست على بعضهم وكثر همهم وغمهم ولم يزل الدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن طلعت غرة الصباح وبانت الوجوه القباح من الوجوه الصباح فعند ذلك تسلل جيش بنى عامر وفى البر تمزق وقل عدده وانمحق وما حوى خالد بن جعفر من الفرسان الكبار إلا من يخاف على نفسه من العار قال الراوى فعندما أبصر خالد عين الهلاك والوبال عاد إلى الخديعة والمحال فرمى الرمح من يده وأغمد السيف فى غمده وأقبل على عنتر وتحته حجرة الملك زهير وهو متقلد بسيفه ذى النور ونادى عنتر بصوته المشهور وقال كفاك يا وجه العرب من هذا الطعن والعطب وأقلل من الجلاد إن كنت من الفرسان الأجواد فنحن نبلغك المراد فأنت قتلت سادتنا وأسرت حماتنا وأننا قد اعترفنا بخطئنا وغر رجالنا الطمع وقد حل بهم الهلع والعجلة ندامة والخبرة سلامة واعلم انى مقدم القوم وعلى العتب واللوم فبحق ذمة العرب من أنتم ولمن تنسبون من الفرسان أصحاب النسب أهل الفضل والحسب وقل لأصحابك يغمدوا الحسام حتى ينتهى ما بيننا من الكلام لعل هذا الأمر يعقبه صلاح بعد الفساد ولعلكم تكونوا لنا بعد ذلك أصدقاء وعماد فبحق من أرسى الجبال اكشفوا لنا عن هذه الحال ولا تخفوا عنكم حسبكم ولا نسبكم قال فلما أن سمع عنتر كلام خالد ظن أن قوله صحيح فعند ذلك أمر عنتر شيبوب أن يرد فرسان بنى عبس عن القتال حتى يعلموا ما أتى فيه خالد فلما أن وقف عنتر عن القتال وتمهل عن الحرب والنزال قال خالد يا وجه العرب إن كنت تريد وتسأل عنا فاننا عابرون سبيل وخرجنا نطلب المعاش والمكسب كما جرت عادات العرب وأنت تعلم أن العرب طاعة وطول عمرها تجرى على المكسب فأنتم من تكونوا من العرب فقال له عنتر وقد انطلى عليه محاله اعلم يا وجه العرب أننا من بنى عبس الكرام وأنا عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد

وكان لنا فى بلاد اليمن شغل قضيناه وعدنا طالبين أهلنا ولكن ما تريد من سؤ الناو فد ثارت الفتن بيننا قال الاصمعى ولما انتهى عنتر من كلامه زعق خالد مل ءرأسه وقال واحرباه واحرباه على كبدى لأن الليل قد أخفى عنا كل ويل على ابنى وحق البيت الحرام قد ازددت فيكم محبة وصار لى فيكم رغبة وهذا أمر ما يفرق بينى وبينكم فى الحسب والنسب ولا لى فيه عليكم عتب لأجل هذا النسب وما قال إلا من دنا أجله وانقطع من الدنيا رزقه فعند ذلك تعجب عنتر من كلامه وقال له ومن أنت من السادات ومن تكون من أصحاب النخوات وأى جامعة بيننا وبينكم فقال له اعلم يا حامية عبس وعدنان أنى قد اجتمعت بالملك زهير الذى فضله عم على جميع بنى عامر الكبير منهم والصغير وقد صار لنا حصنا وحمى وقد اجتمعت به فى البيت الحرام وزمزم والمقام وصار بيننا حرمة ولما أن عدنا من مكة حلفت عليه وأخذته إلى ديار بنى عامر وأنزلته هو وأولاده فى خيامى وفعلت معهم ماقد وصلت يدى اليه وأضفته مدة عشرة أيام وما رجع من عندى حتى اتصل بينى وبينه النسب وصرنا روحين فى جسد ثم أن الملك زهير خطب منى ابنتى بدر الحال لولده شاس وقد بدل لى من المهر ما لا يقدر عليه أحد من الناس وأركبنى حجرته العسا وقلدنى بسيفه ذى النور وقد سار عندى وهو محمود مشكور وبعد مضيهم من عندى هممت أنا فى شغل بنتى بدر الحال وقلت أريد أن أجهزها ألا يقدر عليه أحد لعلى أجازيه على بعض ما أولانى من جميل الاحسان فعندها أخذت ثلاثة آلاف فارس وسرت طالبا بلاد اليمن لأجل المكسب نزلنا فى هذا المكان أمس وعولنا على المسير فوصل ظعنكم قدام الشعب فظن الرجال أنها غنيمة من بلاد اليمن فطمعوا فيها فجرت بيننا يا أبا الفوارس هذه الأسباب قال فلما سمع عنتر هذا الكلام ورأى حجرة الملك زهير تحته وتحت فخذه سيفه ذى النور أخذه الانبهار وأطرق برأسه إلى الأرض فعرف خالد أنه قد انطلى عليه المحال فمن خبثه ودهاه ترجل عن الحجرة وسعى إلى عنتر وهو يقول يا حامية عبس لا تغتم على ما فعلت لأنك غير عالم بهذه الحادثة (قال الراوى) ثم أن خالد أراد أن يقبل رجل عنتر فى الركاب فمنعه ورمى روحه عليه وقبل رأسه وبين عينيه وقال يا مولاى إن القتل عندى كان أهون من هذه الفضائح ولكن اعذرنى فى هذه الأمور والكريم مسامح ه قال فلما أن كان بعد أن اعتذر الفريقان لبعضهم تعجب بنو عبس من هذه الامور واتفاق المقدور وفى عاجل الحال صاحت بنو عبس على العبيد وأمروهم باطلاق الاسرى وكانوا أوفى من أربعمائة فارس من الابطال وفيهم مثل جندح بن البكاء والربيع بن عقيل وغيرهم من الشجعان فاطلقوا الجميع من الاعتقال وقد انصلح

الحال ثم أن خالدا قال يا وجوه العرب من بنى عبس بالله عليكم سامحونا بما قد جرى وما صدر منا فى حقكم الذى مضى لا يعاد وسيروا معى إلى أرضى وبلادى وهى ديار بنى عامر حتى أفوز بخدمتكم لأنه لا بد لى من العودة إلى الديار وقد علمت أن هذه السفرة غير محمودة وقد انتفا فيها تلك النائبة وأنا أريد أن أسير إلى غيرها من غير هذا الطريق فقال أسيد لا وذمة العرب لا نتبعك ولا نسير معك لأننا فى نيتنا أن لا نعلم أحدا بما جرى بيننا ولا نقول إننا رأيناك ولا رأيتنا ثم أنهم ودعوا خالدا وأبطاله وخالد يقول لهم سلموا على الملك وأولاده وعرفوه أنى مشغول فى شغل والده شاس (قال الاصمعى) ثم أن خالد بعد ذلك مضى وهو لا يصدق بالنجاة ولما أن ابعد عن بنى عبس قالوا والله يا أمير لقد أحكمت التدبير وخلصتنا من هذا الأمر العسير وقد كفيتنا شر الاعداء وسلمتنا من الردى فقال خالد وحق ذمة العرب لو لا فعلت معهم هذه الحيلة وخدعتهم بالمحال ما كنتم خلصتم من الاعتقال ولو كنتم وصلتم إلى ديار بنى عبس وما كان يقع على الأرض دمكم قطرة (قال الراوى) فعندها قال الربيع بن عقيل والله يا خالد ما رأيت أشد من هذا العبد ولا أقوى مراس ولا يقدر يقاومه أحد من الناس وأنه والله ضربنى بسيفه صفحا على رأسى ولو كانت الضربة بحده كان اخمد أنفاسى وما أقول أن عدوه يبلغ منه مقصودا إلا ان يكون بكثرة الفرسان والجنود فقال خالد والله لاجمعن عليهم كل من فى الصحراء وأتركهم فى ذلك الكلام إلى أن وصلوا إلى ديارهم والخيام فرأوها ملآنة جيوشا وفرسان وكان هؤلاء هم الذين كاتبهم خالد قبل مسيره لعنتر فتبادروا إليه من كل جانب ومكان وما فى هؤلاء القادمين إلا من هو بقتل الملك زهير فرحان لأجل ما فى قلوبهم عليه من الأحقاد القديمة ولما أن وصل خالد إلى الديار وركب إلى لقائه ملاعب الأسنة فى جماعة من الأبطال قال الأصمعى ولما أن سمعوا بقدومه أقبلوا إليه فرأوا عليه آثار الذل والانكسار فسألوه عما جرى له فحدثهم بما جرى وعما كان ولو لا أنه احتال ما خلص هو ومن معه من الابطال قال الراوى ولما أن سمعوا هذا الكلام قالوا وما نيتك أن تفعل بعد هذه الفعال فقال لهم خالد والله العظيم لو لا أنى خدعته بالكلام ما كان خلص منا لا شيخ ولا غلام وإن لم ندهمهم عن غفلة منهم ما نبلغ منهم مرام لا سيما عبدهم عنتر الذى كنا له فى الانتظار لانه فارس لا يصطلى له بنار وقد سمعنا عنه ما حير الافكار وما نقدر عليه إلا بكثرة الفرسان من الرجال الاخيار فقال غشم وقد تبسم من هذا المقال ابشر يا خالد بما تحب وتختار لاننا صرنا اليوم فى ثلاثين الف فارس كرار والعرب متواصلة الينا من جميع الاقطار وأما عنتر فإنى أريك ما أفعل به عند القتال والطراد وما أنزل به من الانكاد قال الاصمعى ثم أنهم عادوا ونزلوا

فى الخيام وقد اجتمع على خالد سادات القوم الذين عنده فأكرمهم غاية الاكرام وفرق عليهم السلاح والعدد وأمرهم أن يأخذوا الأهبة للرحيل إلى ديار بنى عبس (قال الراوى) فهذا ما كان منهم وأما ما كان من عنتر ومن معه من بنى عبس فانهم ما زالوا سائرين وهم مجدون فى السير وشيبوب يقول لهم والله يا بنى عبس أنها مكيدة من بنى عامر وقد عملت علينا الحيلة والصواب اننا كنا نقبض عليهم ونسير بهم إلى الحلة وننظر ما قد تجدد من الأحوال فوالله أن قلبى فزعان فقال لهم أسيد سيروا بنا يا بنى الأعمام فانى من ذلك الرأى حائر الأوهام فساروا يقطعون البرارى والقفار وعنتر يستنشق نسيم العلم السعدى والأوطان فهاج به الوجد والغرام فأنشد هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات :

أسير وفى قلبى جوى وزفير ووجد شديد دائم وسعير
وعندى من الأهواء يا عبلة فاعلمى بما حل بى انى إذا لصبور
أيا عبلة كم من مهمة خضت فى الفلا وأسد الشرى خوفاً إلى تشير
أنا عنتر كم فارس قد تركته جديلا يعض الأرض وهو عفير
وكم من شجاع قد رأى عظم سطوتى فولى هزيما فى الفلاة يخور
وكم جحفل لاقيته تحت قسطل ومهرى له عند اللقاء هدير
ومن فوقه ليث هزبر غضنفر كريم عليم بالطعان خبير
وأرديت كلبوبا ونقمة بعده تحوم عليه حداة ونسور
وكل الذى قد تم من أجل نازح غلام يجيد الطعن وهو خبير
أيا جبل الدخان لازلت فى لظى وزادك من نار الجحيم سعير
ويا علم السعدى عليك تحية وأسقاك ويل هاطل وغزير
أيا عبلة قد شط المزار منى اللقا فهل إلى لقياك يأت بشير
أرى كل مشتاق ينال مراده سواى وإنى فى هواك أسير
فان كان لونى يا ابنة العم أسودا فلى بيض أفعال تضىء وتنير
ولى مقعد فوق السماك محله ونجمى وسعدى ما لهن نظير
وكل ملوك الأرض تخشى لسطوتى وإنى على أموالهم لقـــدير

(قال الأصمعى) ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى أرض الشربة والعلم السعدى وإذا هى تموج بالعساكر والبر يرهج من لمعان الزرد والخوذ والعدد وبريق السلاح وأسنة الرماح فقال عنتر لما رأى ذلك والله أنها نائبة نزلت على قومنا من بعدنا وما هى والله علامة خير وإنى خائف على الملك زهير فقالوا والله إنك صادق لأن الزمان كثير البوائق ثم أنهم حثوا المسير

فى سفح الجبل وتركوا الظعن خلفهم على مهل (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الأمر أن الملك قيس لما عاد هو وأخوته بعد قتل أبيهم نعوه وحزنوا عليه وقد أقبلوا إلى الأبيات والمضارب وانبجعت له الحلل والكتائب وأوصلت لهم بنو غطفان وبكوا بضجة وأحزان وكانوا إذا عزوه يهنوه بالملك الذى وصل إليه فيقول لهم يا قوم لا تهنونى بالملك ولا بالغنى حتى آخذ ثارى بالسيوف والقنا وأبلغ من خالد بن جعفر المنى وأنزل بساداتهم الفنى فقال له فرسان بنى عبس يا قيس وحق زمزم العرب وزمزم ومنى لا نعود إلى أهلنا حتى ترى ما يسرك منا ثم أنهم أنفذوا عبيدهم ليأتوهم بالخيل والعدد والسلاح والزرد قال ولما أن رأى قيس طاعة العرب وإظهار الامتثال خف عنه الكرب والوبال وتلقى الرجال والأبطال فنحر لهم النوق والجمال وفرق عليهم السلاح وآلة الحرب وكان الملك زهير فى حياته قد أنفذ جماعة من العشرة الذين كانوا معه فتلقاهم قيس وحياهم وردهم إلى أوطانهم وأما الربيع بن زياد فانه سار صاحب الأمر والنهى لأن الملك قيس تزوج ابنته وصار مدبر دولته ولما أن عزم على المسير إلى ديار بنى عامر اجتمعت عليه العشائر فقال حذيفة بن بدر الفزاوى يا ملك اصبر على عشرة أيام حتى أنى أكاتب حلفائى من بنى مرة وأطلب فارسهم الحارث بن ظالم لأنه اليوم صديقى ورفيقى ومقاربى فى النسب وقد سمعت بفعاله وأنا أعلم أنه إذا سار معنا إلى ديار بنى عامر وتركها قاعا صفصفا فقال قيس نعم سمعت عنه ما لا يوصف بلسان من زيادة شجاعته على عنتر فى الميدان فقال حذيفة ومن هو عنتر إذا حضر الحارث الطعان لأن الحارث له وقعات تحير الفرسان وقد قتل من بنى لحيان خمسمائة من الأعيان وقلع عين فرعون بن صخر فى الميدان وكبس فى وادى العفريت قبيلة بنى الريان وفى هذه النوبة أريك فعاله من نصره لكم على مدى الزمان (قال مجد) ثم أن حذيفة كتب إلى بنى مرة كتابا وحيا الحارث وأثنى عليه فى الكتاب وطلب منه النصر والمعونة على بنى عامر وأخبره بقتل الملك زهير وما جرى عليه من الضير وأرسله مع فارس من بنى فزارة وأمره بالجد فى قطع القفار فأخذ الفارس الكتاب وسار وأقام حذيفة فى انتظار الجواب قال الأصمعى وكان يرعى حرمة الطعام وكان كثير الغارات والأفعال القبيحات إن رافق رفيقا قتله وإن ظفر بصديق عجل مرتحله ولا تسير حرمة ولا يرعى ذمة وكان من حين نشأ وتولع بالحرب وذلك من وجهين الوجه الأول أنه كان له على عنتر ثأر لأنه كان أسر أباه ظالما وجز ناصيته ولما أن أحضر أباه الموت أوصاه أخذ ثأره والثانى أنه كان يحسده لما وصلت اليه الأخبار فأراد قتله لأجل أن لا يبقى فى العرب من يذكر بالفروسية غيره وكان يأتى فى طلب عنتر

إلى أرضهم في كل عام وإذا لم يره ولم يقع به فيقتل كل من وقع به ويأخذ سلبه ويعود وكان خالد قد كتب اليه كتابا وقال له في الكتاب يا حارث الحرب أعلم أني قد قتلت شاسا وأباه زهير الذي لم يترك لكم بين العرب رأسا تشال وقد تجبر وظلم وجمعت عليه كل من له ثار ودم وعولت أني ما أترك من قبيلتهم من يمشي على قدم وأنت تعلم ما فعل عبدهم بأبيك ظالم من قطع رأسه وخلاه موعظة بين الناس وهذا الوقت ما يكون فيه أحسن من أخذ الثار وأريد منك النجدة والافتخار لأنك تخشى العار وتزيل الشنار وابشر مني بالهنا وبلوغ المنى وأريد أن ازوجك بنتي بدار الحلل قال الأصمعي فلما بلغ هذا الحديث إلى الحارث بن ظالم في الكتاب جمع من قومه من الأعيان خمسمائة فارس وعول على المسير إلى بني عامر ووصل اليه كتاب حذيفة فقال لرسوله ما كان حذيفة يحتاج أن يبعث إلى رسولا أنا اليه كنت واصل وها نحن قد شيدنا الخيول فعد اليه وأعلمه أني سابقه إلى ديار بني عامر وربما قتلت أبا خالد بن جعفر قبل أن يدركني بالقبائل فرده الرسول في ذلك اليوم ورحل بعده بيوم في خمسمائة فارس كأنهم أبالس ولما صار في البر قال له رفقاؤه حدثنا يا حارث بما تريد أن تفعل فقال يا بني عمي أبشروا بالغنى وبلوغ المنا ولا بد لنا أن نلتقي في القفار وننظر من ينكسر منهم ويلحقه العار فنبيد رجالهم وننهب أموالهم فقال له رفقاؤه في نصرة من تكون قال في نصرة بني عامر وإنما قلت لرسول بني عبس هذا القول حتى لا يقطعوا منا الآمال ولا يستكثروا من الرجال ويأتوا ونحظى بالغنائم والأموال وآخذ لأبي بالثار وأكشف العار وإن وقع أسودهم في يدي لأقطعن ناصيته كما جز ناصية أبي قال الراوي وكان الذي يعين الحارث على هذه الأحوال حسامه ذا الحيات وهو سيف ورثه من أبيه وقد ذكر الأصمعي أنه سيف الاقران بن تبع وكان إذا ضرب به حامله الصخر قطع وإذا برق ولمع رأوا منه هول المطالع وهذا السيف هو الذي يرميه في المصائب الهائلات ويلتقي به الرجال والسادات وما سار قط إلا وهو من تحت ثيابه ولا يأمن عليه وهو في قرابه وإذا نام يخفيه عن أهله وأصحابه قال الأصمعي فسار الحارث هو ومن معه من أصحابه وقد تعجبوا من خديعته ومن خيانته فهذا ما كان منهم وأما ما كان من رسول حذيفة بن بدر فانه لما سمع كلامه عاد إلى بني عبس وحدثهم بمقالته ومسيره إلى بني عامر ففرح حذيفة ودخل على قيس وقال يا ملك إن الرجل عاقل سديد الرأي فلاجل هذا وجه إلى بني عامر وتجنب المجيء إلى هنا لأجل ما في قلبه من عنتر لما جز ناصية أبيه والصواب يا ملك أن تسير عاجلا وتلحقه قال الراوي فقال له قيس افعل ما تراه ثم إنه شاور الربيع وأعلمه ذلك اليوم وصل عنتر وأسيد ابن جذيمة وولده نازح وأبصر والأرض منزعجة فاشتغلت

قلوبهم من أجل ذلك فركبت الخيل من بنى عبس للقاهم وفى أوائلهم مالك بن زهير والحارث فعرف مالك عمه أسيدا وعنترة ففاض الدمع من عينيه وتحدر ورمى نفسه عن الجواد وكذلك من كان معه من بنى عبس وكثر بكاؤهم وانتحابهم ونادوا أدركنا واسيداه وما زالوا ينادون مثل ذلك حتى هاجت الأجساد للنخوة والحمية فانذهل عنتر وأصحابه من تلك القضية ورمى عنتر روحه إلى الأرض وبكى وقال لمالك يا مولاى وإيش السبب فى هذه المصائب فقال يا أبا الفوارس هذه مصيبة لا تنسى ومحنة قد عمت الرجال والنساء وحدثه بقتل شاس وأبيه زهير فكاد أن يغشى عليه فقال ومن ذا الذى قتل الملك وولده المفضال وقدم على هذه الأهوال والفعال قال يا أمير هو خالد بن جعفر قال الراوى فلما سمع عنتر ومن معه ذلك الكلام دقوا صدورهم ولامهم شيبوب على انفلات الرجال من أيديهم وحدثوا مالك بن زهير بما أخذوا من الأسارى فى الجبال مثل الربيع بن عقيل وجندح بن البكاء وكيف دخل عليهم من خالد المحال فقال مالك أن جندح بن البكاء هو الذى ضرب أبى بالسيف وهو عائد من مكة قال الراوى فلما سمع عنتر بذلك نادى واحرباه عليك يا خالد كيف انفلت من يدى والله لأقابلنك بأشم النكال وأنزل بك الوبال وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

مصاب خليلى من أعز المصائب ... وندب خليلى من أجل المراتب
لفقد زهير السيد الملك الذى ... حمى آل عبس بالقنا والقواضب
وكل همام قصورى صميدع ... يذوب جناه عند جمع الكتائب
وكان يخوض البقع فى كل قسطل ... بجرد من الخيل الجياد السلاهب
يعز علينا فقد ملك مهذب ... كريم السجايا كان لى خير صاحب
أنوح على ملك إذا اشتجر القنا ... أثار لنا الحرب من كل جانب
وفقد الفتى شاس قد هد قوتى ... وأشعل قلبى نار فقد الحبائب
سأبكى لفقد السيدين بهمة ... زهير وشاس سيدى كل صاحب
سيندبهم ياصاح طير باكية ... وجرد عنك الخيل من تحت راكب
بنى عامر لابد من أخذ ثارنا ... ألا فأبشروا منى بقتل الحبائب
سأترك أرضاً أنتموا تسكنوا بها ... يصيح عليها البوم من كل جانب
ألا فابشروا بالويل والسبى والوبا ... وحوز المواشى وانتهاك الكواعب
وأسقى غداة الحرب كأسا لخالد ... أبى جعفر بالعضب ماضى المضارب
أنا عنتر العبسى أحمى عشيرتى ... وجارى وخلانى وأهلى وصاحبى
سأروى حسامى من دماء عشيرة ... حوت خالداً ذاك الرفيع المواكب

قال الراوى ثم أنهم دخلوا بين المضارب والقباب ولهم ضجة وأنحاب فجددوا على بنى عبس الأحزان فجرت الدموع منهم على الأجفان . أرادوا أن يدخلوا على قيس وهم باكون فلاقاهم الربيع بن زياد وقال لهم أعلموا ان الملك قيس قد أخذ الأهبة لملاقاة العدو لأجل أخذ الثار وكشف العار فاطفئوا عنه وعن أنفسكم هذه النار ولا تعرضوا له واتركوه فى حميته إلى أن يأخذ ثار أبيه وأخيه من الذين قتلوهم واعتدوا عليهم وظلموهم قال الراوى وكان قصد الربيع ابن زياد بهذا الكلام أن يكسر نفس عنتر فما خفى عليه الحال بل اغتاظ ودفع الربيع فى ظهره فألقاه على ظهره وتركه ودخل على الملك قيس وبكى بين يديه وكذلك فعل أسيد ومن معه من سادات العرب وقد زادت بعنتر الحسرات وتناثرت من جفونه العبرات فأشار يرثى الملك بهذه الأبيات :

أقبل البدر بعد ما كان نما ... واختفى نوره وعاد ظلاما
وأحاط بالكسوف بالشمس جهرا ... وترى الصبح فارق الابتساما
وكذا الغيم فى السماوات أضحى ... باهت الضوء عاد فيه غياما
وجميع البحار غارت وجفت ... وعدمنا مياهها والغماما
حين قالوا زهير صار قتيلا ... نزل الذل عندنا وأقاما
ملك كان فى الملوك مهابا ... منه تخشى شهامة وانتقاما
كان عونى وعدتى فى الرزايا ... كان درعى وخوذتى والحساما
يا جفونى إن لم تجودى بدمع ... صار طيف الكرا عليك حراما
وإذا الدمع خاننى وجفانى ... أذرف الدمع ثم أبكى سجاما
قسما بالذى أمات وأحيـــا ... أوجد الكون والضيا والظلاما
لا ثنيت الحسام فى الحرب حتى ... منه تمسى العدا حيارى يتامى

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره بكى الملك قيس إلى ان غشى عليه ثم إنه أفاق بعد ساعة فرأى عنتر أعند رأسه يبكى وينتحب وينشد هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات

جفونى جودى بالدموع السواكب ... على ما جرى من فجعتى ومصائبى
ولا تنشفى من فوق خدى واهملى ... بدمع همى مثل فيض السحائب
ويا نائحات الحى نوحوا بشجوكم ... وزيدوا معى الأشجان من كل جانب
لفقد الذى قد كنت أرجو جنابه ... لعز ولا أخشى ملامة صاحب
لقد كان كهفا للضيوف وملجأ ... لكل فقير يشتكى للنوائب
مليك له ذلت رقاب ملوكها ... وخافت حماة الأسد من كل جانب
زهير لقد كنت المعول والرجا ... وكنت لنا ذخرا لكل المصايب

زهير قد أحنيت ظهرى وطالما ... رددت العدا عنى بحد المضارب
فيا آل عبس قد فقدتم لسيد ... رحيم كريم فى جميع المطالب
وقد أظلمت أيامكم بعد نورها ... وقد خمدت نيرانكم فى المذاهب
بنو عامر قد بلغوا جل قصدهم ... وخالد أضحى وهو بالقتل عاجب
سأبلوهمو ماطار طير مغرد ... وماهمت بيض السحاب السواكب
وآخذ ثأرى من بنى عامر الذى ... طغوا وبغوا دون كل الكتائب
وأفنيهم طرا بطعن مواصل ... قوى بالمهندى ثم الكواعب
وإن لم أكن فى القول حقا بصادق ... فما نلت ما أرجوه من كل طالب
وسوف أنال القصد منهم بصارمى ... وأهدم منهم ركنهم مع جوانب
وأتركهم فى البر ما بين شارد ... وما بين مطروح جديل السباسب
أنا عنتر المعروف فى الحرب واللقا ... إذا فرت الأبطال خوف المعاطب
ولكن دهرى قد رمانى بنكبة ... لقاء زهير أصبح الرأس شائب

(قال الراوى) فعندها بكى الملك قيس وبكى من كل من الحى وأجرى عنتر منهم العبرات لما أنشد هذه الأبيات ولم يزالوا على مثل ذلك الحال إلى أن أصبح الصباح فرحل الملك قيس بالعساكر وأراد عنتر أن يسير معهم فأتى إليه صديقه مالك وقال له ياأبا الفوارس لاتسير مع القوم والزم ناموسك فإنك إن سرت معهم أتعبت أخى قيس من أجل بنى فزارة فقال عنتر ولم يامولاى فحدثه بالحديث الذى جرى من جهة الحارث بن ظالم وقد قال له الربيع ابن زياد فى أمس ذلك اليوم أنك لاتسير معها وأشاروا على أخى يمنعك عن المسير وقالوا إذا سار معنا ورآه الحارث قتله وإن لم يقدر عليه عمل معنا بالخلاف وقد وصف له ما فيك من الفروسية وكيف أنهم فضلوك على أبطال الجاهلية قال فلما سمع عنتر من مالك ذلك الكلام كاد أن ينشق قلبه من الغيظ لأجل ما جرى على قلبه من خالد وقد علم أن سيفه قد انثلم وحيط بجده قد انهدم وأن عمه مالك عاد يسخط عليه ولا يلتفت إليه بل يميل إلى بنى زياد ويرجع إلى ما كان عليه من العناد والغدر والفساد فعندها قال لمالك سر أنت يامولاى والحق بأخيك وعاونه على أخذ ثأر أبيك وأن عادوا سمعت ببقاء أحد من بنى عامر أو خالد ابن جعفر فعلت ما أقدر عليه ولا أقعد عن أخذ ثأره لأى زهير وولده شاس الذى الحقنى بالنسب وجعلنى أشيل رأسى بين سادات العرب وأن رجعوا مكسورين نصرتهم ولا أؤاخذهم لقبيح فعالهم وإنهم طردونى خرجت من ديارهم وهاأنا الساعة لازم الخباء كما أمرونى إلى أن أبصر ما الذى يشير وابه على لأننى معدود عندهم من جملة العبيد

والعبد لا يجوز له أن يعصى مولاه فقال مالك والله يا أبا الفوارس لو أننى أخشى معير العرب وقولهم أن مالكا عجز عن أخذ ثار أبيه ما تبعت أخى فى هذه النوبة لأن بنى فزارة والربيع بن زياد ثم أن مالكا ودع عنتر ولحق بأخيه وسارت مع قيس الأبطال والكماة وقد خربت الديار والمضارب قال وما كان فى السرية التى سار بها قيس إلا من ظن أن عنتر معهم ولما افتقدوه فلم يجدوه وقالوا إنه ما تخلف إلا لبيل شوقه من عبلة والساعة يلحقنا قال ثم أن عنتر عاد بعد أن مضى مالك بن زهير ودخل المضرب ودمعه قد انسكب وهو غارق فى بحار الفكر فقالت له أمه زبيبة يا ولد الشوم إلى كم هذا اللجاج وإلى كم ترمى نفسك فى المصائب وتحفظ قد من لا يرعى لك الجميل أرحل بنا عن هؤلاء القوم العتاة وأنزل بنا فى بعض الوديان ونعيش فى هذا الرزق الواسع وأترك بنى عبس سنة لأجل تنهم العربان الذين لهم عليهم الدمار فقال لها ويلك وأخلى عبلة وأرحل عنها حتى تتحكم فيها بنو زياد وتشمت بى الأعداء والحساد لا كان ذلك أبدا ولو شربت كؤس الردا وسوف اريك من فعالى ما ينسيك ما قد تقدم وآخذ عبلة ولو عاندنى كل من مشى على قدم وأنا عنتر الأسد الغضنفر فقالت له زبيبة والله أن عبلة عليك مشئومة الصباح ولا بد أن تهلك فى جرتها بين الأسنة والرماح وأما قعودك عن هذه السفر فإنه من سعادتك لأنه ما فى القوم الذين سافروا مع قيس إلا من لا يشتهى أن ينظر إلى صورتك فقال شيبوب أن الحق قد نطق على لسانك لأن ابن بدر والربيع بن زياد أنت تعلمى ما فى قلوبهم من الأحقاد وهذا الشيطان والحارث ابن أظلم الذى حصل فى قلبه ما حصل لأنه جز ناصية أبيه ظالم فاراه تاركا عليك العيون والارصاد فقال عنتر وحق ذمة العرب أنى قد سمعت بهذا الطلب ولكن ليس له عندى من القدر أن أجعله على بالى وما دام أنه قد كاشفنى بهذه العداوة فسوف أريك فعالى والله لا أتركه يعود من هذه السفرة إلى الديار إلا وهو مذلول قليل الأنصار (قال الراوى) ثم أنه هو سأل أمه عن عبلة هل ذكرته فى غيبته نساء عمه بأنه قد تخلف عن المسير وأنه تخلف عن المسير وأنه مقيم فى الأحياء فأتوا اليه وهنوه بالسلامة وكانت عبلة وأمها فى جملة النساء فسألوه عن حاله فأخبرهم بما جرى له وسألهم عن الذى جرى بعده من الوسواس فقالت له عبلة يا أبا الفوارس ما جرى إلا ما علمت به من قتل الملك زهير وولده شاس وكنا منتظرين قدومك حتى تأخذ بالثار وترى الناس كلهم ساروا وأنت مقيم فى الديار فقال لها يا بنة العم قد وقع الهم حامية فابعدونى وأردت أن أسير معهم فطردونى ثم أنه حدثهم بما قال مالك بن زهير فتعجب النساء ذلك الأمر وقالوا كل هذا من الربيع لأنه صاحب الأمر والنهى فى العشيرة وقد جعله قيس وزيره

ونحن نسأل إله السماء خالق النور والظلماء أن يكفينا شر مشورته الذميمة فقال عنتر والله ما للتدبير عندى قدر ولا قيمة إلا أن تعرض لمولاتى عبلة بحال من الأحوال فهنالك تخرج الأرض وما فيها من الأهوال وترى العرب من هو أحق بالقول والفعال فقالت عبلة وقد رجعت من خلف أمها ويحك يا ابن العم يزوج الرجل ابنته إذا كانت راغبة الزواج وأنا قد مل قلبى من الغربة ومن الهجاج وأنا لا آخذ أبيض ولا أسود فضحك عنتر من كلامها ونظر إلى طلعتها وقوامها وقال حاشى أن يكون مثلك له غرض فى العبيد لأن العبد إن جاع سرق وإن شبع فسق فتعجب النساء من كلامه ومنادمته وعولن على الانصراف من عنده فحلف عليهن وأعاقهن للضيافة وأمر أخاه يوقد النار ويذبح الأغنام ويروج الطعام ثم أظهروا ما كان قد صحبه من بلاد اليمن من الثياب الملونات والعقود المثمنات وفرق على نساء عمه وطالبت عبلة عنتر بسهمها من الهدية فقال لها يا مولاتى أنا وما أملك لك وهى زرق الأعين سود الأحداق طوال الوبر والاعناق لطاف المسير وهى غريبة فى ذلك المكان فقولى لعبيدك سوقوها إلى المراعى فى البطاح ودعوها تسرح مع النياق العصافير واعذرينى يا ابنة العم فى التقصير لانى ما سرت فى طلب معاش ولا غنيمة وما كنت إلا فى حاجة ابن خذيمة (قال الراوى) وعند ذلك أنشد وقال صلوا على باهى الجمال

أيا عبلة لى قلب بحبك عالق ... كشيب إلى لقيا جمالك شائق
أيا عبلة رفقا فى الهوى بمتيم ... مدامعه مثل البحار دوافق
أيا عبلة قد تيمت قلبى بطلعة ... سناها على الشمس المنير فائق
أيا عبلة يحكى وجهك الصبح فى الضيا ... وشعرك مثل الليل أسود غاسق
أيا عبلة ما فى الغانيات جميعها ... جمالك بل والله حسنك فائق
أيا عبلة يحكى خدك الورد حمرة ... ويخجل منه الروض إذ هو باسق
وفى صدرك الرمان أطلب قطفه ... ولو لمت من دون هذا البوارق
فيا عبلة جودى بالوصال لهائم ... محب له قلب لوصلك شائق
فإن تصلى تحيى من الهجر مهجتى ... وإن تهجرى فالدمع منى فائق

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت نساء العرب السادات وقلنا له لا فض الله فاك ولا كان من يشناك فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك قيس ومن معه من العساكر والعربان فانهم ساروا إلى ديار بنى عامر وفى مقدمتهم حذيفة فى ألف فارس طليعة وقد أظهر النصيحة وكان قيس قوى القلب بالحارث بن ظالم وشجاعته وهو يتحدث مع قومه ورفقته وشجعانه وفرسان قبيلته وكانوا يتحدثون فى أمر القتال والحرب

والنزال فقال حذيفة وحق الواحد المتعال ما نصل إلا والحارث بن ظالم قد قضى الاشغال وبلغنا جميع الآمال وكان يقول هذا المقال لما يعرف من شجاعة الحارث عند النزال (قال الراوى) ولما توسطوا فى الطريق العامر ظهرت لهم طليعة بنى عامر وكانوا مائة فارس فيهم ملاعب الاسنة غشم بن مالك وبجانبه الحارث بن ظالم لانه لما سار رسول حذيفة من عنده قدم هو على خالد بن جعفر وأعلمه بالخبر ففرح واستبشر وخلع عليه وعلى قومه الخلع التمام وأكرمهم غاية الاكرام وقال له يا سيد بنى مرة قد أتيتنى وأنا معول على الرحيل واخترتنى على قومك وجازيتنى بالخير الجزيل وما أقدر أن أذيبك بسوى هذه الحجرة القعساء التى كانت للملك زهير فاقبلها وخذها لك مركوبا فإنها والله قليلة المثال صبورة فى المجال وهذا سيفه الذى كان يسميه ذا النور ثم أعطاه الجميع فشكره الحارث على ذلك الصنيع وركب الحجرة وترك السيف تحت ركابه وقال هذا يكون فى حيازتى على طول الايام وسيفى ذو الحيات لا يكون له بديل فى الشدايد الهائلات وقد أقسمت أن أخضبه بدم عنتر بن شداد قال الراوى ثم أنه التفت فوجد العرب وقع فى جنباتها الرحيل والنفير وقد كان هو معولا على الرحيل وأبصر ملاعب الاسنه وقد رحل فى المقدمة فأوصى خالد أصحابه وسار بجد المسير فالتقى بطليعة بنى عبس كما وصفنا وكان حذيفة أنكر الحارث وخاب ظنه فيه لما رأى طليعة بنى عامر فلما وقعت العين على العين رفعوا أصواتهم بالصياح ومدوا إلى بعضهم الرماح فنبه حذيفة أصحابه للضرب والطعان وقال لهم دونكم هؤلاء الفرسان فما هم أكثر من مائة فانهبوهم بحد المشرفيات القواضب إلى أن نصل إلى بنى عبس (قال الراوى) وقد سمع حذيفة بن الحارث وهو ينادى يا آل مرة أنا الحارث بن ظالم سيد الفرسان فى القشاعم فلما سمع حذيفة صوته انقطع ظهره وحار فى امره وقال له ويلك فعلتها وقطعت ما بيننا من النسب ووسمت نفسك بالغدر بين فرسان العرب فقال له أى والله لقد وسمت نفسى بالغدر ثم قال له ويلك يا حذيفة كيف يطيب على عقلك انى أعين قوما جعلوا عبدهم من بعض ساداتهم والله يا حذيفة ما بقيت أرجع عن بنى عبس حتى أقتل عبدهم وأفنى ساداتهم وإذا أردت السلامة فعد إلى قومك وقبيلتك وأرضك ودع عنك الفضول ولا تكن أول مقتول ويلك يا حذيفة إن كنت مع أبى وأبصرت ما جرى عليه من عنتر حين جز ناصيته فلم تذكر الثأر وتقاتل لمن ألبسك العار قال الراوى فلما سمع حذيفة قول الحارث علم أنه وقع فى قبضته فأخذه الانذهال وعلم أنه ما بقى ينجيه إلا القتال فهانت المائة فارس عنده وحمل وحملت معه رجاله وطلبوا بأسنة الرماح المقاتل وبذلوا الصفاح فى الأعناق والهيا كل ولعب ملاعب الأسنة بأنفس الرجال والفرسان وسطا وتجبر على الشجعان قال الراوى وقامت المائة فارس العامرية بالألف فارس الفرزية

وما زال الطعن يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى تلاحقت بهم المواكب وأشرفت عليهم الكتائب وتنافرت الوحوش من كل جانب وجاءت بالشجعان المصائب وكان كل من وصل ورأى القتال يعمل ويصيح إلى أن زاد الأمر عن الحد وعظم الويل واشتد وأظلم النهار واسود وأشرف قيس فى بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان وجميع من معه من العربان وما فيهم إلا من ينادى بالثارات الملوك والفرسان زهير وولده شاس سلاطين العربان وزعقوا كلهم وحملوا من جميع الأقطار (قال الراوى) وقام بينهم الحرب على ساق وقدم وماج بحر المنايا والتطم وعاد الوجود فى ذلك اليوم عدم وشابت المفارق واللمم وحل بالجبان الندم وفعل الحارث بن ظالم فى ذلك اليوم فعلا حير به النواظر وأدهش الخواطر وجعل قصده بنى عبس من دون العشائر ونكس راياتها وأباد حماتها وقتل جماعة من ساداتها وما أمسى المساء إلا وقد باتت والخسارة على بنى عبس وبنى فزارة وافترقت الطائفتان عن القتال والطعن والنزال وكان قد أخذ الضياء فى الارتحال وأقبل الليل بالانسدال والبرصار ملانا من القتلى والأرض بقيت ريانة من الدماء (قال الراوى) وكان الملك قيس نزل وهو نادم لكونه اتبع حذيفة بن بدر والربيع الكشحان وكيف أنه ترك مثل عنتر فى الأوطان قال فلما أن نزلوا واستقر بهم القرار قال الملك قيس والله لقد كان تدبيرنا بئس التدبير وقد أخرقنا حرمتنا عند الكبير والصغير فقال حذيفة وقد عرف أن الكلام له والقول عليه يا ملك وحق القديم الأول ما علمت أن هذا الغدار يعمل هذا العمل وما قلت أنه يخدعنى ولا يجردنى وجهى حسام ولا يضيع حرمتى ولا يقطع نسبته من نسبتى وما ظننت إلا أنى أكسر به بنى عامر ولا أدع منهم لا باديا ولا حاضر نخاب ظنى فى هذا الخائن الغادر فقال الربيع والله يا أبا حجار ما كنت أعرفه إلا خبيثا غدارا وما قلت أنه يظاهرنا بهذه العداوة إلى هذا الحد كله وما كنا إلا رابحين على بنى عامر ولولاه كنا أفنيناهم بالبواتر (قال الراوى) فقال قيس يا بنى عمى مضى ما مضى ونحن قد جئنا نأخذ بالثأر فاكتسبنا عارا على العار وما بقى فى الأمر إلا أننا نطاول القوم بالبرازيوما بعد يوم حتى يأتينا من الحلفاء والقرايب من يعيننا على هذه المصائب فقال له مالك والله يا أخى إذا كان الأمر على هذا الايراد فانفذ إلى خلف عنتر بن شداد فهو الذى يدفع هذه الحوادث ويقتل هذا اللئيم الناكث فقال الربيع بن زياد يا ملك عوض ما تفعل هذه الفعال انفذ نحو الملك النعمان وأعلمه بهذا الأمر والشان فينجدنا برجاله وأبطاله ولا تذكر عنترا بحال من الأحوال وهؤلاء بنو عامر فى ثلاثين ألف عنان والعرب اليها متتابعة مثل العيون القابعة وإذا جاء عنتر بن شداد لا قدرة له بهؤلاء الأجناد فقال مالك بن زهير تقول يا ربيع بعقلك هذا المقال وأين الحجاز من العراق ومن يبقى سالما من الفرسان إلى

أن تأتى عساكر النعمان كان يصح فينا المثل المضروب فى سائر الآفاق أن يأتى الترياق من العراق يكون الملسوع مات واستراح الراق ولكن والله يا ملك إن لم يأتنا عنتر بن شداد وإلا لم يبق منا من يعادو لا أحد من الفرسان قال الراوى فعند ذلك قال أسيد أبو نازح القسور وجماعة من محبين عنتر والله لو عرفنا أنكم تركتم عنترا فى الخيام ما كان أحد منا تبعكم إلى هذا المقام والصواب انكم تنفذون إليه وتجعلون معولكم عليه وإلا طمعت فيكم الأعداء ويشتت شملكم فى البيدا قال الراوى فعند ذلك قال قيس هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم أنه أرسل خلف عنتر بجاب وبات يتفكر فى هذه الأمور والأسباب قال فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من بنى عامر فإنهم لما افترقوا من الصدام وبات جميع فرسانها تشكر الحارث بن ظالم وتثنى عليه وخالد يتقرب بالخلع والهدايا إليه ويمدحه بكل خير ويثنى عليه بعد أن قبله بين عينيه وقال الحارث لا تمدحنى ولا تشكرنى إلا أن نظرت عنتر وهو ذليل حقير وتنظر رأسه على رمح طويل أسمر على أننى والله جعلت بنى عبس قصدى وطفيت بقتل فرسانها نار كبدى وقدرت فى جوانبها واوسطها على هذا العبد الأسود فما رأيته ولا وقعت عينى عليه وما أظنه إلا غائب أوضاع بين الكتائب ولكن فى غداة غد أطلع إلى الميدان واطلبه بين الفرسان فإن برز لى عجلت عطبه وجعلت للمقابر مرتحله فقال له خالد هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم أنهم أقاموا تلك الليلة فى حديث وكلام إلى ان رحل الظلام وأصبح الله بالصباح وعادوا إلى الحرب والكفاح وقد تلاطم الفرسان وتضاربت الشجعان إلى أن خاضت الخيل فى الدماء وطلع الغبار إلى السماء وحامت الوحوش على قتلاهم وحار شيخهم وفتاهم وقد نادى المنادى ينادىهم إلا أن جيش بنى عبس قد ضعف واعند المساء تأخروا إلى وراء قدر نصف ميل والتمت أطرافها وقد انتشرت بنى عامر حولها وفارقوهم من كل جانب وانسدت عليهم المذاهب وقد نزل الملك قيس وقد خنقته العبرة وزادت به الفكرة وقد علم أن رأيه سىء حيث أنه ما أتى بعنتر معه فقال عمه أسيد يا قيس تأدب بهذه المرة واتعظ ولا تعد تسمع فى حق عنتر كلام الحساد الذين لم يكشفوا ضميه ولا أنكادوأن دمت تسمع فيه كلام الأعراض فيقع فى بنى عبس الأغراض والأمراض ووالله يا ابن عم لو كان معنا عنتر ابن شداد ما احتجنا إلى بنى فزارة ولا بنى زياد ولا أحد من العباد لأن عنتر رجل مسعود ما عانده أحد إلا ومات مكمود ثم أنه أخبر بما جرى له فى بلاد اليمن وما فعل من المصائب والمحن وكيف قتل كلبوب وأورثه البلا والغبون وما فعل فى نقمة وكيف سلطن أخاه نعمه ثم أنه قال للملك قيس الصواب أنك لا تسمع فيه كلاما ولا مقالا من عال ولا من دون فيصبح خاسرا محزون فقال له والله يا عماه أنا ما تركته بخاطرى وإنما كان معك فى بلاد اليمن احتجت أن أتركه حتى

يستريح فى الديار ووافقت الربيع بن زياد وأخاه عمارة القواد والآن الأمر إلى الانكسار وأن هربنا ركبنا العار والذل والشنار فى الأمر إلا أننى اصطلى الحرب بنفسى ومعى أخوتى وعشيرتى ونضرب فى الأعداء بالحسام حتى تشرب كؤوس الحمام ومازال بنو اعبس على ذلك الكلام حتى ذهب الظلام وركبوا على الخيل وهم من الجراح فى ويل إلا أن بنى عامر أكثر وأنشط وأجلد وأقوى همة وأشد عولوا على الحملة فبينماهم والكلام إذ قد برز عليهم حذيفة بن بدر على حجرته الغبراء وكانت حجرة يدخرها للشدائد والأهوال ثم طلب القتال وصال وجال وقال يا بنى عامر أعلموا أن الدماء بيننا قد احتكمت وما بقينا ننفصل إلا أن هلك أقصانا وأدنانا وأنتم وإن كنتم أكثر لا يفتخر بها عاقل وإنما الفخر إذا تطابقت الأعداء وصارت فى مقام الأخطار والردى فابرزوا فارسا لفارس إن كان فيكم إنصاف وأتركوا طريق الجور والاعتساف ثم أنه دنا من الصفوف وقلبه على بنى عامر ملهوف ثم أنشد وقال :

بنى عامر الفخر جمع الجحافل ... فعود إلى الانصاف عودة عاقل
وكروا إلينا فارسا بعد فارس ... ترونا جلادا عند وقع الذوابل
فوالله لو أن عقل بن ظالم ... غنى وفى أفعاله غير عادل
لكننا أخذنا بالقنا من سراتكم ... ومن خالكم فى كل حق وباطل
ولكن بغى البغى يلقاه عاجلا ... ويبقى حديثا شائعا فى القبائل

(قال الراوى) وما فرغ حذيفة من شعره حتى أبرز إليه الحارث بن ظالم وفى يمينه سيفه ذو الحيات وكان ملاعب الأسنة أراد الخروج فاقسم الحارث عليه باجل الأقسام أن لا ينزل أحد سواه وفى الحال همز الجواد وصار فى الميدان وبقى عنده وساواه وهو راكب على حجرة الملك زهير القعساء وقلبه عليه وقد قسا وقال له ويلك يا ابن بدر ارجع وراك ودع طرق المهالك لسواك ولا ترم نفسك للهلاك وسوء الارتباك فان فرسان بنى عامر شجعان ذو ثبات ولا يفوتهم فى الحرب فوات وفيهم مثل الربيع بن عقيل وجندح بن البكاء الفارس القيل وملاعب الأسنة الذى تفرر محه الشجعان والسيف اليمان وقد أراد أن يخرج إليك ومراده أن يأخذ روحك من بين جنبيك فمنعته أنا وخرجت إليك من طريق الشفقة عليك لأردك عن موارد العطب لاجل ما بينى وبينك من النسب فارجع الآن من حومة الميدان وقل لعنتر بن شداد ينزل إلى الحرب والجلاد حتى آخذ بثأرى منه على رؤوس الاشهاد وأسأل فيكم بنى عامر الجياد (قال) فلما سمع حذيفة منه هذا الايراد زاد به الحنق الكياد وقال له ويلك يا ابن الملعونة أن عنتر بن شداد من أجلك قد طردناه وبعدناه وقد أتينا طامعين منك بالوعد والميعاد الذى قد أوعدتنا به على لسان رسولنا فوجدناك عاملتنا بالخيانة والبهتان وفعلك

يفعل الشيطان ولو كنا علمنا ما فى نفسك من المكر والخداع والكياد ما كنا طردنا عنتر ابن شداد وكنا تركناه يفعل بك مثل ما فعل بأبيك وبقا تلك على فعالك ويجازيك ولكن اعلم أن هذا ما يعقوك تلك يا ملعون يا قليل الاصل يا مجنون لأن الملك قيس قد أرسل خلفه تجاب ولا بدان يأتى فى جماعة من الأصحاب وترى يا خبيث ما حل بك أنت وبنى عامر من العذاب لأنك قد بالغت فى الخبث والغدر والعداوة وقتلت من ساداتنا جماعة وتناهيت فى البغى والوقاحة وما كفاك هذا حتى أتيت تحاربنا وتقاتلنا على حجرة ملكنا وحاكمنا فبعد هذا الحيف ما بقى لك عندنا جزاء الا السيف (قال الراوى) لهذه السيرة العجيبة الرائقة الفائقة الغريبة وما فيها من أخبار العربان الذين كانوا فى ذلك الزمان بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان الذى كلمه الضب ونطق له الثعبان. يا سادة يا كرام فما استتم حذيفة هذا الكلام وانتهى فى الخطاب حتى ضحك الحارث بن ظالم وابدى بالابتسام وقال له والله يا أبا حجار لو تدبرت هذا الكلام بعقلك لكان هذا عليك فيه العار وعلى جميع من معك من الكبار والصغار يا ويلكم تعجزون عن لقاء الفرسان الصناديد الابطال الاماجيد وصرتم كل وقت تنتصرون بالعبيد والله لافطعن منكم نسبى فلا أنتسب لكم أبداً طول الزمان ولا تستهزىء بى سائر العربان ولاحصدنكم بهذا الحسام حصد الهشيم إلا ان تتركوا الافتخار بهذا العبد الزنيم ثم أنه زاد به الغيظ وصرخ على حذيفة وحمل عليه ومال بكليته عليه ومد السنان اليه وجال معه فى سعة الفضاء وتطاعنا طعنا كسبق القضا وأحر من جمر اللظى ساعة من النهار وقد اختلفت بينهما طعنتان وهما تحت الغبار وكان الأسبق بالطعنة منهما الحارث بن ظالم وقد فاجأه بهذه الطعنة وزعق فيه فعاد إلى وراه وأيقن من تلك الطعنة بعدم الحياة وحلول الوفاة فرآه أخوه حمل وهو على تلك الحالة فصاح وأعظم مصيبته ثم إنه حمل على الحارث وقد صاح من ألم جواه وقال ويلك يا حارث لعن الله أباك وبطنا رماك أخبثك وعلى الشر ما أجارك أهذا جزاء حذيفة منك يا نذل يا جبان يا مهان فقال له الحارث يا أخس العربان ويا أرذل العرب ومن ضرب فى البيداء أو طنب هو الذى قد اشتهى الذل والعطب وقد نهيته فما انتهى كان أجله قد اقترب ثم أنه صاح وحمل عليه فصبر الحارث أن وصل بحملته اليه وضرب رمحه براه وثنى عليه بضربة على رأسه فقطع الخوذة والرفادة ووصلت إلى رأسه فسال دمه ووقع على الأرض وغشى عليه وبقى الحارث واقفا على رأسه إلى أن ردت روحه اليه فقال له الحارث عد إلى أهلك ولا تعد الى مثلها فتهلك ودع غيرك يبرز لى (قال الراوى) فرجع النهار قد اسود فى عينيه وسار لا يعرف من بين يديه ولما صار هذا الحال عجب الحارث بنفسه وجال وصال وركض بحجرة الملك زهير حتى قارب الأعلام ودنا من طائفة بنى عبس الكرام ثم نادى باعلى صوته يا بنى عبس وعدنان أنتم أصحاب القريحة

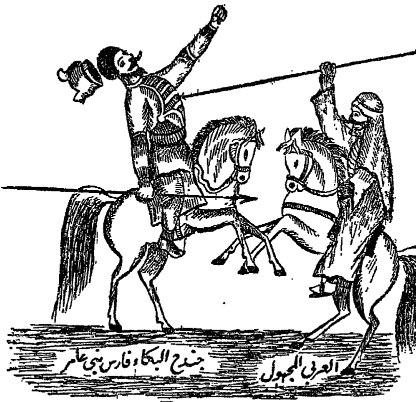
وقد أتيتم تطلبوا من بنى عامر أخذ الثأر وتزيحوا عن قلوبكم هذا العار فابرزوا إلى فارساً لفارس ولا تحتجوا بالكثرة فما بقى أحد يدفع عنكم إلى أن أشفى غليلى من جمعكم وأطفى نيران قلبى بسفك دمكم وأروى هذا الحسام من نحور رجالكم وساداتكم (قال الراوى) فلما أن سمع الملك قيس هو وفرسان بنى عبس من الحارث ما أبداه من القول والخطاب ورأوا ذلك الجهل والتجبر والاشراك هان عليهم الهلاك وقد زادهم الارتباك وقد غلب على عقولهم الانذهال وصاروا فى أسوأ حال فصار بنو عبس يخرجون إليه واحد بعد واحد وهو يعدمهم أرواحهم ويبرى سيفه رماحهم ويسلم إلى رفقته عددهم وسلاحهم ومازال معهم على مثل ذلك الحال إلى أن تنصف النهار وقد لحق الأبطال من فعاله الانبهار والانذهال وتقطعت منهم الآمال وخافت منه الفرسان وهابته جميع الأقران والشجعان فعند ذلك صال وجال وافتخر فى المقال وأنشد شيأ من الأبيات لعنه الله هو وأبياته ومقاله (قال الراوى) فلما سمعت بنو عبس كلامه غلت منه النخوات وهان عليهم نزول المحن والبليات فتبادروا اليه للحرب والجلاد وقصدوا الطعن فى الأكباد فخرج فى ذلك الوقت عروة بن الورد وشداد بن قراد ومالك بن الملك والربيع بن زياد وما فيهم إلا من حلف على صاحبه وأراد أن يسبقه إلى القتال والطعن والنزال وقد خافوا واختشوا من العار واستحسنوا حلول الدمار فرد الأمير نازح بن اسيد الجميع وحلف واقسم بالأيمان العظيمة انه لاينزل أحد إلى قتال الحارث بن ظالم فى ذلك النهار غيره لأنه صاحب أفعال قبيحة وقد زاد علينا فى الكلام واستهان بنا فى المجال وإن سبقنى إليه أحد من أبناء جنسى قتلت بذلك الحسام نفسى ثم أنه همز جواده وكان هذا الجواد منسوب مجرباً فى الشدائد والخطوب وعلى عاتقه رمح غليظ ومقلد بسيف عريض عتيد ويذكرنا ماكان لنازح من الفروسية والشجاعة وصفنا لكم ما هو فيه فى غير هذه الساعة وقد انطبق على الحارث بن ظالم من غير كلام وسلام وكان الحارث بن ظالم لما رأى سادات بنى عبس وطلبهم له وعودتهم عنه من طابق المجال وقدراى نازحاً صدمة من دون هؤلاء الأبطال علم عند ذلك أن القوم قد اكتفوا به عن غيره (قال الراوى) وكان فارساً شديداً وبطلا صنديداً فصال معه وجال كما جال مع غيره من الأبطال وقد علا عليهما الغبار إلى أن غابا عن الأبصار واحتجبا عن اعين النظار وقد أيست فى ذلك الوقت من نازح الطائفتان وخافت عليه الفرسان حين علا عليهما الغبار وقد بكى عليه أسيد بن جذيمة وحسب حساب أمه سلمى أن تفقده فتصير نائبتها عظيمة أو يموت وفى قلبه حسرة من زوجته ضمية الدرة اليتيمة فصار يتطاول إلى صواب المعمعة وكل واحد قد أطال لصاحبه النظر ودموعه من اجفانه تنحدر كالمطر وكان الناس كلهم على ذلك وهم

وقوف وإذا بفارس قد خرج من طائفة بنى عامر وظهر بين الطائفتين واشتهر بين الفريقين وقد رمقته كل عين وإذا به بدوى حاله شين ولكنه فارس كأنه من أولاد قابيل عريض الاكتاف غليظ السواعد والأطراف أسود اللون أشعث الحال ملغون الفعال رث الثياب لكنه مفتول السواعد والأعصاب وعدته لا تصلح لحرب ولا لقتال ولا تكشف شدائد ولا تبلغ آمال وعليه ثوب قصير الأكمام ردى الهندام وهو مكشوف الرأس حافى الأقدام وهو عبرة فى نفسه وعلى أكتافه رمح مكسر مشدود بالقد والعصب وتحته سرج مسمر بألواح الخشب وركابه من ليف لكن من القديم الضعيف راكب على جواد رقيق الجسم نحيف حالته ملعونة مشؤمة لا يصلح فى هذا الزمان إلا للطاحونة وهو متقلد بسيف خلق الغمد والحمائل أسفله مكسر وأعلاه مائل وهو على الأبطال صائل (قال الراوى) فلما أقبل ذلك الفارس ركض وطلب الحارث بن ظالم والجواد يقوم ويقعد ويتململ من تحته من ثقل جثته وهو متكاف لحمله وما زال راكضا إلى أن قارب الحارث وصار يرمقه بالنظر فظن الحارث أنه من عبيد خالد بن جعفر وقد أتاه برسالة أو بخبر قال الراوى فلما وصل اليه وقرب منه صاح صيحة عظيمة أرهق منها الاثنين فلما سمع صياحه افترق الاثنان عن القتال بعدما كانا منطبقين على بعضهما مثل الجبال فقال الحارث ويلك ما الذى تريد بصياحك علينا وما الذى قدمك الينا فقال الفارس الويل لك يا ابن الزنا وتربية الخنا لا وقيت من الردا وأشمت الله بك العدا وسيكون هذا اليوم آخر أيامك من الدنيا ولا تبلغ قصدك ومرادك لأنك قد أخذت وحدك الميدان وخرقت حرمة من اجتمع من العربان فى هذا المكان يا أندل العرب وأقل من مد فى البيداء طنب يا كلب يا شيطان فمن تكون أنت يا ابن الفقرنان لم تقعد وتترك غيرك يطلب ثأره ويكشف عاره وأنت واقف بطرطورك هذا ترفس فى الميدان وما جعلت لاحد وقار ولا شان كأنك أنت ملك أو سلطان فما تكون أنت أخبرنى يا شيطان يا ابن الانذال اللئام أما تعلم أن هذه القبائل قد اجتمعت والابطال الذى قد التمت من سائر الاقاليم والحلل ولها على بنى عبس دماء وقد أتت تطالب ثارها وتكشف عارها وتنال من قتل أعدائها مرادها فمنعتها أنت بخبثك ومكرك وقصدت عنادها بشؤمك وغدرك وأنا ولهم أنا يا ابن الانذال أما تعلم أنى قد قطعت أودية وجبالا وكثبانا ورمالا وأراضى وتلالا وفلوات وأوعار وبرارى وقفار وصخور وأحجار وقد أتيت أريد أن أكسب شيئاً من المال وأعود به للأهل والعيال فحلت أنت بينى وبين بلوغ الآمال فارجع الآن ودع غيرك ينزل ودع عنك القتال يا ذليل يا جبان يا محتال وإلا وحق الملك المتعال الذى أرسى شوامخ

الجبال أطعنك فى صدرك بالرمح الكعوب العسال جعلك على الأرض مجندلا بالدماء مخضوبا وبالتراب معفر أو أقاتل مع بنى عبس الغرر وأسهل عليهم هذا الأمر الذى تعسر وفى لست أمك على أم خالد بن جعفر لأنكم أنتم من أنذال العرب وأخس البشر فو حق ذمة العرب وشهر رجب والرب الذى من توكل عليه غلب لابد لى أن آخذك أنت ومن معك قال الراوى فلما سمع الحارث هذا الكلام القبيح شخر ونخر وطغى وكفر وطار من عينيه الشرر واسود وجهه وتغير وصار عبرة لمن اعتبر وهاج وماج كأنه الأسد إذا انذعر وهدر ثم إنه زعق من صميم فؤاده وما فتر وقام فى ركابه وتمطى على جواده وطعن البدوى فى لمح البصر طعنة تكاد تسبق القدر فزاغ عنها البدوى أسرع من البرق إذا برق وقد أفسدها وتأخر ذلك البدوى إلى ورائه وأراد أن يطعنه جواب طعنته فخرج جوانه ذلك الجواد وقصر به عن بلوغ المراد فلم يتمكن منه لضعف فرسه وقلة نشاطه فضربه بالرمح فوقع بين أكتافه فغيب صوابه وأشرف على أتلافه ومن شدة تلك الطعنة انكسر الرمح أربع قطع قال الراوى فلما أبصر نازح ذلك الفعل من البدوى اندهش مما جرى منه وما قد صنع وأما الحارث فإنه لما حس بتلك الطعنة خاف أن يقع فهمز حجرته فخرجت من تحته كأنها البرق إذا برق ولما أن تباعد الحارث نزل البدوى عن جواده إلى الأرض والرمال ثم شد منه تلك الأوصال هذا كله جرى وسائر العربان تنظر إليه وتتعجب من فعاله ومما قد شاهدوا من أعماله رما فيهم إلا من ظن أنه مجنون والجميع عليه يتفرجون هذا ونازح قد انفرجت عنه تلك الكربة لأنه كان مع الحارث فى شدة وقد عاين منه الهلاك وأشرف منه على الوقوع فى الارتباك وزال عنه ما فيه من الضيق مع ذلك الجبار الزنديق (قال الراوى) ولما أن رأى نازح إلى ذلك البدوى وهو يشد فى رحه أخذته عليه الحنة والرحمة وحرك جواده وسار إليه حتى قاربه نازح وبقى عنده وقال له يافتى دع عنك هذا الذى أنت فيه وخذ فى هلاك عدوك ولا تبقيه لأنه قد جهل أمرك وازدرى قدرك ولم يعرف لك قيمة وخذ أنت هذا الجواد فإنه يعينك على بلوغ المراد ولو كنت فى الأول على ظهر هذا الحصان لكنت هلكت هذا الشيطان ونلت كل ما تشتهى وتريد من هذا الغدار الخوان وكنت تسير معى إلى بنى عبس وعدنان وتصير لنا من جملة الأخوان فشكره البدوى على ذلك الكلام ثم أنه مد يده وأخذ الرمح من نازح وركب جواده ولما صار على ضهو ته قال لنازح يافتى بحق رب العباد اركب أنت على ذلك الجواد ولا ترجع إلى قومك والاجناد بل قف مكانك حتى أجازيك بشىء من أسلاب هؤلاء الأقوام الأنذال ولو أنك غير محتاج إلى هذا الحال وما يخفى على أنك من أمراء العرب الأبطال ولكن يا أمير صيد

الحروب مثل صيد البر محبوب وترتاح فى آخره القلوب ثم أن البدوى بعد ذلك عاد إلى الحارث بن ظالم وصار له مقام وكان الحارث فى هذه الفترة قد راق لنفسه وعادت إليه روحه وهدأ عقله من الحقد الذى كاد يطير مقل عينيه لأجل ماجرى فى ذلك النهار عليه وأما البدوى فإنه لما ركب ذلك الجواد وقد صار تحته علم أنه جواد موصوف وللحروب مألوف فلعب عند ذلك بالرماح فى الميدان بين الصفوف وقد حير بفروسيته الفرسان الوقوف حتى حيل للجبان أنه بالقد مكتوف أو كأنه بين الشجعان مثل الطير المنتوف وقد زعق زعقة عظيمة ارتعدت منها الأبدان وذلت لها الشجعان ثم أنه حمل على خصمه وقد انطبق عليه وقار به وبعد عنه وأطلق الرمح من يده ودحاه إلى أن صار فى أعلا الجو والتقاه ثم أنه قلب السنان إلى خلفه وهجم على الحارث وطعنه فى صدره بعقب الرمح فألقاه على الأرض وكركبه وعن حجرته قلبه فمن شدة الوقعة كاد أن يختلط بعضه فى بعض ثم أنه أشار إلى نازح البطل الهمام وقال له تقدم أيها الفارس والقرن المداعس وخذ هذه الحجرة فهى القعساء حجرة الملك زهير التى كان يدخرها لكل شدة وضير وهى يا هذا نظير جوادك الذى تكرمت على به (قال نجد بن هشام) فعندها نزل نازح عن جواد البدوى وركب القعساء وقد كان الملك قيس كلما نظر إليها وهى تحت الحارث ابن ظالم يذوب جسده من شدة الغيظ والصخب وقد عجبوا من ذلك كل العجب ولما أن رآها الملك قيس ذلك الوقت وهى تحت ابن عمه نازح زال ما بقلبه من الغم والنصب وفرح بما جرى على الحارث من الأسر والتعب وما حل به الغضب فقال لمن حوله ياقوم واحد منكم يمضى إلى هذا البدوى ويوعده عنا بكل ما يشتهى من المال وبما يريد من النوق والجمال ويسوق الحارث ابن ظالم إلينا فى غاية الهوان والاذلال من قبل أن تحمل قومه عليه ويخلصوه من يديه ثم يهونوا عليه ماهو فيه من النكال والوبال ونشترى به من هذا الرجل الصعلوك الفقير الحال بقدر ما يطلب من المال وندعه عندنا فى أعز مكان وأنعم بال ونترك هذا اللئيم عندنا فى الاعتقال والقيود والأغلال لاسيما أن رجع هذا الاعرابى إلى بنى عامر وشد معهم بقتال تلك العشائر يكونوا كلهم علينا (قال الراوى) فبينما الملك قيس فى ذلك الكلام مع الفرسان الكرام وإذا بالبدوى قد وابى إلى الطائفة التى قد خرج منها ونادى بأفصح كلام أين مفرج فخرج إليه فارس حالته مثل حالته إلا أن صورته أحلى من صورته ولما أن وصل إليه وقدم عليه وصار بين يديه قال له ما تريد يا أخى فقال له دونك وهذا الشيطان وشد كتافه وأوثق أطرافه واعلم أننى أريد أن آخذ هذا الأمير الخطير الذى قد تكرم على وأعطانى عدته وجواده وذلك من عظم نخوته ولا يخفى على أنه من ملوك العرب وهو من أصحاب الحسب والنسب وأنا أريد اليوم أن أساويه فى المكسب وأجازيه بكل ما طلب وقسم بينى وبينه ما أخذته

من جميع المكسب فعندها نزل البدوى القادم على الحارث بن ظالم بركب كانها ركب البعير فكادان يخسف بالوثاق اضلاعه وقد زاداوجاعه ثم أنه ادار كتافه وذلك البدوى الأول واقف على رأسه إلى أن تمكن من الحارث رفيقه فعندها تركه وعاد بوجهه إلى صوب بنى عامر وهو يجول فى الميدان ويطلب الحرب والطعان (قال الراوى) وكان خالد بن جعفر قد ابصر ماجرى على الحارث بن ظالم من ذلك البدوى القادم فخرج من بين قومه اليه لما رأى من شدة غيظه ثم أن خالدا قال وذمة العرب لا بد أن يكون فى هذه الطوائف من هو مخامر لنا أو أن أحدا من بنى عبس قد اختلط بنا ودنا منا إلى ان احتال هذا البدوى ورفيقه حتى وصل الينا أو يكون الحارث قد رجع إلى خبثه ومكره ودهاه وغدره وإلا فما كان هذا البدوى الصعلوك يقدر عليه ولا يصل اليه وما قدر على أسره إلا بمشورته والصواب ان تمنعوا هذه القبائل عن القتال إلى أن ينكشف لنا باطن هذا الحال قال الأصمعى ثم انه امر جماعة من قومه ان يردوا الفرسان عن القتال ففعلوا ذلك فى الحال وقد وقفت الفرسان عن القتال والحرب والنزال ثم ان خالد بعد ذلك أمر من ينزل إلى ذلك البدوى ويستخبره وينظر من أين هو ومن أى القبائل يكون فعند ذلك خرج إلى البدوى جندح بن البكاء وقال لخالد سوف آتيك انا به عاجلا من وسط الميدان وابين لك حقيقة هذا الحال وذلك الأمر والشأن ثم انه همز جواده وحركه وقد طلب الميدان وهو مثل الأسد الغضبان وقد ذكرنا ان جندح بن البكاء هو الذى قد شارك خالد فى قتل الملك زهير وماقصر وقد تركه على الأرض معفر وهو الذى ضربه بالسيف على رأسه وفرق بينه وبين دنياه وناسه وكان ذلك الملعون بطلا من الابطال وجبارا من الجبابرة الاقيال قال الراوى ولما أن طلب جندح ذلك البدوى كما ذكرنا وركض بجواده إلى أن وصل اليه وصار قدامه وبين يديه وقد رمقه بعينيه ناداه وقال له انت من أى القبائل تكون وإلى أى العرب تنسب فاذكر لى نسبك واوضح لى حسبك وإلا عجلت فى هذه الساعة وهذا الوقت عطبك واعدمك حسن نظرك واقطع من الدنيا رزقك فتكلم واوجز فى الكلام يا نذل يا ذليل يا مهان قال محمد فلما ان سمع البدوى من جندح ذلك الكلام قال له ويلك يا نسل اللئام وولد الزنا وابن الحرام دع عنك ذكر الآباء والاجداد والقبائل والاخوال والاعمام واعلم ان هذا الكلام الذى تذكره لا يكون فى هذا المقام ولا فى موضع القتال والحرب والنزال والصدام وإنما يكون فى الموسم وقت شرب المدام والمفاخرة فى الكلام لأن هذا المقام لا يقع فيه الا السؤال عن ثبات الجنان والصبر على الضرب والطعان بين الفرسان والشجعان الكرام قال محمد بن هشام ثم ان



البدوى بعد ذلك الكلام جذب الحسام وزعق على جندح وحمل عليه فلما أن رأى جندح هذا البدوى فعل هذه الفعال فعل مثلها وجذب الآخر حسامه وقد انطبقا الاثنان انطباق الجبال وهمهما إلى أن اهتزت لهما الأطلال وهمهم كل واحد منهما مثل ما يهمهم الأسد وقد طحنت أرجل خيلهما الحصا والجلود واقشعرت من هول ما جرى بينهما الأكباد والجلود وقد عرفت الفرسان مرارة العدم من حلاوة الوجود ثم افترقا افتراق وادى زرود الأبطال مثل الرعود وما زالا على مثل ذلك إلى أن اشتد الهجير وهبط الطير ووقف كل سائر عن المسير فعند ذلك رمى الاثنان الرماح من أيديهما إلى الأرض وتعاركا على ظهور الخيل طولا وعرض وقد مالا على بعضهما البعض ولكن البدوى كان أشد قوة وجنان وأخبر بالحرب وأعرف بمرارة الفرسان فجذب البدوى جندحا جذبة الاسد الغضبان فرجله عن جواده وكركبه على ظهره إلى وجه الارض وقد أخذ سيفه من يده وطلب أن يسوقه إلى عند الحارث من ذلك المكان فصار يتململ ويتمنع وهو يطلب الخلاص من يد ذلك القناص فعند ذلك ضربه البدوى بالسيف صفحا على قفاه فالهب مهجته وقد اعدمه قواه وقد أحس جندح أن رأسه طارت عن جثته فداخ وضاقت منافسه ولولا أنه شديد الحيلة لكان

وقع على الأرض على أم رأسه فسار قدامه وقد سار ذلك البدوى وهو صاغر ذليل حقير على رغم أنفه إلى أن قارب رفيقه وصاح بأعلى صوته من غير مهل يا مساعد فخرج اليه فارس من المكان الذى خرج منه الفارس الأول وسلم عليه وقال له أتاك يا شيخ العرب هذا وجندح قد وقع به الانبهار وقد طاش عقله وحار (قال الراوى) فلما أقبل ذلك الفارس قام البدوى نزل اليه ذلك البدوى وشد يديه إلى رجليه (قال نجد) هذا كله جرى والخلائق قد كثر بينهم الكلام والقيل والقال وزاد الكلام فى حق هذا الفارس الهمام والبطل القمقام فقال الملك قيس يا بنى الاعمام أعلموا أنى قد احترت فى هذا الفارس والقرم المداعس هو الذى أراه فى اليقظة قد رأيته فى المنام فوالله لقد أتانا النصر فى هذه الوقعة وحق خالق الانام لأن الذى قد ضرب رأس أبى قد وقع بغدره والحارث بن ظالم قد كفينا شره وما بقينا نشتهى ونريد لامن يستميل لنا قلب هذا البدوى الفارس الصنديد الذى قد بلغنا فى هذا اليوم كل ما نشتهى ونريد لأن هذا البدوى وحق ذمة العرب لا يكون مثله عنتر ولا غيره من سائر الفرسان ولم يقدر أحد أن يبرز اليه بعد هذا من الابطال والشجعان فى حومة الميدان وهو مع هذا الحال عريان الجسد خال من الدرع والزرد وعلى جسده ثوب خام وهو قصير الاكمام وقد بلى بمثل هؤلاء الفرسان فى مثل هذا المقام فهل أحد منكم يتقدم إلى هذا الفارس الصنديد ويضمن له على كل ما يريد (قال نجد) فعند ذلك قال شداد لما سمع كلام الملك قيس بين أهل ذلك المحضر يا ملك لماذا تحط قدر ولدى عنتر وترفع قدر غيره إن غاب أو حضر هل أنت ثبت عندك أن هذا الفارس الذى ذكرته هو واحد عصره وفريد أوانه ودهره وزمانه فقال قيس بلى يا شداد وذمة العرب والسادة الامجاد فقال شداد والله يا ملك الزمان وحرمة زمزم والمقام والمشاعر العظام ان هذا الفارس الذى هو فى الميدان هو ولدى عنتر الفارس الغضنفر والاسد القسور وهذا الفارس الذى أتاه الآخر وطلع فى الأول وسماه مفرجا هو شيبوب وقد عرفته وصح عندى هذا الخبر والفارس الذى أتاه ثانيا وناداه يا مساعد هو أخوه جرير فقال عروة وحق ذمة العرب الاجواد والسادة الامجاد انك صدقت فى هذا الكلام يا شداد ولكن يا أمير شداد الفارس الذى زعق عليه فى الأول وسماه مفرجا وخرج اليه من ذلك المكان هو شيبوب بعينه لأنى عرفته بركبته لأن ركبته لا تشبه ركبة الفرسان لأنى رأيت الفرس من تحته يخب به وهو من فوقه يهتز ويكاد ان يسبقه فى وثبته فقال الملك قيس هذا هو الجنون الزائد يا قوم تقولون شيبوب وعنتر الآن فى أبياتنا وبيننا وبينهما مسافة فمتى أتى عنتر من ديارنا وفعل هذه الفعال

فى يوم واحد أو يومين أو ثلاثة و نرجع نقول إذا كان تهيأ و رجع إلى هنا فى يومين و معه هذه الأخبار فكيف كان يلتجىء إلى بنى عامر و يصير معهم فى جملة الناس و يقاتل معهم وقد علم أنهم قتلوا الملك زهير و أخى شاسا فقال له شداد يا ملك أما أتباعه لنا فما فيه شك و لا مقال و لا ريب و لا محال لأنه خاف علينا من الأعداء و أنه ولدى عنتر سيد الفرسان و أنا أقول أنه ما أقام بعدنا إلا ليلة واحدة و أما اختلاطه ببنى عامر فما هى فى هذه الفعال ظالما لأنه قد سمع أن الحارث معهم وقد مال بجيشه معهم و فعل هذه الفعال ما كان أتى الينا من كثرة شفقته علينا و ذلك لأنه لا يفعل معه الغضب أن يشتهى أن تشمت بكم العرب فقال له الملك قيس وحق الكعبة الحرام و زمزم و المقام و المشاعر العظام أن كنت صادقا يا شداد فى هذا الكلام والله لأخرجن إليه و أقدم عليه ثم أتلقاه أنا بروحى و أقبله بين عينيه و أقبل بعد ذلك قدميه و لا أتكبر عليه بعد ذلك اليوم و كلنا نسير بين يديه قال الراوى رحمة الله عليه ثم أنه أراد أن يفعل ذلك الذى قد عزم عليه هو و من معه من الاقربين فرأى عنتر أو نازحا مقبلين وهم متبسمين و عليهم واردين و نازح بجانب الأمير عنتر الفارس القسور قال الراوى و كان الخبر الذى أخبره شداد عن ولده صحيحا لأن عنتر لما تخلف فى الأحياء و جرى له مع عبلة ما قد جرى و بل شوقه منها بالنظر و أصبح وهو كثير الفكر قال لشيبوب والله يا أخى لا بد لى أن ألحق بنى عبس و أتبعهم إلى ديار بنى عامر و أبصر ما يفعل فى حقهم الحارث بن ظالم الغادر و أخرج إليه و آخذه أسيرا و أعرف حذيفة بن بدر و الربيع بن زياد شؤم هذا التدبير فقال له شيبوب رأى حيلة تدخل عليهم يخفى بها على بنى عامر حالك فقال له فى زى العبيد أنا و أنت و أخى جرير يلبس لباس الضعفاء و أعتقل أنا بعقال مشرذم الاطراف فقال له شيبوب هذا هو الصواب و الامر الذى لا يعاب أعلم انهم إذا انتصروا على بنى عامر بسيف غيرك لا يرجع الملك قيس و الربيع يلتفتون إليك و ربما يكون سببا لخروج عبلة من بين يديك (قال الراوى) ثم انهم بعد ذلك قدر كبوا فى تلك الليلة الخيول الضعاف وقد لبسوا لباس البدوى الذى قد ذكرناه و وصفناه و ساروا على أثر الجيش كما قدمنا فقال شيبوب ابن الام إذا أنت اختلطت ببنى عامر و رأيت الحارث تقدر أن تلقاه بهذه العدة وهذا الجواد فقال عنتر وحق الملك العلام أننى أقدر ألقاه بالعصى التى كنت أرعى بها الجمال و آخذه أسيرا بحالة الذل و الخبال ثم إنهم ساروا ولو كانوا لهم أجنحة لطاروا إلى أن وصلوا إلى القوم وقد اختلطوا بهم فى ذلك اليوم و عنتر ما كان حسابه أن الحارث إلا مع بنى عبس فلما أن برز فى الميدان كأنه فرخ من فروخ الجان وقد رأى أفعاله ما أبداه

من أعمال وخرج اليهم حذيفة وأخوه وجرى لهم معه ماجرى وبرز اليه نازح فقال لشيبوب والله يا ابن الأم أن نازحا ماهو من أبطال هذا الجبار وأن غفلت عنه قتله فقال عنتر أنا خارج إليه من قبل أن تصل الأذية إليه فخرج عنتر إليه وجرى له معه ماقد جرى وكان عنتر ما برز للحارث انحل لثامه فعرفه نازح فدنا منه وسار قدامه وقد فرح بلقاه وقال له والله يا أبا الفوارس لو كنت أنا رأيي عرفنا أنك ما أتيت فى هذه السرية ما كنا تبعنا قيسا إلى هذه الأرض بالكلية وكنا تركناه يتكل على الربيع وحذيفة ومن معهم من الطائفة الفزارية (قال الراوى) ولما سمع عنتر من نازح ذلك الكلام قال له يا مولاى ما يجب على العبد أن يأخذ مولاه بالخطا ولا يشمت به الأعداء وهذا الذى شارك خالدا فى أفعاله قد القاه الله فى غيه وأعماله فعد بنا الساعة إلى قومنا حتى أننا نطيب قلوبهم برزيتنا ثم أنهم عادوا وسار عنتر بين الصفين وبين يديه الأسيران فى الذل والهوان ثم أشار يقول شعرا :

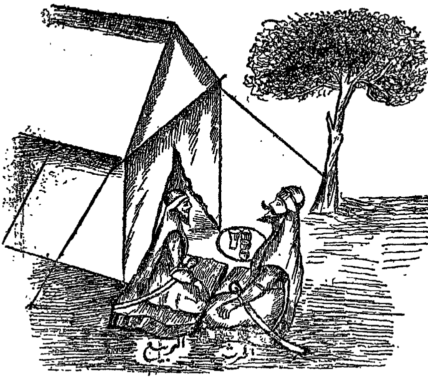
لله در بنى عبس وما فعلت أسيافهم فى العدا والطعن كالأسل
وقد اسرت الفرسان العداة ضحى وصرت من فرحى كالشارب الثمل
فأننى بطل من فخر ما انتسبت شدادها وهى بالهيجاء فى شغل

(قال الراوى) فلما سمع نازح شعره طرب لنظمه ونثره وكان الملك قد خرج للقاء عنتر ومعه جماعة من عشيرته فسمعه وهو ينشد تلك الأبيات فقال ما والله يا ابن العم أنك افوق ما تقول ثم أنه اعتنقه وقبله بين عينيه واعتذر إليه وقال له يا أبا الفوارس أظن أنى بعد قتل أبى وأخى بقى لى عقل أدبر به نفسى بل كل من أقبل على وأشار بشىء قبلت مشورته وتلاقيت قصته وكل ذلك فزعا من اختلاف العرب فى بدية أمرى ولا يتى على موضع أبى فعند ذلك قبل عنتر عذره وقبل يده وسلم إليه قاتل أبيه فأخذ سيفه من عاتقه وقال له ويلك يا جندح بهذا السيف قتلت أبى فقال له نعم ومهما أردت ان تفعل فافعل بى وان كان أجلى فرغ على يدك فاقتلنى فقال له قيس وبه أضرب رقبتك فقال ها انا بين يديك (قال نجد) فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام انتدب بالسيف وهزه إلى أن ظهر الموت من فرنده وضرب به جندحا فاطاح رأسه عن جسده ثم أنهم بعد ذلك قد عادوا إلى قومهم والحارث معهم وقد أيس بعد قتل جندح من الحياة وأيقن بالموت والوفاة وكان الليل قد هجم وولى النهار وأقبل الظلام فتلقوهم الأصحاب والمحبون وسلموا على عنتر وفرحوا به وبقدومه وأما أصحاب الحارث فانهم لما أن أمر أميرهم كان الليل قد أقبل ولولا ذلك لما صبروا عن الحملة فى طلب خلاصه فعادوا وهم بنو عامر إلى خيامهم وباتوا تلك الليلة فكانت عليهم ليلة منحوسة وقد نزل خالد بن جعفر وهو

متفكر فيما جرى وتدبر وكان من حذره على نفسه قد أوصى بنى عمه وحذرهم مرة بعد مرة وقال لهم أجعلوا بالكم من بنى مرة إلى غداة غد تخرج وتبصر ما يفعل بنو عبس بالحارث وما ينهون من الأمور (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من بنى عبس فإنهم قد ردت إليهم أرواحهم بعد أن كانت ذاهبة منهم وقد باتوا وهم فرحون مسرورون بوصول حاميتهم إليهم وبصلاح حالهم بعد فسادهم (قال الراوى) ولما أن استقر بهم الحال فى ذلك المنزل جمع الملك قيس الرجال والأبطال قال الراوى فكان أول من تكلم فى حقه وأراد تخليصه من أيديهم الربيع ابن زياد لأنه علم أنه يكون له ذخيرة وعونا على عنتر أن سعى فى إطلاقه فقال يا ملك إعلم أن الرأى عندى أن تطلق سبيل هذا الرجل وتكشف كربته وتسامحه من ذنبه لوجوه عديدة وأنا أيها الملك أوضح لك دليل قولى أعلم أن الوجه الأول هو قربه من نسبنا وقد رأيت بعينك شجاعته وما عمل فينا والوجه الثانى أننا طالبون أخذ الثار وكشف العار وأعداؤنا كثيرة وأن أقلينا عاقو لنا وقتلناه طالبنا بنو مرة بدماه وأنت تعلم أنه ما فى بنى فزارة إلا من يريد بقاه لأجل قربه منهم وكونهم نسباء وينفتح علينا فى هذا الوقت لا نقدر أن نسده بحال من الأحوال ولا سبب من الأسباب فقال شداد والله يا ربيع ما الرأى إلا ضرب رقبته واتلاف مهجته وأى شىء هو هذا القرنان وما تكون قيمته لأنه كلب خوان غدار وقليل الأنصاف دعنا نقطع شافته ونعزم على نهب قومه وعشيرته ولا نترك هذا المكان الخائن ولا أحد من قبيلته لأنه فعل معنا هذه الفعال إلا مراده خراب ديارنا والأطلال (قال الراوى) ولما فرغ شداد من كلامه لم يبق أحدا منهم إلا تكلم بكلام على قدر ما فى قلبه من الحارث من الأوجاع والآلام فقال أسيدعم الملك قيس يا قوم أحضروه حتى نسمع كلامه ونفهم مرامه فان كان فيه موضع للصنيعة اصطنعناه وإن رأيناه ناوى الخيانة قتلناه قال الراوى فلما أن حضر قام اليه الأمير عنتر بن شداد والسيف فى يده مشهر وصاح عليه وقال له ويلك يا ابن الأنذال ما الذى حملك على هذه الأحوال وقابلت أصحابك بهذه الفعال وقد سعيت فى حقهم بالردى وأعنت عليهم الأعداء قال الحارث وحق ذمة العرب الكرام يا أبا الفوارس أنى صادق فى هذا الكلام ما حملنى على ركوب هذه الأهوال العظيمة والأحوال الجسيمة إلا أنت وأعلم أن الصدق فى الكلام من شيم القوم الكرام والكذب قبيح على من يدعى حفظ الذمام أنالى مدة من الزمان اترك عليك العيون والارصاد حتى أننى أقع بك وأقتلك وأريح منك سائر العباد ولما أن جرت هذه النوبة العظيمة الكثيرة الأخطار وقتل الملك زهير وصار ملق فى القفار والأودية والأوعار وسمعت أن قومك

سائرون إلى بنى عامر بسبب أخذ الثأر وكشف العار علمت أنك تكون من جملة الأبطال ففعلت هذه الفعال وقد قلت فى بالى أنى آخذ منك ثارى فاكتسبت عارا على عارى وقد ظفرك الله بى وقد صرت أسيرا فى يديك على كل حال فعند ذلك قال له عنتر ويلك يا حارث أما كنت تسمع بفعالى ولا بلغك شىء من أعمالى حتى كان يردك عن حربى وقتالى فقال بلى يا حامية عبس وعدنان أنى كنت أسمع بأوصافك فى كل موضع ومكان ولكن جهلى كان يزين لى الطغيان والطمع والهذيان لأنى من حين ركبت الجواد ما أسرت ولا قهرت قط فى ميدان بطول الدهر والأزمان وقد لقيت فرعون بن صخر فى أرض اليمامة وحاربته وقهرته بالشجاعة والبراعة وأسرت بن عباد فارس النعامة ولا جرى على أمر من الأمور إلى هذا الآن ولا قدر على أحد من الفرسان ولا قلت أن الزمان غادر وخوان والآن قد لزمت الأدب وعلمت أن الزمان ينقلب بأهله أى منقلب وقد وضعت فى يدك ورأيت الهوان وبليت بالذل والحرمان وما بقى فى الأمر إلا حالتان إما أن تقتلنى وتستريح من فعالى وإما أن تعتقنى وتقبل سؤالى فقال له عنتر وحق ذمة العرب لو علمت أن فيك موضعا للصنيعة لاصطنعتك وجعلتك لى صديقا وأطلقتك ولكن أنا سمعت عنك من بعض الاقوام الكرام أنك رجل خبيث لا تعرف الزمام ولا ترعى حرمة من أكلت معه الطعام ولا تحفظ يمينك إذا حلفت باليمين ولا تكرم قريبا ولا قرين فقال له الحارث صدقت يا أبا الفوارس وسيد الفرسان قد كان طبعى من قديم الزمان وقد كنت أحلف وأخون فى الايمان واليوم قد فضحتنى فى الميدان عندى وما بقى لى قلب ألقى به فارسا ولا راجل وإن أنت أطلقتنى وعدت بعد ذلك وغدرت بك لعنتنى سائر القبائل وما عليك فى ذلك ملام وإن خنتك بعد هذا الكلام فأنت قادر على أسرى وتكون محكما فى أمرى فقال له عنتر أنا أطلقك من الوثاق لكن وحق الملك الخلاق إن خنت العهد والميثاق لانزلن بك المحاق ثم أنه أمر الملك قيسا بإطلاقه وقال له أيها الملك أطلقه ودعه يرجع إلى أهله وقبيلته فإننا فى غنى عن نصرته فقال الحارث لا تفعل يا حامية عبس فتكون غير شاكر اصبر حتى اكسر عامرا وابيض وجهى عند هذه القبائل والعشائر وبعد ذلك أعود إلى أهلى والأوطان وأنت على راض غير غضبان فقال عنتر هل أنت يا حارث تكسر جيش بنى عامر وحدك بشجاعتك وإلا بالفرسان الذين هم من قبيلتك فقال له يا فارس الخيل ما اكسرهم إلا بألف وخمسمائة بطل من أبطال قبيلتى وسادات عشيرتى فإذا رآنى عند الصباح وقد خرجت إلى الميدان وطلبت الحرب والكفاح وأنا سالم من الأذى والجراح تزاد بهم السرور والافراح ويعرفون أن حالى معكم قد انصلح وقد تخلصت من قبضة

الاسد الكاسر وحملت على بني عامر فيضرب بن عمي فيهم بالسيف الباتر فتنكسر قبائلهم والعشائر وما يسلم منهم الا من جواده ضامر وأجله باق غير حاضر وبعد ذلك أجعل بالي إلى سيدهم خالد الاسد الغادر لأنني أعرف مكانه من حين كنت له مسافر فان ظفرت به أكون قد بيضت وجهي معكم ومع هذه العشائر فقال له الربيع لقد أصبت في ذلك وأنت لا تقدر على بني عامر إلا في المجال فقال عنتر الفارس الهمام والأسد الضرغام وفارس عبس وعدنان الكرام لعن الله من لم يقدر يفنيهم بحد الحسام في أقل من خمسة أيام ولا يترك منهم شيخا ولا غلام فقال الربيع الغرض والمأمول ولكن الشرح هنا يطول اعلم يا أبا الفوارس أنه إن كان قبلك نافرا من الحارث بن ظالم ولم تقنع منه باليمين فانا فارس الخيل له ضمين فقال الملك قيس ما بهذا الرأي من باس يا فارس الميدان وحامية عبس وعدنان أن بني عامر في زيادة ونحن في نقصان (قال الأصمعي) وقد بلغني أن عدتهم ثلاثون ألف عنان ثم استقر الحال وأخذ الربيع



الحارث معه في خيمته ولما خلا به سأله عن حالته وما في قلبه من الغدر لعنتر وكان الحارث يعلم أن الربيع يبغض عنتر فقال ايش هو الكلب الأكلب وا ذئب الاجرب وذمة العرب لا بد أن أتسبب لعنتر في قتله بكل سبب لأنني آنيت آخذ ثاري فازددت عار

على عاري ولو عرفت أن ذلك العبد الزنيم خرج يحاربني ما كان غلبني ولا قهرني بل كنت أضحكت عليه الفين وتركته مجندلا بين الفريقين ولكن لما رأيته ورأيت حالته أرديته وفي عيني احتقرته فقال له الربيع بن زياد والله يا حارث لقد صدقت في هذا الايراد وقولك كله صواب ومافيه شيء يعاب وأنا أساعدك على هذه الأحوال وأعاونك على ما تريد من الفعال ولكن في غير هذه الأوقات يا فارس الدهر وشجاع العصر لاننا والله محتاجون اليه واليك في هذا الأمر وإذا اشتغل كل واحد منكم بصاحبه ضاعت مصالحنا ويكون أكبر أعاديك حذيفة بن بدر وهو ابن عمنا والصواب أن توفي بما ضمنت أنا عنك حتى تطيب قلوب الفرسان وبعد ذلك فازمان طويل وأنا أعاونك على هلاك هذا العبد الذليل ولا أتخلى عنه حتى أراه قتيلا ولما أصبح الصباح خرجت الرجال تطلب الحرب والكفاح فظهر من وسط بني عامر لأنه كان أنفذ جاسوسا من أول الليل يكشف له خبر الحارث بن ظالم وما يجري له من بني عبس من الأمور العظائم وأوصاه أن يعرف خبر الفارس الذي أسر الحارث ومن أي العرب هو فمضى العبد من وقته وساعته لكشف الخبر فغاب عنهم رقدة من الليل ورجع وقت السحر وأعلم خالدا أن الفارس الذي أسر الحارث هو عنتر وان الحارث قد انصلح حاله مع القوم وقدم وعدهم بهلاك أبطالنا وقتل رجالنا ونهب أموالنا وسبي عيالنا فقال خالد ابن جعفر لما سمع هذا الخبر لعن الله مقاله فان هذا الطبع الذي فيه عنه لا يتغير حتى يموت ويقبر وأنه لا يصفو لصديق ولا يراعي رفيق والرأي عندي أن نبيده قبل أن يبيدنا ونضع السيف في قومه ونذيقهم المهالك قبل أن يذيقنا ثم انه أمر بني عامر فساروا إلى بني مرة وأنزلوا بهم الويل والمضرة وتم السيف يعمل فيهم حتى صاروا بين القبائل شهرة فسمع الحارث صياحهم ونواحهم فصعب عليه مادهاهم وصاح يا آل مرة هلكت السادات في هذا الكرة ثم انه حمل يريد أعانتهم وحمل معه الربيع مع أخوته وطائفة من فرسانه ورفقته وتبعهما الفان من بني فزارة لأن الملك قيسا أمرهم بذلك وحملت بنو عبس على ميمنة بني عامر وفي أوائلهم عنتر بن شداد وأبطال بني قراد وكان ضياء الصبح قد ارتفع وشعاع الشمس قد طلع واشتدت الشجعان وزجرت الاقران وازدحمت الخيول الاعوجية والرماح السمهرية ولعبت الحوافر بالجماجم الآدمية وفعل عنتر فعالا تعجز عنها الفرسان الجاهلية ونكس أعلام القبائل الذين قدامه وأوصى سنانه بهتك أستار القلوب فما خالف الوصية (قال الراوي) وكانت بنو عبس تطعن طعنات نافذات ما لها من قياس وتنادي بشار الملك زهير وولده شاس هذا والمساكر قد دام بينهم القتال وقبائل بني عامر متفرقون في الجبال

حتى أقبل الليل بالانسدال وكان الحارث قد لقى فى ذلك اليوم الأهوال إلى أن وصل إلى أصحابه واعانهم فى القتال هذا وبنو عبس قد دعسوا فى بنى عامر وعروة بن الورد يقول.
وحق من يعلم وساوس الصدور أنى إذا دار الطعن والضرب وكنت وحدى لا ألقى أكثر من فارس وإذا علمت أن خلفى الأمير عنتر أرمى روحى فى ألف فارس أو أكسر وأكون فيهم بالسيف داعساً ولا تقهقر (قال الراوى) هذا والفرسان قد دار بينهم القتال وقبائل بنى عامر تفرقوا فى التلال وهربوا فى رؤس الجبال هذا والحرب يعمل والدماء يبذل والرجال تقتل والنار والحرب تشعل بالناس المثل وهم فى عمى ولعل إلى أن ولى النهار والليل بالانسدال هذا والحارث بن ظالم قد لقى فى هذا اليوم الأهوال ووصل إلى أصحابه واعانهم فى القتال وقتل فى ذلك اليوم مائة فارس من سائر الأبطال (قال الراوى) ولما أن كشف عن قومه الشدة والأهوال وزال العناء اختلط مع قومه بنى عبس الأجواد وأصحاب الربيع بن زياد ثم رجع إلى الميدان فالتقى بملاعب الأسنة ذلك اليوم فى الميدان وجرى بينهم من الطعان ما شيب رؤس الولدان وفى آخر النهار جرح كل واحد منهما صاحبه واشرفا على الهلاك (قال الراوى) ولما انفصلت الطوائف عند إقبال الظلام واستقروا فى الخيام جمع خالد سادات بنى عامر ورحل بهم يطلب الديار وقد علم أنه أن أصبح عليهم الصباح قلعه بنو عبس منهم الآثار وربما أنهم لا يقدرون على الهزيمة بالنهار (قال الراوى) لهذا الكلام هذا وبنو عبس قد باتت فرحانة بالنصر والظفر وما فيهم إلا من يثنى على أبى الفوارس عنتر وقد علموا برحيل بنى عامر فأراد عنتر أن يتبعهم ويسقيهم شراب المهالك فما مكنه قيس من ذلك وقال وحياتى عليك أرفق بالناس يا ابن العم فإنهم قد باتوا فى غاية التعب والنكال وفيهم جرحى بأسوأ حال وإن رجعت فيهم من يعرف خصمه من الرجال ونحن ما قصدنا إلا خالد بن جعفر من دون جميع البشر ولكن نحن ما بقينا نظفر به إلا فى وقت آخر فقال عنتر لا بد لنا من ذلك ولو قطعنا من خلفهم المسالك ثم أنهم باتوا إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فنهض بنو عبس لجمع الاسلاب ولموا الخيول الشاردة فى الهضاب وبعد ذلك قال عنتر للملك قيس أن من الصواب أن نأخذ أحداً من المعاينين وتعطى لبنى فزارة هذه الغنيمة والأموال ثم تجزى القوم خيراً أو نردهم إلى ديارهم والأطلال ويكون معهم كل جريح وضعيف ونطرق نحن ديار بنى عامر ونحن خفاف الظهور ونعانى بأنفسنا هذه الأمور فإن حذيفة قد وهن من الوقعة والله أوفق من الرجعة قال الراوى فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام رآه صواب فرد الحلفاء والأصحاب بعد أن فرق عليهم الغنائم والأسلاب وقال لحذيفة يا ابن العم

مابقينا نتركك تلقى أكثر مما لقيت لأنك من أجلنا جرحت وشقيت والذى جرحك هو أقرب الناس إليك والحارث قد أصلح توبته معك وهو عائد إلى أرضه فى صحبتك ثم أصلح بينهم ورد الكل مكرمين ومعهم جميع الضعفاء والمحرومين وقد سار وافى أربعة آلاف فارس وعنتر فى مقدمتهم مثل الأسد وقد فرح بقلة العدد ولما أن تمادى به المسير فى البر والفدفد تذكر ما جرى عليه فصار ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

إذا نحن حالفنا حداد البواتر ... وسمر القنا فوق الجياد الضوامر
على حرب قوم كان فينا كفاية ... ولو أنهم مثل البحار الزواجر
وما الفخر فى جمع الجيوش وإنما ... لنا الفخر فى تفريق جمع العشائر
سلى بنت عمى كيف عزى وقد أتت ... قبائل كانت مع غنى وعامر
تموج كموج البحر من كل جانب ... مكدرة من نقع وقع الحوافر
ولو ثبتوا حلفت فى الأرض مثله ... عظاما ولحما للطيور الكواثر
وما غر قومى غير قول ابن ظالم ... وكان خبيث قوله قول غادر
طغى وأدعى أن ليس فى الأرض مثله ... فلما التقينا بان فخر المفاخر
وكان لاعدائنا معينا وناصرا ... فعاد بسيفى حاسرا غير ناصر
أحب بنى عبس ولو سفكوا دمى ... محبة عبد صادق القول صابر
يدلوا إذا ما أبعدونى والتقى ... سهام العدا عنهم بنور النواظر
تولى زهير والرماح قواصد ... إليه وأطراف السيوف البواتر
فواحزنا كيف أشتفى قلب خالد ... بتاج بنى عبس وشمس العشائر
وما زادنى حزنا سوى فقد شبله ... يسمى بشاس كان عزى وناصر
أنا عنتر العبسى واحد عصره ... وأفرس أهل الأرض باد وحاضر

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه طربت بنو عبس من الفاظه وكلامه وجدوا فى سيرهم وهم يقطعون البيدا طالبين أرض الاعداء وهى بنى عامر وكان خالد لما وصل إلى دياره ما بقى معه من تلك الجحافل أكثر من عشرة آلاف وباقى القبائل قد تفرقوا وطلبوا ديارهم وما بقى معه إلا من لزمه من بنى عامر من أولادهم أو أقارب (قال الراوى) ولما وصلوا إلى الأطلال وأشاروا على خالد برفع العيال إلى رؤس الجبال قائلين أن بنى عبس لابد أن تتبع آثارنا لأجل رحيلنا والصواب إننا نحرص على أنفسنا ونقاتل القوم عند وصولهم إلينا وإذا انهزمنا من شدة الضراب تركناهم ودخلنا فى الشعاب فعند ذلك حصن

بنو عامر المال والعيال ورفدوهم فوق الجبال ومن الغد أشرفت بنو عبس ولمع حديدها كشعاع الشمس وحملت من غير راحة تطلب الثار ودارت ببني عامر من سائر الأقطار فأبصر خالد عددهم قد قل ففرح وتأمل وصاح فى بنى عامر يا بنى العم أبشروا من عبس بالأموال الجليلة فلما وصلوا إلا وهم فى طائفة قليلة ثم أنه حمل وطلب أعلام الملك قيس وحملت خلفه الفرسان وعمل الحسام وطلع القتام وجرت المقادير والأحكام وعمل عنتر فى بنى عامر مالا تعمله السهام لأنه كان أشار على قيس برد بنى فزاره وغطفان ووعده بالنصر والأمان وعلم أنه فى اليوم متكل عليه ففعل أكثر مما كان قد وعد وعمل عملا لا يقدر عليه أحد وما أمسى المساء حتى أهلك هو وبنو عبس أوفى ألف فارس ومائتين من القناعس وعاد عنتر وعليه من الدماء حلة أرجوان وهى تجرى على ذراعه مثل جريان الماء والغدران وهو بذلك السرور فرحان وقد أهلك تحته فى ذلك اليوم خمسة وعشرين حصان وشيبوب يأتيه بغيرها إلى الميدان وما وقع أكثرها إلا من شدة نهضاته عليها لأن الأمير عنتر ما كان فيها هو وأخوته (قال الراوى) وكان قيس لما عاين فى الحرب قتاله مال له قلبه حين شاهد أعماله وعلم أن ملكه لا يدوم إلا به فاخلص له نيته واستقبله عند عودته وشكره مع أخوته قال عنتر فقال لهم خالد وذمة العرب إن عنتر كريا بنى العم واضح وإن عنترا هو الذى أهلك فرساننا وبددهم فى البطائح وهذه النوبة إن لم أفصلها أنا وإلا خسروا اشتقت الأعداء منا فقالوا له وما الذى تريد أن تفعل فقال لهم أخرج إلى الميدان وأطلب أخصامى وأدعوهم إلى الضرب والطعان وهم قيس وجميع اخوته ومن خرج إلى منهم أسقيته كاس منيته وقد انفصلت هذه النوبة وأقتل واستريح من الذل والخيبة لأن القتل تحت الغبار أهون من الهرب والفرار ثم أنه بات على هذه النية إلى أن أقبل النهار وسارت الأبطال من سائر الأقطار واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف فنزل من بنى عامر فارس صغير السن أمرد وعليه درع من الزرد وعلى عاتقه حسام مهند وفى يده رمح مسدد وتحته جواد أجرد (قال الراوى) فلما توسط إلى الميدان جال وصال وفعل فعل الأبطال ودنا من طائفة بنى عبس وقال لهم يا سادات العرب الكرام وحق البيت الحرام والركن والمقام والمشاعر العظام ما بلغ عمرى اليوم إلا عشرين عام ولا خرجت قط من المضارب والخيام ولا حضرت عمرى حربا ولا طعانا ولا صدام وما تعلمت الكر والفر إلا من بنى الأعمام وذلك محبة أمى لى وشفقتها على فلا تدعنى أركب على حصان ولا أباشر حربا ولا طعان وأنا أريد اليوم أجرب روحى فى هذا المقام وأحمى فرسان عشيرتى والحريم والصبيان وأخالف أمى فى المقام

وأطلب منازل أبى وأعمامى والاخوال أو يكون عمرى قرب فاهلك فى هذا المجال قبل بلوغ الآمال وأقتل على يد بعض فرسانكم والابطال فابرزوا الى من يقضى حاجتى ويبلغنى المراد وأجرب معه فروسيتى بين العباد ولكن يكون نسبه كنسبى وحسبه كحسبى لأنى وحق ذمة العرب من قوم كرام غير لئام ومعودين على الصبر فى وقت الصدام ومبارزة الأبطال الكرام وأنا يقال لى عامر بن الطفيل وما فى نسبى ولا ميل وملاعب الأسنة ابن خالتى ولولا أنه مجروح ما كان طاوعنى على إرادتى على أن أمى كبشة منعتنى وعن القتال عزلتنى فما قبلت ولا امتنعت ولا طاوعتنى نفسى على العقود حين رأيت الأعلام والبنود والغبار الممدود فخرجت إلى مقام أهل الجود وهذه الخلائق شهود ثم إنه جال وصال وطلب الحرب والقتال وانشد يقول صلوا على طه الرسول :

لا تلحى ياأماه فى الإشفاق واصبرى عند مصرعى للفراق
واتركينى أجد فى طلب المجد بحـــد المهندات الرقاق
وأنادى فى سوق ربع المعالى بعوالى سمر الرماح الدقاق
ودعينى أبغى الفخار بعزمى أن هذا المقام مر المذاق
فلعلى أطفى بحـــد حسامى نار حرب شديدة الاحراق
وأرد العدا وأعتق قومى من أسود على خيول عتاق
أو ألاقى منيتى بسنان خارق ما للسعة من راق
وأخلى أمى تصيح مع الصقلى بادر أرد معها المهراق

(قال الراوى) وما أتم عامر كلامه وشعره ونظامه حتى خرج إليه فارس من بنى عبس الأشاوس عظيم الهمة شديد العزمة عليه درع مانع وفى يمينه سيف قاطع ورمح بارق وتحته جواد سابق ولما قاربه أراد أن يجول معه فصاح عامر فيه روعه وطابقه وضايقه وسد عليه ودناه غاية التدانى ولكن ما طال عليه المطال حتى تركه عامر مطروحا على الرمال وبعدها طلب القتال ولعب فى الميدان لعب الدلال وأظهر شجاعته بين الفرسان وقتل الأبطال بالكلام قبل السنان وصاح يا بنى عبس وحق اللات والعزى أنتم فرسان الزمان وأبطال عدنان فدعونا من هؤلاء الرجال القليل الخبرة بالقتال وأخرجوا إلى شجعانكم الأبطال ولا تحتقرونى لصغرى واختبرونى ببعض صناديدكم وقد بان لكم صدامى وفعالى (قال الراوى) فلما سمعت أبطال بنى عبس هذا المقال وأبصرت ما تم لعامر من الفعال تبادرت من كل جانب وخرجت إليه خروج السلاهب وهزت القنا والقواضب ولكن كان أسبقها إليه مليح القوام قليل الكلام حلة الابتسام من كملت فيه جميع المعانى فارس يقال قرواش

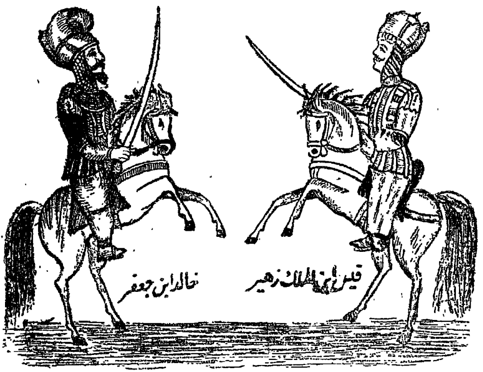
ابن هانى وكان ابن عم الملك قيس بن زهير وكان أعظمهم عنده قدرا وأنفذهم للعشيرة أمرا (قال الراوى) ولما أبصره الفرسان قد تقدم تأخرت ووقفت وحمل قراوش على عامر وأخذ معه فى المجال والميل وتطاعنا حتى قل منهم القوى والحيل وكان عنترا قد استقبح خروجه إلى عامر الطميل لما رآه قريب العهد من الرضاع وما علم بأنه بطل شجاع هذا وقد اشتد بين الفرسان الضرب بالبتار وانكشف عنهم الغبار وإذا بقراوش مع عامر أسير وقد بقى ذليلا حقيرا وبعدها قصرت الفرسان وهابت الخروج إلى الميدان وهم عنتر بالخروج إليه فسبقه نازح بن أسيد وقاتل عامر إلى أن أقبل الليل وعاد كل واحد منهما عن صاحبه وهو يصف مالقى من طعنه ومضاربه (قال الراوى) ولما عاد عامر إلى مضاربه تلقاه قومه وأقاربه وزادت بهم المسرات وأما أمه كبشة فاوسعتها الدنيا من الفرح والسرور والحظ الموفور وكانت من وقت خروجه إلى الحرب تتقلى مثل الحبة على المقلاة فى الجمر وأما خالد فإنه فرح وأمل بالنصر والظفر (قال الراوى) ولما كان عند الصباح خرجت بنو عبس تطلب الحرب والكفاح وكان أشدها غيظا عنتر لما نظر من عامر الغضنفر حين برز إلى الميدان وجال بين الصفين واشتهر بين الفريقين طلب الحرب والقتال وتذكر كلام أمه والمقال فانشد وقال

أسرفت أم عامر فى التنادى	من ركوبى فى الحال حرب الاعادى
منعتنى خوفا على من القتل	بحــد المهندات الحداد
لا تخافى أماه فالموت حتم	وهو فى القرب مثل حال البعاد
يا بنى عبس مالكم من حسامى	وسنانى الحديد بالموت فادى

(قال الراوى) لهذا الكلام فلما فرغ عامر امن شعره طلب القتال والنزال فقفز إليه عروة بن الورد على جواد أجرد وأراد أن يحمل عليه فلم يتركه عنتر بل قال له تمهل ياأبا الابيض وتأنى حتى أقطع رزق هذا الغلام من الدنيا لانه قد أغاظنى باعجابه وفرحه بشبابه وبت طول ليلى من فعاله التهب بنيرانى وأنت إذا خرجت ولم تقدر عليه يذهب ويقتل قراوشا ويفوت الأمر فيه وهو يقوم مقامه ومقام قبيلته ثم أن عنتر قفز إليه وصار قدامه وناداه دونك والمجال يا ابن الاندال فقال له عامر ياولد الزناو الله ما كان آبائى أندالو إنما كانوا سادات وأبطال إذا ركبوا اهتزلهم الجبال وتخضع لهم الاسد فى الدحال ولو كان معك انصاف كنت رجعت على نفسك بالملام والمقال على أننى ما أقاتلك ولا أدخل معك فى المجال لانى لا أقاتل إلا من يكون نقى الجد كريما أصيل الحسب عظيم الجد رفيع الاصل فى الحسب والنسب ولا أرضى أن أقاتلك مخافة أن يقول عنى أننى قاتلت عبدا ولد زنا ولا تظن أنى قلت لك هذا

فزعا ولا جزعا إلا أن أمي رأت منام قبل قدومك في هذا المقام وخافت على من شرب كاس الحمام ومن خوفها مضت إلى كاهن من العرب وفسرته عليه فقال لها لا تتركى ولدك يقاتل عبدا أسود نسبه خفى غير واضح فإنه يكون معه خاسرا غير رابح ولو هذا الأمر والسبب لفضحتك بين سادات العرب وأريك في القتال العجب من طعن الرمح والحسام المشطب. قال الراوى فلما سمع عنتر هذا السبب زاد به الغيظ والغضب وقال لعامر ويلك يا ابن الملعونة ومن يصل إلى هذا المقام ويقتل الفرسان الكرام يعمل برؤيا النسوان يا قرنان يا ابن ألف قرنان دونك والقتال والحرب والنزال ثم انه حمل عليه حملة الأسد الضرغام وزعق عليه بين الأنام فتغير لونه وارتعش كفه ولكن تعين على حربه وقتاله وطعنه ونزاله فأوسع بين يديه مجاله وطاعنه وطاوله وكان قد أراد أسره حتى يكون فداء لقراوش بن هانى فلما أعياه الأمر وضايقه زعق فيه عنتر فأرعبه ثم حاذاه وقاربه وحذف الرمح من يديه وطبق على جلباب درعيه وجذبه عن جواده وملك أسره مع قياده ونادى لشيبوب يا ابن الملعونة خرج إليه مثل الليث القسور والنمر الغضنفر فأخذه منه وشده كتاف وقوى منه السواعد والأطراف قال الراوى وإذا بأمه كبشة قد خرجت من بين الصفين واشتهرت بين الفريقين وهى حاسرة ومدانية غاية التدانى وخلفها بعض العبيد يسوقون قراوش بن هانى فلما قاربت عنتر بن شداد نادته ياوجه العرب الاجواد لاتشد ولدى كتاف ولا تذيقه العدم والتلاف وخذ صاحبك وأعتقه ومن عليه بروحه وأطلقه قال الراوى فلما سمع عنتر كلامها وشوقها وغرامها رق قلبه لها ورحمها وزعق على أخيه شيبوب وقال له أطلق ولدها ثم أنه أخذ قراوش بن هانى وسار به إلى بين يدى الملك قيس فهناهما بالسلامة وشكر عنتر اعلى حسن اهتمامه وأراد أن يأمر العساكر بالحملة وإذا بخالد بن جعفر قد خرج بين الصفين واشتهر بين الفريقين وهو على حجرة زرقاء كانها الليلة الزرقاء وهو كانه سد من حديد يا ويلكم يا بنى زهير إلى متى هذا التعدى ونحن نجمع القبائل والفرسان ونلق الفتن بين العربان ونهلك الابطال والشجعان فانا الذى قتلت أباكم وما أهجع حتى ألحقك به أنت وأخوتك وأقرباؤك وأبيد أقصاكم وأدناكم وأهلك شجعانكم وأفناكم وعبيدكم وإماكم وما بقيت أتانى الامر إلا بروحى فاخرجوا إلى واحد منكم تجالدأنا وإياه حتى أعجل رداه وبعدها أخرجوا إلى واحد بعد واحد وقد انقضى الامر وهان الشر بلا معاون ولا مساعد ولا يخرج إلا الملك قيس في الاول لانه قد صار في مقام أبيه وهو الحاكم على بنى عبس وعدنان كما أنى الحاكم على بنى عامر وغنى وكلاب الشجعان ومن قتل منا صاحبه بلغ الغرض وشفى قلبه من المرض نال المنى وراح العربان من التعب والعنا ومن القتل والفناء

قال مجد فلما سمع الملك قيس من خالد ذلك الكلام وما أبداه بين العربان من الاهتمام اشتد به الغيظ وزاد به الغرام فعند ذلك هاجت بنو عبس وما فيهم إلا من اعتدوا اشتدوعول على الخروج من الفرسان والسادات أهل الرتب وقد أبصر عنتر فعالهم فقال لهم أنا فدا كم من التعب وها أنا أسبقكم اليه وأسقيه كاس العطب فقال الملك قيس لا وذمة العرب يا أبا الفوارس لا يخرج اليه في الأول إلا أنا حتى لا أكون نوديني لأخذ الثار فتأخرت عن ذلك



قال الراوي وكان عليه من الدروع والزرد ما لا يقدر عليه أحد ثم إنه ركب على حجرته القعساء وتقلد بسيفه ذي النور وأسبل عليه من الزرد ما لم يلبس مثله أحد ولما استوى في سرجه استلم الرمح وحمل طالبا خالد بن جعفر مثل القضاء المنزل وقد فعل خالد مثل ما فعل واصطدما والتقيا قال الراوي وكان الاثنان من شدة ما بينهما من الحقد والغيظ والحنق ما فيهما من أنشد شعرا ولا به نطق بل صاحا وزعقا وعلى بعضهما انطبقا وجالا على ظهور الخيل إلى أن طلع عليهما الغبار وتسردق وصار بينهما طعن يسبق الحدق ويأخذ الشجعان منه الحمق ودام الأمر كذلك حتى تقطعت من الطعنات والضربات صفاق الدرق ولمع صارم المنايا برق وانهتك ستر ناموسهم وانخرق والتهبت نيران الغيظ وزاد الحنق وعنتر قد ضاق صدره

حين تهيأت للموت الغامر قال الراوى ومازال الفارسان فى حرب وكفاح إلى أن تثلمت الصفاح وتقصفت الرماح وقد تقابضا ومالا على بعضهما البعض ووقفا على وجه الأرض من شدة الحنق وصاح كل واحد منهما وزعق والتفت إلى أصحابه يطلب منهم معينا او نصيرا وأيقن كل واحد منهم أن يكون قتيلا أو أسيرا فعندها حملت الفرسان من كل جانب وهزت القنا والقواضب واندفقوا اندفاق السيل إذا كان ساكب وكان أسبق الناس إلى الملك قيس من بنى عبس عنتر بن شداد وأسبق الناس من بنى عامر الربيع بن عقيل الذى كانت العرب تسميه الفارس الصدام وقد صدم كل واحد منهما صاحبه وطاعنه وضاربه وهمهموا وهمهمة وقد جدوا فى الطعان ومالت اليها الشجعان كل منهم إلى ناحية ملكهم والمقدم عليهم مثل السحاب وقد قاتل فى ذلك اليوم اخوة الملك قيس ومن حوله اشد قتال وكذلك الربيع ابن عقيل واخوته ومن يتعلق بهم من الفرسان والأبطال وقد تتابعت فرسان بنى عامر تتابع الغيث الهطال واشتبكت الأبطال بالأبطال والرجال بالرجال وقد قام الحسام فى الاجسام ومالت الفرسان وتساقطت من على ظهور الخيل العوالى وبطل القيل والقال وجرى الدم وسال (قال مجد) وكانت لهم ساعة تشيب رؤوس الأطفال وعنتر يقاتل الربيع ابن عقيل وقلبه على الملك قيس ومن شدة غيظه مال على خصمه وضايقه وزعق فيه زعقة الحرد وصار كانه الأسد ثم طعنه طعنة جبار لاقى منها النوائب والاخطار فشك أضلاعه مع الزرد وقد أخرج الرمح من ظهره أشبار ثم بعد ذلك جذب الرمح منه فانقلب وصار كانه عود يتشحط فى دمه ويضطرب فى عندمه ثم عاد عنتر إلى بنى عامر فنكس فرسانها وحلق جماجمها من أبدانها وأعدمها أرواحها ومازال كذلك حتى فرق الجميع عن قيس وخالد وصار واقفا على رأس الاثنين وكانا قد أشرفا على الهلاك من دوس الخيل وشدة العراك فعند ذلك أراد عنتر أن يقتل خالدا ويخلص الملك قيسا ويعيده على ظهر جواده فصاح به الربيع بن زياد وقال له يا أبا الفوارس لا تفعل فان صديقك مالك بن الملك زهير قد أسر ومعه أخى عمارة وإن قتلت خالدا يقتلوا الاثنين بثاره (قال الراوى) فلما أن سمع عنتر من الربيع ذلك الكلام صعب عليه وكبر لديه ثم أنه ضرب خالدا بالسيف صفحا فرماه وأمر أخاه شيبوبا أن يشده ويكتفه فشده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وكان مما جرى عليه قد غاب عن الدنيا من شدة تلك الضربة وايقن بالتلاف والنكبة (قال مجد) ولما أن رأى قيس عنترا قد فعل مع خالد مافعل قام على قدميه وسعى من شدة فرحه واهتمامه وعانق عنترا عند قيامه ولما أن وقع خالد من ضربة عنتر أغمى عليه ساعة زمنية ولم يع

لنفسه بالكلية فلما أفاق أبصر شيبوبا بين يديه وهو يوثقه بالقيد الذى فى يديه وكان قيس من فرحه أغمى عليه فلما أفاق وجد شيبوبا وهو يكتف خالد فشكره وأثنى عليه وعلى أخيه عنتر فعندها تركهم شيبوب وعاد ومعه فرسه فركبها ولما أن صار على ظهرها قال له عنتر يا مولاى أخرج من غبار الخيل إلى الصحراء فسار إلى خارج المعمعة وقد حمل عنتر على الخيل ففرقها والدماء أهرقها وفرالمواكب ومزقها فعند ذلك انكسر بنو عامر عند المسا وتضعضع حالها وقد عادت بنو عبس بعد أن شفت غليلها وما بقى إلا نفر قليل من أبطالها ونزلوا فى خيامهم واستقر قرارهم (قال الأصمعى) ولما أن نزلوا هنوا الملك قيس بالسلامة ثم أعلمه الربيع بن زياد بأسر مالك وأخيه عمارة فصعب عليه وكبر لديه ثم أنه قال الملك قيس للربيع أعلم أنه ما أسر اخى وأخوك إلا السلامة هذا القرنان ولولا هذا السبب ضربت رقبته بين الفرسان لكن احتفظ عليه يا ربيع إلى أن نفادى به أخى وأخاك عند خلاص أسرنا بهذا الشيطان وأعلم أنه سلم اليوم منى ما يسلم عدو لولا شغل قلبى بالربيع ابن عقيل وقتله فى حومة الميدان لكنت أتيت إليه وأسقيته كاس الحمام من قبل أن يجرى هذا الحال على أصحابنا وأن بنى عامر قد باتوا كلهم الليلة عند الظعن فى رؤوس الجبال وصاروا عند الحريم والعيال وعند الصباح نترجل عن الخيل ونطلع اليهم بالسيوف والدرق وننثرهم من على الروابى والتلال وشكر عنتر على مقاله ثم أنهم باتوا تلك الليلة ولما أن صبح الله الصباح وأضاء بنوره ولاح احضروا خالد بن جعفر وأطلعوه على ذلك الخبر من أسر مالك وعمارة وطلبوه بالفداء فاجاب إلى ذلك وحلف دون إرتيات باليمين الذى كانت العرب تعتمد عليه فى الأمور الصعاب فعندها طلقه الملك قيس وفى قلبه نيران لا تطفأ ولهيب لا يخفى قال الراوى ولما انطلق خالد من الأسر من عند بنى عبس سار إلى قومه ولما صل إلى عشيرته تلقوه وسلموا عليه وهنوه بالسلامة ومالوا إليه وأراد أن يعلمهم بما جرى عليه فسألوه فحدثهم بالحديث كله وما اتفقوا عليه وقال لهم أطلقوا مالكا وعمارة فاطاوعه بنو عامر على ذلك بل قاموا كلهم عليهم ومن جملتهم أهل القتلى وقالوا له والله لا بد لنا من صلب الأثنين على قرون الجبال ونأخذ من هؤلاء بالثار وهو ثار بعض من قتل منا من الفرسان الأخيار لأن بنى عبس هم الذين فعلوا فينا هذا الدمار وما بقوا يرحلوا عنا إلا ان قلعوا آثارنا وخربوا ديارنا وأهلكوا جميعنا وأبادوا أبطالنا وربما سبوا الحريم والعيال ولا يبقوا منا على إنسان فانظر ما يكون عندك من الرأى والسلام قال محمد بن هشام فلما أن سمع خالد منهم هذا الكلام وعلم أن هذه أمور عظام حار وقال لهم يا بنى عمى أى شىء هذا الكلام

وأنا قد قسمت بأعظم الأقسام ولا كان نحرني الملك قيس نحر الأغنام وما يمكنى أن أغدر فى الأيمان يابنى الأعمام وأكون باغيا غدار ونحن فى هذا الإنكسار والادبار ويبقى علينا العتب والملام وأنتم تعلمون أن أعظم مسرتى قطع بنى عبس وأسر بنى زهير ولكن الزمان قد خاننى والرب العظيم قد خذلنى ولا أعاننى ولا بد أن أبذل المجهود فى معاداتهم وأجمع كل من له عليهم دم ووعدهم بالأموال لهلاك ساداتهم والأبطال وأبذل للعربان والفرسان كل ما تملك يدى من الحطام والأموال حتى أقلع أثر بنى عبس وأبلغ منهم الآمال وأترك ديارهم العامرة قفرا خرابا وأبقى طريحا على الرمال فقال سادات بنى عامر وقد طابت نفوسهم بكلامه أن كان الأمر كذلك واردت أن تفدى أيمانك وأقسامك حلف هذين الأسيرين وخذ عليهما العهد والميثاق أنهم يرحلوا عنا فى هذا العام ويمضوا باهلهم عنا بسلام وإن لم يحلفوا لنا صلبناهم على قرون الجبال وانتقمنا منهم غاية الإنتقام ثم دبرنا نحن أمورنا بما يعود به علينا الصلاح بين الأنام فقال لهم خالد هذا رأى صراب وأنا أطاوعكم عليه قال الراوى ثم أنهم بعد ذلك الكلام أحضروا مالكا وعمارة وكان عمارة مجروحا جرحا وثيقا فلما حضروا اقص عليهم خالد القصة وما قد جرى من قومه وعرفهم أن قومه قد اختلفوا عليه وعولوا صلبكم أن لم تحلفوا لهم أنكم ترحلوا عنهم من هذه الديار بقومكم وتكفوهم شركم وتصبروا عليهم بقية هذا العام وأن لم تفعلوا ذلك وتطاوعوهم وإلا ما أطلقوكم ولو انهم جرعوا كاسات الحمام قال نجد فلما سمع مالك وعمارة ذلك الكلام أجابوا وقد حلفوا له لأنهم عاينوا الأهوال والهلاك وما صدقوا بالخلاص من قيد الأقفاص فعند ذلك حلوهم وأنزلوهم عن الجبال وقد اركبوهم على جوادين وسيروهم مكرمين قال ولما وصلوا إلى بنى عبس حدثوهم بما جرى لهم من القوم فقال الملك قيس لعن الله بنى عامر لان الغدر فعالهم والخبث أبدا خصالهم فقال الربيع والله ياملك ما لخالد عندى فى هذه التوبة ذنبا لو كنا خليناه فى الوثاق وأرسلنا إليهم فى الفداء لكان صوبا والآن فما خلص أخوك إلا من فم الاسد والا كانوا اقتلوهم وربما خلص منا أسراهم ولكن كان الذى منهم الآثار ونخرب منهم المنازل والديار قال الراوى فلما أن سمع الملك قيس من الربيع هذا المقال استصوب رأيه وأمر بنى عبس بالرحيل ثم أنه رحل وقد علم أن بنى عامر فى رؤوس الجبال وأنه ما بلغ منهم الآمال إذ هو فائق فى تلك الاطلال فسار يطلب الديار وأخوته والكل حوله كالاقمار وعنتر وعروة فى المقدمة وليس لهم غرض فى هذا الصلح مع هؤلاء القوم والرحيل عنهم غير أنه قد علم أن الملك قيس مادام مشغول القلب بحزنه

على أبيه يطلب الثأر من خالد بن جعفر ولا يقدر أن يتكلم فى أمر عبلة ولا يطلبها وكان الآخر أيضا عنده من هم الملك زهير غم عظيم قصير وهو على ماهو عليه فساروا وهو يذكر ماجرى له ولقومه ويذم الزمان ونوائب الحدثان التى تعرضت له من دون سائر العربان فاشار ويقول :

ألا ياعبلة قد طال اكتئابى ولج زمان هجرك فى عذابى
وصعب هواك ينمو كل يوم كما تزداد أطوار الشباب
غزلت ظروف دهرى فيك حتى فنى عمرى وصبرى فى عتاب
ولاقيت العنا وحفظت قوما أهانونى ولم يرعوا جنابى
سلى ياعبلة عنا يوم زرنا قبائل عامر وبنى كلاب
فكم من فارس خليت ملقى خضيب الأرجلين بلا خضاب
يحرك رجله عبثا وفيه سنان الرمح يلمع كالشهاب
وكم ليث أتى نحوى ذليلا يجر قناته فوق التراب
ونادانى فكنت له مجيبا بطعن نافذ قبل الجواب
قتلنا منهمو مائتين صبرا وألفاً بالقلاع وبالروابى
أيفرح خالدا بمصاب قوم ويوم فناته على مصاب

(قال الراوى) ومازال القوم يقطعون الأرض والبلاد والتلال والوهاد وهم طالبون الديار ليلا ونهارا وعنتر يحرسهم فى الليل إلا أن يطلع النهار وهو سائر على مقدمتهم إلى أن ة بوا أرضهم وبقى بينهم وبين أهلهم ليلة واحدة فباتوا تلك الليلة ولما أن أصبحوا اعولوا على ذلك الحال وكذلك أخوته وأما المبغضون له فانهم قد تباشروا بهلاكه لاسيما الربيع وأخوه عمارة القواد وأبو عبلة مالك بن قراد فعند ذلك منع الملك قيس الناس عن الرحيل فى ذلك اليوم وقد أراد بالمقام كشف أخبار عنتر وقد أنفذ الخيل فى طلبه وأقام منتظرا من ذلك الحال وقد صار الفرسان يتحدثون فى غيبة عنتر وأكثرهم يقول أنه قد سبق إلى الأحياء ليفوز من بنت عمه عبلة بالحديث والنظر وأبوها يسمع ذلك ومرارته تنفطر قال ولما كان عند المساء عادت الخيل خائبة ومافيهم من قال أنه رآه ولاسمع له خبر فسأل الملك عن حاله فقال عمارة لأجل دلاله على الملك قيس لأنه مزوج أبنة أخيه والله ياملك هذا الذى قلته غير صائب وكيف تقيم سادات بنى عبس وعدنان تنتظر عبداً ليس له قدر وشأن فقال

الملك قيس وقد اغتاظ من كلامه ويلك ياعمارة أى شيء هذا الكلام أما تخشى أن تسب ابن عمك فى غيبته للعبودية وأمس قد خلصك من الإعتقال والرقية ولولاه لكانت بنو عامر قطعوك قطع الحطب للنار فوالله ماكان حاضر وتكلمت قدامه بهذا الكلام ما أمنت عليك منه فقال عمارة واذلاه واضيماه من قولك ابن عمنا وإدخاله فى حسبنا ونسبنا وحق الكعبة أن الموت دون ذلك فقال له الملك قيس وقد أراد بذلك غيظه ثانى مرة أعظم من الأولى ماهو إلا ابن عمك إن شئت أو أبيت أيضا هو سيدك وأنت له تبع فاترك هذا البدع لأنك ما أنت فى الحرب إلا جبان لا تنفع ولا لك فى الشجاعة مدخل ولا مطلع بل أن عينيك من شدة الخوف تدمع وأنت لا تصلح إلا طنجير منخضع قم من قدامى لا كنت ولا اسكنت فلولا ماكان أو تقع للقبيلة عامود دبيت فعندها نظر عمارة إلى قيس وقد احمرت عيناه أحس أنه لوث نفسه فقام خجلا بعد أن لعن أباه (قال الراوى) فلما سمع الربيع بن زياد ذلك الكلام ذاب جسده وتفتت كبده لكنه أخفى الكمد وأظهر الجلد فقال قيس وأعلم أن فيهم جرحى فى أسوأ حال من الجرحات التى بهم وعنتر ما عليه خوف ولا بد أن نلحقه فى الأحياء عند ابنة عمه عبلة وهو يحظى منها بالحديث والنظر والمقال ويغتنم غيبة الرجال عن الأحياء بطول ماهو من العوارض حال (قال الراوى) فلما قال الملك قيس هذا الكلام من الربيع بن زياد الكثير العناد علم مقصوده فما أمكنه بل أنه أمر بالرحيل فرحل بالناس عند السحر وهو مشغول القلب لغيبة عنتر لأن ما أعطاه أحد عنه خبر فقال الملك قيس والله أنهم ظلموا الرجل لأنهم تحدثوا فيه بشيء ما فعله ولا تدعه مروءته أن يفعل ذلك (قال الراوى) ومازالوا سائرين إلى أن دخلوا إلى الديار والأطلال وفرح المقيمون بالقادمين السادات وبعد ما استقروا بالابيات سمع مالك أبو عبلة كلاما من بعض الإماء بما جرى لابنته مع عنتر لما رحلت السادات إلى غزو بنى الأسر اروقت ماخلت الديار فدخل على زوجته وفى قلبه لهيب النار وسل عليها الحسام البتار وقال لها يا الخنا كل هذا منك وأنت التى تحسنى لعبلة الوقوف قدام عنتر صاحب الوجه الأغبر كلما غاب أو حضر وتطالبيه بالهدية كلما قدم من سفر وتطلبى منه الأموال وتأمريها تضحك فى وجهه ولا تتركى رأسى تنشال ثم أنه عول يضربها بالحسام فرقت له فى الكلام وقالت والله يا ابن العم أنا ما فعلت هذه الأفعال إلا وأنعمت له بالزواج ومكنته من الدخول عليها والخروج مع أسيد ابن جزيمة إلى بلاد اليمن والآن مادام قلبك قد تغير عليه ما بقيت أرجع أمكن ابنتى من

نظره ولا من الوصول إليه فقال مالك يا الخناء أنا كنت أفعل ذلك إلا من أجل الملك زهير وولده شاس والآن فما بقى أحد يشهد لهذ العبد ولد الزنا ولا يرفع له رأس وأنا أزوج إبنتى إلا من يكون سيدا من سادات العرب وغلاما صنديدا ولا أزوجها لاقل العبيد على أن عنتر اليوم فى العدم وما أقول أنه بقى يسلم ولا بد فى هذه النوبة من شرب كاس النقم وإن سلم وعاد وسمعت أن واحدة منكن أرسلت إليه وسلمت عليه وكلمته بكلام قطعت رأسها بهذا الحسام وحق البيت الحرام (قال الراوى) ومن الغداة حذيفة بن بدر مع أخوته ومعه جماعة من بنى فزارة وجوه عشيرته وهنو قيسا بالنصر على بنى عامر فقص عليه كل قصته وأخبرهم بخبر خالد جعفر وسلامته وقال يا بنى عمى لا تهنونى إلا بعد قتلته لأنه لا يتركنا ولا بد أن يجمع علينا الأبطال والقبائل ويبذل فى قتالنا المجهود فقال حذيفة إذا فعل ذلك يا ملك كنا من ومن نقدر عليه لك وبين يديك فشكر قيس على ما قاله وعاله ولرجاله وعمل وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وأحضر سادات بنى عبس وعدنان وفزارة وغطفان وعلم حذيفة بعدم قدوم عنتر فاستوحش له وأظهر خلاف ما أضمر وأخذ الناس فى أكل الطعام وكان الصياح يدل على فرح واستبشار فقال الملك قيس ما الخبر فقالوا له يا ملك لك البشارة قد أتى شيبوب الغضنفر أخو أبى الفوارس عنتر وهو قادم عليك يعلمك بالحال وعن سبب غيبته وما جرى له من الأمور الثقال فقال الملك قيس أحق ما تقولون قالوا أى وحق من لا تحيط به الظنون (قال الراوى) فبينما هو الكلام مع الجماعة والكل مجتمعون على شرب المدام فى تلك الساعة وإذا بالأمير عنتر قد قدم ووصل وعينه تقدح الشرر من شدة غيظه لأن عروة كان حدثه بما جرى وما فعل الملك قيس وبما تكلم فى حقه الحساد والأضداد وكيف عايره عمارة بالعبودية والسواد ولما أن عبر على الملك قيس وجماعة قام الجميع الرفيع منهم والوضيع وقد خرجوا من الأبيات ولاقوه وسلموا عليه وهو على صهرة الجواد فابصروا على ضرعه دما طريا فسألوه عن حاله وعن سبب غيبته فقال لهم أعلموا أن السبب فى غيبتى هو أننى كنت فى خدمة من لا يستحق أن يخدم ولا يرفع له رأس ولا يعلموا له قدر لأنه خبيث الطبع ردىء الأصل والفرع ولا يزال يسبنى بلسانه فلا يرجع حتى أهدم بهذا السيف أركانه فقال له الملك قيس يا أبا الفوارس أى شىء هذا الكلام المبهم فقال الأمير عنتر يا ملك عبس وعدنان اسمع حديثى لنا حتى تسمعه فقال له الأمير أيها الملك هو أنكم ليلة ما فقدتمونى وأنا فى الحرس قد كنت تباعدت فى البر خوفا عليكم من الشر ومن لص أو طارق يطرقكم فبينما أنا كذلك

إذ لاح لى شيخ مخاطر فتبينته فاذا هو رجل أعرابى وهو راكب على مطية تسعى به تحت ظلام الليل فى تلك البرية وهى كانها ذكر النعام فصرخت عليه وقربت منه فرقف وقال ما تريد دعنى أمضى إلى حال سبيلى فسألته عن حاله وما الذى جرى له فعندها اطمأن قلبه وقال يافتى أعلم أننى رجل مظلوم وأنا قاصدا إلى ديار أب عبس بصديق لى يقال له الربيع بن زياد أسأله أن يعنى على كشف ظلامتى لأن بينى وبينه صداقة وذمام من مدة شهور وأعوام (قال الراوى) فلما أن سمعت منه ياملك ذلك الكلام قلت له بذمة العرب ما الذى جرى عليك وماقد أصابك أخبرنى به وأعلم أننى عبد الربيع بن زياد وأنه قد أنفذنى فى أمرهم فقال يافتى أعلم أننى يقال لى بشارة بن معبد ولى بنت قد خطبت منى فانعمت بها على من أرسل بسببها فاخذت من مالى مائة ناقة وسرت بها أطانها وادى النقا وقد أردت أن أبيعها وأشترى بها ثيابا وطيبا لأجمل به إبنتى واستر عورتى فبينما أنا سائر إذ لقيتنى خيل غائرة آخر النهار فطلبتنى وقد أخذوا النوق منى وقد هربت أنا وعلمت أنهم من بنى كنانة ولما قربت الآن من بنى عبس قلت فى نفسى أنى أسير إلى صديقى الربيع بن زياد وأسأله أن يركب معى فى جماعة من قومه الأجواد ويخاص لى منهم مالى ذكرت لى أنك عبد لصديق الربيع فان كنت كما ذكرت فابصر ماقد تفعل فى حقى فلما أن سمعت حديث ياملك بنى عبس قلت أبشر بقرب الطريق وأعلم أنى أنا أنوب عنه لأنه مولاى ولا أدعك تسير اليه والآن سر قدامى وأوصلنى إلى أعداك حتى أبلغك منهم مناك فعندها عاد بين يدى راجعا وأنا أركض خلفه ومازلت على ذلك الحال من أول الليل إلى أن طلع الفجر وقد بان ضياه فلحقناهم عند طلوع الشمس على ماء يقال له فريرو أرض النقير وكانوا أربعين فارسا فلما سمعوا أن تميزتهم وعلمت عدتهم حملت عليهم وقتلت منهم خمسة وعشرين فانهزم الباقون فعندها ياملك أخذت جميع ما كان معهم للرجل وجمعت أيضا أسلاب القتلى وجمعت الخيول الشاردة ودفعتها لذلك الرجل وقلت له خذ هذه الأسلاب والخيل وبعها تساعد بثمنها على حالك واشكر مولاى الربيع على ذلك الصنيع وتركته وعدت منه بعد أن وصلته إلى مكان يأمن فيه وقد بنيت لك بيت مجد وحزت لك فيه شكرا وحمد هذا وقد سمعتهم يذكرونى بالخيانة وأنهم يعايرونى بالسواد فهذا جزاء من يفعل هذه الفعال وبهذا تعرف أولاد الزنا من أولاد الحلال (قال الراوى) ثم أنه بعد ذلك الكلام التفت إلى عمارة ومن كسا الليل حلة السواد وجعل النهار معاشا للعباد وقد تنزهه عن الزوجة وأولاده وانبع

الماء من الجماد إن لم تنته عن الفساد وتحسن خصالك وترفع العناد لاقطعن بسيفى أوصالك وأعجل إلى المقابر ارتحالك (قال الراوى) فلما أن سمع الأمير عمارة من عنتر ذلك الكلام وكان جالسا بين أخوته والخمرة قد لعبت فى رأسه فاستحى من ندمائه وجلاسه ووثب قائما على قدميه وسل حسامه وقال لعنتر ويلك يا ولد الزنا وتربية الخنا ايش الذى بلغ من قدرك حتى تقابلنى بهذا المقال قدام سادات عدنان ولى مثلك الف عبد فى المرعى سوى غيرهم من الغلمان ثم أن الأمير عمارة قد طلبه والسيف فى يده مشهر فقالت اليه الرجال وقد دارت به الأبطال فعندها صاح به أخوه الربيع وتقدم إلى نحوه ولطمه فدهاه وأخذ السيف من يده وقال له ويلك يا نذل ايكون جزاء ابن عمنا مثل هذا الأمر وقد بذل نفسه دوننا وخدمنا حق الخدمة قال الراوى هذا كله من الربيع وعنتر يقول والله يا عمارة الكلب ما أريدك أن تسل حسامك وتطلبنى إلا انى قد فرغ خاطرى أحد إلا أنا وأنت ولا يكون فعالى من فعالك ثم أنه بعد ذلك قلب عنان جواده وطلب إلى قومه وأبياته وقد أستحى من قيس أن يتفرق الناس عنه وتتكدر عليه ليلته قال الراوى ولما وصل إلى أبياته لاقته أمه زبيبة وهى باكية العين فرحة باللقاء لأنها كانت حزينة فى طول غيبته وما صدقت أن تراه سالما فأرادت أن تعانقه وتبل شوقها منه فدفعها فى صدرها فألقاها على ظهرها من شدة غيظه منها وقال لها أذهبى عنى يا خنا فلولاك ما عايرونى بالعبودية والخنا فقالت له زبيبة وقد زاد بكاها يا ولدى وأنا ايش ذنبى حتى تفعل بى هذه الفعال وتكون عندى بالليل والنهار فيكون عندى أحب من الشجاعة والفروسية وترمى نفسك فى النار الحمية والآن قد مضى ما مضى وما بقى إلا أن تقتلنى لعل أن يمحى عنك اسم العبودية وتأخذ لك أما غيرى تكون عربية لعلك أن تبقى سيدا من السادات المسمية قال الراوى فلما سمع عنتر كلامها رق لحالها وجبر قلبها هذا ما كان من عنتر وأما عمارة بن زياد أخوه الربيع الكياد فإنه لما خرج عنتر من الوليمة وهو حردان صار الملك قيس من أمرهم حيران فطيب قلبه الربيع وقال له يا ملك هذا الأمر لا يتم ولا يتصور ما دام أن العداوة قد وقعت مع أخى عنتر وقد خطر ببالى خاطر وهو صواب وأريد أن أفعله وبه تتم الأسباب وينفصل هذا الأمر وينطفى ذلك الشر ولكن يا ملك الزمان اليوم يوم خمر وغدا لله الأمر لا سيما وعندك سادات بنى بدر والصواب تمام السرور معهم ودفع العتب عنهم (قال الراوى) ثم انهم عادوا إلى ما كانوا فيه من الفرح وشرب المدام إلى أن ولى النهار وأقبل السلام ورحل حذيفة عند الصباح إلى أهله وبنى عمه وأما الربيع بن زياد فإنه دعا أخوته ورفع خيامه ورحل بجميع بنى عمه وأتباعه بالسوية

إلى واديقال له وادى اليعمورية وقال وحق ذمة العرب لا جاورت أنا قيسا بعدها أبداً مادام عنتر فى جوارهم لأنه سبب أخى عمارة وطعن فى أنسابنا بكل لسان وما كلمه فى ذلك قيس ولا بهاه وكان هذا القول منه فى حقنا أرضاه قال الراوى وكان الربيع بن زياد شيخا من مشايخ بنى عبس الكبار وكان الملك قيس صهره كما ذكرنا فتبعه من بنى عبس اوفى من خمسمائة بيت وخمسمائة فارس ونزلوا معه فى الوادى المذكور وكانوا كلهم يكرهون عنتر فبلغ قيسا ذلك الخبر فصعب عليه وكبر لديه فقال لاخوته ووجوه عشيرته ألا يابنى الاعمام أن الملك زهير فى حال حياته قد رضى عنتر بن عمه والحقه بنسبه ونقله من رق العبودية إلى النسب والحرية وعنتر وعمارة إذا اجتمعوا فرقوا شمل العشيرة وفرقتهم خير من اجتماعهم ه قال ثم أنه أقام وقلبه قوى بعنتر وكونه فى الحى وما أنكر على الربيع فعاله ولاعتب عليه ولا أتعب حاله بل صار يمضى إلى وادى اليعمورية ويداريه لأجل القرابة التى بينهم ولأجل الرجال الذين رحلوا معه ه قال وكان الذى رحل مع الربيع بن زياد غالب فرسان الحى الجياد وأما عنتر بن شداد فإنه كان قد سمع بما قد جرى لعمه مالك بن قراد مع زوجته وكيف أراد قتلها والكلام الذى تقدم عما وعته آذانكم أيها السادة الأجواد فما عاد عنتر يدخل فى أبياته ولا يلم بساحاته خوفا على قلب الأميرة عبلة من حصول الدبلة (قال الراوى) هذا كله يجرى وقيس بن زهير كان منتظرا لما بينه وبين بنى عامر ويراعى أخبار خالد بن جعفر إلى أن توصل إليه الخبر أنه طرح روحه على شيخ العرب دريد بن الصمة أمير العرب يكاتب القبائل والفرسان ويأمرها بطاعته والمسارعة إلى خدمته ويعينه من عنده بعشرة آلاف فارس أبطال أشاوس قال الراوى وكان دريد بن الصمة من جملة المعمرين لأنه عاش عمرا طويلا والعرب تسميه رحاة الحرب وتطيعه لأجل كبره فى السن ولأجل ما فيه من الشجاعة وحسن التدبير قال الراوى ألا إن قيسا لما سمع هذا الخبر صعب عليه وكبر لديه وتحير وقال هذا والله هو القلق الأكبر ثم جمع بين يديه سائر الفرسان من بنى عبس وعدنان وأخبرهم بما قد سمع من ذلك الأمر والخبر من جهة دريد بن الصمة وجلية الأثر فما منهم إلا من خاف وانذعر لكنهم أخفوا الكمد وأظهروا الجلد إلا أنهم قالوا والله ياملك لو أنه سار إلينا بكل من الأبطال والفرسان ما منا إلا قدام أولادنا والنسوان فعند ذلك قال عنتر بن شداد لا تخف ايها الملك من أحد من أبناء الزمان فدعه يجهد جهده ويجمع ما عنده فلو أنه أتى ومعه النمرود بن كنعان أو جمع الانس والجان لمحقت آثارهم وحق مكون الأكوان فطب نفسا وقرعينا فوتربة أبيك الملك زهير لا أتلقاه إلا فى الفى فارس

من الأصحاب وآتيك برأسه والأسلاب وأهلك كل من معه ولو أن الانس والجن تتبعه فطاب قلب الملك قيس بذلك الكلام وأخذ فى أهبة الحرب والصدام قال الراوى وكان الملك قيس قد افتقد آلة السلاح فلقيها قليلة فأوصى عنترة بالحى وترك عمه أسيد مكانه وأخذ معه أمو الاونوقا وجمالا وسار فى مائة صنديد فطلب يثرب ليشترى منها سلاح وآلة الحرب وكفاح قال وكانت يثرب قريبة من الديار وكان الحاكم عليها يومئذ أحيحة بن الجلاح اليثربى وهو أخو عبد المطلب من أمه وكان بينه وبين قيس صداقة ومودة ومكاتبة من أيام أبيه قال الراوى فلما وصل قيس إلى يثرب نزل فى منزله ففرح به أحيحة وأكرمه غاية الاكرام وسأله عن حاله فأخبره أنه اتى لأجل شراء سلاح قال الراوى وكان قيس قد سمع أن عنده درعاداوديا سابغة كثيرة العدد ضيقة الزرد كأنها عيون الجراد ما اقتنى مثلها أحد من ملوك العرب وهى أحسن من سائر العدد فعند ذلك قال قيس يا أمير أحيحة أنا قد بلغنى أن عندك درعاداوديا قد هام قلبى بها وأريد منك أن تبيعها لى وأن تهبنى إياها وتبلغ روحى مناها حتى القى بها الأعداء وافتخر بها على طول المدا وأعوضك أمثالها ما بقيت روحى فى جثمانها قال فلما سمع أحيحة ذلك منه تبسم وقال يا سيد بنى عبس من أفضل منى حتى أبيعه درعى ولم يكن أحد غيرى لها أهلا على أننى والله العظيم والرب القديم لولا أنى أخاف من مذمة خالد بن جعفر لاعدت إلا وهى معك لاجل قولك أهدها إلى لانى ما أعرف منذ عمرى أنى رددت سائلا سألنى عن حاجة ولو كانت روحى لوهبتها إليه من غير الحاجة فقال قيس أيها الامير والسيد الخطير كيف يذمك خالد بن جعفر إذا أنت أعطيتنى إياها فقال لانه قد قصدنى فيها وطلبها منى ومدحنى بأبيات من الشعر وما سمحت له بها لما علمت أنه يقاتلك بل عوضته شيأ من السلاح غيرها وصرفته بجميل وأخاف إذا وهبتك إياها أن يرجع يذكرنى بعدها بالقبيح على لسان كل فصيح فقال قيس أيها الامير وما الذى قاله خالد بن جعفر من الشعر النضير قال هذه الابيات :

إذا ما طلبت العز من آل يثرب ... فنادى أبا عمروا أحيحة يسمع
وقم تحت ظل اليثربى فإنه ... إذا فت فيه خاش بأسك تبع
وأبصرت إنسانا على نور وجهه ... لثام تغيب فيه الشمس وتطلع
إذا هز فى يوم الكريهة سيفه ... رأيت شعاع الشمس فى السيف يلمع
ويأمن فى أبياته كل خائف ... ويشبع من جدواه من ليس يشبع
خصائل كانت للنجار قديمة ... فصار عليها ابنه يتتبع

(قال الراوى) فلما سمع قيس هذا الكلام والشعر والنظام قال له والله ما بقى عليك يا أمير ملام ثم أنه أقام عنده تمام الثلاث أيام ساعيا فى طيب ماله من القصد والمرام فلما اشترى ما يريد وأراد أن يرجع إلى يثرب أمسكه أحيحه وقال له يا قيس بت عندى هذه الليلة فإنى بعد ما مضيت خطر لى خاطر واظن فيه الصلاح لك ولا بد أن أطلعك عليه وأخبرك أياه ثم أنه فى الحال نحر له الإبل والأغنام واحضر له الطعام وآنية المدام وشرب معه قيس حتى أمسى المسا ولما أخذت الخمرة بعض عقله وطاش بها لبه أشار إلى قيس ينشد ويقول شعرا

ألا يا قيس ما درعى ينام ... فمثلى لا يساوم فى الدروع
ولولا أننى عودت روحى ... عوائد صاحب النسب الرفيع
وهبتك مثلها عشوا ومهرا ... أسيل الخد محبوك الضلوع
ولكنى أخاف يسب عرضى ... وينفر قلب خالد من صنيعى
فساومنى عليها واشتريها ... كما تشترى البضاعة فى المبيع
ليقبل خالد فى الدرع عذرى ... وتحظى أنت بالدرع المنيع

(قال الراوى) وكانت هذه الزردية تسمى الوشاحية فى لغة أخرى تسميها العرب ذات المواشيح وتقومها بمائة ناقة سود الحدق حمر الوبر فلما سمع ذلك الكلام علم مراده وعلم أنه لا يشتهى أن يسمع خالد أنه خيب شعره ورد عليه ووهب السلاح لعدوه فعذره فى ذلك وأقام عنده إلى أن أصبح الصباح وقدم له باقى ما عنده من الأموال كلها وقال أنا أعلم أن قيمتها اعظم من ذلك وأوفى مما بذلت لك وإنما انت قد اهديتها إلى فقال احيحة بن الجلاح يا قيس والله لقد ندمت حيث قصدتنى فيها فى الأول وما قضيت حاجتك وبقى فى قلبى من ذلك اثر فما صدقت اراك حتى ابلغك منها مناك واسر قلبك واطيل هناك ولا ترجع تذلنى ولا تقطع ما بينى وبينك من النسب والصداقة والآن قد بعتك درعى بهذه الناقة ثم أخذ من نوق الملك قيس ناقة واحدة واعطاه بقية المال والدرع وأراد أن يشاع البيع فى الظاهر ويكون هدية فى الباطن ثم بعد ذلك رحل قيس فعجب أهل يثرب من ذلك وقالوا والله لقد سمحت نفس احيحة بما لا تسمح به الفرسان ولا ملوك الزمان ولا اقتنى مثلها التبع الحسان (قال الراوى) ثم أنه قد جد فى المسير وما رسمته الدنيا من شدة فرحه ومازال سائرا على هذا الحال حتى قرب من الحى والاطلال فأنفذ السلاح الذى اشتراه مع الفرسان والمسمية وجد فى سيره إلى ان وصل اليعمورية الذى نزل فيها الربيع بن زياد ذلك كان فى أواخر الشتاء فبلغ الخبر الربيع بن زياد فخرج إلى قيس واستقبله وسأله عن خالد بن جعفر فقال له قيس وانت يا ربيع ما فى نيتك أن تشد معنا إذا اتى خالد بن جعفر اما سمعت بالجمع الذى جمعه فقال له الربيع بلى يا ملك قد سمعت انه طرح نفسه على شيخ العرب زيد بن الصمة

وقد ضمن له هلاككم وهلاك بنى عبس أجمع والشتاء قد انصرف وما بقى غير أخذ الثار وكشف العار ولقاء بنى عامر وجشم الفخار لأنهم لنا ولهم فى الطلب وهم أشد عداوة لنا من جميع العرب وإن لم يشمد بعضنا البعض وإلا شمتت بنا العرب فقال له قيس جزاك الله خيرا يا إبن العم وأنا ما عبرت ههنا إلا لأبصر ما فى قلبك قال وضـ ب قيس كفل ناقته وأراد أن يسير فمسكه الربيع وقد رأى الحقيبة ملآنة فقال له ياقيس أى شىء فى حقيبتك وأى السلاح الذى اشتريته لنا حتى نقاتل به الأعداء فقال قيس السلاح قد مضى قدامى إلى الاحياء وأما الذى فى حقيبتى فهو شىء ما أبصرته عمرك ولا اقتنت الملوك مثله لا قريب ولا بعيد من العرب لأنه أعجب من كل شىء عجب فتبسم الربيع وقال والله ياقيس لقد علقت قلبى وما أدعك تمشى حتى أبصر ما معك ولا يكون فى قلبى حسرة قال فعند ذلك أناخ قيس ناقته واخرج الدرع من حقيبته فقال الربيع ومن أين وقعت بهذا الدرع وهو من دروع القدماء ولا يقدر على مثلها أحد من العظماء فقال قيس نعم هذا درع احيحة اليثربى لأنى نزلت عنده فأضافنى وأكرمنى غاية الاكرام وطلبتها منه فأهداها إلى فقال الربيع والله يا ابن العم لقد سمحت نفس هذا الرجل بما لا تسمح به نفوس الرجال فقال قيس نعم وحق الكعبة والحرم لو سألته فى ولده لكان أعطانى اياه لأجل ما بينى وبينه من مودة وصلاح الحال فقال الربيع لقد وهب وتكرم هذا المفضال قال الراوى وكان الربيع رجلا أطول من سائر الرجال عريض الاكتاف والاوصال فاخذ الدرع ولبسها فاذا هى سابلة إلى كعبه فهام بها وتمشى ودخل إلى خبائه وعاد وقد تقلد بسيفه وقال ياقيس إنها أعجوبة عند الرفيع والوضيع والمال الحلال لا يضيع لأن هذا الدرع منى سرق وإلى رجع ولا ألقى أعداك إلا فيها ولا أجد أحسن منها ثم إنه مد يديه إلى قائم السيف وجرده فرأى قيس الشر يلوح فى وجهه فقال قيس يا ابن زياد أى شىء هذا التعدى تدعى الباطل وتتبع الغدر وتتبع ما بينى وبينك من القرابة بهذا القدر فضحك الربيع وقال لا وحياتك ياقيس ما هذا إلا درعى وأريد أن تحدثنى بحديثها وكيف وصلت اليك والا اتهمتك بها وهذه علامتى فيها وهى هذا الحرب الذى فى ذيلها قال الراوى ثم أن الربيع بن زياد معدن المكر والخبث والفساد همهم ودمدم وأخذ بالشعر يترنم :

ياقيس درعى لا ابيع ولا أهب … معروفه لجميع احياء العرب
ولو قرب بيننا من النسب … حللت فيك حرمة شهر رجب

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

قال الراوى فلما سمع قيس كلامه أجابه على عروض شعره

تريد أن تأخذ درعى ياغبى بالزور والبهتان والقول الوبى
درع أحيحة الكريم اليثربى دع عنك ذا القول فذا حلم الصبى
وحق من اغسق جنح الغيهب لست اخليها ولو كنت ابى

(قال الراوى) ثم تلاحجا فى الكلام وكثر بينهما الخصام واجتمع عليهم الرجال وصار اخوة الربيع يضحكون على قيس كلما رآوه يرق له فى الكلام وعمارة يقول له ويلك يا ابن العم أن أخى يمزح معك فارجع إلى أهلك ونحن نرسلها عندك وإلا أرسل حاميتك عنتر يخلصها لك فعند ذلك امتلأ قلبه غيظا وحنق وعلم أن القوم يريدون الشر فعطف عنهم راجعا ولحق بأهله وكتم غيظه قال ولما وصل إلى الحى حدث ابنة الربيع وكانت زوجته كما قدمنا وقال لها يا ابنة الربيع والله لقد وقعت مع أبيك فى أمر شنيع لأننى إن تركت الدرع لأبيك شاع خبرها عند كل العرب وعايرنى بذلك أهل المنازل والرتب ويقولون ما قدر على خلاص درعه وقد أخذه منه غصبا وأنا لا أرضى أن الشر يقع بيننا مع هذه الاخبار التى سمعناها عن اعدائنا يكون ذلك سببا لقلعنا وفنائنا ولأن ابيك اليوم فى جماعة كثيرة من أهل القبيلة ومالتى خالد بن جعفر إلا بهم وكان الملك قيس له بنت من بنت الربيع بن زياد وكانت اعقل أهل زمانها فى الفصاحة من جميع بنات العرب وتقول الشعر على الحاضر فى جميع العشائر ولها العقل الوافر زائدة فى الحسن والجمال فقالت يا أبتاه أرد عليك الدرع ولا تعرفه إلا منى لأن جدى يحبنى وإذا نام فى خيامنا لا ينام إلا عندى وأقول إننى إذا قصدته لا يخيب قصدى فقال لها أبوها الملك قيس افعلى ما بدا لك نجح الله أفعالك فعندها ركبت ناقتها وأخذت معها جماعة من العبيد والاماء المسمية وسارت تجد المسير إلى وادى اليعمورية ودخلت على جدها وكان يحبها محبة عظيمة لأجل ما فيها من فصاحة اللسان وحسن البيان (قال الراوى) فلما رآها جدها علم بحالها ولأى شىء قدمت فقام اليها وسلم عليها وضمها إلى صدره وأقعدها فى حجره وقبلها بين عينيها وسألها عن حالها فقالت وقد فرحت بذلك الاكرام يا جداه رد على أبى درعه وأقبل سؤالى فيه لأنه كدر عيش أمى بهذا السبب وعادها من أجلك وحلف أنه لا يغسل ثوبه ولا أحد منا يعبر عليه إلا أن يرجع درعه اليه فقال الربيع يا جمانة وحياة عينيك لو صبر لرددته ولكن أقول أنه أقدم على الشر وأكثر فيه اللجاج والعناد لاسيما وقد أبعدنى وقرب عبد شداد من حين رحلت ما سأل عنى ولا ترضانى فقالت جمانة يا جدى بحياتى رد الدرع على أبى وأقبل سؤالى فيه ولا يحصل بينكم الشر بسببه

(تم الجزء الثانى عشر ويليه الجزء الثالث عشر)

لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
رفع أ. علاء الدين شوقى أسكنه الله الفردوس

Bibliotheca Alexandrina
07039986